

أحمد حماني

أ صرار بين السنة والبدعة

أو
القصة الكاملة للسطو بالإمام
الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الأول



الاهداء

الى اللذين عاشا متحابين فى الله متصافيين فى العشرة ،
متعاونين على البر والتقوى . وكانا - فى حياتهما - مثال
الصدق والصفاء ، والطهر والوفاء . والعمل الصالح الجاد النافع
المتواصل فى تواضع وإخلاص وإنكار للذات ، وتفان فى أداء
الواجبات ، فى خدمة الله والأمة والوطن .

الى من كان لهما أكبر أثر فى حياتي وفى حياة كثير من الناس
- بما بذلا من تضحيات غالية ، وبما سال من دمهما فى سبيل
الله .

الى أكرم الناس عندي ، وأعزهم علي ، وأحبهم الي ، الى
عبد الحميد بن باديس ، وأحمد بوشمال أقدم هذا العمل
المتواضع .

أحمد حماني

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على محمد النبي الكريم
رب يسّر وأعن
هذا الكتاب

مقدمة :

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد،
فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم ،
وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة (*) .

وأما بعد ، فهذا كتاب : (صراع بين السنة والبدعة أو القصة الكاملة
للسطو بالإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس) أردنا منه أولا أن يكون بابا
من كتاب يتحدث عن الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر، فأبى إلا أن يكون
كتابا كاملا في حجم محترم ، وكاد يكون مستقلا عن أصله بموضوعاته
المتشعبة ، وجوانبه المتفرعة ، وفصوله المتعددة، وأحداثه المتنوعة ، وصفحاته
الكثيرة .

(*) بهذه الخطبة من الآثار النبوية كان ابن باديس رحمه الله يبتدي دروسه
للعمامة غالبا .

فى هذا الكتاب سيجد القارىء فصلا طويلا عن السنة والبدعة وعن الصراع بينهما منذ فجر الاسلام وحتى الآن وموقف أئمة الإسلام الأعلام من السنة يلتزمون بها قولاً وفعلاً، ويعضون عليها بالنواجذ . ومن البدعة يمتنونها ويعذرون منها ويهينونها ويبدلون كل وسعهم لطمس معالمها وإخفات صوت أهلها .

وسيجد القارىء كيف نشأت الحركة الإصلاحية الحديثة وكيف امتدت الى بلادنا ، وماذا أثرته فى نهضتنا ، وفى نجاح أمتنا فى استرجاع شخصيتها والقضاء على عوامل فنائها ، وستبرز أمامه شخصية زعيم الإصلاح ببلادنا الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وماذا عمل لإحياء السنة وإماتة البدعة . وما بذل فى ذلك من مساعي حميدة ، وماذا لقي من اذى شديد فى نفسه وماله ومن الذى قام فى وجهه واعترض سبيله . وما هى الدواعي الدلنية والباعث السرية ؟ سيجد القارىء القصة الكاملة لحادثة مريمة هى حادثة السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس ذات مساء من شتاء 1345 هـ (1926 م) وكانت حادثة مدبرة بأحكام وقعت من المعتدين عن عمد وتربص وسبق أصرار وكادت تؤدى بحياته وتؤدى الى ذبحه كما تذبح الشاة، لولا ان نجاه الله من يد الجاني ... لولا .

ما هى الأسباب القريبة والبعيدة لهذا السطو ؟ كيف ومتى وأين وقع ؟ من هو الجاني وما هو مصيره ومن كان وراءه يدفعه لاقتراف إثمه ؟ ما هى حقيقة فرقته الدينية وحقيقتهم السياسية ؟ شخصيات عجيبة ! أقوال خطيرة ولوازم فظيعة ، وتهم شنيعة ، وجهل كبير ، وإصرار عجيب ، هل ماتت فكرتهم الباطنية وبدعتهم فى القول بالحلول وبوحدة الوجود ؟ أم هى ما تزال كامنة تحاول الظهور والعودة الى ميدان الحياة والرواج ؟ من هم فرسانها بالأمس ؟

اتصالات مريمة بأهل الريب والتخريب فى الخارج وفى الداخل ، دور الاستعمار الكريه فى الحماية والرعاية والتأييد لكل ما يهدم الإسلام ويسبب للمسلمين الخراب والدمار ، إغلاق المساجد فى وجوه العلماء المصلحين من دعاة السنة وإماتة البدعة ، وبناء النهضة الاسلامية الوطنية واليقظة القومية العربية - وفتح أبوابها - بل فتح أبواب الثكنات العسكرية لـ (تحضين)

البدع و (تفريخها) وتمكين أهلها من كامل حريتهم لنشرها والإعلان بها في
مظاهرات بالشوارع .

ثروة فكرية عظيمة من النثر الفني الأدبي والعلمي ، ومن الشعر العربي
الفحل، المشرق البيان ، المتين البنيان، الرائع على مدى الزمان .

هذا ما نحاول أن نقدمه في هذا الكتاب معروضا بأمانة مع التحري
والندقيق والشرح - اذا لزم شرح - والتحقيق .

وقد تعرضنا لبعض التراجم أثناء العرض حاولنا فيها ان نعرف بها تعريفا
صحيحا برجال عظام منا لعبوا أدوارا أساسية في نهضتنا ، وكان لهم اثر
عظيم على أمتنا ، فمنهم من اجتهد فأصاب . ومنهم من اجتهد فأخطأ ، ولا يتهم
أحد في عقيدته ، ولا تحوم شبهة حول قصده ، وفي عرضنا لمواقفهم اعتراف
بفضلهم وتسجيل لآثارهم ، ولم نقصد ان نؤرخ لهم، فان للتاريخ أربابه
المختصين به ، وما نحن الا بعض الشاهدين على ما سمعنا ورأينا ، فإذا كان
للمؤرخين فيما روينا معونة على أداء مهمتهم فذلك ما يسعدنا ، وان وقع سهو
أو خطأ فان الانسان معرض للغفلات والنسيان، وعليهم ان يدفعوا ذلك بحجة
وبرهان .

وما هذه المحاولة منا في التنويه بأستاذنا ، وإمام المصلحين فينا، سوى
بجهود صغير نشارك به من سبقنا من الأساتذة الجامعين لآثاره المتنوعين
بأخباره ، وفي طليعتهم أخونا الكريم الوزير المصلح العظيم الشيخ عبد الرحمن
شيبان ، فقد بذل مجهودا كبيرا في إحياء آثار الشيخ والتنويه بشأنه والمحافظة
على ذكره بالقول والفعل وبالاسلوب الأمثل ، ولا أعني انه أمر بنشر مجالس
التذكير من تفسير بعض آيات القرآن التي كتبها أستاذنا بقلمه ، ونشرها في
شهابه ، أو شرح أحاديث نبوية منتقاة ووكل الإشراف عليها وتحقيقها
وأعدادها للنشر لأكفأ الرجال لعالم كبير تنازل عن أعماله الخاصة المفيدة
لأداء هذا الواجب الأكيد ، وهو أخونا العلامة محمد الصالح الصديق عضو
المجلس الاسلامي الأعلى والمؤلف الشهير، بمشاركة تلميذين نجيبين من تلاميذ
ابن باديس الثقات وأوفاهم له وأنبههم ذكرا الشيخ علي شنتير ، والشيخ علي
مرحوم، وكلاهما من أعضاء المجلس الاسلامي الأعلى ، فجاء عملهم كاملا متقنا

بريثا مما يتعرض له مثله من تشويه وتحريف ، لا أعنى هذا فقط - وإن كان لا يستهان به - ولكن أعني ان الشيخ شيبان كان حريصا شديدا حرص على إحياء ذكرى ابن باديس وتثبيت شخصيته وأخلاقه لا فى فكرة أجيالنا ، ولكن فى أنفسهم وأخلاقهم ، بأمره ان يعتمد أئمتنا وعلماؤنا فى التربية الاسلامية الصحيحة والقومية الوطنية لناشئتنا وأجيالنا على هذه الآثار الشامدة بعظمة شخصية شيخنا ، اذ لا يكفي فى ذلك الخطب والمحاضرات فى الاحتفالات السنوية تقال وتسمع ، وانما الذى يفيد مثل هذه الآثار لابن باديس التى تربط شخصيته بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رأيت الأخ شيبان يستنطق الأئمة فى حفل رسمي وبحضور اكبر المسؤولين فى الدولة عن يملك منهم تفسير ابن باديس حتى اذا كان الجواب سلبيا أظهر حسرته الكبرى ، ثم أمر بتوفيره لهم وأمرهم أن يعتمدوا عليه ، ثم رأيت من بعد ذلك بعض هؤلاء الشبان المعتادين بيوت الله الثائرين على الأوضاع الفاسدة فى الدين وفى الاخلاق يلقى درسا على الجمع الكبير الذى غص به احد مساجد الجمعة موضوعه عباد الرحمن ، وبتفسير ابن باديس ، فأعجبت به ورأيته قد وفق فى أدائه وبرهن على حسن فهمه وأداه بروح من نفحات شخصية ابن باديس ، وآمنت أن ما أراده شيبان قد أدركنا بعضه -

ثم انه ما فعل ذلك لأغراض شخصية أو منافع مادية ، ولكن لإيمان عميق وتفهم دقيق ، وحب مكين لشخصية ابن باديس ولدوره العظيم فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ولاقتناع تام باننا اذا ربينا أجيالنا على منهاجه وأحيينا فيهم مبادئه فى التربية والتعليم نكون قد وجهناهم على اقوم خطة فى الاعتزاز بالدين والقومية الصحيحة ، وبالوطنية العميقة السليمة ، وبالجامعة المتينة لشملنا المبنية على أقانيم ثلاثة هى الدعامة القومية والأساس المتين لوحدتنا والضمان الأكيد لوجودنا أمة قوية عظيمة : (الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) .

وعبد الحميد عاش للإسلام ، والعربية ، والجزائر ، وهو منا وإلينا، فهو الشخصية الجزائرية القوية المصلحة الجامعة التى يمكن ان نجد فيها المثل الأعلى والقُدوة الحسنة لأبنائنا مثل ما يجد الآخرون فى شخصياتهم العظمى، وقد أنعم الله به علينا فلنشكر الله على نعمته ، وقد امتن الله سبحانه على

المسلمين جميعهم ، وعلى العرب انه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، وان هذا الرسول - من أنفسهم - عزيز عليه عنهم، حريص عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فمن نعم الله على أمة ان يكون الرجل القوي الأمين القدوة منهم. والأخ شيبان مقتنع بهذا وطالما صرح بأن علينا أن نشكر الله الذي انعم علينا بابن باديس وأمثاله ، ولو لم يكن لنا لكان علينا (ان نشتره) يقول هذا ردا على من عى عليه الحق ، أو استكثر من اهتمامنا بابن باديس وعنايتنا العظمى بآثاره وذكره مع القصد الصحيح من ذلك ، والخطأ الواضح في اعتراض ذلك عن حسن نية أو عن سوء نية ، فلو كان ما فعله لابن باديس - بعد وفاته - تحكما منا وتحزبا - وحاشا الله - لكان حكمة ما فعلنا ونعما هو ، ولكن الرجل من عباد الله المؤمنين المتقين ، جاءته العناية من الله الذي وعد في كتابه العزيز انه سيجعل - برحمته - للمؤمنين العاملين الصالحات ودا فاذا أحب عبدا ورضي عنه نودى في السماء بذلك فاحبه أهل السماء ووضع له القبول في الأرض ، وهذا ما كان - أن شاء الله - لابن باديس، فعبثا يحاول الشيطان ان يطفئ نور الله بالفم !

ومن قبل عناية الشيخ شيبان بآثار ابن باديس وتعميمها للانتفاع بها سبق الأخ الشيخ محمد الصالح رمضان أحد نجباء تلاميذه بمحاولة أولى نشر فيها من إملأه الشيخ ابن باديس على طلابه في علم التوحيد ، واعتمد فيها أسلوبا رائعا مفيدا مدعما بحجج من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجنبه للناشئة من عقم (براهين) كلامية مبنية على المنطق والفلسفة اليونانية .

ثم كان أول من جمع ونشر تفسير ابن باديس - مجموعا - فهذا عمل مشكور نرجو ان يجدد طبع أكبر كمية ممكنة من العقائد اذا كانت قد اختفت من السوق .

ثم جاء من بعده الدكتور عمار طالبي فحاول ان يجمع كل آثار ابن باديس ويخرجها في كتاب نفيس كان الفضل في نشره لصديقنا الاستاذ (أبو داود) والأستاذ مرازقة الكتبيين الناشرين بالجزائر ، ولكن هذا الكتاب مع الأسف لم يكن وافيا بالغرض؛ فكم ترك مما كتبه ابن باديس ، أو كتب عنه وكساد يقتصر على ما كتب في مجلة الشهاب الشهرية، ولم يمرج - الا قليلا - على

ما كان له من آثار في المنتقد أو في الشهاب الأسبوعي ، أو في جرائد جمعية العلماء : السنة ، والشريعة ، والعصا ، والبصائر ، وله فيهن افتتاحيات ومقالات كثيرة ما تزال بموضوعاتها حية الى الآن .

وجاء من بعدهما الدكتور رابح تركي فعالج بروح الدراسة العميقة والبحث العلمي جانبا من جوانب شخصية ابن باديس وأعماله ، جانب التربية والتعليم، فوفق في عمله ، واستحق الشكر عليه .

كل هؤلاء - وغيرهم - سبقوا الى الميدان مشكورين، وبقيت جوانب كثيرة تحتاج الى القاء الضوء عليها، ومنها هذا الجانب الذي عالجنه في هذا الكتاب، فمع أهميته بقي مجهولا لا يكاد يذكر إلا عرضا مع أهميته البالغة في حياة أمتنا وحياته، اذ كان بداية انقلاب خطير في تاريخ النهضة القومية وانتصارها الديني والفكري والسياسي ، وفي بروز شخصيته .

لقد كاد ابن باديس يدفع حياته الغالية ثمنا لإخلاصه وإتقانه لعمله ونصحه لأمته وشجاعته .

فنحن نلقي ضوءا على هذا الجانب من حياته ونقدمه تداركا على من سبقنا ولحاقا بقاقلتهم مع الاعتراف بفضلهم وشكرهم على عملهم، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

ثم لا يسعني - قبل ختام هذه الكلمة - إلا ان أنوه بما يبذله الأخ الكريم عبد الحميد عياط من مجهودات عظيمة مثمرة في سبيل بث الثقافة الاسلامية والوعي القومي في خدمة وطنه على أسس سليمة ، وتلك احدى المهام التي كتبها على نفسه عبد الحميد الأول ، وكانت الوسائل محدودة، والمال نـزرا، والامكانيات تكاد تكون، بدائية ، ومع ذلك فقد كان لعمله المتواضع مفعول ثورة كبرى قلبت الأوضاع . ولا شك ان "دار البعث" التي يشرف عليها عبد الحميد الثاني بحكمة وحنكة وحزم وقوة وسداد رأي وإخلاص كامل - ان شاء الله - لله وللوطن ستؤدي مهمتها على أكمل الوجوه ، ولا بد ان يظهر اثرها ولو بعد حين .

ومن فضل هذا الأخ انه طلب مني - منذ بضع سنوات - ان أقدم له ما اشاء لطبعه ونشره ثقة بأخيه وحسن ظن ، فوقع ذلك في نفسي ، ولكن الظروف

لم تساعدني ، غير ان كتابه الأخير الذى عين لي موضوع تاريخ ابن باديس وألح فيه على تناول حركته العلمية الاصلاحية ، مشاركة فى إحياء ذكره على أكمل الوجوه من تلاميذه وإخوانه ، دفعني الى العمل ، ورأيت المشاركة من أوكد الواجبات ، وسأقدم له ما أستطيع فى هذا الموضوع وفى غيره ان شاء الله مما كتبت وأنتجت من محاضرات وفتاوى ومقالات .

واني أسأل الله الكريم ، رب العرش العظيم ، ان يهدينا ، ويصلح بالناس ، ويسدد خطانا ، ويلزمنا كلمة التقوى ، ويجعلنا - فى عصرنا - أحق بها وأهلها انه سميع مجيب ، رحمان رحيم ، وصلى الله على محمد وعلى آله ، وصحبه ، والذين اتبعوا منهاجهم الى يوم الدين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

احمد حماني



القسم الأول

السنة والبدعة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين . ولا عدوان إلا على الظالمين .

كلمة السنة تطلق - لغة - عن الطريقة ، سنة كل أحد ما عهدت منه المحافظة عليه والإكثار منه كان ذلك في الامور الحميدة أو غيرها (1) . وقال الخطابي : (أصلها الطريقة المحمودة ، فإذا أطلقت انصرفت اليها ، وقد تستعمل في غيرها مقيدة) .

وقال بعضهم : (السنة هي الطريقة المعتادة سواء كانت حسنة أو سيئة) وبرهن على ذلك بما صح في الحديث الشريف من قوله صلى الله عليه وسلم : (من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقوله : (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع) الحديث رواه البخاري . ففى كل من الحديثين أطلقت على الحسن والسيء من طرائق السلوك .

وللسنة استعمال فى اصطلاح المحدثين وفى اصطلاح الفقهاء ، فهى عند المحدثين (أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها ، وفى اصطلاح الأصوليين ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير) (2) .

(1) الامدى - فى الاحكام - مبحث السنة .

(2) كتاب السنة للدكتور مصطفى السباعى ، ص 47 .

والأمثلة لا تحفى ، فمثال القول : (بنى الاسلام على خمس) ومثال الفعل ما نقل عنه من صفات الصلوات ، ومناسك الحج ، وآداب الصيام، ومثال التقرير ما وقع أمامه من فعل أصحابه ولم ينكر عليهم مثل ما وقع يوم قريظة عندما قال لهم : (لا يصلين العصر أحدكم إلا فى بنى قريظة) فان بعضهم فهم انه يريد من ذلك حثهم على السعي والتعجيل لا تاخير الصلاة عن وقتها، فلما حل وقتها صلوا مخالفين ظاهر الأمر ، وفهم بعضهم النهي عن إيقاع الصلاة قبل الوصول فأخروها حتى بلغوا قريظة بعد غروب الشمس فصلوها ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم كل فريق من الفريقين على ما أداه اليه اجتهاده فى فهم النص . ومثاله أيضا ان خالد بن الوليد أكل أمامه لحم الضب فلم ينكر عليه .

وتطلق فى اصطلاح الفقهاء - على ما ليس بواجب مما فعله صلى الله عليه وسلم وواظب عليه وتركه فى بعض الأحيان لغير عذر ، وهذا ما يأتى فى قولهم مثلا : (سنن الوضوء ، سنن الصلاة) فهى (ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة) (3) .

وتطلق السنة - فى اصطلاح الفقهاء - أيضا على ما يقابل البدعة ، ومن ذلك قولهم : (طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا) (4) والمراد بطلاق السنة ما جاء موافقا لما جاء فى السنة من طلاق المرأة فى طهر لم يمسه فيها طلقه واحدة من غير أن يتبعها بطلقة أخرى حتى تخرج من عدتها ، وبطلاق البدعة ما خالف شيئا من ذلك كأن يطلقها فى حيض ، أو طلقين فى كلمة أو ثلاثا الخ ...

فالمراد بالسنة - المقابلة للبدعة - ان يكون الفعل موافقا لما جاءت به الشريعة من فعل أو ترك أعم من ان يكون واجبا أو مندوبا أو مباحا ، فصاحب البدعة هو من خلاف ما جاء عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم أعم من ان يكون مأمورا به أو منهيًا عليه .

(3) السنة 48 .

(4) ارشاد الفحول للشوكانى مبحث السنة .

ومن اخترع شيئا من عنده ليعبد الله به فهو مبتدع ، ومن ترك شيئا مباحا يريد ان يتقرب بتركه الى الله فهو مبتدع، يبين ذلك ما صح من ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعوا واستقلوا ما يتعبدون به وأرادوا ان يجتهدوا فى العبادة فالتزم بعضهم ان يقوم الليل - تهجدا - ولا ينام ، والتزم آخر ان يصوم الدهر ولا يفطر ، وعزم ثالث ان لا يقرب امرأة ويختصي، وقال رابع انا لا اكل اللحم ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب وخطب فقال : (ما بال أقوام يقترحون أشياء ليست فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ، اما أنا فاني اقوم وأنام وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) رواه البخاري .

فمن الواجب ان يتهم المرء رايه ، ولو زين له وان يتبع نبيه فى كل ما جاء به لأنه أعرف منه بمصلحته .

بعثة الأنبياء

وانما وجب اتباع النبي فى كل ما جاء به لأنه هو الذى عينه ربنا لهدايتنا وعصمه ، فاتباعه خير ونجاة، والمخالفة عن امره شر وهلاك . فقد بعث الله النبيين الى خلقه هادين ومهتدين ، مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وانزل معهم الكتاب من عنده ، وجعل طاعته من طاعة رسوله ومعصيته من معصيته : « وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا » .

وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير خلقه - خاتم النبيين وإمام المرسلين ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلغ رسالته، وأدى أمانته ، وجاهد فى الله حق جهاده - وشهد الله له، وكفى به شهيدا - بالتبليغ والجهاد ، فقال تعالى : « الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » بعد ان قال من قبل : « يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا مما أوحى اليه لم يبلغه لما صحت الشهادة بأن الله قد أكمل دينه وأتم به علينا نعمته . فآية إكمال الدين التى نزلت قبل وفاة رسوله صلى الله عليه وسلم بنحو تسعين

يوما اعظم شهادة بالتبليغ شهد له بها مولاه الذي استشهد به فى حجة الوداع بقوله : أثناء خطبته (اللهم فاشهد) وقد أعلن الله رضاه عن رسوله وعن الذين جاهدوا معه فى قوله : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وأولئك لهم الغيرات وأولئك هم المفلحون » .

لهذا كان خير القرون ذلكم القرن ، وخير الناس - فداهم أبى وأمي - أولئك الناس الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . ولهذا كانت سنة خلفائه الراشدين - من بعده سنة لنا أوصى باتباعها والافتداء بها ، كما أوجب الله الاقتداء به فى قوله : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ » وقوله : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » وكان مما أتى به وجوب التزام سنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده فى قوله : - فى الحديث الصحيح - فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . . . » .

ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء ليبليغ ما أنزل اليه من ربه ، وقد آتاه الله القرآن ومثله معه ، فهو يبين لنا القرآن ، ويشرح الأحكام فيما يوحى اليه ، فمهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم العظمى هى بيان ما أنزل اليه من القرآن كما قال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » لأن القرآن الكريم فيه المجلل وفيه المبهم مما يحتاج الى بيان وتوضيح من صاحب الرسالة ولا يجوز ان يبقى دون بيان ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة .

فالله سبحانه أوجب الصلاة والزكاة بقوله تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » والصلاة المأمور بها فى الآية مجملة ، اذ الصلاة - فى لغة العرب - الدعاء فما هى الصلاة التى أمرنا بها فى هذه الآية وفى غيرها ؟ لقد بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يجب علينا منها فى اليوم والليلة وبين كيفيتها ، وعدد ركعاتها ، وأوقاتها وأقوالها ، وأفعالها ، والنوافل منها والسنن ، بين ذلك بأقواله وبأفعاله وقال : (صلُّوا كما رأيتموني أصلي) .

وما قيل فى الصلاة يقال مثله فى الزكاة فانها جاءت فى الآية مجملة فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نصابها ومقدارها ، وما تجب فيه من الأموال ومالا ، وهكذا الصيام ، وهكذا الحج الواجب بقوله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » بينه بقوله ، وبفعله - فى حجة الوداع - وقال (خذوا عني مناسككم) .

وكما بين الرسول عليه الصلاة والسلام ما انزل اليه فانه كان يشرع الأحكام بما يوحى اليه ، فكل ما جاء به وبلغه الى الثقلين فهو من عند الله ولا يجوز الشك فيه ولا التردد عنده . ومن فعل ذلك كان من الهالكين ، ففي الحديث عن أبي رافع انه صلى الله عليه وسلم قال : (لا الفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه) زاد في حديث المقداد ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله (5) .

ومما شرعه الله لتتعبده به ، ونتقرب اليه بفعله ذكره ، قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » . وقال : « واذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْلُودَاتٍ » . وقال في معرض المدح والوعيد بالمغفرة والاجر العظيم « وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ » .

وقال في أولي الأبواب انهم : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ » .

وأفضل أنواع ذكر الله ما ذكره به الأنبياء والمرسلون مما ورد في كتاب الله ، وما صحت روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء في الحديث : (أفضل ما قلته أنا والنبِيُّون من قبلي لا اله الا الله) والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مما يذكر الله به لأنها دعاء لله ان يرحم عبده ورسوله ويعلى درجته ، ولما جاء الأمر بها في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » لم يبادر الصحابة - وهم البلغاء الفصحاء لاختراع صلوات من عندهم وتأليف كلام من وضعهم ، لكنهم جاءوا اليه وقالوا : (يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟) فعلمهم الصلاة الإبراهيمية وهي مشهورة معلومة يصلى بها عليه المؤمنون فى تشهدهم فى الصلاة، ومما روى من صيغها (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) (6) . فأفضل صلاة على النبي ما علمه لأصحابه ، والقول بأن صلاة أخرى تفوقها - كصلاة

(5) الشفاء للقاضى عياض ، ج 2 ، ص 17 فى فصل مخالفة أمره بدعة .

(6) الشفاء : ج 2 ، ص 69 من فصل كيفية الصلاة عليه .

الفتاح المزعومة - بل تعدل ختمات من القرآن - انما هو وحي من الشيطان ونسبتها الى النبي وانه علمها لمنتحلها ليبلغها لاتباعه زور وبهتان ، ومن افطم ما يفتره إنسان ، لأنه اتهام للنبي بأنه كتم شيئا من الرسالة وذلك أجهل الجهل .

اتباع السنة حتم :

لا يتحقق إيمان المسلم حتى يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويدعن اليه ، ويرضى به ، وقد زعم قوم من أهل الكتاب انهم : « **ابناء الله وَأَجْبَاؤُهُ** » ولم يتبعوا رسول الله مع ما جاءهم من الأمر فى كتبهم فقال فيهم : « **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** » . ورد بعض المناقطين ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم « **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِئُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَبُسِلِمَا** » ورد حكم الرسول علامة الارتياح كما يبين قوله تعالى : « **وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ، أَفَبِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتنا وقدوتنا فى كل تصرفاتنا ، فما فعله فعلناه وما تركه ونهى عنه تركناه ، قال تعالى : « **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ** » وقال : « **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ** » .

فاتباع السنة فلاح ونجاح ، ومخالفتها ضلال وهلاك ، قال الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سننا الأخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر فى رأي من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاء الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) (7) .

(7) الشفاء : ج 2 ، ص 13 .

وقد يكون الفعل في ذاته مشروعاً مرغوباً فيه إذا جاء على وجهه اعتبر من أجل الطاعات وأعظم القربات كالصلاة والتهجد والصوم ، ولكنه إذا لم يفعل على مقتضى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم : في وقته أو في كيفيته أو في الغلو في العبادة به ، كان بدعة ، لأنه خالف سنته فانقلب إلى معصية ، وعدوان ، يفضب الله ولا يرضيه ويستوجب عقابه لا ثوابه .

قال تعالى : « فليخذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ، إذ مخالفة الرسول شقاق له ومحاداة ، والله يقال : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » .

وروى القاضي أبو بكر بن العربي في الأحكام أن سفيان بن عيينة قال : (سمعت ملك بن أنس وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله من أين أحرم ؟ قال : من ذى الحليفة ، من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى أريد أن أحرم من المسجد ، فقال : لا تفعل فاني أخشى عليك الفتنة ، قال : وأي فتنة في هذا ؟ وإنما هي أميال أزيدها ، قال : وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انى سمعت الله يقول : « فليخذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » ، (8) .

ولعن ابن مسعود رضي الله عنه : (الواشمات والمستوشمات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فجاءته امرأة فقالت . . . بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدته) ، قال تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا » والحديث في مسلم .

ورأى عبد الرحمن بن يزيد محرماً عليه ثيابه فيها ، فقال ائتنى بآية فقرأ عليه الآية السابقة .

(8) أحكام القرآن عند تفسير هذه الآية .

وكان طاووس يصلي ركعتين بعد العصر فقال له ابن عباس - أي نهاء عن فعلها - فقال طاووس إنما نهى عنهما أن تتخذا سنة ، فقال ابن عباس قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة بعد العصر فلا أدري أتعذب عليهما أم تؤجر لأن الله تعالى قال : « وما كان لمؤمنٍ ولا مُؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولهُ أمراً أن تكونَ لَهُمُ الخِيرةُ من أَمْرِهِم » (9) .

(9) أصول الفقه للخضري ، ص 239 بتصرف قليل .

البدعة والتقليظ فيها

كل ما خرج عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية أو الفعلية أو الإقرارية ، وخالف طريقته وهديه وما جاء به من الدين فهو بدعة لأنه جاء على غير مثال مما شرعه الله ورسوله للخلق .

والبدعة - لغة - مأخوذة من مادة (بدع) - الاختراع على غير مثال سابق ومنه قوله تعالى : « **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** » أى مخترعهما على غير مثال سابق ، وقوله : « **قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ** » ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله الى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل ، ويقال ابتدع فلان بدعة يعنى اخترع طريقة لم يسبقه اليها سابق ، ومن هذا المعنى سميت البدعة بدعة فاستخرجها للسلوك عليها هو الابتداع وهيئتها هى البدعة ، وقد يسمى العمل المعمول على ذلك الوجه بدعة ، فمن هذا سمي العمل الذى لا دليل عليه فى الشرع بدعة (*) .

وقد رد الشارح البدعة وحذر منها وحكم عليها بانها فى النار ، ففى الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال : (من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد) أى مردود على صاحبه ، وفى صحيح البخارى انه صلى الله عليه وسلم حدث ان الله لعن من أحدث حدثا فى المدينة أو آوى محدثا ، ولا يختص لعن المحدث بمن كان فى المدينة ، وانما ذكرت للتقليظ .

وفى حديث العرباض بن سارية بعد ان حث على التزام سنته وسنة الخلفاء المهديين من بعده حذر من البدعة وحكم عليها بالنار فقال : (فعليكم بسنتى

(*) راجع الاعتصام للشاطبى .

وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور
فان كل بدعة ضلالة) زاد في حديث جابر : (وكل ضلالة في النار) .

وفد عرف العلماء البدعة بانها : (طريقة في الدين مخترعة تضاهي
الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه) .

فالصحابة الذين اجتمعوا - وهم خيار الخيار - رأوا أنفسهم مقصرين في
العبادة فأرادوا ان يقترحوا الاجتهاد في التهجد وفي الصيام وفي ترك اللذات
والشهوات المباحة تقربا الى الله وما كتب الله ذلك عليهم ، نهاهم الله ورسوله
عن الإقدام عليها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : (فمن رغب
عن سنتي فليس مني) ، وهذا وعيد شديد لا أعظم منه ، ان يتبرأ منه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وقد سماه الله في كتابه اعتداء اذ أنزل فيه قوله
تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَعْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتُوا أَنْ
اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » .

وانما سماه اعتداء لأن التشريع لا يكون الا من الله أو من رسول الله
بأمره واذنه، وهو اذا وقع من غيرهما من نوع الشرك كما تدل عليه الآيات
كقوله تعالى : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا ،
قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ » وقوله : « أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ
الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ » وقوله في أهل الكتاب : « اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ » روى الترمذي وغيره من حديث عدي بن حاتم رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اما انهم لم يكونوا يعبدونهم
ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلووه وإذا حرّموا عليهم شيئا حرّموه » (1)
قال أبو بكر بن العربي : (فيه دليل على ان التحريم والتحليل لله وحده
وهذا مثل قوله : « وَلَا يُعْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » بل يجعلون التحريم
لغيره) اهـ .

فالمبتدع كل من اخترع ما يتقرب به الى الله بفعل أو بترك ، كأن يترك
تناول ما أحل الله له تناولاً من غير عذر شرعي ، كما تقدم فيمن أراد ان يترك

(1) الاحكام لابن بكر بن العربي ، الطبعة الاخيرة - دار المعارف ، بيروت ،
ص 927 .

أكل اللحم تقربا - فى زعمه - الى الله أو يترك مقاربة النساء ، والاختصاص ، وهذا مثل ما وقع لقوم عيسى عليه السلام فيما ابتدعوا من رهبانية لم تكتب عليهم أرادوا بها ابتغاء وجه الله وخالفوا سنته فى الخلق والعمران، فلم ينفعهم اختراعهم ، وقال الله فيهم : « وَجَعَلْنَا فى قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » ، قَالَ أمرهم الى الفسق وذلك عكس ما أرادوه من الترهيب ، وهو مشاهد واقع .

قال أبو اسحاق الشاطبى «تارك المطلوبات الشرعية ندبا أو وجوبا على ضربين احدهما ان يتركها لغير التدين ، إما كسلا أو تضييعا أو ما أشبه ذلك ، فهذا الضرب راجع الى المخالفة للأمة فان كان فى واجب فمعصية ، وان كان فى ندب فليس بمعصية اذا كان الترك جزئيا ، فان كان كليا فمعصية (2) » .

والثانى ان يتركها تدينا، فهذا الضرب من قبيل البدع حيث تدين بضد ما شرع الله . . . » ثم قال : (. . . فقلوه فى الحد - أى حد البدعة - طريقة مخترعة تضاهي الشرعية يشمل البدعة التركية كما يشمل غيرها) ثم قال : (ان المبتدع معاند للشرع مشاق له ، لان الشارع قد عين لمطالب العباد طرقا خاصة وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وأخبر ان الخير فيها ، وان الشر فى تعديها الى غير ذلك لأن الله يعلم ونحن لا نعلم ، وانما ارسل الرسول رحمة للعالمين) اهـ .

فالمبتدع راد لهذا كله، فانه يزعم ان ثم طرقا آخر ليس ما حصره الشارع بمنحصور ولا ما عينه بمتعين كأن الشارع يعلم ونحن أيضا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع انه علم ما لم يعلمه الشارع ، وهذا ان كان مقصودا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع ، وان كان غير مقصود فهو فى ضلال مبين(3) .

وعن ابن الماجشون - من اصحاب مالك - قال : سمعت مالكا يقول : (من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم ان محمدا خان الرسالة، لأن الله

(2) الاعتصام ، ج 1 ، ص 25 .

(3) الاعتصام ، ج 1 ، ص 29 .

يقول « اليوم اكملت لكم دينكم » فما لم يكن يومئذ ديننا فلا يكون اليوم ديننا (4) .

ثم قال الشاطبي : (ان المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع . . . وصير نفسه نظيرا ومضاهيا حيث شرع مع الشارع وفتح للخلاف بابا ، وانه متبع لهواه ، والله يقول : « **وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ** » فجعل الأمر محصورا بين أمرين : اتباع الذكر واتباع الهوى ، وقال : « **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ** » تأملوا هذه الآية فهي صريحة في ان من لم يتبع هدى الله في هوى نفسه فلا أحد أضل منه ، وهذا شأن المبتدع فانه اتبع هواه بغير هدى من الله ، وهدى الله هو القرآن (5) .

وعن ابن مسعود في قوله تعالى : « **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** » (تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة) (6) .

بغض السلف للبدعة وأهلها

ما زالت البدعة ممقوتة مبغوضة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذر منها وجعلها في النار ، وأول من أبغضها من بعده صحابته ، ثم الذين اتبعوهم باحسان من عهدهم الى الآن .

ففي الصحيح ان حذيفة رضي الله عنه قال : (يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر ؟ قال : نعم قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي) ، وعن أبي هريرة - رواه ابن وضاح - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونكم ببديع من الحديث لم تسمعه انتم ولا آبائكم فأياكم وإياهم ، لا يفتنونكم) وروى أيضا عن عائشة : (من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الاسلام) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : (اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) وعنه انه قال : (عليكم بالعلم قبل ان يقبض . . . وستجدون أقواما يزعمون انهم يدعون الى كتاب الله . وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبتدع والتنطع

(4) الاعتصام ، ج 1 ، ص 28 .

(5) راجع الاعتصام ص 30 وما بعدها .

(6) الاعتصام ، ص 35 .

والتمعق، وعليكم بالعتيق . . . لا تبتدعوا ولا تنطعوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون ، القصد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (7) .

ومن أقوال مالك بن انس رضى الله عنه : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) وانما صلح أولها بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله ، وكان كثيرا ما ينشد :

وخير أمور الناس ما كان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع وعن الحسن بن أبي الحسن : لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك ، وعن أبى قلابة - وهو من الفقهاء ذوى الألباب - (لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فاني لا آمن ان يغمسوكم فى ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون) .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : (الا واني لست بمبتدع ولكني متبع) .

المتصوفة والبدعة

من أهل التصوف علماء عرفوا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتزموا الحق واستقاموا على الطريقة كما أمر الله فى قوله : « فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمِن تَابٍ مَّعَكَ وَلَا تُطْغَوْا » وأي طغيان أعظم من الخروج عن سنة رسول الله (ص) . هؤلاء العلماء القرآنيون المقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم مقتوا البدعة وأهلها وحذروا منها ومنهم .

قال أبو القاسم القشيري - وهو عمود نحلته - : (انهم انما اختصروا باسم التصوف لانهم انفراد به عن أهل البدع (8) . وقال الفضيل بن عياض وهو من أجل عبادهم) .

(من جلس مع صاحب البدعة لم يغط الحكمة) ، وقال أبو بكر بن سعدان من أصحاب الجنيد : (الاعتصام بالله هو الامتناع من الغفلة والمعاصي والبدع والضلالات) (9) .

(7) انظر الاعتصام صفحة : 54 - 55 وما قبلهما وما بعدهما من الجزء الاول .

(8) الاعتصام : ص 63 .

(9) الاعتصام : ص 67 .

وقال الجنيد - وهو إمامهم الاعظم - (مذهبنا مقيد بالكتاب والسنة ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الامر، لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة) (10) .

وسئل أبو علي الروزباري عن يسمع الملاهي ويقول : هي لي حلال لأنني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الأحوال فقال : نعم ، ولكن الى سقر ! (11)

وقد نقل أبو اسحاق الشاطبي كثيرا من أقوالهم ثم قال : (كلامهم في هذا الباب يطول، وقد نقلنا من جملة ممن اشتهر منهم ما ينيف عن أربعين شيخا جميعهم يشير أو يصرح بان الابتداء ضلال، والسلوك عليه تيه، واستعماله رمي في عماية ، وانه مناف لطلب النجاة، وصاحبه غير محفوظ، وموكل الى نفسه، ومطرود عن نيل الحكمة ، وان الصوفية الذين نسبت اليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آدابها بعد الناس عن البدع وأهلها) (12) .

هل في البدع مستحسن ومستهجن ؟

كذلك قال بعضهم ، ونسب الى عز الدين بن عبد السلام وانه قسم البدع الى مستحسنة وغير مستحسنة، وجعلها مما تعترية الأحكام الخمسة: الوجوب ، والندب ، والحرام ، والكراهة ، والإباحة ، وضرب مثلا لما هو واجب منها بجمع المصحف وكتابته، وبالعلوم الحادثة لخدمة الشريعة ، ولكن ظاهر الحديث - بل صريح نصه - ينفي هذا التقسيم لأنه عليه الصلاة والسلام يقول : (كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار) فليس في البدع مستحسن لا يقبحه الشرع ، بل كل بدعة فهي مقبوحة .

واما جمع المصحف والعلوم الشرعية والمساعدة على خدمة الشريعة فلا يصدق عليها تعريف البدعة .

(10) الاعتصام : ص 69 .

(11) الاعتصام : ص 70 .

(12) الاعتصام : ص 71 .

بل يصدق على جمع المصحف وكتابته انه سنة أوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالتزامها وحث عليها فى قوله صلى الله عليه وسلم : (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) وجمع المصحف مما اجمع عليه الخلفاء الأربعة؛ شرع فيه أبو بكر وعمر وأكملته عثمان ، وصرح على انه لو لم يفعل قبله لفعله ، فتسميته بدعة - اذا صحت - تسمية مجازية ، كذلك جمع عمر الناس فى صلاة التراويح على قارىء واحد سماه بدعة مجازا ، والا فهى سنة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبفعله وتركها النبىء (ص) شفقة على أمته ان تفرض عليهم فلما أمن الفرض أمر بها عمر، وكذلك وضع علم النحو ، فقد كان بأمر من علي بن أبى طالب لأبى الأسود الدؤلى كما هو مذكور فى تاريخ النحو، ومثل النحو غيره من علوم العربية ، وكذلك علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه ، كل هذه لا يصدق عليها انها بدع .

فان البدعة (عبارة عن طريقة فى الدين مخترعة تضاهي الشرعية بقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه) (13) .

فالبدعة خاصتها انها خارجة عما رسمه الشارع ، وبهذه الخاصة ينفصل عنها كل ما يظهر لبادى الرأي انه مخترع مما هو متعلق بالدين ، فعلم النحو والصرف واللغة ، وأصول الفقه ، وأصول الدين وكل العلوم الخادمة للشرعية ان لم توجد فى الزمان الأول ، فان أصولها موجودة ، فبالنحو يتوصل للنطق الصحيح بألفاظ القرآن ، وبعلم اللسان يهتدى الى الصواب فى الكتاب والسنة، وبأصول الفقه يمكن استقرار كليات الأدلة لتكون نصب عين المجتهد والطالب .

وتصنيفها على الوجه الذى صنفت عليه مخترع حقا ، ولكن فى الحديث ما يدل على جواز الإقدام عليه وحتى لو سلم انه لا دليل عليه بالخصوص ، فالمصلحة المرسلة تقتضيه والشرع - بجملة يدل على اعتباره - فليس ببدعة البتة .

برهان ذلك اننا لو اعتبرنا ذلك بدعة للزم ان يكون جمع المصحف وكتابته قبيحا ، وهو باطل بإجماع ، فليس إذاً ببدعة ، فلا بد له من دليل شرعي ،

(13) الاعتصام : ص 19 .

وليس له دليل شرعي الا المصلحة وهو ماخوذ من جملة الشريعة ، واذا ثبت جزئي في المصلحة المرسله ثبت مطلق المصلحة واستدل بها ، لهذا لا ينبغي ان يسمى وضع كل علم متصل بالشريعة بدعة ، فلا النحو ببدعة، ولا اصول الفقه ، ولا اصول الكلام . ولا غير ذلك .

قال الشاطبي في هذا المبحث النفيس : (من سماه بدعة فإما على المجاز كما سمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيام الناس في ليالي رمضان بدعة ، وإما جهلا بمواقع السنة والبدعة فلا يكون قول من قال ذلك معتدا به ولا معتمدا عليه) .

واما المضاهاة للشرعية الواردة في تعريف البدعة فان المراد ان المبتدع يشابه ببدعته الأعمال الشرعية ، والحقيقة انها ليست كذلك، كمن نذر الصيام قائما ، ومن نذر الانقطاع للعبادة ، ومن نذر الاقتصار في الأكل على صنف ، وكمن التزم كيفية خاصة معينة كالذكر بهيئة اجتماع على صوت واحد ، وكالتزام عبادات معينة في أوقات معينة ليس لها أصل في الشريعة كصوم نصف شعبان وقيام ليلته ، فالمبتدع يضاهي بها السنة ليلبس بها على الغير) لذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بأمر تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير (14) .

وقد يكون باعث المبتدع على ابتداعه ان يبعث في النفوس النشاط ، فقد تمل النفوس وتسأم العبادات الرتيبة ، فاذا جدد لها أمر لا تعهده حصل لها نشاط آخر لا يكون لها مع البقاء مع الأمر الأول كما قيل : (لكل جديد لذة) . قال الشاطبي : (وقد تبين بهذا القيد - يعني قيد المضاهاة للشرعية ، ان البدع لا تدخل في العادات ، فكل ما اخترع من الطرق في الدين مما يضاهي المشروع - ولم يقصد به التعبد - فقد خرج عن هذه التسمية كالمغارم الملزمة على الأموال وغيرها على نسبة مخصوصة ، وقدر مخصوص مما يشبه فرض الزكوات ، ولم يكن اليها ضرورة ، وكذلك اتخاذ المناخل ، وغسل اليدين بالاشنان وما اشبه ذلك من الأمور التي لم تكن من قبل فانها لا تسمى بدعة) .

(14) الاعتصام : ص 21 ، ج 1 وما بعدها .

ومما تقدم يتبين ان البدعة واحدة قبيحة كلها ، ضلالة كلها ، فى النار
هى وصاحبها ، وليس فيها مستحسن بل كل ابتداع مستهجن ، وما يتوهم
انه بدعة كجمع المصحف وكتابه وكالعلوم التى تخدم الشريعة ليس ببدعة
أصلا بل قامت على شرعيتها أدلة الشريعة ، واما الأمور العادية فأصلها الإباحة
وهى خاضعة للضرورة ، والمصلحة ، مجارية لها . والله اعلم .



التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر من نصر السنة وقمع البدعة

أوجب الله على الأمة الاسلامية التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر لحراسة مجتمعهم عن الآفات الطارئة ودوام سلامتهم في دينهم وأخلاقهم واستقامتهم في تصرفاتهم ، وقد شرع ذلك ووجب بمثل قوله تعالى : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، وقوله : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » ومدح في كتابه المتأمرين بالمعروف المتناهيين عن المنكر في قوله تعالى : « مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

وقد جاء التحذير والوعيد بالعقاب الشديد لمن أخلوا بهذا الواجب ، وتركوا التآمر بالمعروف أو انهمكوا في فعل المنكر أو سكتوا عنه ، قال تعالى : « لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ فَعْلَوِهِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » . وانما قص الله علينا ذلك من شأنهم لنعبر بهم ونحذر أن يقع

لنا مثل ما وقع لهم من عصيان الله ، أو من العدوان أو من السكوت عن المنكرات . وقد جاء التحذير الخاص بنا الموحى به الى نبينا فبلغه اليينا فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم) .

وهذه الوظيفة الجليلة - في مجتمع المسلمين - خير ضمان لاستقامتهم ودوام حراسة يقظة لأخلاقهم ، من ان يتطرق اليها الخلل والفساد ، ويقوم بها جميع المسلمين كل بما يستطيع في محيطه وحسب علمه ومعرفته ، ثم يختص بها طائفة منهم استعدت لذلك ، وتسلمت بالعلم والمعرفة ، وبالشجاعة والإخلاص ، وهم العلماء الذين ورثوا النبوة في القيام بالدعوة ، ورفع الله درجاتهم ، وجعلهم في هذه الأمة كأنبيا بني إسرائيل .

ومنذ عصر الصحابة رضوان الله عنهم كان هؤلاء العلماء يؤدون واجبهم كل بما استطاع ، فانه لما بدأ قرن الشيطان ، وظهرت البدع واقبلت الفتن سجلوا مواقف خالدة، فبادروا بالإنكار وأدوا مهمتهم ، ولاشك ان من أشد أنواع المنكر ظهور البدع ، لان البدعة تهدد الشريعة نفسها بتشريعات جديدة في المسلمين يحدثها المبتدعون . وكان من أول ما ظهر من البدع القول بالقدر وهو أصل الاعتزال ، وبلغت فتنة المعتزلة أوجها حينما اجبروا المسلمين على القول بخلق القرآن ، وكذلك كان من البدع تأويل آيات القرآن على غير وجهها ورفع السلاح على أهل القبلة ، وشق الطاعة، وتفريق الجماعة ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق .

الصراع المستمر :

ان الصراع بين السنة والبدعة لقائم مستمر منذ القديم ، وعلى مدى الأجيال والقرون ، لأنه - في الحقيقة - صراع بين الشريعة وقيامها ، ودوامها واستمرارها نقية كما جاء بها صاحبها ، وبين محاولة هدمها وتحريفها ، ومحق دولتها وأهلها .

فعلها في افتراق الكلمة :

فالعلماء لم يسبكتوا عنها ، بل كانوا منذ عهد الصحابة ، وعلى طول الزمن وحتى الآن يعلنون إنكارها والحرب عليها وعلى أهلها ، لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في لعن من أحدث حدثا في المدينة أو أوى محدثا ، ولا مفهوم لتقيده بالمدينة وإنما جاء للتغليظ . وإنما لعن صاحب البدعة لأن عمله من أكبر الدواعي لفتنة المسلمين وانحرافهم عن الطريق السوي والمحجة البيضاء وافتراق كلمتهم ، ومن هذا حذرهم كتاب الله وسنة رسول الله .

قال الله سبحانه : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقال : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ » وقال : « وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . قال قتادة - من أهل التفسير - (يعني أهل البدع) ومثله عن ابن عباس رضي الله عنهما .

وخطب عثمان رضي الله عنه ، وهو ولي الأمر وأمير المؤمنين ، وقد أمروا بالسمع والطاعة ولو تأمر عليهم عبد حبشي ، فشاغب عليه مشاغبون وقطعوا كلامه وتراموا بالبطحاء فارتفع صوت من بعض حجر أمهات المؤمنين تقول : (ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه وتحزب) وتلت الآية : « إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا » الآية . والمتكلمة هي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية - أم سلمة - رضي الله عنها : وكانت من أعلم علماء الصحابة رضوان الله عنهم (1) .

ومنعا لوقوع الخلاف والفتنة بين المسلمين - لما يترتب على ذلك من الفشل وذهاب القوة والدولة - أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بالسمع والطاعة لأمرائهم كما جاء في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنهم ، وحذرهم من الخلاف والفتنة فقال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة لولاة الأمر وإن كان عبدا حبشيا ، فانه من يعيش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي » الحديث .

(1) انظر تفسير هذه الآية في المنار والاعتصام .

وفى الموطن ان قوما ياتون الحوض - يوم القيامة - بعلامة المؤمنين التى يختص بها أهل هذه الأمة بسبب وضوئهم للصلوات فيراهم النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوهم للورود ، ولكنهم يذادون عنه كما يذاد البعير الضال ، فيناديهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : « ألا هلُم ، ألا هلُم ، ألا هلُم » . فيقال : « انهم قد بدلوا بعدك ، فأقول فسحقا ، فسحقا ، فسحقا » انه حمله جماعة من العلماء على أنهم أهل البدع . وهذا معنى براءته منهم وتنكره لهم . لأجل هذا الحديث وأمثاله عدت العلماء كل الفرق التى خالفت السنة وخرجت عنها - قولا ، أو فعلا ، أو اعتقادا وسلوكا - من الفرق المبتدعة . ومقتوا البدعة فيهم ، ونصحوهم ، وحاولوهم ان يفيثوا الى المنهاج السوي كتاب الله وسنة رسوله .

ثم ان هذه الفرق انقسمت على نفسها :

فمنهم مقتصد حاول أن يدرك الحق ويهتدي اليه ، ومنهم ظالم لنفسه بالغلو والعناد مما أدى ببعض هؤلاء الغالية الى الخروج عن الاسلام بأقوال رهيبة واعتقادات زائفة ناهيك من يزعم ان للقرآن ظاهرا وباطنا ، الظاهر جاء ليعلمه الناس والباطن انما يعلمه الائمة المعصومون ، ومنهم من بلغ به الكفر الى الزعم بان جبريل أخطأ فى تبليغ الرسالة فنزل بالقرآن على محمد وقد أمر - قى زعمهم - ان ينزل به على علي ، فهؤلاء ليسوا بمسلمين . ومن أشنع اقوال الغلاة وكيدهم لإبطال الشريعة الإسلامية ، وتحطيم دولة المسلمين تهجمهم على الصحابة وحتى الكبار منهم رضوان الله عنهم أجمعين وشتمهم ، ورميهم بالكذب ، ونزع صفة العدالة عنهم والأمانة ، وإقدامهم على سفك الدماء واستباحة الأعراض والأموال بغير حق . وتبرير ذلك وتحبيذه شبيه بفعل فاعله ، فما اغنى العاقل عنه .

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمتة ستفترق على بضع وسبعين فرقة لا تنجو منهن سوى فرقة واحدة هى التى تمسكت بسنته ولزمت جماعة المسلمين . وقد افترت أمتة بالفعل كما أخبر . وربما ادعت كل فرقة انها وحدها الفرقة الناجية المستثناة فى الحديث ، فلا يلتبس الأمر على أحد لأن الميزان الذى تعرف به هذه الفرقة وتمتاز به عن غيرها - موجود فى القرآن

وفى حديث حبيب الرحمن ، قالله سبحانه يقول : « **فإن تنازعتم فى شىء** **فرُدُّوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ واحسنُ** **تأويلاً** » . والحديث يرشد الى التمسك بالسنة عند الاختلاف . وبها النجاة .
فمن زعم ان للقرآن ظاهراً يعلمه الناس لأنه بلغ إليهم ، وباطناً قد اختص به الائمة أو غيرهم كائننا من كان فقد ابتدع وافترى ، ونسب الكتمان لصاحب الشريعة .

ومن أشنع البدع التى سببت افتراق المسلمين ، وأحدثت فيهم الفتنة مزاعم القدريّة وهم أصل الاعتزال، ولما سمع بمقالهم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنكر عليهم أشد الإنكار ، وتبرأ منهم وحدث عن أبيه عمر بن الخطاب بحديث جبريل ، فى الاسلام والإيمان والإحسان ، وفى خصال الإيمان جاء قول نبينا (ص) يخاطب جبريل : (وتؤمن بالقدر خيره وشره) وقد صدقه جبريل فيما قال . فمن قال بالقدر - كقول المعتزلة فهو مبتدع ، ومن قال بعلم الباطن كالباطنية والرافضة فهو مبتدع ومن أغرق فى شتم الصحابة وأذايتهم ، ورميهم بالبهتان المفترى فهو مبتدع ، كيف وقد رضي الله عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضوان الله عنهم ولم نعلم أنه سخط عليهم بعد الرضى ، ومدحهم وأعلن أنهم المفلحون والصادقون قال تعالى : **« لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأولئكَ هُمُ الْمفلحُونَ »** وفى آية الحشر شهد للمهاجرين بالصدق وللأنصار بالفلاح ، ولم نعلم أنه ذمهم بعد هذه الآيات ، بل مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فلا يفتاظ منهم ولا يبغضهم ولا يقع فى اعراضهم الا من سفه نفسه أو سكن النفاق قلبه ، قال تعالى : **« محمدٌ رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفارِ رحمةٌ بينهم »** . ثم قال : **« ليغيظَ بهم الكفارَ »** ، ولهذا قال مالك فيمن اعتناظ منهم (ليس له فى فىء المسلمين نصيب) لأن الله ذكر اهل الفىء وهم المهاجرون والصادقون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، والأنصار المفلحون وهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم الذين جاءوا من بعدهم - الى يوم القيامة - وهؤلاء يقولون : **« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم »** هؤلاء هم اهل الفىء ، ولا حق لغيرهم ، ونحن - والحمد

لله - من الذين جاءوا من بعدهم. ثم ان هؤلاء الأصحاب هم الذين حملوا إلينا الرسالة فبلغوا إلينا القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا عليها أمناء عدولا ، وهم كالنجوم يهتدى بهم فى ظلمات البر والبحر ، والقدر فيهم وشنهم لا يقع فيه الا ملحد يضر الشر للاسلام والمسلمين ، أو جاهل أحق لا يدري ما يصنع ، أو غبي أعماه الحقد الدفين ، ولا يعلم ما يقول ، ولا يقدر نتائج ما يعتقد ، وبه يتفوه ، فالرافضة وهم المتجرئون على الصحابة انما تأسست فرقتهم وشاعت نحلتهن بقصد هدم دولة العرب ، ومحو ديانة الاسلام ، وقد حقق هذا الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه الجليل (الدولة الفاطمية) وبرهن عليه بوثائق تاريخية ، وبأعمال أتوا من سفك الدماء فى الحرم والعبث بالحجر الأسود كما فعله القرامطة .

ان الاسلام مبني على القرآن والسنة، وعن هؤلاء الأصحاب رويناهما واخذناهما ، وماذا يبقى لنا لو صدقنا الذين طعنوا فى أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي، والحسن، والحسين ، وسعد ، وطلحة . والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعائشة الصديقة بنت الصديق ، وابن عباس، ومعاوية ، وعمرو ابن العاص ، وعبد الله بن عمرو ، وأبي هريرة ، وأبي موسى الاشعري وغيرهم كثير ممن ادركتهم الفتنة فاجتهدوا، سواء أخطأوا أو أصابوا ، وما أحد من هؤلاء الذين ذكرتهم الا وفى المبتدعة من يقدر فيه ولا يرضى عنه ، والمكثرون من الحديث كأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعائشة ، وأبي سعيد، وجابر بن عبد الله، لم يسلم واحد منهم من قالة السوء، تعلنها فيه الغالية من الفرق الضالة ، حاشا المعتدلين .

فماذا يبقى لنا من حديث رسول الله إن اتهمنا هؤلاء وأولئك ورددنا حديثهم ؟ لا شك ان الجراءة عليهم أو على أحدهم تؤدي الى التهمة وتذهب الثقة وتعرض بنيان الدين الى الانهيار ، وذلك ما يسره ويصر عليه كل فاجر كفار .

والفرقة الناجية - حقا - تعلن رضاها عن جميعهم ، وترضى عنهم ، وتتأول ما شجر بينهم، وتسأل لهم الرحمة والمغفرة من الله ، وذلك ما وعد الله به المتقين من عباده فى قوله « : ونزَعْنَا ما فى صدورهم من غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وما هم منها بِمُخْرِجِينَ » . فالقرآن الكريم أرشدنا ،

ونحن واقفون على ما أوقفنا عليه ، وهو الذى يقول : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهرون بإنكار البدعة اذا ذر قرنهما ، كما رأينا ابن عمر رضي الله عنه لما بلغه قول القدرية ، ومثله علي بن أبي طالب الذى نكل بالمنحرفين الغلاة وتبرأ منهم ، وكذلك غيرهما من الصحابة ، الأمناء الذين رووا لنا ما سمعوه من صاحب الشريعة بكل صدق وأمانة ، فمن سعادة المرء أنه اذا علم من نفسه شيئا مما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر بالتوبة والإنابة والإقلاع - فورا - عنه ، وقد غادر الزبير - رضي الله عنه - ميدان المعركة فورا لما ذكره علي فتذكر ، ومن شقاء المرء ان يبادر الى إنكار الحديث واتهام الصحابي في روايته ! وما قوله لو صح الحديث وكان الرسول قد نطق به حقا ؟

التابعون لأهل القرن الأول واتباعهم وقفوا من البدعة وأهلها موقف الأصحاب لا تأخذهم في الله لومة لائم ، كانوا يؤدون وظيفة الأمر بالعروف والنهي عن المنكر بكل إخلاص وأمانة وشجاعة ، ينصحون لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، ويقبلون كل إذابة تلحقهم في أبدانهم وأموالهم وأعراضهم ولا يخونون الله ورسوله . فابو حنيفة النعمان أبى ان يتولى القضاء للظالمين فسجن وامتنح وصبر وثبت .

والإمام مالك اتهم الرأي ، واعلن انه لا يوخذ قول أحد بالتسليم الا قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (كلکم راد ومردود علیه إلا صاحب هذا القبر) ، وكان يجهر بالحق ، دخل على الخليفة العظيم هرون الرشيد فوجده يلعب وزيره أو أحد عظماء دولته الشطرنج - أو لعبة أخرى - فقال له أحق هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال الخليفة (لا) فقال الإمام (فماذا بعد الحق إلا الضلال) فأقلع الخليفة عن اللعبة وأقسم الا يعود . ولما رأى من عبد الرحمن بن مهدي ما ظنه بدعة - ولم يزد على ان جعل رداءه مطويا في مسجد رسول الله (ص) بينه وبين القبلة وهو في صف الصلاة - فأمر به مالك الى السجن لأنه ظنه صاحب بدعة . وهكذا غير المنكر بيده . وافتنى بأن يمين المكره لا تلزم ، وروى في ذلك حديثا وذلك هو المعروف من قواعد الشريعة والمفهوم من قوله تعالى : « مَنْ كَفَرَ بِاللّٰهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ - إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » .

الآية . فلم تعجب فتواه أمير المدينة لأنه كان يكره الناس عند البيعة ان يحلفوا أيماناً مغلفة بالوفاء ، فيها الطلاق والعناق ، وانما يكون الانتخاب (وهو مقتضى البيعة) بالرضى لا بالإكراه ، وسأله ان يرجع عن فتواه ، ويتنكر لما رواه ، فابى الإمام ان يرجع عن فتواه وان يتنكر لما روى ، أبى ان يخون الأمانة ، فان المفتى مبلغ عن صاحب الشريعة ، وتعرض للضرب ، حتى انخلعت يده وثبت وصير محتسباً .

وكذلك وقع للإمام الشافعي ، حمل معتقلاً من بلد بعيد الى بغداد . ثم دفع الله عند الشر ونجاه ، وقد مات بعض أصحابه من بعده فى فتنة القول بخلق القرآن . وجاء دور الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وقد اشتد ساعد القدرة وتمكنوا من الدولة والوزارة ، وأقنعوا الخليفة المأمون بمذهبهم الباطل فوضع ثقله كله فى كفة ميزانهم الخاسر ، وجعل هو ووزيره الفاجر أحمد ابن أبي داود وعصائبه يجبرون العلماء على القول بخلق القرآن ، ونفى الصفات ، وذلك ما لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من الخلفاء فى مدة تزيد على قرنين من الزمن .

ولكن العلماء الربانيين - وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل - وقفوا كالشجى فى حلاقيمهم ، وقالوا لبدعتهم جهراً (لا) هذه بدعة كريهة ، ونحلة فاسدة ، وقول باطل ، وأنتم المبطلون .

وتعرضوا للأذى الشديد ، فمنهم البر الشهيد ، ومنهم من تحمل الضرب والعذاب ، والهوان نصيبه من الجلادين والاعوان حتى جاء الفرج بعد حين ، فى خلافة المتوكل بعد عهد المأمون والمعتمد والواثق ، وبعد بضعة عشر عاماً من الظلم والعذاب رفع المتوكل العذاب والمعنة على العلماء فانفرجت الأزمة واستحق الثناء بالجميل .

فالإمام أحمد - رحمه الله - من الأبطال الذين وقفوا فى وجه البدعة وصمدوا فى الميدان صمود الرجال .

ومن هؤلاء الرجال أبو الحسن الأشعري - حفيد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، فقد نشأ على مذهب الاعتزال حتى حذق فنونه ، وحفظ حججه، وعرف أسرارها، ثم هداه الله الى الحق ، وإلى الصراط

المستقيم ، وبأن له متاعات أقواله ، وضلال رجاله ، فتأب منه وأتاب ، وناظر
شيخه أبا على الجبائي بواسطة عجوز اتخذها آلة فأفحمه وقطعه .

ثم أعلن انسلاخه من مذهب الاعتزال ، وتصدى له ينقض نسجه عروة
فعروة ، ويناظر رجاله فيفهمهم ، ويسطو بدلائلهم وبراهينهم فيأتى عليها .
وجاء من بعده أبو بكر بن الطيب الباقلاني ، فصنع بهم مثل ما صنع أبو الحسن ،
وبفضل هذين الرجلين وامثالهما قضى على بدعة المعتزلة ، وأراح الله منها
البلاد والعباد .

وكفى بها سوء أنها جرات السياسة أن تتدخل فى المسائل العلمية ، وتجبر
العلماء على اعتناق نظريات علمية لم يقتنعوا بها ، ويوم كانوا هم الضعفاء لم
يصبهم شئ ، بل سئل عنهم كبار العلماء : أكفارهم ؟ فأجابوا هم من الكفر
فروا ، وما زاد الحسن البصري - عندما خالفه إمامهم الأول وناقشه على أن
قال له (اعتزل مجلسنا) - ومن قول الحسن - فيما قيل - جاءهم لقب الاعتزال .

ومن عجيب الأمور أن المستشرقين من الأوروبيين ، ومقلديهم (القروء)
من العرب المعاصرين يرفعون نحلة الاعتزال اليوم ، ويزعمون لأبنائنا أنهم
هم العلماء (الأحرار) وأن أهل السنة (الجامدين) قد أصابوهم بالمكروه
وقضوا على مذهبهم ! والحق أن المعتزلة هم الذين ظلموا ، وأقنعوا الخليفة
بالتدخل ، فأطلق المأمون يد وزيره أحمد بن أبى داود يقتل ويحذب وينكل بكل
من خالف رأيهم . وحتى لو كان رأياً مصيباً لما جاز له ذلك ، فانما وسيلة
العلم الاقناع بالحجة والبرهان ، وما فائدة الاذعان اذا كلن خضوعاً للإكراه
والتعذيب ، فما هو الا ادهان ، لكن رأيهم كان بلاء ومصيبة ، عاد عليهم - من
بعد - بالوبال والخسران ، وكان سبباً لانقراضهم .

ومن أعظم الرجال الذين صاروا البدعة والمبتدعين ، وتحملوا فى سبيل
ذلك البلاء المبين شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وتلميذه شمس الدين ابن قيم
الجوزية ، وقد مات كلاهما أثناء القرن الثامن للهجرة النبوية (الرابع عشر
للميلاد) وقد نبغ ابن تيمية - وأصله من شمال العراق - فى دمشق ، وقد
احاطت بالاسلام والمسلمين البلايا والمحن فى عصره ، فسل السيف واللسان
والقلم ، وجاهد فى الله حق جهاده ، فى معارك الميدان بجانب الملك الناصر
ابن قالوون ضد التتار ، وضد المبتدعة وضد الصليبيين وضد الخونة المتعاونين

معه . كما جرد اللسان والقلم ، وأعلنها حربا شعواء على البدع والفرق الضالة من أهل الأهواء كالرافضة والباطنية من المنتسبين الى الاسلام ، وكان نصارى واليهود المتقولين عليه - يرد مذاهبهم ، ويفند حججهم ، وقد اصطدم بالجمود والجحود من علماء عصره ، ومن العامة التي انحرفت عن التوحيد، والتبس عليها الامر، وارتكبت أفعال الشرك - وان نظقت اللسان بكلمة الاخلاص والتوحيد - فامتحن رحمه الله على يد ولاية السوء ، وبتهريض الجامدين والجهلة من العلماء والقضاة ، ونقل الى مصر معتقلا ، ودخل السجن مرارا منها في القاهرة بضعة عشر شهرا ، ثم أفرج عنه ولكنه عاد اليه بعد سنوات ، واعتقل آخر مرة ، وحكم عليه بأقصى عذاب ينال السجين - واسأل به خيرا - وهو تجريده من الكتب ومن كل أدوات الكتابة حتى مات رحمه الله في قلعة دمشق عام 728 هـ - 1328 م .

ولكنه ترك ثروة علمية عظيمة ما تزال تفتك بالبدعة وأهلها حتى الآن، كما أنه ترك تلاميذ نال بعضهم - كابن القيم - بعض ما ناله من سجن وتعذيب، فهذا الامام العظيم - رحمه الله - من الذين عاشوا حياتهم كلها في الجهاد بالنفس والمال ، وباللسان والقلم، لنصر الاسلام والسنة، ومحقق الكفر والبدعة، والاخلاص في الدين « وما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » .

وفي مغربنا لم يخل عصر من العصور من أمثال هؤلاء العلماء الأعلام ، القائمين بالحق ، الظاهرين على المبتدعين ، فقد ثبتوا ثبوت الرواسي أمام تيار المبتدعة الذين جاءوا من (الشرق) ببدعة القول بخلق القرآن ، ولم يغن هؤلاء ان الدولة كانت دولتهم ، والريخ ريحهم ، فتصدى لهم الإمام سحنون ومشائخه وتلاميذه ، وأذاقوهم الهوان والخزي بالإعراض والتحدي . ثم جاءت الباطنية من بعد هؤلاء ، وأعلنوا مذهبهم النكر ، والجهر بالسوء من القول في الصحابة ، فثبت العلماء في وجوه بدعهم، وأفتوا العامة بالثورة عليهم، ورفعوا السلاح مع الثائرين ضدهم ، ولو لم يكن (*) ممن يرضون لأنه من أهل القبلة بينما كانت الباطنية - عندهم - من الكافرين . وما زالوا يطاردونهم

(*) خرج العلماء ثائرين مع أبي يزيد صاحب الحمار ، وكان اباضيا نكاريا انه من أهل القبلة ، بينما كان الباطنية عندهم كفارا ، وقد مكر بهم أبو يزيد في المعركة - فأخذه الله بغدره .

سرا وعلانية ، حتى ارتحلوا عن القيروان ، وغيروا مكان عاصمة ملكهم ودولتهم واستخلفوا الصنهاجيين ينوبون عنهم ، وتمكن احد عظماء أهل السنة وهو الشهم الجزائري الاصل ابن أبي الرجال من تربية المعز بن باديس الأمير الصنهاجي على الحق ، على السنة وكره البدعة،حتى اذا اشتد ساعده ووجد الفرصة سانحة اعلن براءته التامة من البدعة وأهلها ، والاستقلال عن دولتها . وكل دولة من دولنا المغربية قامت على دعوة دينية تنصر السنة ، وتقاوم البدعة وأهلها ، كدولة المرابطين التي كانت تدعى دولة الفقهاء ، ودولة الموحدين ، وقد نبغ تحت ظل هؤلاء الدول وأمرائها كبار علماء السنة وأنصارها . من هؤلاء - غير من ذكر من أهل القيروان - أبو عمر بن عبد البر ، والقاضي أبو بكر بن العربي ، وأبو محمد بن حزم ، والقاضي عياض . وما تزال كتب هؤلاء الائمة الأعلام تعمّر خزائن الأمصار في كل الأقطار ، وهى نبراس المهتدين بالسنة توضح لهم سبيل الحق وتفضح البدعة وتعرفها لهم .

ومن هؤلاء الأعلام من تأخر بهم الزمان ، ولكنهم لم يقصروا عن الأولين وان عدوا من المتأخرين ، ولا نستطيع - فى هذه العجالة إحصاءهم ، ولكن نذكر واحدا منهم وهو العلامة أبو اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي .

وغرناطة - فى الأندلس - عاصمة مصرها ومقر سلفنا من الصنهاجيين وكانت لهم دار ملك ، ثم كانت آخر عواصم الاسلام .

عاش أبو اسحاق الشاطبي أثناء القرن الثامن للهجرة ، وتوفى بغرناطة عام سبعمائة وتسعين (القرن الرابع عشر الميلادى) وطلب العلم فى عواصمنا المغربية ، ومنها تلمسان ، وأخذ العلم عن أسلافنا ، ومنهم الامام المحقق عالم أهل وقته الشريف أبو عبد الله التلمساني ، وأبو عبد الله المقرئ ، والامام الجليل الرحالة الخطيب ابن مرزوق الجند ، والامام المحقق الأصولي أبو علي منصور بن محمد الزواوي ، وغير هؤلاء من علماء الاندلس ومراكش، وألف كتباً جلية لم يؤلف قبلها ولا بعدها فى فنها خير منها . من ذلك كتابه (الموافقات) فى أصول الفقه ومقاصد الشريعة . وهو كتاب نفيس رسمه العلماء بانه (جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على إمامته وبعد شأوه فى

العلوم سيما علم الاصول ، قال عنه شيخه ابن مرزوق (كتاب الموافقات من انبل الكتب) (2) . وقال محمد رشيد رضا : كتاب الموافقات لاند له فى بابيه ٠٠ وكتاب الاعتصام لاند له فى بابيه تعرض فيه الى تحرير مسائل البدع والابتداع مما ينفع المسلمين فى امر دينهم وامر دنياهم، ويكون أعظم عون لدعوة الاصلاح الاسلامى على سعيهم . وقد كتب كثير من العلماء فى البدع ٠٠٠ وما رأينا أحدا منهم هدى الى ما هدى الله أبو اسحاق الشاطبى من البحث العلمى الاصولى فى هذا الموضوع وتقسيمه الى أبواب يدخل فى كل واحد منها فصول كثيرة ٠٠٠ (3)

ثم قال عنه العلامة الشيخ محمد رشيد رضا : لولا ان هذا الكتاب ألف فى عصر ضعف العلم والدين فى المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة وإصلاح شؤون الأخلاق والاجتماع، ولكان المصنف - بهذا الكتاب وبصنوه كتاب (الموافقات) الذى لم يسبق الى مثله سابق أيضا - من أعظم المجددين فى الاسلام ، فمثله كمثله الحكيم الاجتماعى عبد الرحمن بن خلدون كل منهما جاء بما لم يسبق الى مثله ، ولم تنتفع الأمة - كما كان يجب بعلمه (4) .

والملاحظة أنهما عاشا فى عصر واحد ، واشتركا فى بعض مشائخهما الجزائريين كالشريف التلمسانى ، ومات ابن خلدون بعده بالقاهرة أوائل القرن التاسع - بعد بضعة عشر سنة من وفاة الشاطبى ، وكان إنتاج هذا العلامة من أكبر الاسلحة الفعالة فى أيدي المصلحين ، يحيون به السنة ، ويهاجمون البدعة ويخزون أهلها . وبذلك عد هذا الإمام فى قافلة الطائفة الظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم .

-
- (2) من ترجمة أبى اسحاق فى كتاب نيل الابتهاج لاحمد بابا التنبوكى .
(3) من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب الاعتصام ، وبقلم محمد رشيد رضا .
(4) المصدر المذكور .

انكار على البدعة فى العصر الحديث

وجاء العصر الحديث بعد أن طال الأمد على المسلمين وقست قلوب كثير منهم ، وفسقوا عن أمر ربهم ، وعمت الجهالة ، وكلت الهمم ، وتنكر الكثير للسنة وأهلها ، وباضت البدعة وفرخت . وازدهرت وتبخترت ، وذهبت الصولة وضعفت الدولة ، واصبحت أوطان المسلمين نهبا للمعتدين ينقصونها من أطرافها ويعيثون فيها - وفى أهلها - وما احتلوه منها فسادا .

والى جانب ما كان فيهم من البدع القديمة ، التى أصبحت عند كثير منهم من صميم الدين ، نشأت نحل جديدة بعضها على أسس جديدة وبعضها أساسه قديم ، ومن هذه النحل فرقة البابية ، وبنتها البهائية فى فارس والشرق الاوسط، ثم القاديانية فى الهند، وكلها تعمل لهدم الاسلام وتقويض أركانه والاتيان على بنيانه متعاونة مع أعداء الاسلام من المبتدعة ومن المستعمرين .

وهكذا اصطبغت مقاومة البدع ، والجهر بالاصلاح والدعوة الى السنة بلون جديد ، ودخل فى هذه المقاومة للبدعة - حفظا لكيان الاسلام - مقاومة الاطماع الاجنبية ودسائس الدول الاستعمارية واحباط مكائدها ضد المسلمين وأوطانهم .

وكان هذا أهم مظاهر النهضة التى قادها جمال الدين الافغانى ومدرسته التى خلفه فيها وقادها معه فى حياته ، ثم من بعد مماته محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ومن هذه المدرسة تفرعت حركتنا الاصلاحية التى قادها الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس فانها ربطت الدين بالسياسة ، وجعلت مطاردة

البدعة فى الدين مرتبطة بمطاردة نفوذ المستعمرين وتوهين أركان بنيانهم والقضاء على عملاتهم .

أول صوت ارتفع بالإصلاح والإنكار على البدعة والمبتدعين ووجوب الرجوع الى كتاب الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبذ كل ابتداع ومقاومة اصحابه ، جاء من الجزيرة العربية وأعلنه فى الناس الامام محمد بن عبد الوهاب أثناء القرن الثامن عشر (1694 - 1765) وقد وجدت دعوته أمامها المقاومة الشديدة حتى انضم اليها الامير محمد بن السعود وجرّد سيفه لنصرتها والقضاء على معارضيتها فانتصرت .

ولما كانت نشأة هذه الدعوة فى صميم البلاد العربية ونجحت على خصومها الأولين فى جزء منها ، وكانت مبنية على الدين وتوحيد الله سبحانه فى ألوهيته وربوبيته ومحو كل آثار الشرك - الذى هو الظلم العظيم - والقضاء على الأوثان والأنصاب التى نصبت لتعبد من دون الله أو تتخذ للتقرب بها الى الله ، ومنها القباب والقبور فى المساجد والمشاهد - لما كان ذلك فقد فهم أعداء الاسلام قيمتها ومدى ما سيكون لها من أبعاد فى يقظة المسلمين ونهضة الأمة العربية التى هى مادة الاسلام وعزه، اذ ما صلح أمر المسلمين أول دولتهم الا بما بنيت عليه هذه الدعوة ، وقد قال الامام مالك : (لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) .

لهذا عزموا على مقاومتها وسخروا كل إمكانياتهم المادية والفكرية للقضاء عليها ، وحشدوا العلماء القبوريين الجامدين أو المأجورين للتنفير منها وتضليل اعتقاداتها ، وربما تكفير أهلها ، كما جندوا لها الجنود وأمدوها بكل أنواع أسلحة الفتك والدمار للقضاء عليها .

تحرش بها الانكليز ، والعثمانيون، والفرس، واصطدموا بها، وانتصر عليهم السعوديون فى بعض المعارك، فالتجأت الدولة العثمانية الى مصر، وسخرت لحربها محمد علي وابناءه - وهو الذى كانوا سخروه لحرب دولة الخلافة وتوهمينها - وكان قد جدد جيشه على أحدث طراز عند الاوروبيين آنذاك ، فاستطاع الجيش المصري ان يقضى على هذه القوة الناشئة، وظنوا انهم استراحوا منها ، وكان من الجرائم المرتكبة ان أمير هذه الامارة السلفية

المصلحة أسر وذهب به الى مصر ، ثم منها الى اسطنبول حيث أُعدم كما يعدم
المجرمون .

وهكذا يكون هذا الامير المسلم السلفي المصلح من الذين سفكت دماؤهم
فى نصر السنة ومقاومة البدعة رحمه الله .

وفى هذه الفترة ارتفعت أصوات أخرى لتأييد السنة ومخاصمة البدعة
ومحاولة إيقاظ المسلمين والنهوض بهم وتجنبيهم الوقوع بين مخالف الدول
الاستعمارية وصيانة أوطانهم .

وأهم هذه الأصوات وأعظمها صوت الامام جمال الدين الأفغانى ومدرسته
وكانت حياته حتى مماته لتحقيق هذه الأغراض ، فقد حاول ذلك فى الافغان
فاستطاع المكائد الانكليزية ان تخرجه منها ، ثم انتقل الى اسطنبول وحاول
الاصلاح فلم يقدر عليه ، واخرج منها فاستقر فى مصر بضعة أعوام ، وفيها
استطاع ان يثبت دعائم مبادئه ، ويكون تلامذة منهم محمد عبده فى الدين
والسياسة ، وسعد زغلول فى الوطنية والسياسة ، وما زالت به المكائد
الاستعمارية الفرنسية والانكليزية حتى اخرج من مصر ، ثم من الهند التى
التجأ اليها ، وساح فى أوروبا (باريس - لندن - روسيا - ألمانيا) وذهب
الى ايران فقام بعمل عظيم أدى الى طرده من طرف الشاه .

وحيثما حل ترك ثورة فى الأفكار وحركة فى الرجال حتى حل أخيرا
باسطنبول للمرة الأخيرة وبقي فيها أسيرا حتى أدركه أجله فى العقد الثانى
من القرن الرابع عشر (1314 هـ) أواخر القرن التاسع عشر الميلادى
(1897 م) . وعلى طريقته وأسلوبه فى التفكير قاوم محمد عبده البدعة والنقود
الاستعمارية ، وزج به فى السجن ، وذاق غصص النفي ، ولكنه كان القوي
الرابط الجاش ، وقد ترك فى مقاومة البدعة اثرين عظيمين ، أولهما تلميذه
الكبير محمد رشيد رضا ، وثانيهما تفسيره للقرآن الكريم الذى ألقى منه
تفسير نحو خمسة أجزاء كان يكتب خلاصتها ويحققها ويتممها تلميذه الوفي
الشيخ محمد رشيد رضا فلما توفى الإمام رحمه الله عام 1323 هـ (1905 م)
استمر الشيخ محمد رشيد رضا فى مواصلة كتابة التفسير على أروع مثال
حتى انتهى الى قوله تعالى : - حكاية لقول نبيه يوسف عليه السلام -
« رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

انت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين » لبي نداء ربه
والتحق بالرفيق الأعلى ، وكان ذلك عام 1354 هـ (1935 م) .

ان هذين العلمين الشامخين (محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا) من
أعظم دعاة السنة ومقاومي البدعة ، وان في تفسير المنار الذي اشتركا في
إنتاجه - وكان الفضل الأكبر للثاني في إخراجه - لم يأت تفسير قبله ولا بعده
على مثاله ، وقد كان له الأثر الكبير في النهضة الاسلامية واليقظة الشرقية
والحركة القومية السياسية المبنية على الدين الصحيح السليم من البدع
والخرافات ، ومن الجحود والجمود .

ان حركتنا الإصلاحية - التي قامت في بلادنا وبدأت أعمالها ببدء أعمال
ابن باديس وانتصابه عام 1332 هـ (1914 م) - فرع لهذه الحركة المتصلة
بجمال الدين الأفغاني - ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، ولا نعني انها
كانت متصلة بهم عاملة بوحيمهم مدبرة منهم ، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال
عنهما من هذه الناحية ، انما نعني انها كانت متأثرة بهما ، سائرة - في
الإصلاح الديني والديني - على منهاجهما في الاعتماد على كتاب الله ، وإحياء
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإماتة البدعة ، والإنكار على أهلها ،
ودعوة الأمة الى اليقظة والنهضة الشاملة ، والتخلص من كل اثر للجمود
والجحود والتخلف الفكري ، وبث التعليم القوي باحياء اللغة والنخوة
الاسلامية العربية ، والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبله
الأمة ويمليه الدين : « إنما المؤمنون إخوة » « المسلم أخو المسلم » فما جمعته
يد الله لا تفرقه يد الشيطان .

وقد كان لهذه الدعوة التي لم تكن قولية فحسب، بل كانت قولاً وعملاً
وسعيًا وجهادًا متواصلًا وتضحيات عزيزة ، وآلامًا جسمية ونفسية ، كان لها
الأثر الأكبر والحظ الأوفر فيما وصلت أمتنا اليه ، ولولا ان هذه الحركة مهدت
لثورة المسلحة التي نشبت عام 1374 هـ (1954 م) لما قدر لها ان تجد من
النجاح الباهر ما وجدته ، ان هذه الحركة قضت على الجمود ، وعلى التخلف
الفكري ، وعلى البدع الملتصقة بالدين من خنوع وخضوع امام القبور والقباب،
وتقديم البخور والندور لها ، وللأشجار والأحجار ، والخوف من الأرواح
الشريرة ، وعبادة الجن ، والسمع والطاعة العمياء لأصنام بشرية تأكل وتشرب

وتبول وتتغوط ، وتمرض وتموت ، ومع ذلك فهي تدعو الناس لعبادتها، وتزعم لها (ان الكون في قبضتها ونزول المطر بيدها ، والنفع والضرر من اثرها وفي قدرتها ، ثم تزعم للشعب ان سلطة الدولة الاستعمارية من سلطة الله وسلطة الله لا تقاوم ، وان التسليم لها تسليم لله ، والرضى بأحكامها رضى بقدر الله ، فما عليها - أى الأمة - الا ان تصبر لقضاء الله ، فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم ويتركون لنا الوطن من بعدهم .

مثل هذه الأفكار كانت رائجة يحتضنها (مشائخ) ويروجون لها، تحميمهم هذه السلطة الاستعمارية المنتفع الأكبر من رواجها ، وكان لها الدور الكبير فى تنويم الأمة واستبلاء البسطاء ، ويزعمون ان أكثر من 90٪ من الأمة كان خاضعا لهم فى هذا السلطان ، وقد أكدّه الشيخ أبو يعلى الزواوي رحمه الله فى بعض مقالاته .

ان هذه الحركة - كما تقدم - بدأت فعلا بشروع الإمام ابن باديس فى عمله ، ثم أخذ يشتد ساعدا منذ عام 1343 هـ (1925 م) ، ولما وقع الاعتداء عليه عام 1345 هـ (1926 م) قفزت الى الامام خطوات جبارة ، واصبحت مبادئها الدينية المعتمدة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأييد السنة والتزامها وإنكار البدعة ومحاربتها ، ومبادئها الوطنية القومية التى دستورها المجلد (الاسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا) ، كل ذلك على لسان الجماهير ، والتزام كل المشتغلين بالحركات . بهذا تظهر الجو تماما وقضى على الشعوذة والتدجيل ، وتحررت النفوس من السلط التى كانت تخضع لها ، والعقول من السلط التى كانت تخشاها ، ورجع للإنسان الجزائري كل قوته واعتباره وقيمه الدينية والخلقية ، وشجاعته العربية الاسلامية .

ان الجنرال الاستعماري للجيش الفرنسي الذى كلف بإخماد الثورة فى الأوراس عام 1955 م وهو الجنرال بارلانج قد اعترف بهذا عام 1955 م فى تصريح لبعض الصحف الفرنسية عن سر إخفاقه فى الجزائر فيما نجح فيه فى المغرب، فقال فى ذلك: انه فى المغرب اعتمد على سلطة (المشائخ) فى التأثير على الجماهير . هذا ما صرح به مضيفا إليه قوله : « اما فى الجزائر

فانه لا وجود لهؤلاء المشائخ ولا سلطة لهم على الجماهير » . كان هذا عام 1955 م ، اما قبل ذلك فقد كان لهم السلطة العظمى حتى فى تنفيذ الجرائم وقتل العلماء كما وقعت محاولة السطو بالشيخ ابن باديس ، وكان أتباعهم يملأون السهول والجبال ويقدررون بمئات الألوف وبنسبة مئوية مرتفعة .

ولو لم يكن لرجال هذه الحركة السنية السلفية من الفضل سوى هذا لكفاهم فخرا وأعلى شأنهم فى العالمين ذكرا ، ولكنهم - لما أذن مؤذن الثورة والحرب حي على الجهاد ، حي على الحرية والرشاد ، حي على العزة والساد - لم ينكلوا ولم تكتب الخيانة على أحد منهم ، بل كتبت الشهادة لكثير منهم ، وعلى رأس الشهداء الشيخ العربى التبسى ، والشيخ أحمد بوشمال ، والشيخ أحمد حوحو ، والشيخ محمد العدوي ، والشيخ محمد الزاهي . وكل هؤلاء من معهد ابن باديس فحسب فضلا عن غيرهم من الأساتذة ورجال الجمعيات والنوادي ، والحركات فى سائر أنحاء الوطن .

اما أبناءهم من النسب ، واما أبناءهم الروحيون وتلاميذهم المنتشرون فلا عد لهم ولا إحصاء ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا . ولا نذكر هذا تبجحا ولا تعصبا أو تحزبا ، فقد بطلت كل حزبية بمجىء جبهة التحرير ، وانما نذكره تنبيها للذين أعماهم حقد دفين أو تعصب مقيت ، أو جهل فظيع ، فأصبحوا يقررون الخطأ ويعلمونه للأجيال ، والعق فيهم من يتساءل ما موقف العلماء من الثورة ؟

الطائفة الظاهرة :

نحن أمة إسلامية ، وهذا الوطن - بلا شك - دار إسلام ، وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بالنصر والظهور إذ قال - فيما رواه عنه المغيرة ابن شعبه رضي الله عنه - (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

قالت العلماء : (ظاهرين على الناس أى غالبين منصورين وهم جيوش الاسلام أو العلماء الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر حتى يأتيهم أمر الله أى يوم القيامة وهم ظاهرون على من خالفهم) قال ذلك المناوي .

ثم قال فى شرحه على الجامع الصغير : (فيه معجزة بيّنة ، فان أهل السنة لم يزالوا ظاهرين فى كل عصر الى الآن ، فمن حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من الخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم لم يقيم لاحدهم دولة ولم تستمر لهم شوكة بل كانوا كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بنور الكتاب والسنة ، فله الحمد والمنة) اهـ . ثم قال : (قال بعضهم ويحتمل ان هذه الطائفة مؤلفة من أنواع من المؤمنين ، منهم شجعان ومنهم فقهاء ، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد وغير ذلك ، ولا يلزم كونهم من قطر واحد) اهـ . وقال : (وزعمت المتصوفة ان الاشارة اليهم : لزمو الاتباع بالاحوال واغناهم عن الابتداع) اهـ

والمرجح ان هذه الطائفة هي الواردة فى قوله تعالى : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » والمفلحون هم الظاهرون المنتصرون .

والآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر لم يكتفوا بالسنة يقومون بها ، ولكنهم يبلغون الدعوة الى غيرهم ، ويحضونهم على الاتباع ، ويحذرونهم من الابتداع ، وهم الذين يجدون من يخالفهم ويعترض سبيلهم ، ويقاوم تأثيرهم .

ولا تجد صاحب بدعة ومقترف معصية الا وهو يهابهم - فى نفسه - ويقرأ حسابهم حتى لو سطا بهم وأوقع فانه لا يستقر على حال ، وربما توقع انتقاما من الله ويوشك ان يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

واننا لنجد الخلفاء والملوك والأمراء يهابون الصدام بينهم وبين القائمين بالمعروف الناهين عن المنكر وخصوصا اذا كانوا من العلماء الربانيين ، والصلحاء المتقين ، الذين تجردوا من أغراض دنيوية وأخلصوا عملهم لله ، فانه لا ينفع معهم ترغيب ولا يهابون تهيبا ، وقد كانت كلمة العالم (اتق الله) تدوى فى آذانهم وتترك الصدى العميق فى نفوسهم .

اما المتصوفة فاهل السنة منهم معدودون فى العلماء الفقهاء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، اما اذا لزمو صوامعهم واعتزلوا الناس يعبدون ربهم فمن يخالفهم حتى يظهروا عليه ؟

وبالاجماع من الفقهاء والمتصوفة انه لا يكون فى هذه الطائفة صاحب بدعة
يضاهى بها الشريعة ويريد ان يصرفهم عنها ببدعته الى ضلال مبين .

أرجو ان تكون هذه الطائفة التى أعلنت هذه الحركة الاصلاحية فى الجزائر
وقادتها حتى بلغت بامتنا - ان شاء الله - شاطئ السلامة ، وايقظت فيها
العزة والكرامة، وتحملت فى سبيل ذلك ما كتب الله على المؤمنين من فتنة، ليعلم
الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين - من هذه الطائفة الظاهرة الى يوم القيامة ،
ابن باديس سالت دماؤه ، والتبسي واحمد بوشمال وإخوانهم نالوا الشهادة،
والابراهيمى ذاق عذاب السجون والهوان والغربة والشتى والترهب والعزلة .

وإخوان لهم ذاقوا مثلهم فى سبيل الله ورضوا بقضاء الله غير منتظرين
الجزاء الاوفى إلا منه .

نسأل الله الكريم ان يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة،
ويلحقنا بالصالحين غير مبدين ولا مغيرين .



الدعوة الإصلاحية وزعيمها ابن باديس

منذ أن عاد عبد الحميد ابن باديس الى الجزائر من رحلة الحج 1332 هـ 1914 م - موطننا العزم على خدمة بلاده وأمته - شرع في عمله الذي قصد اليه بإيمان متين ، وعزم صادق ، وإرادة صلبة ، وحزم وتصميم ، مع آمال فسيحة ، ومقاصد نبيلة كبيرة :

ان يسترجع دينه قوته ونفوذه على النفوس نقيًا كما بلغه الرسول الأمين عليه الصلاة والتسليم . وان يعود لأمته ما قد ذهب من عز ومجد أثيل، ودولة موحدة، وسيادة كاملة ، وأن يكون وطنه حرا مستقلا كما كان ، وكما هو حق كل وطن وأمة في الحرية والوجود .

ولم يكن يجهل ما يعترض طريقه من مصاعب جمة يجب التغلب عليها ، ومن عقبات كأداء عليه تذليلها وتعبيدها ، ومن أشواك وأخزة لا بد من تطهير المسالك منها .

كان يدرك أن أمامه « الحالة التعيسة التي بلغنا إليها ... من جهل وفقر وسقم وظلم وإذلال » (1) وكان في الجزائر « شباب أنساهم التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء - إلا مئة - أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا ... شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهي والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلة متحركة في ذلك العمل لا هم له من ورائه في نفسه فضلا عن شعوره بأمر عام (2) ، ومن حفظه الله

(1) ابن باديس - الشهاب ، صفر 1356 هـ - أبريل 1937 م .

(2) ابن باديس - الشهاب ، محرم 1357 هـ - مارس 1938 م .

للاسلام والعروبة من هؤلاء الشباب أقبل على تعلمها لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ولا يآلم بحاضر ولا يطمح لمستقبل ، اللهم الا افراد قلائل « (3) » .

أما الأمة الجزائرية فقد كانت فيها أصول الحيوية القومية والعزة الدينية والكرامة الانسانية ، ولكن لشدة ما « عرقتها البلايا والمحن ... » استخذت وذلت وسكنت على الضيم ورثمت للنوام (4) . وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة - فقد عملت فيها يسد الطريقة المحركة تفريقا وتشتيئا حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع . تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هناك بسلطان القوة على الأبدان ، أو سلطان الدجل على العقول والقلوب « (5) » .

كل ذلك عليه ان يفكر فيه وان يعمل لانقاذ شعبه ووطنه من شروره ، كما يفكر المؤمن القوي الذي لا يدخل اليأس قلبه ، والوطني المخلص الذي باع حياته بحياة وطنه .

وقد خطط لعمله ، وهو مدرك لخطورة ما هو مقدم عليه ، ومقدر كل التقدير لما سيصادفه من عراقيل ، لقد قرر - بحكمة وحزم - ان يأتي شعبه من أقرب الطرق للنجاح ، وأبعدها تأثيرا في النفوس ، وأضمنها في الوصول الى الغاية ، هذه الطريقة هي بث التعليم السليم النافع المفيد لاصلاح العقائد وتقويم السلوك ، وقبل اعلان الدعوة العامة ، لذلك يجب اعداد الاعوان والدعاة ، كانت هذه خطة قد رسمها كما كتب بخط يده .

انها خطة بطيئة حقا ولكنها مضمونة النتيجة . قال :

« مضيئا على ما رسمنا من خطة وصمدنا الى ما قصدنا من غاية وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشر علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر فلما كملت العشر وظهرت - بحمد الله - نتيجتها رأينا واجبا علينا ان نقوم

(3) المصدر المذكور .

(4) رثمت الفت وعطفت .

(5) المصدر السابق : شهاب ، محرم 1357 هـ .

بالدعوة العامة الى الاسلام الخالص والعلم الصحيح : الى الكتاب والسنة
وهدي صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات (6) .

اذا ، فقد كان الطور الاول المرسوم فى الخطة هو تكوين نشر علمي ،
يعني جنودا للدعوة العامة ، ولما آن اوان بدء الطور الثاني حاول ان يكون
جمعية للعلماء عام 1924 م ، ثم أنشأ لهذا الطور الصحافة الاسلامية ، والطباعة
الوطنية لضمان استمرارها واستقلالها ، فأنشأ جريدة (المنتقد) وبرز العدد
الأول منها يوم عيد النحر 1343 هـ 11 جويلية 1925 م معلنا هذه الدعوة ،
فعطلتها السلطة الاستعمارية بعد بروز 18 عددا منها فقط ، فأخرج (الشهاب)
لتؤدي نفس مهمتها . وقد استمرت تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية .
عام 1939 .

وقد أعلن فى صدرها « الحق فوق كل أحد ، والوطن قبل كل شئ »
واتخذ شعاره فى الإصلاح الديني قول إمام اهل السنة مالك بن أنس :
« لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .

كما اتخذ - شعارا له فى الإصلاح الديني - يعني السياسي - كلمة منه
يوارى به غرضه النهائي - هى « الحق والعدل والمواخاة فى إعطاء جميع
الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » .

وقد شرح المبدأين بنفسه اذ قال : عن المبدأ الثانى ما نصه : « إن المبدأ
الذى أسست عليه هذه الصحيفة هو **وجوب إعطاء جميع الحقوق لمن يقوم
بجميع الواجبات** . ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم فى البرلمان مثل إخوانهم
الاوروبيين . **فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق الكثيرة الداخلة تحت ذلك**
المبدأ العام » ، نشر ذلك فى الشهاب 108 الصادر فى 5 صفر 1346 هـ - 14
أوت 1927 م وضح به قول من قال : انه أسس لمبدأ التمثيل البرلماني ، ولم
يكن ابن باديس ليقنع لأئمة بمثله . وما كان يؤمن بإمكان التحصيل عليه ،
وانما كان يريد إقامة الحجة على الخصم .

(6) عن جريدة السنة من مقال « عبداويون ثم وهابيون . . . » نقله الدكتور
طالبى فى كتابه عن ابن باديس .

وقال عن المبدأ الأول :

« وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم أسست لخدمة مبدأ ديني : وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الأصلي البريء من جميع الضلالات والخرافات والتعصبات ، المحرر للعقول ، المذهب للنفوس ، والساعي بالانسانية الى الصراط المستقيم ، الى سعادة الدارين ، ولما كانت الطرق في معظم أمرها منبعاً لكثير من هذه المهلكات ، وقف الشهاب لها وقفاته المعروفة لنقدتها ومحاولة إصلاحها » اهـ .

هذا المبدأ الديني يقتضى تطهير النفوس ، من كل كدر، وتحرير العقول ، وتصحيح العقائد، ومحاربة كل تأخر ، ومن ذلك محاربة الضلالات والخرافات والتعصب الممقوت ، وقد حكم بأن الطرق الصوفية ومشائخها « منبع لكثير من هذه المهلكات » . ولكنه لم يشأ ان يفاجئهم بالإعلان العام لهذا أثناء الطور الأول ، واضطر أن يصانعهم - ليتمكن منهم - بما لا يضر المبدأ ، وان يدخل في « قطعانهم » فظن بعض « السذج » أنه كان منهم ! وتجراً صاحب « حياة كفاح » فزعم أنه السبب في « هدي » ابن باديس ! وانقاذه من الطريقة !

واذا أردنا شهادة صحيحة في الموضوع فلنعد الى ما كتبه بقلمه - وهو كثير ، والى ما كتبه تلاميذه عنه مثل الأستاذ محمد الهادي السنوسي رحمه الله الذي ارتحل الى قسنطينة في بداية الطور الأول عام 1916 - وما بعدها الى نحو 8 سنوات ، فقد شهد أنه طهر عقله من الخرافات والضلالات الطرقية ، وسجل ذلك في ترجمته لنفسه في كتابه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) ومثله ما كتبه في نفس الكتاب الأستاذ محمد سعيد الزاهري رحمه الله وما تركه من طابع قوي في نفسه ، من تربية دينية ووطنية صحيحة . ويجب ان نتذكر أن الشيخ السعيد الزاهري من تلاميذ الشيخ ابن باديس هو أول من جعل جريدته « الجزائر » تضع في صدرها - شعارا لها - « الجزائر للجزائريين » .

أول صدام عنيف بين الإصلاح والحلول

أول من اصطدم به ابن باديس - من (الصوفية) ومشائخها - الطريقة العليوية وشيخها أحمد بن عليوة المستغامي .

ويتبين للدارس المتمعن أن هذا الصدام : دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما في الميدانين الديني والدنيوي ، وقد تيقن بخطورة هذه الطريقة فيهما .

أما الهدف الديني فقد تيقن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادئ الباطنية والدعوة الى مذهب الحلول ووحدانية الوجود .

وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها ، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج .

وقد بينا هذا في قسم « اتصالات مربية » من هذا الكتاب وسقنا عليه الأدلة والشواهد ، ولكننا في هذا الفصل نعجل بنقل اعتراف منشور في كتابهم « الشواهد والفتاوى » يدل على مدى ما بلغ اليه التعاون والتناصر والتلاحم .

قال صاحب هذا الكتاب في ترجمته للشيخ عده بن تونس - وهو العضد الأيمن للشيخ ابن عليوة في حياته ، وخليفته بعد مماته .

« انه انخرط في سلك العسكرية الفرنسية - على ما يقتضيه القانون الجبري - ، وصار مقره القشلة بدل المسجد، فعكف على عمله الذي هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويحبب لهم الذكر والذاكرين ، الى ان صارت كلمة الإخلاص - يعني بها كلمة (الله) - تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة في الذكر على الأسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الأتغام فالزموا الجند ان يكرر كلمة الإخلاص بتلك الصيغة في حال مشيهم النظامي ورجوعهم من التعاليم الرسمية اليومية ، يدخل المدينة بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وبلغني انه لما انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فعل ما يقرب من ذلك من جهة تصوير من حوله من العساكر في صفة الذاكرين، فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم في غيره » (7) .

(7) الشواهد والفتاوى ، ص 169 .

وبينما كان يصنع مع هؤلاء القوم مثل هذا فى صميم القشلات العسكرية والقلاع كان العلماء يطاردون من المساحد ، ويحذر من الرحمانية وإخوانها، وخصوصا فى بلاد القبائل، لأنها اخرجت الشيخ ابن الحداد ، وولده الشيخ عزيز ، فالقوم كانوا يعدون « العليوية » لخلافتهم ويصدرون أوامرهم للجنود ليلتزموا « ذكرهم » وطقوسهم ، ويعلنون ذلك فى المدن والشوارع .

ان هذه « المناورات » لم تكن لتخفى على مثل ابن باديس ممن نذروا أنفسهم لخدمة الأمة والسعي فى اصلاح أمورها الدينية والدنيوية ، ولم يكن من الهين مهاجمة العليويين مباشرة وبكل صراحة فى مثل هذا الميدان الحرج ، فان الظروف كانت شديدة ، والاستعمار كان فى أوج طغيانه وعتوه ، وكانت فرنسا تتبجح - انها خرجت من الحرب العالمية الكبرى بأقوى جيش يرى فى العالم .

لهذا رأينا ان ابن باديس ركز هجومه الساحق على الجانب الديني ، واستطاع ان يضرب هو وحزبه الضربات الماحقة ، وقد مكنهم « العليويون » من ذلك .

فقد كان ابن عليوة قد آلت اليه مشيخة زاوية (درقاوة) بمستغانم بوصية من شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المتوفى عام 1909 م ، ولكن الشيخ ابن عليوة كان طموحا جدا ، فجدد الطريقة ، وأدخل على نظامها وطقوسها وعلى دعايتها تغييرا شاملا مما جعلها تنسب اليه بدلا من نسبها الى الدرقاوي أو الشاذلي ، وخرج بها من مستغانم لتنتشر فى الآفاق .

وقد نشطت على يده نشاطا هائلا وامتدت دعوتها باسمها الجديد فى أنحاء الوطن الجزائرى وحتى خارج الجزائر ، كالمغرب، ونونس، والشام، واليمن، وبريطانيا ، وفرنسا ، وبعض أوطان أوروبا .

وفى داخل الوطن كادت تبتلع الطرق الصوفية وخططت - أو خطط لها - ان تزاخم فى بلاد القبائل - الطريقة الرحمانية ، وتخلفها فى اتباعها ، لأنه تبين للمستعمرين ان (الرحمانية) لا يؤمن جانبها فى القبائل .

ومن بين التجديدات التى اعلنها الشيخ ابن عليوة اعتناقه لمبدأ الحلول ، ووحدة الوجود ، وزعمه فى اشعاره العامة انه (هو الله) وانه (ليس سواه) وأثر عنه بيته الشهير :

فتشت عليك يا الله لقيت روعي .انا الله !

وفى عام 1920 م نشر ديوانه المطبوع فى تونس - وأعلن فيه بمذهبه هذا وكرر هذا المعنى فى كثير من اشعاره ، كما جاء فيه أقوال مما يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما سئل عنها ابن عليوة اعتذر عنها بأنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى (سكرة) من سكراته ، وتقدم منه فى ذلة وخضوع فوجد منه ترفعا وتدللا فقال فيه تلك الآليات وفيها يتهدد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتوعده انه ان مات بالشوق اليه فلا عذر له ينجيه ! وانه سيحاكمه الى الله وينتصر عليه ، وفى عبس التى تهدده - صلى الله عليه وسلم - ما يساعد عليه . وزعم انها « شطحة » من شطحاته !!

ورفعت هذه الأبيات الى الشيخ عبد الحميد ، سئل عن حكم من يقولها ، وهل يصح ان يوجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلها ؟

فتردد فى الجواب أولا ثم استخار الله وكتب فى الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم عنوانها : « **جواب سؤال عن سوء مقال** » . وقد انتهى من تحرير الجواب فى شهر ذى الحجة 1340 هـ (1922 م) وارسل بها الى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب فاطلعوا عليها ووافقوا على ما جاء فيها ، وضللوا من فاه بمثل هذا الكلام ، ومن هؤلاء العلماء من تونس : الشيخ محمد النخلي ، والشيخ بلحسن النجار ، والشيخ الطاهر ابن عاشور ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ معاوية التميمي ؛ ومن الجزائر الشيخ شعيب بن علي التلمساني ، والشيخ مولود بن الموهوب القسنطيني ؛ ومن علماء المغرب الشيخ العابد بن أحمد بن سودة ، والشيخ محمد بن العربي ، والشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر . كما قرظها غير هؤلاء فى الصحف والمجلات كمجلة الفتح القاهرية .

وكانت صدمة عنيفة أصابت طريقة العليوية وشيخها ، وشككت فى عقيدته ، ونهبت جمهور الأمة الى ما يبثه حتى اضطروا الى تأليف كتاب جمعوا فيه الشهادات من العلماء والقضاة والمفاتي والنواب والمجالس والاعيان بصحة إسلام الشيخ وسلامة عقيدته . ولكنه مع ذلك لم يسحب ديوانه من الرواج ، وتركه فى السوق وفيه - من الضلال والقول بالحلول ووحدانية الوجود ومن

سوء القول - أضعاف اضعاف ما جاء فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم .
وما زال به ذلك حتى الآن .

وتأسست الصحافة الوطنية ، فتوالى الحملات على الخرافات والباطيل ،
وعلى رواج الدعوة الى مذهب الباطنية وما فيها من القول بالحلول ووحدة
الوجود ، واشترك فى الكتابة فحول العلماء والكتاب والمفكرين من الجزائر
وتونس والمغرب . وكان من أشد الكتاب عنفا على القوم « بيباوى » فحاولوا
أن يعرفوا من هو ؟ فابت إدارة الشهاب أن تكشف للعلويين اسمه ، فقرروا
أن ينفذوا وعيدهم فى زعيم المصلحين وامامهم الشيخ عبد الحميد بن باديس .

السطو بالأستاذ ابن باديس

وهكذا عقدوا اجتماعا لهم بمستغانم ، وقرروا ان يغتالوا الشيخ بن باديس
وارسلوا اليه فدائيا منهم يدعى ممين - أو ميمان - محمد الشريف من دوار
الجعافرة بلدية مجانة دائرة برج بوعريريج ولاية سطيف اليوم ، فسافر لأداء
مهمته الكريهة من مستغانم على بعد نحو 300 كلم غربي العاصمة ، وركب
القطار من الجزائر بتذكرة ذهاب وإياب ، فوصل الى قسنطينة ، وشرع - مع
اثنين آخرين أو ثلاثة من أعوانه - بترصد الشيخ والتحقق فى معرفة مسكنه
وتحركاته وأوقاته . ثم أقسم مساء 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14
ديسمبر 1926 م على محاولته الآثمة . فاصابه بضربتين على رأسه وصدغه
من هراوة وأدماه ، وحاول أن يسلم موسى من نوع « بوسعادي » ليجهز عليه
ولكن الله سبحانه نجاه منه ، وأبطل كيده .

لقد هزت هذه المحاولة جميع الأوساط ، وفضحت مدبريها فضيحة لا مثيل
لها ، وكانت بحق بداية فصل جديد فى انتصار الإصلاح والسنة ، وانتهزام
التعصب والبدعة والباطنية .

والحق ان هذه الحادثة أثمرت ثروة أدبية من النشر الفنى ومن الشعر :
مباحث علمية وأدبية ودينية راقية ، وقصائد شعرية رائعة . ورغم التأثير
الذى أحدثته فى زمنها هذه الحادثة وما قيل فيها من النشر ومن الشعر - لا فى
الجزائر فحسب ، ولكن فى المغرب وتونس أيضا - فقد بقيت مغمورة ، مطوية
بين صفحات الصحف والمجلات ، وها قد مر على حدوثها ما يقرب من ستين

عاما ولا يكاد يعرف عن تفاصيلها أحد من المهتمين بتاريخ نهضتنا الثقافية والوطنية شيئا .

ومن حق جيلنا الحاضر ، وأجيالنا المقبلة وكل باحث عن الحقيقة أن يطلعوا على أحداث تاريخهم بالتدقيق، ويعرفوا ما بذله أسلافهم من جهد وبلاء وعرق ودماء حتى وصلنا الى ما نحن عليه اليوم .

ان جريدة « الشهاب » الأسبوعية الصادرة فى السنوات 45 - 46 1347 هـ (26 - 27-1928 م) تحتوي على صفحات رائعة فى موضوع الصراع الفكرى العنيف وإبطاله : صراع دينى بين السنة والبدعة، وبين العقل والخرافات ، وبين التقدم والانحطاط ، وصراع قومى سياسى بين الاندماج وأعوانه والدعاة اليه ، وبين الوطنيين المخلصين الذين يحكمون عليه بأنه الموت الحقيقى للأمة ، ويفضلون البقاء فى الانحطاط والخرافات والتأخر على تقدم مع الاندماج اذا كان لابد من الاختيار !

وقد عدنا الى هذه الأعداد الصادرة فى ذلك الزمن ، ومنها نقلنا صفحات نثرية وشعرية مما حف بهذه الحادثة ، ودعمناها بفصول جديدة ، وتعليق مفيدة ، تشتمل على إيضاحات وشروح ضرورية ، تزيد النصوص والأحداث بيانا حتى لا تقتصر قراءتها على مجرد الاطلاع والمتعة ، ولكن تتجاوز ذلك الى الاستفادة واثراء المعلومات بالنسبة للطلبة .

هل الصراع مستمر ؟ وهل من المعقول تأليه البشر ؟

قد يخطر ببال بعض الناس أن هذه صفحات ينبغى أن تطوى، ومن الغلط نبشها واعادتها الى الحياة .

والجواب ان هذه الضلالة قد رفعت رأسها من جديد وانتهزت الصحوة الاسلامية فى شبابنا ، وعودتهم الى حظيرة المساجد يعمرونها ، وإلى حلقات الدراسات الاسلامية يعقدونها ، وإلى المكتبات ينقبون فيها عن الكتاب الاسلامي يلتمهونه ، فأخذت تزرع فى السوق الكتب التى تنشر هذا الضلال ، وتروجه بين الغافلين أو الجاهل . فقد نشر فى ديوان الشيخ ابن عليوة - بصورة كبيرة له - نصوص خطيرة وبخطوط كبيرة مشكولة وكتب عنه :

أنه عارف بالله ، وملقن لاسمه الاعظم . وفى اشعاره أنه الله ، وليس سواه
وان الوجود كله هو الله . ويقول :

تبهتنى فى ذاتك - **وغبت فيك يا لله** - ظهرت صفاتك - منك وفيك يا لله
دخلت للمعنى - منك وفيك يا لله - **ناديت من أنا ؟** - **لست سواك يا الله**
أفى هذا العصر ، ومع كل هذه الاضواء يقول (عبد) عاجز أنه هو الله ،
وليس سواه ، ثم يجد من يعتقد صحة قوله ويسميه العارف بالله : الملحق
لاسمه الاعظم ، مع أنه قد مات كمثل أستاذة ولحق به تلميذه وخليفته من
بعده ، وكلاهما ادعى مثل مدعاه - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وفى كتاب منسوب اليه وان كان تحريره وأسلوبه يعلو عن تعبيراته ،
ولكن ما فيه من الضلالات يشبه شعره - واسمه « البحر المسجور فى تفسير
القرآن بمحض النور » يقول عن القرآن الكريم :

« من المؤمنين من فتح الله بصيرته يراه الآن يتنزل به الروح الامين . واذا
قرأه يقرأه من امام مبين ، واعظمهم درجة من يتلقاه من ارحم الراحمين
وقليل ما هم » اهـ

وهذه جراءة لم يتح لاحد - فيما مضى - ان يعلن بمثلها فى قوم من
المسلمين فتروى عنه وتطبع وتروج .

انها تؤدى بقائلها والمصدق به الى الاستغناء عن رسالة محمد صلى الله
عليه وسلم ، اذا كان (المؤمن) يأخذ القرآن من الامام المبين . - « اللوح
المحفوظ هو الامام المبين » قال تعالى : « **وكل شيء احصيناه فى امام مبين** » ،
قال قتادة ومجاهد وابن زيد « أراد اللوح المحفوظ (8) او يأخذ مباشرة من
أرحم الراحمين ، فانه ليس من أمة محمد ، لان أمة محمد أخذت القرآن منه
عليه الصلاة والسلام ، اخذ الصحابة مباشرة وكتبوه ورووه ، وبلغ الى من
لم يكن حاضرا نزوله ومن جاء بعده برواية بلغت حد التواتر فى كل كلمة منه
وكل حرف ، وهو عليه الصلاة والسلام لم يأخذ القرآن - مباشرة - من اللوح
المحفوظ ولا تلقاه مباشرة من الله ، وانما تلقاه من لدن حكيم عليم بواسطة

(8) تفسير الشوكانى لسورة يس .

أمين الوحي جبريل عليه السلام ، كما انبأنا علام الغيوب » وانه لَنَنْزِيلُ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝۰۰۰ » ۰

ان هذه الدعوى خطيرة جدا لأنها تؤدي الى ان الوحي لم ينقطع بختتم
الرسالة ، فمن يقرأ اللوح المحفوظ ، ومن يتلقى عن الله فهو يوحى اليه
« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسل رسولا
فيوحي بإذنه ما يشاء » ۰ ونحن المسلمين نعتقد ان الوحي قد انتهى بختتم
الرسالة ، ولكن (القاديانية) تزعم غير ذلك وتدعي ان الوحي نزل على غلام
أحمد ميزا القادياني ، وانه رسول ، وان الوحي لم ينقطع ولا ينقطع ۰ وبهذا
كفرهم العلماء ، وأخرجوهم من حظيرة الاسلام وجملة المسلمين لقوله تعالى :
« ما كان محمد أباً أحدٍ من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ۰
وقوله صلى الله عليه وسلم : « لا نبي بعدي » وهذا مما هو معلوم من الدين
بالضرورة ، وجاحده كافر بلا شك ، ولو قال صراحة لإخوانه « انا نبي » أو
يمكن أن يوجد نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما بقي معه احد من
الاتباع ، أما ان يقول فيهم : « ان في المؤمنين من يتلقى القرآن من ارحم
الراحمين » فانه عمى عليهم ، ولم يصارحهم ۰

ان ادعاء استمرار الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مذهب
(القاديانية) وكانت جريدة الشهاب قد أثبتت الصلة الموجودة بين العلويين
والقاديانية باعتراف جريدتهم البلاغ ونشرها رسالة من احد دعائهم ، وهاجمت
الشهاب الطائفتين معا ، فسكتت العلوية ، ولم يتبرأوا من التهمة ۰ وهذه
الدعوى من شيخهم تثبت اتهام الشهاب (9) ، ولم ينشر هذا الكتاب في حياة
ابن باديس ، ولو نشر لما احتاج الى دليل آخر ليبرهن على ان مذهب القاديانية
يتلاقى مع مذهبهم في هذه النقطة ۰

وفي نفس هذا الكتاب يقول ايضا :

« هكذا الواحد منا مهما تقوى يقينه وانشرح باطنه فيما يسمعه من الفاظ
القرآن فلا يراه الا كلاما يكلمه الله به في ذلك الحال ۰ وقد كان لي نصيب من

(9) انظر فصل « اتصالات مريبة » من هذا الكتاب ۰

ذلك والحمد لله - فكنت مهما يطرق سمعى كلام الله فترتعد بوادى عن
الفحص حتى كانى أسمع حسيسا من بقية صلصلة الجرس - ثم يقول :
« وبهذه الخاصية اطلعنى الله على البعض من جواهره » (10) وهذه الجواهر
فى زعمه هى التى نشرها فى كتابه .

إذاً ، فالوحي عنده لم ينقطع ، والقرآن الذى يتلوه ليس هو الذى بلغه
محمدا ووصل الينا بطريق التواتر ، وانما يقرأه من اللوح المحفوظ مباشرة
أو يتلقاه - كما تلقاه محمد - من أرحم الراحمين، بل مقامه فى زعمه أعلى لأن
محمدا أنزله على قلبه الروح الأمين .

وكما كان رسول الله قد يأتية الوحي كصلصلة الجرس يأتية هو كذلك !
وان الله أطلعه على البعض من جواهره .

ان هذا الضلال والفساد مما ينسبه الباطنية لائمتهم المعصومين ، فهؤلاء،
القوم - اذا - ظنوا أن الجو قد خلا لهم من العلماء الذين عليهم ان يردوا
باطلهم ، وظنوا أن لهم ان يبيضوا ويفرخوا ، وينقروا ما شاءوا ان ينقروا ،
فقد خاب ظنهم ، وساء فالهم، وأقل ما يفعل أن ترسل عليهم صواعق احرق
سلفهم .

ان فى هذا الكتاب كثيرا مما يبين حالهم ، ويكشف ضلالهم ويحذر المؤمنين
من أقوالهم وأفعالهم ، ويبين رأى كبار العلماء . فيهم وفيما حاولوا ترويجه
بالامس واستعملوا فى سبيل بلوغ اهدافهم - لا اللحي والشطحات والحضرات
فقط ولكن حتى المدى والدبابيس فلم يفلحوا ولن يفلحوا؛ فالسنة منصورة
والبدعة مقهورة .

ولعلنا بهذا نلفت اليهم انظار علمائنا لينتبهوا الى خطر ما يريدون ان
يشوه فى شبيبتنا وعامتنا . وعلى كل منا أن يؤدى ما يجب عليه كما أداه
اسلافنا .

وقد آن لنا ان نترك القارىء يتابع القصة فى فصولها والله الهادى الى
سواء السبيل وعليه اتكالنا .

(10) انظر مقدمة كتابه « التفسير المسجور » .

رسالة جواب سؤال

بهذه الرسالة نشبت المعركة الدينية القومية بين الاصلاح والسلفية من جهة وبين الطرقية والبدعة والجمود من جهة أخرى وكان من أطوارها محاولة السطو بالشيخ ابن باديس رحمه الله .
وهذه فصولها :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال

للعامة السلفي الاستاذ عبد الحميد بن باديس حفظه الله

عقائد نقية ، أدلة جلية ، كلمات نبيلة ، نقول جلية بيان لعظيم مقام النبوة والرسالة ، ولضلال من خاطب ذلك المقام بخطاب الجهالة ، قرظها عشرة من كبار العلماء بتونس والجزائر والمغرب الأقصى ، وعلق على مواضع منها العلامة الجليل القاضي الشيخ شعيب التلمساني .

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

السؤال :

ما قول ساداتنا العلماء - رضى الله عنهم - وأدام النفع بهم فى رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد ، وإن الكل دونه ، وأنه العارف المسلك ، إلى غير ذلك من أعلى صفات العارفين ، وأسمى درجات الكاملين . ثم يقول مخاطبا للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما نصه :

ان مت بالشوق منكبد	ما عذر ينجيك
ان تبق فى هجرى زائد	للمولى ندعيك
من هو بالملك موحّد	ينظر فى أمرك
عبس بالقول تساعد	ما نرجوه فيسك

ولما قيل له فى هذه الأبيات قال : ألسن المحبين اعجمية . فهل يعد خطابه هذا سوء أدب ؟ وهل تجوز مخاطبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بمثله ؟ وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين ؟ وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجمة ألسن المحبين ؟ أفيدونا مأجورين إن شاء الله تعالى من رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انتهى

الجواب :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وصلّى الله على

سيدنا محمد الذي أدبه الله فأحسن تأديبه ، ووفر من كل خير وكمال على جميع العالمين نصيبه ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الهادين والمهتدين ، والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد - فقد وفقت على سؤالكم وتاملت من جميع فصوله ، وأحطت خبرا ان شاء الله - تعالى - بلفظه ومدلوله ، وهمست أن لا أجيبكم عنه بحرف واحد لما أعلم من تصميم أكثر العامة على العناد فيما اعتقدوه من الباطل ، وسكوت أكثر الخاصة من التصريح بالانكار عليهم ، والأرشاد لهم ، وتهافت بعض الطلبة القاصرين ، على تسويد صحفهم وصحائفهم بشبهات يسمونها بأفواههم دلائل وأجوبة عن متبوعيه من الجاهلين ، يحشونها بالاحاديث الضعيفة والموضوعة والتأويلات الباطلة المنوعة ، والروايات المدخولة عمن ليس قوله حجة على الناس في الدين وانما غايته - اذا ثبت عنه ذلك وحسن به الظن - أن يؤول على وجه صحيح يقبله الشرع . ثم يردون بمثل هذا على الآيات البينة والاحاديث الثابتة وعمل السلف الصالح المشهود لهم بالخيرة على لسان المعصوم . أفمع هؤلاء ينفع الكلام أو يحسن الجواب ؟ لكنني تذكرت ما جاء في وعيد الكاتمين ، وفي وعد من بذل الجهد في نصح إخوانه المسلمين ، ورجوت أن لا أعدم أنصارا على الحق ، وإخوانا متكاتفين في نصرة الدين ، من عدول حملة العلم الذين ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، فاستخرت الله - تعالى - وحررت لكم هذا الجواب في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة ، غير قاصد - علم الله - شخص أحد بالنقص ، ولا خارج بعون الله - تعالى - عن جادة الفهم من دلالة الظاهر والنص ، والله أسأل أن ينفع به المسترشدين، ويهدي به غير المعلنين، ويفت به أعضاء المفسدين، آمين .

المقدمة :

في وجوب الأدب مع النبي - صلى الله عليه وسلم

اجماعا وأبدا وعمل كل حال

أجمع علماء الملة من جميع الفرق على وجوب الادب مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حيا وميتا كما يجب الايمان به حيا وميتا للنصوص القطعية

فمى ذلك كقوله تعالى : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ليتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه » الآية . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله » . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم » الآية . وعلى هذا كانت سيرة السلف الصالح معه - عليه الصلاة والسلام - فى الحياة وبعد الممات ، روى الترمذى عن انس - رضى الله تعالى عنه - كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما ، فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا أبو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما ، وجاء من غير وجه ان أصحابه كانوا حوله كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانوا من تعظيمه وتوقيره يهابونه فلا يسألونه ، فيحبون ان يأتى الاعرابي الجاهل فيسأله ، ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا فى المسجد النبوي ورفع صوته ، قال له مالك : لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال : « لا ترفعوا أصواتكم ... » الآية . ومدح قوما فقال : « ان الذين يقضون أصواتهم ... » الآية . وذم قوما فقال : « ان الذين ينادونك من وراء الحُجرات أكثرهم لا يعقلون » (1) . وان حرمة ميتا كحرمة حيا ، فاستكان لهما أبو جعفر (2) . وقد كان مالك - رحمه الله تعالى - اذ ذكر النبى - صلى الله عليه وسلم - يتغير وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه .

(1) أى فيما يعلوه محللك الرفيع وما يناسبه من التعظيم ، الجلال المحلى ، ومعنى الرفيع : العلى القدر والمحموظ من اساءة الادب ، اهـ . صاوى ، نعم اذا كان من يقول لشيوخه لم لا يفلح فكيف بالتجاسر على خير الخلق على الاطلاق بالاطباق صلى الله عليه وآله وسلم .

(2) وقال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » ، بان تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت ، اهـ . محلى قوله : لا تجعلوا دعاء الرسول أي نداء بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بان تقولوا يا رسول الله يا نبى يا امام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين . واستفيد من الآية انه لا يجوز نداء النبى بغير ما يفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته ، فبهذا يعلم ان من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة . قوله : ونخفض الصوت أى لقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق »

وكان جعفر الصادق كثير الدعابة والتبسم ، وإذا ذكر عنده النبي - صلى الله عليه وسلم - اصفر ، والواقف على سير السلف الماضيين والعلماء المتقدمين يجد فيها كثيرا من هذا في مراعاة حرمة - صلى الله عليه وسلم - وشدة التأدب مع جنابه الشريف ، ومن أكثر الناس محافظة على الأدب وتحريضا عليه ووصاية به شيوخ الزهد والعلم من أئمة التصوف العارفين كرجال الرسالة القشيرية الذين أبقى الله بعظيم فضله على الإسلام وجميل صنعه لنصرة الدين كلامهم حجة على كل من ينتسب إلى طريقتهم في مثل هاته الأزمان ، قال في الرسالة عن عبد الله بن المبارك : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم ، وعن أبي علي الدقاق : من صاحب الملوك بغير أدب أسلمه الجهل إلى القتل ، وقال أبو حفص الحداد : التصوف كله أدب لكل وقت أدب ، ولكل حال أدب ، ولكل مقام أدب ، فمن لازم الأدب بلغ مبلغ الرجال ، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يرجو الوصال . وقال : حسن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن (3) .

الفصل الأول :

في بيان خروج كلامه عن دائرة الأدب المرعية ، وتهجمه على الحضرة النبوية قال :

ان مت بالشوق منكبد ما عذر ينجيئك

أي حق للعبد الحقير ، على السيد الجليل الكبير ، حتى يطالعه بالإعذار إليه إذا لم يأت به ، أم كيف ساع لهذا المسكين أن يقول له لا عذر ينجيئك ، من ينجيئه هذا العذر أن لو كان ينجيئه ، أمن اللوم في سادات العتاب

صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون » . صاوى سحشى الجلالين بالحرف . وفي الشفا ما نصه قال : قال ابراهيم التيمي : واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في عييته وفي جلالة بما كان يأخذ به نفسه أو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويتأدب بما أدبه الله ، مثل قوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء الباطل » ، ولا ترفعوا أصواتكم عليه » وغيره كما تقدم .

(3) وقيل : من يتأدب ساد ومن لم يتأدب طرد عن الباب .

لاجلك ؟ من انت يا هذا حتى يعتذر سيد الاولين والآخرين لك ، ثم لا ينجيه من التقصير في حقك عذر عندك ، لقد وضعت نفسك واللّه في غير محلها وجهلت مقام النبوة وجلالة منصبها .

قال :

ان تبس في هجري زائد للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد ينظر في أمرك

أي حق لك على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى صرت تخوفه بانك تدعوه وتشكو به الى الله - تعالى - لينظر في أمره ، وهل يتصور منه - صلى الله عليه وآله وسلم - تقصير في حق أحد حتى يشكو به الى الله - تعالى - حاشا ذلك الجنب الكريم ، والنبي الرؤوف الرحيم (4) . ان يقصر في خير لأحد في حال حياته وبعد مماته وكيف ذلك وهو الذي قال له الله تعالى : « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » (5) ، وعو الذي لما تعرض عليه في قبره اعمال أمته يستغفر للمذنبين ، لكنك يا مسكين توهمته كعظماء الدول الذين يقصرون مع من دونهم فيخوفون بمن فوقهم ، على انه لم يكن من أدب العبيد ان يهددوا الوزير بسلطة الأمير. فإين انت يا هذا حتى من آداب الوزراء والسلاطين بله الأنبياء والمرسلين .

قال :

عيس بالقول تساعد ما نرجوه فيسك

هذا تعريض للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بما خاطبه الله تعالى في سورة ابن أم مكتوم ، وتخويف له بما يلحقه ان قصر مع هذا المسكين من العتاب واللوم ، واحتجاج عليه بالقرآن ، والزام له بالقبول والaitان ، وهذا تهجم عظيم ، وتجاسر شديد ، لا يقدم عليه عامة المؤمنين ، فكيف بمن يزعم انه خاصة العارفين .

(4) القائل انما أنا قاسم والله يعطى ... الخ

(5) وقال تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

الفصل الثانى

فى بيان حرمة مخاطبة النبى - صلى الله عليه وسلم - بمثل هذا الخطاب

قد اشتمل صدر هذا الكلام على نفي قبول العذر من النبى - صلى الله عليه وسلم - وذلك يستلزم أن له عليه حقا أن وقع فيه تقصير احتيج معه الى العذر ثم لا يقبل منه . وعلى أنه يرفع دعوى لينظر فى أمره ، وهذه التهجيمات القبيحة التى لا تصدر من العبيد الى السادة هى لا شك أقوى فى سوء الادب من مجرد رفع الصوت الذى نهى الله تعالى عنه وجعله سببا فى حبوط الاعمال فتكون قطعاً أحق بالمنع والتحريم ، وما أشبه طلب هذا الرجل القبول والائتمان بهذا الخطاب المزعج الغليظ : بأولئك الذين نادوه من وراء الحجرات ولم يصبروا حتى يخرج اليهم ، بل هو أشد ، لان القوم كانوا حديث عهد بجاهلية لم يخالطوا المسلمين ولا تأدبوا بآداب الاسلام . وهذا يدعى منزلة الاولياء والصالحين ، ثم يأتى بما لا يصدر من العامة الجاهلين ، فيا ليتة تأدب فى الخطاب ، خير شفيع لوصل سببه ، لكن الغرور والغفلة ، أعظم أسباب المحنة عيذاً بالله . واما آخر كلامه فقد اشتمل على طامة عظيمة وجراحة كبرى بتعريضه للنبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فى سورة عبس على ما تقدم بيانه فى آخر الفصل الأول ، وهذا فى سوء الأدب ادخل ، وفى الحرمة أشد لان صاحبه قد اعتقد تقصيرا من النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - فعرض له هو به وخوفه من أن يقصر معه مثل ذلك التقصير فيلام عليه مثل ذلك اللوم كبرت كلمة والله خرجت من فى هذا المغرور المسكين ، ولا حول ولا قوة الا بالله، ولا توفيق الا به . فان قلت هذه قصة جاءت فى القرآن وخبر ذكره الله تعالى . قلنا فالجواب عن ذلك ما قاله الامام الحافظ خزائن العلم وقطب المغرب أبو بكر بن العربى فى سورة (ص) من كتاب الاحكام . قال : للمولى أن يذكر ما شاء من أخبار عبيده ويستتر ويفضح ويعفو ويأخذ ، وليس للعبد أن ينبر فى مولاه بما يوجب عليه اللوم ، فكيف بما عليه فى الادب والحد ، وان الله تعالى قد قال فى كتابه لعباده فى بر الوالدين « فلا تقل لهما أفٍ » فكيف بما زاد عليه ، فما ظنك بالأنبياء وحقهم أعظم ، وحرمتهم أكد ، وأنتم تغمسون السننكم فى اعراضهم ، ولو قررتهم فى أنفسكم حرمتهم لما ذكرتم فصنتهم اهـ . وما بعد هذا البيان بيان ، وان هذا الكلام لكاف وحده عند اللبيب المنصف فى

جواب ما تقدم من السؤال • ومن عقائد الايمان مما يجب علينا فى حق الانبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - ان لا نخطبهم بما خاطبهم الله تعالى به ولا نذكر فى كلامنا شيئا مما عوتبوا عليه لا بالتلويح ولا بالتصريح الا بحكاية لفظ القرآن والحديث ، واما الله تعالى فانه يخاطبهم بما شاء ، لانهم عباده وصفوته من خلقه ، لهم من كمال المعرفة به ما ليس لغيرهم ، وله عليهم من الفضل العظيم ما لا مطمع فيه لسواهم ، وأما نحن فموقفنا معهم موقف العبيد مع السادة ، فيجب علينا معهم اعتقاد الحرمة واكبار الجانب ، ولزوم الادب ، فى الاقوال والافعال ، وجميع الاحوال ، ولا يجوز لنا ونحن خدامهم واتباعهم أن نذكرهم أو نخطبهم بما خاطبهم بهم ربهم ومالكهم ، فما أبعدنا والله عن ذلك المقام ، وقد ذكر هذه العقيدة الامام الحافظ أبو بكر بن العربى فى كتبه منها قوله فى سورة (الاحزاب) من كتاب الاحكام : « وعهدنا اليكم عهدا لن تجدوا له ردا ، ان أحدا لا ينبغي أن يذكر نبيا الا بما ذكره الله لا يزيد على ذلك » اه • وقال الامام الصوفى أبو عبد الله بن الحاج فى كلامه على المواسم من كتاب المدخل : وقد قال علماؤنا - رحمة الله عليهم - وان من قال عن نبي من الأنبياء فى غير التلاوة والحديث أنه عصى أو خالف فقد كفر، نعوذ بالله من ذلك (اه • ونقل هذا الكلام عنه الشيخ محمد الزرقاني فى قسم الخصائص من شرحه للمواهب وسلمه : ولا يخفى ان حكم التعريض فى هذا المقام حكم التصريح • فنعوذ بالله - بالدين وتوقع فى سوء الأدب مع سيد المرسلين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم •

الفصل الثالث

اعلم ان السادة العارفين هم ارسخ الناس قدما فى محبة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وتعظيم حرمة ، ومراعاة شريف جانبه ، وتعزيزه وتوقيره وبره ، تجد ذلك فى صلواتهم عليه ، وفى ادعيتهم لله تعالى عند ذكره والتوسل به ، وفى مناجاتهم له عند الشوق اليه ، وفى تأليفهم عند الكلام فى حقه ، وهذه أشياء مروية عنهم ، معروفة منهم ، لا تحتاج الى شاهد ولا تخفى على طالب ، بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم ومريديهم ، بل هم آدب الناس من جميع الناس ، قال قائلهم : من لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان له ولا توحيد له ، وكتبهم بهذا طافحة ، وسيرهم أصدق شاهد عليه ، فمعاذ الله

ان يكون مرتكب ما تقدم مع الاصرار عليه من عامة عامتهم فضلا عن ان يكون ممن فوق ذلك اذ لا نشك ان ذلك الخطاب الغليظ الجافى لا يقوله انؤمن العامى الباقي على فطرة الإيمان ، فضلا عن أهل الخصوصية والعرفان ، ومن لا يراعى الادب فى خطاب سيد المرسلين ، كيف يصلح ان يكون من العارفين المسلمين ؟ اذ من لا يؤدب نفسه كيف يؤدب غيره ؟ ومن لم يؤمن على آداب الخطاب كيف يؤمن على ما يدعيه من مقامات الكاملين ؟ قال أبو يزيد البسطامى - رحمه الله تعالى - لبعض أصحابه : قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية وكان رجلا مقصودا مشهورا بالزهد ، قمضينا اليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقة تجاه القبلة فانصرف أبو زيد ولم يسلم عليه ، وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ؟ اهـ . فانظريا أختي رحمك الله بانصاف إلى هذا العارف الكبير كيف وزن الرجل بميزان الشرع فطرحة لاخلاله بأدب واحد من الآداب - كيف بنا لا نطرح هذا المتهجم على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بقبيح التعريض وسوء الخطاب ؟! قال أبو اسحاق السباطى فى كتاب الاعتصام اثر كلام أبى يزيد المتقدم : هذا أصل ، أصله أبو يزيد - رحمه الله تعالى - للقوم ، وهو ان الولاية لا تحصل لتارك السنة ، وان كان ذلك جهلا منه (6) فما ظنك به اذ كان عاملا بالبدعة كفاحا ! اهـ . ونقول : فما ظنك به اذا كان يتهجم على الحضرة النبوية بمثل ذلك الخطاب الذى لا نظير له فى كلام صغار المنتسبين ، وعامة المداحين الجاهلين فضلا عن كلام العارفين ؟ وقال الشيخ عبد الغنى النابلسي فى شرحه لكتاب الطريقة المحمدية ، عند كلام أبى يزيد المتقدم : ان الله - تعالى - لا يؤمن على أسرارهِ وأنواره الا من أمنهُ أولا على الأخلاق المرضية ، والآداب المحمدية - **« اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ »** - والحكمة وضع الشيء فى موضعه ، وهى ملازمة لأفعال الله - تعالى - لا ينفك عنها فعل من أفعاله تعالى ألبتة ، وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال فى المنتهك للحرمة والتارك للآداب ، بسل الحكمة تقتضى عقابه لا ثوابه أو العفو عنه لا المدح منه اهـ . فلا نشك بعد هذا فى بطلان دعواه الواسعة المضادة لتهجمه واصراره على سوء الادب مع رسول

(6) يعنى ان الولي من لا يكون للشرع عليه اعتراض .

الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولا دليل على حال المرء مثل كلامه ولا
أصدق على قلبه من ترجمان لسانه (7) .

الفصل الرابع

فى بطلان عذره بعجمة السن المحبين

اعلموا ان خير هذه الامة هم أحبها فى نبيها وهم أهل القرون الثلاثة
المشهود لهم بالخيرية على لسان المعصوم وعلى قدر حبهم فيه كان تعظيمهم له
وأدبهم معه .

لما نزل قوله تعالى : « لا ترفعوا أصواتكم » الآية ، قال أبو بكر - رضى
الله تعالى عنه : - والله لا اكلمك بعدها الا كاخى السرار ، وصار عمر - رضى
الله تعالى عنه - لا يسمعه حتى يستفهمه ، ولزم ثابت بن قيس - رضى الله
تعالى عنه بينه وكان جهير الصوت مخافة ان يحبط عمله ، حتى اعتذر للنبي
- صلى الله عليه وآله وسلم - فعذره وبشره بالجنة فانزل فيهم وفي أمثالهم
« ان الذين يغضون أصواتهم » الآية . هؤلاء هم الحجة على الخلق ، وهم
الذين لا يبلغ من جاء بعدهم مدا أحدهم ولا نصيفه ، وهذا أدبهم وهم سادات
المحبين ، وقد كانت أسنتهم - والله - فصيحة فى العلم والآداب منزهة عن
كل ما يعاب ، فما بال هذا المسكين يركب ذلك الركب الصعب ويخرق سياج
الادب ، ويعتذر بعجمة السن أهل الحب ، كلا والله ، لقد تجاسر على أهل
المحبة الحقيقيين وافترى عليهم ، وادعى عليهم ما ليس فيهم ثم لا يجد أبدا
نظيرا لكلامه عند واحد منهم ، وان اقتدى ببعض المفرورين المتعجرفين ممن لم
نعلمهم حتى الآن ، فالحجة من الكتاب والسنة وسيرة السالف الصالح وشيوخ
الطريقة المتقدمين قاطعة به وبأمثاله اجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة فى نصيحة نافعة ووصية جاهمة

اعلموا جعلكم الله من وعاء العلم ، ورزقكم حلاوة الادراك والفهم ، وجعلكم
بعزة الاتباع ، وجنبكم ذلة الابتداع ، ان الواجب على كل مسلم فى كل مكان
وزمان ان يعتقد عقدا يتشربه قلبه ، وتسكن له نفسه ، وينشرح له صدره ،

(7) ما فيك يظهر على فيك - وكل اناء بالذى فيه يرشح .

ويلهج به لسانه ، وتبني عليه أعماله ، ان دين الله تعالى من عقائد الايمان ، وقواعد الاسلام ، وطرائق الاحسان انما هو فى القرآن والسنة الثابتة الصحيحة وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، وان كل ما خرج عن هذه الأصول ولم يحظ لديها بالقبول - قولاً كان أو عملاً أو عقداً أو احتمالاً فانه باطل من أصله - مردود على صاحبه - كائناً من كان فى كل زمان ومكان - فاحفظوها واعملوا بها تهتدوا وترشدوا ان شاء الله تعالى ، فقد تضافرت عليها الأدلة - من الكتاب والسنة - وأقوال أساطين الملة - من علماء الأمصار - وائمة الأقطار - وشيوخ الزهد الأخيار - وهى لعمر الحق لا يقبلها الا أهل الدين والإيمان - ولا يردّها الا أهل الزيغ والبهتان . والله اسأل التوفيق لى ولكم ولجميع المسلمين، والخاتمة الحسنة، والمنزلة الكريمة فى يوم الدين، آمين، والحمد لله رب العالمين .

قال مؤلفه عبد الحميد بن باديس عفا الله عنه : فرغت من تحريره بين عشية يوم الاثنين وصبيحة يوم الثلاثاء السادس والعشرين والسابع والعشرين من ذى الحجة الحرام عام 1340 هـ .

التقاريف

نثبها هنا على حسب ورودها فى التاريخ

تقريظ محمد النخلى :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، اما بعد : فاني اطلمت على الرسالة التى حررها الفاضل العالم ابننا الشيخ عبد الحميد ابن باديس احد المتطوعين بجامع الزيتونة (عمره الله) جواباً عن سؤال فى حق من خاطب النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - خطاب جفاء وغلظة، فوجدتها رسالة حافلة بالنصوص الصحيحة المطابقة لما سئل عنه مطابقة العام لبعض أفراده ، ايده الله بروح منه، وأعانه على القيام بوظيفة الإرشاد فى تلك البلاد المتعطشة لكثير من نظرائه الناسجين على منواله .

ولنا مقالة فيما وقفنا عليه من تأليف هذا الرجل الذى ظهر بتلك الناحية، والله المسؤول أن يجعلنا من الفرقة الناجية . وكتبه فقير ربه محمد النخلى خادم العلم الشريف لطف الله به فى 5 صفر الخير عام 1341 هـ .

تقريظ بلحسن النجار :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ، هذا وقد وقفت على الجواب الذى حرره العلامة الفاضل السرى الكامل ابننا الشيخ عبد الحميد بن باديس فى شأن الأبيات التى سئل عنها ، فاذا هو لباب الحق الذى لا يرهقه نزاع ، وما على الشمس غطاء ، ولا على الصبح قناع ، كثر الله من أمثاله فى العلماء العاملين ، وألهم ذلك المتعجرف رشده كي يستبين سبيل المهتدين ، وإلى الله المشتكى من أناس يتنكبون الواضحة السمحاء ويتتبعون بنيات الطريق ويتطرفون فى مجاهل السبل بغير علم ، ويتدهورون فى مهواة الضلال . فان أولئك من الذين عيرهم الله بقوله : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » . والله المسؤول ان يوفقنا لصالح الاعمال . حرره فقير ربه بلحسن النجار فى 6 ربيع الانوار سنة 1341 هـ .

تقريظ محمد الطاهر بن عاشور :

الحمد لله مؤيد الحق بالحجج الساطعة ، ومزهق روح الباطل بالصوارم القاطعة ، والمضى بشمس العلم مهامه الجهالة الشاسعة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بالدعوة النافعة ، والواجب تعظيمه على كل من آمن به وتابعه ، وعلى آله وصحبه وكل من ذاد صاحب بدعة ودافعه ، اما بعد فإني طالعت هاته الرسالة الحافلة التى ألقها العالم الفاضل نبعة العلم والمجادة ، وقريع التحرير والاجادة ابننا الذى افتخر ببنته الينا ، واتمثل فيها بقول الساعة (. . . ولا هو بالابناء يشرينا) الشيخ سيدي عبد الحميد بن باديس فى تقويم من جرأه جهله على خطاب الحضرة النبوية ، بما تجاوز حدود الآداب الدينية واخطأ الباب الذى رام التطفل عليه من أبواب الصوفية ، فوجدتها رسالة قد أودعها مؤلفها صريح الحق ومحضه ، واكثر فيها من المعانى ما أوجز لفظه ، أكثر الله أمثاله فى المسلمين ، من العلماء المرشدين ، وكتب فى 17 صفر سنة 1341 هـ محمد الطاهر بن عاشور قاضي تونس لطف الله به .

تقريظ محمد الصادق النيفر :

الحمد لله ملهم الحق من اجتباه من المرشدين ، ومدحض الباطل بهديه المستبين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد روح العالمين ، ومحور

دائرة عباد الله المخلصين ، وباب الله الموصل لجميع السالكين ، القائل :
لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، وعلى آله واصحابه والتابعين ،
أما بعد ، وفي كل حي بنو سعد فقد اتحفني الابن الروحي ، والأخ النصوحي
العلامة المدقق ، ومن هو بكل فضيلة متصف ومتعلق ، عمدة المغرب الأوسط
والصاعقة على الدجاجة الطراريس ، الأستاذ سيدي عبد الحميد بن باديس ،
اتحفه الله بكل فضيلة ، وازاح بعلومه وتحريراته كل رذيلة ، بالاطلاع على
هاته الرسالة الحافلة ، التي هي بتحقيق جواب ذلك السؤال الكافلة ،
ولا يخامر عقل مسلم فضلا عن عالم أو سائل أن ينال قيد أنملة من ولاية
أو سعادة دون ترام على الاعتبار النبوية ، وتفاذ بأدب في حب الطلعة المحمدية
ولكنها الاهواء اعمت ، وتفنن في الارجيف والتدجيل أصمت ، أهكذا تكون
السطحات أن كان لك ذوق يا صاحب الأبيات الباردات ، وأما أنا وإن كنت
لست مطلعا على حالك ولا ما أنت فيه ، ولكن كلام الشخص عنوان على
ما انطوى عليه فارجع لرشدك وافق من حال سكرك ، واسلك طريق سادات
مضوا ، واقبل نصيحة الشيخ عبد الحميد ، فما لك والله عنها مجيد ، وأنت
أيها المجيب كثر الله من نصراء الحق أمثالك واحسن عقبى حالنا وحالك
بحوله وطوله لا رب غيره .

حرره : خادم العلم محمد الصادق النيفر في اشرف الربيعين سنة 1341 هـ

تقريظ معاوية التميمي :

اطلعت رعاك الله أيها الأخ الغيور على ما سأل به يراعكم ، ذائدا عن الملة
الحنيفية ، وعلى ما نسجته المعيتكم الصائبة العبقريّة ، في الرد على من وجه
الخطاب للطلعة المحمدية ، بتلك الأبيات ، وماخوته من الترهات ، فتعتصم به
سبحانه من الوقوع في الزلات ، وجدته من العمل المبرور ، والصنيع المشكور .
ناهيك به صنيع يذب عن حمى المصطفى ، ويزيد الذين اهتمدوا هدى ، فله
أنت من عالم تحرير ، ومحام خير ، ولكن عذيري يا أخي من أهل هذا الزمان
فانه ما جراً هؤلاء الناس على التفوّه بمثل هذه الاباطيل بكل قحة ودعارة
الا رؤيتك السواد الأعظم من الأمة الاسلامية المسكينة في انقياد تام لهم -
واظنها دسياسة قديمة تمكنت حلقاتها - يتحرون خطاهم ، ويرون رضا الخالق

مقرونا برضاهم ، فيزيدون فى الاستغراق ، ويخلقون من ضروب الدجل والنفاق ، ما تهتز له السبع الطباق .

ويقدر انقيادهم لهؤلاء القوم تراهم يبتعدون من أولى العلم ابتعاد السليم من ذى العاهة ، أو الخطيب من القهّاة ، ويستنهض بعضهم بعضا فى الابتعاد وزد على ذلك ما استفحل من الداء الدفين فى أهل العلم من الولوع بالتشاكس وهو الانتقاد ، فى كل عمل ما كانت صبغته وبهذا ومثله تسنى لأولئك الانتصار وراجب بضاعة القوم .

فقلت ادعوك للجلى لتنصرنى وانت تخذلنى فى الحادث الجلل
كتبه معاوية التميمى تحريرا فى ربيع الثانى عام 1341 هـ .

تقريف شعيب بن علي بن عبد الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما ، الحمد لله على جميل التوفيق والشكر لله على الهداية لا قوم طريق ، والصلاة والسلام على أشرف من وحده وعنده القائل من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وعلى آله واصحابه أولى العناية بدين الله وتابعيهم من العلماء العاملين وكمل العارفين المؤيدين بتأييد الله ، اما بعد :
فقد اطلعتنى الجهد الامام ، واحد الائمة الاعلام ، المحرر المجيد ، ذى الخلق السننى الحميد ، انيس كل جليس ، الشيخ سيدى الحاج عبد الحميد ابن باديس ، على ما علقه على أبيات من خاطب - النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

ان مت بالشوق منكـد ما عذر ينجيك

فالفقيه الحق الذى فيه لا يستراب ، والمنهج الاقوم الذى لا شك فيه ولا ارتياب فحمدت الله على ان وفقه لذلك وأرشده لسلوك تلك المسالك فانه مشى على أصول سليمة وقواعد مستقيمة يجب الرجوع اليها والاعتماد عليها ، فمن حاد عنها ضل وهلك وخرج عن نهج السلف الصالح ، وغير سبيلهم سلك ، فجزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا ووقاه والمحبين وأنصار الدين سوءا وضيرا

بحرمة اكمل المرسلين سيدنا ومولانا محمد عليه وعلى آله افضل الصلوات
وازكى التسلمات الى يوم الدين آمين والحمد لله رب العالمين .

عبد ربه شعيب بن علي بن عبد الله وفقه الله .

تقريظ محمد المولود بن الموهوب :

الحمد لله الذي جعل الادب الصادق مع سيدنا المصطفى دليل على الحب
- وجعل حبه الكامل علامة على رسوخ الايمان والقرب - والصلاة والسلام
التامان عليه كما يليق به من الله - ما تلى ويتلى : « قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وعلى آله وأصحابه الذين حازوا به عظيم الجاه - .
اما بعد، فقد اطلعتني الأخ في الله العلامة فرع الكمال وزبدة الأصول ذو الانس
والتائيس السيد عبد الحميد بن باديس على جوابه الشافي ونقله الصافي
وكيله الوافي ، بل ونعم الحسام الكافي لقطع رقبة ذلك الذي قاده الخناس
بزمم الوسواس حتى نطق بتلك العبارة المحزنة الدالة على انه ذو إفلاس -
وزين له ان اقبال الجهال عليه لا يكمل الا بتلك الجسارة العظمى على الجنب
الاحمى - وافضل المخلوقات قدما - فوجدته سلسبيلا معينا - كالعسل المصفى
للعلماء العاملين - من بحر شريعة الأمين يجرى - فله در الباديسى المؤيد بما
قاله الكل كالامام الأخضرى .

وقال بعض السادة الصوفية	مقالة جلية صفية
اذا رأيث رجلا يطير	أو فوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع	فانه مستدرج وبدعي
واعلم بان الغارق الروحاني	لتابع السنة والقرآن
والفرق بين الإفك والصواب	يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الأمور كلها	وشاهد بفرعها وأصلها
والشرع نور الحق منه قد بدا	وأنفجرت منه ينابيع الهدى
وقال بعض أولياء الله	السالكين لطريق الله
من ادعى مراتب الجمال	ولم يقم بأدب الجلال
فارفضه انه الفتى الدجال	ليس له التحقيق والكمال

ومن تحلى بحلى المعالي ولحدود الله لم يبال
ففر منه انه شيطان مخادع ملبس خسوان

قال البيهقي فى مناقب الشافعي - رضى الله عنه - المحدثات ضربان :
ما أحدث مخالفا كتابا أو سنة أو اثرا أو اجماعا فهذه بدعة وضلالة ، وما
أحدث من الخير لا يخالف شيئا من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة ، وقال الاستاذ
البكرى - رضى الله عنه - فى الوصية الجليلة ان أهل الطريق يجب عليهم
ان لا يخطوا خطوة ينكرها الشرع عليهم ، فان من خالف الشريعة المحمدية
تاه وضل عن الطريقة المرضية ، فالشريعة أصل والحقيقة فرعها ، فمن لم
يحكم الاصل لا ينتفع بالفرع ، اه . قال سيدى عبد القادر الجيلالى - رضى
الله عنه - : كل حقيقة ردت شريعة فهى زندقة وكل ظاهر يخالف باطنا
فهو باطل ، اه . وقال سيدى ابراهيم الدسوقي - رضى الله عنه - : طريقنا
هذا مضبوط بالكتاب والسنة ، فمن أحدث فيه ما ليس فى الكتاب والسنة
فليس هو منا ولا من اخواننا ونحن بريئون منه فى الدنيا والآخرة ولو انتسب
الينا بدعواه ، اه . وقال أبو زيد - رضى الله عنه - : لو ان رجلا يبسط
مصلاه على الماء وتربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند
الامر والنهي ، اه . وفى مناهج السعادات : قيل للرسول - صلى الله عليه
 وآله وسلم - متى أكون مؤمنا ، وفى لفظ آخر : مؤمنا صادقا ، قال : اذا
احببت الله ، قيل : ومتى أحب الله ، قال اذا حببت رسوله ، فقليل : ومتى
احب رسوله ، قال : اذا اتبعت طريقته واستعملت سنته وأحببت بحبه ،
وابغضت ببعضه ، واليت بولايته وعاديت بعداوته . وقال سهل التستري :
عليكم بالاعتناء بالآثر والسنة فانى اخاف انه سيأتى عن قليل زمان اذا ذكر
انسان النبى - صلى الله عليه وسلم - فى جميع أحواله ذموا ونفروا عنه
وتبرأوا منه وأذلوه وأهانوه ، اه . فاين هذا مما نحن فيه من إساءة الأدب مع
سيد الكائنات ! اللهم لا حول ولا قوة الا بك ، فبشراك يا أيها الباديى لقد
أسعدك الله بالدفاع عن حرمة الرسول كسيدنا حسان بن ثابت وغيره من
الفحول ، وبعدا لمن تشبه بالسالكين كذبا ، وما قرع الباب بيد أداب مع سيد
الاحباب .

هيهات ان تدرك المنى بشقشقة طورا اليك وطورا طوع تلقين
ان السيوف سيوف الله قاطعة والمصطفى حبه فرض من الدين
الا اتندوا عرف المركوب معتبرا لدى السباق حفائر الميادين
نسأله تعالى ان يحفظنا من دسائس الدجالين في حسن سنة سيد المرسلين
صلى الله عليهم اجمعين آمين ، حرره الفقير الى رحمة علام الغيوب محمد التولود
ابن الموهوب المفتى المالكي والمدرس بقسنطينة في الخامس عشر من شعبان
1341 هـ .

تقريف العابد بن أحمد بن سودة :

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد؛ فقد طالعت
السؤال والجواب فنعم الجواب وبئس السؤال ، لان التعظيم والمحبة الكاملة
كلها في اتباع سنة مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :
« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ » . وقال :
- صلى الله عليه وآله وسلم - : « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها
لا يزيغ عنها الا هالك » ولما طالعت رسالة الشيخ الإمام فخر الاقران رئيس
علماء قسنطينة العلامة الجامع مولانا السيد عبد الحميد بن باديس القسنطيني
الفيثما البحر الزاخر ، وتقولها كالانجم الزواهر ، والله يديم حفظه وارتقاءه .
وعليه يوافق عبد ربه سبحانه العابد بن أحمد بن سودة القرشي لطف الله
به .

تقريف محمد بن العربي :

حمدا لمن جعل الحق مع أهل التحقيق ، ومن على من شاء بالتوفيق ،
والصلاة والسلام على سيد الانبياء والرسل والملائكة ، القائل تركتكم على
المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك ، وعلى آله وأصحابه
الاعلام ، ما قال تائل ربي الله ثم استقام ، أما بعد؛ فالذى أدين الله به واعتقده
هو ما سطره سيدنا العلامة المبارك الدر النفيس السيد عبد الحميد بن باديس
لانه مؤسس المبنى صحيح اللفظ والمعنى لم يبق فيه قول لقائل ، ولا تشوف
لمراجعة مجيب أو سائل .

وعليه يوافق عبد ربه محمد بن العربي لطف الله به .

تقريظ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر :

حمدا لمن جعل البيان سحرا ، ورفع بالفصاحة أقواما فكان لهم بين الناس قدرا ، نحمده سبحانه على أن أرسل إلينا رسله تترأ ، ونصلي على سيدنا محمد بحر البحور الزواجر ، وعلى آله وأصحابه وعترته وحزبه أهل النصوص الزواجر - أما بعد - فقد أوقفني خلنا الحميم الصادق . الخل الموافق المنور العالم جميل الاخلاق والاصناف ، سيدي عبد الحق بن وطاف ، على رسالة الشيخ الامام الهمام عالم الديار القسنطينية الايوان النفيس ، السيد عبد الحميد بن باديس ، فالفيتها فريدة في بابها جمعت النقول الصحيحة والاستدلالات اللطيفة :

العلم قال الله قال رسوله قال الائمة من ذوي العرفان
فما العلم الا الكتاب والسنة ، لا الشطحات الكاذبة والادعاءات الفاسدة :
والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء
فما لنا الا اتباع سنة مولانا الرسول ومن خالف سنة مولانا الرسول ،
فالسيف مسلول (فما لنا الا اتباع أحدا) وغاية المقول فيها :
ذى المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والا فللا
ولما فاح مسك الختام قلت بلفظ قريب شامل من بحر مجزوء الكامل :
جاءت السي رسالة عنى بها الكدر انتفى
جمعت أمورا جملة قلبي اليها قد هفا
ألفاظها دريصة سمعي بها قد شنفنا
ولها معان أصبحت بالفعل تحكي القرقفا
من قاسها بالبدرو شمس الضحى ما أنصفنا
شكرا لخضرة سيدي عبد الحميد المقتفا
علامة الدنيا الذى أضحى شريفا مشرفا
وله علي الشكر فر ض عنه لن أتخلفا

قاله وكتبه خديم الحديث الاستاذ عبد القادر بن محمد بن محمد بن عبد
القادر السودى القرشى الله وليه ومولاه ، حرره بفاس حامدا ومصليا .

المقرظون ، أسماؤهم ووظائفهم وبلدانهم :

1 - العلامة النظار المفكر المستقل زعيم النهضة الفكرية لجامع الزيتونة
الشيخ محمد النخلي رحمه الله .

2 - العلامة الاصولى البحات الجامع الشيخ النجار المفتي المالكي حفظه الله

3 - العلامة المحقق القواص النقاد الشيخ الطاهر بن عاشور عميد مجلس
الشورى المالكي بتونس وقاضى الجماعة بها سابقا حفظه الله .

4 - العلامة المحقق الفقيه النوازي المتفنن الشيخ الصادق النيفر قاضى
الجماعة بتونس حفظه الله .

5 - العلامة المشارك الأديب البارع الشيخ معاوية التميمي المدرس بالزيتونة
حفظه الله .

6 - العلامة الفقيه المشارك الشيخ شعيب بن عبد الله القاضى سابقا بتلمسان
والتقاعد الآن ، حفظه الله .

7 - العلامة المتفنن الالمعى المفكر الشيخ المولود بن الموهوب المفتي المالكي
بقسنطينة والمدرس بمدرستها ، حفظه الله .

8 - العلامة الكبير المؤلف الشيخ العابد بن أحمد بن سودة القرشي خطيب
المسجد الادريسي بفاس وقاضى الجديدة سابقا ، حفظه الله .

9 - العلامة المشارك الشيخ محمد العربي المدرس بالقرويين ، حفظه الله .

10 - العلامة المحدث المسند الرحالة الشيخ عبد القادر بن محمد بن
عبد القادر السودى القرشى المدرس بالقرويين بفاس ، حفظه الله .

تبيان :

هذه الابيات المسؤول عنها لم تزل الى اليوم فى ديوان ناطقها شيخ الطريقة
العلوية بين أتباعه بعلمه ورضاه وتقريره مع ما فيه مما هو مثلها أو أشد فى
معاني أخرى . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (1) .

(1) قد اختفت هذه الابيات اليوم ولكن القصيدة التى جاءت فيها ما زالت
بآخر طبعة من الديوان وفيها ما يؤخذ عليه .

رد الفعل :

لابد من رد الفعل من القوم ، فكان قولاً وعملاً ، وهو ما نقصه :

كان أول رد فعل لهذه اللهجة المحكمة والدعوة الموفقة ، المدعمة بالأدلة الشرعية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، وبتأييد أعظم علماء الزيتونية التونسيين ، وعلماء المغرب القرويين ، وعلماء الجزائر المصلحين والرسميين - ان ألفوا كتاباً سموه (الشهادت والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوى) . والكتاب - يبرهن كما يدل عليه اسمه - على مقدار ما أصابهم من الفزع والرعب لأن أمر شيخهم قد أصبح فى شك وبلبلة ، ويحتاج الى من يشهد له بالإيمان والصلاح .

ومؤلف هذا الكتاب هو السيد محمد بن عبد الباري التونسي ، وقد طبعوه بمدينة تونس فى (المطبعة التونسية) الكائنة فى زقاق البلاط ، حيث كانت تطبع جريدة (الزهرة) اليومية . اما المؤلف فقد كان مجهولاً فى الاوساط العلمية الزيتونية .

ومثله كثير ، ممن يسخر فيتسخروا، ويستأجر فلا يأبى أن يجيب .

اشتمل كتابه - الذى بلغت صفحاته 256 - على شهادت - كما يقول - صادرة « من أكابر العلماء من نحو القضاة والمفاتي وأكابر المدرسين ، ومنها من نحو المتطوعين والمرشحين ، ومنها من أعضاء المجالس البلدية وأعيان البلدان ، ومنها ما هو من أعيان الاتباع من الفقهاء والفضلاء ! » (1) .

واذا كانت شهادت العلماء أو المحاكم يستأنس بها فما دخل المجالس البلدية التى تتركب من العامة وممن لا صلة له بالشرعية فى الموضوع ؟

على ان هذه « الشهادت » لا تخرج عن تمجيد الشيخ واطرائه ، والاشادة بسيرته وفضله وتدينه وتقواه واثره فى اتباعه « الطيبين » . فالشيخ ذو مكانة سامية وسيرة مرضية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (2) . وهو كما

(1) كتاب الشهادت والفتاوى صفحة 7 الطبعة الاولى .

(2) المصدر المذكور ، الشهادة الاولى من محكمة مستغانم ، ص 10

جاء فى الشهادة الثانية من مفتى مستغانم « مالكي المذهب ، أشعري العقيدة ، شاذلي الطريقة يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير » (3) .

وهكذا تستمر هذه الشهادات من أولها الى آخرها على وتيرة واحدة مع الهجوم أحيانا على (خصومه) ونعتهم بأقبح النعوت .

وفى الشهادة الأخيرة يذكر صاحبها أن الشيخ يستحق الشكر والتناء من كل مسلم لما قام به :

« من جلائل الأعمال خصوصا إحياء السنة وإماتة البدعة ، وإرشاد الأمة لعمل الصالحات ، وفعل الخيرات ... مزاياكم ظهرت كالشمس فى (رابعة) - كذا - النهار الا على من على بصره غشاوة » (4) .

والملاحظة أن هذه الشهادة الأخيرة صادرة من الحاج محمود ابن الحاج مصطفى التبسي « وقد كان زاول معلومانه بمدينة مصر ، ويكفيه منقبة تجوله فى طلب العلم » (5) .

فكل ما حواه الكتاب لا يكاد يخرج عن مثل ما ذكرناه ، وقد طبع الكتاب وأخرج للناس فى أوائل سنة 1343 هـ .

ولكن يظهر أنه لم يغن القوم شيئا لما فيه من باطل وزور ، ففى بعض الشهادات ما ينسب البدعة وينوه بها ويحتج لشرعيتها كالخلوة ، والحضرة ، وشد الرحال لغير المساجد الثلاثة ، وانظر الى الشهادة الأخيرة التى تشيد بإحيائه السنة وإماتته البدعة ، وهذا ما لا يدعيه العليوية لأنهم يتمسكون بالانتساب الى « المتصوفة » . ولهم طريقة خاصة بهم غير طريقة السلفيين .

ولأن حجة ابن باديس وحزبه كانت واضحة مدعومة بنصوص نطق بها الشيخ ونشرها ، وروجها ، وأنه ما لم يتب منها ، أو يتبرأ من قولها ،

(3) المصدر المذكور ، ص 13 .

(4) المصدر المذكور ، ص 237 .

(5) المصدر المذكور ، ص 237 من الهامش .

ويسحبها من السوق فهي لازمة له ، عليه تبعتها ، ويتحمل أمام الله والناس وزرها . ولا يسلم من هجمات الدعاة الى الحق حماة السنة ؛ وخصوم البدعة .
فى اواخر 1343 هـ - 1925 م برزت صحافة الاصلاح ، كما برزت نسخ طبق الأصل من «ابن باديس» ، وقد تكون لهجتها أشد وأقسى، ومنها «بيضاوى» المحرر فى المنتقد وفى « الشهاب » فقرروا ان يتجاوزوا الرد الكتابي الى الرد العملي ، وبحثوا عن شخصية « بيضاوى » فلم يعرفوه فصمموا على أن يكون الضحية ابن باديس نفسه ، وهكذا دبرت مكيمة السطو بابن باديس ونفذت .



السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس

كاد الاستاذ الامام الرئيس عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - يدفع حياته الغالية ثمنا لصدعه بالحق ، وقيامه بالواجب . وشجاعته في الدفاع عن آيات الله . وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقامه . فقد دبرت مكيذة شنيعة ضد حياته ، وشرع المعتدون فعلا في اقتراف جريمتهم لولا ان حماه الله وانقذه . ومع ذلك فقد شج وجهه ، وسالت دماؤه وذلك مساء يوم 9 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م . وقد طلع العدد 75 من الشهاب ، الذي صدر يوم 11 جمادى الآخرة - 16 ديسمبر ، وفيه صفحة كاملة تعلن بحروف غليظة :

توحش عليوي . . .

انتظروا . . .

في العدد المقبل

السطو الذي وقع على الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في طريق داره بعد خروجه من درس التفسير من أحد المربين في الخلوة العليوية . ما لهم لا يفقهون ؟

أيحسب الطريقون العليويون أن يذهب الشهاب بذهاب أستاذنا ؟

وفي العدد الموالي - عدد 76 من الشهاب الصادر يوم الخميس 18 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 21 ديسمبر 1926 م ذكرت تفاصيل عن هذه الجريمة البشعة ، وهذا نص ما نشر :

بيان

فاجعة الفتك بالأستاذ

فى ليلة الاربعاء 9 جمادى الثانية الساعة السابعة مساء ، كمن احد الأوباش للاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس فى طريق داره بعد خروجه من درس القرآن العزيز ، وفاجاه بضربتين بدبوسة ، الاولى على الرأس والثانية تحت العين ، وكانت الأولى قوية للغاية أراد بها الجاني اسقاط الأستاذ للقضاء عليه .

ولكن اللطاف الربانية ساعدت الاستاذ ، أمسك له اليد التى فيها الدبوسة ، واليد التى يسبل فى الموسيقى بها، وبقيتا يتدافعان فى وسط الدرج المؤدية مهبوطا لداره فى مكان خال من المارة ، وصعودا للنهج العام الذى تكثر فيه المارة إلى أن انتصر الأستاذ وصعد به وهو يستغيث حتى ان صار الجاني يحاول الهروب بعد أن كان يحاول القتل ، ولقوة الضربتين فشل الأستاذ ، وهرب له داخل الزنقة وكانت ذات مخرجين ، فأمر الاستاذ الفازعين ان يسدوا عليه المخرجين لئلا يهرب ، ثم شرع الأستاذ فى البحث مع آخرين فوجده أحد الباحثين فى دهليز فى الدار التى بها مسكن الاستاذ وشاهد الموسيقى بيده فألقى القبض عليه ، بعد إمساك يده التى بها الموسيقى .

وتناولوه كل أحد من الحاضرين وأرادوا الفتك به لرؤيتهم الأستاذ فى ذلك الحال مخضباً بالدماء ، لكن الاستاذ منعهم من ذلك .

ثم أتى البوليس وأمسك الجاني وسار الجميع إلى كوميسارية القسم الثانى ، وبعد سؤاله عن اسمه أجاب : ممين محمد الشريف بن محمد من أهالي جعافرة حوز مجانة دائرة برج بوعريريج، وبعد تفتيشه وفحصه وجدوا تحته ورقة الرجوع فى السكة الحديدية للجزائر ، وسبعة عليوية ، وبوجود ذلك تحته مع هيئة لحيته ، الهيئة المخصوصة لإخوان ابن عليوة، تبين أنه من أتباعه وأنه سخر منه أو ممن يقوم مقامه للفتك بالأستاذ والقضاء على حياته .

ووقتئذ زج فى السجن ، وسير بالأستاذ فى العربة التى أتى بها من موقع القضية إلى الطبيب الجراحي فضمده له الجرح ورجع إلى داره فى مظاهرة كبيرة من جميع الطبقات .

وتحقق أن الجاني من أتباع ابن عليوة الصوفي العصري ٠٠٠ كما أننا تحققنا أن مع الجاني ثلاثة أو أربعة من أتباع الشيخ المربي ٠٠٠ وكلهم أتوا للفتك بالأستاذ حسبما تلقيناه من بعض جيرانه، لأنه قبل وقوع ما ذكره بيومين - كثر ترددهم على هذا الجار وسؤالهم له عن سكن الشيخ وأوقات رواحه ليعرفوا الزمان والمكان المناسب للفتك .

وبالفعل وقع ما ذكر ، ولما وقع البحث من إدارة الكوميسارية أدى ذلك الجار شهادته وعرف الجاني أنه من أولئك السائلين الذين ترددوا على محله لأخذ الارشادات عن محل سكن الشيخ وعن أوقات غدوه ورواحه .

والحمد لله أن سلم الله الأستاذ وفضح كيد الخائنين ، وللناس أن يحكموا على هاته الطريقة - بعد صدور هذا من أعلاها - بما يشاءون « اهـ » .

هذا ما نشرته جريدة الشهاب اثر الفاجعة ، فى بساطة الاسلوب الصحفى الوافى بالغرض البعيد عن التأنق وأظنه من انشاء السيد أحمد بوشمال رحمه الله تلميذ الأستاذ وشريكه فى أعماله ومدير مجلة الشهاب وأحد مؤسسى المطبعة الاسلامية الجزائرية ، ثم خليفة الأستاذ - من بعد وفاته - فى رئاسة جمعية التربية والتعليم الاسلامية وفروعها بولاية قسنطينة ، وفى مشاريع النهضة بها .

شجاعة وقوة بدنية وروحية :

نرى فيما جاء فى الخبر أن الأستاذ ابن باديس أمسك بيدي الجاني ، اليد التى تمسك بالهراوية ، واليد التى تمسك بالموسى ، وتدافع معه فى الدرج هبوطا وصعودا ، واستطاع أن يصعد به الى الشارع العام، وحينئذ افلت منه ، ومع ضعفه من أثر الضربتين وافلات الجاني بقى فى يقظة يبحث عن عدوه مع الباحثين حتى وجدوه ، وما زالت الموسى بيده ولم يخش أن يعود الى محاولته .

والذى يعرف المكان - جيدا - يعرف مقدار الخطر الذى كان يهدد الشيخ ، والحرى الذى تعرض له ، فان السلم صعب المرتقى جدا ، وربما كان ضيقه مما سبب نجاة الأستاذ لأن الجاني قد يعوق حركته بالهراوة ذلك الضيق ، ثم أن الأستاذ كان نحيف الجسم لا يقوى - عادة - على دفع صائل مهاجم ضخم الجثة - فيما يروى - مفاجئ بضرباته .

عزيمة وتصميم : حياة الفرد لأجل مواطنيه

ولا شك أن هذه القوة البدنية التي منحها في تلك اللحظة – رغم نحافة جسمه – مع شجاعة أدبية روحية مما نجاه من هذا الخطر الذي هدد حياته ، ووصل الى درجة محاولة الفتك به ، وكل ذلك لم ينل من أقدامه وعزمه وتصميمه على المضي في طريقه .

ففي عدد الشهاب نفسه 76 الذي ذكر فيه نبأ العدوان ، والذي صدر بعد أسبوع واحد من محاولة الفتك – 18 جمادى الآخرة 1345 هـ – 23 ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد عبارة عن كلمة معبرة منقولة عن الشاعر الهندي العالمي طاغور ، نشرت بحروف غليظة واستوعبت الصفحة الأولى ، وهذا نصها :

كلمات العظماء :

« للحياة معنى فسيح نبيل لذلك الرجل الذي يحيا من أجل فكرة أو مبدأ وان الألم ليتضاءل بقدر اتساع ذلك المعنى . . . والحياة النبيلة الطيبة هي التي يحيا الفرد فيها لأجل مواطنيه ، لأجل المجتمع ، لأجل الناس جميعا » .

الأخطار التي تهدد خادم الأمة

ثم في العدد الموالي وهو عدد 77 الذي صدر في 25 جمادى الآخرة 1345 هـ الموافق 30 من ديسمبر 1926 م نجد افتتاحية العدد كلمة أخرى منقولة عن مجلة الهلال لزعيم سياسي فرنسي هو السيد كايو من رؤساء الحكومة الفرنسية السابقين ، وقد نشرت أيضا بحروف غليظة وهذا نصها :

كلمات العظماء :

« ان من يريد أن يخدم الأمة ويقودها يجب ان يكون متقدما عنها ، وقد عرفنا بالتجربة أن الجلادين (المكلفون بقتل المجرمين) يقفون على الدوام ينتظرون مثل هذا الخادم المتقدم ، ولكن هذا الحظ السيء يجب الا يمنع أحدا من اظهار الناس على أخطائهم وانذارهم بالأخطار التي تتهددهم » .

(الهلال) م . جوزيف كايو رئيس وزراء فرنسا سابقا

وقد كان ابن باديس حقا يحيا من أجل ذلك المعنى الفسيح النبيل ، الحياة الطيبة النبيلة من أجل مواطنيه ومجتمعه والناس جميعا .

وكان لا يجهل الأخطار التي يتعرض له المتقدم على جماعته ، ولا تمنعه هذه الأخطار من صدعه بما أمره به دينه ، وعمله وخلقه .

هذا ما قاله بلسان حاله ، في نقله لهاتين الكلمتين عن بعض عظماء عصره وقال بلسان قلمه - وقد نشر عقب الخبر الذي روى فاجعته في عدد 76 من الشهاب بعد تمهيد من الجريدة وهذا نص ذلك :

شكر عام للإحساس العام

تباطلت على الادارة البرقيات والكتب من جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الاستاذ والاستياء من توحش الجاني العليوي ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره، فجاءنا من جنابه ما يلي :

« انني أشكر - الشكر الجهم - الأمة الجزائرية جمعاء، على ما أظهرته من العطف والشعور نحو شخصي الضعيف بما رأيت من القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته من الكتب والبرقيات من جميع الجهات ، وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التي لا يفصلنا عنها غير الاعتبارات السياسية ، من فاصل الحدود .

« انني وايم الله لأرى نفسي أحقر وأقل من هذا الاعتناء ، ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم ان هذا الشعور العام دليل على ما في قلوب المسلمين من المكانة العظيمة لكلمة الحق ، وسمعة الدين اللذين ما أوديت الا في سبيلها من طائفة تدعى الخصوصية في الاسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

« فهذا العاجز يكرر شكره - بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف، سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا في قلوبهم على مدى الأيام » .

عبد الحميد بن باديس

فحتي - في تلك الحالة المؤلمة كان انما يفكر في المبدأ الذي يعيش من أجله : الصدع بالحق ، وخدمة الدين ، ويأسف جد الأسف الا يفهم الدين من يدعي فيه الاختصاص .

شاهد عيان يروى الحادث

حينما وقع الحادث - منذ ما يزيد على خمسين عاما - كان الشيخ ابن باديس رحمه الله - محاطا - فى معهده العلمى - بأسود الشرى من أبناء الجزائر انحدروا اليه - والتفوا حوله - من جبال الجزائر المنيعه وسهولها الخصبة ، وهضابها المرتفعة ، وصحاريها الفسيحة ، وما منهم الا من يفديه بالنفس والنفيس ، ويخاطر من أجله أشد المخاطر ، ولكنهم فوجئوا بما أصابه .

وكانوا يتلقون عنه الدين الصحيح ، والتربية السليمة ، والوطنية الصادقة وفنون العلم ، والادب الجم ، كان يستقبلهم أو يستجلبهم ويرعاهم ، ويسهر على راحتهم ، وكانوا عنده أغلى من كل غال فى الحياة ، يكادون يكونون على فطرتهم (البدوية) لم يتصنعوا ولم تفسدهم (نظرية) الحضارة .

فلما سمعوا بما وقع له دهشوا ثم اسرعوا اليه محتارين وجلين ومشفقين متسائلين ، ورغم ما كان فيه - تلك الليلة من ألم جسمى ونفسى فقد اذن لهم وتحدث معهم ، وانبسط اليهم ، وأشرق وجهه بابتسامات .

وقد فكرت أن انقل صورة حية عن هذه الحادثة فالتجأت الى الاستاذ العلامة الشيخ محمد الصالح بن عتيق فوجدت عنده الخبر اليقين ، وكان يتكلم عن هذه الحادثة وكأنها وقعت بالأمس القريب مع ألم وحمرة فطلبت منه ان يقصها بقلمه فاستخرج نصها من ذكريات حياته وهذا ما جاء فيها .

محاولة اغتيال الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس (مأخوذ من ذكريات حياة)

في الرابع عشر من شهر ديسمبر 1926م (9 جمادى الآخرة 1345هـ) وقعت محاولة اغتيال شنيعة كادت تؤدى بحياة الأستاذ الإمام من طرف أحد المجرمين المنتسبين لإحدى الطرق الصوفية الغلاة بالجزائر ، بإيعاز من الإدارة الاستعمارية التى ضاقت ذرعا بنشاط الأستاذ فى الميدان الإصلاحى والوطنى، وكانت تعتمد بالدرجة الأولى على بعض هذه الطرق والزوايا ، وتحرص على هؤلاء الأنصار و (الأجباب) فى دعم نفوذها ، والحفاظ على سمعتها وتحميهم من حركة الإصلاح التى كانت تحارب البدع والخرافات التى ألصقوها بالاسلام، وجعلوا منها طقوسا جافة ميتة ، كما جعلت منهم أداة طيعة فى يد أعداء الوطن والاسلام الصحيح ، فاتفقت مصلحة هؤلاء وأولئك على التخلص من هذه الحركة الجادة وذلك بالقضاء على قائدها ورائدها الأستاذ الإمام ، فتآمروا على اغتياله ، وكلفوا أحد أولئك المخدرين من حثالة الزاوية وزودوه بالمال و (البركة) ودعوه الخير (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) .

جاء هذا المجرم من مدينة مستغانم وركب من الجزائر - كما دلت عليه بطاقة السفر - وترصد - ليلا - الشيخ - فى التاريخ المذكور - فى طريقه الى منزله بعد درس التفسير ، وبينما كان الشيخ يسير فى غفلة متلفعا ببرنوسه فى طريق ضيق ودروج وعرة اذا به يفاجأ بهراوة تقع على رأسه ثم على صدغه ، وهنا تتداركه الألفاظ الإلهية وتنتشله من براثن هذا الوحش الهائج وتبعث فى الأستاذ قوة خارقة للعادة فينبى للدفاع عن نفسه فى شجاعة وإيمان ، ويمسك بصاحبه الضخم وكأنه عصفور صغير ويصعد به عدة درجات بمكان ضيق حتى أوصله للطريق العام ، ويصيح مستنجدا فيبلغ صوته الى جماعة كانت جالسة بمكان قريب منه فيهرعون اليه مستصرخين : نحن هنا ، نحن معك يا شيخ !

اما المجرم فقد استطاع ان ينفلت ويلوذ بالفرار ! والى أين ؟ الى سقيفة منزل الشيخ ، ولعله كان ينوى الاجهاز عليه بطعنة من سكين كانت معه، ولكن

خاب ظنه وخذلته (بركة) الزاوية فعثروا عليه هناك ، وكادوا يفتكون به لولا تدخل الشيخ الذى قال لهم دعوه لا تمسوه بسوء، فليس الذنب ذنبه، فما هو الا صخرة مرسله ، وآلة مستعملة . وقد شاع الخبر بسرعة فى البلد فجاءت الجموع تستطلع الخبر وتتأكد من حياة الأستاذ ، وطلبوا رؤيته ، ولكن الأهل المشفقين منعوهم من الدخول حسب أوامر الطبيب، وحرصا على راحة الأستاذ الذى كان فى شبه اغماء متأثرا بما أصابه .

« لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ » .

وبلغ الخبر الى طلبته فجاءوا وجلين مسرعين ، منتعلا وحافيا ، وقد أصابهم الهلع والحزن، حتى بلغوا منزل الشيخ وطلبوا رؤيته فمنعوا من ذلك ولكنهم أصرروا على ضرورة رؤيته ، وقد علا نحيبهم ، فوصل ضجيجهم الى مسمع الأستاذ فأذن لهم بالدخول وكنت فيهم .

دخلنا فقابلنا بابتسامة لطيفة وقال : أتذكرون درسنا الليلة فى تفسير قوله تعالى : « لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ؟ فقلنا : نعم والحمد لله على سلامتك ، والله ولينا ووليك ، وانه لنعم المولى ونعم النصير .

كنا ننظر اليه والدم يضرع جبهته وهم يمسخونه ، وهنا نطق أحد تلاميذه وهو السيد مبروك بن القداري من فرجية (فج مزالة) ولاية جيجل الآن فقال : بلغنا - يا سيدي - انك منعت الناس من ضرب المجرم ؟ فقال : نعم لأنه لم يكن الذنب ذنبه ، فقال المبروك : والله العظيم لو كنت حاضرا ورأيت لقتلته ، ولما سمعت لنهيك ، فضحك الأستاذ . « وكان هذا التلميذ نفسه من أبناء الزوايا ... »

وسألناه كيف وقعت الحادثة ؟ فأخبرنا أنه اشتبك معه فى الدرج بعد ما أصابته ضربة الهراوة ، واستطاع ان يحمله ويصعد به الدرج الضيق الى الطريق العام .

ثم قال : أتدرون كيف تغلبت عليه ؟ فقلنا : هى أعجوبة ، قال : الأمر هين ! ان الرجل بدوى لا يعرف المشي على الدرج خصوصا الضيق منها ، أما

أنا فاني متعود عليه ، فهذا هو السر كما ترون . لكنه فى الحقيقة لم يكن كل السر ، وانما هى عناية الله وحفظه لأوليائه كما نطقت الآية « وَهُوَ وَلِيُّهُمْ » . ثم خرجنا مودعين من طرفه سائلين له الشفاء والعافية ، وأعيننا دامعة ، وقلوبنا دامية . وأذكر انه لم ينم أحد منا فى تلك الليلة بل قضينا ليلتنا فى الكلام على الحادثة والتعليق عليها .

(نقلا عن مذكرات حياة) محمد الصالح بن عتيق

من هو الاستاذ ابن عتيق ؟

والاستاذ محمد الصالح بن عتيق - راوي الحادثة - من ألمع تلاميذ ابن باديس ومدرسته ، وهو من عائلة شهيرة بجبال الميلية الشامخة المخضرة ، نزح منها الى ميله فحفظ القرآن وتلقى المبادئ الاولى على الشيخ محمد ابن معنصر الميلي ، وعلى الشيخ مبارك رحمهما الله ، ثم التحق بدروس الشيخ ابن باديس فكان أثرا عنده يصحبه أحيانا ويعتمد عليه فى تنفيذ بعض مآربه ، ثم انتقل الى تونس حيث أكمل دراسته العليا بتحصيله على شهادة (العالمية) وكانت تدعى (التطويح) عام 1932 م ، ثم انتصب بمدينة الميلية فأسس بها مدرسة وعمت بوجوده الحركة فى الجبال ، ثم نقله الأستاذ ابن باديس الى (قلعة بنى عباس) القريبة من (برج مجانة) موطن المعتدي،فانتعشت تلك الجهات كلها وطمست كثيرا من آثار الفساد الديني والاجتماعي، ووجد من أبناء القلعة جنودا صادقين وجعل منهم - حيثما كانوا - خير أعوان على النهضة الاسلامية العربية .

ولما فتحت أبواب فرنسا للعمال الجزائريين - بعد انتصار الواجهة الشعبية وبعد ان كانت مغلقة على مر السنين ، ولما اغترب آلاف منهم طلبا للمعاش تبين لابن باديس واخوانه من العلماء مقدار الخطر الذى يهددهم فى دينهم وقوميتهم ، فأرسل اليهم طائفة من خيرة طلابه وأعوانه فأسسوا مدارس ونوادى لهم فى باريس ، وليون ، وسانت ايتيان ، وليل ، وغيرها من أهم المدن الصناعية فى فرنسا ، وكان على رأس البعثة المرحوم الشيخ فضيل الورتلاني ، ومن أعضائها الشيخ صالح بن عتيق ، والشيخ سعيد صالحى ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشهيد الشيخ محمد الزاهي ، والشيخ الهادي



الشيخ محمد الصالح بن عتيق

السنوسي وغيرهم ، فازدهرت الحركة وأدت ثمارها اليانة ، ولكن عطلتها الحرب العالمية الثانية ، ثم استؤنفت بعدها بقيادة الشهيد الأستاذ الربيع بوشامة ، والأستاذ سعيد البيباني - بوتقجيت - والأستاذ عبد الرحمن اليعلاوي رحمهم الله، وأدت خدمات جليلة للثورة داخل الجزائر وخارجها ، وكان العقيد عمر عميروش رحمه الله من رجالها اذ كان هو رئيس جامعة الشعب التابعة للجمعية .

رجع الشيخ ابن عتيق الى الوطن واستأنف نشاطه، وروى لنا ان الشيخ ابن باديس كان - بعد اعلان الحرب - يتهيأ للثورة، وانه زاره سرا الى الملية ، وسأله عن مدى استعداد الشعب لها هناك فأجابه : (ان رجالنا رجال بارود) فأمره بالاستعداد والكتمان ، ولكن عاجلته المنية بعد قليل .

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية استأنف نشاطه عام 1944 م فانتقل بأمر من الرئيس الشيخ البشير الابراهيمى الى مدينة تيارت، فأسس بها مدرسة كبرى وحركة ناشطة، وبقي فيها الى عام 1950 م، فانتقل الى مدينة سكيكدة فافتح فيها مدرسة كبرى وعمت حركته كل الشمال .

ولما تأسس أول فرع ثانوي لمعهد ابن باديس في الوطن ، وذلك بالملية (معهد خطاب) نقل لإدارته وبقي يشرف عليه حتى عام 1954 فانتقل الى (البليدة) وأشرف على الأعمال الإصلاحية والتعليمية هناك ، وكان على اتصال دقيق بكبار رجال الثورة وجنودها وهم الذين كانوا يعمرون المساجد في دروس الوعظ ، والنشاط أثناء تنفيذ الأعمال ، ومن هؤلاء الذين كانوا يتصلون به النائر البطل والشهيد الكبير سويداني بوجمعة رحمه الله، كما حدثني، وكذلك كثير من الجنود والفدائيين، واستمر الأمر كذلك الى يناير 1956 م وأخذ بعض الغلاة من الفرنسيين يدبرون لاغتياله ، ولكن السلطة الفرنسية عاجلت باعتقاله وتوجيهه نحو (البرواقية) . وكان ذلك اثر رحلة (في مولي) الى الجزائر، وتغلب غلاة أعداء الجزائر على أمره وخضوعه لشروطهم ، فاعتقل كثير من العلماء ومن لهم كلمة مسموعة في الاوساط الشعبية ، وكانت للشيخ رحلة طويلة في المعتقلات ابتدأت في البرواقية ومرت بأفلو ، واركو ، وبوسوي ، والدويرة وأخيرا سيد الشحمي أو الشامي بقرب مدينة وهران ، ومن صاحبوه وصادقوه في بعض هذه المعتقلات الشهيد عيسات ايدر مؤسس اتحاد العمال

الجزائريين ومن العلماء المشائخ سعيد صالحى ، ومحمد الشبوكي صاحب نشيد (جزائرنا يا بلاد الجدد ، نهضنا نحطم عنك القيود) وعمر شكيرى ، واحمد بن سحنون، ومن المثقفين الثوريين الدكاترة : بوعيد ، وجناس ، وعروة وابن عربية، والاستاذان : زرطال وزعيك ، وهؤلاء كلهم كانوا يؤدون واجبههم فى إلقاء الدروس والمواعظ والمحاضرات، ويحولون المعتقلات الى مدارس تهيئية تثقيفية تحفظ فى المسجونين روحهم الاسلامية الوطنية، وتبث فيهم الثقافة الحققة، وتدفع عنهم الروح الانهزامية الاستسلامية، وتقاوم تعاليم المستعمرين ومكائدهم لتحطيم روح المقاومة . وكانت هذه مهمة هؤلاء الوطنيين فى المعتقلات هى نفس المهمة التى قام بها اخوانهم فى السجون كالحراش، والبراوئية، وتازولت ، وتسطنينة ، ووهران ، وهم الذين كانوا يشرفون على تنظيم صفوف المسجونين وإضراباتهم ، وهذا ما يجعلها تنتقل بهم من معتقل الى آخر ، ومن سجن الى مثله ، وما زال الامر هكذا الى انبلج فجر الاستقلال وأشرقت شمسهُ .

وإثناء هذه المدة فى المعتقلات ضعف بصر الشيخ ابن عتيق حتى آل الى فقدته تماما ، وبعد الاستقلال أجريت له عملية القرنية فارتد بصيرا ، والحمد لله، فاستأنف نشاطه وتولى مناصب دينية وتعليمية ، وقام بمسؤوليات سياسية فى الحزب ذات أهمية .

وهو اليوم عضو بالمجلس الاسلامى الأعلى يوالى نشاطه فى إلقاء الدروس والمواعظ ، وخطب الجمعة ، ويعقد الرحلات الى أقصى الشرق والغرب والجنوب، فيؤدى مهمته على أحسن ما يرام وبفعالية ابن العشرين، مع انه - والسرر بيننا ؟ - تجاوز السبعين .

ان الشيخ صالحا خير مثال لطلبة ومدرسة ابن باديس : ايمان قوي ، ودين صحيح ، وخلق متين ، وعلم غزير ، ووطنية صادقة ، وكفاءة نادرة، وعمل دائم مستمر مع تواضع جم ، وانكار للذات ، ووفاء للأصدقاء والإخوان، وإخلاص فى العمل ، حفظه الله وأمد فى عمره .

الصحافة العربية وحادثة الاعتداء :

كانت - وما تزال - حوادث العدوان مثار اهتمام الرأي العام، فما بالك ان كان هذا فى رجل ينتسب الى الدين ويعتبر من أفذاذ علماء المسلمين ، ولعل

الله سبحانه قدر أن يكون ما سال من ابن باديس سببا في رفعة شأنه وانتشار دعوته وانتصار حزبه .

من جملة المهتمين بالحادث الصحف العربية ولم تكن كثيرة بالجزائر وكانت معدومة بالمغرب ، ولكنها كانت في تونس أوفر وأكثر .

وقد كتبت الشهاب في عددها 78 الصادر في رجب 1345 هـ ، الموافق 6 جانفي 1827 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

(قد اتحدت كلمة الصحافة العربية الجزائرية والتونسية على استنكار واستفظاع ما أتاه الجاني العليوي بإيعاز من رجال طريقته وعدوه جانيا على العلم والصحافة والحرية وكلهم لفتوا نظر الحكومة الجزائرية الى ما يجب عليها من تتبع أصول الجناية وإنزال صارم العقاب بكل متسبب فيها وتشديد المراقبة على هاته الطائفة التي تعتمد في نشر مبادئها الباطلة على القتل وسفك الدماء .

ونحن نشكر لهؤلاء الرصفاء الكرام قيامهم بواجبهم وإحساسهم نحو الأستاذ المعتدى عليه ، ونرجو ان تقوم الحكومة بواجبها مثل ما قامت الصحافة بواجبها . هذا ، وسننشر في اعداد آتية ملخص أقوال رصفائنا الكرام) اهـ .

وهذه الكلمة نشرت والاستاذ ما زال طريق الفراش لم يعد الى نشاطه ، وفي آخرها ما لم يكن ليكتبه بقلمه ، وكيف يرجو من الحكومة ان تقسم بواجبها في حفظ الأمن - وان عنى بها السلطة القضائية وشرطتها - والادارة الفرنسية هي السامرة على بث الفرع والقلق والرعب والفتنة بين المسلمين ! ومع ذلك فيصح كتابة مثل هذا كما اجمعت عليه الصحافة إقامة للحجة عليها وتشريكا لها في المسؤولية .

كما ان متابعة نشر خلاصة عن أقوال الصحافة لم يقع الوفاء به ، لأن فيه تنويها بالمعتدى عليه ، واشهارا مجددا ، ولم ينشر الشهاب الا ما فيه نقاش علمي وثروة ثقافية أو أدبية ، أو ما فيه فائدة في تسجيل الأحداث والأخبار في الموضوع .

حول حادثة الفتك العلوية :

نتابع فيما يلي - من الكتاب - ما كتب عن الحادثة ونشرته (الشهاب) بالأصالة أو بالنقل ؛ ففي باب الأخبار كتبت (الشهاب) فى عددها 78 الصادر فى رجب 1345 هـ - جانفى 1927 م ، تحت العنوان أعلاه ما نصه :

وردت على الادارة كتب عديدة فى السؤال عن صحة الأستاذ وسير النازلة أما سير النازلة فان الجاني اعترف بان السبحة والدبوس والموسى له ، وانه أحد العلويين وأنكر جميع ما نسب اليه .

وقد أدى الأشخاص الأربعة الذين كانوا أول من قبض عليه فى سقيفة دار الأستاذ شهادتهم ، وكذلك جار الأستاذ الذى جاءه الجاني واثنان معه يسألون عن محل سكنى الأستاذ ، ولما واجهه الأستاذ عرفه بشخصه، والبحث لا يزال جاريا .

وأما صحة الأستاذ فقد تماثل للشفاء والحمد لله ، وأخبرنا انه سيفتح دروسه يوم السبت أو الأحد القابل ان شاء الله ، اهـ .

ويستفاد من هذا انه رحمه الله لازم الفراش ما يقرب من أربعة أسابيع (14 ديسمبر - 9 جانفى) ونحن نعلم - بما نعرفه عنه - انه لا يكاد يصبر على فراق دروسه والاتصال بتلاميذه حرصا عليهم وعلى إفادتهم ، وهكذا نراه بمجرد أن تماثل للشفاء عزم على استئناف درسه .

البلاغ الجزائري وحادثة الاعتداء :

لا شك أن القارئ مشوق الى معرفة موقف العلويين - الرسمي - من حادثة الاعتداء ، وخاصة بعد أن اتجهت أصابع الاتهام اليهم، بل والى شيخهم نفسه، وقامت دلائل تدعم هذا الاتهام .

والجواب انهم يوم وقوع الاعتداء لم تكن لهم صحيفة رسمية ولكنهم كانوا بصدد الإعداد لها ، وقد أصدروا بعد بضعة أيام فقط جريدتهم الناطقة باسمهم وعنوانها (البلاغ الجزائري) .

وفى العدد الأول لم تذكر شيئا عنها ، ولكنها فى العدد الثانى ذكرت أشياء ووقعت فى تناقضات عجيبة، وتبرأت من الحادثة، وبرأت شيخهم، وروت

على لسانه أسفه وحزنه لما وقع ، ولكنها لم تذكر شيئا عن الجاني ، واستمر هذا موقفها منه حتى بعد صدور الحكم ضده وثبوت إدانته ، وهذا ما لاحظته عليها جريدة الشهاب من بعد وسجلته عليها .

وقد نشرت الشهاب مقالا باسم (الادارة) تعرف بالبلاغ وتنتقد موقفها وتعجب من اضطرابها، وذلك فى عددها 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ ، الموافق 20 جانفى 1927 م ، وهذا نصه :

« البلاغ الجزائرى :

حمل إلينا البريد بهذا الاسم الكبير العدد الأول والثاني معا من صحيفة ذات ورقة واحدة صدرت بالعاصمة بتاريخ 24 ديسمبر 1926 م ، قال عنها أصحابها انها جريدة علمية ، إرشادية ، دفاعية .

وقالوا : انها تصدر يوم الجمعة من كل أسبوع ، قرأناها ففهمنا معنى علمية إرشادية ولم نستطع فهم معنى دفاعية لأول مرة - لذهاب الذهن فى ذلك مذاهب شتى غير أننا - بعد مطالعتنا للعدد الثاني منها - أدركنا الغرض الذى من أجله أسست هذه الجريدة وفهمنا جيدا معنى (دفاعية) .

وأكد لنا ما فهمناه - وقد يفهمه كل الناس معنا - ان صدور هذه الورقة جاء بعد حادثة السطو على أستاذنا الباديسى بتسعة أيام فقط ! وهى لعمري عجلة يحمد عليها رجال هذه الجريدة ويشكرون، وما رجالها إلا العليويون (بالفعل) أو (بالنسبة الصحيحة) والجريدة بأفرادها - فى الحالين - وجموعها (تكسيرا وسلامة) عليوية لا غير ! !

تصدر الجريدة كما قالوا وتطبع بالمطبعة العليوية ببليدة مستغانم، ومما استلفت أنظارنا عند مطالعة العدد الأول منها وجعلنا نتعجب كثيرا من حسن الصدف اذ رأينا كلمات لكتابتها فى مدحها وتزكيتها جاءت فى نفس هذا العدد من مؤلاء الكتاب الذين هم مختلفون مسكنا وبلادا ! فلم ندر اطلع القوم عليها فى عالم الغيب قبل بروزها فقرطوها بعد أن راقت لديهم، أم كانوا جميعا مع مصدرى هذه الجريدة على ميعاد واتصال تام (كما هو شأنهم فى كل أمر هم عليه متفقون)، فكان العدد الأول منها كاملا حتى فيما يلزمه من تقريظ من

يشهد له من أهله ! وكم تكون هذه الشهادة نافعة وصالحة سيما اذا كان الشاهد والمشهود له ولدي بطن واحدة فى يوم واحد !

اما نحن فلا بسعنا الا ان نتقدم بواجب التهاني والتبريك لكل من تهمة مثل هذه الجريدة الدفاعية، ونتمنى لها ان يتحقق معنى اسمها فيها ! ولانناقشها فى شىء من برنامجها الذى ظاهر ألفاظه الرحمة وباطنها عند علام الغيوب . . .

وبودنا أن تكون كل دفاعات (طريقة العليويين) من قبيل ما جاء فى جريدتهم لا تتجاوز حد الحاجة بالكلام والقول الى ازعاج من يتفاهم معها (بالعصا والموسى !) .

نعم أهمنا - بادىء بدء - موقفنا مع هذه الرصيفة الجديدة أول هجوم تقرر فى خارطتها - باسم الدفاع - فقد كتبت فى العدد الثانى منها تحت عنوان (الشهاب . . .) ما لا نقول فيه وعنه ، الا انه كلام مركب يشبه كلام المحامى الكبير (1) . . . وهو ان كانت عليه مسحة من أسرار الوثائقية والقبطانية مقبول من هذه الجريدة ومعول عليه فى الجملة .

قالت فى ابتداء هذا الفصل المعنون عليه بهذا العنوان : (كنا اعربنا فى عددنا الفارط عن استيائنا عما لحقنا من الاسف من أجل السطو الواقع على الشيخ عبد الحميد بن باديس وما كان بودنا ان يؤذى مثله » .

ورغما عن دلالة هذه الجمل على المعنى المسوقة له وعما اخطرت به بالنا من قولهم (كاد المريب أن يقول خذون) راجعنا العدد الاول كلمة كلمة وحرفا حرفا ، فلم نجد به لا تصریحا ولا تلويحا ولا رمزا ولا اشارة (ولو على مذهب الصوفية) شيئا مما قالت ودل عليه منطوق هذه الجمل ومفهومها ، فعلمنا أن هذا الفصل المضحك قد بدىء - قبل كل شىء - بالكذب الخبرية تضليلا للأفكار واحتجاجا بخلاف الواقع ، وأن فى صدور مثل هذا فى جريدة كهذه فى أول هجوم أو دفاع من دفاعاتها لعجيب غريب .

(1) يشير بهذا الى كلمة وردت فى مقال للأستاذ ابي يعلى الزواوي ينوه فيها بالشيخ العليوى ويزعم انه خير من يمكن ان يدافع عن الأمة مسموع الكلمة لدى الحكام ، ويمكن ان يقنع حتى رئيس الجمهورية ! . . .

وقالت : (أما ما لحق الاستاذ العليوى من الاستياء - وتالله - لكان ابلغ ما ينبغي أن يلحق المؤمن على المؤمن ، وما كان قولنا هذا عن مداينة أو نفاق) هنا تذكرنا قول المثل (صاحبنا يقرئك السلام) وشكرنا الرصيفة المؤمنة ٠٠٠ على شهادتها لاستاذنا عبد الحميد بانه مؤمن ، وقرأنا قوله عز وجل : « ومن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وَغُصِبَ اللهُ عليه وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عذاباً عظيماً » .

وكما شكرنا شيخ هذه الجريدة على ما ابداه أو لحقه من الاستياء الذى تجلت لنا أهميته فى هذا التصريح النفيس ٠٠٠ أما بقية ما اشتمل عليه هذا الفصل المختوم بتوقيع (البلاغ) فكله هجوم على الشهاب ومحاولة لتبرئة طريقة هذه الجريدة وشيخها من تبعة الاعتداء على الاستاذ عبد الحميد بن باديس بجمل وكلم هى من جنس ما تقدم ، وحشيات وتوجيهات واحتمالات ونظريات يقدر ان يحتاج بها كل مجرم فى تبرئة نفسه ، ولكن الحقيقة التى يتوجه اليها البحث (الحقيقى) غير ما يقوله المجرمون ، وقد كانت آخر حجة اختتمت بها الجريدة فصلها هذا كأول ما افتتحت به من الكذب الصريح (المكرر) حيث قالت :

(وقد كنا نبهناها (أى الشهاب) على انه لحقنا من الأسف من أجل هاته الواقعة بقدر ما لحقها وان أبت الا سلوكها فان لكل وجهة هو موليها) كذا قالت هذه الجريدة ولم تستح ولم تخجل من ذكرها غير الواقع مرتين ، ومن راجع عددها الاول لا يجد به أثرا لهذا التنبيه أو ما لحق المنبه من الاسف !

وكفى فى الحكم على هذه الورقة - أن يرى مبصر ويسمع واع - كيف ابتدأت واختتمت فصل دفاعها بالكذب المحض وغير الواقع فى كل ما قالوه وما اعتقدوه بازاء هذا العمل الذى اجترحوه ؟ والى الله تصير الأمور .

« الادارة »

صحيفة الشورى والاعتداء :

من الصحف العربية التى اهتمت بالحادث ونشرت عنه الصحيفة العربية الكبرى (الشورى) .

وكانت جريدة العالم العربى بحق يصدرها الكاتب الكبير ، والصحفي الخطير الأستاذ (محمد علي الطاهر) الفلسطينى فى القاهرة، وقد امتاز بوطنيته

الملتبهة وقلمه السيال ، ولهجته الصريحة ، وأسلوبه الناري ، وقسوته على المستعمرين ، وعلى العملاء والخونة والمنافقين .

ولما بلغه نبأ الاعتداء الاثيم كتب عنه في جريدته ، ونقلت جريدة الشهاب ما كتب تحت عنوان (صدى الاعتداء) في عدد 87 الصادر في 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م ، وهذا نص ما قالت الشهاب :

الجزائر - الاعتداء على رجل كبير :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (الشورى) ما يلي :

(اعتدى أحد الأشرار على الأستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم شبان الجزائر ونهضتها الأدبية ، وقد هجم الشقي الذي اتضح انه من أرباب الطرق المشعوذة على الأستاذ بنبوت كبير وضربه به عدة ضربات فتمكن الأستاذ من القبض على سلاحه والاستغاثة بالناس ثم سيق المجرم الى مركز الشرطة حيث بدى التحقيق .

فنحن نهنيء الأستاذ بالسلامة من شر هذا المجرم ، ونرجو ان تجعله العدالة عبرة لكل من تحدته نفسه بارتكاب الاعتداء على الناس) .

مجلة الفتح والاعتداء :

كما نشرت عنه مجلة (الفتح) التي كانت تصدر بالقاهرة ويشرف عليها المفكر الكبير والكاتب العظيم الاستاذ محب الدين الخطيب ، وكانت حاملة لواء السلفية بالشرق مع اختها مجلة (المنار) لمجتهد العصر العلامة السيد محمد رشيد رضا وقد مهدت للخبر بكتابتها تقريرًا لرسالة الاستاذ ابن باديس ونشرت كل ذلك مجلة الشهاب في عدد 87 بتاريخ 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م ، فقالت ما يأتي :

رسالة جواب سؤال عن سوء مقال :

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا مجلة الفتح وهي لسان العلماء الأزهريين ما يلي :

(جاءتنا من المغرب الأوسط (الجزائر) رسالة نافعة - ان شاء الله - ألفها العلامة السلفي الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من كبار العلماء

المصلحين فى الديار المغربية ، أجب فيها على سؤال قدم اليه من أحد الغيورين على صفاء الدين الاسلامي وجلال الدين المحمدي يستفتيه فى حكم أبيات عامية يتغنى بها بعض المنتسبين الى الطرق الصوفية زاعما فيها انه مغرم بحب النبى صلى الله عليه وسلم ، وانه يطلب اليه عليه السلام الا يهجره والا فانه يحاكمه الى الله تعالى ، وهو معنى سخيف وهذر لا يليق بمقام النبوة ولا يتفق مع دعوى الحب المزعوم .

فكتب الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس جوابا على ذلك يتألف من مقدمة فى وجوب الأدب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى كل حال ، وفصل أول فى بيان خروج صاحب الابيات العامة عن دائرة الادب المرعية ، وفصل ثان فى بيان حرمة مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك الخطاب ، وفصل ثالث فى ان هذا المقال لا يصدر من العارفين ، وفصل رابع فى بطلان ما اعتذر به صاحب الابيات وهو أن « السنة المحبين أعجمية » وخاتمة تتضمن نصيحة نافعة ووصية جامعة .

وقد كتب كبار علماء المغرب تقارير لهذه الرسالة تؤيد ما أجب به الاستاذ المؤلف الذى ما برح يجاهد فى مقاومة خرافات البسها الجاهلون لباس الدين وليست منه حتى أؤذى فى هذا السبيل على جلاله قدره ، واعتدى عليه فى الشهر الماضى بعض المنتسبين الى الطرق ممن عجزوا عن الحجّة فلجأوا الى وسائل الاجرام . هدى الله المسلمين الى فطرة دينهم الذى لا حياة لهم الا به .



سطو جديد بالسيد احمد بوشمال
- اعتداء جديد على اصحاب الشهاب -
عجز عن القول فاضطر الى الضرب - شأن الاوباش

بعد العدوان على الامام عبد الحميد بن باديس باشهر وقع الاعتداء على السيد احمد بن اسماعيل بوشمال مدير الشهاب وشريك ابن باديس في عمله وعظمته الايمن، وأمين سره منذ ابتداء حركته، وخصوصا حركة الصحافة والتعليق .

ولد السيد احمد بن اسماعيل بوشمال بمدينة قسنطينة عام 1899 م . فهو اقل من الإمام ابن باديس بعشرة أعوام - ونشأ بها وحفظ القرآن في جامع سيدي ياسمين - بين سيدي جليس ورجبة الصوف - ولما شرع الأستاذ ابن باديس فيلقاء دروس العربية والدين كان من تلاميذه الأولين واشتغل - في صغره بصناعة الأحذية الأهلية - شأن أمثاله من أبناء البلد في تعلم صنعة ، ثم مارس التجارة ولزم دروس الأستاذ الامام .

ولما عزم الشيخ على إنشاء الصحافة الوطنية الصادقة واعداد مطبعة لضمان سيرها المنتظم قدم له بوشمال خدمة جلية حيث تبرع أن يكون محله التجاري مكانا للمطبعة الاسلامية الجزائرية وهو الكائن اليوم بنهج عبد الحميد بن باديس بحي الاربعين شريفا وكان يدعى من قبل نهج (البكسيس لامير) .

وقد حدثني مدير المطبعة الاخ خليل (الزواوي) بن القشي عن السبب في تأسيس المطبعة والصحافة قال : كنت أعمل بمطبعة (النجاح) وبينني وبين اسماعيل مامي رئيس التحرير النجاح صلة قرابة - وأتقنت فن الطباعة، وكان الشيخ يكتب في (النجاح) فصولا تحت إمضاء مستعار، وقد يتحاشى



(أسرة المطبعة الجزائرية الاسلامية)

فى الأمام الامام الشيخ عبد الحميد بن باديس

وخلفه من اليمين الى اليسار السادة :

خليل (الزواوى) بلقشى - أحمد بوشمال - اسماعيل صحراوى .

الاعلان عن اسمه، ولكن انباء هذه المقالات كانت تصل الى الادارة الاستعمارية فتعرف أسرارها وأحيانا قبل ان تنشر ، فكان الشيخ يتألم ، وذات يوم قلت له : لماذا لا تنشئ لنفسك صحيفة تكون لسان حال حركتك، وتنشئ مطبعة لها ؟ اننى أعتقد ان أترك عملي بمطبعة (النجاح) وأتعاون معك . قال : فأجابنى انه سيفكر فى الأمر ويتخذ قراره بعد الاستشارة ، ثم أعلن قبوله واختيار الذين يعملون معه ومنهم تلميذه الكبير الشيخ مبارك الميلي رحمه الميلي وتأسست عصابة (المطبعة الاسلامية الجزائرية) أول أمرها من السادة : 1 - عبد الحميد بن باديس ، 2 - أحمد بوشمال ، 3 - اسماعيل صحراوي ، 4 - عبد الحفيظ صويلح (الجنان) ، 5 - خليل (الزواوي) بن القشى ، وهذا الأخير هو مديرها وهو الوحيد الباقي بالحياة - أمد الله فيها - ولظروف مالية قاهرة انسحب من الجماعة الشيخ عبد الحفيظ الجنان بعد حين لوفاة والده المرحوم الشيخ صالح الجنان معلم القرآن فى سيدي فتح الله برجة الصوف وهو أول من اعطى كتابه وصغاره للشيخ لالقاء دروسه الدينية العربية ، وكان من تلاميذه الشيخ عبد الحفيظ نفسه . وكان يقوم بالعمل فى المطبعة السيد الصحراوي والسيد ابن القشى .

وقد اصدر الشيخ من بعد تأسيس الطباعة جريدته الأولى (المنتقى) صدر منها 18 عددا ثم عطلت فاصدر اثرها جريدة (الشهاب) ثم تحولت مجلة وبقيت تصدر من عام 1925 حتى كان آخر عدد برز منها فى أوت 1939م وقد حجزته السلطة الفرنسية لأنه نشر مقالا للمرحوم المازني عنوانه (العرب ثمانون مليون ولكنهم لا يريدون أن يخيفوا أحدا) .

وكان هؤلاء النخبة من الشبان أطوع للشيخ عبد الحميد بن باديس من أبنائه وبنائه وعلى رأسهم الشهيد أحمد بوشمال ينوب عنه فى كل المشاكل التى تعرض له ويقدم نحره دون نحره ، وصدره دون صدره ، فلما أسس الجريدة كان هو المدير ، ولما أسس من بعد (جمعية التربية والتعليم) كان بوشمال رئيس قسم الشبان ، فلما توفى عبد الحميد بن باديس تولى رئاسة الجمعية، وبقي يتحمل هذه المسؤولية حتى أوقفت فرنسا نشاطها عام 1957 قبل استشهاده بسنة واحدة ، وكما كان محل ثقة ابن باديس فى حياته كان كذلك من بعده محل الثقة لخليفته الشيخ محمد البشير الابراهيمى واخوانه

الشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد خير الدين ، وغيرهم ، عليه اعتمادهم في كثير من شؤون الحركة ، والى رأيه مرجعهم في الاستشارة وفي تأسيس الجمعيات والمدارس بسائر أنحاء القطر ، ولهذا انتخب عضوا في المجلس الاداري لجمعية العلماء عام 1946 م ، وقام بتنظيم شؤونها المالية مع الشيخ خير الدين ، ثم مع الشيخ عبد اللطيف سلطاني ، وعندما أسس معهد عبد الحميد بن باديس عام 1947 م ، لعب الدور الأكبر في تحقيق مشروعه ، ثم في تأسيس دار الطلبة التي دشنت عام 1953 م ، وكانت - من بعد قيام الثورة - مقرا من مقرات قيادة أعمالها في المدينة ، وقد تحمل مسؤولية المقتصد في معهد ابن باديس ، وفي أيام الإضراب الذي أعلنته الجبهة في أواخر يناير 1957 م ، بقى في دار الطلبة مع التلاميذ للإشراف على (حياتهم) المادية والمعنوية الى نهايته ، وترك عائلته من النساء والمعجزة ورضيع عمره بضعة أشهر هو وحيد .

كما انه سخر المطبعة لخدمة الثورة ، وقد سمعته يحمد الله ويشكره على ان أمد في حياته حتى رأى مطبعة الشيخ ابن باديس تقوم بخدمة الثورة الجزائرية المسلمة وتحقق غرضا من أغراض الشيخ ، وبقي يمارس أعماله السرية في خدمة الثورة وخصوصا مع الشهيد صالح بوذراع أحد أساتذة مدرسة التربية ، والشهيد مسعود بوجريو المتعاون معه في مدرسة سيدي مبروك ومسؤول الكشافة الاسلامية ، وكلاهما كان على رأس الحركة الفدائية بقسنطينة وضواحيها . ثم اعتقل لأول مرة في 17 من شهر أوت 1957 م ، فلم ينطق بحرف يفيد العدو ولا شهد عليه أحد بشيء فأطلق سراحه ، ثم اعتقل من جديد في ربيع عام 1958 م ، وأطلق سراحه ، ثم اعتقل للمرة الأخيرة في 13 سبتمبر 1958 م ، وكان ذلك آخر العهد به ، وقد بلغنا انه عذب عذابا أليما حتى بلغ به الأمر الى تمنى الموت والى دفع الجلادين الى اغتياله ، كان يحقرهم ويشتم دولتهم أمامهم ويستفزهم ويبصق عليهم مما يدفعهم الى قتله وهذا ما فعلوه ، فانه لم يظهر له اثر منذ اعتقاله ، وكان مصيره كمصير صديقه العلامة الشهيد الشيخ العربي التبسي الرئيس الثاني لجمعية العلماء ومدير المعهد رحمه الله ، وكمصير الشيخ محمد العدوي المدرس بالمعهد ، وكمصير الشيخ أحمد جوحو الأمين العام للمعهد ، كلهم اختطف ، وعذب ، وأعدم ،

وقد قدم المعهد أبطالا للشهادة منهم هؤلاء وكثير غيرهم ، كما قدم أبطالا للوفاء ولالجندية بلقوا مناصب عظمى فى القيادة وما زال بعضهم بالحياة ، ولا تشجع بعمل من مات أو بقى بالحياة ، ولكن نذكر هذا من باب ذكر النعمة التى أمر الله بالتحدث بها « **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** » وأى نعمة أعظم من أن يؤدى الانسان واجباته فى خدمة دينه وأمته ووطنه ، ويدفع حياته ثمنا لذلك ، ثم يتحقق له ما اراده .

وهذا المقال عن هذا الاعتداء الجديد نشر بالشهاب 6 رمضان 1345 هـ - الموافق 10 مارس 1927 م . فلم يمر سوى نحو 3 أشهر على الاعتداء الاول الذى كان هدفه صاحب الشهاب حتى عقبه الاعتداء الثانى على مديره .

وقد كتب المقال تحت عنوان (عجز عن القول ...) وهو بقلم الشهيد بوشمال نفسه :

قال رحمه الله : (**عجز عن القول فاضطر الى الضرب شأن الأوباش**) .

من الافاضل الذين اجتمعت بهم فى بلدة الجلفة الشيخ بن عبد السلام الباش آغة ، فكان منه اعتراض ، ومنى دفاع عن خطتنا الدينية فى هدوء . وإذا برجل طويل القامة اسمر اللون ، اعتلى المشيب لحيته بوسام العلم (1) ونشان الافتخار جلس يبخلق (2) فى بعينه بدون سلام ! وولج فى الحديث معنا بدون نظام ، ففهمت من لهجته وابعاده شقة الخلاف بيننا ، وان المفاهمة مع الذى لا يرى الحق الا لجانبه - عنادا وتكبيرا وخصوصا مع شاب - عسيرة النوال .

(1) كانت الادارة الاستعمارية سخية جدا بالأوسمة توزعها على عملائها وتعمر بشاراتها - صدورهم ، ومن سخريتها بهم أنها تعطى وسام الشرف لمسئلا شرف له ، ووسام العلم لمن لا علم عنده !

ونیشان الافتخار يعطيه باي تونس لكل من زاره من الخارج بترشيح من وزير خارجيته ، وهو المقيم الفرنسى ، الذى بيده كل شئ فيها، وكثيرا من الموسمين يزهون على بني قومهم بهذه الاوسمة ، ويعلقونها على صدورهم .

(2) كلمة « يبخلق » كلمة قسنطينية معناها ينظر بأعين مفتوحة بدهشة وثبت وفضول .

سألني الباش آغة ما قولكم في مسألة تجديد العهد (3) ! فقلت - تباعدا
عن النزاع - ان وظيفتي - الآن - هي تجديد اشتراككم ، واعمدة الشهاب
تتشرف بنشر سؤالكم ، وهي رغبة لردود الرادين .

ثم التفت للموصوف المزين الصدر بالاوزمة ورغبت منه تشريفنا
باسمه (4) فاجابني بعنف : لا اعطى اسمي للمتعجرفين . قلت : لماذا
متعجرفين ؟

فنطق واحد - دخيل أيضا - بأبيات معناها أن كل من أتى بفكرة جديدة
فهو يدعى زنديق !

فأجبت : لا مذهبا جديدا نريد نشره ، ولا غاية للشبيبة الا اصلاح الامة ،
وجمع كلمتها على الصالح العام وإتقاذ هذا النشء من براثن الجهل والجوع
والأوساخ .

وأشرت الى ولد واقف امامنا يطلب قوتا ، ومثله كثير اذ لا مؤسسة خيرية
بهاته البلدة ...

ثم هممت بكتابة وصل السيد الباش آغة وفي ذمته أربعة شهور فقال :
هاته الجريدة (انتاعكم) ياخذها ...

فاجابه صاحب الدكان الذي نحن جالسون فيه :

امالا ... على ضلال ؟ ؟

قال : هذا هو مذهبكم .

ولم يبق لي الا ختم هذا المجلس بهاته الكلمة (5) :

(3) المسلم منذ ينطق بالشهادتين يأخذ على نفسه عهدا وميثاقا ألا يعبد إلا الله
ولا يشرك به شيئا ، وأن يقيم أركان الاسلام ، ويتقي الله في السر والإعلان،
ولكن مشائخ الطرق لا يكتفون بهذا حتى يأخذوا على كل (خوني) من إخوانهم
عهد الطريق ، ولعل هذا المراد في السؤال .

(4) حق له ان يسأله لانه تدخل في الكلام وشارك فيه .

(5) يفهم من هذا أن الباش آغة امتنع من دفع ما عليه من دين للشهاب، ويعلم
معارضته لخطته ليبرر شحه وأكله أموال الناس بالباطل ، وموقفه هذا هو
الذي شجع رفيقه على الاعتداء بالضرب .

لا مذهب لنا جديدا ، وخلاف المذاهب رحمة للمسلمين فى الفروع ، ولم يجلب على الامة ما جلبه عليها الا هذا الافتراق الطرقي الذى نحن بصدد ازالته ، وولجنا لاجله هذا الطريق الصعب وقلنا الحق الذى أغضب كثيرا من الناس

أفلا يكون المسلم مسلما الا اذا جدد العهد وصار تابعا أو خادما لاحد الاشياخ ؟

ايه ! انا نرى ونسمع - وقد رأينا وسمعنا - أعمال وأقوال الذين جددوا هذا العهد ... !

فما سمع هذا الكلام - المخلوق الذى ستعرفه حتى قام ووجه الى ضربتين لولا تباعدي منهما لوقعتنا عليّ ، وأخذ يقول : لا تستحي ، تسب الأولياء وتقول هذا الكلام أمام الباش آغة (6) ، وشرع فى سرد ألفاظ السب والبذاءة فى ملا من الناس مجتمعين أمام الدكان .

خلته فى تلك الساعة - مع هيئته ووساماته - من أخس الاوباش (7) الذين لم يعرفوا للتربية معنى ، ولا للآداب اسما .

وتعوذت بالله من الحمق والتكبر والطغيان والافتراء وتلطيف اعراض الابرياء لتضليل البسطاء ليبقوا عبيدا أشقياء .

لم يكفه ذلك ، بل أحب ان يفرى بى الحاضرين بقوله :

« لو أحببت لسلطت عليك عشرة من هؤلاء ليفتكوا بك » يعنى دونكم ، فيه - ولكنهم كانوا أعقل منه ، فوقفوا بينى وبينه ، فانصرفت. وانا أقول : لا أحب ان أكون مجنونا مثلك فأسانى أحدهم بقوله : هذا هو صاحبكم الذى قلتم له : « حشلف يا حشلاف » .

(6) يقول هذا لارضاء سيده الباشاغة حتى ترضى عنه فرنسا !

(7) الأوباش جمع الوبش ، وهم سفلة الناس واخلاطهم .

عجبت من قوله وأخذتني الريبة حيث كنت أظن ان هذا المخلوق صبايحي (8) قديم ، أو دائرة (9) متقاعد مفرور فاذا هو قاضى يحكم بين الناس ، ويصلح بين المتخاصمين . . . ! ومؤلف أيضا . . . !
ما الحامل له على هذا الجرم ؟ لقد ألقى بنفسه فى صف الجنة الأوباش !
قال صاحبي : لا غرابة ، وقص علي من حديث (القلاقلية) ما ازال عجبى واستسمح قرائى فى عدم ذكره .
وقد بلغنى ان السيد الباش آغا ابنه على فعلته المخالفة للآداب وازرائه بوظيفته (10) .

احمد بوشمال

اثر الحادثة وسببه :

تركث هذه الحادثة اثرا اليما فى احساس الشيخ عبد الحميد لما اصاب مدير مجلته ولكون المعتدى يحتل منصبا دينيا خطيرا فى مجتمع المسلمين ولهذا علق عليها بقوله :

(الشهاب) يسؤنا - والله - ان يكون فى هيئة القضاء المحترمة من تنحط تربيته الى هذا المقدار ، وإن كنا نعلم شذوذ هذا الرجل فيها بهذه

(8) كان فى الجيش الفرنسى فرقة (الصبايحية) أو (السباييس) يمتازون بضخامة الاجسام ، ويركبون الخيول - فهم فرقة من الخيالة . ولا شك ان اسمهم من غارات الصباح ، لانهم يصبحون العدو . هذه الفرقة تتكون من المتطوعين فى الجيش الفرنسى ويكثر هذا النوع فى ناحية الجلفة وفى ناحية عين البيضاء وفى الجريد التونسى لان القوم فى هذه الجهات كلها فرسان .
(9) دائرة يطلق على اعوان الحكام فى البلديات الممتزجة ينفذون تعليمات المتصرف وأصل الكلمة أن قبيلتين من قبائل وهران كانوا تعاونوا مع الفرنسيين وتجنّدوا لخدمتهم وهما الزمالة والدوائر . وكانت لهم سمعة سيئة جدا ، وفى الامثال العامية : (صاحب الكلب وما تصاحب الدائرة . وخذ بنت عمك ولو كان حائرة) .

(10) لابد من مثل هذه الكلمة لفصل الباشاغا عن مسؤولية الاعتداء ، حتى لا ينضم الى المعتدى ويقف الى جانبه ويقدم تقريره « الرسمي » فتسوء العاقبة أكثر .

الاخلاق ، وما كنا لنشرفه بالمقالة والملامة كالأحرار ، وهو من أهل الضرب والعصا . . . لولا انه رجل دفعته غيرته المرابطية . . . وحمته الطرقية فدخل ميدان الكتابة والتأليف أيضا . . . فتمسك به أولئك الغرقى الذين يتمسكون حتى بخيوط الخيال ، وتبجحت به تلك الفئة التى ترى فخرها وانتصارها فى كل كويتب ونويظم يضرب على نظمها ويكثر سوادها ، فرفعت أصواتها منوهة به وبكتابات الخرافية التى وجدت فيها الضالة التى كانت تنشدتها ، حتى رجا صاحب الضالة (هداه الله) ان تحى طريقة الجنيد السالك بخرافات حشلاف . . .

فوجب علينا بعد هذا كله ان نذكر هذه الواقعة ليعلم من ينظر الامور بعقل وانصاف مقدار من تنتصر به تلك الفئة ومقدار تحرى كاتبها فى مقالاته وان القوم يلتجئون لأيديهم عندما تقطع السنتهم من جانبيهم العليوي الى قاضيهم حشلاف .

الى الأمام :

كل هذه الآلام ، والمحن الجسام ، لم تثن عزم ابن باديس وصحبه الكرام ولم تردعهم الا اندفاعا الى الأمام .

فبعد أشهر قليلة كملت لهم السنة الثانية فى ميدان إعلان الدعوة بالصحافة الوطنية ، ودخلوا فى السنة الثالثة بالعدد الـ : 100 من الشهاب ، وفى صدره بشرى بالعيد السعيد - عيد النحر - وتقديم « خالص التهنئة والتبريك لأبناء الاسلام عموما ولقرائه وأنصاره وحزب الإصلاح الدينى فى شمال افريقيا خصوصا . . . داعيا الله تعالى أن يعيده على الجميع بالهناء والسعادة والمجد والسيادة » هذا ما جاء فى التهنئة .

وقد جعل افتتاحيته فى الحديث عن ختام السنة الثانية من عمر الشهاب واستقبال السنة الثالثة منوها بالماضى وما كان من أحداثه ، متطلعا نحو المستقبل فى ثقة وثبات . وهذا نص ما قال :

« الشهاب » بعد عامين

الى الخطوة الثالثة :

مضت على الشهاب سنته الثانية ، وكانت سنة ابتلى فيها أصحابه وزلزلوا زلزالا شديدا .

أصيبوا فى أبدانهم ، وفى أموالهم ، وفى أعراضهم • فما ضعفوا
وما استكانوا وصبروا صبرا جميلا •

تنمر لهم قوم لدعوتهم السياسية - وما هى الا وجوب تسوية الجزائريين
بساائر « أبناء » فرنسا فى الحقوق كما سوا بهم فى الواجبات - فرموهم
بالفكرة الشرقية بالتعصب للجامعة الاسلامية ، وبالعلاقات الاجنبية - رميا
ليس معه ما يشبه البرهان ، ولقد كادوا ان ينالوهم بسوء لولا سعي صادق
تؤيده الحجة ويحوطه الاخلاص من جهة « الشهاب » وعقول كبيرة تهديها
الحكمة ويقودها الانصاف من جهة من بأيديهم أزمة الامور هنا وهناك •

وتنكر لهم قوم لدعوتهم الدينية ، وما هى الا لزوم الرجوع الى الكتاب
والسنة بالاهتداء بهما فى جميع الاعمال ، والتحاكم اليهما عند كل نزاع
- فرموهم بالافك ، وحاولوا - لو استطاعوا - بهم الفتك ، وخرجوا معهم عن
دائرة العلم التى تضيق عن غير أهله الى دائرة أخرى تسع كل قوال ...

ولو كانوا فى جموعهم الكثيفة ، وأموالهم الكثيرة ومنزلتهم عند العامة
منذ قرون - على شئ من الحق لقضوا على هاته الجماعة فى أمد قريب - لكن
الله - وله الحمد - يحق الحق ويبطل الباطل ، ويدافع عن الذين ، آمنوا
وينصر من نصره ، ان الله قوى عزيز • فذهب افك الافاكين هراء فى الهواء ،
وآب جميع الفتاكين بالخيبة والعناء ، وثبت الشهاب نجما ساطعا يزيد
قراؤه ومشتركوه ولا ينقصون •

صحيفة أسستها فئة قليلة ، بمالية ضئيلة لتخدم مبدئين عظيمين وثبتت
أمام القوة والمال والكثرة ، فقضت عامين من حياتها ، ماضية على خطتها ، غير
خاضعة ولا متملقة ولا مستعينة بزيارات ولا هدايا ... ولا اكتتاب ،
ولا إعانات ... هذه - والكلمة (شهادة الله) للحقيقة والتاريخ - هى
صحيفة (الشهاب) •

واذا كان لذلك من سبب فهو صدق الدعوة واحقيتها والاخلاص فيها
والثقة بالله ، ثم بأهل الفطر السليمة ، والافكار المستنيرة فى تأييدها • واذا
كان لذلك من فضل فهو لكتاب هذه الصحيفة بتونس والجزائر ، والمغرب
الاقصى ، والازهر الشريف ، ولانصارها بهاته الافطار •

واليوم - ان شاء الله تعالى بتلك الدعوة الحقّة الصادقة ، وبذلك الاخلاص التام ، وبذلك الثقة الكاملة ، يدخل الشهاب سنته الثالثة ، راجيا للامة الجزائرية كلها فى وجهتها السياسية ان تنال جميع حقوقها حتى تكون عضوا حيا عاملا فى الجسد الفرنسوى العظيم ، وفى وجهتها الدينية ان تفقه دينها بفقه الكتاب والسنة ، وان تهتدى بهما اهتداء سلف الامة لا غلو ولا تقصير ، وان تسلك الى ذلك طريق التفاهم بأدب وتعقل ، والتناصح بحب وشفقة واخلاص » .

الادارة

حركاتنا ذاتية :

كذلك كانت اتهامات أعداء النهضة القومية آنذاك سواء من الجانب الاستعماري وعملائه وسدنته ، أو من الجانب الخرافى المستغل للفغلة والجمود - فكل من يتحرك يتهم بان حركته ليست ذاتية وانما هو (عميل) للجامعة الاسلامية ، أو الدول الشرقية - وكانت الوهابية هى التى خرجت منتصرة فى العشرينات ، فلما هاجمت الصحف المغربية الفرنسية اللسان (الشهاب) و (البرق) زعمت انهما تعملان بايعاز من (السعودية) ثم تحولت النهضة من الشرق الاسلامى الى الشرق الاوروبى ، فكان من التهم العمل للشيوعية .

واتضح لكل الناس ان (تحرك) الجزائريين (ذاتى) وانهم كسائر الشعوب يعملون للنهوض والتخلص من العبودية الاستعمارية ، الا بالنسبة للفرنسيين فانهم - حتى آخر لحظات حرب التحرير - كانوا يتهمون المحاربين بـ : (العمالة) لغيرهم .

لقد أشار الشهاب الى ما أصاب جماعته فى أبدانهم ، وأموالهم وأعراضهم ، فاما فى أبدانهم فقد سالت دماؤهم - بالفعل - وكاد يقضى على زعيمهم . وروعوا ترويعا يكفى ان يصد غيرهم عن متابعة الطريق . وأصيبوا فى أموالهم بالنفقات الباهضة - لمثل من كان فى وضعيتهم - على مشاريعهم، وكانت المداخيل لا تغطى النفقات ، وليس لهم موارد أخرى . وحتى بعد انتصار الفكرة ونجاحها فى الثلاثينات كان الشيخ عبد الحميد يتناول مرتبا

أسبوعيا من المطبعة والشهاب - مائة فرنك فقط - وحتى بعد موته رحمه الله
بقى هذا المرتب يخرج من الميزانية ويدفع كصدقة عنه ، هذه حقيقة ربما
تذكر لأول مرة .

وأما ما أصابهم في اعراضهم فقد كانت جرائد خصومهم مليئة بسوء
القول وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإشاعة الفاحشة في الذين
آمنوا ، كانت البلاغ الجزائرى ثم المعيار وغيرها تتولى كبر ذلك
وتروجه .

و (الشهاب) - وكتابتها - تتصامم عنه ولا تبيح ان تنشر مثله . فلما
بلغ السيل الزبى أسس بعض كتاب الإصلاح جريدة (سفينة) مثل جريدة
(المعيار) فكالوا لها بصاعها وخاطبوها بلهجتها ، وجروا معها في ميدانها
فظفروا بها وانتصروا عليها ، واحرقت (الجحيم) المعيار وأصحابه
« ولن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » .

ومن عجيب الامر أن ما روجته (المعيار) و (البلاغ) واصحابهما في الوسط
وراج في السنة السفهاء ، حتى وقع فيه بعض ذوى الغفلات ، ورمزوا اليه في
(المؤلفات) . . . وأذوا به الأحياء والأموات ، ولو التفتوا حولهم لكان في
(وضعيتهم) عبرة رادعة لهم عن مثله ، ولو اتقوا الله وتأدبوا بآداب الاسلام
الحقة لكان لهم غنى عن الاشارة اليه ولو رمزا ، حفظا لكرامة صديق عزيز
يدعون الوفاء له ، قال تعالى يؤدب المؤمنين ويعلمهم :

« لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ فَقَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ
مُبِينٌ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَلْتَمُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ
هُمُ الْكَاذِبُونَ »

ونحب ان نلفت نظر النبهاء ان المقال صدر في ظروف عسيرة كشف عن
بعضها وقد ورد فيه تعبيرات تقتضيها تلك الظروف الحرجة ، وهي تدفع
شرا وتلقم الدسائس حجرا ، ولا تلحق بالمبدل ضرا .

منها قول الشهاب (تسوية الجزائريين بسائر أبناء فرنسا) . فليس في
ذلك اعتراف بان الجزائريين من (أبناء) فرنسا بدليل أنهم غير (أبناء) فرنسا
ولكن ولما كلفوا بالقيام بجميع الواجبات فانهم استحقوا جميع الحقوق ، وهذا

منطق قانوني لا يدفع ، ودفعه من خصومهم يكذب (دعوى) هى قائمة منهم باصرار ، ويثير حفيظة (المظلومين) ، ويهيجهم ، ويبعثهم على الحركة والمقاومة . وفى مقال آخر وضع الشهاب غرضه بآبين من هذا منشدا عليه قول الشاعر العربي القديم يعلن رفضه للضميم :

واذا تكون كريمة أدعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

فالنتيجة التى كان ابن باديس يسعى اليها - بمثل هذا - هى ان يثور الشعب على هذا الوضع الفاسد لدفع الضيم ويعلن بلسان حاله وفعله ومقاله ما أعلنه نفس هذا الشاعر فى قصيدته تلك :

هذا - وجدكم - الصغار بعينه لا أم لي ان كان ذاك ولا أب

وهذا ما كان بالفعل ابتداء من عام 1945 م ، غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية ، واستمر حتى عام 1962 م ، ففضى الأمر، وتم النصر، والحمد لله .

وكذلك القول فى عبارة (لتكون عضوا حيا فى الجسد الفرنسى !) فما كان الشهاب وأصحابه يسلمون بأن الجزائر عضو فى هذا الجسد ، وقد أعلن لما حان الوقت بان (الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت) . وليس هذا قول صحفي فقط فى مقال ، ولكن هذا ما أكدته ابن باديس أمام لجنة رسمية برلمانية جاءت للبحث والتقصى عن الحالة فى الجزائر، فأبرز أحد اعضائها عددا من مجلة الشهاب وسأل ابن باديس بما فحواه - وهو يريد توريطه ، وإقامة الدليل على انفصاليته .

هل تقولون وتعقدون أنه يوجد فى الجزائر شعبان اثنان مختلفان جزائري وفرنسي ؟

فأجاب نعم ، هو الواقع ، هذا مبدأ جريديتي . وقد أيده فى قوله هذا بقية أعضاء العلماء فى حضرة الوفد .

وكان الغرض من السؤال إثبات تهمة (الانفصالية) المتهم بها ! فهذه الكلمات الموهمة التى وردت فى هذه الافتتاحية جاءت فى مقال كتب عام 1927م فى ظروف أعرب عنها المقال نفسه ، فلا بد منها لإحباط مكائد من أشار اليهم وأشتكى من دسائسهم ؟

ما مع مثلك يتكلم يا جودى . . . !

لم يكتف حشلاف باستعمال يده ولسانه فى الاعتداء على السيد أحمد بوشمال مدير الشهاب ، ولكن رفع قلمه وراسل جريدة النجاح لسان حال القياد والباشغوات والقضاة ! يزييف الحقائق ، ويتمادى فى الشتم ، فكتبت ادارة الشهاب كلمة فى عددها 88 الصادر يوم الخميس 14 رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، تحت العنوان أعلاه تقول :

(نشر الشهاب (الحادثة الحشلافية) كما وقعت بالصدق والصراحة المعروفين فيه فنشر (النجاح) مقالا من الجزائر تحت عنوان (تزييف دعوى) بامضاء هذا المذكور . خرج فيها من التزييف الى السب والقذع والافتراء مما تنتزه الأقلام عن رقمه ، والصحف الراقية عن نشره . تاخر العدد الماضى من الشهاب فما وصل الجزائر الا عشية الجمعة ، وقد علمنا بوجود المقال فى إدارة جريدته يوم السبت فهل أتى فى طيارة خاصة أم هى ، من قبل ، أم خلق بنهج القصة (1) ؟

(1) القصة مكان بقسنطينة فيه كانت مطبعة وإدارة (النجاح) واذا كانت مجلة الشهاب - التى بها ذكر خبر الحادثة - وصلت الى الجزائر مساء يوم الجمعة فلا يمكن ان يصل الرد عليه الى قسنطينة - بعد قرائته فى الجزائر - يوم السبت الا اذا حمل فى طائرة خاصة ، وكان البريد لا يحمل فى الطائرة لقلة استعمالها . فلا بد اذا - - اذا - صحت نسبته الى كاتبه الحشلافى ان يكون هى ، من قبل ، أو يكون قد هى ، بجريدة النجاح نفسها فى نهج القصة بقسنطينة . وهو أقرب ، وكان مامي اسماعيل ومحرروه مستعدين للكتابة ضد أنفسهم اذا قبضوا الثمن ، وبهذا صارحني اسماعيل ذات يوم لما لمته على نشر مقال ضدي وليس بينى وبينه سوء فقال : « عفا الله عنه ، الفلوس ! هات مائة فرنك وأكتب الرد علي وفى هجوي ما شئت أنشره لك ! قلت أتفعل هذا ؟ قال : أى والله !

اما ما لا شك فيه فهو دخول أصبح الادارة بالتحليل والتتبع الذي لا يخفى على من يفرق بين اساليب الكتابة ولهجات الكلام ، فهنيئا بهذا الكاتب البديع الجديد فلتوسع أعمدها لسببه وقذعه وما وعد أو توعد بنشره عن زعماء حزب الاصلاح الديني ورجاله (جماعة الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (2) كما يقول المذكرون .

ولتتحمل باكتافها العريضة مسؤولية ذلك أمام الشرع والقانون والادب العام كما تحملت مسؤولية ما زفر به كاتب من كتابها في شأن تونس الخضراء مستهزئا فقال :

خدعوها بقولهم حسناء - وهي خلو من الجمال بلراء (3)
هذا ومديرها (4) حسنة من حسنات تونس وعلمائها ، وجنابه لا ينكر ذلك . وما عندنا شيء من بضاعة القذف والسفه فنكيل منها لهذا المذكور

(2) هذا ما كان يتهم به الخرافيون حزب الاصلاح . فاذا انكروا ان (الاولياء) يتصرفون في الكون وينفعون ويضرون ، ويعطون ويمنعون قيل لهم : انكم تنكرون الاولياء وينشدون عليهم قول الجوهرة :

وأثبتن للأولييا الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه !
(3) صدر البيت لشوقي رحمه الله يقول :

خدعوها بقولهم حسناء والفواني يفرهن الثناء
ويقول بعده :

أتراها تناسث اسمي لما كثر في غرامها الأسماء
وأما الكاتب المستهزئ بتونس فأظنه الكاتب الشاعر القسنطيني محمد الصالح خبشاش وكان محررا بإدارة النجاح ومترجما لها الأخبار وأديبا كاتبا شاعرا ، ولكنه ابتلى بالكحول فاضطر الى ان يسخر قلمه فيما لا يؤمن به ، ولم يكفه النجاح حتى نشر مقالات في جريدة (النهضة) بتونس ، وكان لها مشرب النجاح ، وقد كتب عنها ذات يوم كاتب جزائري - عباسية في صحيفته مقالا تحت عنوان : مسيلمة وسجاح أو النهضة والنجاح (4) ومدير النجاح هو الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي من مشائخ زاوية طولقة وهو عالم متخرج من الزيتونة تولى الافتاء ، وكان يجالس الشيخ عبد الحميد بن باديس ولا يؤمن بالخرافات ولكنه كان - في النجاح - مفلوبا على أمره لان الادارة الفرنسية سخرته ووجدت في اسماعيل مامي طلبتها .

وأمثاله بصاعهم فاننا - علم الله - فقراء من هذه المزية ٠٠ أو الرزية ٠٠ من حيث كانوا منها أغنياء فلتتخب ادلرتهم وكتابها وأذناها ومن دارت بهم ٠٠ وداروا بها ٠٠ في هذا الميدان - ان شاءت - وتضع ، فليس عندنا لمن هانت عليه نفسه واستطابت هذا المرتع الا قوله الشاعر لآخى أبى مسمع ٠٠٠
ادارة الشهاب - بلسان حزب الاصلاح الدينى



تكرر الاعتداء على أصحاب الشهاب

وسوء سلوك أصحاب (النجاح) و (البلاغ الجزائري)

هذا أبو يعلى الزواوي ينحي بالملائمة على جريدتين هجيراهما آنذاك المهر بالسوء من القول ، ومحاربة حركة النهضة القومية ، والاصلاح الديني بالجزائر ، وفي التعريف بهما نقول :

أما جريدة (النجاح) فانها من أوائل الجرائد العربية بروزا إثر الحرب العالمية الاولى . أسست عام 1337 هـ (1919 م) بمدينة قسنطينة ، وكانت أول أمرها مشروعا وطنيا يشمل مطبعة عربية ، ومكتبة وجريدة عربيتين . والمؤسس هو السيد عبد الحفيظ بن الهاشمي من آل زاوية (سيدي علي ابن عمر) بطولقة ، الرحمانية وقد ولد عام 1310 هـ ، وبعد حفظه القرآن هاجر الى تونس ثم رجع بشهادة التطويع (العالمية) . ولما أسس جريدته أسند رئاسة تحريرها الى السيد إسماعيل مامي - ويعرف أيضا بابن عبيد - من عائلة شهيرة بمدينة قسنطينة . وكانت النجاح أول أمرها مؤسسة وطنية استبشر بها العلماء والأدباء والمفكرون وشاركوا في تحريرها وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ، كان يكتب فيها باسمه الصريح أو بامضاء مستعار « العبيسي » اقتباسا من اسمه ولقبه ، أو انتحالا للقب عنترة الذي كان من الشعراء الاثريين عنده ، وقد أقرأنا معلقته وختمها لنا شرحا وتحليلا عام 1933 - 1934 ، وكتب في (النجاح) أيضا الشيخ العربي التبسي ، والاديب محمد النجار الحركاتي . والشيخ أبو يعلى الزواوي وغيرهم ، وازدهرت حركتها حتى أصبحت أول يومية عربية جزائرية . ولكن الادارة الفرنسية لا تستطيع أن تبقي مثل هذا المشروع مستقلا ، وما كان لأصحابه من قوة الإيمان والصبر

والاحتمال ما يقدرون به على الثبات والتضحية فسقطوا فى حبائلها وقبلوا ان يتعاونوا معها وأن ينالوا حظهم من «الصندوق الأسود» فى مقابلة مقاومة الحركة الوطنية ، ومهاجمتها ، ومن ذلك أن الشيخ ابن باديس الذى كان ياتمنهم على سره فى مقالاته أصبح معلوما عند الادارة الاستعمارية، معروفة ميوله ومقاصده، وهذا من أسباب استقلاله عنهم وتأسيسه المطبعة الاسلامية ، وانفصال السيد ابن القشى عن النجاح وانضمامه الى مشروع ابن باديس كمدير للمطبعة .

وهكذا تنكرت (النجاح) للشعب فتنكر لها، فسقطت قيمتها ، وعجزت على الاستمرار فى (يوميتها)، وأصبحت تصدر ثلاث مرات فى الاسبوع ، وبقيت كذلك الى اختفائها نهائيا عام 1957 م ، وكانت تعيش على ما تقبضه من إعانة (الصندوق الأسود) واشتراكات (القياد) والبشغاوات، والقضاة ، والائمة الرسميين ، ورؤساء الزوايا، والطرقين، داخل الوطن وخارجه ، واندفعت أشواطا بعيدة فى نهجها الجديد حتى قالت عن المصلحين وكتاب الشهاب انهم (الملاحدة أعداء الملة والدين وخصوم أولياء الله الصالحين) (1) وما فتئت تشتم الأقوام وتسب الأفراد وتتهكم عليهم وتزدرى بهم . . . (2) ولم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته الى التفرقة بين أمتين شقيقتين تونس والمزائر (3) .

ولم تكن نصرتها للزوايا والخرافات والمشائخ إيمانا بهم ، واحتراما لهم، ولكنها قاومت بذلك بوادر النهضة الوطنية ، والاصلاح الدينى إرضاء للإدارة الاستعمارية وخضوعا للتعليمات (العليا) . وبلغت فى تورطها الى حد الاسفاف وسدرت فى غوايتها الى النهاية . ولم يمنعها من ذلك خلق الحياء ، ولا الروابط التى كانت لبعض أصحابها مع المصلحين ، فقد كانت زوجة اسماعيل مامي باديسية وهو نفسه كان تلميذا للشيخ ابن باديس ، وعليه تعلم إنشاء المقالة، وكانت له قرابة مع السيد ابن القشى ، كما كان الشيخ عبد الحفيظ تجمعه

(1) نقلا عن مقال للكاتب التونسي الشهير مصطفى بن شعبان - الشهاب عدد 92 .

(2) المصدر المذكور .

(3) المصدر المذكور ، وهذا من عمل أو وحي الادارة الاستعمارية .

المعرفة العلمية والنسب الأدبي والمجد العائلي بالشيخ ابن باديس، وقديما قال
أبو الطيب رحمه الله :

وبيننا - لو رعيتم ذاك - معرفة ان المعارف في أهل النهى ذمم
وقد قال الشيخ ابن باديس رحمه الله في صاحب النجاح وخطة جريدته
ودوافعها ما نصه : « لصاحب النجاح ، المحترم حظه من العلم والفضل ، وجميل
الاخلاق ، ولطيف المعاشرة ، وكرم الاصل ، ومن حقه ان نذكر له هذا ،
وما كنا لنبخس أحدا حقاً، ولكن لم تكن صحيفته - مع الأسف الشديد -
متجلى لهذه الصفات ، وعلة ذلك - ولا نقول هذا وحدنا - استسلامه لأناس
لا يساوونه في المنزلة ، ولا يشاركونه في المسؤولية ، وضعفه امام رغبات...
ومؤثرات »

ونحن - كجزائريين - نود لكل مشروع جزائري كل تقدم ورقي ،
وخصوصا للمشاريع الصحافية التي هي مقياس درجة رقي الأمة وانحطاطها،
ونود لصحيفة النجاح - أقدم صحفنا اليوم - كل فوز يثمره العمل الشريف
وكل نجاح تثمره الاستقامة »

اما محاولة الانتشار بتأييد خرافات الطريقين وضلالاتهم التي اجمع
المفكرون في مشارق الارض ومغاربها من المسلمين وغيرهم على أثرها السئ
الفتاك في جسم الاسلام، وأخذ المصلحون في كل قطر في معالجة دائها، فمما
يمقتة كل ذي عقل أو دين ، لا سيما اذا كان ينشر الباطل والقذف بالزور
والتعرض لشخصيات الناس، اهـ(4). ولم تتعظ (النجاح) بمثل هذا ولا تأثرت
بل اشتد كلبها على الاصلاح بعد ان تأسست جمعية العلماء وانتشرت حركتها
وبعد ان اشتد ساعد الحركة الوطنية ولما صدرت (الكلمة الصريحة) التي
قالها ابن باديس ونشرت في الشهاب : (ان الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد
ان تكون فرنسا، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت) هاجمته النجاح

(4) نشر هذا المقال كتعليق من الشهاب على كلمة الكاتب التونسي السيد
مصطفى شيبان في عدد الشهاب 92 الصادر في 12 شوال 1345 هـ - 14
أبريل 1927 .

وتهكمت عليه والقت اسئلة تطلب جوابها منه ، منها متى كانت فى الجزائر
أمة ؟ ومتى كانت لها لغة ؟ ومتى كانت لها دولة ؟ وما هى حدود هذه الدولة ؟
وأضى المقال اسماعيل مامي ، وتفتن لذلك الشيخ ابن باديس فقال ما فحواه :
(لقد وجهت الينا اسئلة كتبها رجل كبير وأمضاها رجل صغير) والرجل
الكبير هو المستشرق الفرنسي (ميو) الذى كان يتولى ادارة الشؤون الأهلية
فهو الذى بلسان فرنسا ينكر وجود (الأمة الجزائرية) ولغتها ودولتها وحدودها
فى الحاضر والماضى ٠٠٠ والمستقبل ! وهذا مبلغ الغرور !

وبلغ الغرور بالسيد مامي - عفا الله عنه - أن صار يسخر أحيانا بالشيخ
ابن باديس ويخترع على لسانه محاورات ، فبلغ السيل الزبا ، واشتد غيظ
الشهيد أحمد بوشمال ولم يملك نفسه ذات يوم - 1938 م - أن ارتمى عليه
فى نهج تجاري مزدحم وأعطاه (طريحة) حوكم من أجلها وحكم عليه بأربعمائة
فرنك ، وكانت كافية لكفه النهائي عن التعرض لشخصية الشيخ ابن باديس
بسوء حتى مات رحمه الله .

ومما يجب ان نسجله بإنصاف أن آخره اسماعيل مامي كانت خيرا له من أوله ،
فقد كف فى الأربعينات عن كثير مما كان يصنعه ، ومما نذكره له انه شارك
فى احتفال الأمة بافتتاح دار الطلبة التابعة لمعهد ابن باديس واستضاف - فى
داره - نحو ثلاثين من الضيوف أكلا وشربا واقامة ، وحدثنا الشيخ صالح
ابن عتيق أنه - فى سره - كان يحب الشيخ ابن باديس ويأتيه بأسرار الادارة
الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد، وهذا ما جعله لا يقطع صلته
به ، لكن موقفه الأروع انه لما نشبت الثورة عام 1954 م ، لم يندفع فى
مقاومتها واقتصر فى الجريدة على رواية الأخبار كما ترد من مصادرها ، وقد
بلغني ان الادارة الاستعمارية حاولت منه ان يهاجم الثورة ويقف بجانب فرنسا
أو تسحب منه عونها فامتنع وقال : (لا أريد أن أموت كالكلب فى أزقة
قسطنطينة)، وربما سمعت هذا بأذنى منه، ولعله اخذ عبرة من موت صاحب
(النهضة) السيد الشاذلي القسطلبي بيد فدائي تونسي فى نهج القصبة بتونس .
وكان موقف (النهضة) فى تونس كموقف النجاح فى تأييد الادارة الفرنسية ،
وبلغ بها الامر ان سخرت بالثوار التونسيين وأشاعت عنهم اسم (الفلاقة) .

ولما توقفت الادارة عن عون (النجاح) توقفت الصحيفة أوائل عام 1957م ولم يلبث اسماعيل - عفا الله عنه - ان مات فى يناير عام 1958 م ، وقد مات حتف أنفه لم يسىء الى الثورة ولم تقتله خلافا لما جاء فى رواية بعضهم ونشره فى كتابه .

أما الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى فقد قبل وظيف الافتاء وتولاه فى عناية ثم فى قسنطينة، ولما جاء عهد الاستقلال التحق بسلك التعليم الثانوى وعاش الى ان وافاه الأجل المحتوم - بعد ان تجاوز الثمانين - فى رجب 1393هـ أوت 1973 م ، مات بقسنطينة ودفن بطولقة رحم الله الجميع .

أما جريدة البلاغ الجزائري - فانها - كما أعلنت عن نفسها (جريدة علمية ارشادية دفاعية) أسسها العليويون عام 1345 هـ ، 1926 م ، بعد نحو أسبوع من محاولتهم الفتك بالأستاذ ابن باديس رحمه الله ، وبرز العدد الاول منها فى 4 ديسمبر 1926 م ، لكن هذه الجريدة لم تلتزم آداب الصحافة الكريمة وأسلوبها ، فأسفت كثيرا وتنازلت - من الدعوة بالحكمة والموعظة ، والجدال بالتي هي احسن - الى أسلوب السباب والشتم والقذف بالزور والبهتان ، وهذا ما يستفاد مما قاله أو نقله عنها أوثق الكتاب وأعفهم لسانا وقلما واصدقهم لهجة ، وانقاهم ضميرا .

ان الشيخ ابا يعلى - فى كلمته التالية - يحاول ان يلوم من لا يسلام ، ويقوم ما لا يستقيم، وتظهر رغبته الملحة فى الجمع بين الماء والنار ليكون فى صف الكتاب والعلماء السلفيين من جهة وصديقا للعليويين من أخرى، ولا يتم له هذا الا بالصلح بين الطرفين ! ان مقال أبى يعلى « تكرار الاعتداء على أصحاب الشهاب » نشرته جريدة الشهاب فى عددها 9 الصادر فى I شوال 1345 هـ ، الموافق 14 أبريل 1927 م .

وهذا نصه بعد العنوان : تكرار الاعتداء على أصحاب الشهاب .

ليعلم أصحاب الجرائد الثلاث - خصوصا والقراء عموما - انى انما زججت بنفسى للكتابة فى الجرائد لغرض واحد وهو الاستفادة والإفادة من علوم رجال

ومعارفهم واختبار عقولهم ومداركهم وبث ذلك للطبقة التي تعقبنا لياخذوا
عنا كما اخذنا نحن عمن قبلنا حسبما ذكرت ذلك في ابتداء مقالاتي :

(نظرة في الحديث النبوي ايضا) ويشهد الله وهو خير الشاهدين اني
ما أردت غير هذا، ومن ذلك احتسب في جميع ما اصابني او يصيبني في هذا
الميدان كما كان ولتعلّموا - ايضا - اني لا أنتصر لفريق اذا خطأ ولا أتخلف
عن الانتصار لفريق اذا ظلم أو ظلم عملا بالحديث الصحيح : (انصر أخاك
ظالما أو مظلوما) (1) .

ثم بعد هذا ولو لمزني عدة منكم بانى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء من صفوفكم
نعم ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء في الباطل ولكني مع هؤلاء وهؤلاء في الحق
والعقلاء يشهدون ، وانشد :

(على أننى راض بان أحمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا)

كتبت في النجاح عدة مقالات الى ان هاجمني فيه بعضهم وتجهمني، فدافعت
ولم ينشروا لي فوقوا بيني وبين المهاجم فشبهتهم بالبلجيكي (2) فخرت
المركة وجئت للعدو من عدوة أخرى وجددت الكرة في ميداني (صدى

(1) من حديث أنس بن مالك ونصه الكامل : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما
قيل : كيف انصره ظالما ؟ قال : تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره) رواه
البخارى والترمذى وأحمد ، اما نصرة المظلوم فلا غبار عليه بالاخذ بيده واعانته
في حقه على ظالمه ، واما الظالم فيكف يده ومنعه من الاستمرار في الظلم ، فهذا
الحديث من روائع المبادئ الاسلامية ، وقد حرفه أحد الذين ران على قلوبهم
الكدر ونشر في جريدة (العالم) الفرنسية (لوموند) هذا الحديث منقوصا
وزعم ان نبي الاسلام يأمر بنصر الاخ ولو ظالما ! ، تولاها الله .

(2) البلجيكي : مملكة أوروبية بين فرنسا وألمانيا عاصمتها بروكسيل
مساحتها 30447 كلم ، وشعبها أقل من عشرة ملايين وهي من أرقى الدول
الاوروبية وأوفرها ثروة وصناعة شعبها مسالم ولكن جنى عليها موقعها مرتين
فاجتاحها جيوش الالمان - دون ذنب - عام 1914 - للوصول الى فرنسا
وهذا ما يشير اليه الكاتب ، ثم أعادت فعلها مرة ثانية عام 1940 م ، للغرض
نفسه أثناء الحرب العالمية الثانية وحدث هذا بعد نشر المقال بأكثر من 10
سنوات .

(الصحرَاء) (8) و (الشهاب) فانتصرت انتصارا باهرا وهى الواقعة التى شبهتها بواقعة (المارن) (4) الفرنسية .

وكتبت فى الشهاب منذ أكثر من سنتين وصرت لى فيه عدة معارك ومناظرات علمها القراء وترك لى الوسع والساحة ونشر ما على وما لى ، وقد سرنى ما على مثل ما سرنى ما لى، وقد وطنت نفسي لخدمة ما ذكرت آنفا فى صدر المقال الى ان كاد المحب بظهر الغيب (5) الأستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس يمل من معاركى التى اعجبته واثنى على فيها كما ذلك بخطه، ثم هو لم يعجبه جعل شيوخ الطرق من جملة العلماء ، وانتقد على ذلك ، وجعله باطلا ، ومنكرا من القول وزورا، فأجبتة عن ذلك بمقالة بينت فيها ان كلامى عن ذلك له أصل وفرع وبرهان محسوس ومشاهد ، وذكرت له أن العالم بالاحكام الشرعية الفقهية علم الحلال والحرام هو العالم عندنا منذ أحقاب بل من عهد النبى صلى الله عليه وسلم اذ قال : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ » (6) وبرهنت بعدة من العلماء أهل العصر ممن عرفتهم وهم بقيد

(3) جريدة وطنية صدرت بمدينة بسكرة صاحبها السيد احمد بن العابد ومحررها شاعر الجزائر الأكبر محمد العيد آل خليفة رحمهما الله برحمة الاحياء والاموات .

(4) اسم نهر فى فرنسا من روافد نهر السين على شاطئه أوقفت جيوش فرنسا عام 1914 م ، زحف الالمان على باريس وانقذتها من احتلال وشيك وكان القائد الفرنسى المنتصر هو الجنرال (جوفر) .

(5) هذه الجملة يريد بها أبو يعلى انه حتى ذلك الزمن لم يكن قد اجتمعت بالشيوخ عبد الحميد بن باديس وانما أحبه بظهر الغيب ثم اجتمع به بعد تأسيس جمعية العلماء وكان أبو يعلى رئيس لجنتها الدائمة بالعاصمة بقد ان نحى عنها السيد عمر اسماعيل ولم يكن من العلماء .

(6) هنا علق الشهاب بقوله : وهل مشائخ الطرق اليوم من هؤلاء العلماء ؟ وهل هم اعلما بالحلال والحرام ؟ غفر الله لك يا أبا يعلى فانك الى اليوم لم تحسن الجواب ولا عرفت كيف يكون الاعتذار ، اهـ .

واما معاذ بن جبل فهو من كبار الانصار علما وفضلا حضر بدرا وعمره 21 سنة وحضر المشاهد كلها وقال فيه عمر بن الخطاب عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ . بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرا لليمن ، ومات فى طاعون عمواس عام 18 هـ ، خلف أبا عبيدة فى امارة الجيش ثم لحق به شهيدا فى طاعون عمواس .

الحياة أنهم علماء ولم ينشر هذا المقال ، فكانه خشى أن يكون عليه لا له (7) .
وكتبت اليه مقالا داعيا الى الهدنة والى الاتفاق مع المخالفين أهل الطرق
وارسلت نسخة من المقال الى البلاغ فنشره ولم ينشره الشهاب ، فعلت أنه
لم يعجبه رأي في ذلك كله (8) والله حسبي .

ثم الرجاء من الاخوان ان يتاملوا هل يجدون في ما لا يرضى ؟ عند هذا
علمت ان العداوة قد استحكمت ، والتسامح مفقود ، وليس في ذلك كله ما يحمد ،
وساءنى كثيرا اذ فشلت في سعي في الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد تجري
عليها نحن معشر السلفيين ، ويجرى المتصوفة على قواعد ذكرتها أيضا ولو فعلنا
لكان لنا واقوم .

هذا ونعذر أصحاب الشهاب في واحدة بالخصوص ، وهي تكرار الاعتداء
عليهم الذي لا يرضاه ولا يقبله الا من لا خلاق له ، ولا مدنية ولا انسانية
ولا عقل ، وانه لدليل التوحش والهمجية التي لا تصدر الا ممن لم يبق فيهم

(7) علق الشهاب هنا بقوله : « قد نشرناه في عدد 90 لانه جاء قبل هذا فقدم
لمقتضى الترتيب وما كنا - والله لنخشى من مقال لانه اذا كان حقا قبلناه ،
واذا كان باطلا دمعناه ، وليس في حزب الاصلاح - بحمد الله - من يستنكف
عن الخضوع للحق ولا من يعجز عن قمع الباطل ، اهـ .
(8) علق الشهاب على قول ابي يعلى هنا بقوله :

ما كادت النوية تصل الى نشره حتى رأيناه منشورا ، وعلمنا - من تعليقات
ناشريه - ما آياسنا من قبولهم لما فيه ، فمن العبث ان نملا به بعد صفحات
الشهاب .

وبعد فاذا كان ابو يعلى يعنى بالهدنة والاتفاق مع الطرقيين السكوت عن
ضلالاتهم التي جنوا بها على القلوب والعقول والاموال والابدان ، وشوهوا
بها سمعة الاسلام وسودوا صفحاته البيضاء فان دعوته من الضلال الذي
يجب ان يستغفر الله منه ولا نستجير لانفسنا ان نعينه عليه بنشره .
وان كان يعنى اننا نسكت لهم عن بعض الباطل ليقبلوا منا بعض الحق ،
فان هذا لا يرضاه من انزل عليه « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .
وان كان يعنى السكوت عن اعراضهم واشخاصهم فان الطعن في الاعراض
والتعرض للشخصيات مما قد تنزه عنه كتاب الاصلاح قبل دعوته وان اتخذه
سلاحا قوم آخرون ، هـ .

تلك الخصلة العربية الإسلامية (حماية الذمار) (9) واکرام الضيف وایواء الغریب ونصرة المظلوم .

ومن الاسف الشديد ، بل من الفیظ ومن العار والشنار وسوء الدار وما سوء الدار ؟ سوء الدار الجلفة أو (الجيفة) الذى یقع فیها ذلك الفعل الفظیح والتوحش الشنیع . وان الجلفة أو (الجيفة) من الجزائر ونحن من الجزائر التى نرجو لها علما وادبا ! ان نحن الا مغرورون !!!

نعم مغرورون اذ كنا نظن ان الحرية التى حرمانها منذ ثورة 1871 (10) وكنا وآباؤنا فى قيود العبيد الجنة الا باق ، حتى لقد صدق علينا المثل المضروب فى المعنى « فى رقابهم الرباق ومن شأنهم الا باق » (11) ولهذا انسحب علينا الالجبر ، وضربت علينا الذلة والمسکنة ، واستمرت علينا « الانديجينا » (12) ثم نطمع بعد هذا الاخلاق ان نفوز فى الاجتماع والمدنية بین الامم أو ندعى اننا عرب مسلمون عقلاء منصفون ؟ ؟

هیهات هیهات ! اذا رجع قومنا الى ما قبل الاسلام بقرون كما قص الله تعالى علينا امثال هؤلاء الاحلاف « یكادون یسْطُون بالدين یْتَلُون علیهم آیاتنا » والا فدیانتنا السمحاء تسمح لناظر المخالف ان یقول ما یشاء ویعتقد ما یشاء اذا كان مسلما مجردا من السلاح ، وأحرى اذا كان ضیفا أو غریبا أو ضعیفا . ولكن قد یرد على الخاطر وجود الشذوذ من الجهال والجفاة الاجلاف وذلك كله من الممكن ، وقد نتسلى بما تسلى به من قبلنا ممن مثلنا من الدعاة الى

(9) الذمار كل ما یلزمك حمايته وحفظه والدفاع عنه وان ضيعته لزمتك اللوم .

(10) فى هذه السنة وقعت ثورة المقرانى بمجانة واتسعت فشملت معظم اراضى الشمال ، فانتهزتها فرنسا لقمع شديد وسلب الاراضى ، وفرض ارهاق لا نظیر له بقى من آثاره ما أشار الیه الكاتب .

(11) الرباق جمع ربة الحبل ، تربط به الدواب ، وهو اسم لكل حبل تقيد به الحيوانات عندنا والأباق الفرار ، فرار العبد عن سيده .

(12) الانديجينا مجموعة قوانین وحشية سنتها فرنسا لتحكم بها الجزائريين منها أخذ البرى بجزيرة المجرم ، والمسؤولية الجماعية . الخ . مما تتبرا منه الانسانية وبقيت هذه القوانین مسطرة علينا الى انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وقد یحاولون التخفيف منها ثم یرجعون الیها باعنف وأشد .

المبادئ والمذاهب فى العالم ، ونطالب الحكومة (13) باتخاذ الاحتياطات مثل هذه المظالم ، ونعذر الجاهل .

ويقول الذى أودى - منا - ما قال نبينا صلى الله عليه وسلم : « اللهم أغفر لقومى فانهم لا يعلمون » .

ولكننا لا نعذر أهل العلم عموما ، وأهل الجرائد خصوصا ، كأصحاب (النجاح) وأصحاب (البلاغ) الذين لم يقوموا ولم يعتقدوا ، ولم يبدوا ولم يعيدوا شيئا فى هذا الحادث الملم المليم ، بل سلكوا مسلك المتفرج المتشفي وهم أصحاب مبادئ ومذاهب (14) ، وبعبارة أخرى انهم أصحاب جرائد كالشهاب لهم مخالفون يكادون يسطون عليهم فلا يأمنون ذوى بغي (15) . كان المتعين عليهم ان ينتقدوا هذا الفعل الفظيع الذى هو ضد الحرية والعدل التى تدافع عنها جرائدهم .

وان ما جرى على متصرف الشهاب الشاب أبى شمال (16) يجرى عليهم مثله ، اذ مثل النظير النظراء . وهذا ما انتقده انتقادا مرا على أصحاب النجاح وأصحاب البلاغ .

وهذا معنى قولى أنا انى لست لهؤلاء ، ولا لهؤلاء فى الباطل ، وهذا هو الذى ادين به الله ، وادين به الوطن وبنيه وهذه الامة المتقهرة ، بل المتدهورة فانا لله وانا اليه راجعون .

(13) المراد الحكومة العادلة النصفة الحريصة على استيتاب الامن والضمان لحرية الراى ، وهل الحكومات الاستعمارية كذلك ؟ المراد بمثل هذا اقامة الحجة .

(14) هم كذلك فى خيال أبى يعلى رحمه الله .

(15) اقتباس من قول الشاعر :

لا يأمن الدهر ذو بغي وان ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل
و «لا» فى قول أبى يعلى نافية لا ناهية - وفى قول الشاعر ناهية جازمة .

(16) كان عمره رحمه الله حينما اعتدى عليه نحو 28 عاما .

ولقد صدق علينا قول (17) جونار ، الوالى العام (كان على هذه الديار)
فى جوابه الى المرحوم الشيخ على يوسف ، صاحب المؤيد حينما اجتمعا فى
باريس سنة 1903 م ، فتشكى صاحب المؤيد منتقدا عدم وجود الجرائد العربية
الاسلامية فى الجزائر ، فقال الم - جونار : « انه لم يجد من يستحق الامتياز
لادارة جريدة ، وتكون فيه أهلية لذلك فيمنحه ذلك » الى غير ذلك مما جرى
بينهما فى الحديث فى هذا الشأن ونشره المؤيد فى ذلك التاريخ (18) .

وعلى هذا فانى انتقد الجرائد الجزائرية كلها ، فالشهاب للشدة وعدم
الحلم والتسامح ، والنجاح للتملق والمداراة للزوايا والطرق (19) . والبلاغ
الجزائرى بعدم التبرى والانكار على هذه الاعتداءات ، و (البرق) (20) على
الاستفتاح بالشر وتأبط شرا (21) لكونه انتقد عدم رواج كتبى التى ألفتها
فى حين انه يطلب رواج جريدته ، فلنتب الى الله ايها المؤمنون .

الزواوى السلفي امام جامع سيدي رمضان

(17) كان وليا عاما لفرنسا على الجزائر فى التاريخ الذى أجرى معه هذا
الحديث .

(18) الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية المصرية من اكابر
رجال الصحافة العربية ولد عام 1863 م ، وتوفى بالقاهرة عام 1913 م ،
تخرج من الازهر وانشأ مجلة الادب ، ثم صحيفة (المؤيد) عام 1889 م ،
وبلغت درجة كبيرة فى الرواج والاشتهار ، وفيها كتب الشيخ عبده رده على
هانوتو . كما كتب مقالات كثيرة فى الرد على من يهاجم الاسلام .

(19) اهذا هو المبدأ والمذهب الذى تقدم (اتهام) النجاح به ؟

(20) جريدة البرق عربية وطنية صدرت بقسنطينة ، صاحبها السيد
عبد المجيد بن رحمون وكان الاديب الشاعر محمد سعيد الزاهرى من محرريها
(21) تأبط شرا لقب شاعر جاهل فاتك ، واسمه ثابت بن جابر توفى 530 م
واصل لقبه انه وضع سيفاً تحت ابطه وخرج فلما سئلت عنه أمه قالت
« تأبط شرا وخرج » فلصق به اللقب وكان من العدائين ، وله اشعار حماسية
رائعة ، اما من انتقد ابايعلى وعدم رواج كتبه فهو صحافى كان يمضى مقالاته
ب : « تأبط شرا » ولعله الزاهرى .

« تعصب »

محاولة قتل صحفي اهل

قضية خطيرة - جريمة منوم - (دين وسحر !)

هذه مقالة كتبها صحفي فرنسي - واطنه الصحفي الفرنسي لوسيانى المعروف بمدينة قسنطينة ، وكان من أشهر صحافييها ، وله معرفة كبيرة بالمسلمين وعاداتهم والاتصال بأعيانهم ، كما كان له صلة خاصة بالدكتور الزبير بن باديس شقيق الشيخ عبد الحميد بن باديس - لأنها كانا زميلين أثناء الدراسة - وربما دفعته هذه الصلة الى العناية بكتابة هذا المقال ، مع الوفاء لمهنته الصحافية وإشباع رغباتها ، وخصوصا بعد عناية الرأي العام الاسلامي بالحادثة وتجمع المسلمين أثناء التحقيق مع الجاني رغم أن الساعة كانت ليلا .

وان كانت جريدة « الدبش القسنطينية » من اعدى اعداء حركة ابن باديس المغرين بها والمعرضين عليها والمؤلبين .

وقد نشر المقال - بعد 8 أشهر من حصول الاعتداء بمناسبة تجديد البحث تمهيدا لمحاكمة الجاني فى عدد 110 بتاريخ 19 صفر 1346 هـ ، الموافق 18 اوت 1927 م .

قال الشهاب :

« تحت هذه العناوين نشرت صحيفتنا جريدة (لادبش كونستانتين) مقالا - بقلم (ن - ل) أحد محرريها - فى نازلة الاعتداء العليوي على الأستاذ ابن باديس بمناسبة تجديد بحث الجاني فى مكان الحادثة .

وقد جاءنا تعريب هذا المقال المذكور من الاديب البارع والكاتب الشديد الاستاذ الامين العمودى (1) مترجما بقلمه ترجمة حرفية ، فنشرناه على قراءنا ليطلعوا على رأى جيرانهم الاوروبيين فى نازلة لا تزال شغل الافكار اليوم .

(1) الاستاذ الامين العمودى من أعظم الكتاب الأدباء الجزائريين ، شاعرا وناثرا، بليغ القلم باللسانين العربي والفرنسي ، وهو من شعراء كتاب (شعراء الجزائر فى العصر الحاضر) لمؤلفه الشيخ الهادي السنوسي . ومن كتاب الشهاب ، لما أسست جمعية العلماء كان الأمين العام لها مدة سنوات ثم تخطى عن هذه الأمانة للشيخ العربي، وقد خاض غمار السياسة، وأسس جريدة الدفاع (لاديفانص) فكانت لسان حال السياسيين الجزائريين الأحرار ، المناهضين للاستعمار ، ومنهم السيد عباس فرحات وزملاؤه فى حزب (وحدة النواب) وكانوا هم الناطقين باسم (السياسة) الأهلية ، فى المجالس النيابية . كما لعب العمودى دورا هاما فى منظمة المؤتمر الاسلامى أثناء وجوده ، وكان عضوا فى وفده مترجما - بأمانة - عما يعرب عنه ابن باديس - الذى كان يطمئن الى ترجمته ويثق فى صدق أدائه . كما كان رئيس منظمة (شبيبة المؤتمر) ذات الميول الوطنية العربية المتحررة من تأثير سياسة وحدة النواب .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية القي القبض عليه وزج به فى السجن أوائل شهورها ، عام 1940 - وذلك فى حياة ابن باديس ، وكان فى إقامة جبرية ففهم القصد وظنه بداية محنة لفريقه فلم يشؤه سجن العمودى ولم يربكه ، بل اهتم به وبعائلته اهتماما شخصيا، ورجا أن يخرج من المحنة بطلا ، فكم صنعت المحن من ابطال ! ولكنه أفرج عنه وشيكا قبل وفاة ابن باديس بأسابيع .

ولم يعد الى نشاطه السياسى كما كان ، وقد تغيرت بعد الحرب مقاييسه وموازينه ودخل فى الاعتبار - الأعمال السرية ، والتنظيمات الحربية ، ونشاط الثوار ، وكان العمودى يغلب عليه طابع النشاط الفكرى والنقاش القلسمى ، والحجاج العلمى فاكتفى بذلك وحافظ على سلامة العقيدة الوطنية ووضوحها واستقامتها . فلما نشبت الاعمال الثورية عام 1954 كانت متنفس كل وطنى حر أبى ، وقدم لها كل بما يستطيع . وكان العمودى - مثل غيره - كجنسدى بسيط أدركته الشيخوخة وفاته عمر رفع السلاح .

ولكن اعداء الوطن لم ينسوا له ماضيه المشرق واسمه اللامع فقرروا أن يعدموه ، ونفذوا ذلك بالفعل فى يوم 10 أكتوبر 1957 كما أخبرنى به الاستاذ =

قالت لاديش :

« منذ نحو ستة أشهر وقعت على صحافي أهلي (2) قام بمهمته باتقسان وشجاعة - وهو السيد ابن باديس نجل النائب المالي (3) الفاضل - محاولة قتل في ظروف هالك بيانها :

بينما كان السيد ابن باديس - في بعض الليالي - نحو الساعة التاسعة هابطا بدرج نهج (مايو) ليذهب الى داره الكائنة بنهج السود ، اذ انقض ، عليه رجل أهلي كان متخفيا بمكان مظلم وضربه بهراوة أصابت جبينه وجرحته جرحا خطيرا .

سعى السيد ابن باديس سعيا غريزيا في الدفاع عن نفسه ، ورغما عن خطورة الضربة تمكن من القبض بكلتا يديه على مهاجمه الذي كان يومئذ مسلحا بهراوة وموسى (بوسعادي) وأمسكه بضع دقائق ، لكنه لما فشل وخائنه قواه تخلص منه المعتدي المجهول والتجأ الى الفرار .

= محمد صالح رمضان وقيل عنهم انها منظمة اليد الحمراء الارهابية وهي وراء جرائم كثيرة رهيبة . وكانت تتألف من كبار رجال الادارة الاستعمارية ومن كبار مجرمي الجالية الفرنسية اليهودية . وغالب ضحاياهم ممن لم يجدوه متورطا في تهمة ظاهرة ، لهم عليه فيها مجرد شبهة .

وقيل عن العمودي - في رواية جريدة لهم - أنهلقى بنفسه من قطار قرب البويرة وهو يحاول الفرار فاطلقوا عليه النار وأردوه قتيلا ! وهذا ما كانوا يعملون به كثيرا من اغتيلاتهم وجرائمهم فلا يصدقهم أحد ولا يجرا على سؤالهم ومحاسبتهم حاكم ولا قاض ولا مسؤول لأنهم ذاك كله .

(2) كلمة أهلي (انديجان) كان يلقب بها الفرنسيون كل أبناء الجزائر تمييزا لهم عن السكان الفرنسيين واليهود المتفرنسين ويريدون بها تحقيرهم بنسبتهم الى الوطن بينما كانوا يعدون أنفسهم من الاوروبيين ! والحقيقة ان الله أنطقهم بها شهادة بان الجزائريين هم (الاهليون) وأنهم هم الاجدرون بأرجاعهم الى أوطانهم الاوروبية !

(3) كان المجلس المالي في الادارة الجزائرية شبه برلمان ! وكان يسمح - آنذاك - لخمسة ملايين من الجزائريين ان ينتخبوا لعضويته 12 نائبا ! بينما ينتخب الاوروبيون أضعاف (أصحابهم) بمقدار خمسة أو ستة لكل نائب أهلي !



الأستاذ الأمين العمودي

وقد استنجد السيد ابن باديس ببعض المارة بالطريق وهؤلاء أحاطوا بنهج السود وشرعوا في التفتيش لكن بلا طائل ، ثم ان بعض اصدقاء الشيخ ذهبوا به الى داره القريبة جدا من ذلك المكان وما تعدوا عتبة الدار حتى راوا الجاني كامنا في احد اركانها ، مسلحا - كما كان سابقا - وواقفا موقف الهجوم ، فلما أخطأ المرمى - المرة الاولى - ظن أنه يصيبه حقيقة حين يصل السيد ابن ابن باديس الى محل سكناه .

لقى القبض على الجاني ، وانتزع منه سلاحه ، وسيق الى (الكوميسارية) واستنطق فأنكر بادىء بدء - رغم ما عليه من الحجج القاطعة - وقوع السطو منه ، ثم اعترف ببعض ذنبه ، وذكر أنه أراد أن يبعد عن العالم الاسلامى رجلا مرق من الدين !

تبين مما ذكر أن هاته جريمة ليست من الجرائم المعتادة وقوعها ، وثبت بوجه القطع ان السبب الحامل عليها هو ما ذكره الجاني ، وقد انتج البحث جملة أشياء تدعو الى التعجب بقدر ما لها من الخطورة .

دعاة الباطل والضلال :

كان السيد ابن باديس أثار في جريدة (الشهاب) حركة قلمية تضاهي حملة الابطال ليفضح ويظهر لآخوانه فى الدين جميع دعاة الباطل والضلال وسفلة المرابطين الذين يدعون العصمة وخوارق العادات ، تستر هؤلاء الدجالون باسم الدين ، وأخذوا يستثمرون احسان عامة الاهالى ، مؤيدين سلطتهم على البسطاء (بكرامات) صبيانية ، وربما كان الخطب سهلا لو اقتصر عمل (المرابطين) على اختلاس (الدراهم) بطريقة تروج على السذج حتى تظهر لهم الحجر جوهرًا .

لكن السيد ابن باديس زيادة على تشنيع هذا الصنع المنكر على أصحابه قد اشهر حربا خاصة على رجل اخذ نفوذه يتزايد بكيفية مفرغة ، وتعاليمه تنتشر بسرعة يسهل ادراك علتها بين طبقات الاهالى الذين يؤمل منهم الاقبال على الدعوة الجديدة بشدة رغبة وحماس مفروط .

على نمط راسبوتين (4) :

استمد تاريخ هذا الرجل فى الاصل من تاريخ الراهب صاحب الشهرة السيئة بروسيا المقدسة ، دونكم شرح معنى ذلك :

كان منذ سنين فى مدينة (التقى) مستغانم يوجد من بين أعظم المسلمين تمسكا بالديانة - حذاء فقير وضع اسم (ابن عليوة) استلقت الانظار بشدة ما يظهره من التقى والصلاح وقد ملك قلب (مقدم) البلدة حتى ان هذا الاخير لما احس بقرب موته اوصى بان يتولى خطته بعده الحذاء ابن عليوة . كانت هذه الوصية من الغرابة بمكان عند ارباب الشؤون الدينية الاسلامية الا انها لما كانت معربة عن ارادة الهالك ، وموافقة لشريعة القرآن وجب العمل بها ، وسمى ابن عليوة « مقدما » وكان لسان حاله يتمثل بالمثل اللاتيني (هل ، ومتى يكون لصعودي حد) ٠٠ ؟

امتاز بكونه اماما مواظبا من أئمة الديانة الاسلامية العظمى بسرعة امتيازه بالذكاء والفراسة وشدة الطمع وحب الرياسة وبفضل ذلك قدر على تحريك الضائير واستخراج أسرار العقائد ، وله فى هذا الفن طريقة خاصة . فكان لا يكتفى بأمر (فقرائه) بتوطيد ايمانهم بالله ، « لأن الله هو الله » بل يشير عليهم أيضا بتقديس « خلفائه فى الارض » .

ادعى - محتجا بما يسميه كرامات ، وما هى فى الواقع الا شعوذة بحثة - بأن الله حال فيه ، وبفضل قوته الجذابة النادرة وقوته التأثيرية العجيبة - تمكن ابن عليوة من جعل أتباعه أو (زبنائه) تحت سيطرة ابرادته وقد رأى منه المسلمون الغرائب ، وهكذا قويت شوكة الدجال بكيفية مدهشة . ولما فهم ابن عليوة مقدار ما تجره له هذه (البضاعة الخصوصية) من المنافع عزم على تحسينها ، وتوسيع نطاقها ، وقد كان سمع بان فى ذلك الشرق القاصى ٠٠٠ اساتذة يدرسون علوم الباطن فسافر اليه وبقي به مدة ثلاث

(4) راسبوتين هذا هو راهب روسى ادعى الصلاح - مع جهله وغباوته - ونال حظوة عظيمة عند الملكة (اسكندرة) بما روج على فكرها من أن أمر صحة ابنها - ولى عهد القيصر - كان بيده ، يفعل به ما يشاء ، وكان معظما لدى القيصر نقولا الثانى فى مدة الحرب الكبرى ، ومات قتيلا (المعرب) .

ستين تلميذا مجتهدا حريصا ، وبعد أن تدرب ومهر فى فنون (الفقراء) السرية عاد الى منصبه ، واتخذ بلدة برج بوغريريج مركزا ومقرا ، وأسس (طريقة) أسرع (الاخوان) الى الدخول فيها أفواجا .

صورة عمله ان يختار من المقبلين عليه (أطوعهم) كما يقول المؤمنون ، ويدخلهم فرادى فى بيت ، ويأمرهم بذكر اسم الله وتكراره ألف مرة ، ويجبرهم على النظر الى نقطة واحدة ، ويعددهم بانهم يحسون بنزول الاله فى ذواتهم ، تلك احدى عملياته ، وفى بعض الاحيان يدخلهم فى خلوة مظلمة ويريههم صورة « الله » بطريقة تدع الابصار حائرة ، وقد أبدى فى تعاطى هذه الصناعة من المهارة والبراعة ما حصل به على الإعجاب العام .

ابن عليوة - كما يقول أصحابه - هو محل حلول الله فى الأرض ! ابن عليوة قادر على إيقاف الشمس فى دورانها ! ابن عليوة يفتح السماء ! ابن عليوة يغيض مياه العيون ! ابن عليوة فى وسعه ان يستمطر الدرهم والدينار ! !

وتوصل هذا الداعي الجديد الى إدخال آلاف من المسلمين فى مذهبه ، وها هو الآن يؤمل ويحاول البلوغ الى مقام النبوة ، وقد أسس جريدة سماها الاصلاح (5) .

يلزم قتل الحقيقة :

السيد ابن باديس رجل متنور متضلع فى العلوم ، مسلم عالم بنص القرآن ، تتبع أطوار تلك الدعوة وقابل بالغضب والنكير أعمال ابن عليوة المنافية للأخلاق ، وأقدم على اظهار مساوية لإخوانه فى الدين ، فكتب فى جريدة الشهاب مقالات رنانة ، وكان ذلك سبب المؤامرة بالسطو الذى وقع عليه وكاد يذهب بحياته ، والرجل الذى سطا عليه فى احدى الليالى بنهج (مايو) هو واحد من إخوان الطائفة العليوية جاء من برج بوغريريج (6) بمأمورية خاصة هى قتل الصحافي الذى تجرأ على مقام ذلك النبىء الجديد . . .

(5) يعنى (البلاغ) قطعاً .

(6) الصواب أن المؤامرة دبرت فى مستغانم وأن الجاني جاء منها وركب قطار الجزائر على ان يعود اليها بعد تنفيذ الجريمة وهذا ما اكده الشيخ ابن عتيق واستنتج فى التحقيق من بطاقة العودة .

الفاجعة :

أول أمس على الساعة التاسعة مساء استؤنف البحث فى القضية على يد المسيو أودوانو قاضى الاستئناف ولم يكن ذلك بالامر السهل ، فمن كثرة تراحم الوف الاهالى برغبة سخيصة فى الاطلاع على ما لا يعينهم حتى ادى الى خرق السياج الذى اقامه البوليس ، ومن جهة اخرى ترى جانبا خلى البال غير مكترث بما حوله ومع ذلك يجد فى المناقشة كان ذلك جبلة ورثها عن اصله يماحك فى الجزئيات التافهة وينكر ويصر على الإنكار بوقاحة بلغت أقصى درجات القبح .

سيرافع هذا الجاني - بعد انقضاء بضعة أشهر - لدى محكمة الجرائم لكن سيرافع التلميذ وحده ، واما استاذة الدجال الناشر لدعوة الباطل والضلال فانه سيستمر فى دعة وهناء ساعيا فى الاهلاك واستعباد الافكار ناصبا للبله فح العقائد الميتة للعقول جادا فى تدجيله الذى به (ينزل الله فى اجسام عباده) و (يعطل حركة الشمس) ويستمطر الدرهم الرتان و ٠٠٠ (يسلح المجرمين) ٠٠٠ وكل ذلك باسم الله ! ...

عن جريدة لادبيش القسنطينية المؤرخ : 30 من جويلية 1927 م ، بسكرة

الامين العمودى



علق الشهاب على هذا المقال بعد نشره بقوله : (فى هذه المقالة عبارة ما كان نحب نشرها ولكن امانة الترجمة واحترام الكاتب والمغرب اضطررنا الى ابقائها على حالها) .



فى مجلس الجنائيات :

الجانى العلىوى

خمس سنوات فى السجن المضيق

بعد خمسة عشر شهرا - (جمادى الآخرة 1345هـ - رمضان 1346هـ) -
ديسمبر 1926 م - مارس 1928 م - من الاعتداء الوحشى الذى ارتكبه الجانى
العلوى (ممين أو ميمان الشريف الجعفرى الجانى) على شخصية الشيخ
عبد الحميد بن باديس فأسال دمه الزكى بقصد قتله ، مسلحا بهراوة
استعملها وبمدية سلها من المدى التى تستعمل فى الذبح والطن عادة
(بوسعادي) بعد هذا الزمن الطويل مثل هذا الجانى أمام محكمة الجنائيات
بمدينة قسنطينة يدافع عن جنايته محام يهودى ويتصنع الإنكار لفعلته رغم
التعرف عليه من المجنى عليه، وتثبتته لشخصية يوم عرض عليه فى البحث، ورغم
شهادة الشهود الذين راوه وزملاءه يسألون عن مسكن الشيخ ويشبتون من
أوقات دخوله وخروجه ، وشهادة الذين حضروا إلقاء القبض عليه مساء الجريمة
مستترا فى سقيفة دار الشيخ وحجزوا منه أسلحة الجريمة والسبحة العلوية،
ومع هذه الأدلة الواضحة لم يلتفت القضاء الى إنكاره واصدروا عليه حكما
بالإدانة ، وعين له خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق .

ان القانون الفرنسى يسمح للقاضى ان يحكم على مثله بالإعدام بتهمة
محاولة قتل مع ترصد وسبق إصرار واستعمال سلاح حديدى ثم إلقاء القبض
عليه فى حال تلبس بالجريمة وإصراره على إتمامها .

ولكن حكم القاضى الفرنسى صدر عليه بسجن خمس سنوات يقضيها فى السجن المضيق ، وقد يرى هذا الحكم خفيفا ، ولكن الحقيقة ان الموت أهون من السجن مدة طويلة مثل هذه عند الأحرار .

ان الشريعة الاسلامية لا تقر مثل هذا الحكم بل تشرع فى مثله القصاص أو العفو ، والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ، وفى القصاص عبرة للجاني وغيره ، وفى العفو سمو ونبل ومحو لأثر الحقد من قلب الجاني . ولهذا فان الشيخ رحمه الله لم يرض بهذا الحكم واخبرنى الشيخ محمد الصالح بن عتيق وسمعت ذلك من غيره انه اعتبره قاسيا وقد سامحه ، ولكن الحق العام أبى ذلك ، ويشهد لهذه الرواية ما ختم به الاخبار عن الحكم من دعاء كما يرى ذلك فى (الشهاب) .

والشريعة الاسلامية السمعة قد تسمح بالقتل فيما اذا كان الامر من باب الحراية والفساد فى الارض « إنما جزاء الذين يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ » فاما اذا لم تتحقق حراية فلا . وقد أوصى الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه فى الجنة ان يحبس عبد الرحمن بن ملجم الفاتك به ، فان شفى رأى فيه رايه، وان هلك فلولى الدم السلطان عليه ولا يسرف فى القتل .

اما القانون الفرنسى الوضعي فانه يسمح بالحكم بالإعدام وقد ينفذه ، وخصوصا اذا كان الجاني (أهلى) والمجنى عليه أوروبى .

قالت جريدة الشهاب فى عدد 137 الصادر فى 9 رمضان 1346 هـ - الموافق أول مارس 1927 م ، تحت عنوان اعلاه ما نصه :

على الساعة الثانية بعد الزوال من يوم الاثنين السابع والعشرين من الشهر المنصرم انعقدت محكمة الجنايات بقسنطينة للحكم فى جناية محمد الشريف ميمان العليوي على الأستاذ ابن باديس المشهورة . وتولى النضال من طرف الاستاذان : ميراكسيون ، وابن حبيلص . ومن طرف الجاني الاستاذ زاوي الاسرائيلي وبعد سماع الشهود وكلام المحامين ووكيل الحق العام اثبتت المحكمة جناية الضرب والجرح على الجاني رغم بقاء الجاني على إنكاره

مع اضطراب فى كلامه ، حيث اعترف - فى البحث الاول بان العصا له ، وانكرها امام المحكمة ، وحيث زعم انه كان مقيما بالبلدة قبل يوم الجناية ولم يستطع اثبات محل إقامته مع انه كان يحمل ورقة الذهب والإياب - واستنادا على شهادة الشهود التى جاءت على وجه لا اضطراب فيه ، فأصدرت عليه الحكم بخمس سنوات فى السجن المضيق .

وهكذا نال هذا الجاني جزاءه الذى يكون زاجرا لكل من يدعوه التعصب والتوحش الى الفتك بالنفوس .

وهكذا انتهت هذه المأساة التى كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تستطيع محوه الأيام .

وختاما نسأل الله تعالى ان يؤلف بين قلوب جميع المسلمين بالمحبة والرحمة وان يقرب بين عقولهم بالعلم والانصاف ويغفر لجميعهم انه هو الغفور الرحيم .
« ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

- اهى جناية عادية ومسالة فردية ؟ -

هذه مقالة صدرت فى الشهاب عن جناية هذا الآثم بعنوان « الشقى العليوى » ، ويظهر - من مقدمتها ، وألحاح كاتبها على نشرها وتبريره لكتابتها - ان الشهاب رغبت عن مواصلة النشر ، وفى اقفال الموضوع - غير ان الشيخ الزاهري كان يرى غير ذلك ، وان الرأي العام ما يزال مهتما به مشوقا اليه ، وليس من حق الشهاب ان تستبد باتخاذ مثل هذا القرار وحدها .

ونؤلت « الشهاب » على رغبة الكاتب فنشرت له ، ثم علقت على مقاله بما يدل على نبل ابن باديس وسمو أخلاقه ، وتمسكه بالآداب الاسلامية ، ووقوفه عند حدود الشريعة من الاقتصاد فى القاء الاتهام دون بينة ، وتربية قرائه على هذا الخلق المتين .

وهذه مقدمة الأستاذ الزاهري يتبعها مقاله تحت عنوان الشقى العليوى ، وقد نشرنا فى العدد 140 الصادر فى 30 رمضان 1346 هـ - 22 مارس 1927م « حضرة أخى المحترم سيدى أحمد بوشمال سلام الله عليكم ورحمته » .

هذه كلمة كتبتها عن « الشقي العليوي » أرجو من فضلكم ان تنشروها
فى باب « النشر الحر » من الشهاب . وليس لكم ان تقولوا ان هذه مسألة
خاصة ، وهى مسألة جزائية عامة ، بل هى مسألة تهم شمال افريقيا كله ،
وقد تناولتها الصحافة الفرنسية كل واحدة بما ترى ، مثل الجزائر الجديدة
ومثل « ليكو دالجي » وغيرهما .

وهى مسألة بعد ذلك شغلت أكثر النوادى الاسلامية والمجتمعات فهى
موضوع أسرار الناس وأحاديثهم فى هذه الايام ، حتى لا تسعهم يتحدثون
الا عن « المجاني العليوي » وعن الاستاذ العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس .
ولقد اطلعني اديب من أدباء تلمسان على رواية تمثيلية فى هذه الحادثة
كتبها بأسلوب شيق ، وسماها « المصلح والطرقى » وأبدع فى تصوير الواقعة
وفى مراد المصلحين ، وشخص تشخيصاً محسوساً خرافات الطريقين وتدجيلهم
وهو عازم على تمثيلها على المسرح البلدي بتلمسان غير بعيد .

فهل بعد هذا الاهتمام الكبير الذى تهتمه الأمة بهذه الحادثة يظن (الشهاب)
أنها مسألة خاصة ، وجناية فرد عادية ؟

أما أنا فاني جئت بهذه الكلمة ، وما أظن الشهاب يمتنع من نشرها ، وفيه
باب النشر الحر .

والسلام من أخيك محمد السعيد الزاهري

الشقي العليوي

مسكين ذلك الشقي العليوي مسكين !

دخل السجن المضيق منذ أكثر من عام فكان يذوق فيه البلاء المر ، ويمتنع
المحنة الأليمة ، ويعذب هنالك عذاباً لا يعذبه أحد من العالمين ، ثم يحكم عليه
بعد هذا ان يدخل السجن المضيق ، وان يبقى فيه خمس سنوات يقضيها بين
الارهاق والعذاب الشديد .

جنى المسكين « المنوم » هذه الجناية الفظيعة ، ولم يكن هو الجاني فى
الحقيقة وإنما كان آلة صماء فى يد شيخه ومربيه الذى رباه ونومه وأعدده
لمثل هذا الامر الفظيع . أعدده لمثل هذا هو وأمثاله من الأشقياء المجرمين الذين

يسفكون الدماء والاعراض البريئة بغير حق ، ويقتلون النفس التي حرم الله . فاذا صح ان نسمى (هراوة) هذا الجاني هي الجانية المجرمة صح ان نسميه هو أيضا جانيا من الجناة المجرمين .

يرتكب المجرم الجناية ويدفعه اليها شيخه الذي يكون بين يديه كالليت بين يدي الغاسل ثم يعاقب المجرم بما يستحق من عقاب ، ويسلم دافعه الى ارتكاب الإثم والإجرام .

وعلى كل حال فانه لابد ان يكون قد اعتبر بهذا الجزء تلك الشرذمة من أولئك الاشقياء المجرمين ، ولعلمهم ينتهون بهذا العقاب فلا يسفكوا - بعد اليوم - دماء عباد الله المؤمنين . ولعلمهم يستغنون عن « الهراوة » و « السكين » بما يتقياون به علينا كل يوم من الفحش وقول السوء .

واما أنت - يا فضيلة استاذنا الكبير وشيخنا باديس - فلئن كنت أحلمنا صدرا وأليننا كتابة في الاصلاح - فلقد كتبت الحق كتابة كلنا يتمنى لو سبقك اليها . كتبت الحق كتابة ليس شيء من الأشياء بقادر على محوها ، فستبقى لك بقاء الدهر ، وسيخلد ذكرك بها ما دامت السماوات والارض ، وكيف ظنك بكتابة كتبتها بدمك الزكي الطاهر ؟

ان تكتب الحق الدماء فانت من كتبت دماؤك للهدى صفحات فلك في الأمة ما لرجال العلم والعمل ، وستكون في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وانت أيها (الشهاب) الكريم لا تصدق ولا تعتقد ان هذه آخر إذاية لقيتها ولقيها حزبك الاصلاحى من أولئك الذين لا يعلمون ، فما أحسبك أنت ولا رجالك المصلحين تسلمون من « أذى » القوم ما دمت في هذا الصراط المستقيم تجاهدون في سبيل الله وفي سبيل الجزائر . وسوف لا يردون علينا بالهراوي والعصي لانهم يخافون عقاب الحكومة لا عقاب الله . ولا يردون علينا بالعلم لانهم (قوم) لا يفقهون .

وانتم أيها المناهضون المشاغبون بغير هدى ولا كتاب منير : لم تحتاجون فيما ليس لكم به علم ؟ ولم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ انتهوا خيرا لكم . وهذا صاحبكم الجاني العليوي لم تغن عنه من العقاب شيئا عناية الشيخ (أو همته كما تقولون) .

آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس ؟

أول محاولة دبرها (القوم) للسطو بابن باديس كانت - كما مر - فى قسنطينة بتاريخ 14 ديسمبر 1926 م ، فكتب الله له السلامة ، وباءوا بالخيبة والندامة .

ولكن هل أقلعوا عن غيهم ؟

ذلك ما يحدثنا عنه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمه الله ، وهو يقص علينا أنباء رحلة الشيخ الى ناحية برج بوعريريج فى سبيل الدعوة الى الله - التى بنيت على ما جاء فى قوله تعالى : « قُلْ هَلْه سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » وقوله سبحانه - « أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » وكلتا الآيتين مكتوبة فى صدر الشهاب كشعار لأسلوب ابن باديس فى العمل .

وقعت هذه الرحلة - الى البرج - فى المحرم من عام 1353 (أبريل - ماي 1934 م) ونشرناها (الشهاب) فى عدد صفر - مايو . وروى أحداثها الشيخ الفضيل الذى رافق أستاذه رحمهما الله . والشهاب يتبين عند مجيء كل نبأ ، والراوي ثقة حريص على تجنب كل الريب .

ولعل الداعي الى محاولة القوم الجديدة توهم العليويين أن الخطر أصبح على أبواب قلاعهم فى تلك الجهات ، اذ لا ننسى أن ميمى محمد الشريف - الذى تولى كبر محاولة السطو بالشيخ الاولى - من قرية الجعافرة حوز مجانية دائرة

البرج، وكان بالبرج نفسه مركز هام لدعوتهم ، وتوجيهها نحو بلاد القبائل
التي كان يراد محو كل أثر فيها للطريقة الرحمانية التي تجرأ ابن الحداد
- أحد شيوخها - على تأييد ثورة المقراني .

فلما حل ركب ابن باديس ببلد البرج ، زين لهم ان يتآمروا ، وقرروا
ان يحولوا بينه وبين الاتصال بالشعب ان استطاعوا ، اما بتدخل من السلطة
الفرنسية نفسها واستعمال حكامها وقوانينها ، وايهامهم بخشية حدوث الفتنة
والشجار . واما باشعال نار الفتنة بالفعل ومحاولة الفتك بالاستاذ .

يقول الشيخ الفضيل :

« هنا يجب ان أرتب الحديث لاستقصى الادوار التي حاول حزب الشيطان
القيام بها وكيف اخفقوا ، وماذا كان موقف حزب الله ازاء جنونهم .
بينما نحن في تبادل اطراف الحديث بين أسئلة دينية وابحاث علمية
- اذ بنبا القوم العليويين ومن ضموه اليهم من الطرق الاخرى يرأسهم سي محمد
ابن ساعد - يتألبون على وفد الجمعية ويظهرون سخطهم عليه ويتآمرون فيما
بينهم على ألا تفوتهم هذه الفرصة في نظرهم دون ان يحدثوا فيها فتنة يشوهون
بها الجمعية » اهـ .

وهنا يقص الكاتب ان شيخ مدينة البرج كان قد اذن في الاحتفال بقاعة
الافراح - وهي قاعة توجد في كل بلدية تقام بها الاحتفالات الشعبية ، وقد
قبل الشيخ ابن باديس ان يلقي فيها الدروس في الرحلات ، لان المساجد
الرسمية - محل الدرس الديني - كانت ممنوعة على العلماء ، والزوايا لا تسمح
لابن باديس ان يدرس بها - واما هذه القاعات فانها تابعة للبلدية ، ويمكن
للنواب البلديين المسلمين ان يطالبوا بحقهم فيها فتعطى لهم وهذا ما فعله
نواب «البرج» المسلمون ، فاستجيب لطلبهم . ولكن الشيخ المقدم - وكان
أيضا نائبا بلديا معهم - ذهب بمفرده الى شيخ البلدية الفرنسي دون ان
يعلمهم - ثم لحق به وفد الجمعية الذي جاء ليؤدي زيارة مجاملة - فوجدوه
عنده . يقول الشيخ الفضيل :

« وجدوا الشيخ المقدم سبقهم عند شيخ البلدة - وهو نائب بلدي يصل
ويجول ويحتج ضد هذه المحاضرات التي سنتلقى بدعوى انها ستثير فتنة ويكون

وراءها ما يكون . ومن جملة ما ذكره - فى وجوه وفد الجمعية أمام المير - ولم يحترمه ! - انهم - يعنى الجمعية - بولشوفيك - ! - يريد بذلك ادخال الريب على المير بهذه الكلمة ظنا منه - أو غباوة - أن المير لا يفهم البولشفيك أو الكمونيست أو العلماء أو غيرهم من الاحزاب اهـ .

وأخيرا تساءل « المير » لماذا يخاصمون العلماء ؟ فاجاب القائد : انهم يكرهون العلم لا غير .

ولم تفد هذه الوسيلة لان شيخ المدينة لم يكن من مصلحته إثارة غضب سكان بلده ، والمشاركة فى القضاء على الحريات العامة ومنها حق النواب المسلمين فى الاجتماع بمواطنيهم واستعمال قاعة الافراح فاعلن انه سيعطيهم قاعة الافراح ، وسيتكلف كوميسار الشرطة واعوانه بحفظ الامن ، ضد كل تشويش ومشوش .

تم يقول الشيخ الفضيل :

« خرج الشيخ المقدم يشبه من قامت عليه البينة فى كبيرة ، على انه لم ينثن عزمه واعاد الكرة ثانيا بصفة مدمشة فجمع حزبه الملقق واغراهم - كما قيل - على التوحش ، وان يفتكوا ويبطشوا بالاستاذ فانتشر الخبر فى المدينة فما كاد يعمها حتى اجتمع جيش عظيم من الشبان لولا العقلاء من الكبار لانتقموا منهم شر انتقام قبل تحقيق هذا الزعم » .

ثم روى خبر مجيء خلق كثير من سكان القرى والبوادر ، القرية من البرج منهم أهالى قرية « قلعة بنى عباس » الذين لم يبلغهم خبر الاحتفال الا فى نفس اليوم ، لولا ذلك لحضر منهم العشرات . وكانت قلعة بنى عباس قلعة الاصلاح ، وهى قرية الموقع من قرية الجعافرة .

وهكذا تكون هذه المحاولة آخر ما هم به العليويون فى حياة شيخهم وامامهم الذى توفى بعدها بشهور - فى 2 ربيع الآخر 1353 هـ ، وقد توفى ابن باديس فى 8 ربيع الاول 1359 .

وعند الله تجتمع الخصوم « إنك ميتٌ وانهم مَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ » . « إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون » صدق الله العظيم .

ملحق أخير :

وإذا كانت هذه آخر محاولة للسطو بابن باديس - وقد كان مآلها الفشل كالاولى ، وبيقظة الامة وتحركها - فان محاولات هذه الفرقة - ضد العقائد السليمة ، والسنة الصحيحة ، ما تزال متوالية حتى اليوم ؛ فقد تحركت أفاعيها وعقاربها - في المدة الأخيرة ، ونشطت نشاطا كبيرا .

وبلغني أن الجراة بلغت بهم أخيرا (1403 هـ) الى عقد (مؤتمر) كبير في قرية (الجعافرة) مسقط رأس المتآمر الاثيم ممين محمد الشريف الذي حاول أن يذبح ابن باديس ، ويسدد السهم القاتل في نحر الاسلام كما قال التبسي ، فقد كانت المآمرة ضد الاسلام وأمتة .

فلتكن أمتنا على حذر ، وليعلم المبطلون أننا لهم بالمرصاد ، ولن يكتب النجاح - بحول الله - للباطنية والحلولية والاتحاد - في وطننا الملتزم بكتاب الله وسنة رسوله . « **والله من ورائهم محيط** » .



القسم الثاني

هذا القسم

حاولنا فى هذا القسم ان يعرف قراؤه هذه الطريقة على حقيقتها : ما هى ؟ وما أصلها ؟ كيف نشأت ؟ من هو منشئها ؟ ما هى المبادئ التى كانت تروج لها ؟ وما هى طرقها فى العمل ؟ ما هى الآثار التى أحدثها ظهورها فى الميدان ؟ ماذا يأخذه عليها خصومها ؟

جواب هذه الأسئلة يؤخذ من ثنايا الفصول التالية ، التى اعتمدنا فيها على مصادر لا يتطرق اليها الشك ، لأنها صادرة عن أقطابها ، أو معترف بها منهم ، قد أقروها أو روجوها بأنفسهم ، وسيد الأدلة الإقرار .

تجد فى هذه الفصول التعريف بزعيمهم الأكبر ، منشئ الطريقة ، وأسلوبه فى ترويجها ، وتجديدها .

طريقتهم فى عبادة الله وذكره ! الحضرة ، الرقص ، الغناء ، الاعتماد على الأحاديث الموضوعة ، كذب على الصحابة ، أثر الباطنية واليهودية فى (الذكر) وأسلوبه ، الإلحاد فى أسماء الله الحسنى .

القول بالحلول ووحدة الوجود ، الشطحات الصوفية ، شطحات الشيخ ابن عليوة ، هل يصدق عليها اسم « الشطحات » الصوفية وهل هى من المعفو عنه ؟ أقوال فظيعة وأصرار عجيب ! نائمون قلوبهم يقظة .

الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميدان

لهذه الطريقة ثلاثة فرسان ، أقوالهم المروية عنهم :

من أقوال الشيخ ابن عليوة : فساد فى اللفظ والمعنى :

علم الباطن وكتمان الرسالة ! نوم يغنى عن ذكر الله ، اثبات الجبهة لله ، علامات وصل الواصلين ، عمن ورث الحلول ؟ ليلي وعاشقها تصوير فظيع .

هو ذات الرحمن - تعالى الله - فريد فى الزمن - فتشت عليك يا الله ، لست
سواك يا الله ! جنة رضوان فى مستغانم ! ذوق فاسد فى مدح النبى، صلى الله
عليه وسلم . أهو اعراض وصدود ؟
من أقوال ابن الحبيب :

فساد فى اللفظ والمعنى أيضا

التلميذ نسخة من أستاذه ، الكون فى قبضتى ! رؤية الله . جهرا . ضريحه
بيت المعمور ! دعوة الناس لشدة الرحال اليه .
رفع الحجاب ومشاهدة الرب ، الخمار الاعظم ، كل غوث وقطب وولى تحت
حكمه خاضع له ، الفلك الدوار فى قبضته .

من أقوال الشيخ عده بن تونس : التلميذ كأستاذه .

من رآه - فى زعمه - رأى الله ! - أنت مخلوق وغير مخلوق ، الواحد ثلاثة
والثلاثة واحد ! رسول الله يعلم ما فى الصدور ! الموتى يتكلمون ! مولى سطوة !
أعبد الله أم مخلوق ؟ عبادة المخلوق بالدعاء .
يشتمل هذا القسم فى التعريف بالطريقة وقرسانها على فصول . .



نشأة الطريقة العليوية

الشيخ أحمد عليوة من هو ؟ وما هو ؟

بدع يعترفون بأنهم يعبدون الله بها

الفصل الأول :

الشيخ أحمد بن عليوة هو الذى تنسب اليه الطريقة وهو صاحب هذه الابيات المسؤول عنها ، والمستفتى فى شأنها ، وكانت موضوع نقد الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ومهاجمته وتقنيده ، وقد نشرت الابيات ضمن ديوان (شعر) طبعه الشيخ واذاعه عام 1920 م ، وكان محل تقدير من اتبعه وتأثير فيهم .

وكانت الطريقة العليوية - التى احدثها - وجدد بها الطريقة الشاذلية التى ورثها (قد امتدت فروعها فى الحاضر والبادى ، وتأسست جموعها فى أغلب النوادي (1) . وكان بعض القبائل يحاول رؤسائهم بكل إلحاح فى طلب من يصل الى ناحيتهم من رجال هذه الطائفة) (2) .

وقد ولد الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة بمدينة مستغانم اثناء الثلث الاخير من القرن التاسع عشر الميلادى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (سنة احدى وتسعين ومائتين وألف وبها توفى فى 4 ربيع الآخر 1353 هـ ، ودفن بزاويته العامرة وهو من عائلة شهيرة تخرج منها عدد كبير من القضاة، وينتسب الى جده الرابع فهو أحمد بن مصطفى بن محمد بن أحمد المعروف بالقاضى

- (1) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 .
(2) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 5 .



ابن عليوة

ابن محمد ابن الحاج على المعروف عند العامة بعليوه ٠٠٠ ابن غانم القادم من الجزائر بقصد السكنى بها ، (ذكر ذلك صاحب كتاب الحلل المرضية فى شرح الرسالة العليوية ، ص 6) .

وقال صاحب كتاب : (الشواهد) : (بلغنى ممن يوثق به انه من قبل احتلال الجزائر الى يومنا هذا - يعنى عام 1342 هـ - مر نحو 6 قضاة من عائلة الاستاذ، آخرهم ابن عم له يدعى الشيخ ابن هشى ابن الحاج حمو بن عليوه (3) اهـ وقد يدل هذا على عراقتهم فى التعاون مع العدو !

اما الشيخ أحمد نفسه فلم يكن له حظ كبير من الثقافة والعلم باجماع من عرفوه وترجموا له ، وبشهادة آثاره من (الشعر) والنثر ، وقد اعترف بتقصيره فى الطلب وضعف كتابته بالقلم فقال فى نظم رسالته العليوية :

معترفا بتقصيرى فيما اعلم وضعف الانامل لآخذ القلم
وقد زعم شارح هذه الرسالة تلميذه محمد بن الصالح التمسماى انه :
(يعترف رضى الله عنه بتقصيره لما يرجع لمعلوماته الفقهية) صفحة 9 من الشرح
وان ذلك تواضع منه (فهو وان لم يشتهر بتعاطى الدروس فى العلوم الظاهرة فقد كان له منها القدر الذى يجعله افقه أهل زمانه) (من أين له ؟) قال :
(بناء على ان العلم كما قال امامنا مالك رضى الله عنه ليس العلم بكثرة الروايات انما هو نور يضعه الله فى قلب من يشاء .

ثم زعم هذا الكاتب انه ناظر بعض علماء الوقت فبانست مكانته ، فيما تنظروا فيه وقالوا له بلغنا عنك انك لم تتعاط شيئا من الدروس فأجابهم بقوله : (استغفر الله فهو قول الله سبحانه) : « **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ** » .

وهذه الحكاية من شارحه وتلميذه تروى عنه انه كان معروفا عند العلماء المعاصرين له انه لم يتعاط شيئا من الدروس ، والمراد تعاطى الطلبة الدارسين لها ، المقبلين على طلب العلم ، واما حضور دروسها ، فان العامة فى بلادنا يحضرون ، وهذا الشيخ يزعم ويزعم له ان علمه لدنى ، وروى عنه هذا الشارح

(3) كتاب الشواهد والفتاوى ، ص 1 .

(صفحة 9 - 10) ما يؤيد هذا الزعم وانه ذكر له ذات يوم انه اعطى ملكة الفهم وسلامة القريحة ما يجعله يكتفى بختمة واحدة فى تحصيل ما يحتاج اليه ، وانه ختم مختصر خليل ، وألفية ابن مالك مرة واحدة .

ولكنه مع ذلك كان يتوقد ذكاء ودهاء فى معاملة الناس سواء كانوا من مريديه واتباعه واصدقائه أو كانوا من خصومه ومقاومي طريقته .

قال عنه الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى التلمسانى : مفتى مستغانم وهو من المعجبين به العارفين بأحواله : (نشأ فى بلده بين اظهر قومه وتربى فى حجر والده وعشيرته **خاملا** متدينا مشتغلا بما يعنيه ، ولما بلغ **الرجولة** دخل طريق القوم الصوفية ٠٠٠ فتردد بين من شاء من أهلها حتى ظفر بقسمه وظهر بحكم وقته فى تدينه ، مالكى المذهب ، أشعري العقيدة ، شاذلى الطريقة ، يحضر الجماعة والجمعة ويرغب فى الخير ، (4) .

شيخه فى السلوك :

يفهم من شهادة الشيخ المفتي أنه تردد على غير واحد من أهل التصوف وتردد على من شاء منهم ، ولكنه صاحب الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى المستغانمي ، شيخ الطريقة الشاذلية بمستغانم أكثر ، وكانت هذه الطريقة منتشرة فى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر ، وهى تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وقد اتصل الشيخ محمد عبده رحمه الله بأحد تلاميذ الشيخ المدني كان مستقرا فيها هو الشيخ درويش وتأثر به - والشيخ المدني كان من شيوخها ومقره ليبيا .

ودامت صحبة الشيخ ابن عليوة لاستاذة محمد بن الحبيب قريبا من خمسة عشر عاما خدمه فيها بأدب ، ولم يال جهدا فى مرضاته ، حتى مات وهو عنه راض ، وبذلك يعترف له عموم اخوانه (5) .

وفى ذلك يقول الشيخ ابن قارة فى شهادته :

« كنت أشاهده ملازما لشيخه بأدب كثير وهو

راض عنه حتى توفى فناب عنه وخلفه ، (6)

(4) المصدر المذكور ، ص 12 .

(5) أنظر المصدر السابق فى نفس الصفحة .

(6) حاشية الشواهد ، ص 5 .

والادب الجم ، والسلوك الحميد مع الشيخ واكتساب رضاه له أهمية كبرى عند القوم ، وقد يكون السبب الاوحد لنيل خلافته والنيابة عنه بعد مماته ، والظفر بـ : « قسمته » ويراد بهذه « القسمة » نصيبه من معرفة الله الخاصة التى هى غاية كل سالك فى طريق الله عز وجل وما أوجبوا صحبة المشائخ على المريدين الا من أجلها ، (7) .

قال ابن عاشر :

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ الْمَسَالِكِ يَقِيهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُهَالِكِ

تجديد الشيخ أحمد بن عليوة :

توفى الشيخ محمد بن الحبيب يوم الاثنين 10 شوال 1327 هـ (1909م) وخلفه من بعده فى مشيخة الطريقة بمستغانم الشيخ أحمد بن عليوة ، وكان فى عنفوان شبابه وقمة نشاطه ، فاذا كان دخل فى الطريقة لما بلغ مبلغ الرجولة (8) وعاش فى خدمة شيخه المذكور ملازما له ما يقرب من خمسة عشر عاما (9) فان سنه يوم آل اليه هذا الارث ، وتولى قيادة القوم ، وإرشاد (الإخوان) يكون فى الثلاثينات من عمره قد بلغ أشده ، وكاد يستوي .

لم يكتف الشيخ بالأساليب العادية لدى مشائخ الطرق ، أو بما ورثه عن سلفه - ومنها إقامة حلقات الذكر التى تدعى (الحضرة) ولها آداب معلومة عند القوم ، وربما رأى هذه الأساليب عتيقة ، وقديمة بالية - بل جدد أساليب الدعوة الى الطريقة ، ونسبها الى نفسها فدعا ، (الطريقة العليوية) أو دعيت هكذا تكريما لنشاطه وبراعته ، ومن أساليب تجديده اتخاذ (الخلوة) وتهيئته فيها الاسباب للمختلى حتى يتوهم رؤية الله بعينه جهرة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - أو يرى والديه الهالكين ، أو يرى خوارق للعادة - ، ومنها تأسيس فرقة للدعاة المتجولين ، تعقد اجتماعات وتتخذ قرارات ، كما يتبين ذلك مما يأتى :

(7) حاشية صفحة 13 من المصدر المذكور .

(8) شهادة الشيخ ابن قارة فى كتاب الشواهد ، ص 12 .

(9) كتاب الشهاد ، ص 5 .

الخلوة :

« هي بيت يدخله من مريديه تارة واحد وأخرى هي ٠٠٠ ولا يتجاوزون لعدد أصابع اليدين الا واحدا ٠٠٠ مرسوم بهذا البيت أمام المريد « الله » ينظر إليها أيام اقامته بالخلوة التي يفقد فيها الاكل ولا يخرج منها حتى يشاهد (الله) جهرة أو يرى أبويه الهالكين أو شيئا آخر ، وإذا خرج المريد من الخلوة صار محبا للشيخ وأخا مخلصا لمريديه عدوا أزرق عن عاداهم (10) .

ومن التنظيم الذي رتبته الشيخ للمريدين ان يعقدوا اجتماعات تنعقد من هؤلاء المريدين شبه جمعية فدائية آونة أو شبه لجنة تنشر الدعوة غالبا .

ففي الحالة الاولى تبحث عن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه لكي تحل به غضبها وتنتقم منه لشيخها ، وقد تكررت اعتداءاتها على من لم يؤمن بغوثية شيخها .

وفي الحالة الثانية ينتقل بعض أعضائها في البلدان ويتحدثون عن الشيخ وما له من الاسرار ، ويشترون بعض أصحاب الذمم الخبرة ممن ينتسبون للعلم لكي يشهد لشيخهم ، أو يؤلف كتابا باسمه يصطادون به البسطاء ويغرونهم بانه عالم كبير بل بحر لا ساحل له (11) .

كتاب الشهاد والفتاوى :

والكاتب يشير بقوله المنتسبين الى العلم ٠٠ - بلا شك الى مثل صنع الشيخ محمد بن عبد الباري التونسي الذي أقدم على نشر كتاب باسمه سماه « الشهاد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلوي » وطبعه في المطبعة التونسية ، وجعله ردا مباشرا على رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس التي عنوانها « جواب سؤال عن سوء مقال » والتي قرظها كبار علماء تونس والجزائر والمغرب ، وضللوا من تجرأ على مقام النبوة ، واساء الادب مع من أمرنا بتعزيزه وتوقيره وحبه عليه الصلاة والسلام ، واعلنوا تصحيحهم لما قال ابن باديس وتأيبدهم لموقفه .

(10) جريدة الشهاب عدد 78 يوم الخميس 2 رجب 1345هـ - 6 جانفي 1927.

(11) المصدر السابق .

كما كان ذلك الكتاب ردا على حملة صحفية كاشفة لما تعلنه طائفة العلوية خصوصا وبعض رجال الطرق الصوفية عموما من أقوال أو أعمال منافية للشريعة الإسلامية مصادمة لها وما تتركه في الامة من آثار سيئة دينية واجتماعية .

وقد زعزت هذه الحملات : - برسالة ابن باديس ، وبمقالات أصحابه من المصلحين ودروسهم - زعزت نفوذهم وهددت أركان بنيانهم ، وتخرجوا منها ، أيما حرج ، وزرعت الشك في عقائدهم وفي شخصية وأقوال وأعمال شيخهم ، وكان قبل هذه الحملة قد انتشر نفوذهم أنتشارا عظيما فامتد الى المغرب والى تونس ، واجتاز البحر الى فرنسا وبريطانيا ، وكادت الطريقة العلوية (تبتلع) غيرها من بقية الطرق الصوفية وتعفى على آثارها بفضل تنظيمها ونشاط دعائها ، ودهاء شيخها .

لم يكن مؤلف كتاب الشهادت والفتاوى من علماء تونس البارزين وكتابتها المشهورين ، لهذا لم يعتمد على الرد العلمى ، ومقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وانما عدل الى التماس شهادات رسمية مستخرجة من المحاكم الشرعية بوثائقها وتسجيلاتها ودفع أجورها كما فعل لما التمس شهادة محكمة مستغانم الرسمية .

وقد ختمت الشهادة بقول الموثق التقليدى « شهد به من علمه وتحققه بتاريخ السابع عشر جانفى سنة 1924 م ، أجرته بترجمته أحد عشر فرنكا وخمسة وعشرون سانتيمما وواجب السطور ثلاثة فرنك واثنى عشر سانتيمما قبض الكل تحت عدد 363 بادرة الدومين بمستغانم يوم 18 جانفى 1924 م ، . . . الخ (12) .

وهكذا فليكن الرد وليجدد أسلوب النقد !

لقد اكتفى صاحب الكتاب بتوجيه اسئلة يوجهها الى اشخاص معينين ويتلقى اجوبتها ثم يسجلها كما تقدم . من هذه الاسئلة ما وجه الى مفتى مستغانم يقول فيها : هل اتضح عندكم من سيرة الشيخ ما يخل بالتسرع

(12) كتاب الشهادت ، ص 11 .

الشريف ؟ وهل هو عندكم ممن يعضد السنة والجماعة ؟ وهل ما جرى على لسانه من الشطحات كان مسبوقا بمثلها ؟ وهل ما اعتاده اتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟ (13) .

وقد كان الذين وجهت اليهم الاسئلة فاجابوا ، وشاركوا بأجوبتهم في تأليف هذا الكتاب اما علماء موظفين ، متصلين بالادارة الفرنسية خاضعين لنفوذها ؛ معرضين لسلطوتها وانتقامها - وأعظم بارهابها وانتقامها في تلك الايام - ! (1924 - 1925 م) ، من قضاة ومدرسين ورجال الافتاء ، واما أجانِب عن الموضوع ليسوا من أهل العلم ولا يدعونهُ كنواب المجلس وأعضاء البلديات ورؤساء القبائل ، واما علماء منسبين الى العلم خاملا ذكرهم مجهولة أسمائهم في المغرب أو في تونس أو في بعض جهات الجزائر .

ومن الملاحظات التي لا بد أن تلفت الانتباه ان « المؤلف » وجه أسئلته الى قاضي تلمسان الشيخ شعيب رحمه الله ، وكان هذا الشيخ ممن قرظ رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس وعلق عليها ، فتخرج موقفه ، ولم يربدا من قوله يخاطب سائله التونسي (لما عزمتم على الجواب حصل لي ألم اضناني فاملت على ولدي هذه الكلمات ... وهي أننى اكتفيت بجواب الشيخين المفتين ... حيث انى كنت عازما على القول فيها بمثل ما قالوا ، ولانهما ادرى منى بحاله ... ، ويعنى بالشيخين : عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم وضواحيها ، ومحمد ابن الحاج علال مفتى تلمسان ونواحيها ويقول : (لكون الأول ببلده ومصره ، والثانى عاشره مدة سبعة وعشرين عاما ، (*)) .

وهذا تملص واضح من الشيخ شعيب ينجو به من مخالف من أراد به سوءا اذا لم يجب ، ولا يوقعه فى تناقض مع تقريره لرسالة ابن باديس وبتعليقه بقلمه عليها .

اسلوب اجدى فى المقاومة :

ولم يغن هذا الكتاب عن أصحابه شيئا فى دفع الاثر الكبير الذى تركته رسالة (جَواب سؤال عن سرء مقال) على موقفهم وموقف شيخهم خصوصا وقد

(13) المصدر المذكور ، ص 12 .

(*) كتاب الشهادت ، ص 23 .

دعمت من قبل اشهر علماء تونس والجزائر والمغرب الذين اطلعوا على ما جاء فيها واقروه وأيدوه وضللوا صاحب الشطحة الصوفية بذلكم الشعر السخيف البارد كما وصفه قاضى الجماعة بتونس الشيخ محمد الصادق النيفر . ومن نشر الرسالة واشتهارها توالى الهجمات الصادقة العنيفة على أقوال وأعمال القوم المنتسبين الى الصوفية ، عندنا ، وكشف أمرهم ، وانهم لا يمثلون طريق الصوفية كما هى سيرة اقطابهم لم ينفع هذا الكتاب ، ولا مقالات صحيفتهم (لسان الدين) ولا تقلب جريدة (النجاح) ووقوف أصحابها فى جانبهم ، خاضعين لاساليب الترغيب والترهيب معلنين توبتهم من موقف لهم سبق فى نشر بعض مقالات المصلحين .

لهذا قرروا أن يردوا على المصلحين بأسلوب آخر يملكون وسائله ويتقنون فنونه ، هو أسلوب العنف ومحاولة الفتك بهم . كما وقع مع الاستاذ ابن باديس رحمه الله ومع كاتم سره السيد أحمد بوشمال .

مقاتل العليويين والمبتدعين :

كان من مقاتل خصوم الإصلاح عبادة الله (بالرقص) ، وما يقع فيها من قول وفعل ينافى السنة وان حرصوا على الادعاء انهم يلتزمون بها ، واقامة (الحضرة) ، وإعلان الشطحات من أقوال تؤذى الله ورسوله كالقول بالحلول، ووحدية الوجود ، واتهام النبى صلى الله عليه وسلم بالدلال والترفع عليهم ، ودعوته الى المحاكمة أمام الله كما تضمنتها الابيات التى انتقدها ابن باديس وأخيرا الالتجاء الى العنف والاقدام على محاولة الاغتيال لخصومهم .

الحضرة - عبادة الله بالرقص :

هذا ما كان ينكره حزب الإصلاح على الطرفين عموما وقد التزمه العليويون ودافعوا عنه ووضعوا له آدابا واسماء ، ورفعوا سنده الى الصحابة رضوان الله عنهم ، واستشهدوا بأحاديث لا يعترف بها المختصون من رجال الحديث ولا تصح عندهم ولا تستحسن . يقول الشيخ عبد القادر بن قاره مصطفى مفتى مستغانم فى جواب سؤال نصه : هل ما اعتاده أتباعه من الرقص بالذكر والتغنى بالاشعار هو عندكم مما لا شبهة فيه ؟

« الذكر على هذا الوجه هو المعروف عندنا (الحضرة) ، وهي اذا كانت مستوفية لشروطها وآدابها المعلومة عند القوم . . . سالمة من الموانع الشرعية لا شبهة عندنا فيها (14) . »

والحضرة (عبارة عن اجتماع الذاكرين لله تعالى على وجه مخصوص وكيفية معلومة . . .) أذكّرها دائرة بين الهيللة (لا اله الا الله) والاسم الاعظم : اسم الجلالة (الله) واسم الهوية (هو) ، واسم المتواهين المعنون عنه باسم الصدر (اه) اقتطافاً من اسم (الله) اكتفاء بأوله وآخره - وعدوا ذلك من خواصه ، واسم المتولّين (هو) باسكان الواو سكونا ميتاً أو (ه) بلا واو على تدرّج وترتيب عندهم على حسب حال الذاكرين .

رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس !

ثم يقول وكيفيتها (الحضرة) التحلق والاهتزاز بحركة متزنة مع شيء من السماع للتشقق والتنشيط ، وقصدهم بذلك جمع القلوب على طاعة الله ، واستعمال الجوارح في طاعة الله عز وجل ، ودفع الكسل والفتور والنوم وجريان المدد بين المجتمعين من القوم ، وقد جربوا ذلك فوجدوا له خاصة في تنويم القلب وتهييج سلطان الحب والزج بصاحبها في حضرة القدس والانس والقرب . وقد قال سيدي أحمد بن يوسف . . . ذكر (الحضرة) أو له لسان ووسطه قلب وآخره روح (15) .

افتراء على الصحابة

ومن أنكر المنكر ان يستدلوا لشرعية هذه (الحضرة) بعمل بعض الصحابة والتابعين ، ذكروا ان بعض أهل التفسير : - الالوسي - نقل ان ابن عمر وعروة ابن الزبير وجماعة من الصحابة خرجوا يوم العيد للمصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم لبعض أما قال الله تعالى : « يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » ؟ فقاموا يذكرون الله على أقدامهم (16) .

(14) ص 16 من كتاب الشهاد - الشهادة الثانية .

(15) ص : 16 و 17 من كتاب الشهاد - الشهادة الثانية .

(16) الشهاد ، ص 16 حاشية .

لو صح النقل والخبر ، واستقام عند ارباب الصناعة فليس فيه اذن
باجتماع القوم ، والقيام ، والجهر ، والتطريب والتلحين ولروى عنهم بجماعة
مستفيضة ، لو صح لما دل مطلقا على (الحضرة) التى عرفت عن القوم وصورها
بأمانة قلم الشيخ المفتى ، وحدد لها شروطها وآدابها ، وعين لها الفاظا ليس فيها
ما هو من الذكر الشرعى سوى كلمة « لا إله إلا الله » ووضع لها أسماء الهيللة ،
والاسم الاعظم واسم الهوية وهو اسم المتأوهين والمعنون عنه باسم الصدر واسم
المتوليين ، أما كلمات (هو) و (اه) و (ه) الخ فانها بأصوات الحيوانات
العجمى أشبه منها بأصوات العقلاء .

وأما الاهتزاز والرقص فقد احتجوا له بما زعموه مرويا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « ليس بكريم من لم يهتز عند ذكر الحبيب » . سبق
المهتزون بذكر الله . . . يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا ،
ورائحة الوضع تفوح من هذا الكلام . ومنذ عهد السلف كان من أكبر الوضاعين
للحديث جهلة المتصوفة .

وضع حديث عن أبي بكر

كما احتجوا له بما روى ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما تبرع بماله
كله وجاء به لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فى التهيؤ لغزوة تبوك - سألته
« ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله » .

فهذا حديث رواه الترمذى وأبو داود من أهل السنن ، ولكن الوضاعين
زادوا فيه زيادة وضعوها ولم ترو لا بسند صحيح ولا ضعيف . قال الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي : « اختلق بعضهم زيادة فى الحديث ان النبى (ص)
قال له يا أبا بكر ان الله راض عنك فهل أنت راض عنه ؟ فاسفزه السرور
والوجد وقام يرقص أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا كيف لا أَرْضَى
عن الله ؟ ثم ذهبوا يجعلون من هذه الزيادة المختلقة دليلا على مشروعية الرقص
والدوران فى حلق الذكر . . . فهو دليل مختلق لم يثبت فى حديث صحيح
ولا ضعيف ان أبا بكر قام يفعل ذلك » وأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وهو لا يقر أحدا على فعل حرام بحضرته .

ثم قال الدكتور : « فإدخال الرقص - مهما كانت كلفيته فى ذكر الله تعالى إقحام لما هو مكروه أو محرم فى عبادة مشروعة ... اصف الى ذلك ما يتلبس به حال هؤلاء (الذاكرين) من التفوه بأصوات ليست من الفاظ الذكر فى شىء وانما هى حمحات وهمهمات تصعد من حلقهم ليتكون منها دوى متناسق معين ينسجم مع تواقع المنشدين والمطربين ... كيف يكون هذا العمل عبادة والعبادة - كما نعلم - هى ما شرعه الله تعالى فى كتابه أو سنة رسوله لا يزداد عليها ولا ينقص منها ؟ »

ثم نقل الدكتور عن الإمام عز الدين بن عبد السلام قوله :
« واما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة لرعونة الإناث ، لا يفعلها الا راعن أو متصنع كذاب » .

وقال الدكتور : واعلم ان هذا الذى نقوله هو ما أجمع عليه علماء الشريعة فى مختلف العصور « انظر كتابه « فقه السيرة » فى كلامه على غزوة تبوك . صفحات : 408 - 409 - 410 ، طبعة جديدة - دار الفكر - بيروت .

النسبة الصحيحة لذكر الصدر

ولعل النسبة الصحيحة للذكر الذى عنون له المفتى باسم المتأوهين - وقال عنه أنه (اه) وأنهم فيه « يذكرون الله بصدرهم دون ألسنتهم ويكرون مثل السباع » (17) وأنه عندهم « ذكر أهل الحقيقة ... وذكر أهل الفراسة الصحيحة ... فاذا ذكر ولا تنكر ومن أنكر فقد أنكر الحق وأمله (18) لعل النسبة الصحيحة لهذا النوع من الذكر أنه يهودي المصدر ، وليس بإسلامي ، ولا يرتفع الى الصحابة الأبرار الأخيار ، ولكن يرتفع الى التوراة التى شهد الله أنهم حرفوا وبدلوا وغيروا فيها ، وحتى على فرض النص فيها فانه منسوخ ما لم يجدده شرعنا .

وجزى الله الغفلة أو (الذكاء الخارق) لصاحب كتاب الشهاد الذى نقل النسب الحقيقي لهذا النوع من الذكر اذ قال - وهو يتحدث على المخترعين لهذا

(17) الشهاد ، ص 17 .

(18) الشهاد ، ص 18 .

النوع ويزعم أنهم ألهموا إليه الها ما ثم اقرهم على الهامهم النبي صلى الله عليه وسلم والخضر - قال ما نصه: «قال الاستاذ وما يشعرنا بصدق الهامهم ويزيدنا استغرابا في توفيقهم لما هنالك هو موافقتهم بتكرير صدورهم اسما من اسماء الله تعالى صرحت به التوراة في سفر الخروج 19 ثم ينقل أن موسى سأل ربه عن اسمه وهو يناجيه فقال « ابيه » ، وأنه أمره أن يبلفه إلى بني اسرائيل ، وأنه اسمه إلى آخر الدهر ، وبه ذكره إلى آخر الاجيال ، ونقل عن مختصر القاموس أن « يهوه » من اسماء الله بالعبرية » (20) .

فالموضح أن القضية ليس فيها الهام وتوفق ، وإنما فيها تسرب أو نقل وتسريب والمحققون من علماء السنة وغيرهم أن أغلب طقوس القوم جاءت من مذهب الباطنية ، وقد حقق ذلك شيخ المؤرخين عبد الرحمن بن خلدون .

ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها :

جواب الشيخ المفتي عن الكيفية السابقة في (الحضرة) والذكر بها وأنه لا شبهة عنده فيها كلام بعيد عن التحقيق ، بل ياباه الشرع كل الإباء ، وقد أجاب عنه جواب أحد اتباع الطريقة الصوفية المنهمكين في بدعها ، وليس جواب عالم في عنقه امانة علمية عليه أن يؤذيها ، لأن ذكر الله سبحانه - وهو مما أمر الله به المؤمنين في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » وقوله في مدح أقوام منهم الذاكرون : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » لا يكون إلا بما يوافق الكتاب والسنة . وكل خروج (عن الذكر الشرعى إلى ذكر محرف يخالف الكتاب والسنة والاجماع . . . الذكر الذى لا يوافق قوله تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله » ، وقوله تعالى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » ولا قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل ما قلته أنا والتبثثون من قبلي لا إله إلا الله) وغير ذلك عن الآيات والأحاديث الصحيحة - حرام بإجماع الائمة ومردود على فاعله (21) بنص الحديث المتفق عليه (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

(19) صفحة 18 .

(20) انظر صفحة 18 (حاشية) .

(21) الابداع في مضار الابتداع ، 183 .

ومما لا شك فيه ان تحريف اسماء الله تعالى من أقبح البدع المحرمة ، فالانسان العادى المحترم لا يحرف اسمه ، ولا يرضى به ، ولا يرضى له به ان وقع ، واسماء الله سبحانه توقيفية مروية عن رسول الله وجاء بها كتاب الله ، ووصفها بالحسنى وأمر ان يدعى بها : « **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** » فالوعيد الشديد لمن ألحد فى اسمائه تعالى بإجماع فى جميع الاوقات، فهم يذكرون الله ويعبدونه بالسيئات فيصيرون من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (22) .

الرقص عند الذكر فعل اليهود :

لا سند لهم فى الرقص عند الذكر من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من فعل السلف الصالح فى خير القرون ، وقد حقق العلماء سند فعل الراقصين عند الذكر . قال ابن الحاج فى المدخل .

(واما الرقص والتواجد فاوّل من أحدثه أصحاب السامري ، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل (23) . ونقل القرطبي عن الامام الطرسوسي انه سئل عن قوم فى مكان يقرأون شيئا من القرآن ثم ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون ويضربون بالدف والشبابة ، هل الحضور معهم حلال أم لا ؟ فأجاب : (مذهب السادة الصوفية ان هذا بطالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واما الرقص والتواجد فاوّل من أحدثه أصحاب السامري . . . وانما كان مجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه كانا على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه ان يمتنعوا عن الحضور فى المساجد وغيرها ، ولا يجلس لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم ، هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين (24) .

(22) الابداع ، 187 .

(23) الابداع ، 190 .

(24) الابداع ، 190 .

وقد يزين الشيطان لهم أعمالهم فيتوهمون انهم بالرقص والاهتزاز والغناء والسماع قد فتحت لهم الأبواب (حضرة القدس) ووصلوا ونالوا الكرامة والرضى . ويعجبني ما أجاب به إمام العارفين أبو على الروذبادي لما سئل عن يسمع الملاهي ويقول هي لي حلال لانني قد وصلت الى درجة لا يؤثر في اختلاف الاحوال، فقال رضي الله عنه : « نعم قد وصل ، ولكن إلى سقر » (25) .

الفصل الثاني :

القول بالحلول ووحدة الوجود :

من أشد ما انكر على العليويين وشيخهم ، ووقع من أجله الصدام بينهم وبين خصومهم وسالت فيه أودية من المداد في الصحف والكتب والمجلات - القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، وهذا القول ليس من مخترعاتهم ، وابتكاراتهم ، ولكنهم مسؤولون عن الاخذ به وترويجه وفتنة دعوة الناس اليه ، فهو مذهب أخذت به جماعة من (المتصوفة) المتأخرين كما صرح به ابن خلدون في مقدمته عندما تكلم على التصوف ، ولم يسلم لهم بل رده عليهم الفقهاء وأهل الفتيا وتعرضوا لنقمتهم وتكفيرهم .

وفحوى هذا المذهب : (أن المولى جل وعلا متحد بمخلوقاته) .

قال ابن خلدون : (وهذا الاتحاد - هو الحلول الذي تدعيه النصاري في المسيح عليه السلام ، وهو أغرب لانه حلول قديم في محدث - أو اتحاده به ، وهو أيضا عين ما تقوله الامامية من الشيعة في الائمة (26) ويكفيه شناعة ان يكون مذهباً للنصارى الذين كفرهم القرآن بهذا القول ، وهو مذهب للشيعة الامامية الاسماعلية وكيدهم للاسلام معلوم .

ثم بين ابن خلدون أن الاتحاد في كلامهم على طريقتين : الاولى ان ذات القديم كائنة في المحدثات محسوسها ومعقولها ، متحدة بها من المتصورين ، وهي كلها مظاهر له ، وهو القائم عليها ، أى المقدم لوجودها ، بمعنى لولاه لكانت عدما (27) .

(25) الابداع ، 191 .

(26) مقدمة ابن خلدون فصل التصوف ، ص 870 .

(27) انظر الفصل المذكور في المقدمة .

أما الطريقة الثانية فهي القول بوحدة الوجود، ونفى الغيرية بين القديم وبين المخلوقات في الذات والوجود والصفات وقالوا : « لا وجود - بالحقيقة الا للقديم لا في الظاهر ولا في الباطن » (28) ، وبعد بسط ومحاولة شرح لهذا المذهب قال : « وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالاعمض فالاعمض بالنسبة الى أهل النظم والاصطلاحات والعلوم (29) » .

الررافضية :

ثم حقق ابن خلدون ان متأخري الصوفية قد خالطوا الرافضية وأخذوا عنهم مذهبهم وأقوالهم . ثم ان هؤلاء المتأخرين من الصوفية والمتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما أشرنا وملأوا الصحف منه مثل الهروي وغيره وتبعهم ابن عربي (يعنى محيى الدين بن عربي الحاتمي المتصوف وهو غير أبى بكر بن العربي امام أهل السنة وصاحب كتاب أحكام القرآن وغيره) - وابن سبعين تلميذهما ثم ابن العفيف وابن الفارض والنجم الاسرائيلى (تأمل الاسرائيلى !) فى قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعلية المتأخرين من الرافضة الدائنين بالحلول والهيئة الائمة مذهباً لم يعرف لاولهم (30) . يعنى المتقدمين من أهل التصوف المصرحين بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله فى عقائدهم وعاداتهم .

وقد استند المصلحون فى الزام العلويين وشيوخهم وبعض المتصوفة المعاصرين بمذهب الحلول على أقوال رويت عنهم ، ونسبت اليهم ، وروجت باسمائهم طبعاً ونشراً فلم ينكروها ، ولم يتبرأوا منها ، واذا وود فيها ما ينكر ويخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبهوا اليه فقصاراهم - ان قامت عليهم الحجة - قولهم : بانه شطحة من الشحطات التى تقال فى الغيبوبة عن الوجود .

(28) انظر صفحة 871 .

(29) المقدمة ، صفحة 872 .

(30) المقدمة بحث التصوف .

انكار الفقهاء وأهل الفتيا :

وذكر ابن خلدون أن كثيرا من الفقهاء وأهل الفتيا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها ، وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة وذلك أربعة مواقف .

1 - الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاما ويترقى منه الى غيره .

2 - الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب . . .

3 - التصرفات في العوالم والاكوان بأنواع الكرامات .

4 - الفاظ موهمة الظاهر صدرت من كثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات فتستشكل ظواهرها ، فمنكر ، ومحسن ، ومتأول (31) وقد فصل الكلام في ذلك بعض التفصيل فليراجع ، ولكن يهمننا أكثر القسم الأخير وهو :

الشطحات متى يؤاخذ عليها ومتى لا ؟

أطلقوا لفظ الشطحات - في اصطلاحهم - على الألفاظ الموهمة المشكلة للظاهر ولو أخذ بظاهرها لكانت قاطعة بردة قائلها والحكم عليه ، فما حكمها اذا صدرت من احدهم ؟ فرقوا بين ان تصدر منه وهو في حالة اليقظة وكمال الوعي وبين ما اذا كان في حال الجذب وغيبية عن الحس، وفي هذا فرقوا بين من اشتهر بالفضل وأتى بمخرج وبين من لم يشتهر بذلك أو لم يأت بمخرج ، قال ابن خلدون :

... الانصاف - في شأن القوم - انهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عندها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور فمن علم منهم فضله واقتدأه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله ... ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذ لم يتبين لنا ما يحمله على تأويل كلامه .

وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر فى حسه لم يملكه الحال فمؤاخذ أيضا ،
ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الحلاج لانه تكلم فى حضور وهو
مالك لحاله (32) .

الفصل الثالث :

ابن باديس يهاجم (شطحة) خطيرة

أخذ العليويون بمذهب متأخرى الصوفية ولم يكتفوا برواية (شطحات)
من سبقهم ، ولكن شيخهم نشر ديوانا شحنه بالالفاظ الموهمة التى لا يمكن
سكوت الفقهاء ولا أهل الفتوى عليها ، وهذا ما فعله الشيخ عبد الحميد
ابن باديس فى رسالته (جواب سؤال عن سوء مقال) وقد انتقى من ذلك
(شطحة) تناولت مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وقدم اليه سؤال بشأنها
فتردد أولا فى الجواب عنه ثم عزم وصمم فرد - بالحجة والبرهان - ورفض
ان يقدم مسلم صحيح الايمان على ما أقدم عليه صاحب الشطحة ونصحه
واتباعه بالتزام كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك
عام 1340 هـ (1922 م) ، وقد نشرت هذه الرسالة فى مكان آخر من هذا
المؤلف .

ولما انشأ المنتقد ثم الشهاب عام 1343 هـ (1925 م) توالت هجماته وهجمات
الكتاب المصلحين على تصرفات هؤلاء المتأخرين من الصوفية المعاصرين وعلى
عبادتهم الله بالرقص وعلى النطق بمثل هذه الشطحات وترويجها فى الكتب
وتضليل المتمذهبين المسلمين بمذهب الحلول ووحدية الوجود ، وعلى مواقفهم
السياسية واتصالهم بالمستعمرين ، وتارة برجال المسيحية أو بالمبتدعين مثل
القديانيين .

(الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات :

كان الشهاب - بعد المنتقد - لسان حال الفقهاء وأهل الفتيا فى عصره ومصره
فلم يكن ليقر ذكر الله بالحضرة ، أو بالرقص والسماع والشطحات التى

(32) المقدمة : فى الكلام على التصوف . والحلاج هو الحسين بن منصور امام
القول بالحلول ، وقد حوكم وشهد عليه أقرب الناس اليه وحكم باعدامه وكان
فيمن ادانه صوفية حضروا محاكمته وحكموا عليه .

تصدر فى الغيوبه - كما يزعم - ثم تنشر وتطبع وتروج ، وكان يكتب فى الشهاب فطاخل العلماء والكتاب المفكرين وخصوصا من أهل الجزائر والمغرب الاقصى، ولم تكن لاهل المغرب - آنذاك - صحيفة حرة ينتفسون فيها فاتخذوا من الشهاب متنفسا لهم ، وكان بالمغرب من هؤلاء الصوفية المتأخرين ، ومن أهل الحضرة أو (العمارة) الذاكرين الله بالرقصات والشطحات مثل (ما) بالجزائر أو أكثر وأخطر ، والطريقة الدرقاوية منتشرة فيه ، وشرعت العليوية تنتشر به . ومن أشد الهجمات على هؤلاء الذاكرين (الغنائين) ما نشر فى الشهاب العدد 76 بامضاء (مسلم غيور) من فاس ، ولا شك أنه أحد علماء القرويين الفحول نشير اليه فيما يأتى ، فلما وقع الاعتداء على ابن باديس ترك أثره كبيرا فى المغرب الاقصى .

ومن الملاحظ أن خبر الاعتداء الواقع على شخصية الشيخ عبد الحميد ابن باديس وإرادة الفتك به ليلة 9 جمادى الآخرة 1343 هـ الموافق 14 ديسمبر 1926 م نشر بنفس هذا العدد الصادر فى 18 جمادى الآخرة الموافق 23 ديسمبر 1926 .

القوم فى الحضرة :

وقد جاء فى المقال - وما تبعه ، ذكر حركاتهم وأقوالهم فى شطحاتهم مما يثبت عليهم الحلول ووحدية الوجود والتصرف فى الكون مما لو أخذ على ظاهره لكانوا مرتدين لا يعفيهم من الارتداد أحد علماء المسلمين .

قال :

« لعلك تتساءل أيها القارئ الكريم - ما قصدهم بهذه الشطحات ؟ وما معنى تسميتها بالحضرة ربما كان قصدهم الاولى من ابتداعها ترويح النفس من عناء العبادة وطول المراقبة والمشاهدة ومشقة الجهاد الاكبر جهاد النفس ، ولو وقفوا عند هذا الحد لخف الامر وهان وقلنا كما قال الغزالي (الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول الا بالتعب) لعل القوم اجتهدوا فإخطأوا - وسبحان من لا يجوز عليه الخطأ وهذه معصية كبرى أتوها بجهالة » وكان أمر الله قدرًا مقدرًا « عسى الله ان يرحمهم وان تابوا يتب الله عليهم » .

« ولكن هيهات هيهات ! أنى لك بالتماس الاعذار لهؤلاء ... القوم يرفعون
عقيرتهم حتى تشق عنان السماء ، صباح مساء . ان لهم فى تلك السويعات
أوقاتا مع الله عندهم فيها المراقبة والمشاهدة والخلوة والجلوة ، فيها يفتح
الله لهم البصائر والابصار ، وتخرق لهم الحجب والاستار ، تكشف لهم
المعارف والاسرار ، ويخلعون العذار ، عن عالم الفناء والاغيار ، الى عالم الشهود
والوجود المطلق !

هنالك تتجلى لهم الحقائق ، وتتجلى لهم الدقائق الخفية والرقائق ، وتدار
عليهم الكؤوس ، ابهى من الشمس ، وتسفر لهم ليلى عن وجهها اللثام ،
وتحط عن محاسن محياها الخمار ، وقد انقطع الغير ، وزال البين وامتزجت
الذات فى الذات ، والصفات بالصفات ، فلم يبق عابد ومعبود ومحِب ومحبوب
وقال قائلهم :

عجبا كيف ينافينى البقا وارى فــــانــــى
ووجودى كل شىء سبقا ليس لى ثــــانــــى
وقال :

والذى أهواه حقا لم يزل ذاتى وعينى
فانظرونى تبصروه انه والله انى
ليس من يهوى سواه فى طريق الحب محبة
وقال :

فما ثم من شىء سوى الله فى الورى فما ثم مسموع وما ثم سامع
وما الخلق فى التمثال الا كتلجة وانت لها الماء الذى هو تابع
ذلك مقام السكر والفناء ، رقصوا فيه وشطحوا ، وصاحوا وصرخوا :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا جبال حنين ما سقونى لغنت
تغنوا فيه بليلى وسلمى ، وعزة ونعمى ، وحلالهم المدام ، وطاب لهم الحال
والمقام واتحدث الانية بالهوية ، ورفعت عنهم سبة التكليف الشرعية :

كذلك أرواح المحبين يا فتى تهزرها الاشواق للعالم الاسنى
فلا تلم السكران فى حال سكره فقد رفع التكليف فى سكرنا عنا

ومما زاد فى طين افكهم بلة وفى طنبور عويلهم نعمة انهم الحقوها - يعنى الحضرة - بالعبادات ، ففرضوا لها أركاناً وواجبات وسنناً ومستحبات ، وشروطاً لم ياذن الله بها ، بل ارتقوا عن ذلك درجات ، ففضلوها على كثير من العبادات ، ففى كلام بعض شيوخهم (**عمارة واحدة أفضل** من عبادة خمسة وثلاثين سنة) وفى رواية لغيره « تعدل عبادة سبعين سنة » وانهم يجدون قلبهم فيها مع الله أكثر مما يجدونه فى الصلاة والصيام ، اذ هذه انما شرعت للعوام ! عياداك - اللهم - من هذا الكلام ، فانه مخالف لشريعة الاسلام ، وتنقيص للرسول الكرام ، وتثبيط للناس عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهم بعمارته هذه « كالذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وارشاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم معهم أبداً » ولا تغترر بزخرف قولهم وبهرجة عملهم فان وراء الاكمة ما وراءها . اهـ

هذا نص بعض ما جاء فى مقال المسلم الغيور ، وظاهر كل (شطحة) مما جاء فيه من الشعر يردى صاحبها :

الاولى يزعم فيها هذا (المجذوب) انه هو نفس الاله لا ينافيه - كمخلوق - البقاء ، وهو كاله سبق وجوده كل شئ ، وليس له ثان .

الثانية هى نفس قول الحلاج الذى حكم الفقهاء بقتله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فكلانا قد سكنا بدنا
فاذا أبصرتني أبصرته واذا أبصرته ابصرتنا
وفى أبيات أخرى يقول :

فلا علم الا من بحار وردتها ولا نقل الا من صحيح روايتي
وشاهدت ما فوق السموات كلها كذا العرش والكرسي فى طي قبضتي
وامرى أمر الله ان قلت كن يكن وكل بأمر الله فاحكم بقدرتي !
الله سبحانه وحده من قبضته الكون كله كما قال : « وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » ونحن نقول : (سبحانهك اللهم ربنا وتعاليت عما يقول

شيخ الطريقة هذا) فقد جعل نفسه ذاتك وادعى ما هو لك وحدك وزعم انه يقول للشئ (كن فيكون) .

وما علمنا ان صنما مما عبد من دون الله أسند لنفسه أو اسند له من يعبد من دون الله مثل ما قال عن نفسه هذا (الصنم) السخيف وحتى الذى قال : (أنا ربكم الاعلى) لم يسند الى نفسه مثل هذا .

وقد نقل أيضا عن (فتوح الغيب) قريبا من هذا مثل قوله :

ويسمع تسبيح الصوامت مسمى وانى لاسرار الصدور اطالع
وأعلم ما قد كان فى زمن مضى وحالا ، وآرى ما أفاد مضارع
ولو خطرت فى أسود الليل نملة على صخرة صماء انى أطالع
أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة واحصى عديد القطر وهى هوامع
وكل هدى فى العالمين فانه هداى ومالى فى الوجود منازع
وبيتى سقف العرش حاشاى ليس لى مكان ومن فيضى خلقن المواضع
وكل معاش الخلق تجريه راحتى لراحتهم جودا ولست أصانع
قول مثل هذا ان صدر من مخلوق فاهون ما يلحقه أن يوضع فى مرستان ،
ولكنه اعتقاد فاسد لأصحاب وحدة الوجود والحلول انهم (آلهة) يتصرفون
فى الكون ! واذا سئلوا عنها قالوا : (هي شطحات) !

الفصل الرابع :

هل للشيخ ابن عليوة شطحات ؟

اعترف الشيخ أحمد بن عليوة واتباعه أنه له شطحات وانه تعتريه الحال التى تصدر عنها مثل هذه الاقوال السابق ذكرها .

جاء هذا الاعتراف مسجلا فى السؤال المقدم الى ابن باديس عن قوله السىء فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ، واعتذاره (بعجمة السنة المحبين) .
وقد فند ابن باديس هذا العذر بأدلة شرعية مقنعة فى الفصل الثالث من رده .

كما سجل السيد اسماعيل مامي - فى دفاعه عن ابن عليوة - اعتراف الشيخ واتباعه بهذه الشطحة ، ونقله عن الشيخ مباشرة من مشافهة له ، ونشره فى جريدة النجاح وعنها نقله (كتاب الشهاد) فى صفحة 56 .

يقول اسماعيل مامي - حسب نقل الكتاب المذكور - :

وبعد ما سكت الشيخ سألته عن الابيات التى بالديوان وهى :

أن مت بالشوق منكـد ما عذر ينجيـك ؟ الخ

فقال : - يعنى الشيخ العليوى - : لكل شىء سبب ، وسبب تلك الابيات أننى كنت ذات يوم فى اشتياق عظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ، وفى حال غير ما تشاهد منى الآن ، فأخذتنى سنة من النوم فرأيت كانى أخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الابيات ، وهو فى تدلل وترفع عنى وانا فى احتقار وتذلله فلما انتهت رسمتها فى « كنىشى » ثم حكيت القصة لرفيق كان مرافقا لى ، فقال : لا بأس بآبائنا فى الديوان والنص عليه . . الخ

فهذا اعتراف صريح ، وان كان فيه خلط بين رؤية المنام التى يتفق الجميع على سقوط الملام عنه لو أساء فيه القول ، وبين حالة الجذب والغيوبة عن الحس التى تصدر فيها الشطحات كما عرفها اربابها .

وفى هذه الرواية اعتراف بشناعة أخرى هى ادهى وامر ، لم ترد فى الديوان فى جملة الابيات ، وهى قوله لصاحب (النجاح) عن النبي صلى الله عليه وسلم « وهو فى تدلل وترفع عنى ، وانا فى احتقار وتذلله » فهذا أخطر من كل ما جاء فى الابيات المنتقدة من ابن باديس ، فما كان يليق ان ينسب مثل هذه الاوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى أدبه ربه فاحسن تأديبه ، فقال : « **وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** » . ثم شهد له بقوله : « **وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ** » . وقوله : « **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** » فكيف يوصف بالتدلل والترفع أو بقبول من تقدم اليه « فى احتقار وتذلله » .

وفى القصيدة الموجودة فى الديوان اليوم ما يقارب ما روى عنه مشافهة فى سوء الادب اذ يقول :

حتى رأيتك يا سيد أحمد ، الله يجازيك .

غير أنك باقى شارد خائف لا نوديك !
فهل يصح ان يقال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم « شارد » ؟ وهو
النافر الفزع من مطاردة ، والشريد الطريد ، هل يصح ان يقال فيه « خائف »
وهو الذى لا يخاف الا من الله ، فهو الآمن المطمئن بالله ، ولما رأى صاحبه فى
الغار حزينا - لوصول المشركين الى باب الغار - قال له وهو فى تلك الحال :
« لا تحزن ان الله معنا » .

رواية لسان الدين :

وقد نقل صاحب كتاب (الشهايد والفتاوى) عنها وهى صحيفة العليوين
الرسمية رواية مؤيدة لرواية اسماعيل مامى فقال : « يشبه هذا ما ذكرته
جريدة لسان الدين بعددها الثالث قالت :

« ان هذه المسألة جرت - فى النوم - مع النبى صلى الله عليه وسلم فقام
على اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة لعموم ألفاظها حسبما صدرت
فى النوم ، وقصته مشهورة بين خواص أتباعه وعليه فهل يكون صدور شبه
هذا الذى بغير اختيار - وفى النوم أيضا - معدودا من قبيل الاساءة ؟ اللهم
الا اذا كان من قبيل نشره أو عدم التنبيه عليه . وبالجمل ان العمد فى هاته
النازلة لا يتصور بحال ، والحكم لا يتوجه الا مع القصد ، (كتاب
الشهايد 56 - 57) .

فهاتان الروايتان تثبت كلتاهما - اعتراف الشيخ - اتباعه بوقوع هذا
الخطاب منه ، والاعتذار عنه بالنوم يفنده تسجيله له بنفسه بعد يقظته ثم
طبعه ونشره وتوزيعه ، ويخرج المسألة من حال الغياب عن الحس الى حال
اليقظة والعمد . ورواية لسان الدين صريحة فى ذلك إذ تقول : « فقام على
اثر رؤياه فى الليلة نفسها فسبك المحاورة بعموم ألفاظها حسبما وقعت فى
النوم » . فهل صدر منه هذا السبك وهو حاضر الحس أم كان عنه غائبا ؟

رواية ثلاثة للشيخ الوارزقى

ويؤيد الروايتين السابقتين - ان كانتا فى حاجة للتدعيم - بما نقله
الشيخ حسن الوارزقى - وهو صحفى مستقل بقسنطينة لم يكن على وفاق

مع حزب الاصلاح ولا مع كتابهم ، بل كان - فى السياسة مناونا لهم - عن
الشيخ ابن عليوة نفسه بعد مشافهته ، ونشره فى الشهاب الصادر فى 5 رجب
1346 هـ (29 ديسمبر 1927 م) قال :

« يقول شيخ العليويين مجيبا منتقديه من العلماء والمفكرين ان لكلامى
المطبوع المنسوب الى فى الديوان ، وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتلك العبارات الكبيرة : عبس الخ .

وكذلك قولى عن نفسى : أنا لست انسان (كذا) ولا جان . . . كلام قلته
وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض
والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفأهوا بأكثر مما فहत به ،
وهم معذرون ولكنهم لا يشعرون .

هذا كلام مقتطف من مقال طويل نشرته جريدة الشهاب وقدمت له بمقدمة
جاء فيها :

(مثل هذا الشيخ من الرجال الذين يتقدمون لشؤون العموم يجب ان
تعرفهم الامة ويجب على الكاتبين عنهم ان يتحروا تمام الصدق والنزاهة ويجب
ان يتلقوا الآراء المختلفة فيهم بالصدر الواسع والخلق الرحيب هذا ما نصدر
به هاته المقالة وللشيخ العليوى وشخصيته ورأيه منا غاية الاحترام) . اهـ
وقد رضى العليويون عن المقال وحمدوا جريدة الشهاب وشكرت صحيفتهم
(البلاغ الجزائرى) قول الشهاب :

« وللشيخ العليوى فى شخصيته ورأيه منا غاية الاحترام » ، فأجاب
الشهاب بأن : (من لا يحترم الرجال ليس برجل ولكن لا يفهم من احترام
الشخص تسليم رايه ولا احترام الرأى عدم المناقشة فيه بل من اعتبار الشخص
ان تعرض آراؤه للبحث والتمحيص ومن اعتبار الرأى ان يعرض على محك
الادلة والبراهين) .

ثم قال : « وقد كنا نشرنا . . . ما هو محل رضا وقبول وما هو محل
مناقشة ولعلنا نعود للبحث فى بعضه قيا ما بواجب التناصح فى الدين » اهـ
فهذه الروايات كلها تدل على اعتراف الشيخ واتباعه بوقوع (شطحات)
صدرت منه وفيها ما لا يقبل من الشخص وهو فى حال الصحو فاعتذروا عنها
بانها صدرت من فى حال المحو والفناء !

لكننا نقول : ما دام القول قد كتب واطلع القائل عليه بعد كتابته عنه أو كتبه بنفسه ثم طبع ونشر وراج وأقره من قاله فقد انتقلت حاله من (المحو) والغيوبة الى الصحو واليقظة فاصبح مسؤولا عليه فلا يصدق تعريف (الشطحة) عليه كما نقله ابن خلدون ولا يندرج ابن عليوة في درجة من يعفى عن المحاسبة ويتجاوز عنه . ثم من يسلم له - على فرض أنها شطحات - بأنه من ذوى الفضل المعفو عنه عند العلماء ؟ ثم نقول له : هل جاء عن كل شطحة مما صدر عنه بمخرج صحيح وتأويل مقبول ؟ كما جاء ابن عربى الحاتمي لصديقه الذى انتقد عليه قوله فى مخاطبة ربه :

يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى !

بقوله مرتجلا :

يا من يرانى مجرما ولا أراه خـــــاذلا
كم ذا أراه منعمـــــا ولا يرانى لائـــــذا

(كتاب الشهادت صفحـة 37) .

هيهات ان يجد لكل (شطحة مخرجا) والبرهان فيما يأتى :



الفصل الخامس :

أقوال فظيعة فى جانب الله إصرار عجيب على أقوال فاسدة خطيرة

بعد هذا نقول : لابد ان القارىء الكريم قد تشوف كثيرا لمعرفة بعض هذه الاقوال الفظيعة المنسوبة الى شيخ العليويين أو الى أستاذة وبعض تلاميذه ، ولقد رأينا ان الشيخ ابن باديس متى سمع من احد رواية عن الشيخ يزعم فيها ملازمته السنة، أو استعدادا للتعاون بشكل ما ، شرط وبالحاج ان يتبرأ من هذه الضلالات المنسوبة اليه فى ديوانه الرائج فى الاسواق، وإن يسحب من السوق نسخه الموجودة . فما دام لم يعلن توبته منها والرجوع عنها فهو مصر عليها ، ولا توبة للمصر على ذنب هو عاكف على اجتراحه .

وقد كان هذا الديوان صدر من صاحبه عام 1339 هـ 1920 م اذ طبع لأول مرة بتونس بعناية الحسن بن عبد العزيز القادرى ، والحاج حسن بن محمد الطرابلسى ، ثم طبع بدمشق عام 1349 هـ 1931 م باشراف محمد بن عبد الرحمن التلمسانى ثم طبع - بعد وفاة صاحبه وبإذن من خليفته الشيخ عدة ابن تونس عام 1355 هـ 1937 م وطبعة رابعة صدرت منه تحت عنوان : (روضة المحبين فى كلام العارفين) (صدرت فى فلسطين المحتلة) .

اما الطبعة الاخيرة - والخامسة - وإن كتب عليها الرابعة - فقد طبعت اثناء السنة الماضية 1982 م بمطبعة القوم فى مدينة مستغانم وبامعان النظر فى هذا الديوان نجد انه ما يزال يتضمن الدواهي مما نسب الى الشيخ بل

زادت الطبعة الاخيرة أن ضمت الى الفيل فيلة ! فقد طبع مع قصائد الشيخ قصائد أخرى منسوبة الى أستاذه محمد بن الحبيب البوزيدي وغيرها الى تلميذه الشيخ عدة بن تونس وكلها تخرج من مشكاة واحدة ، وتتضمن من الضلالات ما تكاد تنوء بحمله الجبال . فهذا أوضح دليل على الاصرار والعناد وهو ما لا يجوز السكوت عنه .

وكننت قد اطلعت منذ بضعة عشر عاما على الطبعة الثانية الصادرة بدمشق ثم اطلعت على الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم فما لاحظت الا حذف الابيات التي انتقدها الشيخ عبد الحميد بن باديس فقط ، مع بقاء القصيدة التي وردت فيها .

كما لاحظت ان الديوان وما ألحق به ما يزال مشحونا بالدعاوى الباطنية والدعوة اليها ، وبأقوال الحلول ، ووحدة الوجود وبكل ما يؤذى الله ورسوله ولا يجوز بحال ان يروج في مجتمع المسلمين أو يسمح بتلقيه للسالكين . ثم تيقنت الاصرار من القوم على الدعاوى العريضة بان علمهم علم أهل الحقيقة وعلم غيرهم علم أهل الشريعة . كان الشريعة ليست حقيقة (1) . وانما الحقيقة - عندهم - هي أوهام تستند في معظمها على وساوس الشيطان ، ولا شك ان من ذلك قول قائلهم « الحب الالهي الفصيل بين أهل الحقيقة وأهل الشريعة الذين يعبدون الله طمعا في الثواب وخوفا من العقاب ، اما الصوفي فقد خلص من دنياه واخراه ولم يبق له الا مشاهدة جمال المحبوب والتحلي بالاخلاق الربانية قولاً وعملاً وحالاً ... » (2) .

ان هذه الدعوى بديهية البطلان ، ولا تروج حتى على الصبيان من أهل القرآن ، فانه يلزم عليها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعباد الرحمن المنوء بهم في آيات الفرقان ، والمتهجدين الذين اثنى عليهم الله في آياته ووعدهم جنة رضوان ، كل هؤلاء - بمقتضى هذه الدعوى الساذجة - ليسوا من أهل الحب الالهي ، لانهم يعبدون الله طمعا في ثوابه ، وخشية عذابه !

(1) في تفسير قوله تعالى : « قل جاء الحق » وذكر ابن باديس أنه الاسلام بعقائده وحججه وقوته وعزته ونصره ، وان في الآية وعدا بالنصر كما أشار الى ذلك النبي (ص) يوم الفتح بإشارته الى الاصنام فكانت تنهار .

(2) مقدمة الطبعة الجديدة للديوان ، ص 3 .

فقد جاء فى سورة الانبياء عند ذكره سبحانه وتعالى عبده زكرياء ، وندائه ربه ان يرزقه ولدا ولا يذره فرداء، فاستجاب له ربه ووهب له يحيى وأصلح له زوجه - جاء قوله تعالى : « **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** » •

فدعوتهم لله - والدعاء مخ العبادة - كانت لرغبتهم فى ثوابه ، وخشية عذابه ، وكانوا خاشعين متذللين لله •

وفى عباد الرحمن - الذين جاء ذكر الثناء عليهم فى خاتمة سورة الفرقان - يقول الله فى التعريف بهم : « **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** » • والذين يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا والذين يقولون رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا » • فهؤلاء يجتهدون فى العبادة ، ويبينون لربهم سجدا وقياما خاشعين لله • وجلين من عذاب جهنم • فهم المنتهجدون الذين ورد ذكرهم فى الم السجدة فى قوله تعالى : « **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** » • وفى الآية الكريمة ان الله قبل أعمالهم ، واثبهم عنها أحسن ثواب • ان هؤلاء بلا شك ممن عرفوا ربهم ، ووفقوا فى التقرب اليه ، وأصابوا مواطن رضاه فأثنى عليهم ووعدهم قرة أعين •

أفنصدق القرآن وهو كتاب ربنا أم يضللنا قول الشيخ (العارف بالله) « **تالله نوم العارف يغنى عن ذكره** » (3) فهل هذا (العارف) أعرف بربه من محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الذين قال الله فيهم : « **إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِّ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ** » • وقد كان يتعبد حتى ورمت من القيام رجلاه ، فلما قيل له ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنب وما تأخر أجاب عليه الصلاة والسلام : (أفلا أكون عبدا شكورا ؟) انها ليمين غموس ، ودعوى عن الحق شמוש ، ان يكون :
لهم قلوب ترى ما لا يرى غيرها أيقاظ وان ناموا ففي نومهم وصلا !

(3) من القصيدة الاولى فى الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م ، صفحة 6 •

ما هذه أوصاف من استحقوا ثناء الله من أوليائه الصالحين وأنبيائه المرسلين .

ان كثيرا من هذه الاقوال الفظيعة شجن بها هذا الديوان ، وقد طبع - منسوباً الى صاحبه منذ سنة 1920 م - كما علمنا ، وها هو يعاد طبعه للمرة الخامسة عام 1982 م . وقد جمع - فى نفس الديوان - شعر أستاذة محمد بن الحبيب وتلميذه عدة بن تونس وشعرهما لا يقل سوءاً وقبحاً مبنى ومعنى من شعر صاحب الديوان مع إلحاح الشيخ ابن باديس وكتاب الاصلاح على وجوب التوبة منه والتبرى وسحبه من الرواج .

فعلمنا مقدار اصرار القوم على ترويج ضلالهم وبدعتهم وافشاء (الوهيتهم) فى قولنا ، والله سبحانه وتعالى الذى قال فى كتابه : « لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » أصبح عندهم يراه المرء فى كل شئ ، بمقدار قليل من الجهد ثم ييسر من التأمل والنظر يعلم المرء أنه هو نفسه الله وليس سواه - تعالى الله -

والله سبحانه المنزه عن الشبيه والنظير « ليس كمثله شئ » وهو السميع البصير » أصبح عند هؤلاء القوم هو كل هذا الوجود الفانى ولا يوجد سواه تراه حيثما نظرت وتوجهت ، وهذا ما امتلا به هذا الديوان .

ولا يمكن ان يعتذر عنه بانه (شطحات) تأتيهم وقت الغيبة لانهم يكتبونه بأنفسهم عند (صحوهم) بعد (محوهم) ويطبعونه ويروجونه ، والسطحة تروى عن صاحبها عند غيبوبته فاذا (صحا) أولها بمخرج من المخارج الصحيحة ، ولا يقبل منه التأويل - فى هذه الحالة - الا اذا كان معروفاً بالفضل وصحة الدين .

ان ترك هذا الضلال رائجا بين قومنا أهل الايمان من الشيوخ والكهول والشبان دون كشفه وفضحه وتحذير الناس من شره وشر أصحابه لمن واجب كل داعية الى الله بل كل عالم وكل مثقف وأديب يحب قومه ويحرص على حماية عقائدهم وعقولهم من الفساد والضلال ، وهذا ما سنبينه فى الفصول الآتية ان شاء الله بعد تمهيد بذكر استدراج الشيطان ، وعصمة العلماء الربانيين من كيده بفضل حماية الله لهم بعلمهم .

الفصل السادس :

استدراج الشيطان وتعديه للرحمن

أمر الله سبحانه ملائكته بالسجود لآدم عليه السلام ، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين ، وقال لربه : « أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » . فقال له ربه لطرده من جنته : « أُخْرِجُ مِنْهَا فَانْكَ رَجِيمٌ ، وَإِنِّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » وسأله (اللعين) ان ينظره الى يوم يبعثون فانظره الى يوم الدين فقال - عليه اللعنة - « فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ » وهؤلاء عصمهم المولى من كيده وترك له الغاوين ، فقال جل من قائل : « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ » .

وانتصب إبليس يفسد فى الارض وينشر الشر ويحاول إغواء الناس لكنه لا يستطيع ان يتمكن من عباد الله المخلصين .

وقد اتخذ طرقا مختلفة فى الإغواء وكل قوم يأتهم حسب طريقتهم ، ولما رأى قوما تزاهدوا فى الدنيا وانصرفوا نحو طلب الآخرة أتاهاهم من هذه الناحية فزين لهم ان يعبدوا الله بالبدعة ويقترحوا أشياء من عندهم ، فاذا التزموا السنة وأعرضوا عن البدعة فقد هدوا الى صراط مستقيم ، واذا عرفوا الشريعة وعلموها فوقفوا عند حدودها ، فقد عسر عليه اغراؤهم ، فاما اذا جهلوا قواعد الشريعة واغترروا بـ : (حسن) نيتهم ، وعلمهم (اللدنى) وكثرة عبادتهم فقد يتمكن منهم ، ويضلهم ويصبحوا رعية طيعة له . ومما زينه لهم وضع الحديث عن رسول الله ، وضع الحديث ولو فى الترغيب فى القرآن حرام يوجب اللواضع ولوج النار ، ومع ذلك أقدم عليه بعض المتصوفة .

ان ما يفهم من صريح قول الشيخ ابن عليوة انه كانت تعتريه بعض الاحوال يخرج فيها عن طوره المعتاد فيأتى بما ينكر عليه ، وهو يقول للشيخ الوارزقى : (ان للكلامى المنسوب اليّ فى الديوان ، وخطاب رسول الله بتلك العبارات الكبيرة عبس الخ . وكذلك قولى عن نفسى أنا لست انسان (كذا) . . . ولا جان ، كلام قلته وأنا فى عالم آخر غير هذه الحال ، واذ ذاك كنت غائبا لا أفرق بين الابيض والاسود ، ولو وصل هؤلاء المنتقدون الى مثل ذلك لفاهوا بأكثر ما فهمت به . . .)

وانه لمصدق فى مثل هذه الاحوال ، ولكن كان عليه ان يبحث - لو كان عالما - أهى أحوال ربانية أم هى أحوال شيطانية ؟ وكان يزن ما يوحى اليه - فيها - بميزان الشريعة الذى لا يخبس شعيرة فلا يقع تحت تلبيس ابليس ، ولا يروج ما يوسوس به اليه .



لا سلطان لإبليس على الصالحين

من كان بيده ميزان الشريعة اخزى الشيطان وطرده من حضرته شر طردة ولو جاء بحالة فيها خرق عادة وزعم له انها كرامة .

قال أبو اسحاق الشاطبي في الموافقات : (مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها ، ذلك انها قد تكون في ظواهرها كالكرامات وليست كذلك ، بل أعمالا من أعمال الشيطان كما حكى عياض عن الفقيه أبي ميسرة المالكي انه كان ليلة بمحاربه يصلي ويدعو ويتضرع وقد وجد رقة فاذا المحراب قد انشق وخرج منه نور عظيم ثم بدا له وجه كالقمر وقال له :

(تملأ من وجهي ابا ميسرة فانا ربك الاعلى) فبصق في وجهه وقال له : اذهب يا لعين عليك لعنة الله ! ، وكانت نجاة هذا العالم الرباني من عبث الشيطان انه جاء في صورة مكيفة مقدرة تقول له : (أنا ربك ، فيسمع ندائه ويحس فيه بالصوت والحرف ويقول أنا ربك) .

كل هذا باطل في حق الله تعالى ، منزعه عنه ، كما هو في بديهيات علم الكلام (التوحيد) وفي القرآن الكريم « ليس كمثله شيء » وفي قوله : « لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » وقوله لموسى كليمه : « لن تراني » فكانت معرفة هذا العالم الرباني عاصمة له من مكائد الشيطان ، فبصق فيه ولعنه فلم يضره بشيء لانه لا سلطان له عليه .

ومثل ابي ميسرة رضى الله عنه ما يحكى عن الشيخ عبد القادر الكيلاني رضى الله عنه انه « عطش عطشا شديدا ، فاذا سحابة قد اقبلت وامطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ثم نودي من سحابة يا فلان أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات ، فقال : (اذهب يا لعين) فاضمحللت السحابة ، وقيل له بهم عرفت انه إبليس ؟ قال بقوله : (احللت لك المحرمات) (4) .

(4) الحكايات عن أبي ميسرة والشيخ عبد القادر مرويّتان في الموافقات ج 2 ، ص : 75 - 76 .

فهذا العالم الجليل عصمه علمه ، ان أحكام الشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام لا تنسخ بعده ولا يبطل حكم من أحكامها لانقطاع الوحي وانما حرم ربنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن فكيف تحل المحرمات وهى فواحش ؟

قال الشاطبي: (كل خارقة حدثت أو تحدث الى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها الا بعد عرضها على أحكام الشريعة فان ساءت هناك فهى صحيحة مقبولة فى موضعها والا لم تقبل الا الخوارق الصادرة على أيدي الانبياء عليهم السلام فانه لا نظر فيها لاحد لانها واقعة على الصحة قطعا فلا يمكن فيها غير ذلك (٠٠٠) .

ثم بين كيفية عرضها فقال : (وبيان عرضها ان تفرض الخارقة واردة من مجرى العادات فان ساء العمل بها عادة وكسبها ساءت فى نفسها والا فلا ، كالرجل يكشف بامرأة أو عورة بحيث اطلع منها على ما لا يجوز ان يطلع عليه وان لم يكن مقصودا له ، أو رأى انه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته ٠٠٠ أو يكشف بمولود فى بطن امرأة أجنبية يقع بصره على بشرتها أو شئ من اعضائها التي لا يسوغ له النظر اليها فى الحس أو سمع نداء يحس فيه بالصوت والحرف وهو يقول (أنا ربك) ، أو يرى صورة مكيفة مقدرة تقول له (أنا ربك) ، أو يرى أو يسمع من يقول له (قد احللت لك المحرمات وما اشبه ذلك من الامور التي لا يقبلها الحكم الشرعى على كل حال ويقاس على هذا ما سواه) (5) .

ولو التزم هؤلاء الفرسان فى ميدان الضلال هذه القاعدة الجليلة وعرفوها بعلمهم لعصموا أنفسهم من كيد الشيطان، ولعلموا انه لعب بهم اذ قال لهم : (أنا الله) و (انت الله لست سواه) فما هى إلا صور شيطانية كما أدركها أبو ميسرة رضى الله عنه فبصق عليه ولعنه، أما التصديق به والقسم عليه والتملى فى محاسنه - كما دعا ابا ميسرة - فانه اغراق فى الضلال - عصمنا الله من كيده ، ونجانا من شره ، فانه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا .

الفصل السابع :

الفرسان الثلاثة وسلسلتهم ... المتصلة

أعنى بالفرسان الثلاثة (الاستاذ الاكبر) محمد الحبيب البوزيدى ،
والشيخ عدة بن تونس وواسطة العقد بينهما الشيخ أحمد بن مصطفى
ابن عليوة فهؤلاء هم الذين اشتركوا فى انتاج (الديوان وامتلا كلامهم فيه
بالباطل والبهتان ، ومن أقوال الباطنية وأهل الحلول ووحدة الوجود ثم طرح
فى الملأ من شبابنا وشوابنا وشيوخنا وكهولنا ونسائنا ليذكروا الله به
ويرتقوا فى حضرة القدس ، و (يشطحوا) بما جاء فيه مؤلهين المخلوقات
الفانية ، معتقدين انهم ذات الله وعينه ، وليسوا سواه .

لم تكن الطريقة العليوية بدعا من الطرق الصوفية فينا ، فهذه الطرق كانت
موجودة منتشرة ، وفيها ما نفع فى حفظ العربية والدين ببلادنا ، وقاوم
المعتدين يوم فاجأونا ، ومن بين الطرق التى كانت منتشرة (الدرقاوية ،
- والعلوية فرع منها ، وغصن من اغصانها - والدرقاوية كانت هى نفسها فرعا
من الشاذلية . اذ الدرقاوية كانت منتشرة كثيرا بالمغربين الاقصى والاوسط ،
متفرعة من الطريقة الشاذلية ، وهى أيضا تنتشر باقطار المغرب كلها : مراکش
والجزائر وتونس وليبيا ، وبمصر ، والشام ، والحجاز ، ونبع فى رجالها
مشائخ صالحون ، وأحدهم هو الذى اتصل بالشيخ محمد عبده فى شبابه بمصر
وآثر فيه ، وحجب اليه طلب العلم ، وصرفه عن اللهو والبطالة ، ومحا من ذهنه
البدع والخرافات والإشراك بالله ، وكان يدعى الشيخ درويش تلميذ الشيخ المدانى
الذى لقيه فى ليبيا وذلك مبسوط فى تاريخ الاستاذ الامام رحمهم الله .

اما في وطننا فان الجهالة نزلت بمشائخ الطريقة - وخصوصا هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين اطلعنا على (تربيتهم لمريديهم) - الى الهاوية السحيقة ، فاعلنوا فيهم - بكل صراحة - عقائد الباطنية ، وانهم عين الاله ، وليسوا سواه وان الكون في قبضتهم ٠٠٠ الخ . ما تضمنه كلامهم و (أشعارهم) واذكارهم من ادعاءات تنبو عن كل ذوق سليم ، « مما يؤذى الله ورسوله ويؤذى المؤمنين » .

اسناد الطريقة :

وقد زعموا أن طريقتهم متصلة الإسناد ابتداء من البوزيدي الذي أخذ عنه العليوي الى النبي صلى الله عليه وسلم تلقاها من جبريل أمين الوحي ، الذي أمر ان يبلغها اليه من الله ، فقد خصهم في زعمهم - برسالة بلغها جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأوصاه بتركها في الباطن ولا يبلغها الا اليهم كما هو صريح في قول ابن عليوة في قصيدته الطويلة :

أخذ من الرسول علما كفى به انه علم الباطن في القلب يدلى
علم كان مكتوما عن الخلق جملة وسر كان مصونا باللفظ لا يتلى
(الصفحة السادسة من الديوان المطبوع بمستغانم 1982 م) .

ان اعتقاد مثل هذا يخرج صاحبه من الايمان ، فان رسول الله بلغ ما انزل اليه من ربه واشهد الصحابة على تبليغه في حجة الوداع فشهدوا وهم الامناء ، واشهد الله على شهادتهم بتبليغه فشهد بإكماله الدين ، ولو بقي منه حرف لما صدق الخبر . وكانت رسالته عامة الى الانس والجن ونحن نشهد انه بلغ الرسالة وأدى الأمانة .

فما معنى تخصيص طريقة من الطرق بإسنادها لها وحدها، وقد جاء سند القرآن - وهو كتاب الاسلام - متواترا ، وروى العالم كله أركان الاسلام وقواعده وفرائضه وسننه وآدابه بطرائق لا يتطرق اليها شك ولا لبس .

اما سلسلة هذه الطريقة فانها تبتدىء بالشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة - الذي يعتبر في الحقيقة مؤسس هذا الفرع منها - وهو أخذ التربية والسلوك عن شيخه محمد بن الحبيب البوزيدي المستغانمي (توفي 1909 م) وقد ذكر هذا اسناد طريقه في قصيدة منشورة في الديوان المطبوع عام 1982 م ابتداء من صفحة 137 فقال :

فهذه سلسلة طريقى وما لها من أركان التحقيق
ذكرتها بحسب الترقى بإسناد الرجال أهل الشوق
أو لهم شيخنا الكامل محمد بن قدور الوكيل
على يديه كان لى وصالى وشربت من كؤوس الجمال (1)
وهذا الأخير أخذ الطريق عن شيخه المهاجى :

عن شيخه أبى عزة المهاجى من نسل الهادى صاحب المعراج
يبقى طريق الجمع والصواب فهو من شيوخنا الاقطاب
وعن الشيخ الدرقاوى أخذ الشيخ المهاجى ، قال :

عن شيخه مولاي العربى بن أحمد الدرقاوى المربى
وبهذا نعرف أن بين البوزيدى وبين الدرقاوى اثنين فقط وهما محمد
ابن قدور الوكيل ، وأبو عزة المهاجى ، وكان البوزيدى ينتسب درقاويا ،
حتى جاء ابن عليوة فغير النسبة (علاويا) وما تزال طريقة (درداوة) منتشرة
بهذا الاسم فى المغرب الأقصى وفى ولايات الغرب الجزائرى - ثم تستمر
سلسلتها بعد الدرقاوى - كما رواها البوزيدى - ولا تصل الى الشاذلى الا بعد
عشرين شيخا وهم هكذا :

أخذ الدرقاوى عن (1) مولاي على الجمل وهذا عن (2) الغوث العربى
ابن أحمد وهذا عن (3) أبيه أحمد وهذا عن (4) أبى السعد اليماني وهذا عن
(5) أبى الفضل ابرقاوى وهذا عن (6) أبى الفيض قاسم الخصائى وهذا عن
(7) محمد بن عبد الله الفاسى وهذا عن (8) (غوث الزمان) عبد الرحمن وهذا
عن (9) القطب الربانى يوسف الفاسى وهذا عن (10) أبى الفيوضات غوث
الزمان وهذا عن (11) أبيه أبى الفضل على الصنهاجى وهذا عن (12) القطب
الفحام وهذا عن (13) أبى محمد أحمد الزروقي وهذا عن (14) أبى محمد

(1) معذرة لدى كل مطلع اذا عددنا هذا من الشعر ، فقد فرضوا ذلك علينا
وعلى كل ناطق بالعربية ، والحقيقة انه القسم الذى أشار اليه الخطيب
القزوينى بعد ذكره اقسام الكلام : ما بلغ حد الاعجاز ، ثم ما يقرب منه ، ثم
سائر الكلام ، والقسم الرابع هو ما تغير عنه وهو هذا !

أحمد بن عقبة الحضري وهذا عن (15) يوسف القدير وهذا عن (16) شيخه
على بن وفاء وهذا عن (17) أبيه محمد (بحر الصفا) وهذا عن (18) داود
ابن باخلي وهذا عن (19) أحمد بن عطاء الله .

ويعتبر ابن عطاء الله الاسكندري من أشهر علماء التصوف ، عاش أواخر
القرن السابع وأوائل الثامن الهجري - فى عصر شيخ الاسلام ابن تيمية ،
وتوفى عام 709 هـ (1309 م) بينما توفى ابن تيمية رحمه الله عام 729 هـ
وترك ابن عطاء الله فى كتبه الشهيرة (تاج العروس وقمع النفوس) وكتاب
(الحكم العطائية) .

وأخذ ابن عطاء الله عن (20) موسى وهذا أخذ عن (21) أبى الحسن
الشاذلى، وفى هؤلاء الذين تقدم ذكرهم يقول البوزيذى :

فكل هؤلاء عارفين	وكلهم للشراب يهدون
عن الشيخ داود بن باخلى	عن أحمد بن عطاء الله الكامل
ثم الى الصمد ان موسى	فهو الوارث أسرار القدس
عن الشاذلى مجمع البحرين	وبرزخ لا يغيان دون مين
له كلام فى الطريق عالى	ولطيف التحقيق عنه عالى

وأبو الحسن الشاذلى اليه تنتسب هذه الطريقة فى الحقيقة وأصله مغربي
ولد قرب مدينة سبتة وسكن مدة طويلة بتونس فى (شاذلة) فنسب اليها .
وما زال له مقام مشهور بمقبرة الجلاز يجتمع فيه للذكر حسب تقاليد الطريقة
مرة كل أسبوع . ثم ارتحل الى مصر وتوفى بقرية فى صعيدها وتنسب اليه
مؤلفات منها ، مجموعة الاحزاب .

وهكذا نجد بين الدرقاوى وبين أبى الحسن الشاذلى (21) شيخا كلهم
موسوم اما بـ (الفوث أو بالقطب) وكل ذلك يرجع بسند أو يتصل بسبب
الى الباطنية كما حققه ابن خلدون فى مقدمته .

وان شئت ان تتم مواصلة هذه الرحلة مع السلسلة (العنكبوتية) التى
توصل البوزيذى بالمولى عز وجل وعلا ما دام قد انحرف عن سلسلة رواية
القرآن فان الشاذلى أخذ عن (22) عبد السلام بن مشيش - وقد برأه احد

علماء المغرب مما نسب اليه ، وهو الاستاذ محمد غازي، قال ان لديه وثائق تثبت أنهم زوروا عليه ما نسب اليه من أقوال فاسدة ، ولعل منها منظومة الغوثية ، وكان يقرأها في أحزابهم إخوان (الطيبية) بمدينة قسنطينة فحفظتها صغيرا ، ثم نسيتها ومطلعها :

باسم الاله نبتدي الغوثية مصليا مسلما بالنية

وفيها - على ما أذكر - استنجد بالصالحين واستشفاع بهم ، وانما يكون الدعاء خالصا لله ، ومن الله .

وأخذ ابن ماشيش عن (23) القطب الزيات وهذا عن (24) القطب الكامل تقى الدين الصوفى وهذا عن (25) فخر الدين وهذا عن (26) أبى الحسن على نور الدين وهذا عن (27) محمد تاج الدين وهذا عن (28) محمد شمس الدين وهذا عن (29) زين الدين القزوينى وهذا عن (30) أبى اسحاق المومنى وهذا عن (31) سعيد المريبى وهذا عن (32) شيخه سعدى وهذا عن (33) محمد ابن فتح السعود وهذا عن (34) العروانى وهذا عن (35) محمد بن جابر وهذا أخذ عن (36) الحسن بن علي السبط كرم الله وجهه في الجنة ، وأخذ الحسن عن (37) أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه، وأخذ علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى رسول الله الوحي من جبريل، وجبريل أنزله رب العالمين ، وقد كذب علي - في حياته - ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خصه بشيء دون صحابته ، وشهد ان رسالته كانت عامة ، ورغم ذلك يزعم هؤلاء مثل هذا وانه خصهم برسالة !!

وفي هذا يقول البوزيدى :

ثم الى الحسن القطب الزاهد	في الملك برهان له شواهد
عن القطب الاكمل جمع الجميع	وبرزخ البحار أصل النفع
له الجزاء في الرضى والرضوان	آل وصحب شمس العرفان
سيدنا علي الامير	وصهر المصطفى بذخير
اذ هو باب حضرة الرحمن	وعنه كل اعداد العرفان
ثم عن محمد واسط الوجود	فلولاه ما بدا من وجود

ثم عن الامين جبريل عليه سلام الله صاحب الرسائل
ثم الى رب العزة والجبروت الواحد الاحد الذي لا يموت
وقد ذكر نفس هذه السلسلة الشيخ ابن عليوة في ديوانه (103 - 104 -
105) متوسلا باسم كل واحد منهم مزكيا له على الله .

ان هذه السلسلة التي يبثها هؤلاء في أتباعهم توحى الى المريدين بالثقة
التامة في كل رجالها والاطمئنان الى صحة ما يروونه لهم ويبثونه فيهم ،
ولا شك ان في هؤلاء طيبين يوثق بهم ويؤخذ عنهم الدين ، كيف لا وفيهم
الحسن وعلي عليهما السلام ، ولكن غيرهم يخضعون كلهم لقواعد الجرح
والتعديل عند المحدثين، ولا تقبل رواية مبتدع وخصوصا الباطنية، وهذا ما اتفق
عليه أهل الحديث فهل هم كلهم فوق الشبهات في عملهم وسلوكهم وعقلهم
وخلقهم ودينهم ؟ يقينا ان الامر ليس كذلك، فلا بد لكل واحد من يعرف به
ويرضى عنه أهل صناعة الحديث ، على انه اذا روي عنه ما خالف المعلوم من
الدين بالضرورة رفض قوله ورد على وجهه، فما بالك بالذي جاء في قوله :
(أنا منهاج الطريق ، والكون في قبضتي)

أو قال أنا لست انسان ، ولا من الجان ، أنا ذات الرحمن والكل مني .

فالذي في قبضته الكون والسموات مطويات بيمينه وهو ذات الرحمن هو
الله سبحانه وحده لا شريك له ، اما هذا المدعي فانه والله ان صحت الرواية
عنه - لأحق من كل ما ادعى ، وانه ليصح ان يوجه الى من دعاهم ان يعتقدوا
فيه مثل هذا الاعتقاد « يا ايها الناس ضربَ مثلٌ فاستمعوا له ان الدين تدعون
من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وان يسألهم الدبابُ شيئاً
لا يستنقلوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قلروا الله حق قلره ان الله
لقوي عزيز » .

الفصل الثامن :

تسابق هؤلاء الفرسان في ميدان البحر بالسوء من القول

أولاً : من أقوال الشيخ أحمد بن عليوة

بعد كل ما تقدم نشرع في اقتطاف أقوال من هذا الديوان صدرت من هؤلاء الفرسان الثلاثة : ابن عليوة ، وابن الحبيب ، وابن تونس كشواهد عن انحراف قائلها عن ضراط الله واندفاعهم في ميدان البهعة الباطنية ، والقول بالحلول ووحدانية الوجود . وغير ذلك من أقوال فظيعة ، ولوازم شنيعة بخيرين - باختصار - الى مواطن المؤاخذه ، ومنبهين أحياناً عليها برد وجيز ، غاذرين ابن باديس وصحبه في ثورتهم ، وفي عنفهم أحياناً - في انتقادهم . فان غي بعض هذه الأقوال ما يستفز الحليم ، لا من علماء الشريعة والدين فحسب ولكن من العقلاء المدركين المكلفين ! بل من كل من القى السمع وهو شهيد ممن يتمتع بعقل صحيح أو ذوق سليم .

أول ما يجابه المطلع على هذا الديوان صورة كبيرة للمؤلف ، مع تعريف به يقول عنه انه العارف بالله والدال عليه الاستاذ الأكبر فلان .
ويزاد عليه في جهات أخرى انه الملحق لاسم الله الأعظم .

ثم يفلج المرء بكلام عبقري حائراً :

أى نوع من الكلام هذا ؟ ان كلمة (الديوان) توهم انه شعر ولكنك لا تملك نفسك اذا اطلعت عليه الا ان تتساءل :

أهذا شعر ؟ أم نثر مسجوع ؟ أم نثر مرسل ؟ أم هو شئ آخر ؟
الحق انه لا يخضع لشيء مما عرف به الشعر الفصيح ، ولا الملحون ولا النثر المسجوع ولا النثر المرسل ، ولا حتى الهذر ، من خوار البقر ، الذى يسمونه الشعر الحر .

وقد استشعر هذا الحرج مروج (الديوان) اذ أراد أن يعتذر ، فجاء بما يصح أن يقال فيه (رب عذر أقبح من ذنب) قال :

(والذى يلاحظه القارىء ان معظم قصائد الديوان لم تجر على قاعدة العروض الشعري والعناية بالاوزان ، وقد أجاب الاستاذ العلاوى عندما سئل عن ذلك فقال :

(ان القوم - رضوان الله عليهم - أغلبهم لا يتعاطى فى الشعر اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث لم يؤذن له فى ذلك فكانوا فيه أقصر باع (كذا) من غيرهم الا من تعاطاه من قبل - فالصوفى يعبر عن معارفه وفتوحاته كيفما اتفق اذ لا عبرة باللفظ اذا استقام المعنى) (3) .

ليس فى الديوان قصيدة واحدة جرت على قاعدة العروض الشعري والعناية بأوزان الخليل بن أحمد وان كان قد يوجد بيت أو جزء منه فى القصيدة فقله (معظم قصائد الديوان) مغالطة .

واما الاعتذار ففيه جراءة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم منع من تعليمه الشعر لانه لا ينبغي له وحتى لا يصدق عليه زعم الذين قالوا : شاعر ، مجنون الخ . . فهل هو فى مثل هذا المقام أو متطلع اليه ؟ ولقد قال الشعر ابن الفارض وابن العفيف التلمسانى ومحيى الدين بن عربى - وكلهم من فرسان مذهب الحلول أو وحدة الوجود - فبلغوا فيه الذروة وصح فيهم أن يعدوا فى عباقرة فن الشعر، وليت موضوعاتهم كانت فى فنون الشعر . وقد اقر النبي صلى الله عليه وسلم قول الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وسمع منهم ،

(3) مقدمة الديوان ، ص : 3 - 4 .

حتى ما جاء فى مقدمات قصائدهم من تسييب ، ولم يقل مسلم : « لا أقول الشعر اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وقد اخبر حسان بان روح القدس معه على دفاعه عن رسول الله به . وليس بمرخص للصوفى ان (يخترع) فنا من الكلام ويأتى به أشبه بالهذيان : فاسد اللفظ ، فاسد المعنى فان انتقده عليه منتقد قال : انى أعبر عن (معارفى) و (فتوحاتى) كيفما اتفق ، وان جاء بنظامه من الطوام فى المعنى قال : لن هذه (شطحه) من (شطحاتى) فلا تؤاخذونى بها !

هل تريد ان تسمع مثلاً من هذا (الشعر) المفسد مبنى ومعنى ؟ هذا أول بيت فى أول قصيدة توجد فى الديوان :

يا أيها العشاق للمحضر الاعلى عيونا (كذا) بوصلكم وروموا فينا وصلنا
وبعده :

فهذا وقت النهوض للمقام الاسنى فلكم الحمد حيث كنا له أهلا
والبيت الرابع نصه :

فنحن حننا الوصل من فضلك فصرنا على جمع - تالله - ولا حولا
فأى معنى يستقيم مع الفاظ عجز هذا البيت ؟

ومن عيون القصيدة - وكلها عبون عمياء - قولته فى وصية من أراد
الوصل :

وليقل أنا الغريق لآلى ولا معنى وليستنجد أرباب الوصول الى الوصلا
فمن أين جاءت الفظة الى كلمة (الوصلا) ولم تستح من وضعها حتى
امتدت الى ألف الاطلاق مع وجود حرف الجر قبل اسم معرف بال ! ألا يدركنا
الخجل من مثل هذا الاستعمال ؟

فساد فى اللفظ والمعنى

ورغم الفساد اللفظى فى التراكيب وفى الاستعمال وفى البعد الواضح عن كلام النثرين والشاعرين فقد تعددت أبياتها و (نمت) وامتدت على عشر صفحات كاملة مشتملة على 215 بيتا ، اما المعانى الواردة فى هذه القصيدة - ان ادى التركيب معنى - فانها من اشنع المنكرات من اقوال المبتدعة الباطنية

الذين ما أسسوا مذهبهم الا لتهديم الاسلام ومحو دولة العرب من الوجود
كما حققه العلماء الثقات ويمكن ان يطلع عليها فى كل جزء منها وماكم بعضها :

(1) ارتفاع الحجب عن الله :

زعم العارف بالله ان من (صل) :

يرفع عنه حجبا كانت لقلبه منيعة عن الوصول للمقام الاعلى !
ويدخل (حضرة) الله من بعد فصله ويرى ظهور الحق اينما تولى
ويفنى عن العالم طرا باسره فلا قاصرات الطرف يهوى ولا خلا (4)
فهذا من دعاوى أصحاب وحدة الوجود وهو ان يرى الله - سبحانه وتعالى
عن ذلك علوا كبيرا - فى كل موجوداته يفنى فيه ! أى يحل فيه !

(2) اخذ علم الباطنى وكتمان الرسول !؟

ثم يزعم ان هذا الواصل :

اخذ عن الرسول علما كفى به انه علم الباطن فى القلب بتدلى
علم كان مكتوما عن الخلق جملة وسره كان مصونا باللفظ لا يتلى (5)
فهو - فى هذه الدعوى - يسند الكتمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،
مما يخالف ما يجب اعتقاده فى الرسل كلهم من الامانة والتبليغ ، ويستحيل
فى حقهم من الخيانة والكتمان ، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قد شهد الله
له بانه بلغ رسالة ربه ، فقد قال تعالى : « يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس »
ثم قبل موته بنحو تسعين يوما انزل عليه يوم عرفة : « اليوم اكملت لكم دينكم
واقممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » ، فهذه براءة الله لرسوله
بانه بلغ رسالته كلها حتى اكمل الدين الذى رضيه سبحانه للمسلمين ولو كتم
حرفا لما صح القول ان الدين اكمل .

فالقول بان (الواصل) اخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم « علم الباطن
وان هذا علم كان مكتوما عن الخلق جملة » ، وانه كان مصونا لفظه لا يتلى -

(4) الديوان طبعة مستقانة 1982 م ، ص 6 .

(5) المصدر السابق ، ص 6 .

لا يمكن ان يعد - بأى حال من الاحوال - شطحة من الشطحات - ولا يعذر قائله لانه اسناد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يصح ان يسند اليه من الاتيان بعلم الباطن ومن كتمان عن الخلق (جملة) ثم ابلاغه لواحد بعد قرون كثيرة ، !

فالكتمان من المستحيلات فى حق جميع الرسل ومنهم نبينا محمد صلى الله عليهم أجمعين ، وهذا من بديهيات (علم التوحيد) .

(3) نوم يغنى عن ذكر الله :

وقد وصف فى القصيدة نفسها (البداء) وعين مكانتها وهو فى زعمه منهم ، قال :

هم العروة الوثقى بهم فتمسكن هم أمان أهل الارض فى الخلا والملا لهم قلوب ترى ما لا يرى غيرها أيقاظ وان ناموا ففى نومهم وصلا تالله نوم العارف يغنى عن ذكره فكيف بصلاة العارف اذا صلى (6)

أما العروة الوثقى - كما فهمنا من القرآن الكريم - فيمكن ان يستمسك بها من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وحده لا شريك له فى الوهيته ولا فى ربوبيته كما قال : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْقِصَامَ لَهَا » ، واما هذا العارف بالله فانها عنده (قوم من البشر) يأكلون ويشربون ويتغيطون ! وينامون ويسهون ويمرضون ويموتون ، وأين هو اليوم وهو منهم كما يزعم ؟

صدق الله العظيم القائل فى تربية المسلمين : « مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَلَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » ، فلو كان يعلم لما دعا لمثل هؤلاء القوم فى هذا الموضوع ، وأقول ان هذا (البديل) يقول لمريده (بهم فتمسكن) والصيغة - بمقتضى القواعد اللغوية - تقتضى الحصر بتقديم الجار والمجرور وتقتضى التأكيد لوجود النون وبالأمر القاطع ، وهؤلاء القوم (البداء) هم دون الله قطعا ، أم هم ليسوا سواه ؟ فهذا أدهى وأمر ، وهى دعوى أمثال هذا

(6) المصدر السابق ، ص 7 .

العارف وهم عنده ايقاظ وان ناموا ، ثم ان نومهم يغنى عن ذكرهم ! ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه حقا ، ومع ذلك فما استغنى أبدا عن الذكر وما سوى بين الذكر والغفلة ، والله يقول : « وَلَا تُطِغْ مَنْ اغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا » والذكر غذاء القلوب وأمانها : « أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ » .

(4) اثبات الجهة لله ، والوقوف معه وحلوله في خلقه :

هذه الدواهي يبثها في نفس (القصيدة) وينسب لنفسه انه صاحب هذه الحالة فيقول عن الواصل :

يكون بسقف العرش حالة قربه واقفا مع الاله يا لها من حالا
حالة لو حال الحال بينى وبينها لقلت هذا محال والحال لا يحلى (7)
حالة حل العزيز فيها بعد النوى وطاف طائف الوصل منا بعد الفصلا
كيف يصل (واصل) الى سقف العرش ؟ كيف يقف مع الاله ؟ أكما يقف
الندم مع نده ؟ وأى جهالة وسوء أدب فى التعبير ؟ ثم يزعم أنها حالة أصبحت
من حالاته لا تنفك عنه ومحال فى حقه ولا يحلو له شيء من دونها ثم ينتهى الى
القول بالحلول حلول الله فيه ، تعالى عن ذلك : (حالة حل العزيز فيها بعد
النوى) .

(5) الواصلون وعلامة وصلهم :

الواصلون عنده من أرتفعت درجاتهم الى الحلول والاتحاد بالله - تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا - وفى نفس هذه (القصيدة) يذكر أوصافهم ويزعم ان
من توفرت فيه فهو منهم ، قال :

فهل له - يا هذا - نصيب من ذوقهم فان كنت مثلهم نعم فلك صولا
وان لم تجد لديك شيئا مما لهم فانصف من نفسك وهذا الوصف يتلى
فهل طويت الاكوان عنك بنظرة ؟ وهل شاهدت الرحمن حيشما تجلى
وهل افنيت الانام عنك بلمحة ؟ أم تمت عن الجميع علويا وسفلا

(7) المصدر نفسه ، ص 8 - 9 .

وهل طفت بالاكوان عن كل جانب وهل طاف بك الكون وانت له قبلا
وهل زالت الحجب عنك تكريما وهل رفعت الرداء عنك ثم السدلا
وقيل لك اذن فهذا جمالتنا مرحبا فتمتع بك أهلا وسهلا
وهل دعائك الداعي فقامت لامره وكنت أديب السير وخلعت النعلا
وحاط بك المتعظيم من كل جانب ولما صح الوصل ملت له ميلا
وهل صنت سر الله بعد ظهوره وكنت عنه أمينا وهل لبست الحلا
فهذا بعض المذى يدل عن قربك والاثم أسرار لا تفشى فى الملا
فان صح هذا الوصف عندك فذاكرا والا أنت البعيد من (حضرة) المولى (8)
ان مثل هذه الأوصاف ومثل هذه المحاوره التى اجراها هذا الواصل ادنى
من أى معاورة قد يجريها عبد مع ضيفه اذا وصل عنده .

﴿ زالت الحجب بين الله - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وبين (الواصل) ورفج الرداء المسدول فيقول الله : اذن فهذا جمالتنا ، مرحبا وأهلا وسهلا تمتع
فيخلع الواصل نعله ويحيط به التعظيم فيميل ميلا نحو واصله ثم يكتم سره! »

(6) الله كل شىء فى الوجود :

ومما شرحه فى هذه القصيدة نظريته فى وحدة الوجود وفناء الذات فى
المعبود حتى يرتقى الى المبقاء وبقاء البقاء ، بقول :

وليس وجود الحق قبل وجوده وبعد وجوده وحيثما تولى
كان الله وحده ولا شىء معه وهو كما كان آخرأ وأولا
فهو واحد الذات لا شىء دونه باطن ظاهر أزلى ولا زالا
فاينما رايت رايت وجوده ففى مطلق التوحيد ليس فيه الا
ثم يقول :

الى ان ترى العالم لا شىء فى ذاته اقل من القليل فى تعظيم المولى
فان برز التعظيم تغنى فى عينه لانك لم تكن من أول الوهلا

فلم تدر من أنت فكنت ولا أنت فتبقى بلا أنت لا قوة ولا حولا
وبعد فنائك ترتقى الى البقاء الى بقاء البقاء الى منتهى العلا
ولتكن مع الاله فى كل حالة ومن ذا الذى يرغب عن هذه الحالة؟ (9)
(7) وحدة الوجود : هذه دعوة صريحة الى القول بوحدة الوجود ! والعبد
مسبق بعدم ، وهو من بعد وجود فان خلاف ما يقول هنا .

فالذى يعرفه علماء التوحيد ان الوجود وجودان ، وجود واجب هو وجود
الله سبحانه وتعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » ، وهو « الحى
الذى لا يموت » المحيط بكل شيء ، وهو سبحانه « لا تُدرّكه الأبصار وهو
يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » ، وقد فصل علماء الكلام ما يجب فى حقه
وما يجوز وما يستحيل ، والوجود الثانى هو جائز الوجود وهو ما سوى الله
سبحانه وتعالى من الموالم ، والجائز الوجود مسبق بالعدم ، فان بعد الوجود .
أما عند هذا - الذى يزعم ويزعم له انه يعرف الخلق بالله - فهو ما رأيت
من أوصائه: أينما رأيت رأيت وجوده ، فاذا رأيت العالم لم تجد شيئا فى ذاته
وأنت نفسك - بعد الفناء - تتحقق أنك لست شيئا سوى الله ! تعالى الله عن
ذلك - لانك لم تكن شيئا فى أول وهلة فلم تدر من أنت ؟ ولما كنت قبلا موجودا
فانك لست أنت ؟ ! ثم تبقى فانيا معدوما بلا أنت وبعدئذ ترتقى الى البقاء
الابدى والوجود السرمدى لانك قد حلّ فيك الله ! (ولتكن مع الاله فى كل
حالة) ، ومثل هذا الكلام لا يصح ان يحسب من آمن به فى صف الاسلام
ولهذا كفر علماء المسلمين القائلين بالحلول ووحدة الوجود ، وقد تقدم كلام
ابن خلدون - كمؤرخ - فى موقفهم منه ، وقال الشيخ محمد رشيد رضا فى
تفسير المنار وهو يتكلم على الذين ضلوا بالتأويل والتعطيل لصفات الله : (حتى
خرجت به عدة فرق من الملة بعضهم باطنا وظاهرا ، وبعضهم باطنا لا ظاهرا
كالباطنية وكفلاة الصوفية الذين ذهبوا فى التأويل الى ما وراء العقل والنقل
واساليب اللغة فادعوا انهم يرون الله عيانا فى جميع الصور ويتلقون عنه
كالانبياء وان فيهم من هم افضل من الانبياء وأعلم بالله تعالى ، ومنهم من ادعى
رفع التكليف عن بلغ مقامهم فى المعرفة ، بل منهم من غلا فى وحدة الوجود

(8) المصدر السابق .

الى ادعاء الربوبية للبشر والبقر والحجر والمدر ، وما يستحق أو يتنزه قلم
الاديب المتدين عن ذكره (10) اهـ .

8) تأكيد القول بوحدة الوجود :

ويقول أيضا فى نفس القصيدة :

ترى مظاهر الكون تسجد لبعضها وثم سر لطيف خفى عن المقللا
ولولا ظهور الحق فى كل صورة لما بلى قيس بالشوق الى ليل
ولا عشق العشاق كل مليحة ولا مالت الحسان وجرت الذيلا (11)
والبيت الاول ينقل معنى لابن الفارض يزعم فيه انه عندما يصلى فانه يصلى
لنفسه ! فبصفته مخلوقا مأمورا بالسجود يسجد لخالقه وبصفته هو نفسه
ذات خالقة يعتبر قد صلى لنفسه !

وفى البيتين بعده يزعم أن قيس بن الملوح كان يعشق فى ليل ظهور
الحق فيها ! وهكذا كل عاشق ومعشوق حتى (أرمان) مع (مرغريت) فى
رواية اسكندر دوماس ! (عادة الكامليا) .

فاذا أبصرته أبصرتنى واذا أبصرتنى أبصرتنا !

9) عن شيخه ورث الحلول : أرتق للالوهية !

وقد افصح فيما يأتى عن انتقلت اليه العدوى منه اذ قال :

نوصيك بما أوصانى	أستاذى قبل النيا
البوزيدى كان غنى	على جميع البريا
أترك كلك فى مكاني	وأرتق للالوهيا
وانسلخ عن الاكوان	لا تترك منها بقيا
هذا وذاك سيان	انظر نظرة مستويا
المكون والاكوان	مظاهر الوجدانيا
ان حققت بالعيان	لا تجد شيئا فريا (17)

(10) تفسير المنار ، ج 9 ، ص 132 ، الطبعة الاولى بمطبعة المنار .

(11) الديوان ، ص 13 .

(17) الديوان 23 .

ان هذا الاستاذ الذى وثق به قد أرتقى الى مقام « الغنى » المطلق ، يوحى اليه أن يرتقى الى الالوهية ! فهذا الداء سرى الى التلميذ العليوى من أستاذة البوزيدى كما اعترف فى هذه القطعة من قصيدته ، فهو الذى أوصاه بالانسلاخ عن الاكوان ، والارتقاء الى الالوهية ، وان المكون والاكوان شئ واحد ، ومظهر الوجدانية ، ومن حقق النظر يجد أن البوزيدى قد ذهب ، والعلوى لحقه ، والله الباقي الصمد باق كما قال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » .

10) ليل وعاشقها :

يكفى بعض مدعى مذهب التصوف عن الذات الالهية بلبلى ، ويذكرون ذلك فى أشعارهم ويتغزلون بهذا الاسم ويرددونه فى الحب الالهى ، ويعلنون أن مقصودهم بذكر الحب حب الله وقد يسمونه - تعالى - باسم آخر من أسماء النساء المعشوقات !

ولا شك أن ذلك من وحي الشيطان ، وتلاعبه بهذه « الرعية » الطيعة التى وجد فيها من الجرأة على الله ما لم يتفق له (18) ، فان أسماء الله الحسنى توقيفية ولا يجوز تجاوزها ، ولا يحل لمسلم الالحاد فيها ، لقوله تعالى : « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » . والالحاد فى الاسماء « بالميل بالفاظها أو معانيها عن منهج الحق الوسط الى بنىات الطريق ومتفرق السبل من تحريف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو شرك أو تكذيب أو زيادة أو نقصان أو ما ينافى وصفها بالحسنى ومنتهى الكمال » (19) .

ومن الالحاد « تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه وبما لا يليق بكماله وجلاله » ، وهل يليق به ان يسمى باسم امرأة هى رمز للعشق واشتهاء الجنس ؟ قال الشيخ محمد رشيد ان من الالحاد فى أسمائه : « تسميته بما لم

(18) قال تعالى لما تحداه ابليس : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين » وبالاتباع صاروا رعية !
(19) تفسير المنار ، ج 9 ص 440، طبعة أولى .

يسم به نفسه في كتابه ، أو ما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم » (20) .

وقال :

« وقد اتفق أهل الحق على أن أسماء وصفاته - تعالى - توقيفية ونصوا على إثبات كل ما ورد في الكتاب والاحاديث الصحيحة دعاء ووصفا له واخبارا عنه وعلى منع ما دل على منعه ، ومنه كل ما يسمى الحادا في أسمائه وكل ما أوهم نقضا أو كان منافيا للكمال ووصف الحسنى ، وقد منع جمهور أهل السنة كل ما لم يأذن به الشارع مطلقا » (21) . ومعنى التوقيفية انها تكون من نص الشارع وبتوقيف منه ، ولا تكون من اختراع أحد .

ولكى تتصور مقدار الجراءة والفحش الذى يقع فيه القوم ، تعال معي لترى قول هذا القائل بعد أن ادركت مقصودهم من « ليلي » .

قال : (22)

دنوت من حي ليلي	لما سمعت نداها
يا له من صوت يحلو	أود لا ينتهى
رضت - كذا - عني جذبتني	ادخلتني لحماها
آنستني خاطبتني	أجلستني بحذاها
قربت ذاتها مني	رفعت عني رداها
أدهشتني تيهتني	حيرتني في بهاها
فاذا ما كان مني	غير أن سجدت لها
أخذتني ملكتني	غيبتني في معناها (23)

هذا ما كان من ليلاه أولا ثم أنظر ما صنعت به .

بدلتني طورتنى وسمتني بسمناها

(20) تفسير المنار ، ج 9 ص 440 طبعة أولى .

(21) المصدر السابق ، ص 444 .

(22) الديوان ، ص 30 .

(23) الديوان ، ص 31 .

جمعتنى فردتنى لقبتنى بكنامها
 قتلتنى مزقتنى خضبتنى بدمها
 بعد قتلى بعشتنى ضاء نجمى فى سماها
 أين روحى أين بدنى أين نفسى وهواها
 قد بدا منها لجفنى ما قد مضى من خفاها
 تالله ما رأت عينى ولا شهدت سواها (24)
 ثم يقول :

حسبى من حبيبى أنى متصل به شفاها
 لنا منه نور يسنى قد ضاءت منه جباها (25)

هل عرفت من هى « ليلى » فى شعر هذا العارف بالله والదال عليه المعروف به ؟ هل كانت فى أول أمرها سوى لعوب من بنات الهوى ، ثم كانت فى آخرها معه سوى سفاكة للدماء ، ثم يكشف الحجاب عنه ويقسم بالله على دعواه أنها « الوجود الواحد » عنده وعند أصحابه من دعاة وحدة الوجود ؟

ان أقل ما يستحق من يحب الله بمثل هذا الاسلوب ، وينطق بمثل هذا الكلام ان يقضى حياته فى مرستان ، ان التعريف الذى وضعوه لمثل هذا الكلام « الشطحات » لا يصدق عليه بحال ، لانه سجل وروج بعد ان زالت حال الجنب عن صاحبه ورجع الى طبيعته ، وأصبح مسؤولا عما يصدر منه ، فاذا اقره بعد عرضه فكانه قاله من جديد فى يقطته .

(11) هو ذات الرحمن :

بهذا صرح فى قطعة ليقول فيها ، وانه ليس سوى ذات الرحمن ، استمع اليه :

لا نـرى فى الاكـوان وفى نفسى منى
 الا ذات الـرحمن قـرت بها عينى

• (24) الديوان ، ص 31

• (25) الديوان ، ص 33

شامدتها عيسان حيرت لى ذهنى
 ظهرت بكل السوان ماذا يصحى جفنى ؟
 شربتنى كيزان اخذتنى منى !
 ادخلتنى الديسوان نطقنت عن لسنى (26)

انه لا يرى فى الكون ، ولا يرى فى نفسه سوى ذات الرحمن ! وانه بذلك
 قرير العين ، يشاهد ذلك بعينه ، وقد اخذته من نفسه ، وادخلته الديوان ،
 وانه صار نطقه هو نفس نطق الرحمن !

واحد فريد فى الزمان ! الكل دونى - والكل منى
 وبعد أن غرق فى « وحدة الوجود » عاد الى الحلول ، لانه يمكن له ان
 يكون ثانيا حل به اله الكون ، تعالى وتبارك ، قال : فى نفس القصيدة :

هب نفس الرحمن من جانب اليمينى
 تشكل بالانسان وبالروح منى
 قمت نحكى ما كان وما معنى كسونى
 بالصحة والبيان قول قول يفنى
 جاد بى الاوان اعرفونى أنى
 واحد فى الزمان فريد فى وطنى
 ثم يقول :

أنا حبر العرفان أنا الحصن المبينى
 أنا كوكب فلكان أنا الفرد المغنى
 أنا نور الاعيان أنا الكل دونى
 أنا لب الايمان أنا قطب الدينى
 أنا لست أنسان ولا من الجسمن
 أنا سر الرحمان أنا الكل منى (27)

(26) الديوان ، ص 36 .

(27) المصنوع نفسه ، ص 37 - 38 .

أما كونه واحداً في الزمن فريداً في الوطن ، فالحق أنه يشبه ذلك ، فانه - وان سبق باستاذة (الحبيب) ، ولحق به تلميذه عدة - بلغ من الاستدراج درجة لم يبلغ اليها (الاستاذ) الاكبر ، والذي اعتز بنفسه وتجبر ، وقال لما أمر بالسجود « انا خَيْرٌ منه » ، فمن قال مثله (انا) فقد أشبهه ، ومع ذلك فلم يبلغ أن قال : « انا ذات الرحمن » ، « انا الكل دوني » ، « انا الكل مني » ، أنا لست (انسان ولا من الجن) ان ابليس اعترف باصل خلقته وانه من الجن اذ قال : « انا خَيْرٌ منه خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » ، فاعترف بانه مخلوق ، وان آدم مخلوق ، وخالفهما الله واعتز على آدم بالنار التي خلق منها ، لم يقل ابليس انه سر الرحمن وانه جلس الى جانبه الايمن وتشكل بانسان واخذ منه الروح ونطق بلسانه وان الخلق كلهم دونه وانهم منه وقائل هذا واحد في الزمان ، فريد في الوطن !

(12) تالله لست سواء :

والفناء عنده في الله ان يفكر فيه وينسى كل شيء ، فاذا به يجد نفسه ليس سواء ! فان سئل من تعنى ؟ قال : هو الله ! :

يا مريدا فزت به	بادر واقصد من تهواه
ان أردت تفنى فيه	لا تُصْغِرْ لِمَا عَدَاهُ
حضر قلبك في اسمه	شخصه وافهم معناه
وجه وجهك لوجهه	واهتز اشتياقاً له
اخفض الطرف لديه	وانظر في ذاتك تراه
اين انت من حسنه	تالله لست سواء
ان قيل من تعنى به	صرح وقل هو الله
أنا فيه ، فاني به	يكراني كما أراه
لا نرضى بسدلاً به	أهل الهوى فيه تاهوا (28)

(28) الديوان ، ص 47 .

لست سوايالله !

كثيرا ما روى الشهاب والكتاب المصلحون ان ابن عليوة قال في احدى شطحاته السخيفة : « فتشت عليك يالله وجدت روحى انا الله » .

وهذا ما يصدق ذلك بالنص الصريح فيما سبق وفيما يأتى من هذه القطعة :

تيهتني ذاتك	وغبت فيك يالله
ظهرت صفاتك	منك وفيك يالله
لمن نحكى سرى	لمن نريك يالله
رجعت لسكرى	وحررت فيك يالله
دخلت للمعنى	لكى نراك يالله

(13) مع ليل ، اشف الغيلا !

أرقنى الغرام	من حسن ليل
والقلب فى هيام	مع الجميلا
قالت يا غلام	أمهل قليلا
وادن منى باجترام	وأشف الغيلا
فهمت الكلام	كنت نبىلا
باشارة وابتنام	بلا دليلا
صرنا فى اغتنام	ونحن كسلا
بين صحو واصطلام	وقتا طويلا (29)

أمثل هذا الكلام السمج يقال فى الحب الالهى؟ أم يقال فى حب الباريسيات؟

(14) جنة رضوان فى مستفانم :

روح وريحان ، ما بين الخلان جنة رضوان فى (حضرتنا)
حضرة القدوس محيا لنفوسنا جنة الفردوس تحتاج اليها (30)
جنة رضوان هى التى أعدها الله للمتقين جزاء أعمالهم فى دنياهم لآخرتهم،
ومثلها جنة الفردوس، وفيهما يتنعم أصحاب اليمين كما قال المولى سبحانه وتعالى

(29) الديوان ، ص 53 .

(30) الديوان ، ص 63 .

« وأصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ ؟ في سِتْرِ مَغْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ، وَظِلٍّ مَمْتُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهِ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ وَفَرْشٍ مَرْفُوعَةٍ » .

اما اذا كانت جنة هذا الشيخ في مستغانم مثل هذا المدعى فما أرخصها وما أهونها ! وحق لكل ساخر من الاسلام أن يسخر من جنة في «حضرة» الشيخ

(15) فتشبت عليك يا الله :

أتباع الشيخ ومريدوه يعرفون به فيقولون عنه (العارف بالله) الملقن لاسمه الاعظم ، وكذلك يقولون في شيخه البوزيدي وفي تلميذه عدة كلهم في زعمهم عرف الله ، معرف به ، ملقن لاسمه الاعظم ، تعال معي لنرى كيف يعرفون بالله من يجهله :

قال الشيخ المليوي :

تبهتني في ذاتك	وغيبت فيك ياالله
ظهرت صفاتك	منك وفيك ياالله
لمن نحكي سرى	لمن نوريك ياالله
رجعت لسكرى	وصرت فيك ياالله
دخلت للنعنى	لكى نراك ياالله
نديت من أنا ؟	لست سواك ياالله
خرجت للحس	نفتش عليك ياالله
ابتديت بنفسى	حصلت عليك ياالله
ظهرت فى الكل	عمن نخفيك ياالله
ظننتك غيرى	جاوزت عليك ياالله
حتى نارت شمسى	قلت عليك ياالله
نوديت من نفسى	قلت لبيك ياالله

يعنى ان نفسه نادته فاجابها بقوله لبيك ياالله ! ، والقصيدة فى الديوان صفحة 55 من الطبعة الاخيرة، فهل عرفت الله ؟ ما أرخص هذه المعرفة وما أنسد عقيدة من دان الله بها ، وما افظع ما توصل اليه ، وما عرف به . وهذا قول منه انه فتش على الله فوجد نفسه هو ...

16) هو عينك لست سواه :

هذا جواب لمن يسأله عند الله ، والمجيب هو الذى قالوا عنه انه العارف بالله ، والدليل عليه ، والملقن لاسمه الاعظم ، يقول :

أهل الهوى العارفين بالله	لهم نشوى فى ذكر الله
فنىوا السوى وقد غابوا فى الله	من ذا يقوى فى قرب الله
يا خليلي اذكر وافن فى الله	لا تبسالى بغير الله
اسمع قول لكى تبقى بالله	وانظر حالى تعرف الله
حض قلبك وغب عنك فى الله	واخفض بصرك لكى تراه
شريك منك اعرف نفسك بالله	هو عينك لست سواه

17) خاتمة : حاكى الكفر ليس بكافر :

بهذه الأبيات الرهيبة نختم ما رأينا اقتباسه من (ترهات) هذا (العارف) بالله فى تعريف خلق الله بربهم الذى ينتهى به ان يقول لهم : (لستم سوى الله) .

ان سماع مثل هذا القول يزلزل الكيان ، ومجرد روايته لاطهار شناعته مما يهز الاعصاب ويرهقها بالاصاب ، فكيف حال من يؤمن بمعانيها ويتقرب الى الله متغنيا بها منتظر ثواب الله عليها ، وهل ينتظر الثواب حقا ؟ ومن ينتظر الثواب اذا آمن ايمانا بقول معرفه بالله (اعرف نفسك بالله ، هو عينك لست سواه !) .

انى اعترف للقراء الاعزاء اننى قاسيت كثيرا فى البحث عنها ، ثم النظر فيها ونقل (عينات) منها ، واسأل الله جزاء هذا ان يقفر لى ويرحمنى ويرافى بى ان اذعت مثلها غانما فعلت رجاء منه - سبحانه - ان يكشف أمرها وأمر قائلها ورواتها ومروجيها ومقلدى مذهبهم فى قول مثلها ، والذين (يذكرون) الله بها ! يرجون ثوابه عليها ، ان السكوت على مثلها وهى من اشنع المنكرات يجب على المؤمن ان يستغفر الله منه ويتوب اليه ، وقد رأينا - كيف بادرها استاذنا ابن باديس بالانكار وعاش بقية حياته يطالب أصحابها بالتوبة والانابة، ولم يذكر من هذه (الاشعار) سوى أبيات يسيرة مما أودى به رسول

الله صلى الله عليه وسلم وذلك يسير مما جاء فى الديوان لكن ما جاء فيه
- مما يؤذى الله - أكثر وأكبر وأكفر ! ففى الديوان 115 صفحة مما قاله
الفارس الاول ، و 28 صفحة مما قاله الثانى ، و 61 صفحة مما قاله الثالث
ورواج أكثر من مائتى صفحة من هذا الضلال يكفى لزعزعة أقوى الامم .
وقد اختلفت الأبيات التى انتقدتها ابن باديس ولكن بقيت القصيدة التى
كانت فى ضمنها والفصل الآتى فيه تعليق - وجيز - عليها .



الفصل التاسع :

أهو إعراض وصدود ؟

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ

فيما مر من أقوال صاحب الديوان ، وفي طيات (قصائده) المنقول منها والمتروك - تصريحاً أو تلويحاً ، أو مجازاً ، ورمزاً وكناية - ما يؤدي ويغضب رسول الله ويستفز صالحى المؤمنين وقد روينا عن الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وصفه لديوانه - فى طبعته الاولى انه (مملوء بالعقائد الباطنية والحلولية والتهجم على مقام الربوبية ومقام الرسالة) وقد عرفنا ان اصل نشوب المعركة العنيفة بين ابن باديس - من جهة- وبين العليوية والعلويين من جهة أخرى - أبيات وردت فى قصيدة نشرت فى الديوان فيها إذاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وانتقدها ابن باديس - بدئت بقوله :

إن مت بالشوق منكذ ما عذر ينجيك

ان هذه الابيات لا توجد اليوم بالديوان المنشور فى هذه الطبعة الاخيرة عام 1982 م ، بمستغانم ، كما انها لا توجد بالطبعة الثانية التى طبعت بدمشق فى حياة المؤلف عام 1931 م ، ولا شك أنه أمر بحذفها ، وأقر بخطاه فيها وعدوانه على الحضرة النبوية وان كان لم يحسن الاعتذار ، ولم يتبرا من غيرها من الدواهي التى جاءت فى بقية الديوان ، بل أصر عليها بإصراره على طبعه بما فيه فى حياته .

توجد بالديوان قصيدة يظهر انها هى التى كانت تتضمن الابيات المنتقدة : المحذوفة وهى منشورة فى الصفحات : 87 - 88 - 89 من طبعة 1982 طالعها :

يا سيدى أحمد يا محمد صلى الله عليك
يا من بك القلب تايد وتربى عليك
لا تحرمنى يا محمد - من سنا وجهك -
- ترانى مقروح الشمد - لا زلت نراعيك

موضوع القصيدة مدح للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعتاب عليه ، وفيها
تصريح بأنه مدحه وهيا داره لاستقباله يرجو ان يزوره مرة ثم يعود للزيارة
مرارا ، لكن رسول الله ولى عنه وأبى ان يزوره مع انقضاء الايام ومرورها دون
جدوى (حتى ان الشيخ لو وجد سبيلا الى ان يقدم له شفعا ووسطاء لما تردد
فى ذلك :

وليت عنى يا الامجد الله يرضيك
وانا فى الايام تسرد نو صبت نجاهيك (31)

ولم ينفعه هذا واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم - حسب روايته -
فى الاعراض عنه ، وهو متالم يخشى نفاذ الاجل ، ويحمل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الضمان ، لانه حريص - وذلك من طبعه - على ما يريد ، ولا يفرط
فيه ، ويقسم انه ما يزال يردد الصلاة عليه ولو بقى الى الابد فلن يسمح فيه
لعله بذلك يشاهد ضياء وجهه . ويقول ان هذا هو الظن فيه ، وان الكمال
- كمال الظن - واجب عليه :

هذا ظنى يا محمد - والكمال عليك - بعد المدح بقيت مرصد

فى النوم نراعيك (32)

ثم يعلن فى القصيدة ان رؤيا المنام تحققت ، ولكنها كانت على صورة لم
يرض عنها فقد قال : (رايت كانى اخاطب النبى صلى الله عليه وسلم بتلك
الابيات وهو فى تدلل وترفع عنى وأنا فى احتقار وتذلل له ، فلما انتبهت
رسمتها) (33) واذا كان قد حذف تهديده ووعيده للرسول صلى الله عليه وسلم

(31) الديوان ، الطبعة الاخيرة سنة 82 ، ص 87 ، نجاهيك تقدم لك وجهاء
كشفعاء .

(32) نفس المصدر ، ص 87 ومرصد : اترصد وانتظم .

(33) كتاب الشهاد والفتاوى نقلا عن النجاح ، وتسليما بصحة الرواية .

ان مت بالشوق منكذ ما عذر ينجيك
وقوله (للمولى ندعيك . . . الخ .

فانه ما حذف عتابه للنبي صلى الله عليه وسلم فى بقاء صدوده عنه حيث
يقول فيه هو مثبت حتى الآن :

حتى رأيتك يا سيدى أحمد الله يجازيك
غير انك باقى شارذ خايف لا نوذيك
من فعلى نعرفه فاسد ما يخفاش عليك ، الخ (34)

ولم يتحقق له ما أراد ولا ظفر بالمطلوب واستمر فى استرضائه والالاح
عليه بتكرير الزيارة ولكن عبثا :

لا بد فى اليوم تفاقد كى نستانس بك
والهفى ما زلت نراود متى نحظى بك (34)
وفى سداجة بالغة يستمر فى الحاحه ، ويقدم عروضاً مغرية - فى نظره -
لارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زاره فيقول :

قبل اليوم صبرت بزائد والآن يكفيك
من نعتك ترفق بالجاحد عسى يامن بك (35)

وعبارة (يكفيك) فيها سوء أدب حسب تعبيرنا العامى ، كما ان عبارة
(وصبرت بزائد) مثلها، ثم يحتج بانه مسلم ، وان نسبته للاسلام تكفيه ،
وانه صوفى موحد من صنع يديه :

نعجبك صوفى موحد من صنعة يديك
وهذه فى نظرنا - جرأة نادرة ، ان ينسب الى الرسول انه صنع بيده
(الصوفى) مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالاسلام لوجه الله
وصبغة الله وهى (الاسلام لله) .

اما عروضه التى قدمها فقد دعاه ان يجربه ويصحبه ليجده يفديه بروحه :
بجعله فى بيت مفرد لا شريك له فيه ، وفى مكان رفيع محيد :

(4) الديوان ، ص 88 .

(5) نفس المصدر .

نجعلك فى بيت مفرد ليس فيه شريك
فى مكان رفيع محيد هى هذيك وذيك
ويفرش له فى البيت الحشايا واللبد مما يحسن للجلوس المريح ، ماثوة
به الزرابى ومسدولة على نوافذه الحجب لتخفيه .

نسط لك فرش ملبد يحسن للتوريك
ماثوا بزرابى توقد وحجب تواريك
ويستمر وصف مغرياتة انه سيبخر بيته بالعود المندد بالروائح العابقة
المصحوبة بالنسيم والشراب الحلو المورد يحمله ساق من الولدان المترين فى
دار الملوك .

واخيرا يعده بانه سيهئ له الخلوة يتهدد فيها للصباح ، حينئذ ياتيه
بابريق فيه ماء ملذذ لطهوره ووضوئه .

ثم يخرج معه الى المسجد فى صحبة الند لنده :

نصحبك لباب المسجد يدى يديك
نحفظك من سوء الوارد بنفس نقيسك

خيال سقيم :

ان هذا الخيال فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم فى غاية القصور ،
وان العتاب الموجه اليه فيه سوء أدب ، ومنه ما انتقده ابن باديس . وان
العروض المقدمة للرسول صلى الله عليه وسلم تتضمن جهلا بما كان عليه فى
حياته وبما هئ له بعد مماته ، ولو شاء ربه لاعطاء ما شاء من رخاء ونعيم ،
ولكن رضى الله له ان لا يعجل له طبيباته فى الحياة الدنيا وانما تؤجل له الى
الآخرة ، ثم انه عند ربه فى أعلى الدرجات وأطيب المنازل فكيف تغريه عروض
ابن عليوة ؟ وفرشه وشرابه الحلو وفى جنة أبه ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين ، روى البخارى ومسلم من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان
عمر دخل عليه صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : « وانه لعل حصر ما بينه
وبينه شئ ، وتحت رأسه اهب معلقة فرأيت أثر الحصر فى جنبه فبكيت فقال
ما يبكيك ؟ فقلت يا رسول الله ان كسرى وقىصر فيما هما فيه وانت رسول
الله ، فقال : اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ ، اه .

انه علم ان الله اختار له ذلك فرضى به وقنع وعلم ان ذلك خير له ، ومن عجيب ان ينتبه هذا الشيخ لما لم ينتبه اليه كبار المهاجرين والانصار ! بتقديم مثل هذا العرض للنبيء بعد وفاته ، وهم الذين عاشوا معه وفدوه بالانفس والاهل والاموال ثم يقدم اليه عرضا بتهيئة « الخلوة » ليواصل (تهجد) فيها وقد انقطع عنه التكليف بالتهجد بوفاته . ثم نتساءل هل كان يشترط عليه ما كان يشترط على (الاخوان) حتى يرى الله ؟ أم كان يريد ان يروى لهم ان النبيء (ص) دخلها وتهجد فيها ؟ وهل يناسب أحدا ان يساير رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليد في اليد) على انه عليه الصلاة والسلام قد عصمه الله في حياته من الناس فكيف يحتاج - في المنام - ان يحفظه صاحب الشطحة (من سوء الوارد) ؟

ان صاحب هذا المدح تصور النبيء صلى الله عليه وسلم كأحد شيوخه يزوره أو أحد أصحابه يقدم له ما يقدم لامثالهم ، ولم ينس نفسه من تنويه بها وذكر ما يعود عليها . والعجب انه ألح في ذكر تولى النبيء صلى الله عليه وسلم عنه وشروده عن زيارته حتى في المنام ! ولم يخطر بباله ان يسائل نفسه - ان صحت الرؤيا - عن سببه ؟ ولو سأل العلماء من أتباعه والواقفين بتدينه لربما نصحوه وقالوا له : قد يكون غير راض عنك لاشعارك وأفكارك وابتداعك و (حضرتك) وكل ذلك متضمن للبدع والمنكرات ولم يأذن فيه رسول الله (ص) لا بالقول ولا بالفعل ولا بالاقرار فكيف ترضيه باللبد والفرش الذي يصلح (للتوريك) وبشربك المورد وبدخوله خلوتك ؟ وانما يرضى عنك ويصفح اذا وحدت الله ونزهته واتبعت سنته قولاً وفعلًا : « قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ... » .

الفصل العاشر :

ثانيا - الفارس الثاني : الشيخ ابن الحبيب

هذا الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدى كان حريا ان يكون أول الفرسان الثلاثة وامامهم ، لانه هو شيخ ابن عليوة وامامه ومربيه ، وهو الذى اثر فيه وكونه ووجهه هذا التوجيه واعده لمشيخة الطريقة (الدراوية) فى مستغانم وأوصى له من بعده . وهو - كما قال عنه صاحب كتاب الشهاد (المربى الجليل العارف بالله والبال عليه ٠٠٠) عاش على حالة ربانية وسيرة نبوية أهتدى على يده الجرم الغفير وانتفع به الخلق الكثير (36) توفى عاشر شوال 1327 هـ (1909 م) .

لازمه ابن عليوة و (قضى فى خدمته ما يقرب من خمسة عشر سنة (كذا) ٠٠٠ ومدة ملازمته كانت له بكل احترام لما يال جهد للسعى فى مرضائه (37) وكان ابن عليوة تلميذا حريضا على (الانتفاع) باستاذة قال عنه مفتى مستغانم (كنت أشهادة ملازما لشيخه ٠٠٠ بأدب كثير وهو راض عنه حتى توفى فتاب عنه وخلفه) (38) .

وقال عنه فى نظم مشائخ الطريقة وسلسلتها :

أولهم متصل الشراب من به صح وصلى واقتراى
عليه الرضا يا رب كذا المزيدي البوزيدى محمد أهل للتمجيد

(36) كتاب الشهاد والفتاوى ، ص 4 - 5 الهامش .

(37) كتاب الشهاد ، ص 5 الاصل والهامش .

(38) المصدر المذكور هامش ، ص 5 .

صفى القلب قوى السوداد حسين البشرى نقى الفؤاد
سألتك يا رب به تحفظنا عن بابك يا مولاي لا تطردنا (39)

بعض دواهي ابن الحبيب :

1 - التلميذ نسخة من استاذة : ميراث وفر !

ما شاهدناه في التلميذ من أقوال ، يوجد مثلها في أقوال الاستاذ ، فعنه أخذ ، واليه انتسب ، وبوصيته عمل وقد تقدم عنه انه قال لمريده :

نوصيك بما أوصاني	استاذي قبل المنيا
البوزيدى كان غنى	على جميع البريا
اترك كلك في مكاني	وارتق لالوهيا
وانسلخ عن الاكوان	لا تترك منها بقيا
هذا وذاك سيان	أنظر نظير مستويا
المكون والاكوان	مظاهر الوجدانيا (40)

فما نجده في أقوال ابن عليوة من الحلول ووحدة الوجود مما أوصاه به استاذة - ان صحت روايته عنه - .

ولما مات البوزيدى وقال فيه تلميذه :

لله أشكو حزني لفقد عرش الولا	فقيد الورى طرا - والله - كذا العصر
فقيد خل الثرى من بعد احتوائه	على الكل فكيف به غمه القمر
فقيد كلن فوق الكل ، والكل تونه	فيا عجبا كيف احاط به القبر ؟
وليبيكه عرش الله! والكرسى والسمما	ولتحي به الثرى فنصار لها ذكر
البوزيدى محمد له من محمد	ميراث الابن للاب ولنا منه وفر (41)

هذه (الأبيات) جاءت في رثائه ، وقد رأينا أقوال ابن عليوة ، ومقالا من وصيته له وفي (البيت) الاخير يزعم انه أخذ من ميراثه وفرا - فما نوع هذا الارث وما مقدار هذا الوفر ؟

(39) الديوان ، 103 .

(40) الديوان ، ص 23 - 24 .

(41) الديوان ، ص 100 .

يمكننا أن نعرف نوع الميراث الذي آل من الاستاذ ابن الحبيب الى تلميذه ابن عليوة بمراجعة ديوان البوزيدى الذى نشر فى الطبعة الاخيرة الصادرة بمستغانم عام 1982 م .

فمن يراجع ما أنتجه الاستاذ بعد ان قرأ انتاج التلميذ يتيقن أنهما من (مشكاة) واحدة ومعين واحد .

(2) الكون فى قبضتي :

فى أول قصيدة نشرت له فى الديوان يزعم محمد بن الحبيب ان (الكون فى قبضته) وكانت - مثل شعر تلميذه - فى فساد المبني والمعنى من اللحن الفاحش والزعم الباطل ، والانغماس فى الحلول ووحدانية الوجود ، وفيها يقول :

أنا عين للتحقيق يا من تطلب رؤيتي
أنا منهاج الطريق والكون فى قبضتي
الكون كسراب كما جاء فى الآية
هباء فى هواء عند أهل الحقيقة ! (42)

فانظر - رحمك الله - كيف يكون التحريف وسقم الفهم وفساد التأويل والتزويل لآيات القرآن ، فالله تعالى ضرب مثلا للذين كفروا وانه يحبط أعمالهم وما توهّموا انهم قدموه من خير وفى عدم انتفاعهم بما صنعوا لان كفرهم مانع من قبوله والجزاء عليه فقال : « والذين كفروا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيعةٌ يَحْسِبُهُ الضَّمَانُ ماءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءَ حِسَابِهِ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ » قال الشوكاني : (المراد بالأعمال هنا هى الاعمال التى من أعمال الخير كالصدقة والصلة وفك العانى وعمارة البيت وسقاية الحاج ، والسراب ما يرى فى المفاوز من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار على صورة الماء فى ظن من يراه الخ (43) اهـ .

فالسراب شئ مظهر متخيل ولا حقيقة له فنقل هذا الى انكار حقائق الاشياء الكونية ونسبه الى أهل الحقيقة وادعى أن القرآن جاء به ، والمعلوم

(42) الديوان ، ص 115 .

(43) تفسير الشوكاني للآية .

لاهل العلم ان الذين ينكرون حقائق الاشياء هم السفسطائيون ، وأما أهل الحق فهم يشبتونها ، والى ذلك أشار الامام النسفى بقوله فى مطلع كتابه : (العقائد النسفية) (حقائق الاشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافا للسفسطائية).

فالسفسطائيون - كما علمناه من كتب التوحيد وعلم الكلام - هم الذين انكروا حقائق الاشياء وقالوا : ليس فى الكون شىء حقيقى ، والحواس لا يعول عليها! وقد ذكر سعد الدين التفتزاني - رحمه الله - فى محاورتهم عند شرحه للعقائد ما فحواه انه يقال لهم : (أتقولون لا حقيقة لشيء ؟ فإذا قالوا نعم لا حقيقة لشيء يقال لهم : هذه حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك انه لا حقيقة لشيء فيقال لهم أتشكون فى أنه لا حقيقة ؟ فإذا قالوا نعم نشك يقال لهم : شككم حقيقة من الحقائق ، فيقولون نشك ثم نشك فى شكنا وهكذا .

وقد اعترف أخيرا انه لا وسيلة لاقتناعهم الا بالقائهم فى النار فاما ان يعترفوا بانها محرقة حقا ، واما ان يحترقوا فيستراح من شغبهم .

فمن قال الكون هباء فى هواء عند أهل الحقيقة يقال له : الكون حقيقة من الحقائق، والموجودات : منها واجب الوجود وهو الله ، وجائز الوجود ، وهو ما سواه برهان الوجود للواجب : عالم السموات والارض فانه لا كائن بغير مكون وبرهان وجود الجائز حصول مثل هذا الهمز منكم !

(3) ثم يقول فى نفس القصيدة :

من بحار الجبـروت قد ظهرت نقطتى

تـلـونـت بالنعـوت وسـر المـلكـوت

هذا نص فى القول بالحلول ووحدۃ الوجود فهو يزعم ان كونه انسانا انما هو لون من ألوانه وانه واحد فى مظاهر الوجود :

يا خليل قل الله وحده فى الكثرة

لا ترى ما سوى الله فى كل كائنة (44)

4 - رؤية الله جهرا :

وقد سبقت امثلة من اقوال تلميذه، والاستاذ هو الاصل في هذا أيضا يقول محمد بن الحبيب :

وقفت بالباب ورفعت الحجاب فقال البواب اهلا وسهلا
ادن يا عاشق ان كنت صادق للسوى ا فارق تغنم الوصلا
ازداد حبى بنسيم القرب وتلاشى كرى لما تجلى
تجلى ما كان فى الازل وبان تراه عيان يسقى ويملا (45)
ويقول :

يسقيك حقا ظاهر وباطن تراه جهرا والا فلا (46)

5 - قول بنى اسرائيل ومآلهم :

تعنت بنو اسرائيل، وبلغ بهم الغرور والجهل الى ان قالوا لموسى عليه السلام:
« لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً » ، فاخذهم الله اخذ عزيز متقدر ، كما قال
يوسفهم : « فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » ولم يكن فيما قصه الله علينا من
حالهم عبرة لهؤلاء الجفاة فيبلغ بهم الحال الى ادعاء انهم « يرون الله جهرا »
اليس فى حال هؤلاء جفاء اكبر ، وافك أكثر ؟

6 - ضريحه البيت المعمور :

اقسم الله بالبيت المعمور ان عذابه « لواقع » ، ما له من دافع ، وقالت العلماء
ان البيت المعمور فى السماء السابعة ، او فى الدنيا وان (وصفه بالعمارة اذا
كان فى السماء بمن يدخله من الملائكة ويعبد الله فيه ، واذا كان هو مكة فيمكن
وصفه بالعمارة حقيقة لانه أبدا عامر بالقائمين والطائفين والركع السجود فى
كل وقت من اوقات الليل والنهار أو مجازا باعتبار كثرة من تعبد ويتعبد فيه
من بنى آدم (47) .

(45) الديوان ، ص 116 .

(46) الديوان ، ص 117 .

(46) الديوان ، ص 116 .

(47) انظر تفسير الشوكانى .

وزعم هذا المتصوف ان ضريحه - أيضا - بيت المعمور ! ودعا الناس الى اتيانه لعبادته والتقرب اليه لا لعبادة الله ، وضمن لهم الامن اذ يقول :
ايا خليلي آت - مسرعا لحضرتي - لا تخشى من آفات - ضريحى بيت المعمور (48)
وهذا ما لم يقله أحد لا حقيقة ولا مجازا وتشبيها . ودعوة الناس لشهد
الرحال الى ضريحه ليؤمنوا الآفات كلها جليلها وحقيرها ، كما يفيد وقوع النكرة
فى سياق النفي ، لم يعطها إله لعباده ، وحتى حجاج بيت الله تصيبهم الآفات ،
ومنها مصيبة المرض والموت .

ولقد حصر الاسلام شد الرحال فى ثلاثة مساجد : بيت الله ، وحرم النبىء ،
صلى الله عليه وسلم . والمسجد الاقصى .

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من اتخاذ القبور مساجد
فقال : « لعن الله النصارى واليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ودعا الله
الا يجعل قبره وثنا .

مع كل هذا فان هذا « المتصوف » يدعو للآتيان بسرعة الى (حضرته)
فى ضريحه وانه بيت معمور .

7 - يرفع الحجب ! ويشاهد علام الغيوب !

وفى (شطحة) مسجلة من كلام ابن الحبيب يقول :

أنا الذى ظهرت	خمرتى منى فاضت
والاشياء بى قامت	أنا رافع الحجب
نادانى من كل مكان	أصدع وبشر الاخوان
بالقرب مع الامان	الى يتبعك محبوب
يشرب كأس المعانى	يفنى عن كل فانى
يغيب ذات الفانى	يشاهد علام الغيوب (49)

(48) الديوان ، ص 121 .

(49) الديوان ، ص 124 .

الاشياء بى قامت ! أهكذا ؟ سبحانك - اللهم - الحى القيوم، فانت اللهم وحدك
القيوم ، ان الله سبحانه وتعالى استأثر بالغيب لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك
مقرب الا ما شاء منه برسول ووحى كما قال : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » وقال : « عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ
أَرْتَقَى مِنْ رَسُولٍ » وهذا الذى يزعم أنه « رافع الحجب » سامع صوت ربه
- تعالى الله - يقول له : اصدع بشر عبادى بالقرب والمزيد حاشا مريدك
محجوب (50) قد ضمن لمريديه واخوانه الا يحجب غيب الله عن أحد منهم ،
بل انهم « يغيبون فى ذات الله الغاني يساعدون علا الغيوب أو علم
الغيوب » (51) .

وقد وعدهم قبله من وعد اتباعه فقال تعالى : « يَٰعِدُهُمْ وَيَمْنِيهِمْ ، وَمَا يَعْلَمُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا » .

8 - الخمار الاعظم :

لم تنتهم بهذا ، ولم نرضه له ، ولا نرضى أن نسنده الى مسلم يعلم
ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمرة والعشرة المشتركين فيها ،
ولا يمكن أن يكون ذلك محل فخر مهما كان نوع (الخمر) الذى يوزع فيها .
ولكننا وجدنا هذا الفارس يفتخر بذلك وينسبه لنفسه ويفتخر به قال
فى صفحة 128 من الديوان :

أنا البحر الواسع	أنا هو الخمار !
نسقى كل سامع	كؤوس الاسرار
فكن لى تابع	ترفع عنك الاسرار
يذهب عنك المانع	تشاهد الانوار

لم يكفه ادعاء علم الغيب حتى نسب الى نفسه انه يكون سببها لتعليم
غيره كشف الاسرار .

9 - كل قطب - كل غوث - كل والى (كذا) خاضع له :

ثم يتابع الشيخ الحبيب رواد (حائته) فيقول : فى نفس (القصيدة) :
كل قطب - صارع صافى من الاكدار

(50) - (51) الديوان .

فلى يئايىع بالسر والاجهار
 كل غوث شايىع واسمع الافكار
 هو عبدى تابع قهارا وجبار
 كل والى خاضع لى بالانكسار
 حكمى عليه واقع بدون اختيار
 ومن لى يئازع رافض الاقرار
 هو غير تابع سادات الاخيار
 هذه صفة القاهر فوق عباده فاذا لم يكن هو الواحد الوجود - سبحانه -
 فانه الجبار العنيد ، وقد قال سبحانه : « وخاب ٠٠٠ » .

10 - الفلك الدوار فى قبضته :

ونختم هذا النقل عنه - وهو المخلوق الفانى المغرور - وبقينا أن القارئ
 قد أخذ عنه فكرة صحيحة - بقول له يؤكد دعواه الاولى ان الكون فى قبضته
 قال فى نفس (القصيدة) صفحة 129 من الديوان :

كل الكون الواسع والفلك الدوار
 فى قبضتى ضايىع كحلقة فى القفار
 والعرش المتسع والشمس والاقمار
 فى القلب يا سامع موجة فى البحار
 كل نور ساطع ظلام وأنوار
 كل ماء نابىع والليل والنهار
 ثم يعدد بعد ذلك الصراط ، والميزان ، والكوثر ، والجنان والساجد والراعى
 والعاصى والطائع . كل هؤلاء فى « رضاه » طامع !

والساجد والراعى فى الليل والاسحار
 فى رضاي طامع ورفىع الاستعار
 والعاصى والطائع فى الموت والمحشر
 ملجأ راجع لى بلا انكار

ولا تظنن ان هذه (شطحة) منه يتكلم فيها بلسان الخالق - ولا تكون هذه القدرة الا لله - بل انه يزعم اخيرا انه كل هذا له من الله ! ولم يدع شيئا من ذلك نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ولا يدعيه من يعرف الله .

فهو يقول في صفحة 129 و 130 :

هذا معطى الصانع	ما فيه انكار
الا قول القاطع	فذاك مزمار
اعزم يا منازع	ودع كل عسار
واقدم لى سارع	تنال ذى الاسرار !

ونحن نجيبك بلساننا ولسان الخلو :

نازعناك ، وكذبنا بسلطتك وقواك ، وأسرعنا اليك لنرى الاسرار فوجدناك مت وأصبحت عظامك فى قبرك رميما ، ولا شك انك أدركت الحقيقة يوم جاءك اليقين ، فعلمت أن من ركع وسجد فى الليل والاسحار طامعا فى رضاك لا فى رضا ربه أو رضاك ورضا ربه قد كان من الهالكين ، لانه اشرك - فى عبادته - برب العالمين وذلك مصير كل من عبد غير الله وكذلك من رضى ان يعبد من دون الله « إنكم وما تعبئون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون » .



الفصل الحادى عشر :

ثالثا - الشيخ عدة بن تونس هو ثالث الفرسان ليس دونهما - سوء قول - فى الميدان

ان الفارس الثالث فى هذا الميدان الشانك ، هو الشيخ عدة بن تونس الذى خلف شيخه (ابن عليوة) فى تحمل خلافة الطريقة ، ولعب فى حياته دورا كبيرا بصحبته ورفقته فى رحلاته ، والذب عن شيخه فى مقالاته وكتاباتة . اذ كان مسؤولا عن الاعلام فى حياة شيخه ومحررا فى جرائد الطريقة كلسان الدين ، والبلاغ الجزائرى ، وعند وفاة شيخه فى صالفة عام 1934 م ، خلفه فى المسؤولية والرئاسة لانه لم يكن له عقب حتى عام 1952 م . ثم أورثها عقبه من بعده الى الآن .

وأثناء قيادته لـ « الاخوان » انحسر مد الطريقة انحسارا كبيرا . ولم تعد تظفر بالاهمية التى كانت لها ، لظروف كثيرة لعل من أهمها ما كانت تتمتع به شخصية شيخه من قوة طاغية على (الاخوان) وكفاءة نادرة فى قيادتهم و (تنويمهم) ولكن لا يمكن اهمال أهمية انتصار الفكرة الاصلاحية انتصارا ساحقا ، وذلك بفضل اليقظة الكبيرة التى عمت مظاهرها فى كل الميادين : الدينية والسياسية والثقافية وانتشار الوعى ، ورفض الناس عموما والشبيبة خصوصا فكرة (تاليه) المخلوقات والايمان بان الشيخ هو الاله ، وليس سواه وانظر اليه تراه ، كما ان فكرة (الوهية) البشر والشجر والبقر ، والشمس والقمر ، والبغال ، والحمير ، وأن الفانى هو الباقي - مما يبيت فى (أشعار) وحدة الوجود - لم تعد تجد من يميل الى سماعها والاطمئنان الى من يقولها . والتصديق الكامل بها .

رغم كل هذا فان ثالث الثلاثة من هؤلاء (الزعماء ، الدينيين - لهذه الطريقة . لم يكن دون سابقه ابن الحبيب وابن عليوة في تكرير هذه المزاعم، وفي الجهر بالسوء من القول .

وقد سماه « ديوان المحبين في مقامات العارفين » وعرف به هكذا للعارف المطبوع في مستغانم عام 1982 م ، وقد تضمن أشعار الفرسان الثلاثة ، وتضمنت أشعار الاولين 143 صفحة ، وألحق بها ديوان للشيخ عدة وتضمن 61 صفحة وتعتبر هذه طبعته الثالثة له . وصدرت منه طبعتان في حياة (الشاعر) صدرت الاولى عام 1947 م ، والثانية عام 1951 م .

وقد علمنا ذلك - بفضل ما نشر على الناس في (ديوان ابن عليوة) بالله ، والدال عليه المشهور بتلقين الاسم الاعظم الشيخ عدة بن تونس المستغانمي .

والملاحظ هو ان التعريف بالمشائخ واحد : كل منهم عارف بالله دال عليه ملقن لاسمه الاعظم .

والديوان نسخة من الديوانين السابقين في سوء القول وفساد المبني والمعنى : لحن فاحش ، وعربية تتبرا من أسلوبها لغة العرب الفصيحة والدارجة ، ومعان سقيمة ، أولا تجد لها أدنى معنى ، تخليط عجيب لا يصدر الا عمن ليس بمسؤول عن قوله .

ولا نطيل في ضرب الامثلة من هذا الديوان ، فكفى ما مر من « الشيخين » فان لاحظنا شيئا جديدا لفتنا اليه النظر .

وكما مر ننبه الى ان اعتذارهم الدائم بان كلامهم « شطحة أو شطحات » لا يقبل لان « الشطحة » ينطق بها « الشطاح » في غيبوبة فتروى عنه وتنقل حينئذ . اما ان يكتبها هو بنفسه أو يملئها وهو في وعيه وينشرها ويروجها فهذا لا يكون الا عن « عمد » وسبق اصرار . وهذه أمثلة من سوء القول :

1 - من رآه رأى الله - تعالى الله -

هذا زعمه فيما نشر في حياته ونسب اليه بعد مماته اذ قال مقسما على قوله بالله - تعالى الله -

والله من رأى من غير ما شبه رأى الذى ما له فى الكون من عدد
أما العدد اذا حققت صورته وجدته واحدا ما له من قد
ورقم ثانية كرقم ثلاثة كل منها قائم بالاحد الصمد (52)
الذى ما له فى الكون من عدد هو الله الواحد الاحد فى ألوهيته وفى
ربوبيته لا شريك له ولا نظير ولا مثيل . واما الشيخ عدة فهو مخلوق ضعيف
فان ، فانى يكون الجائز الوجود نفس الواجب الوجود ؟

أليس هذا قول الحلاج : أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا ؟ فكلنا ناقص
سكننا بدنا .

فاذا أبصرته أبصرتنى وإذا أبصرتنى أبصرتنا

أما ان يكون الثلاثة واحدا ، والواحد ثلاثة كما زعم فى قوله :

ورقم ثانية كرقم ثلاثة كل منها قائم بالاحد الصمد

فهذا ما لم يعهد فى اعتقاد المسلمين ، وانما النصارى هم الذين قالوا :
« ان الله ثالث ثلاثة » ثم علموا ان هذا يخرج بهم من التوحيد الى الشرك
فزعموا أن الواحد عين الثلاثة ، والثلاثة عين الواحد ! ولا يدري أحد كيف
يكون الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحدا . فزعموا أن (الله) مركب من اقانيم
ثلاثة : الاب والابن وروح القدس ، تعالى الله عما يقولون .

2 - انت مخلوق وغير مخلوق :

ويقول فى صفحة 6 :

تنازعنى روحى وشبحتى فمن أنا ؟ لقد حرت فى أمرى فمن لى بمن يدري؟
فان قيل روح بقيت بلا شبحتى وان قيل لى شبحتى فإين روحى تسرى؟
ضللت - ورب العرش - لولا دليله «هل آتى على الانسان حين من الدهر»
فايقنت ان الشئ روحى ومهجتى ولم يكن مذكورا فى عوالم الامر (53)

(52) الديوان - فى ذيل ديوان ابن عليوة المطبوع فى مستغانم عام 1982 ص 4
(53) الديوان الملحق بديوان ابن عليوة المطبوع عام 1982 ، ص 6 .

(3) هل يعلم رسول الله ما فى الضمير ؟

وهل يجوز له ان يعبد من دون الله ؟

يقول الشيخ عدة فى صفحة 37 :

الا يا رسول الله انى مقصر وأنت على علم من قصدى ومطعمى
الا يا رسول الله غثنى بهمة تقينى مما همنى وان عز منجى
أنا الضعيف ما لى سواك ينتصر ولولاك ما كنت ولا كان مشرعى (54)
ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله أمره ان يقول :
« قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ
لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ » فلا يعلم من الغيب الا ما علمه الله ، وقد كلفه الله
سبحانه ان يحكم بالظاهر وهو وحده يتولى السرائر . وقد اذن - يوم
تبوك - لمن ادلى له بعذر قابلا منه ظاهره مما ادلى به فقال له الله :
« عَفَا اللَّهُ عَنْكَ ، لَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ » .
وقال أيضا فى هؤلاء المذيرين : « وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ، وَمَنْ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ » فإسناد علم الضمائر
- مطلقا - الى النبى اسناد باطل ومعتقد مبتدع ، ومن قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم : (أنت على علم من قصدى ومطعمى) دون ان يخبره بذلك
الرسول نفسه - فداه أبى وأمى - فقد بهته ، وقد حدث ذلك مرات أطلعه على
ما فى الضمائر كما فى قصة عمير بن وهب رضى الله عنه وما اتفق عليه مع
صفوان بن أمية من إرادة اغتياله ، وكذلك مع غيره من فتيان أرادوا به سوءا .
وأما دعاء الرسول واستغاثته - فيما وراء الاسباب - فانه صلى الله عليه
وسلم يتبرأ ممن دعاه كما تبرأ عيسى عليه السلام ممن اتخذوه وأمه إلامن
من دون الله .

وأما قوله : (أنا الضعيف - ما لى سواك ينتصر) .

فان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخلقه ولا يصح ان يوجه اليه مثل
هذا التوحيد فقوله : (ما لى سواك) افراد له بالتأليه والدعاء ، وليس فى

(54) الديوان فى ذيل ديوان ابن عليوة ، ص 37 .

هذا تعظيم النبي، وتعزيزه وتوقيره الا على طريقة النصارى الذين ألوهوا عيسى عليه السلام فتبرأ منهم «ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني به أن اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ» واسترسالا فى منهجه يقول :

يا رحمة أنزلت فى صورة أحمد فكانت رسول الله اليه مرجعى
الوذ به ، ومن يلوذ بجاهه تسامى به البخت الى اعلى مرفع (55)
ان المرجع الى الله وحده ، الى الله مرجعكم جميعا ، وتقديم المجرور على
عامله يفيد الحصر ، وهو مقتضى التوحيد وديانة الموحدين . اما قول هذا فى
رسول الله صلى الله عليه وسلم (اليه مرجعى) فانه عليه الصلاة والسلام
سيُتبرأ منه . وانما يلوذ الموحّد ويستعِذ بالله .

4 - الموتى يتكلمون :

انّ ما نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم أثبتته لشيخه ايضا فقال :
العلاوى يتكلم لمن ينده به الحاضرين سلم ردوا السلام عليه (56)
ومعنى الكلام واضح - فهذا المرفع بالله يقول لإخوانه الجاهلين ان الشيخ
العلاوى يجيب من دعاه (كلمة نده عربية صوت وفى عامتنا معناها استنجده
وطلبه) فيسمع صوت استجابته ، ويسلم على الحاضرين فيردون السلام
عليه !

العلاوى يا لبيب - له صوت عجيب - ليت لك نصيب - منه لتدريه
تأتى لك العلوم - من الحى القيوم - تغنى عن الرسوم - بالذى يوحيه
ومعناه أيضا ان العلاوى يمتاز بسر عجيب من ملك نصيبا منه اتته العلوم
وحيا من الله الحى القيوم . واعتقاد المسلمين ان بوفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم انقطع الوحي وعلمه المسلمون واجمعوا عليه .

وفى صحيح مسلم ان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما ذهبا لزيارة ام ايمن
رضى الله عنهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها فى حياته .

(55) المصدر السابق ، ص 37

(56) المصدر السابق ، ص 39

فيما جاءها رحبت بهما ثم بكت فقلا لها : ما يبكيك ؟ قالت انى والله لاعلم
ان ما عند الله خير لرسول الله مما عندنا ولكنى أبكى لانقطاع وحى السماء ،
فبكيا لبكائها فاذا كان أبو بكر وعمر وأم أيمن يعلمون ان الوحي قد انقطع
فمن زعم ان الوحي يأتيه أو يأتي شيخه من الحى القيوم فقد ضل وغوى ،
وفى الكفر والهاوية هوى .

5 - من رآنى رآه فى حلتى :

فى القديم قال امام الحلوليين الحلّاج (ما فى الجبّة الا الله) فاستحق
الموت بعد محاكمة . وهذا ما يقوله مثله هذا (الشطاح) .

طبّت نفساً بالطرب والغنى ؟ وحسلاً سكسرى
بين عود والحنّان تجتنبى لسنوى الذكر
يا لها من سلوة (حضرته) والكأس مالى
وحبيب من بين أحبّتى كالبدر العالى
من رآنى رآه فى حلتى انسه السوالى

6 - مولى سطوة !

ومن (شعره) ما يعلن عن مبالغات عظيمة فى تقديس المخلوقات ، وذلك
اخلق بالعبادة وأقرب اليها ، وبسوء الاعتقاد والبعد عن السداد والخروج عن
الرشاد اليق .

جاء فى مدحه شيخه - بعد موته - ما يجعله تارة يعتبر يده نسكا .
تستحق التقبيل ، ويشبهها بالحجر الاسود أثناء نسك الحج والعمرة
والطواف - والمسلمون لا يقدسون الحجر الاسود تقديس العبادة - وقد قال
له عمر : والله ما أنت الا حجر ، لا تنفع ولا تضر ، ولولا انى رأيت رسول الله
يقبلك ما قبلتك .

ويقول الشيخ عدة فى يد شيخه :

يده كالحجر الاسعد الناس عندها تداول

أرطب من الحرير الفاني ! (57)

وتارة أخرى يزعم - انه من أهل الخلوة ، والسطوة ، والخطوة قريب ، حاضر ، جاز غير عاجز •

هذه الصفات بخلاف ما وصف به عمر الحجر الاسود الذي وضعه موضعه وصارحه انه لولا ان رأى رسول الله يقبله ما قبله ، فأمر تقبيله (تعبدى) غير معقول المعنى • اما (تقديس) هذا الشيخ فلانه مولى سطوة ، وصاحب خطوة قريب (ممن) ؟ حاضر (أين) ؟ غير عاجز (عم) ؟ قال الشيخ عدة في ذلك :

سيدي من أهل الخلوة أحكيم عارف بالله فايز
وأصل مولى سطوة عند مولاه جاييز
والى من أهل الخطوة قريب حاضر ماهوشى عاجز (58)
هل يريد ان يقول ان له سطوة عظيمة تخول له التصرف فى الكون ، وله جاه كبير تجوز تصرفاته وهو - بعد ذلك - قريب ممن ناداه حاضر عنده ينجده ويحقق له ما أراد منه ولا يعجز ، هل يريد ان يحول اليه ما جاء فى قوله تعالى : « **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي** » •

7 - عبد الله أم عبد مخلوق :

ثم يتوجه اليه فيقول :
أنا عبدك مملوك من عبيدك معتوق أمحرر
صافى ما فيه شكوك فى مديحك ينسج ويعبر
ساقى من أهل السلوك فى مقامك يذكر ويعمر (59)

فهذا أقرب لدعاء (الرب) والتذلل اليه، وحتى من عبد هبل من أهل الجاهلية لم يعترف له بهذا وحتى فرعون الذى قال أنا ربكم الاعلى لم نعلم

(57) الديوان ، ص 42 •

(58) الديوان ، ص 51 •

(59) الديوان ، ص 51 •

انهم صدقوه وتذللوا له ، ثم تأمل التناقض فى اللفظ : كيف يكون من جهة عبدا مملوكا صافيا ما فيه شكوك ، ومن جهة أخرى محررا معتوقا ؟ ثم ان المؤمن يعمر مساجد الله ، فهى التى أمر ان ترفع ويذكر فيها اسمه . أما (المقامات) فقد أحدثتها الباطنية وعبدوا ساكنيها وطافوا بقبورهم كما يطاف بالبيت العتيق .

وفيه يقول :

رانى مهموم يا علاوى سيد القوم قلبى مكلوم حار عقلى فى الملاجى
جسدى محموم والعقل مايج مقسوم واعيتت نقوم ما نفع عومى فى أمواجى
غث المظلوم ما أبقى لى جهد اليوم رانى مغموم فى اعقالى كالواجى (60)
هذا دعاء حقيقى ، وتضرع من عاجز ذليل ، وعبد حقير امام القوى العزيز ، والذى لا يموت القادر على كل شئ ، فلا يكون من العبد الا امام الله .
اذ من المعلوم ان الدعاء هو العبادة ، او هو مخ العبادة كما جاء فى الحديث .
فالحق ان هذا شئ ، جديد فى اقوال هذا (الفارس) الثالث لم يمر بنا فى اقوال شيخه وشيخ شيخه . بل راينا منهما دعوى القدرة والسطوة .
اما هذا فقد اعترف بـ (العبودية) لشيخه ، وتوجه اليه بدعائه وتضرعه اليه رجاء اتصال النفع او رفع الضر عنه ولو فعله فى حياته مستغيثا ان ينجده بالاسباب العادية لجلب نفع او دفع ضرر لوجد له عذر .

اما ان يتوجه اليه بعد موته طالبا دفع الضر وجلب النفع بما وراء الاسباب فانه لا محالة يصدق عليه قوله تعالى : « **إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرَكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** » والله العليم الخبير ، وهو ولينا وناصرنا ونعم المولى ونعم النصير .

8 - خاتمة هذا القسم :

اذا كان الشيخ أحمد بن عليوة لم يرث (مشيخة) الطريقة عن سلف له ، وانما أورثه أياها شيخه البوزيدى فنهض بها ، ونشرها ولقى فى ذلك

الاهوال حتى أتم تجديدها ثم لم يورثها لبنيه لأنه لا عقب له - فان الشيخ عدة له عقب أورثه (المشيخة) شان نظام* (الملكية) الوارثية ، وما جرت عليه (الطرق) فى بلادنا .

ومن شأن هذه النظم الوارثية ان تبدأ قوية نشيطة ثم يتطرق اليها الضعف - والوهن ويسرع اليها الخراب لانه يندر ان يكون فى (الخلف) قوة السلف وكفاءتهم .

وقد رأينا ما فى أشعارهم وأذكارهم من ذكر الشراب والخمرة ، والسكر والسكره، والرقص والاهتزاز ، والغناء والطرب، والارتجاج، والتغزل فى ليلى وسعدى، كما كانت لهم اتصالات مربية فى الداخل وفى الخارج - مع الذكور والاناث من المسلمين، والاجانب والاجنبيات، ورجال الكنيسة والقداسة ، والسر والسياسة ، وجاء الاستقلال والدولة، والحكم والصولة، والقوم فى غواياتهم سادرون، حتى انكشف منذ سنوات وانجلي السر عن فضيحة كبرى فى مركز ، (المشيخة) ولم يسلم منها نفس العارف بالله والدال عليه ، و (الهادى) الى اسمه الاعظم .

واذا بالخمرة هى الخمرة التى تسكر حسا ومعنى منها الشامبانيا والويسكى - هى السكره ولا تقتصر على تناول الكحول ولكن تتجاوز ذلك الى (المخدرات) واذا بليلى وسعدى من الفاتنات هن مريان ولليان من الباريسيات، وتدخلت الشرطة والعدالة ، وكانت فضيحة تزكم الأنوف .

أحق هذا أم هو من قبيل الدعايات ؟ لقد خاضت فيه الجرائد وكشفت مخزيات وزار العارف بالله السجون ومثل أمام القضاة .

وما كان هذا ليقع أيام الأولين ولكن صدق عليهم قول رب العالمين :
« فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا »

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » .

باب النشر من قوله :

الفصل الاول

النشر لا يقل - نكرا وشناعة - عن الشعر

ربما يقول القائل هذا شعر الشيخ ، أو شعره وشعر أصحابه - قد قرأناه وشربنا منه حتى الثمالة - فمجبنا وانكرناه . غير ان الشعر وحده لا يكفى للحكم . وقديما كان الشعراء يتهمون ويثرثرون ، وقد قال الله فيهم : « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » فهو وأصحابه من الشعراء ، لم يشذوا عنهم ، ولا خرجوا عن سنتهم ، وما تبعهم في مزاعمهم الا الغاؤون .

وأقول : سؤال وجيه ، واعتراض من نبيه ، لو كانوا شعراء حقا ، وكان قولهم قصائد سليمة مقبولة في فن الشعر ، جميلة جمال نسجه . ولكن ما رأيناه - مما سموه شعرا - يتبرأ من شاعر يتهم به الانس والجنان .

ومع ذلك فانك اذا تقببت عن (نشرهم) وجدت فيه ما في شعرهم ، أو ما هو أدهى وأمر منه في المبنى وفي المعنى .

لقد نسبت لشيخهم الاعظم كتب كثيرة ، وان عرف من الخاص والعام أنه أمي أو يكاد يكون أميا ، وما دام لم يتبرأ منها فهي له ، وان نحله اياها أقوام ونسبوا قولها له . وفي هذه التأليف ما يدل على عاميه وجهل واضح وتخليط عجيب لا يعرف عن عاقل يعرف (العلم) أو (الثقافة) وينتسب اليها ، بل من الحرى أن يترفع - لو كان يعلم - عن نسبة مثل ذاك الكلام اليه ، فضلا

عن التبجح به والتباهى بقوله • وقد تبجح الشيخ بشئ منه • أمام شهود عليه لا يهتمون كالأستاذ أحمد توفيق المدنى •

ومن هذا النوع من كتبه شرحه على (المرشد المعين) وهو كتاب الامام ابن عاشر ، منظومة فى 314 بيتا من رجز الشعر ، اشتملت على مقدمة فى علم الكلام (أصول الدين) وعلى خاتمة فى علم التصوف ، وبينهما الكلام على الصلاة ، وما يتعلق بها ، والزكاة ، والصوم ، والحج •

وكان هذا الكتيب المفيد قد نال القبول فى شعبنا ، والتف حوله العلماء والطلبة والعامة كلهم يهتم به • فالعلماء يقرئونه ويشرحونه ، والطلبة يحفظونه ويدرسونه ، والعامة يحضرون دروسه ويستفيدون مما فيه • فلا يكاد احد يجهره ، لا فى المدن والقرى فحسب ، ولكن حتى فى البادية •

الشيخ من العلماء :

ولما كان الشيخ ابن عليوة من العلماء ! - كما أكدته العلامة أبو يعلى الزواوى رحمه الله فى مشائخ الطرق كلهم ، وان كان الخاص والعام يعرفون جهل أكثرهم - فقد عز عليه أن (يفلت) منه (ابن عاشر) والا يقول فيه •

وهكذا (درسه) لاتباعه أولا ، ثم أثبت عليه أريحيته الا ان يشرك غيرهم فى الانتفاع بدراسته فألف شرحا عليه • لكنه ليس شرحا عاديا ، بل هو خارق للعادة ! كما أن الشيخ خارق للعادة لان الذى يؤلف المتون والشروح والحواشى يجب ان يكون محصلا للعلوم ، معترفا له بذلك من العلماء مجازا منهم • وانى له ذلك ؟ ولم تسبق له دراسة ؟ لهذا جعل علمه فيه من نوع (العلم اللدنى) مما يمنحه الملك القدوس !

المنح القدوسية ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية

بهذا سمي شرحه ذاك حتى لا يحتاج الى علم كسبى ، انما علمه (منحة) ولا الى علم يتعب فى تحصيله واتقان أبوابه وفصوله وفروعه • ففن التصوف يستطيع ان يتكلم فيه كل من هب ودب ، وحتى المجاذيب والمجانين ممن سقط عنهم التكليف ، فكم فيه من (شطحات) منسوبة اليهم • محفوظة عنهم معتبرة فى الحكمة وفصل الخطاب ! وهكذا زعم ان ما فى الشرح (منح) • وخصها بعلم الصوفية •

لابن عاشر ظاهر وباطن !

كنا نعلم ان أعداء الاسلام - من غلاة الشيعة الملحددين الحاقدين على الاسلام وأهله، العاملين لهدم شريعته ودولة العرب - أدعوا أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا ، ظاهره يفهمه عامة الناس ممن طلب علمه ، وباطنه يختص به أئمتهم - أعنى أئمة الباطنية - لا بطلب وكسب ، ولكن يأتيهم العلم بالهام ووحى ونسبوا لهم العصمة وأوجبوا لهم الطاعة . وكم جاءوا - فيما أخبروا انه من العلم الباطن - بالغث والقبيح والسخيف المسترذل .

والباطنية المعاصرون - ومنهم العلويون لا بتسمية منا ، ولكن بتصريح منهم وادعاء - لم يكتفوا بدعوى اسلافهم من نسبة الظاهر والباطن لآيات القرآن ، بل عمموا ذلك حتى لمنظومة ابن عاشر رحمه الله ، وهذا ما صرح به الشيخ أحمد بن عليوة في شرحه ذلك اذ قال في مقدمته ، للشرح :

(وفقنى الله لفتح مغلفات هذا النظم العجيب المحتوى - ظاهرا - على اركان الدين وباطنا على مسلك من مسالك الاشارة غريب فوجده ، قد أقبل على ظاهره جم غفير من أهل الظاهر وتوقفوا (كذا) فى التفحص عن باطنه **أهل الباطن غيرة منهم على افشاء السرائر** ٠٠) الصفحة 7 (الطبعة الاولى) فهو الذى ذهب عنه الغيرة من أهل الباطن ولم يتوقف وأقبل متبرعا - موقفا - الى كشف السرائر !

التنويه بعلم الباطن

وأهل السنة - منذ عهد الصحابة حتى اليوم جميعهم ينكرون ان يكون للشريعة ظاهر وباطن أو للقرآن معان غير التى تحتملها آياته والفاظه على مقتضى نسجه العربى ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أمر ، ونقله عنه أصحابه الى الامة الاسلامية فورثته بما أورثها الله اياه : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » .

اما الشيخ فقد اختار مذهب الغلاة من شيوخ الباطنية ، وأخذ يتحمس لعلمه الباطن الغالى ، وزعم ان من لا يكون له حظ منه يخشى على نفسه ، يقول : « علم القوم مأخوذ من كشف وعيان . . وهو باطن القرآن ، وظاهره منزّه عن التغيير فاحرى بباطنه » ص 9 .

وما هو ينقل عن الغزالي ما زعم أنه قول مروي عنه فقال عن بعض العارفين : (من لم يكن له نصيب من هذا العلم - أى علم الباطن - أخاف عليه سوء الخاتمة ، وادنى نصيب منه التصديق به ، والتسليم لاهله) اهـ .
(ص 10 - 11) .

لابد من اشتراط هذا الشرط وهو (التسليم) لان المسلم قد يفاجأ بالدوامى والطوام من باطنى. يأتى بها علم الباطن فيثور ، لكن اذا كان من شرطه (التسليم) فانه سيذعن ويمد رقبته للذبح .

ولهذا نجد ان الشيخ انتهز فرصة نقل هذا الكلام عن الغزالي - ان صح النقل عنه او صدر منه - فقال لمريده (فتذلل - يا أخى - لهم لعلك تحظى بودادهم) اهـ . ونحن نقول لكل مسلم : لا تذلل يا أخى - نفسك فان المؤمن عزيز بايمانه فاعتز - أيها المؤمن - ولا تذلل الا لخالقك ، فان الذل لله عز ، والذل لغيره مهانة وحقارة وعبادة له من دون الله .

الفصل الثانى

العلم والولاية ، والتزهيد فى العلوم

والعلوم من شريعتنا أنها رفعت من شأن العلم والعلماء ، وحكمت بان العلم خير من الجهل وأشرف ، والعالم خير من الجاهل وأكرم . قال تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ؟ والاستفهام انكارى : أى لا يستويون ، والعلماء أعلى درجة . وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجاتٍ » وقال جل وعلا : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال - تقدست أسماؤه - « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ، وأمر من علمه من لدنه حقاً بطلب الزيادة من العلم فقال : « وقل رب زدني علماً » .

وما كانت أمية النبی صلى الله عليه وسلم الا لاقامة الحجة على الناس - قديمهم وحديثهم - بصدق نبوته ، لانه جاء بما لا يمكن أن يعلمه أو يأتى به بشر من عنده ، ولم يكن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تعلم ، وانما كان بعلم وتعليم من الله سبحانه قال : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً » .

وأما شريعته فقد أمرت بالقراءة وطلب العلم ، وكانت أولى الآيات نزولا قوله تعالى : « **إقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الأكرم** ٠٠٠ » . ثم كان (ص) يقرأ القرآن الذى انزل عليه آناء الليل واطراف النهار ويعلم ويفهم ما فيه .

ولكن صاحبنا - لما كان أميا - كان داعية الامية والتزهيد فى العلوم ، فهو يقول فى نفس هذه المقدمة للشرح عن الاولياء وعلم الباطن :

(لا يقفون مع ظاهر الالفاظ ، وانما ينظرون الى المعنى الدال على المراد ، ولا يلتفتون للحن ولا اعراب . بل يأخذون المعنى حيث وجدوها (كذا) فهم ناظرون لاشارة الارواح ، غافلون عما يتلفظ به اللسان . ما اتخذ الله وليا جاهلا الا وعلمه ، وابتداء التعليم به ثم بأحكامه . واما بقية العلوم فليست هى شرطا فى صحة الولاية ، وانما هى شرط كمال ، وذلك كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، وما أشبه ذلك من العلوم التى أكثر الصوفية لا خبرة لهم بها لعلو هممتهم وشرف رتبته عند الله وغنائهم بمعرفته .) (صفحة 15 من الشرح المذكور ، طبعة أولى) .

لعله يعنى بقوله (جاهلا) ما هو فى لغة العرب (أميا) فالله سبحانه لا يتخذ (جاهلا) بالمعنى الشرعى - وليا له ، وأما الامى الذى لا يقرأ ولا يكتب فقد يكون عالما بالرواية والسمع والحفظ كالأعمى ، وكان بعض أصحاب مالك المواظبين على طلب العلم ، والذين أذن لهم مالك فى الافتاء لا يحسن الكتابة ، كان يكتب له أشهب بن عبد العزيز .

وهذه العلوم التى ذكرها وزهد فيها كانت فيهم سليقة كالنحو والصرف والمعانى والبيان وعلم اللغة ، فمن جهلها - فى عصرنا - أو فى العصور الاولى - لا يوثق بعلمه وفهمه لكتاب الله وسنة رسول الله .

وهذه العلوم التى خصها بالذكر وزهد فيها ، واستهان بها ، اشترطها كلها علماء الاصول لتحصيل رتبة الاجتهاد ، والمجتهد هو الذى يقوم مقام النبى (ص) فى الفتوى والتبليغ ولا يمكن ان يتوصل - الى ادراك معانى النصوص فى القرآن والحديث وهو يجهلها ، ولكن أكثر الصوفية يجهلون بها . كما ذكر وهو الذى أوقعهم فى الطوام والدواهى . ومن كان منهم - حقا -

على الهمة ، شريف الرتبة ، لا يكون جاهلا بها ولا زاهدا فيها ولا راغبا عنها ،
ثم من أدراه بشرف رتبته عند الله ، وانهم عرفوه - حقا - ؟

انما يعرف الله حق معرفته من آمن به وبرسله وكتبه واليوم الآخر ، ولم
يشرك بعبادته أحدا ، واطاعه فلم يعصه وذكره فلم ينسه وشكره فلم يكفره ،
وكان فى سلوكه متبعا لا مبتدعا « قل ان كنتم تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
الله » . وقد نهى الرسول (ص) عن الشهادة لاحد بعينه بالنجاة كعثمان
بن مظعون الذى كان من أعظم المهاجرين واتقاهم واعبدتهم وازهدهم فى الدنيا
فكيف بغيره من الاصحاب ؟

الفصل الثالث :

أمثلة من المعاني الباطنية !

لا بد أن القارىء الكريم يود ان يسمع شيئا من هذه الاقوال الباطنية فى
شرح كلام ابن عاشر الذى أراد به تعليم الناس أحكام دينهم بالفاظ عربية بسيطة
سهلة وحقق غرضه ، وقبل الله عمله ، فجاء هذا الشيخ وزين له الشيطان ان
يزعم ان لكلام ابن عاشر ظاهرا علمه الناس ، وباطنا غاب عنهم ، وقد كشف
هو أسرارهم .

وفيما يأتى نذكر أمثلة تشبع فضول القارئ وان اثارته اشمئزازهم .
يقول ابن عاشر رحمه الله :

وكل تكليف بشرط العقل مع البلوغ بدم أو حمل
أو بمنى أو بانبات الشعر أو بثمان عشرة حولا ظهر
ومعنى البينين واضح ، ففاقد العقل لا تكليف عليه ، ولا يخاطب بأحكام
الشريعة . والقوانين الوضعية - كالقوانين السماوية - تعفيه . كما ان
البلوغ شرط فى التكليف ، فالانسان الذى لم يبلغ لا يخاطب خطاب تكليف ،
فلا اثم عليه ان ترك الصلاة أو الصيام لانهما لما يجبا عليه ، ولا عقاب عليه ان
عصى وأقدم على فعل محرم . وذكر علامات البلوغ منها (نزول دم الحيض
على الجارية ، أو حملها جنينا ، ومنها نزول المنى باحتلام أو بمعاشرة جنسية
أو بتذكر ... الخ . ومنها نبات شعر العانة والابطين ... ومنها بلوغ الفتى
أو الفتاة 18 حولا اذا لم تظهر العلامات المذكورة لعل ما .

هذا هو معنى البيتين في الظاهر .

فاستمع الى ما يزعمه الشيخ أحمد بن عليوة في شرحه الباطني :

(ومعنى البلوغ هو أن يكون المكلف بالغاً في معرفة الله بالشهود ، ومبالغا بحيث عرف الله معرفة لا يعترئها وهم ، ويكون سبق له الاستغراق في الذات ، لا في وجود الصفات كأن يكون حصل له الغناء في الاسماء أو في الافعال أو في الصفات ولم يكن له اطلاع على ما تقتضيه الذات من اضمحلال سائر المكونات ، فهذا ليس بمكلف ان يعرف الله بسائر التجليات لعدم البلوغ في مقام الرجال . وإذا كان بالغاً كما ذكرنا فيكون في ذلك المبلغ فقيد العقل مخلوق وهو قد خرج من عالم الخلق ومثاله كالمجذوب فهو ليس بمكلف ان يجمع بين المقامين المذكورين لعدم العقل) (ص : 31 - 32) .

الفصل الرابع - ألوهية البشر :

فتش عن نفسك تجد نفسك أنت الله تعالى الله

وتكلم ابن عاشر على الصفات المستحيلة في حق الله فقال :

ويستحيل ضد هذه الصفات عدم الحدوث ذا للحادثات (ص39)

يعنى أن الواجب لله القدم والبقاء ويستحيل عليه عدم الحدوث ، ولكن الشيخ فسر البيت بأنه يريد انعدام كل شيء في الوجود لانه - عند أصحاب وحدة الوجود (ما في الوجود الا الله) .

قال الشيخ ابن عليوة (ص 39) : (أخبر هنا ان كل ما يستحيل في حق الله فهو واجب في حق العبد والعبد عند القوم هو العالم من عرشه الى فرشه أى كل ما تنفس من كلمة كن ، فهو غير ، والغير يجب في حقه كل ما ذكره في البيت وهو قوله عدم الحدوث ذا للحادثات ، فينبغي لك - ياخي - ان تحقق وضعك وتنظر بعين قلبك لابتداء وجودك حالة بروزه عن عدم فاذا تحققت وصفك يمدك باوصافه . فمن أوصافك عدم المحض فهذا وصفك ووصف العالم بأسره ، فاذا أقررت بعدمك يمدك بوجوده ، وان نسبته لنفسك فقد بارزته بنعمه وكيف تنسيه لنفسك وبرهان عدمك في نظرك وهو حدوثك فقد تعلم من نفسك أنك كنت بالامس معدوما « هل أتى على الانسان حين من

الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، فمن أين لك بهذا الوجود ؟ ومن أشهدك للمشهود
وابرزك للشهود ؟ فانت لم تزل معنوما والموجود لموجوده لقد قدره وظهر
فيه ولولا ظهوره فى المظاهر ما وقعت عليه البصائر وذلك قول بعضهم
هو موجود الاشياء وعين وجودها ولولا وجوده ما بان وجودها

ومن أوصافك أيضا الفناء ، فانت يا أخى فان من قبل ان تفنى ، ومتلاش
من قبل ان تتلاشى ، وزائل من قبل ان تزول ، فانت وهم فى وهم ، وعدم فى عدم ،
فمتى وجدت حتى تفنى فما انت الا كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، فلو فتشت نفسك لم تجدها شيئا
وتجد الله عندها . أى تجده بدل ان تجد نفسك ولم ييسق منك الا الاسم
بلا رسم لكون الوجود من حيث هو الله لا لنفسك فلا يمكن له ان يكون فى
الشهود واقفا مع الحدود . . . فكيف يكون مع الحدود من غاب عن الوجود ؟
أم كيف يراعى الخلق من غاب فى توحيد الحق ؟ أم كيف يشبث الأكوان من لم
يجد لها مكان ؟ كان الله ولا مكان وهو على ما عليه كان . وهل تحيز فى مكان
حتى يكون لذلك المكان مكان ؟ ما ظهر المكان الا فى نظر الصبيان اذ لو كان
موجودا لكان بينه وبين الله حدود . . .) ثم قال : قال سيدى أبو مدين
الغوث :

فلا تليّ السكران فى حال سكره فقد رُفِعَ التكليف فى سكرنا عنا
وحاصل الامر ان المكلف بالجمع بين الحقيقة والشرعية يشترط فيه أن
يكون عاقلا بالغاً كما ذكرنا . والبلوغ له خمس علامات ، فاذا وجدت واحدة
منهن فى مريد التصوف وقع عليه التكليف وجوبا بحيث تراعى سائر
التجليات ويلزم أداؤها ، فمن علامات بلوغ المريد لمقام الرجال ان ينطق بالحكمة
أو فهم حقائق الاسماء ، أو يغيب عن حسه فى مشاهدة ربه فى ابتداء أمره
أو يتكلم على لسان ربه أو يشهد له بها شيخه واخوانه . فاذا ظهرت علامة
من هذه العلامات على ظاهر الفقير كلفناه بالادب فى سائر المظاهر فهذه العلامات
التي تظهر على علمى ظاهره . . . ، ام (صفحات : 31 - 32 - 33) .

فهل يخطر ببال عاقل أن مقصود ابن عاشر ببيتيه مثل هذا الهذيان ،
وانه يقول بحالة الشهود والاستغراق فى الذات الالهية - تعالى الله عما يقول

المبطلون - والفناء فى الاسماء واقتضاء اضمحلال سائر المكونات والخروج من عالم الخلق وعدم مراعاتهم اذ غاب فى توحيد الحق ؟ وأى علامات هذه التى جعلها للبلوغ ؟ وهكذا أبان الشيخ بنشره ما لم يستطعه بشعره فأعلن ان الانسان معدوم ، وانه ما زال معدوما ، فلم يكن شيئا مذكورا ، ولا كان ولن يكون ! وأنه فان قبل ان يفنى وزائل قبل ان يزول وأنه وهم فى وهم وعدم فى عدم !

وقد ضرب - لانعدام الانسان - مثلا سخيفا اذ قال : « ان الوجود - من حيث هو - لله لالنفسك ، فاذا صرت تحقق فيما هنالك وتأخذ ما هو لله بحيث تجرد نفسك عما ليس لها فانك تجدها كحبة البصل كلها قشور لانك اذا أردت ان تقشرها فتأخذ القشرة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة حتى لم يبق من البصلة شئ فهذا هو مثال العبد مع وجود الحق » اهـ (ص 40) .

وهذا هذيان باطل فالبصلة حقيقة موجودة ، وهى كل مركب من قشور وورق وعروق وبذور اذا اجتمعت فهى بصلة واذا افترقت فهى أجزاء البصلة والانسان كله لله ، مخلوق له ، مسبوق بعدم ويلحقه العدم ، والذي خلقه هداه وأطعمه وسقاه وهو يميته ثم يحييه ، وليس فى الانسان ما هو لله ، وما هو لنفسه ، فان تجرد مما فيه لله لم يبق منه شئ ! ان الانسان كله لله لكنه ليس هو الله ليس كمثله شئ - فهل أنت - يا شيخ الحلول ووحدة الوجود شئ ؟ أم أنت كما قال السفسطائيون : لا حقيقة لشئ فى الوجود ؟

أنت صم لا تسمع

ومن قوله أيضا فى وصف الله بالسمع - وان الانسان يجب فى حقه ما يستحيل على الله (صفحة 84) .

« ومن أوصاف العبد - أيضا - الصمم ، فانت الآن - أيها العبد - اصم والسمع ليس من شيمتك ، فالله هو السميع وحيث نسبت السمع لنفسك فانك صرت اصم ، ومع وجود السمع لا تسمع ولو كنت تسمع لسمعت خطاب الله فى كل وقت وحال فانه سبحانه لم يزل متكلم والسكوت يستحيل فى حقه ، وأين سمعك من هذا الخطاب ؟ وأين فهمك من هذا الكلام فانك اصم ولا زلت فى طي العدم ولو برزت للوجود سمعت خطاب المعبود ... » (ص43) .

فالإنسان عنده معدوم ، وكل شيء في الوجود عنده معدوم - ما معنى هذا الكلام ؟ معناه : كل شيء في الوجود هو الله (تعالى الله علوا كبيرا) .

هل العالم قديم

علماء أصول الدين (التوحيد) يقررون ان الموجودات قسمان : قديم وحديث ، والقديم هو الله سبحانه وتعالى وحده والحادث كل ما سواه من العوالم وقد كفروا من قال بقديم العالم ، ونسبوا ذلك لبعض الفلاسفة .

لكن القائلين بوحدة الوجود يزعمون انه ليس في الوجود غير الله ، ويلزمهم ان يكون كل الموجودات قديم ، وهذا ما فسر به الشيخ ابن عليوة قول ابن عاشر في اثبات ايجاد الله سبحانه للعوالم وحدوثها في قوله .

لو حدثت لنفسها الاكوان لاجتمع التساوي والرجحان (ص45)
قال في شرحه :

(المراد منه ان الحوادث لا يكون لها وجود ، حتى تظهر بنفسها ، وأين كانت قبل حدوثها لا مقام لها في حضرة القدم ، لا اسم لها ولا رسم ولا ذكر ولا خبز ، ولا وجود لها ولا اثر ، فكيف يثبت العدم مع محض القدم لقول ابن عطاء الله ... كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحدوث مع من له وصف القدم ؟ قلت ما ظهرت بنفسها ولا بطبيعتها وانما ظهرت بظهور الذي اظهرها « **أَللهُ نَوْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** » لا لعلة أوجدها ولا لغرض)
(ص : 45 - 48) .

فهذا صريح في القول بوحدة الوجود ، وأن (كل) ما في الوجود هو الله، ويفسر حلقه وقسمه (انك لست سواه) تعالى الله الواحد الاحد ، الله الصمد ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد . اما ابن عليوة والبوزيدي ، وعدة فقد ماتوا وفنوا ولم يبق لهم - ولا لمذهبهم - ان شاء الله - ظهور ، وهذا يكذب ما ذهبوا اليه انهم (الله) .

انكار المحسوسات

وعند قول ابن عاشور :

لو استحال ممكن او وجبا قلب الحقائق لزوما أوجبا (ص 50)

زاد مذهبه ومذهب (وحدة الوجود) ايضا كما فانكر المحسوس وجاء بالمحال فقال :

(لو كان وجود الممكن - وهو ما سوى الله - واجب الوجود أو مستحيل الظهور لكان له اعتبار على كل حال حيث وصفناه بالوجود أو بالاستحالة (كذا) وإنما هو لا وصف له ولا نعت ولا اسم ولا رسم لفقده واضمحلاله فهو عند القوم لا يسمونه لا بعدم ولا بوجود ، ولو اثبتوا له الوجود لكان ذلك شركا ، ولو حكموا عليه بالاستحالة لكان ذلك منهم اعتبارا له ، وكيف يعتبرون من ليس بموجود ، فالله واجب الوجود ، وما سواه مفقود . (ص 56) .

وهذا غاية الفساد ، فابن عليوة كان موجودا ، وحاول ان يملأ الدنيا ضللا واحدا وجوده - الجائر - اثرا ثم لحقه العدم ، فلو كان هو (الله) أو جزأ منه (تعالى الله عن الجزئية والكلية علوا كبيرا) لما جاز عليه الموت والعدم ومثله (القوم) كلهم ، ونعوذ بالله من (القومية) وسوء أعمالهم وأثارهم .

أراد ابن عاشر تعليم التوحيد ، وأراد ابن عليوة محوه ، وكل ما قدمه ابن عاشر من ادلة - مقرررة في علم أصول الدين كر عليها الشيخ بما يبطلها في علم (القوم) وهكذا تتبع الشيخ كل ما جاء في توحيد المرشد المعين بنقض بمذهبه الفاسد ومذهب (القوم) كل ما غزله عبد الواحد ، ويخرب العقائد ، ثم تابع كل ما جاء في ابن عاشر عن الصلاة والزكاة والصوم والحج والتصوف بمثل هذا الهذر ، وسأذكر من ذلك أمثلة تكون عبرة لمن اعتبر . ليقتنسح القراء بما وصل اليه استخفاف القوم بقول الامة واستبلاء الشعب . وما كنا لنعير هذا الباطل - بعد ان ذهب أصحابه - التفاتا ولكننا رايناهم يجتهدون في إعادة طبع هذه الكتب له والآثار ، ومحاولة بعث هذا الباطل ، فلا بد من صوت ينبه الى اخطارهم ، ويعيد الكرة عليهم .

الفصل الخامس - قوله في الطهارة والصلاة - الماء المطلق المنتظر به

يقول ابن عاشر :

فصل وتحصل الطهارة بما من التغير بشيء سلما (ص 83)
ومراده ظاهر فالما هو آلة الطهارة لقوله تعالى : « وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ » . والماء الصالح للطهارة هو

ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد ويشمل كل أنواع المياه من ماء السماء والبحر والانهار والعيون والآبار ، والطهارة بقسميها الصغرى والكبرى تكون للعبادة : الصلاة والتلاوة ومس المصحف ودخول المسجد والطواف ٠٠٠ الخ . هذا في عرف المسلمين .

فاستمع الى الشيخ ابن عليوة وهو يقول : (ص : 83 - 84) .

(اخبر ان الطهارة تحصل بالماء المطلق وهو ماء الغيب ، والمراد به الصفاء المتدفق على عالم الشهادة المتنوع في ظهوره المتحد في تجرده الظاهر بنفسه الخافى لشدة ظهوره المطلق في تقييده فهذا هو الماء السالم من التغيير الذى يصح به التطهير ، وفيه قال بعض العارفين :

توضا بماء الغيب ان كنت ذا سر والا تيمم بالصعيد او الحجر
وقدم اماما صرت أنت امامه وصل صلاة الفجر فى أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم فان كنت منهم فانضح البر بالبحر
فهذا هو ماء الغيب الذى يصح التطهير به ، وكل ما سواه بالنسبة اليه صعيد لا يستعمل الا عند فقد هذا الماء ٠٠٠) اهـ . ثم استرسل الشيخ فى مثل هذا الهذيان .

وخلاصة ما تقدم من قوله ومن قول شاعره (العارف بالله) ان النبىء وأصحابه ما توضاوا ولا بينوا للمسلمين ، أو انهم لم يكونوا من أهل السر ، وقوله : « قدم اماما صرت انت امامه » يشير الى زعمهم ان الانسان يصل لنفسه اذ يصل لله فبصفته مخلوقا عليه ان يصل الى خالقه وبصفته متحدا مع خالقه فهو يصل لنفسه لانه يقول ان الوجود واحد ، وقد كان الرسول وأصحابه يصلون الفجر فى وقتها والعصر فى وقتها فلا الفجر تصلى فى أول العصر ، ولا العصر تصلى وقت الفجر ، فهل يكونون من العارفين ؟ انهم كانوا اعرف الناس بربهم واعرفهم ايضا بالشيطان ومكائده ومداخله .

ما هي فرائض الوضوء السبع ؟

قال عبد الواحد : فرائض الوضوء سبع وهى ٠٠٠ الخ : (ص 87) .

وقد بينها فى متنه وسماها ، ويعرفها الصغار والكبار حتى العجائز ، وقد قيل لعجوز ما هى فرائض الوضوء فقالت :

« وَجْهِي وَيَدَيَّ ، وَرَأْسِي وَرَجْلِي ، وَالذَّلْكَ ، وَالْفَقْرَ وَالْيَتَمَ ، وَعُغْلَاشُ تُسَالُ عَلِيٍّ » . أما الشيخ ابن عليوة فله رأى آخر فى فرائض الوضوء للصلاة فى (دينه) اذ قال فى شرحه : (المراد بها السبع صفات الازلية التى يطلب من العارف الفناء فيها حتى يصير طاهرا بتطهير ما وهى : القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ، فهذه فرائض الوضوء التى لابد لكل متطهر من الفناء فيها » اهـ .

الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟

قال ابن عاشر :

فصل بموطن القرى قد فرضت صلاة جمعة بخطبة تلت (ص 212)
والجمعة من أيام الاسبوع ، وصلاتها - الخاصة - معلومة من الدين بالضرورة ركعتان عند الزوال جهريتان فى المسجد فى جماعة بخطبة وامام ، وقد ذكر المصنف كل ذلك وأبانه الشراح ، ولكن ليس منهم صاحب كتاب المنح القدوسية فهو يقول فى شرح هذا البيت (ص 212) :
« هذا شروع من الناظم فى بيان اجتماع الاسرار فى حضرة تكل دونها الافكار وهى (حضرة) الطمس التى لا تكفى بمعنى ولا بحسن وبنوع ولا بجنس ولا يطبق اجتماع هذه الحضرة الا القليل ولهذا لم تكن واجبة الا على من تقدم فى قول المصنف . . . انها لا تجب على عوام القوم ، ولا على خواصهم لعدم توفر الشروط فيهم انما هى واجب على خاصة الخاصة منهم ، ولو كانت واجبة على عامة القوم لما أداها منهم الا القليل . . . ثم أعلم ان هذه الحضرة المعبر عنها بالجمعة لا يحضرها أحد الا من كان اسما بلا رسم والمعنى انه مفقود فى صورة موجود لكونها لا يدخلها مخلوق الا اذا أسبلت عليه حلة الخالق وحينئذ يحضرها بالله لا بنفسه ، ومن حيث اشتراط هذا الشرط لا يحضر مع الله الا الله فى هذه الحضرة ، ومن هنا نفهم قول الجنيد رحمه الله تعالى حيث قال : لا يرى الله الا الله لان الذات المقدسة لا تتحيز ولا تتميز حتى يقع البصر عليها الا اذا انطوى وجود العبد فى وجودها ورجعت الفروع لاصولها فهذا معنى الجمعة فحينئذ يدرك رؤية الذات ويكون البصر هو المبصر كما كان الباتر هو المستور وقد قيل فى هذا المعنى :

أعارتها طرفاً رآها به فكان البصير لها طرفها (ص 213)

الفصل السادس - قوله الزكاة :

الذهب والفضة - الحقيقة والشرعة

ولم يخل له باب ، من العجب العجائب ، فالشيخ ابن عاشر قال وهو يتكلم عن الزكاة ، وحصول النصاب من صنفين كالذهب والفضة ، والظان مع المعز ، والبر مع الشعير :

« ويحصل النصاب منهما أى الشريعة والحقيقة • المعبر عنهما بالذهب ولكن الشيخ (العارف بالله) لا يفسر البيت بهذا ، كما لم يفسر الصلاة ولا الزكاة بمعناهما فى اصطلاح أهل الشريعة فقال : (ص : 254 - 255) • ويحصل النصاب من صنفين كذهب وفضة من عين (ص 254)

والفضة • فالذهب عبارة عن معدن الحقيقة ، والفضة على عنصر الشريعة ، ومن جمع بينهما هو العروة الوثقى - (العروة الوثقى عنده من بنى آدم كما فسرهما فى شعره أيضا • وأما عند المسلمين فانها الكفر بالطاغوت والايان بالله واليقين والتمسك بالدين قال تعالى : « فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » - لكل من جمع بينهما ذوقاً وحالاً ، لا ايماناً ومقالاً بل صار يأخذهما من أصلهما كما قال المصنف كذهب وفضة من عين أى أخذ الحقيقة من معدنها والشرعية من أصلها ، وهذا هو الجامع » اهـ •

هل معنى هذا أنه استغنى عن تبليغ الرسول الذى قامت المعجزة على صدق ما يقول ؟ نحن مسلمون بهداية الله ثم بارشاد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : « **وانك لتهدى الى صراطٍ مستقيمٍ صراطِ الله** » وقد سئل أبو بكر عن صاحبه أثناء الهجرة فقال رجل يهدينى السبيل وقد تركنا عليه الصلاة والسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها وتركنا فىنا كتاب الله وستنته فهما الشريعة ، وهما عين الحقيقة • وقال تعالى فى الاسلام : « **قل جاء الحق وزهق الباطل** » •

فان جاءك من يقول لك حذ عنى الحقيقة ومنى الشريعة ، دون المرور على كتاب الله ولا سنة رسوله فاحذره وقل له أحسأ يا ملعون نعوذ بالله منك .

الدخول على الله

وعندما تكلم على زكاة الفطر زعم أن الفطر عند (القوم) قال: هو الرجوع للخلق بعد الاعراض عنهم الا أن الرجوع يكون بالله واما الصيام عندهم لا يكون لهم ذلك الا بخروجهم عن هذا الكون وفنائهم في اسمه الباطن فاذا تم لهم ذلك، وأمروا بالرجوع ليتحققوا باسم الظاهر في جميع المظاهر فيكون لهم ذلك يوم عيد لما وجدوا الظاهر عين الباطن كما ان الاول عين الآخر ، (ص 263) ثم قال : « وحاصل الامر أن المريد لما يدخل على الله يخرج من عنده بعلم وهو يوم العيد المعلوم عند القوم فتجده يتكلم بأسرار عجيبة أمام اخوانه وفي الغالب أمام شيخه والكل محتاج لكلامه » (ص 265) وكان استاذنا وولى نعمتنا مفيض هذا الشراب سيدى محمد البوزيدى . . . أكثر ما يحب أن يتكلم مع المريد في هذه المدة التي يأتى فيها بعلم قريب عهد من الله ويقول له : تكلم لكلام هو الكلام وكل كلام الغير عدم . . . » اهـ 265 .

ليس أكثر من هذا الكلام صراحة في ضرب الامثال لله « فلا تَضْرِبُوا لله الأمثال » فالقوم - قبح الله مذهبهم - يدخلون على الله ، ويخرجون من عنده، ويسمعون منه الكلام ، وينقلونه عنه ، ويحدثون شيخهم بعلم قريب عهده من الله .

الفصل السابع - قولهم في الصوم - صوم المسلمين وصوم (القوم)

أما صوم المسلمين الذى كتبه الله على المؤمنين فقد عرفوه من رسول الله (ص) ثم عرفه الفقهاء بانه امساك عن شهوتى البطن والفرج وكل المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس كما قال سبحانه وتعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ » .

واما في شرعهم فقد عرفه الشيخ ابن عليوة في شرحه بقوله : « الصوم في اللغة مطلق الامساك، وفي شرع القوم هو الامساك عما سوى محبوبهم ولهذا المقام فرائض وشروط وموانع ومستحبات » (266) .

اذا فللقوم شريعة لهم خاصة بهم .

وعندما تعرض لقول ابن عاشر :

« صيام شهر رمضان وجب في رجب شعبان صوم نذب » (ص 266)
قال : « تقدم معنى الصيام عند القوم وفيه قال صاحب العينية :
صيامى هو الامساك عن رؤية السوى وفطرى نحو اليك راجع
وقال غيره :

ونفسى بصومى عن سواى تفردت » (ص 266) .

ثم قال : « لكن يكون امساك العارفين عما سوى الله فى حضرة مخصوصة
هى حضرة الذات ، وقد يعبرون عنها بحضرة الجبروت واما فى حضرة الاسماء
والصفات أو الافعال فلا يكون شهود الذات واجبا لتعذر على لوحة الاسماء
والصفات » ولو تعمد رؤية الغير لم يستطع لان حقيقتها لا تقتضيه ، وان
خطر على قلبه ما سوى الله خرج منها ، وبطل صومه وقد قال سلطان
العاشقين :

ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا قضيت بردتى !
(ص : 266 - 267)

هذا هو صوم (القوم) وهذا ما يبطله فالصوم هو الاشتغال - كل
الاشتغال بالمحجوب ، حتى لو خطر ببالة غيره ولو سهوا بطل صومه وارتد عن
الاسلام عيادا بالله .

ولما قال ابن عاشر فى تعريف الصيام :

« فرض الصيام نية بليلة وترك وطء شربه وأكله (ص 267)
والقىء مع ايصال شئ للمعد .

فسر لفظ (المعد) بقوله : (ص : 267 - 268) .

« والمراد بالمعدة هى المعدة للتجلى الالهى وقد يعبرون عنها بسويد القلب
وهى المسماة (كذا) بالبصيرة لانها شريعة التفسير فليحافظ عليها المريد
ما استطاع ولهذا تجد المريدين حالة دخولهم على الله أغلب عملهم تقيض
العين وجمع الحواس وحالة الذكر وذلك من أهم الوسائل فى الطريق لان
المريد لا تجتمع همته الا عند انقطاع مادة الحس والحس له غلبة فى الظاهر» . .

واستمر الشيخ فى مثل هذا الكلام يشرح به أبيات المرشد فى الصيام حتى نهايته .

الفصل الثامن - فى كلامه على الحج - الحج عند المسلمين وعند (القوم)

والحج كالصيام يختلف عند المسلمين عما هو عليه عند (القوم) فحج المسلمين هو ما أوجبه الله عليهم فى قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » وذلك هو الحج عند ابن عاشر أيضا لانه من شيوخ الاسلام .

اما عند القوم فقد عرفه الشيخ بقوله :

« الحج : فى اللغة القصد مطلقا ، وعند (القوم) هو القصد الى مقام لا يمكن المزيد عليه ولا يساعد المساعدة التلفظ بكنهه وحقيقته ، لعدم وجود الالفاظ المساعدة فى التعبير على ماهيته فمن أجل هذا قل من يتكلم عليه كما قل من يصل اليه من عامة القوم لفقد الاستطاعة . . . » (ص 274) .

الميقات الزمانى والميقات المكانى

فى حج المسلمين يراد بالميقات الزمانى الوقت الذى يشرع فيه الحج ، ويصح بوقوعه فيه وابتدأؤه من أول شوال وانتهاءه بخروج شهر ذى الحجة - على الاصح - لقوله تعالى : « **الحج أشهر معلومات** » وذلك مبسوط فى كتب الفقه .

واما الميقات المكانى فهو المكان الذى اذا بلغ اليه الحاج شرع فى الاحرام والبداية فى مناسك الحج .

اما الميقات فى دين (القوم) فهو ما قال فيه الشيخ ابن عليوة ما نصه : (ص 277) .

« الميقات الزمانى عند تحقق المريد بوحدانية الاله قائلا : (ما فى الوجود الا الله) فحينئذ اذا أراد الوقوف بأن أراد مقام الكل فيحرم عند ذلك ويتهيا للمسير لكنه الذات والاستغراق فى غوامضها والمطالعة على أسرارها ، واما قبل ذلك الزمن فلا يجوز له الاحرام ولا يطلب منه الحج لان الحج أشهر معلومات فلا يمكن أن يدخله قبل أوانه » اهـ . أى لا يتحقق بالوحدانية الا عندما يخرج من الاسلام باعتقاد (وحدة الوجود) وقد حقق العلماء انه يكفر اعتقاد ذلك .

ثم قال : « والميقات المكنى مبتدؤه من حدود الكون ، أو تقول سدرة المنتهى أو تقول منهى التقييد ، ولكل ميقات يخصه - كما تقدم - فهو كناية على حالة خروج المريد عن التقييد وتشوفه للاطلاق فهذا هو الميقات من أى جهة كان ، سواء كان من العلو أو من الدنو أو من اليمين أو من الشمال أو من غاية الكيف أو من منتهى المثال بالمطلوب الخروج عن المكان والزمان ليتمكن له الفوص فى الاطلاق واما قبل خروج المريد عن الظروف واحاطتها لا يتمكن له الاحرام المقرون بالتجرد عن الكل لانه يريد بطون الذات » اهـ (ص 278) .

ومكة عند المسلمين هى البلد الحرام الذى فيه بيته الذى رفع القواعد منه نبياه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وجاء ذكره فى القرآن . لكن (مكة) عند (القوم) غير ذلك ، قال الشيخ : (ص : 280 ط - أولى) .

« اذا دخلت الى الحضرة الواحدية المعبر عنها بمكة - وقد عبر عنها القوم بالذات المستحقة للالوهية وعليه فينبغى للمريد أن يجدد أدبه لان لكل مقام أدب ، فأداب الالوهية ليس كأدب الربوبية وقس على ذلك بقية الحضرات ، وقد يصعب الدخول على المريد لهذه الحضرة لوجود ظهرها » (ص 280) .

اذا فقد أعلن الشيخ أن مكة هى اله القوم ومعبودهم ، والمسلمون لا يعبدون البيت وانما أمروا أن يعبدوا رب البيت « فليعبُدوا ربَّ هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » وقال سبحانه لنبيه : « قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الذى حرَّمها وله كلُّ شئٍ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين » .

العمرة عند المسلمين وعند (القوم) :

والعمرة عند المسلمين هى الحج الاصغر ، فيها كل ما فى الحج ماعدا الوقوف بعرفة ولكنها عند القوم ما قاله الشيخ :

« المراد بالعمرة أى عمارة الاوقات بالحضور فى هذه الحضرة الشريفة لكونها حدا مانعا ولا يخشى صاحبها من السلب فى الغالب ومن أجل هذا عبر عنها بالبيت وهى حصن الله ومن دخله أمن عذابه ! » اهـ . لقد دخله أبو جهل وأبو لهب والمستهزئون الذين أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، فعذاب الله لا يسقطه دخول البيت انما عبادة رب البيت والايمان به . والطاعة فى مكة مضاعفة ، والمعصية فيها مضاعفة .

الفصل التاسع والآخر :

توبة الانبياء والمخطئين ، وتوبة القوم : (التوبة انواع)

شهد الله أنه سبحانه : « يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ » وقال في كتابه المبين : « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » . وقال جل من قائل : « وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى » ، وتوجه ابراهيم الذى رفع مع اسماعيل القواعد من البيت الى الله وقال : « رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » . وقد استجاب الله دعاء خليته ابراهيم ونبيه اسماعيل فجعل بيته معموراً فى كل حين ، وجعل من ذريتهما مسلمين وبعث فيهم رسولا منهم هو افضل أنبيائه وخاتمهم وجاءنا الرسول فعلمنا الكتاب والحكمة ونسأله ان يغفر لنا ويرحمنا ويتوب علينا . فشرعية الاسلام تطالب كل عبد بالتوبة « وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » ، وكتاب الله يبشر التوابين سواء منهم المذنبون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يفتنوا من رحمة الله - أو الانبياء المقربون الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر قال تعالى : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » . والدعاء هو العبادة أو هو مخ العبادة ، والقرآن الكريم قضى بوجوب دخول النار على من تكبر عن عبادة الله ودعائه فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » . قالت العلماء يستكبرون عن دعائى . والملائكة حملة العرش يستغفرون لمن تاب وآمن واتبع سبيل الله « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَنُ الثَّغْرِ وَعْدَتِهِمْ ، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

فمنطوق القرآن كتاب الله ، وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن التوبة لله يؤمر بها كل المؤمنين ، ودعاء الله ورجاء الثواب والاجر على الاعمال، والفقران للخطايا وللسيئات - محمود من كل المؤمنين وقد قال تعالى: **« واسألوا الله من فضله »** ، وليس لأحد من خلق الله أن يترفع عن التوبة والانابة والدعاء، ومن فعل ذلك سيدخلون جهنم داخرين أذلاء .

ولكن القوم لهم (دين) آخر ومذهب فى التوبة والدعاء غريب ، ويقسمون الخلق الى ثلاث طوائف : العامة ، والخاصة وخاصة الخاصة ، فتوبة العامة هى ما علمناه من توبة الخلق وهم وحدهم المطالبون بالتوبة عندهم ، وأما الخاصة فانه حرام عليهم أن يتوبوا أو يتضرعوا لله لطلب الاجر والثواب عن أعمالهم ، ومن فعل ذلك منهم فهو عاص لله ، وعليه أن يتوب من هذا العصيان الذى هو دعاء الله وسؤاله ، وأما خاصة الخاصة ، فانهم يتوبون اذا خطر ببالهم أن الله سوى أنفسهم وما يرونه من مظاهر الكون ، يتوبون اذا رأوا سوى الله !

وهذا ما بينه الشيخ ابن عليوة عند قول ابن عاشر رحمه الله :
وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فوراً مطلقاً وهى الندم
(ص 313)

اذ يقول : فى تفسير الاطلاق فى قوله (مطلقاً) :
« توبة العامة ، أو توبة الخاصة ، أو توبة خاصة الخاصة ، فتوبة العامة هى الرجوع الى امتثال الاوامر واجتناب المنهيات ، والاقلاع عن كل وصف مذموم ، والندامة والتاسف عما فات ، اهـ وهذا جيد فى الجملة ثم يقول :
« وتوبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة ، فيحتاج لصاحب هذا المقام أن يرجع لله فى أعماله ، ويستغفر من نسبة لنفسه ، ولا يسأل اجرا عما فعل ، بل لا يرى لنفسه عملاً حتى يجزى عليه ، وكلما لاحظ لنفسه عملاً ، وطلب عليه جزاء فهو مرتكب الذلة ، ويكون عاصياً لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حياته من الله... » اهـ وقلة الحياء حقاً ان يقال ان التوبة الى الله ودعائه عصيان وتجب التوبة من ذلك .
ثم قال :

« واما توبة خاصة الخاصة من رؤيتهم لما سوى الله ، واستماع الكلام من غيره فكلما وقع نظر (العارف) على وجود الغير ، أو طرق سمعه كلام الغير فيبعد ذلك من أنواع المخالفة بالنسبة لحاله مع الله فينبغى له ان يرجع لله ويتوب ويقلع من حينه وان لا يتمادى على ما هو عليه لئلا ينسد دونه الباب وينسدل الحجاب بينه وبين ربه فهو احوج الى التوبة من غيره ، اهـ .
(ص : 313 - 314) .

وقد سأل موسى ربه ان يراه فقال له : « لن ترانى » وهذا (العارف) يزعم انه لا يرى سواه ولا يسمع الا اياه فهل هو اعظم عند الله منزلة من موسى ؟ من زعم انه افضل من نبيء كان مرتدا . ثم نقول :

اما التوبة العامة المذكورة فى هذا القسم فهى التوبة الواجبة على كل الخلق ، من المؤمنين وغير المؤمنين ، فعلى الكافر ان يسلم وجهه لله ، وعلى المشرك ان يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ويعبده وحده ، وعلى المؤمن ان يهود الى الله (1) ويتوب اليه ويمتثل اوامره ويجتنب نواهيه ، ويندم على خطاياہ وغفلته ويسال الله ان يهديه الى الصراط المستقيم ويستغفره فى اليوم والليلة مرارا . وقد اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم - وهو اكرم خلق الله - انه يستغفر الله سبعين مرة فى اليوم ، وقد جاءته البشارة انه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر .

واما توبة الطائفتين الاخرين - فى كلام الشيخ - فانه من ابطل الباطل ، وافسد الفاسد ، فكيف ينكر الانسان فعل نفسه ، واختياره فى القيام بعمله ومسؤوليته فيه واهل السنة الاشاعرة قد بينوا مذهباً معتدلاً - بين الجبرية والمعتزلة - فان كان (الشيخ وحزبه) منهم فان من الباطل ان يقول (توبة الخاصة هى من رؤية العمل المنسوب للنفس ولو كان طاعة) ، واذا كان معصية كالزنى وشرب الخمر وعقوق الوالدين واللواط والكبر والظلم فهل يقول الشيخ انه لا يصح ان ينسبه الى نفسه ؟ فالى من ينسبه ؟ ثم ان قوله : (كلما لاحظت لنفسه عملاً ، وطلب جزاء فهو مرتكب الذلة ويكون عاصياً لربه تجب عليه التوبة على الفور والندامة على قلة حياته من الله) .

(1) هاذا الى الله : عاد وتاب اليه « وفى الآخرة انا هُذنا اليك » .

مثل هذا القول يصدر من (شيخ) يربى غيره ويعرفهم بالله من أعجب ما يطرق سمع المؤمنين ، ويبهت العارفين بالله حقا: **تجب التوبة من التوبة على الفور ، وتجب الندامة على من دعا الله وسأله من فضله حسن الثواب** والجزاء على صالح عمله ان هذا القول هو الذى لا يصدر الا ممن قل حياؤه من الله والناس حقا . فما زال الطيبون الاخيار من الانبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين والاولياء والصالحين يستغفرون الله ويتوبون اليه يسألونه لانفسهم وللمؤمنين حسن المال .

وما زال المخطئون الذين أسرفوا على أنفسهم وكادوا يقنطون من رحمة ربهم ما زالوا كلهم يرجون رحمة ربهم ويستغفرونه ويستجيرون بنور وجهه الذى أشرقت له الظلمات من النار ويسألونه ان يدخلهم فى رحمته ، ويمتعهم بنعيم جناته ، وينجيهم من عذابه الاليم . نسال الله الكريم ذا العرش العظيم ان يتوب علينا ويغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، والا يجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا انه الرؤوف الرحيم .

خاتمة : كلام أهوج . . . وشيطان فى صورة انسان !

آن لنا أن نختم هذا القسم الذى عرف بالقوم وبمذهبهم الدينى والديوى كما هو مستفاد من كتبهم ومن أقوالهم الشعرية والنثرية ، ومن أفعالهم وكفى بذلك حجة عليهم .

وكل من اطلع على شئ من هذه الدعاوى والاقوال ، وسمعه لأول مرة فى حياته - وهو فى كمال وعيه وادراكه ، خاليا من كل تأثير عليه - لابد أن يصدر حكما عليه ، لا يقل عن حكم الاستاذ أحمد توفيق المدنى - ولم يكن حينما اصدر حكمه - متحيزا ، لا لحزب الاصلاح ، ولا لحزب (الصوفية) بل كان ينشد الاتحاد بين صفوف ابناء الامة كلهم .

لقى الاستاذ توفيق شيخ القوم لأول مرة ، وحاوره فى موضوع نشاطه وسأله عن الاسس التى بنى عليها طريقته الجديدة فقال الشيخ : سأبعث اليك بكتاب ألفته وطبعته يبين لك حقيقة الامر .

وجاء الكتاب واسمه « المنح القدوسية فى شرح المرشد المعين بطريق الصوفية » وقراه وقال عنه :

« وأخذت أقرأ الكتاب ويال هول ما قرأت ! كلام أهوج ، وخرافات لا تنطلي حتى على الابله المسكين وأباطيل وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ، ودعوة سافرة غير حكيمة لمذهب « وحدة الوجود » ، المنافى لعقيدتنا الإسلامية فاستعذت بالله من رجل اتخذ في ذهني صورة شيطان في جسم انسان ، وأصبحت أسائل نفسي هل درى أولئك البسطاء الى أين يسوقهم هذا الارعن المغرور ؟ وأخذت أوالى البحث عنه فاذا به خراز قديم بمستغانم وكانت مركزا من أهم مراكز الصوفية ، اه . (من كتاب حياة كفاح ، ج 2 ، ص : 81 - 82) .

وقد والى الاستاذ المدني بحثه ، وذكر بعض ما يعرف عن مذهب (وحدة الوجود) وانها طريقة في السلوك نبتدىء مع السالك بدرجة « السير نحو الله » وتنتهى الى درجة « السير بدون الله » وبعد ان يتجاوز درجة « السير في الله » ويدعى حينئذ « العارف بالله » ويقال انه حينئذ قد ارتفعت عنه التكاليف الشرعية لانه يكون قد آمن بأنه جزء من الله وان الله هو كل ما في السماوات وما في الارض من حيوان ونبات وجماد ... » اه .

ثم ذكر المدني ان من شيوخهم جلال الدين الرومى دفين تركيا ، ومحيى الدين ابن عربى دفين دمشق ، وابن سبعين الاندلسى . ومن زعمائهم « اليهودى الهولاندى (اسبينوزا) وهو الذى شرح النظرية الفلسفية لدينه (وحدة الوجود) دون طلاسّم ولا تعميمات ولا ظاهري ولا باطنى ، اه . كتاب حياة كفاح ج 2 ، ص 73 .

والاستاذ المدني لا يتهم فى حكمه ، فقد كان محايدا بعيدا عن المعركة بل كان منكرا على حزب الاصلاح عنفه وشدته فى مهاجمة الطريقة ، وخصوصا العلوية ، واذا بهم يضعون فى يده كتابهم الذى هو أساس طريقتهم فيكتشف مذهب الباطنية فى تأسيسه وايدى اليهود فى بثه فى المسلمين قديما وأيديهم فى الترويج له حديثا بواسطة الفيلسوف الهولاندى الذى أراد أن يجعله عاما بين المسلمين وغيرهم . فقد ذكر ابن خلدون أن من أقطابه قديما النجم الاسرائيلى وقد فند ابن تيمية - رحمه الله - اقواله واقوال اقطاب وحدة الوجود فى كتاب له نشرته مجلة المنار فى سنة 1924 ، وذكر المدني أن من أقطابهم حديثا (اسبينوزا) اليهودى الهولاندى .

أن من يدرس بامعان هذا الكتاب بعد أن درس الديوان وما فيه من أشعار
الفرسان الثلاثة لا يملك نفسه إلا أن يستعيد بالله من الإنسان الذي يتخذ
- في الذهن - صورة شيطان ، ويزعم أنه الله أو جزء من الله ، لانه (ليس
فى الكون سوى الله) ، وكل ما فى العالم مظاهر يظهر الله فيها لعباده ، لذلك
فان الشيخ نفسه هو الله وانت نفسك انت الله - تعالى الله عما يقولون ،
فان الله سبحانه هو رب هذا الكون وخالقه ومدبره ، وفيه الانسان والحيوان
والجماد وفى الجماد الحجر ، وفى الحيوان البشر ، والكلاب والحمير والخنازير
والبقر ، فهل هذه آلهة أو اجزاء من اله ؟ تعالى الله • سبحانه رب العزة
عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين •



القسم الثالث

القسم الثالث

هذا القسم (الثالث) من أهم أقسام هذا الكتاب ، فيه ما ينير بصائر الكتاب ، ويعرفهم بالملابس والظروف التي عاشتها نهضتنا أثناء فترة من أهم فترات تاريخنا ، وبما تعرضت اليه أمتنا من مكائد ومؤامرات على شخصيتها ومصيرها وحياة رجالها .

انه يتحدث عن اتصالات (القوم) بفرق مبتدعة تتآمر على الاسلام لمحوه وأبطاله وحرب دولته منذ القديم وحتى الآن ، أو باقطاب ديانة همهم محبو الاسلام واحلال النصرانية محله والخروج بدين الله عن جوهر التوحيد الى مذاهب الحلول وتاليه كل شئ في الوجود . أو بمخابرات الاعداء المهيمنين على مصائر أمتنا المتحكمين في رقاب الشعب واستغلاله وامتصاص دماائه للتعاون معهم وخدمة ركايبهم .

وقد جمع في هذا القسم - بأبوابه الاربعة - الوثائق المدعمة لهذه الاتصالات الثلاثة مما لا يدع مجالاً للشك ، ونحن نضعها أمام القارئ وهم الحكم في هذه القضايا المعروضة ولهم ان يحكموا عن دراية وبيان .

والله المستعان

الباب الاول

العلوية - أخت القاديانية

أشياء أخرى كانت مما يتهم به « القوم » وشيخهم القطب ، وفرقتهم (الذاكرة) وينكرها عليهم « الشهاب » وحزبه أشد الانكار ، ويؤاخذهم بها كتاب المصلحين أعظم المؤاخذة .

من هذه الاشياء اتصالهم اما بفرق مبتدعة ، متفق على بدعتها قديمة ، وحديثة ، وقد ثبتت ادانتها ، والحقت بالاسلام وعقائده ومبادئه ، وبالمسلمين ووحدتهم ودولتهم أعظم الاضرار ، وما أسست - فى الحقيقة - يوم أسست - الا بقصد محو الاسلام والحق الهزيمة بدولته العربية . ومن هذه الفرق فرقة الباطنية قديما والقاديانية حديثا .

واما باتصالهم بالكنيسة والتبشير وبعض رجال المسيحية ، واعتناق بعض أقوالهم كالقول باللاهوت والناسوت واعتقاد بعض ما يعتقد النصارى - فى طبيعة المسيح عليه السلام - مع أن الاسلام يقرر أن المسيح (عبد) الله ورسوله ، ويعلن القرآن على لسانه : « **إني عبد الله آتاني الكتاب** » . والقول بالحلول أو بوحدة الوجود يثبت اعتقاد النصارى فى طبيعة المسيح .

واما بالاتصال بالاستعمار ، والتحالف مع بعض رجاله الظاهرين ، والعمل للوصول الى أغراضه ، وتنفيذ مشاريعه .

ومن عادة الشهاب - وخصوصا ابن باديس رحمه الله - الا يتساهل فى الاتهام ، ولا يؤاخذ بالظنة . ولا يلقي الكلام على عواهنه ، ولا ينشر ما لا يملك

دليلا عليه ، أقله وأهونه ان يصدر من جهة أخرى فينقله وينتظر التبرى منه
ممن قيل فيه أو عنه . واعظمه ان يكون اعترافا صادرا من « القوم » أو من
رجالاتهم ، ومن المعلوم ان سيد الادلة هو الاقرار والاعتراف .
وفيما يأتى تفصل بعض ما اجملنا ، ونذكر بعض ما اليه رمزنا .

الفصل الاول

الاتصال بالفرق المبتدعة

من هذه الفرق التى أشئت ضررها بالاسلام والمسلمين قديما وحديثا فرقة
الباطنية وتاريخها معروف . ولقى من شرها شعبنا ما هو ثابت فى التاريخ
اثناء حكمهم فى الدولة العبيدية من نهاية القرن الثالث الى أواسط القرن
الخامس ، اذ كان مذهبهم القول بالحلول ، وان الله قد حل به امامهم ، تعالى
الله علوا كبيرا :

لذلك فقد جمع فى (ذاته) النبوة و (الألوهية) واطلع على الغيوب ، وإلى
ذلك يشير شاعرهم لما نزل امامهم المهدي (عبيد الله) بالقبروان ، وسكن
(رقادة) مساكن الاغالية :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح
حل بها (الله) ذو المعالي وكل ما سواه ربح !
وقد تحداه شاعر مسلم بلسان الشعب ففضحة وكشف جهله وسخر منه
سخرية مرة :

بالجور قد رضينا لا الكفر والحقاقة
يا مدعى الغيوب من كاتب البطاقة ؟ !
ولم يعرف كاتب البطاقة فافتضح وأخزاه الله امام المؤمنين به . ثم كانت
عاقبة الحلوليين خسرا .

ومن ممثلي الباطنيين فى عصرنا فرقتان - أو ديانتان جديدتان قد تبرأ
منهما المسلمون وأجمعوا على كفر أهلها - وهما البابية البهائية ، بفارس
(إيران) والقاديانية أو الإحمدية بالهند والباكستان .

وكان اتصال القوم بهم ورميهم به نتيجة اعتراف (القوم) فقد نشرت عن ذلك مجلة (الشهاب) فى عددها 97 الصادر فى 17 ذى القعدة 1345 هـ الموافق 20 مايو 1927 م ، مقالا تحت عناوين باحرف غليظة جمعت بين آيات قرآنية ، وأمثال عربية ، ونصوص شعرية ثم شرح المقال بعض أقوال الباطنية ومزاعمهم ، وما لحق الاسلام من جراء باطلهم واعتناق « العليويين » لبعض أقوالهم ، ثم اعترفهم بالاتصال بمثلهم فى عصرنا واعتزازهم بهذا الاعتراف . وان الاسلوب (العلمى) التاريخى الذى كتب به المقال ليومى الى انه من انشاء صاحب الشهاب نفسه الاستاذ ابن باديس رحمه الله ، فانه فى مثل هذا الموقف يتقدم الى الميدان بنفسه . وقد امضاء بالحرف (ع) وهو أول حرف من اسمه .

وهذا نص المقال كما نشر مسبقا بعناوينه :

« رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ »

العليوية بالجزائر - أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه .. (I)

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
شر الطوائف التى أصيب بها الاسلام من أوائل نهضته هى طائفة الباطنية
الملاحدة الذين جاءوا بعقائدهم المجوسية والهندية .

وحملوا عليها مقتطعات من الآيات والاحاديث حملا تنبراً منه العربية التى
هى لغة القرآن وصاحب القرآن . وفهموا من تلك المقتطعات - بزعمهم -
ما هو مضاد تمام المضادة لما فهمه أهل القرن الاول من الصحابة وهم العرب
الاقحاح ، و « فقهاء الابرار » ، والاتقياء الاطهار ، الذين اختارهم الله لصحبة
نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ونقل دينه ونشره بين الامم بالقول والعمل .
وتعاموا عن مأخذ تلك المقتطعات من سوابقها ولواحقها وما طفحت به الشريعة

(1) صدر بيت لابي الطيب المتنبي وتمامه : واشبهنا بدنيانا الطغام
والطغام : ارذال الناس وأوغادهم وأوباشهم يقال للمفرد وللجمع .

كثرة من النصوص المحكمات فظلموا وألحدوا فى ذلك الحمل وذلك الفهم ،
وهذا الاقتطاع •

وزاد الى هذا كله ما جاءوا به من عند انفسهم من كلمات باطلة نسبوها
الى النبىء عليه الصلاة والسلام • ثم عملوا لترويج هذا الكفر الانكر ، والتزوير
الاقدر بالتظاهر بسمة الصلاح والزهد والدعوة الى الخير ونشر الاسلام ،
فراجت دعوتهم على العامة وعلى كثير ممن يعدون من الخاصة ، ولم ينبج من
فتنتهم الا الفقهاء بالسنة ، والبصراء بأحوال العمران ، والمتمسكون بهدى
السلف فى فهم النصوص والعمل بها •

وشر ما جاءت به هذه الطائفة من عقائدها الزائفة هى عقيدة حلول الخالق
فى المخلوق ، ووحدة الوجود وأنه ما ثم الا شىء واحد ، هذه المراتيات مظاهره •
فلا خالق فى الحقيقة - عندهم - ولا مخلوق ، ولا رب ولا مربوب ولا عابد
ولا معبود •

وهنا يسقطون التكاليف ، ويخلعون ربقة التشريع ولا يبقى عندهم معنى
للدن وهذا عند كل مسلم - بأدنى تأمل - من الكفر الصراح المنافى للقطيعات
الضروريات •

وهم لو ابتدأوا دعوتهم بهذا التصريح لقابلتهم عامة المسلمين بالاعراض
بل ربما نالتهم بالضرب والتقتيل ، ولكنهم - لخبثهم ودهائهم - يبتدئون
دعوتهم بتلقين ذكر سرى ... وحث على العبادة ومشاهدة الله ! ثم بالرقص
الذى تهيج فيه الاعصاب وينفتح فيه الخيال • ثم بالخلوة والجوع والسهرة
فيها حتى تتغلب عليه سوداؤه ويستولى على عقله وهمه وخياله فيخرج وهو
يقول انه لا يشهد الا الله ، وانه ما فى الكون الا الله ، وان الله هو ، وانه هو
الله الى هذيانات لا تقبلها ملة ولا يصدقها عقل غير ملة الحلوية وعقل من
قضى مدة تحت تأثير الاوهام والمخدرات (2) •

(2) بعد استقلال الجزائر - وفى الستينات - هاجمت الشرطة المركز الاكبر
للقوم فى مدينتهم واعتقلت بعض الاوروبيين والاوروبيات مشبهين
ومشبهات وضبطت لديهم مخدرات ، واعتقل كبير القوم ، وكانت فضيحة
كبيرة •

هذه هي النحلة الحلولية التي جاء بها ابن عليوة ينشرها بين المسلمين
بديوانه ، وهذه هي النحلة التي جاءت ورقة الحلولين للدفاع عنها .

ولقد كان في ديوان الضلال كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء
التصوف ، والتمويه بالدفاع عنه لتغر العامة الجاهلين وتستهوئ أفئدة الطلبة
الجامدين .

ولقد كان في ديوان الصلاة كفاية للدلالة على باطن هذه الطائفة وسوء
قصدها ، غير ما ابانه الكتاب من قبائحها وفضائحتها ، لكن الله تعالى أراد أن
يفضحها فضيحة من عنده على لسان جريدتها فنشرت في عددها الثامن عشر
رسالة جاءت الى مديرتها من معتمد الجمعية القاديانية بالهند ، تلك الجمعية
التي تنتمي الى غلام أحمد الذي ادعى انه هو المسيح المنتظر ، وان الوحي نزل
عليه بذلك ، وتناول القرآن بالتأويل الباطل والتحريف الجاهل مثل فعل
ابن عليوة في تفسير سورة (والنجم) وغيرها .

أرسل معتمد هذه الطريقة (3) رسالته مبتهجا بتلك الجريدة ، ونشرتها
تلك الجريدة الحلولية في صدرها مبتهجة بها ، فتعانت الاختان ، واتحدت

(3) القاديانية ديانة جديدة كان الانقليز هم السبب في انشائها كيذا للمسلمين
وتفريقا لجمعهم وقد ضمن القدياني للانقليز اسقاط (الجهاد) من الاسلام ،
وكانوا يعانون من تمسك المسلمين الهنود به الثورات المتوالية في الهند
اعظمها ثورة 1857 م ، التي زعزعت نفوذهم . وتوالت تحركات المسلمين
ضدهم، وتزعم الحركات الوطنية رجالهم ، وتعاونوا ضد الانقليز مع الهندوس .
ولما اضطرت عام 1948 م ، الى التسليم باستقلال الهنود وانشاء دولتين
في الهند ، احدهما البكشتان للمسلمين - حرصت ان يستلم القاديانيون
مناصب هامة في الدولة وفي الجيش . ولكن الشعب البكستاني تملل ،
وثار ضدهم . ثم استطاع ان يتخلص منهم .

وقد افتي علماءهم بطردهم من جماعة المسلمين ، وباعتبارهم اقلية غير
اسلامية يتمتعون بحقوق الاقليات ، لا بحقوق المواطنين حتى لا يتسربوا الى
المناصب العليا ويكيدوا لدولة المسلمين .

وقد افتي علماء رابطة العالم الاسلامي بمكة بانهم غير مسلمين ، كما افتي
بذلك المجمع الفقهي وعلماء مصر والعالم الاسلامي ، واستند الجميع في
تكفيرهم على قولهم بنبوة غلام أحمد القادياني ونزول الوحي عليه ، وبعدم ختم
النبوة ، وبامكان استمرار ارسال الرسل . اثر هذه الفتاوى أقر البرلمان
البكستاني قانونا باخراج جماعتهم من المجتمع الاسلامي ، واعتبارهم من =

الطريقتان ، وما بقي علينا الا ان نعرف المسلمين بضلال هذه الطريقة القديانية الضالة أولا - ليعلم بالقطع ضلال العليوية اختها المبتهجة بها . لان الضال لا يلتصق الا بمثله ، والشكل لا يحسن الا لشكله .

وثانيا : ليحذر اخواننا الجزائريون من غائلة القديانية التي ارادت ان تتخذ جريدة العليويين الحلوليين ركوبة لها تنشر عليها ضلالاتها في القطر الجزائري وموعدا بذلك الاعداد الآتية والله المستعان ، اهـ .

« ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين »

ثانيا - العليوية بالجزائر - أخت القاديانية بالهند

وشبه الشيء منجذب اليه ..

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

الفصل الثاني

حقيقة القاديانية

عاد (الشهاب) الى هذا الموضوع في العدد 99 الصادر في 2 ذى الحجة 1345 هـ - 2 جوان 1927 م ، وثحت العناوين التي سبق ذكرها في عدد 97 وهي المذكورة اعلاه ، قال :

« كنا وعدنا بنشر شيء عن حقيقة القاديانية الحلولية ليتقى الناس شرها ولا يفتروا بما تنشره لها جريدة هي اختها عندنا ، وليكونوا على علم من حقيقة هذه الاخت وغاياتها . »

= اصحاب الاقليات الدينية في الباكستان كالنصارى واليهود والمجوس والهندوس ، يحميهم القانون بمثل ما يحمي به هذه الطوائف ولكن لا حق لهم في الاستيلاء على اهل مناصب الدولة ، لانها دولة اسلامية وعلى هذا الاساس انفصلت عن الهندوس .

وفاء بذلك الوعد ننشر فى هذا العدد وتواليه مقتطفات من مجلة (المنار) بقلم صاحبها العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا ، وقد كان السيد أول من فضح القاديانية ورد على صاحبها فى حياته ، وعلى أصحابه بعد وفاته فلفضيته خبرة تامة بها .

نشرت فى ج 8 ، م 24 ، تحت عنوان (المسيحية الاسلامية القديانية الملقبة بالاحمدية .

» نجم بمصر هذه الايام قرن بدعة (ميرزا غلام أحمد القاديانى بعد ان كانت محصورة فى الهند ، ثم بثت دعوتها فى أوروبا والبلاد الامريكية فصارت كالبهائية ذات دعاة وأتباع ييثون تعاليمها فى رسائل يطبعونها ويوزعونها ومقالات ينشرونها .

كانت مسألة الاعتقاد بالمهدى المنتظر مشار فتن كثيرة وبدع كبيرة وسفك دماء غزيرة ، كانت آخر مظاهرها فى البلاد الافريقية مهدى السودان ، وفى آسيا (الباب) الذى ظهر فى ايران (4) .

وكان امثال هؤلاء المبتدعين غافلين عن مسألة الاعتقاد بنزول المسيح على الارض فى آخر الزمن حتى قام بها البهائية ونظموا دعوتها وجعلوها قاعدة دعوتهم للنصارى ، كما كانوا جعلوا قاعدة دعوتهم للمسلمين مسألة المهدى المنتظر ولكل من الدعوتين عندهم درجات كسلفهم من باطنية الاسماعلية ... ولكنها مناسبة لحال هذا الزمان ، وآخر درجاتها دعوى الألوهية والربوبية لزعيمهم البهاء .

(4) آخر فتنة أثيرت هى التى اشتعلت يوم آخر ايام ذى الحجة 1399 هـ . بالمسجد الحرام ببطن مكة واستقبل بها هذا القرن الخامس عشر من الهجرة ، واحتل فيها بيت الله الحرام ، وتعطلت فيه الجمعة والجماعة بضعة عشر يوما وقتل فيه عشرات من الانفس البريئة وتدخلت دول اسلامية . بجيوشها لآخمادها . وبهذا الباطل حاول معتوه زعم بأنه « المهدى المنتظر » أن يبدأ عهده الذى سيملا الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا . ووجد من يصدقه . ويطلق الرصاص على المسلمين فى المسجد الحرام ! وكان ذلك بعد نشر هذا المقال ب 54 عاما .

ثم ظهر ميرزا غلام أحمد القادياني في الهند ، فادعى انه هو المسيح المنتظر وان الوحي نزل عليه بذلك ، وقد رددنا عليه في عصره ورد علينا ، وهجانا في مصنف خاص أملاه عليه وحيه الشيطاني ، وكان من وحيه هذا ان صاحب المنار « سيهزم فلا يرى » ولو نزل بنا قضاء الله تعالى بموت أو بنكبة يبطل بها المنار لكان ذلك أكبر فتن اتباعه الاغرار ولكن ظهور الكذب والخذلان مما ينسأه أو لا يراه امثال هؤلاء العميان .

ضل كثير من المسلمين بدعوتى البهائية والقاديانية ، فلهذا كانت الدولة البريطانية مؤيدة لهما في الهند وايران وفلسطين ومصر وكلهم مخلصون لها مؤيدون لسياستها وقد كان حسين ، روى أفندى البهائي أمين معتمدا في الحجاز منذ بدء الثورة الحجازية .

وقد كنا نظن أن بدعة القاديانية لا تتجاوز بعد موته ما نسخه من أحكام الشريعة وأهمها « وجوب الجهاد » ثم علمنا انهم يدعون استمرار الوحي والنبوة في اتباعه وقد نشروا في هذه الايام رسالة مطبوعة في الدعوة الى دينهم المسيحى الاسلامى ، وضعها بالانكليزية ميرزا بشير الدين محمود أحمد زعيم الحركة الاحمدية من قاديان - بنجاب - بلاد الهند وترجمها بالعربية الرحالة عبد المجيد كامل صاحب (رحلة في بلاد الناس) وطبع على نفقة الحركة الاحمدية بمصر .

أصل ارتدادهم عن الاسلام :

موضوع الرسالة (الصلاة عند الاسلام) وصلاتهم صلاة المسلمين في الصورة وانما تخالفها في المعنى والعقيدة ، فقد علق واضع الرسالة على تفسير « صراط الذين انعمت عليهم » تعليقا صرح فيه بأصل ارتدادهم عن الاسلام (5) .

وهذا نصه :

ملحوظة - لقد وضع كل دين من الاديان المتبعة نموذجا خصوصيا ، ولا شك أن أفضل تلك النماذج هو ما وضعه الاسلام . ان هذا الدعاء لارشاد

(5) يعنى الاستاذ محمد رشيد رضا : بأصل ارتدادهم قولهم باستمرار الوحي وعدم ختم النبوة ، وأن ميرزا أحمد غلام يوحى اليه ، وان من بعده يمكن ان يوحى اليهم . ومن اعتقد هذا فهو مرتد عن الاسلام .

المسلم بان يتوسل الى الله ان ينعم عليه بمثل ما انعم به على أولئك المنعم عليهم الذين قيل عنهم فى موضع آخر من القرآن ما يفهم منه انهم أصحاب النبىء والصديقون والشهداء والصالحون . وقيل فى موضع آخر :

« واذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين » .

وجاء فى آية أخرى ان الذين انعم الله عليهم انما هم الانبياء (6) .

فالنبوة اذا هى اسمى المراتب التى يتطلع اليها المسلم ، لذلك ابتهل الى الله سبحانه وتعالى ان يحشره فى زمرة الانبياء ، وهو نموذج لم ينسج على منواله دين من الاديان على الاطلاق ، بل جميعها سلت طريق الوحي الإلهي فى وجود العالم ، فالدين الإسلامى وحده هو الذى يرشد تابعيه الى ان طريق الوحي لا يمكن ان يسد فى وجوه الناس اذ ان الله الذى خاطب الناس وقتا ما لم يكف على هداية شعبه ومخاطبته .

ان هذا النموذج فضلا عن كونه ناف (؟) الاستحالة فانه يفتح أمام ذوى القلوب الظاهرة طرق النجاح التى لا نهاية لها ، ويرسم طريق السعى للاتصال بالله خالق الاكوان ومنبع كل قوة ومحبة .

ولقد أنبأنا النبىء الاقدس صلى الله عليه وسلم أحد اعظم أولئك الذين أنعم الله عليهم واسمه « المهدي » والمسيح فهو يدعى « المهدي » لانه يهتدى مسلمى وقته الذين انغمسوا فى الخطايا ونسوا أوامر الدين الإسلامى حتى لم يعد فى أقوالهم وأفعالهم أثر لجمال الايمان . وسمى المسيح لانه يتم النبوات المختصة بعودته .

(6) علق المنار هنا - ونقله الشهاب بقوله : « يعنى بهذه الآيات قوله تعالى فى سورة مريم : « أولئك الذين أنعم عليهم من النبيئين من ذرية آدم » الخ . وهى لا تدل لفة على ما ذكره من حصر المنعم عليهم فى الانبياء ، ولو دلت على ذلك لكانت معارضة لغیرها من الآيات التى ذكرها أو أشار اليها ، ولكن هؤلاء اعاجم لم يتقنوا اللغة العربية فجعلهم به كجهل مسيحيهم » اهـ - يعنى بمسيحيهم القاديانى ، مسيحيهم فى زعمه وزعمهم ، ولم يكن جهلهم هو الذى دعاهم الى ما فعلوه فقط ، وانما حريهم للإسلام وكيدهم له وللمسلمين فهم يحرفون ويستبلهون المغفلين والبله .

ولقد ظهر ذلك الذات فى الهند وبمحل يقال له (قاديان) (7) ، وفى طرف ثلاثين عامة من حياته الرسولية فى دعائم الاسلام بمعجزات جديدة من عند الله وقد يوجد الآن آلاف من حواريه يستمعون الوحي الالهى .

ولقد عاش عيشة ملؤها الهداية الروحية بين أشياعه الذين فازوا فوزا مبينا باتجاه العالم اليهم ، فهناك الشيخ (فاتح محمد سيال) وحضرة (عبد الرحمن نيار) يبشر بالاسلام فى انجلترا ، ومفتى (محمد الصادق) فى أمريكا ، فلا غرو أن اعلام الناس به من الممكن الحصول على الوحي فى أى وقت ، وقد كان من الاخبار السارة التى تدعو الى تشجيع المسلم الحقيقى فى كل آن ، وتعد قياسا للحكم بين الاديان المختلفة .

ان الدين الصحيح الحى لهو الذى لا يخلو من الثمر ابدا ولا ثمرة للدين الا الاتصال بالله وهذا لا يمكن ان يكون الا بالوحي ، وليس الاسلام كغيره من الاديان التى تتمشى باتباعها الى احط الدرجات بل هو يسمو بتابعيه الى اعلى ذروة الخيال الذى يمكن ان يصل اليه فكر الانسان ، وعلى ذلك فهو وحيد الاديان الذى يشفى غلة الطبيعة البشرية وان اكبر حجة يتمسك بها الملحد ضد جميع الاديان انما هى قوله انه اذا كان هناك اله كما يدعون فلماذا لا يظهر بنفسه للناس ؟ اما هذا الاعتراض فلا يمكن ان يوجه الى الاسلام الذى لا يعتمد فى براهيته على القصص الماضية بل يعلن بان هناك رجال (؟) حتى الآن يوحى اليهم علمهم (الزعيم الروحي) ومهدى هذا الزمان) اهـ . الى هنا انتهى المقال الثانى وهو منقول عن المنار فالقاديانية مرتدون عن الاسلام بزعمهم استمرار الوحي بعد ختم الرسالة . و « القوم » يقولون ان الله يظهر لعباده فى اكوانه اذا ما فى الكون الا الله !

وفى العدد 103 من الشهاب الصادر فى 30 ذى الحجة 1345 هـ ، الموافق 30 جوان 1927 م ، نشرت الحلقة الثالثة مسبوقة بالآية : « ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين » .

وهو منقول عن المنار أيضا بعنوان واحد وهذا نصه :

(7) توجد هذه القرية - اليوم - فى الاتحاد الهندى ، وهى عند القاديانية مقدسة يحجون اليها ويدبرون مكائدهم فيها ، وهم يوجدون بالهند والباكستان وبافريقيا الشرقية والغربية ، وبأوروبا وأمريكا ، وحيثما وجدوا فهم متعاونون مع الانقليز ومع دويلة اسرائيل .

الفصل الثالث

بقايا الباطنية

لا يزال القراء على ذكر مما نشرناه فى بعض الأجزاء السابقة عن الطريق القاديانية بالهند وعقيدتها الحلولية نقلا عن مجلة (المنار) الكبرى .

تلك الطريقة التى نشرت الجريدة العلوية مقالا لاحد دعائها مبتهجة به ، مظهرة تمام السرور بتوطيد العلاقات بينها وبين حزبه .

واليوم ننقل رد المنار على القاديانى الدجال ، وبعد ذلك سنعرض للكتب المنسوبة لشيخ العلويين وننشر منها على القراء نبذا تكشف عن عقيدته وحقيقة أمره غير معتمدين فى ذلك الا طريق البحث والاستدلال (8) .

قال المنار :

« ان بين مسيح الهند الدجال وبين (باب) ايران شبهها فكل منهما كان مصابا بجنون الهوس الدينى حتى لا يبعد ان يكون معتقدا لما ادعاه ، وفى ان تأثيره كان محصورا فى الاعاجم : اذ تصدى كل منهما لتأويل القرآن والاحاديث بجرأة وجهل واسراف فى الكلام ، فافتتن بهما بعض جهلة الاعاجم اذ صدقوا انهما بالالهام والوحى أمكنهما ان يجولا تلك الجولات الواسعة فى كيان الله عز وجل .

ولو كانوا يفهمون العربية لسخروا من هوسهما ووحيهما الشيطاني .

وكان القاديانى أعلم بالعربية وآدابها من (باب) فهو قد عنى بفنونها وآدابها

(8) نلاحظ اننا - بمراجعة اعداد الشهاب الموالية لهذا العدد لم نجد وفاء بما وعد به . ولعله سكنت عنهم لانهم أوقفوا - على الاقل فى الظاهر - اتصالهم بالقاديانية ، اذ لم يصرح أحد - من بعد - انهم نشروا فى جريدتهم شيئا عنهم أو لهم فى جريدتهم ، بعد هذه الهجمة الموفقة . ولعل الباعث على السكوت هو ان نشر هذه النبذ مما يشيع قولاً فاحشا فى حق الله وحق رسوله . ومن شك فى ذلك فليراجع قولهم فى العشق - مثلا قصيدة الشيخ فى (ليل) - وقد يكون الشهاب رجا ارجعواهم وفيثهم الى أمر الله ، لكنهم لم يفيثوا حتى الآن وجعلوا ينشرون كتب امامهم .

لهذا وفيما وعد به الشيخ ابن باديس ، ونشرنا فى هذا الكتاب نصوصا من شعرهم ومن نشر امامهم الشيخ ابن عليوه ، فاطلبه فى غير هذا المكان .

كل العناية فكان يحفظ مقامات الحريري ، والمعلقات السبع وكثيرا من المنظوم والمنثور ، ولكنه على هذا كله لم يحصل على ملكة الأعراب ، ولا ذوق الآداب فيها فكان كثير اللحن والغلط فيما يقول ويكتب وكثير الخطأ والشطط فيما يفسر به الكلام . وكان لصا جريئا على السرقة ليمزج شعره ونثره بما يحفظه بعينه أو بتغييره ما فيه ، فكان أتباعه يخدعون الأعاجم بذلك .

وتجرا هو على دعوى إعجاز كلامه كالقرآن العزيز ، ولذلك عظم عليه الأمر عندما قلت في ردي على كتابه « إعجاز احمدي » انه كثير اللحن والغلط واللغو الذي لا يفهم له معنى صحيح في هذه اللغة . وألف كتابا خاصا في الشكوى والتبرم من ردى ظهر فيه من ضعف نفسه واضطراب حدسه ما يدل على انه مخدول لا مؤيد عن الله تعالى . ولولا تناقض هؤلاء المؤسوسين لعدوا هذا دليلا على انه متعمد لقول الزور ، غير مخدوع بنفسه ولا مغرور فقد عهد مثل هذا التناقض من امثاله :

سوري مغرور يدعى النبوة :

ادعى رجل سوري النبوة وجاء ليظهر نبوته في مصر ، فلما بلغ بور سعيد أرسل منها برقيات الى الخديوى ، ولورد كرومر ، ورئيس النظام ، ورئيس تحرير الأهرام وصاحب المنار يبشرهم بوقت تشريفه عاصمة ملكه .

وكان يتردد علي ويقول : « انك تكون مني كأبي بكر من النبي صلى الله عليه وسلم » ثم كان يقبل يدي أحيانا ويتذلل لى لأساعده على إظهار دعوته . مثال ذلك أنه ترجح عنه ان يستبدل الاستانة بالقاهرة فكلفنى ان أكلّم رؤوف باشا المعتمد العثماني بان يطلب له من الدولة اسطولا أو باخرة حربية لأجل نقله الى الاستانة قلت له : انى ان اطلب هذا من رؤوف باشا يعتقد اننى سلبت عقلي ، ولو طلب هو هذا من الاستانة يعتقدون انه جن ، ويستبدلون به غيره ، واما أنت فيمكنك ان تدفع تهمة الجنون عن نفسك بمعجزة تظهرها للباشا ان كنت نبيا كما تقول ، .

قلت : ان هؤلاء قد ضلوا بجهل العربية ، وهذا شاهد قطعى على وجوب هذه اللغة على كل مسلم ، فاذا كان من ادعى أنه المسيح المؤيد بالاعجاز فى كتبه يزعم ان البسملة تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى مسيحيته

هو فلا عجب ان ادعى هو واتباعه أن قوله تعالى : « إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » يدل على طلب النبوة بدليل ان المنعم عليهم « انما هم الانبياء » ! فعلى هذا يكون المفروض على كل مسلم أن يطلب من الله تعالى فى كل ركعة من صلاته ان يجعله نبيا ليوحي اليه ! !

هذا الفهم الذى جاءنا من هؤلاء الاعاجم قد فات الصحابة والتابعين من العرب الخلف وموالمهم ، وفات جميع واضعى فنون هذه اللغة لضبط ألفاظها ومعانيها وفلسفتها وآدابها وأسرار بلاغتها ، وجميع من فسر القرآن من السلف والخلف ، حتى قام بعض اعاجم الهند فى القرن الرابع عشر يزعمون انه أصل الاسلام وركنه الاعظم الذى امتاز به على جميع الاديان !!!

لقد كنت اظن ان ضلال هؤلاء المسيحيين القاديانيين قد وقف عند حد لا يتجاوزه : هو دعوى ظهور المسيح والمهدى المنتظرين وان هذه الدعوى ستموت ويخجل أهلها منها بظهور كذب مسيحهم فى دعواه انه ابطل الحرب والجهاد من الارض ، واستبدل بهما السلم العام وقد ادعى البهائية عين هذه الدعوى ، اذ كان كل منهما يتوهم ان أوروبا تبنت ذلك .

تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

ثم كذبت أوروبا الدينين الجديدين بحرب طرابلس الغرب ، وحرب البلقان ثم بالحرب العامة ولم يسبق لها نظير فى تاريخ العالم باتساع شرها وعظائم ضررها (9) .

ولكن ظهور كذب دعوى البها والقاديانى لا يرجع من قلدوهم تقليدا اصم أعمى ، كما ان تكذيب السواد الاعظم من المسلمين والنصارى لدعواهم لم يمنعهما من الاصرار على ادعاء هداية أهل الدينين وتغيير حال الارض . اهـ . كلام صاحب المنار » . اهـ

هذا ما جاء فى الشهاب فى موضوع الاتصال بالمبتدعة .

(9) كتب هذا المقال عام 1345 هـ (1927 م) ثم قامت الحرب العالمية الثانية فانست بفظانها وضحاياها أهوال ما وقع فى الاولى .

ونلاحظ ان العليويين سكتوا فلم يتبرءوا من تهمة الاتصال بالقاديانية
- كما شهد عليهم الاستاذ محمد سعيد الزاهري - كما انهم لم يدافعوا عن
(أصحابهم) القاديانيين .

والحق اننا بمراجعة اشعارهم وأقوالهم المسجلة والمنشورة نجد نفس
ما يدعيه القاديانية من استمرار الوحي اليهم واتصالهم - مباشرة - بذات
الرحمن وتلقى القرآن منه أو من اللوح المحفوظ ، وقد استعمل في اشعارهم
نفس لفظة الوحي بل ادعى شيخهم بان العارف لا يسمع الا كلام الله !
فالصلة المبدئية لا شك فيها - واما الاتصال بالمراسلات ونشر المقالات فالظن
فيهم انهم اغتروا بثناء جاءهم من (الشرق) فحسبوه من اخوان مسلمين
فنشروه وهم يجهلون حقيقتهم ، ولو عرفوهم على حقيقتهم ونكرانهم لختم
الرسالة لتنكروا لهم فهذا هو الظن بهم .

وما زال أكثرنا يهتم أعظم الاهتمام بكل ما يأتي من (الشرق) ، ويسلم
له ويحتقر بضاعة الوطن ولو فاقت وراقت ! ويعرض عنها .



الباب الثانى

الاتصال برجال الكنيسة

التهمة بالاتصال برجال الكنيسة واعتناق آراء شبيهة برأيهم فى طبيعة المسيح - عليه السلام ، ونيل الرضى - بهذا - من فرنسا وحكامها - مما كان يتهم به القوم ، وشيوخهم ، كان هذا قبل الاستقلال ، وظهرت علامات له حتى بعد الاستقلال .

ان هذه التهم من اشنع ما كان يرمى به « القوم » وما انتشر عنهم فى المجتمعات والجرائد ، ولم تكن التهمة اعتباطا ومجرد اشاعة ، وانما كان عليها ادلة ، وشهد بها شهود لم يكونوا من الخصوم ، وانما كانوا من المحبين ، ولم يريدوا بهم شرا وانما ارادوا بها لهم خيرا ، فكان من الواجب الاهتمام بها لانها تمس الصالح العام .

الفصل الأول

المجلة الأهلية تفضح الاتصال

من هذه الشهادات ما نشرته مجلة فرنسية اللسان هى (المجلة الاهلية) فى عدد نوفمبر - ديسمبر 1927 م ، بقلم صحافى ينشر بها تحقيقات هو : ج . هبروسبت بيرابيس .

وقد ترجم المقال الاديب الكبير الاستاذ عبد الرحمن حساني - وكان يتقن اللغتين العربية والفرنسية ، ويشغل بالترجمة مقسما على الأمانة فى النقل -

وباعثه على الترجمة المصلحة العامة ومعرفة ما يقولون عنا ، ولذلك نشره الشهاب وقال فى تقديمه (بعث الينا بهذا المقال الأديب السيد عبد الرحمن حساني ورغب منا ان ننشره فى باب (ذكر الرجال بالأعمال) فنشرناه حسب رغبته) .

والأديب المذكور من خريجي - مدرسة الشيخ ابن باديس ونبغاء طلبته، وكان من أوائل المشتغلين بالتجول باسم الشهاب والكتابين فيه ، وهو من عائلة كريمة فى مدينة (قالمة) تخرج أخ له من الأزهر ، واضطهد بعد رجوعه . وكان أخوه السيد عبد الله حساني عمدة الحركة الاصلاحية فى مدينة قالمة ورئيس شعبة جمعية العلماء بعد تأسيسها ، ونعم المدرب لشبيببتها ، لقينته عام 1937 م ، وتعلمت منه بعض تجارب الحياة .

نشرت ترجمة المقال فى عدد الشهاب 142 الصادر يوم الخميس 21 شوال 1346 هـ - الموافق 12 أبريل 1928 م . وهذا نصه بعنوان كاتبه :

ذكر الرجال بالأعمال :

الشيخ سي أحمد بن عليوة

- الم رابط العصرى وصديق فرنسا -

كنا طلبنا - فى محادثة سابقة ان تقلد المدام (أوريلي التيجانى AURÉLIE TIDJANY) وسام الشرف فهى أيم الاخوين رئيسى الطريقة التيجانية الموالية لفرنسا ، تلك الطريقة التى جندت لفرنسا زمن الحرب جيوشا متطوعين . وهى المرأة التى أعطت للاستعمار المئات هكتارات من الارض ، وأدارت أعمال رئيسى الطريقة (ومن جاء بعدهم ادارة عادت بالنفع الجسيم على الدولة .

واليوم بعد الاياب من الجولة التى جعلناها بقصد دراسة أحوال القطر الجزائرى يجب علينا ان نشئ على همة الزعيم الدينى لكبير محب التقدم وصديق فرنسا الشيخ سي أحمد بن عليوة المستغانمي .

فهذا العالم الروحي العظيم يبت فى أتباعه - وهم يفوقون المائتى ألف فى سوريا ، واليمن ، ومصر ، وطرابلس ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب (10)

(10) مثل هذا العدد مبالغ فيه ولا شك ، وهو من تهويل الدعاية العليوية لبيان أهمية الطريقة وانتشارها .

— حب بلادنا (فرنسا) على قلة المرابطين المسلمين الذين يؤيدون فرنسا (11)
بتأثيرهم الادبي . فلا غرابة اذا نحن مدحنا كل من كان مواليا لسياستنا .
وهذا الشيخ ابن عليوة من أصل وضيع ، قضى أعواما طوالا في دراسة
العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا (12)، ولما آب الى الديار الجزائرية
لم يكن يبت في أتباعه روح التعصب بل كان هو المثال الاعلى للتسامح .
وان نظرة واحدة في حال الشيخ تدلنا على سعة فكره وفسحة صدره
فهو يدارس قسيسا كاثوليكيا بجيرفيل (البيض - وهران) ويبحث معه في
الوسائل السهلة الاستعمال لمزج أرواح المسلمين وارادتهم بأرواح المسيحيين
وارادتهم .

إعجابه بالمسيح وبالإنجيل

وهو معروف لدينا بشديد إعجابه بالمسيح والانجيل (13) . وهذا ما أخذه
عليه المتحمسون الاقدمون المتعصبون . وهو لا يشتغل بالسياسة (14)

(11) لم يكونوا قلة وخصوصا في المغرب والجزائر وتونس ، ولا يعتبر
ابن عليوة شيئا مذكورا بجانب عبد الحى الكتانى بالمغرب ، الذى كان يأمر
وينهى فينفذ مراده .

(12) وهذه مبالغة في اثبات درجة الشيخ العلمية ، وهو نفسه يحقرها ويدعى
هو وأتباعه ان علمه (لدنى) لم يكتسبه بالدراسة وانما تلقاه (وحيا) من
الله مباشرة كما هو موجود في كتابه في التفسير ومن نص كلامه نفسه .

(13) كل مسلم لا يصح منه الاسلام الا اذا آمن بالمسيح عليه السلام انه
عبد الله ورسوله أنزل عليه الانجيل قبله ، وأحل لبنى اسرائيل بعض
ما حرم عليهم في التوراة . لكننا نختلف مع النصارى الكاثوليك وغيرهم في
طبيعة المسيح فهو عندهم اله ، أو جزء من اله ولا يقبلون بحال أن يعترفوا
أنه (عبد الله) ويسهل عند معتقد الحلول أو وحدة الوجود ان يستسيخ بعض
معتقداتهم اذا كان يعتقد أنه هو نفسه الله ، وليس سواه . وأبعد الناس عن
التعصب علماء المسلمين حقا، فالله عندهم كرم بني آدم وأوجب الحق والعدل
والاحسان .

(14) اذا كان يدعو أن يكون حب فرنسا من الدين ، ويرضى ما تعامل به
المسلمين من قهر وظلم واضطهاد فهو محمود ، لا يشتغل بالسياسة . أما اذا
كان يضع في صدر صحيفته الحق والعدل والمآخاة في اعطاء جميع الحقوق
للذين قاموا بجميع الواجبات فهو مشتغل بالسياسة وتجب مضايقته . هذا
هو منطق الفرنسيين وسياستهم . وهو الذى أدى الى طردهم شر طردة
والحمد لله .

ويحرر صحيفة عربية الغرض منها تلقين العامة الثقافة الروحية ، وهي تطبع بمطبعة مستغانم تحت اسم التقدم الجزائرى (15) .

ودعاية الشيخ تعتنى بتقريب المعارف لاذهان البسطاء ، وحركته تمتد فى الاوساط الفقيرة والاوساط العاملة وهو يقبل أحيانا الهدايا (ولكن شئ مستغرب من مرابط لا يطلب الزيارة) . وهو يعيش من ايراد املاكه البسيطة ومن انتاج الخاصة نقية لا يسلك فيها طرق البذخ ، بل يآثر الزهادة .

وناهيك بزاوية مستغانم فهى مضادة بالكهرباء ، وفيها تلقى دروس علمية بالاساليب الحديثة ، وعلى اللوحة السوداء ، لا ترى بالزاوية أثر البذخ ، ولا الابهة ، وهى مبنية بايدى اتباعه الحازمين ، ولقد ابتعد الشيخ عن فخفة سابقه من المرابطين ، وأراد ان تكون زاويته مفيدة وبسيطة جدا .

وابن عليوة هو الشيخ الوحيد الذى أسس زاوية بفرنسا وله فيها قاعة للصلاة واجتماع اخوانه بباريس فى شارع سان جرمان عدد 28 .

وبالزاوية مقدم وبعض اتباع الشيخ المخلصين كان التأثير الشافى على قسط وافر من العمال المسلمين المنتشرين فى الدائرة الباريسية ينتشلونهم من شرور الكحول والفجور .

وبالقطر الجزائرى توصل الاخوان العليويون ان يهذبوا جما غفيرا من برايرة القبائل والبيبان ، وبابور ، وبثوا روح الاستقامة فى كثير من سراق المواشي قبلا ، وكسروا شررة نفوس أولئك الافراد الذين كانت تدب جنادح شرهم سابقا .

استحقاقه للمكافأة :

واينما كان العليويون يقل عدد السارقين من الاهالى وأخيرا فان اتباع ابن عليوة يضايقون الطريقة الرحمانية ببلاد القبائل ، تلك الطريقة التى

(15) علق الشهاب هنا بقوله : البلاغ هى صحيفة الشيخ ابن عليوة اما التقدم فانها ل : م . بنتامى اه . ولم تكن سياسته مرضية وهو الذى قدم جريدة « البرق » للمحاكمة وطالب بارجاع قانون (لانديجينا) ، وكانت « التقدم » على صلة حسنة بالعليويين ، وسيئة بالمصلحين .

تثبت دعاية ذات شبهة . ولا يخفى ان الطريقة الرحمانية فى فرعها الممتد ببلاد القبائل كانت افتضحت بأعمالها فى الفتن والثورات المستعرة ضد فرنسا (16)

فنظرا من هاته الوجهة يجب على الولاية العامة بالقطر الجزائرى ان تجل اخوان ابن عليوة وتحترمهم . ولكن بعض الشيوخ من الطرق الاخرى العتيقة يفترون على العليوية ويمشون أكاذيبهم فى الاوساط الاهلية ، وذلك حسدا للرجال الذين يستقلون عن سلطتهم الروحية وينزعون طاعتهم عن رقابهم . يتعين اذا أن نعرف قراء «المجلة الاهلية» بالمرابط المستغانمى وبمرمى عمله .

ان فرقة الاشراف تنعى على ابن عليوة كونه ليس من أصل قرشى وتسخر به انه كان حذاء ولكن غاب عن ذهنهم ان السلاطين لم يكونوا قرشيين ، وتاريخ الفلسفة الاوروبية يعد حذاء فيلسوفا روحيا عبقريا وهو جاكوب بوهان (17) .

(16) كانت الطريقة الرحمانية فى بلاد القبائل تقوم بدور هام فى نشر الثقافة الاسلامية العربية والمحافظة عليها ، وكان لبعض زواياها نظام جمهورى بأتم معنى الكلمة حيث يتولى الطلبة شؤون تعليمهم وغذائهم تحت اشراف علماء الشريعة الذين يحصلون على علمهم بالدراسة الطويلة والاجتهاد الكبير ، وفيهم علماء كبار درسوا القرآن رواية ودراية وكتب الفقه والتفسير والحديث والعربية : النحو والصرف والادب ، والفلسفة الاسلامية : المنطق والتوحيد ، والرياضيات من حساب وهندسة وميقات الخ . وقد أشار الى اسماء بعضهم العلامة الشيخ أبو يعلى الزواوى فى بعض مقالاته - وهو منهم فهؤلاء لا يقبلون قطعا دجل ابن عليوة ودعاويه التى على رأسها ان علمه علم أهل الحقيقة ، لا ينال بالاكْتساب وانما ينال بالرياضة والوحى ! لهذا انضم أكثر علماء القبائل الى الحركة الاصلاحية وأيدوها وكانوا مع الثورات الاسلامية التى رفع أهلها السلاح ، وهذا ما يشكو منه هذا الكاتب . والطريقة الرحمانية او (الخلوتية) هى أوسع الطرق انتشارا بالشرق الجزائرى والشمال ، وربما تكون أكثر الطرق اتباعا وهذه شهادة تشرفها ولا تشرف من سبقت له وكان للشيخ ابن باديس - فى أول أمره اتصال بـ « اخوانها » يريد - بلا شك - أن يؤثر فيهم ويكتسبهم ، وهذا ما لم يفهمه بعضهم ، ومن أهم معاهدها العلمية أيضا معهد الهامل ، ومعهد طولقه ، ومعهد وادى سقان لكنها لا تشارك فى الثورات . (17) لم يحتقر المسلمون أحدا منهم لمهنته أو ضعة أصله ، ان أبا حنيفة كان بزازا وهو أكبر أئمتهم المجتهدين ، وكان كبار العلماء من المسلمين ذوى مهنة واحتراف . ولكن ابن عليوة لم يكن فى كبار العلماء ، وانما كان يزعم ان له علما لم يكتسبه ، وانه به يتقدم على غيره ، وانه بحث عن نفسه فوجد نفسه هو الله ، وليس سواه ! تعالى الله .

اطراء بمعلومات فاسدة :

والفضل يثبت لابن عليوة - وهو من أصل وضيع - بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية وهو اذ ذاك فى العقد الرابع من عمره وقضى عشر سنوات حتى برز فيها (18) .

والغوغاء تتناقل اساطير عن الشيخ مكذوبة . ومن ذلك انه كالحلاج الذى مرق ببغداد يقول : انه هو الحق ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية . . . الخ . ولكن استفدنا من الارشادات التى اعطيت لنا من اوروبيين عاشوا فى كنف الشيخ وصادقهم وصادقوه ان ما يقال عليه محض خرافة أجاد صوغها الخيال الشرقي .

ابن عليوة مسلم متسامح روجي سني تلقى مبادئه من الشاذلية ، وعلى الخصوص استأذه الشيخ حمو المدعو أيضا السيد محمد البوزيدي الصوفي المشهور .

ثم ان الشيخ ابن عليوة صوفي عقيدته ، روحية تواترت عن علي صهر النبي وهو : كل شيء من الله ، ويعود الى الله ، ولا موجد فى الحقيقة إلا الله . وهى عقيدة الأساتذة الروحانيين المشهورين فى الاسلام مثل محيى الدين ابن عربي الذى استقى من مؤلفاته (دانت) وكأمثال الغزالي (19) .

يقول الشيخ ابن عليوة ان الانسان الهى بروحه يجب عليه ان يظهر هذه الشعلة الربانية التى كثيرا ما يدنسها العقل بالمادة وهى عقيدة المسيحيين من قبل . من دولا كروا والقديسة تيريز .

(18) هذه دعوى لا برهان عليها ولا يعترف العليويون ان علمه مكتسب !
(19) علق المترجم على كلمة (دانت) بقوله : عالم روجي طالياني ألف كتابه المشهور (الكوميديا الالهية) ويقال انه انشأها على اثر قراءته ترجمة رسالة الغفران للمعري) اه . ثم ان مذهب وحدة الوجود من المذاهب المبتدعة ، وهو أجنبى عن الاسلام كفر العلماء معتقديه ولا تصح روايته عن علي كرم الله وجهه فضلا عن وصول الرواية الى حد التواتر، واذا جاز ان تجوز على هذا (الصحافي) هذه الخرافة فيجعل هذا المذهب عقيدة الروحانيين المشهورين فانها لا تروج على العارفين بالاسلام ، وبمذاهبه وعلمائه . واذا كان ابن عربي حقا من اصحاب مذهب وحدة الوجود فان الغزالي حجة الاسلام من علماء الاشاعرة ولم يعده احد من اصحاب الحلول .

وابن عليوة - كجميع المعلمين الروحيين يريد ان يوقظ القلوب ، ويقود الارواح فى الطريق المستقيم ، يقول بوحدانية الله ، وبالاخوة الصادقة بين الناس ، يأمل ان يشاطره أشقياء العالم وضعافه احساساته وتهيجاته الحادثة من حياته الروحية الداخلية وهو ليس بجاهل متبلد ، فان كتبه تشع روحا رفيعة وهى مكتوبة بأسلوب جلى كما اعترفت له بذلك مجلة العالم الاسلامى .
ولقد وشى بابن عليوة المفاتى وسكان مدينة الجزائر واتهموه بالميل الى الشيوعية وهذا كله ليبغضوه للسلطة الفرنسية .

ونحن نعلم ان الطريقة العليوية تقول بوجود الطبقات وتدعو الى الطاعة لاولى الامر الشرعيين (20) والى احترام العوائد والقوانين وتنتهى عن كل ضغط وتآمر بالاستسلام .

وان ادارة الشؤون الاهلية تحققت منذ زمن قديم ان هذه التخرصات وأمثالها فى حق الشيخ ابن عليوة محض سخافة ، وهى ترتاح للاجتماع الذى يعقده الشيخ ابن عليوة لآخوانه بالجزائر فى شهر اكتوبر من كل سنة ، وفى ذلك الاجتماع يجرى البحث فى المسائل الدينية والادبية والاخلاقية باللغة العربية والفرنسية ، ولا زالت الجرائد العربية والفرنسية تعطينا تفاصيل عن ذلك الاجتماع .

وجميع الزائرين الذين لهم اهتمام بالمسائل الاجتماعية يعلمون ما قدمنا ولقد رأينا من المحتم ان نفصله للجالية المعمرة .

ان انشاء طريقة فى القرن العشرين تحت رئاسة مرابط عصرى محسوب للرقى وفرنسا قادر على خدمة قضيتها الكبرى خدمة جليلة من ائتلاف العناصر الاسلامى بالفرنسى فى امكانه ان يرقى مستوى الامالى الادبى وان يجتث منها الاهواء السيئة والاغراءات الشريرة ، ان انشاء طريقة هذه حالها ليعد حادثا ذا أهمية عظيمة .

(20) هذه شهادة رائعة فى حقهم ! ان يعتبروا سلطة فرنسا سلطة شرعية ومع ذلك فهو يقول : انهم لا يشتغلون بالسياسة ! شهادة لا تعد لها شهادة : محب لفرنسا قادر على خدمتها ، يجتث الاهواء السياسية من شعبه ، والاغراءات الشريرة ! وما هى ؟ كالدعوة للثورة والاستقلال مثلا ! أليس ذلك شرا عندهم ؟!

وبقدر ما نسلق بالسنة حداد المراطين ذوى الاغراض السيئة مثل
سى عزيز رئيس الثوار فى عام 1871 يجب علينا ان نشجع ونؤيد الحركة التى
يقوم بها المراطون المحبون للخير الاذكياء مثل ابن عليوة فهم - اذا احسن
استعمال تأثيرهم - خير اعوان عاملين فى سبيل الترقى الادبى فى الاوساط
الاهلية وفى سبيل المسلمين فى افريقيا الشمالية .

ج . هـ . بروست بيرابن

عن المجلة الاهلية ، عدد نوفمبر - ديسمبر 1927 م .

الفصل الثانى

أصحيح هذا أم باطل أم مبالغ فيه ؟

قد يتساءل المرء - بعد قراءة هذا المقال للمجلة الاهلية ، عما ورد فيه :
أصحيح هو أم باطل أم فيه مبالغات ؟

والذى يظهر للباحث المنصف ان فيه صحيحا واضحا وفيه باطلا فاضحا ،
وفيه ما يحتاج الى توضيح ممن تناوله الكلام ، وتصحيح بالنفى أو الاثبات
فهل وقع شئ منه ؟

أول ما نلاحظه على كلام المجلة الاهلية أنه رفع درجة الشيخ العلمية فادعى
انه «قضى أعواما طوالا فى دراسة العلوم العربية بالقاهرة ومكة وسوريا» وانه
« بدأ دراسة العلوم الادبية والكلامية والرياضية، وهو اذ ذاك فى العقد الرابع
من عمره، وقضى عشر سنوات حتى برز » .

ان صحافيا آخر من الفرنسيين - هو محرر الديبش القسنطينية - نسب
اليه ما يشبه هذا، وجعل مدة الطلب ثلاث سنوات فقط، ولكنه حصر طلبه
(العلم) فى نوع خاص منه .

والذين كتبوا عن الشيخ من الجزائريين ، وعرفوا حياته فرووها - سواء
منهم المريدون والاصدقاء المعجبون أو الخصوم المعادون - لا يلصقون بالشيخ
مثل هذه (التهمة)، تهمة رسوخ قدمه فى العلم !

وهي نقطة الضعف فيه يستترها محبوه ، ومقتل من مقاتله يأتيه منه خصومه .

فالشيخ سعيد الزاهري يعلن انه يعرفه شخصيا ويعلم عنه انه يكاد يكون أميا ، لا يتصور منه ان يؤلف في تفسير القرآن ، كما نشر عنه انه ألف تفسير سورة « والنجم » فوق في كلامه من مذاهب النصرانية ما يؤاخذ به . ونسب الشيخ الزاهري تأليف ذلك التفسير الى حركة التبشير ، ودسته على الشيخ بدليس على المسلمين ، وإن ما صدر عن الشيخ من أشعار في الديوان ، ومن شرح لمتن (المرشد المعين) ليؤيد ما ذهب اليه الزاهري من قصوره في التأليف وضعف منزلته في العلم .

وحتى من شهدوا له من الأنصار والمحايد في كتاب « الشهادت والفتاوى » لم نجد أحدا منهم أشاد برحلاته العلمية ، ودرجته السامية ، وإنما شهدوا له بصحة عقيدته ، واجتهاده في العبادة والذكر ، واحسانه في التربية والسلوك لمريديه . ولو كانت له رحلات الى المعاهد الاسلامية العالمية ، الخاصة منها أو العامة في عواصم البلاد الاسلامية لنوهوا بها ، وأشادوا بذكرها . وقد صرح المترجمون له ان ما عنده من علم لم يكن باكتساب وتحصيل ، وإنما كان بفيض من الله على قلبه من العلم « اللدني » الباطني .

وهذا ما أشار اليه الاستاذ الطاهر برقة في مقدمة لكتاب « البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور » جاء في مقدمة الاستاذ برقة ان « سر الحقيقة في القرآن كما تتجلى في قلوب أهل العرفان (21) ، ولا يتوصل اليها الا الراسخون في العلم من عباد الرحمن الذين امدهم بفيض من بحر القرآن بعد تحققهم في مقام الاحسان ، أولئك الخواص المحمديون الموسومون في الآية الكريمة بقوله : « فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمةً من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » ذلك العلم الذي اخذ منه الأستاذ قبساً لعلكم تسطلون بنوره (22) .

(21) كتاب منسوب الى الشيخ ابن عليوة قال انه أملاه على كاتبه السيد صالح التلمساني الذي فرغ من كتابته بخطه عام 1934 وطبع بمطبعة العليوية في مستغانم عام 1982 م .

(22) مقدمة الكتاب المذكور - الصفحة الاولى تحت عنوان « مقدمة التفسير »

وهو ما يؤخذ أيضا من قول هذا الاستاذ فى مقدمة الطبعة الاخيرة من ديوان الشيخ الصادرة فى مستغانم عام 1982 م ، محتجا على ان علمه فيض من العلم « اللدنى » بقوله تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فى الْآفَاقِ وَفى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ » (23) .

واصرح من هذا ما جاء فى مقدمة التفسير المومىء اليه منسوباً الى الشيخ نفسه بأن له حظاً وافراً من هذا العلم الفيضى اذ يقول : « **والحمد لله اطلعني الله على البعض من جواهره** » (24) ، ويقول فى الذى يتلقى القرآن ببصيرته : « يراه الآن ينزل به **الروح الأمين** ، واذا قرأه يقرأه من **إمام مبین** ، وأعظمهم درجة من تلقاه من **ارحم الراحمين** ، وقليلٌ ما هُم ، ولا تستبعد ذلك فان الكلام كلام الله (25) » .

وهذا كلام فى درجة عظيمة من الخطورة ، لانه يحذف واسطة النبىء (ص) فى تبليغ القرآن ، وانما وصل اليها القرآن بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه يجعل درجة أعظم هؤلاء فوق درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقرأه من اللوح المحفوظ « من امام مبین » أو يتلقاه - مباشرة - من الرحمن الرحيم فى زعمه !

ان القرآن الكريم انما جاءنا بواسطة رسول الله بلغه اليه جبريل الامين رسول الوحي من الله الى عباده المرسلين. يقول الله تعالى : « **وَإِنَّهُ لَكُنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ** » فالرسول انما تلقاه ولم يقرأه فى اللوح المحفوظ ، وقد قال له الملك فى غار حراء : « اقرأ ، فقال ما بقرارى اى لا احسن القراءة ، ولم تكن أميته قادحا فى رسالته بل كانت آية صدقه الكبرى » .

ولما كان الصحافى الفرنسى يكتب بعقلية قومه الاوروبية التى لا تتصور « عالماً » كبيراً ، له تأثير ساحق على مئات الالوف - فى زعمه وزعم أصحابه - فانه اخترع له دراسة طويلة ، ورحلة دامت فى عواصم الاسلام عشر سنين ! فلعل هذا من باطل ما جاء فى المقال .

(23) مقدمة الديوان .

(24) مقدمة التفسير ، ص 20 .

(25) مقدمة التفسير ، ص 18 .

ومن الملاحظ أيضا ان صاحب المقال اعتبر ما نسب الى الشيخ - من القول بمذهب الحلاج في الحلول ، وانه يرى اتباعه مناظر سحرية - من قبيل الاساطير المكذوبة التي تناقلتها الغوغاء ، واستشهد على بطلانها بما اعطى له من ارشادات من أوروبيين عاشوا في كنف الشيخ . وانها خرافات أجاد صوغها الخيال الشرقي .

وهذا دفاع باطل ، وكان بإمكانه - لو لم يكن متحيزا - أن يتحقق صحته أو فسادة ويبرهن عليه ، لكن غرضه ان يبرر حصول الشيخ واتباعه على مكافأة فرنسا ودولتها :

ان القول بالحلول - كقول الحلاج أو أكثر كالقول بوحدة الوجود - ثابت شائع في كلام الشيخ واشعاره التي كانت رائجة في الاسواق ، ومنها البيت الشهير :

فتشت عليك يالله لقيت روعي أنا الله

رواه الشهاب في كلمته الصريحة .

ولنفرض ان هذا البيت - الذي شهد بوجوده في الديوان المطبوع بتونس عام 1920 م ، شهود كثير لا يتطرق الى عدالتهم في الرواية شك كالشيخ ابن باديس ، والشيخ العقبي وجلة من علماء المغرب وكتاب الجزائر ومنهم السيد توفيق المدني - على حد قوله ان صح - وهو من أرف الناس بالشيخ - لنفرض انه لم يقله لعدم وجوده اليوم في ديوانه - فان في هذا الديوان - الذي طبع اليوم خمس مرات - كثيرا من مزاعم الحلاج واقواله ، ومنها قوله الشهير : « ما في الجبة الا الله » يعني انه « هو الله » .

وفي مثل هذا يقول ابن عليوة في الديوان - وهو موجود فيه حتى الآن : « سره في جمعنا - خمره في كأسنا - علمه في نطقنا - تالله لسنا سواء » (26)

ويقول في نفس هذه القصيدة :

من زالت عنه الستور لا يرى ما سوى الله

واما قضية المناظر السحرية، فانها نتيجة « الخلوة العليوية » التي لا ينكرها هو ولا مريدوه ، بل يعتبرونها من لوازم بلوغ درجة الكشف عندهم وارتفاع الحجب والوصول الى علم الغيب والبرهان على القبول . وقد شهدت بوجودها مقالات المشائخ المنتقدين ، ومنهم الشيخ العربي التبسي الذي انكر شرعيتها ، وطالب بالبرهان عليها ، وقد وجد من يجادله منهم ويحاول ان يجعل لها سنداً، ونشر جداله في جريدتهم .

فدفاع الصحافي عنه بانكار هذا لا يجديهِ ولا يدفعه عنه . وقد نسب اليه الصحافي أقوال الصوفية القائلين بوحدة الوجود كمحي الدين ابن عربي وأمثاله من كبار علماء الروح كما قال .

وقال عنه : « ان عقيدته أن الانسان إلهي بروحه .. وهي عقيدة المسيحيين من قبل من جان دولاكروا والقديسة تيريز » وانه يداوس قسيساً كاثوليكياً بيجريفييل ويبحث معه في الوسائل السهلة الاستعمال لمزج ارواح المسلمين وارادتهم بارواح المسيحيين وارادتهم وهو معروف لدينا بشدة إعجابه بالمسيح والانجيل

هذه الاقوال مدحه بها، لكن الشيخ يتضرر من صدقها اذا صدقت . وقد أثبتت ذلك جريدة (البلاغ) وشكت منه ، وكان قد صدر من الاستاذ الزاهري اتهام بشبهها وقدم له سؤالاً يطلب الجواب منه ، غير ان الشيخ ومريديه أبسوا ان ينطقوا بما يفيد البراءة أو الاثبات رغم إلحاح الخصوم في طلب الجواب .

وانما انتقدوا (الشهاب) انتقاداً مرا لانه نقل هذا المقال عن (المجلة الاهلية) واتهموه بانه يحاول ان يشوه سمعة الشيخ واتباعه ، وكما جاء في المقال بقلم الصحافي الفرنسي - انه مستخدم للحكومة ، وانه وضع الاصل ، وانه غير سالم العقيدة .

وقد أجاب الشهاب عن النقطة الاخيرة - وهي عدم سلامة العقيدة بقوله : « اذاً، فقد أدرك هذا الكاتب أن ما في تلك المقالة ليس من سلامة العقيدة ، واذا كان من حقه أن يسعى لدى جناب الشيخ في نفي ذلك وتكذيبه والبراءة منه ، وكنا نحن ننشر ذلك في صفحات الشهاب خدمة للحقيقة وحبا بانصاف .

واذا كان قصر هو - يعنى الكاتب - فى ذلك فنحن ندعوه اليه ونحثه عليه ، فائنا لا نحب ان يبقى ذلك الذى اعترف الكاتب أنه ليس من سلامة العقيدة ملصقا برجل من عامة المسلمين فضلا عما كان بمنزلة جناب الشيخ - ها نحن بالانتظار - اه - وطال الانتظار .

الفصل الثالث

سكوت مريب

وقد كان ابن باديس وغيره فى انتظار مثل هذا التكذيب ، ولكنهم لحقوا جميعا برهيم ولم يقع ، ذلك لان التهمة به واقعية ، والصحافى الفرنسى كتب فى ذلك عن علم ومعرفة مما يعتقده مفيدا للشيخ وطائفته عند قومه ودولته . ومن قبله وجه الصحافى الجزائرى الشيخ سعيد الزاهرى سؤالا الى جريدة البلاغ موضوعه يشبه ما نسب الى الشيخ من طرف المجلة الاهلية ونصه : « لماذا فسر شيخنا العليوى سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام وبما جاء فى الاناجيل ولم يفسرها بآيات القرآن الحكيم ولا بسنة النبىء عليه الصلاة والسلام » ولم يتلق جوابا عن هذا السؤال الذى شهد ابن باديس بانه :

« سؤال علمى بحث ، نرى حقا على الشيخ ان يجيب عنه ، وانتظرنا ذلك الجواب من حضرته راجين من ورائه فتح مناظرات علمية تفيد القراء وتكشف الحجاب لكل جانب عن قصد الآخر وتقرب أسباب المفاهمة وتظهر مكانة الشيخ للناس . هذا ما كنا ننتظر ولكن - ويا للأسف - لم يكن شئ من هذا ، فان الرصيفة لم تنشر كلمة واحدة عن هذا السؤال بل نشرت فى مفردات اسبوعها تشبه الزاهرى بالكلب والتعريض له بالقذف . (الشهاب عدد 144) »

أما الزاهرى فقد القى السؤال لإثبات تهمة الاتصال بالمبشرين والتآمر معهم ، وفى ذلك يقول عن السؤال الموجه الى البلاغ :

« سألتها هذا السؤال لأنى أعتقد أن مبشرا مسيحيا من المبشرين ب : « ابن الله » قد كتب هذا التفسير ثم أخرجهم للناس باسم الشيخ ابن عليوة الطرقي العصري ليفسد على المسلمين دينهم الحنيف . ذلك أن هذا التفسير

مكتوب بقلم مسيحي لا شك فيه وذلك بانى أعرف الشيخ ابن عليوة معرفة شخصية وأعرف انه لا يقرأ ولا يكتب الا قليلا فيبعد عندي ان يكون من رجال التأليف والتفسير ، وقد كنت أتمنى ان لو كذبت البلاغ نسبة هذا التفسير الى شيخها فتكون برأت نفسها وطاقتها من الدعوة « المسيحية الاسلامية » ونزهت شيخها من ان يكون - بين المسلمين - مبشرا من المبشرين بالمسيح « ابن الله » ولكنها مع الاسف لم تتبرا من هذا كله وسكتت عنه ، والسكوت قد يكون رضى واعترافا كما سكتت ولم تتبرا من قبل من جمعية المسيح أحمد القادياني « (27) وقد انكر ابن باديس على الزاهري رميهم بالتبشير المسيحي ، ولعل مراد الزاهري المبالغة فى الاثارة ليعلنوا براءتهم من الاتصال بالقس والمبشرين ، والتأثر بأقوال مسيحية تقرب فى اعتقادهم بين المسيحية والاسلام كما ترغب فى ذلك الحكومة الفرنسية والكنيسة وبعض الصحافيين ولكن لم يقع جواب .

براعة ابن باديس فى رد الكيد :

وقبل أن أختتم هذا النص أنبه الى عبقرية ابن باديس رحمه الله فى رد كيد الكائدين فى نحورهم فى براعة لا نظير لها .

فى المقال المترجم شهادة من الصحافي الفرنسي ومن الصحيفة الفرنسية بان ابن عليوة كان فى خدمة الحكومة وعونها ، وهذا مما يعلى درجته ويسارع فى استحقاقه المكافأة عنده وعندهم .

ولكن الامر ليس كذلك عند الشعب ، فان كل قريب من الحكومة بعيد منه ، ولهذا كان هذا (الاتهام) المضى من كاتب فرنسي من باب « وشهد شاهد من أهلها » .

وقد تنبعت الى ذلك صحيفة البلاغ فكان أول ما أخذت به الشهاب - مع ان الكلام ليس كلامه - بانه يريد ان يشوه سمعة جناب الشيخ بانه « مستخدم للحكومة » .

هذه تهمة خطيرة فى تلك الايام - يمكن اذا ثبت على الشهاب - بانه ضد من يستخدم فى الحكومة ويعد ذلك سبة فيه - قد تسبب له اضرارا فادحة منها ان يعطل .

(27) الشهاب ، عدد 138 ، الصادر فى 9 رمضان 1346 هـ - 1 مارس 1928 م

فكيف أجاب ؟ انه قلب الامر على الخصم فقال عن كاتب البلاغ :

« ثم عد مما يشوه سمعة جناب الشيخ أنه مستخدم للحكومة ! واعجبا لهذا الكاتب ! كيف يعتقد أن خدمة الحكومة تشوه سمعة صاحبها ؟ فهل هذا هو رأيه في جميع المستخدمين ؟ (عدد 144 من الشهاب) .

هذه بلا شك - براعة نادرة في قلب التهمة ورد الكيد، اما ان يعترف الكاتب أو ينكر .

الفصل الرابع

حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة

قد يتطلع القارئ الى معرفة حقيقة شعور ابن باديس نحو من يستعمل الدين لخدمة حكومة فرنسا التي تسلطت على وطنه وعملت بكل قواها لقهر أمته وخراب دينه ، وأنا لا أبخل عليه بما يعرفه بحقيقة الامر .

لقد أخذ عليه العهد استاذة ومربيه الشيخ حمدان الونيسي الا يقبل وظيفة من الحكومة وان لا يجعل علمه سلما لخدمة الوظيفة ، لما في ذلك من معاونتها وفقدان حرية التعبير ومداهنة المستعمر فضلا عن « خدمته » وهذا ما كان يؤمن به ويعمل لغرسه في تلاميذه .

وذلك أنه لما شغل منصب الافتاء في مدينة سطيف واستعدت الادارة لاجراء امتحان لعمارتها - زينت النفس الأمانة بالسوء لأحد كبار تلاميذ الشيخ محمد البشير الابراهيمي النجباء وأحد أركان الإصلاح في مدينته ان يشارك في الامتحان فاستعد له ، وقدم طلبا - ولو فعل لحصل عليه لا محالة اذا كانت الكفاءة العلمية هي الحكم وهو الكفاء لها .

ولكن ظهر له - في آخر لحظة - ان يعرض الامر على الشيخ عبد الحميد ابن باديس ويستشير فيه ، فذهب اليه وشرح له الامر ، وطلب منه ان يبدى له ما عنده . فأجاب به جوابا غليظا تركه مبهورا اذ قال له ما فحواه : « لان

تتكسب بحماية مومس خير لك من التكسب بمثل هذه الوظيفة» أو قال له اذهب وافعل ذلك خير لك . فكان ما سمعه كلمة الفصل (28) .

واشتغل بعمل تجاري بآرك الله له فيه ، واستمر فى عمله الاصلاحى فاحتل مكان قيادة الحركة فى مدينته ، وبلغ الذروة فى القيادة الشعبية بعد الاستقلال ، وما زال - والحمد لله - حيا يرزق (29) .

من هذا نعلم شعوره الحقيقى نحو من يسخر دينه لخدمة عدو دينه وشعبه ، وانما اراد بما قاله لكاتب البلاغ رد الكيد فى نحره !

(28 - 29) هذا الشيخ هو صديقنا الاستاذ المطاعى « مزعاش الطيب » ، وكنت قد كتبت من الذاكرة الحادثة ثم لقيته يوم 30 مايو 1983 م فأكد لى ذلك وقال : « فاجأنى الشيخ بهذه الكلمة ، وكنت أعدها كبيرة جدا لما عندى له من الاحترام » . وبارك الله للشيخ المطاعى ، وقام فى مدينة سطيف بأعمال عظيمة قبل الثورة ثم هاجر الى تونس لما عزموا على اغتياله ، ثم انتخب بعد الاستقلال شيخا للمدينة فى السبعينات تحت راية الجمهورية الجزائرية . وما يزال فى خدمتها عزيزا .

الباب الثالث

الاتصال بالادارة الفرنسية الاستعمارية والتعاون معها

لم يكن الامر - فى الحقيقة - يختص بالطريقة العليوية وحدها وانما كان خطة سياسية انتهجتها الادارة الفرنسية ، وعملت لإدراكها . وان كانت لم تبلغ مع الطرق - عموما - ما بلغت مع هذه الطريقة بالخصوص فى محاولة التفاهم (الروحي) بين المسيحية فى طبيعة المسيح عليه السلام، وبين الاسلام عند القائلين بالحلول ووحدة الوجود .

الفصل الأول

هذا التعاون قديم من عهد روش

فى عام 1938 م ، نشرت جريدة (الهوبوليم) الباريسية لسان حال الحزب الاشتراكي آنذاك مقالا - عربته مجلة (الشهاب) ونشر تحت عنوان : ما يقولون عنا - جاء فيه ان الجنرال بيجو هو الذى خطط لاستخدام الاسلام لفائدة فرنسا بعد ان رأى أن المقاومة الشعبوية ما تزال متأججة باسم الدين ، ويرفع آياتها مشائخ الطرق ، ومنهم الأمير عبد القادر الذى كان أبوه محي الدين شيخ طريقة ، فقررت فرنسا ان تحتال فى جعل سلطتها من سلطة الدين ، ونجحت فى الموضوع ايما نجاح . «ويوجد نص هذا المقال فى مكان آخر من هذا الكتاب» ويؤيد هذا قصة جاسوسها الكبير (ليون روش) واعترافه الذى سجله فى كتاب ألفه تحت عنوان (ثلاثون سنة فى الاسلام) وقد نشر مقال عن ليون روش

وكتابه فى مجلة الفتح القاهرية ونقلته عنها جريدة (الشهاب) فى عددها 161 الصادر عام 1928 وقدمت به بكلمة ذكرت فيها أسباب اعدامها على نقله . ومنها (ما فيه من شهادته على شيوخ الطريقين) .

لقد جاء فى اعتراف ليون روش قوله :

« اعتنقت الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الامير عبد القادر دسيسه من قبل فرنسا ، وقد نجحت الحيلة ، فوثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له » (1) ثم ذكر انه استطاع ان يتصل بالعلماء (شيوخ مشايخ الطرق) فى الجزائر وتونسي ، ومصر ، والحجاز ، وان يسخر بعضهم لخدمة فرنسا وختم كلامه باعرا به عن احتقارهم واشمئزازهم من خيانتهم دينهم فقال :

« ان الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولو انه وجد رجلا يعلمونه للناس حق التعليم ، ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين واسبقهم فى كل الميادين .

ولكن وجد بينهم شيوخ يحرفون كلمه ، ويمسخون جماله ، ويدخلون عليه ما ليس منه .

وانى تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ فى القيروان والاسكندرية ، ومكة ، فكتبوا الى المسلمين فى الجزائر يفتونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين ، وبأن لا ينزعوا الى الثورة ، وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس ، وكل ذلك لم يكلفني غير بعض الآنية الذهبية ، اهـ . لم يكفهم - لشقائهم - ان يخونوا دينهم حتى قبضوا ثمن الخيانة ثمنا زهيدا من آنية الذهب وهى حرام استعمالها فى دينهم .

والحق ان تعميم هذا الحكم فى كل العلماء أو مشايخ الطرق لا يصح ، فقد أفتى علماء المغرب - كالشيخ التسولى وغيره - بوجوب استمرار الجهاد وبارتداد المتعاونين مع الفرنسيين ، كما رفع راية الجهاد عند كل ثورة كثير من هؤلاء المشايخ ، ومنهم الشيخ بلحداد وابنه الشيخ عزيز المساعد الأيمن للمقراني رحمه الله . وقد استحق الشيخ عزيز ذم المجلة الأهلية !

(1) ما زال المسلمون يؤتون من هذا الباب ، فقد بلغ الانقليزي عبد الله فليبي منزلة عظيمة عند بعض ملوكهم ، وخدعهم لورانس بلباسه العربى .

غير أنها بقيت خطة تلجأ إليها فرنسا وتعتمد عليها ، وانتفعت بها كثيرا كما صرح بذلك صحافي فرنسي . يعتب على دولته في استمرار دعمها لهؤلاء (الخلفاء) اذ يقول صاحب جريدة (لوكرى مروكان) في عددها 214 الصادر في 23 جويلية 1927 م ، « نعيم نحن لا نكذب في ان تلك القوة كانت لنا عونا فيما سلف أما الآن فغايتها مقصورة على اسعاب الشعب وتضليل افكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن » .

ولم يكف المتعاونين مع الفرنسيين منهم وساطتهم في اقناع الشعب بالاستسلام والخضوع بفتاوى شرعية كما صنعوا في عهد (ليون روش) لان الشعب لا يثق بهم في الموضوع ولا يجوز عليه ان ينصح الفرنسيون لهم في دينهم أو دنياهم ولكنهم تسفلوا الى الوشاية بمن يحاولون النهوض بالمسلمين، ويعملون لإنقاذ الاسلام من الدجل والخرافات والعقائد الزائفة الملصقة به .

يقول الأستاذ اليزيدي - من كتاب المغرب الاقصى في مقال له نشر بالشهاب عدد 90 الصادر 27 أكتوبر 1345 هـ (31 فيفري 1927 م) :
نفور الشعب من العملاء :

ان أرباب الطرق عندما يذهبون الى تلك القبائل يحلبون كل الحلب ان يواجهم بما مدح الحماية ، اذ انهم لو باحوا بذلك لفر منهم البرابر ، ولما حصلوا على مرغوبهم، وهو كما لا يخفى ملء كيو سهم ذهباً أو فضة

ويقول (مسلم غيور) يظهر انه الكاتب الكبير محمد غازي في مقال له نشر في (الشهاب) عدد 80 - 1345 هـ (1927 م) هذا نصه :

« كان قطرنا المغربي آخر من تأثر بالأفكار الحرة السلمية، فنبع فيه أفراد يعدون على الأصابع زاحموا إخوانهم على أنهار الصحف والمجلات، فقامت قيامة الدجالين من المشائخ، وأبرقوا، وأرعدوا، وهرعوا للوسوسة التي هي سلاح العاجزين .

افسحت هذه المجلة - يعني مجلة الشهاب - لبعض الشيبية الفاسية فنشروا على اعمدتها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الدين الاسلامي ، وشرح المفاصد التي انجرت له من رؤساء وأرباب الزوايا فرأى هؤلاء ان البلاء قد حاق بهم من كل جانب فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطر ادارة

الاستعلامات الى التوجه من وراء أفراد بعض الشبيبة » . الخ . ثم يقول :
« هذا آخر سهم فى كنانة الطريقين المشعوذين رُمى به كبيرهم فى هذه
العاصمة » .

ويعنى بالعاصمة مدينة فاس ، وبكبيرهم عبد الحي الكتاني ، عميد مشائخ
الطرق لا فى المغرب وحده ولكن فى كامل افريقيا الشمالية ، وكان هذا الرجل
بالمرصاد لكل نهضة سياسية أو دينية حتى انتهى به الامر الى التآمر ضد
السلطان محمد الخامس رحمه الله ، وفى الجزائر حاولت فرنسا به ان تكون
قوة دينية رهيبة ، فجاءت به ونصبت على رأسها لتقوم بحرب الحركة الاصلاحية
والنهضة الدينية وجاءت به الى مؤتمر اسلامي وقع بتونس عام 1949 م ،
وحضرت لقاء مع باي تونس وسمعت تطفلا منه لدى الباي - وكان محمد الامين
رحمه الله فزجره زجرا عنيفا (2) .

ولقد الحقوا - فى ظنهم - ضررا بليغا بالاستاذ محمد غازي الذي اشتكى
منهم فى الكلمة السالفة ، وفضحهم فضيحة كبيرة فى مقال علمي بديع نشرته
الشهاب له بعنوان « لا تخف انك أنت الاعلى » يخاطب فيه ابن باديس بمناسبة
العدوان عليه . والمقال منشور فى القسم الرابع .

وكان الاستاذ محمد غازي يتولى ادارة المدرسة الناصرية بعاصمة فاس .
فاستعمل عبد الحي نفوذه ، وأخرجه من الادارة ، بل نفاه من مدينة فاس .
ولم يكن قد مر من الزمن - على نشر مقاله - وقت طويل فقد نشرت الشهاب
فى عددها 99 الصادر فى 2 - 12 - 1345 هـ الموافق 2 - 6 - 1927 م نبأ
ما أصاب الاستاذ من شرهم تحت عنوان : « ما زادوه الا شرفا » .

« تحقق عندنا أن الاستاذ السيد محمد غازي صرفه مؤسسو المدرسة
الناصرية بفاس عن ادارتها وسعى بعضهم عند الادارة فى نفيه فضغظت عليه
الادارة ونفته الى بلدة مكناس (3) » .

(2) اثناء المقابلة اخذ عبد الحي يشنى على بعض شيوخ تونس من المقربين اليه
والى حكومة الحماية المفضوب عليهم من الباي ومن تونس فقال له : « نحن
أدرى برجال بلادنا - سيادتكم تعرف رجال بلادك ، واحنا نعرف رجال بلادنا »
فبهت .

(3) المراد بالادارة هنا حكومة فرنسا فى المغرب . والمسكرون لها . وكثيرا ما =

ان قراء الشهاب لا يزالون على ذكر من مقالته الرنانة فى الدعوة الى الحق والارشاد والى سبيل الدين الصحيح والعمل على الاصلاح الدينى الذى هو الشرط الاصلى لتقدم المسلمين فى العلم والمدنية والعمران فيسوءهم جدا ان يعامل مثل هذه المعاملة **وان كانت ما زادته الا شرفا . . .**

. . . فمن العجب المؤسف ان يكون فى بعض رجال الادارة هناك من يسمع فيهم لاقوال قوم لهم مصالح حيوية فى جهل العامة وجمودها ، وهم لذلك أبغض الناس فيمن يحارب الجهل والجمود سواء كان عربيا أو فرنسا . . . اهـ وقد امتدت عداوة العليويين للشهاب وحزبه من الجزائر الى تونس والمغرب ، واذا كانوا بتونس ليس لهم نفوذ فى الدوائر العليا ، فان لهم فى المغرب نفوذاً وأى نفوذ بعدد العليويين الموجودين بكثرة فى المغرب ، وبحلفائهم الدرقاويين وهم منهم .

لهذا تابعوا مساعيهم فى تنظيم صفوفهم ، ومحاربة (الشهاب) وحزبه بالجزائر وبالمغرب ، واستطاعوا ان يقنعوا الادارة الفرنسية بالاضرار التى تحدثها مجلة الشهاب ، وبـ (التخریب) الذى يصيبهم من جراء كتابه حتى توصلوا الى استصدار أمر بمنعه من دخول المغرب كل ذلك كان بمساعيهم وتأثير زعيمهم الاكبر عبد الحى ، وكان فرح العليويين بنجاح سعيهم لا يوصف فارسلوا الى مدير الشهاب برقية عاجلة (يبشرونه) فيها بمنعه من دخول المغرب . وقد نشر الخبر والتعليق عليه فى العدد 104 تحت عنوان : « شماتة كاذبة وسعاية خائبة » .

= يعبر الشهاب اذا أراد أن يشتم فرنسا - بكلمة الادارة حتى لا يقع تحت طائلة قانون سب فرنسا ، وعقاب ذلك شديد عسير على من يتهم بعداوتها أو يشتم عليه سبها !

الفصل الثانى

نجاحهم فى منع الشهاب من دخول المغرب

جاءتنا برقية هذا نصها مترجمة :

« الجزائر عدد 12001 17 21 8 38 أقدم لكم تهنئتى بتحرير دخول جريدتكم (الشهاب) الى المغرب الاقصى » .

الامضاء (بلاغى)

وقد علق الشهاب على هذه البرقية بقوله :

« لا ريب ان اظهار الشماتة بهذه اللهجة التهكمية لا تكون من رجل شريف وما كان غير الشريف ليصدق . »

فبادرنا بارسال برقية لاحد أصدقائنا نستجلى منه حقيقة الخبر فجاءنا منه الكتاب الآتى :

مجادة الاديب المحترم ناصر الملة والدين سيدى أحمد بوشمال . بعد السلام أوف الى مسامعكم أنى تلقيت رسالتكم البرقية سائلا عن منع الشهاب الدخول الى الايالة السعيدة ، وحيث ان المسألة محتاجة الى تفسير طويل فقد اخترت الجواب عنها بكتاب عوضا عن التليغراف .

ان مجلة الشهاب غير ممنوعة الدخول حيث انه لم يبرز فى شأنها ظهير رسمى من قبل مولانا السلطان ولا قرار حربى من قبل سيادة رئيس القوات الحربية . وانما هى تحت مراقبة ادارة الاستعلامات التى لا تسوغ تفريقها وبيعها قبل مطالعة جميع فصولها . وبسبب ذلك صارت ربما تتأخر فى الادارة اياما معدودات .

والحامل للسلادة الحكام على ذلك هى الحملة التى أقامتها بعض الجرائد الفرنسية بالمغرب ضدها وضد جريدة (البرق) متهمة لهما بضدية الحكومة الفرنسية والقائم بذلك هو بعض الطريقين لا السادات الفرنسيون أنفسهم وهم معذورون فيما يفعلون لان شيطنة أعداء الدين يهولون لهم المسألة ويظهرونها لهم على غير مظهرها الحقيقى » .

وفى تعليق الشهاب الاخير يقول :

« ٠٠٠ ولينظر القراء - بانصاف وتجرد - كيف يسلك رؤساء الطريقين ضد اخوانهم الاصلاحيين طريق السعاية الكاذبة التى تؤدى - اذا لم يلقها حاكم بصير متثبت - الى الضرر الفادح فى النفوس والاموال والاعراض - وليصدروا بعد ذلك حكمهم على هؤلاء الشيوخ المقدسين ٠٠٠ » .

هذا ما كنا نتوقع

ولكن المخبر (البلاغى) الذى ارسل البرقية السالف ذكرها كان - مع الاسف - يستند الى مصادر عليمة لانه كان على اتصال صحيح له بها ، فقد منعت الشهاب من دخول المغرب قبل وصول البرقية بأكثر من أسبوع ، ومراسل الشهاب هو الذى لم يكن له علم بالامر - حتى جاء الخبر اليقين ونشرته جريدة (السعادة) وهى جريدة الاستعلامات الفرنسية ، وعنها نقلت مجلة الشهاب فى عددها 106 الصادر فى 21 محرم 1346 هـ (21 جويلية 1927 م) تحت العنوان السابق - خبرا نصه :

« جاء فى عدد 31 من جريدة (السعادة) التى تصدر بالرباط بعنوان « تحجير جرائد » ما يأتى :

« أصدر سعادة الجنرال القائد الاعلى لجنود المغرب - حسب اشارة صاحب السعادة المعظم المقيم العام م - ستيف أمرا مؤرخا بـ 29 يونيو تحت عدد 787 منع دخول جريدتى الشهاب والبرق التى (؟) تصدران بقسنطينة بالجزائر الى المنطقة الفرنسية بالمغرب وعرضهما للبيع ونشرهما بالمجلات العمومية » اهـ .
وفى تعليق الشهاب يقول :

« الشهاب خليق به ان يتوقع هذا الضغط على الصحافة والمفكرين لأن موقف الطريقين النفعيين بازاء ذلك موقف ذوى الارادات السيئة ومحفوف بالخطر كما هو دأبهم فى كل ما يرون فيه بصيص اصلاح কিفما كان نوعه متى كان مصادما لاهوائهم والعهدة - بحذافرها فى مثل هذه المخازى على سدنة الخرافات الوبيئة لان حركتنا اصلاحية دينية بحثة - وهؤلاء المكسبون اثواب الختل والخور ما فتئوا مناهضين لكل حركة اسلامية حرة

من شأنها - فى زعمهم اذا انتشرت فى الشعب - نضب ما تعودوه من منافع
الفلس و . . .

وما كان لمفكر - قتل افكار خربى الذمم الواشين بحثا - ان يلقي العهد على
من سواهم . . . وقد كانت ورقة الطريقين ارادت اذاعة هذا النبا قبل صدوره
ان تظهر الكرامة . . . والبركة . . . والتفوق على غير طائفتها بنشر هذه
النبوءات والتكهنات .

ونحن ننزه حضرات الطريقين بلاء الشعوب عن التنزل الى عقيدة النبوءة
الروحية لماذا ؟ لانهم عبدة المادة ، وذلك مما يدل على ان ذلك التنبؤ ناجم
عما قدمت ايدي زملائهم هنالك بطرق . . . عملية محسوسة !
ونحن نقول لهم : ذلك شأنكم ولسنا مثلكم .

ومثل هذه الغايات السافلة والتنجير الخائق مما يضاعف للشهاب
الشرف وعلو السمعة وقد تعودنا هذه التشريفات منذ استشهاد (المنتقد)
وقد برهنتم على الفشل والعجز فى مضمار الحقائق الناصعة بالالتجاء الى . . .
ونكرر لكم القول : هذا القلق ، هذا الاضطراب أقوى معوان على تفشى
الدعوة الاصلاحية واتساع نطاقها كما هو طبيعة كل دعوة ونهضة .

وقد شيدتم لنا - جهلا وغباوة - ما أردتم لنا هدمه ، وما علينا الا ان
نقابل هذه البساطة الجاهلية بالعزيمة الفولاذية والثبات الراسخ اللذين هما
العامل الاقوى فى جميع انتصاراتنا المشهودة .

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على اقدامنا تقطر الدما (4)
لا يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل
لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا (5)

(4) البيت من شعر الحماسة فى (ديوان الحماسة) لابي تمام . ومعناه اننا
نقتل مقبلين على العدو لافارين من المعركة ، ودماء المجروح مقبلا تسيل على
أقدامه ودماء المدبر تسيل على أعقابهم .

(5) البيتان من شعر كعب بن زهير يصف فيها - فى قصيدته بانث سعاد -
المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق ، والبيت
الاول فيه معنى البيت المتقدم عليه . والبيت الاخير فيه ما أوصى الله به
« لَكَيْلًا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » . لا تبطروهم النعمة ،
ولا تيئسهم المصيبة .

وهكذا نرى شدة الاتصال بين هذه الطائفة ، وبين الادارة الفرنسية : تسارع الى ارضائهم وكما يسارعون الى ارضائنا ، فاذا نادتهم لاستعمالهم قالوا (لبيك وسعديك) ! وابن باديس اذ يتحداهم لا يقصدهم - وانما يقصد سادتهم ، لان ضرباتهم لا ترهبه ولكن الضربات الاستعمارية يقرأ لها حسابها ، ويعلن لاصحابه ان عزمته الفولاذية وثباته - وحزبه - الراسخ هما العامل الاقوى فى الانتصار والانتصار الذى يقصده هو النصر النهائى ، فالمحارب قد يخسر معركة ، ولكن العبرة بالنهاية وقد جاء هذا النصر والحمد لله .

الفصل الثالث

مقال لصحفي فرنسي حر

ما كان ابن باديس يرحم بالغيث - عندما اتهم خصوم (الشهاب وحزبه) بان لهم يدا فى التضيق على الشهاب ، واتصلا بالادارة الاستعمارية ، وتسخيرونها ، وهذا ما حققه صحافى فرنسي حر الضمير سليم التفكير معاتباً ادارته الفرنسية أن تستمر فى الاعتماد على التعاون مع قوم لم تبق لها فيهم فائدة .

ففى العدد 108 من الشهاب الصادر فى 5 صفر 1346 هـ - 14 أوت 1927م نشر تحت العنوان أعلاه مقالا - قدم له بمقدمة ، وعربه عن صحيفة فرنسية وهذا نصه :

صحف معجزة

تحت هذا العنوان نشرت رصيفتنا (لوكري ماروكان) فى عددها الصادر فى 23 جويلية المنصرم مقالا رئيسيا بقلم محررها م. كاريط بوفى فى شأن منع مجلة الشهاب من الدخول الى المغرب الاقصى . ولما فيه من الحقائق المبنية على الخبرة والتجرد - آثرنا تعريبه لقراء (الشهاب) شاكرين لرصيفنا المحترم م. كاريط بوفى غيرته الحققة على بنى مهنته ، وانصافه الصادق فى بحثه وتحريره ، راجين لجميع رصفائنا الجزائريين ان تكون لهم هذه الروح الشريفة : روح التضامن الصحافى عند الملأ .

قالت الرصيفة المحترمة :

وقع التحجير لعدد كثير من الصحف العربية المختلفة المصادر ، وقد ذكرنا فى عددنا الاخير التحجير الواقع على « البرق » و « الشهاب » وما طرقتنا مسألتهم الا بعد أن خاضت فيها جريدتا « لا فجيبى ماروكان » و « ليكودى ماروكان » وقد اظهرتا فرحهما بذلك .

نحن لا نعرف « البرق » (6) . ولكننا نعترض على ما ابتدته الجريدتان من الكلام الباطل المبني على الحقد فى مجلة « الشهاب » (7) ، وهاتان الجريدتان الفتان أن لا تنقلا من الاخبار الا ما كان مثيرا للافكار . فهلا اثبتنا ما تنشران ؟ لكن هيهات ان يمكن لهما ذلك ، وهما لا تطمحان اليه .

الشهاب مجلة تطبع بقسنطينة أسست لمطالبة الحكومة بجعل نوات من المسلمين بالبرلمان الفرنسى لانها ترى ان الحق يعطى لمن يؤدى قسطا وافرا من الضرائب حتى التمثيل بالبرلمان .

ثم ان تلك المجلة التى يرأسها صحافى مقتدر وهو رصيفنا السيد عبد الحميد بن باديس خرجت فى بعض الاحيان عن هاته الخطة كى تتصدى لمقاومة الطرق التى تقف عقبة فى سبيل التطور والرقى بالجزائر والمغرب .

لكن - ويا للأسف - ارباب الطرق يعضدهم رجال الحكومة الفرنسية التى يظهر لها ان تكون حريفة (كليات) لهم (حسبما يقتضيه هذا اللفظ فى اللاتينية) لان ذلك يقلل تعبها ، ويسهل لها الوصول الى مقاصدها .

(8) جريدة عربية اقتصادية سياسية اصدرها الصحافى الجزائرى السيد رحمونى عبد المجيد القسنطينى واشترك فى تحريرها الصحافى الشهير السيد الزامرى وكانت عنيفة فى لهجتها مما سبب لها حرجا كثيرا وعرضها للمحاكمة والتغريم ، وكانت تطبع فى مطبعة الشهاب فسيبت لها ضيقا لانها لم تكن منتظمة ثم حاولت ان تطبع فى تونس فمنعتها الحكومة فاختنقت . وهى من مفاخر صحف النهضة الوطنية .

(7) من اسخف ما وجه الى الشهاب وأختها البرق من اتهامات الصحف الفرنسية ومصادرهما انهما كانتا تخدمان السياسة الانكليزية المناهضة للسياسة الفرنسية فى المغرب العربى ، وحجتهم على ذلك ان الصحيفتين مرتبطتان بالحكومة السعودية الوهابية ! حليفة الانكليز وتهمة الوهابية كانت توجه الى المصلحين لمحاربتهم عبادة القبور وساكنيها .

ان ارباب الطرق يعترضون بكل قواهم لكل جديد ، وعللهم تماثل علل رجال (الفاتيكان) فى هاته المسائل ، والمسألة استيلاء ، ومسألة فلوس . ان هذه المقاومة من الغموض الذى تعيش تحت ظله أقلية تريد الاستيلاء على الاموال باسم الدين .

قبل الثورة الفرنسية كان أهل الاديرة ورجال الدين يؤثرون تأثيرا سيئا فى الامة بكثرة الالحاح عليها فى الصدقات الدينية وكانوا يمثلون دورا كالذى يقوم به الآن رجال الطرق فى افريقيا الشمالية .

فمجلة الشهاب تحت رئاسة ابن باديس صاحب القلم الشديد الوقع - تجد فى سعيها ودفاعها عن التقدم - امامها هاته القوة مصادمة لها .

نحن لا نكذب فى ان تلك القوة كانت لنا عوناً فيما سلف ، اما الآن فغايتها مقصورة على استعباد الشعب ، وتضليل أفكاره بالخرافات المنافية لروح القرآن فالطرق هى أعظم عقبة تقف بافريقيا فى سبيل نشر أفكارنا وآرائنا ، فهى تنافى حتى روح الجمهورية ببثها التعصب بين طبقات الامة ، وبمحاربتها للتعليم زد على ذلك انها تتخذ ذلك التعصب نفسه وسيلة للاستيلاء على ارباب الحكومة حتى لا يلبثوا ان يعتقدوا ان نفوذهم منوط بتأثير الطريقين .

يجب على الانسان ان يتخذ احسن الوسائل ان اراد ان يصرح بالحقيقة . ولا ريب اننا اذا أوضحنا للناس كيف يستغل الانسان أخاه فأننا نقوم بواجبنا نحو الوطن نعم ليس هناك استغلال أفظع من الذى يكون باسم مذهب أو عقيدة .

ان (السعادة) التى هى جريدة الاستعلامات الاهلية نشرت كلاما معناه ان (الشهاب) منع من الدخول الى المغرب بأمر من الجنرال « فيداليون » بعد ما أشار بذلك م . ستيغ .

وهذا غلط فى الانشاء تريده رصيفتنا الشبيهة بالرسمية ، لانها تعلم يقينا أن عبد الحى الكتانى هو الذى قدم قرارا للجنرال دوشامبران الحاكم بناحية فاس فى شأن رصيفنا الفاضل ابن باديس . ولم ندر هل أوقع مقيماً فى الغلط أم روت السعادة خبرها عن مصدر كاذب !

وعبد الحي هذا هو نائب الطريقين بفاس ، وان شئت قل سفيرهم
ذو الرجلين القصيرتين والبطن العظيم . أما اسمه فينطبق عليه غاية المطابقة ،
اذ معناه عبد القبيلة (الحي) بلغة العرب . . . والطريقون ، بين المؤمنين
كشبه قبيلة خصوصية ألقت لجمع الصدقات والنذور بدعوى الصلاح والولاية،
والله اعلم بصدق ذلك أو كذبه . . .) اهـ . المراد منه .

الفصل الرابع

مبدأ الشهاب الديني والدنيوي

وقد علق الشهاب على بعض فقرات الكاتب : منها على مبدأ الشهاب السياسي
الذي حصره في المطالبة بنيابة جزائرية في البرلمان الفرنسي وأن الشهاب خرج
أحيانا عنه ليتصدى لمقاومة الطرق التي تقف في طريق التطور فقال :

« ان المبدأ الذي أسست عليه هذه الصحيفة هو وجوب اعطاء جميع
الحقوق لمن يقوم بجميع الواجبات ، ومن حقوق الجزائريين تمثيلهم في
البرلمان مثل اخوانهم الاوروبيين ، فالتمثيل البرلماني واحد من الحقوق
الكثيرة الداخلة تحت ذلك المبدأ العام .

وكما أسست هذه الصحيفة لخدمة المبدأ السياسي المتقدم كذلك أسست
لخدمة مبدأ ديني وهو الرجوع بالمسلمين الى جوهر دينهم الاصلى البريء من
جميع الضلالات والخرافات والتعصبات المحرر للعقول المهذب للنفوس
والساعي بالانسانية في الصراط المستقيم الى سعادة الدارين .

ولما كانت الطرق في معظم أمرها - منبعا لكثير من هذه المهلكات وقف لها
(الشهاب) وقفاته المعروفة لنقدتها ومحاولة اصلاحها . فكلامه هو مقتضى
خطته » اهـ .

الشهاب كان موضوعيا

فالشهاب كان موضوعيا فيما اتخذه من موقف : كان يسعى لترقية المسلم
الجزائري في دينه ودنياه .

والذى نلاحظه نحن ان خطة الشهاب - الذى تأسس عام 1925 م ، كانت أهم أهدافها : ايقاظ الشعب ، وبث الوعي الدينى والسياسى فى الجماهير ، فالشعب وحده - اذا استيقظ - هو الذى يستطيع ان يصلح ما فسد فيه من عقائد ، ويقوم ما اعوج من عبادات واعمال فى الدين ، ويستطيع ان يفتك ما اغتصب من حقوقه فى الحياة ، ولا رجاء فى المستغلين ان يتنازلوا من أنفسهم عما استغفلوه عنه ، ولا طمع فى المعتصبيين ان يعيدوا اليه ما اغتصبوه منه .

ونقد سمعت - بأذننى - من الشيخ مثل هذا مرارا ، وانه ما كان يتوقع ان تفعل به فرنسا خيرا ، ويتحقق أن الشعب سيصدمه الحائط فيستيقظ ويتفطن فيعمل . فعمل الشعب لنفسه أجدى وأثبت وأقوى ، وهذا ما كان يؤمن به جمال الدين الافغانى رحمه الله .

وكان قد أعلن فى الشهاب مبدأه الدينى والديوى (السياسى) فاتخذ قولاً للمالك بن أنس مبدأه فى الدين وهو « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها » ، لهذا قاوم البدع والخرافات والزيغ فى الاعتقاد ، واعتمد على الكتاب والسنة لان بهما صلح أول هذه الامة . وفى الاصلاح السياسى أنشأ قولاً من عنده وهو : « الحق والعدل والمواخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات » ومعنى هذا ان الشعب الجزائرى قد فرضت عليه فرنسا واجبات - كما هى مفروضة على بقية السكان ، فدفع ضرائب المسال والدم والتضحيات كلها كالنصارى واليهود والمتفرنسين من أسبان وايطاليين ومالطيين وحتى اللبنانيين المسيحيين المستوطنين - وعند أخذ الحقوق استوفى جميع الاجانب عن الجزائر حقوقهم ولم ينل الجزائريون شيئاً ، فأين الحق ؟ وأين العدل ؟ وأين المواخاة ؟ وأين المساواة ؟ فالحق وما عطف عليه لا يتم الا باعطائهم كسائر « أبناء » فرنسا - كما تزعم - حقوقهم .

وبقى هذا فى مبدأ الشهاب مسجلاً على غلافه الى ان جاءت حكومة (الواجهة الشعبية) الحكم فى فرنسا ، ووعدت وعوداً كثيرة أخلفتها ، وخانت الحركة الوطنية وهى : « نجم شمال افريقيا » التى كانت حليفة لها - فى الواجهة الشعبية - فحلقتها ونكلت بزعمائها ، حينئذ رأى ابن باديس ان الوقت قد حان لتغيير الاسلوب ، وإعلان

اليأس من فرنسا ، وهذا ما قام به بالفعل عام 1938 م - قبل وفاته بعامين - فكتب في الشهاب بأسلوب حماسي واضح مقالا عنوانه « هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟ » و أعلن ان اليأس يدفع الى « المغامرة » ، وان هذا ما على الشعب ان يستعد له ، وان اليأس لا يدفع بنا الى الاستسلام ، لان خلق المسلم ألا ييأس من روح الله ، وغير الشعار مما كان الى شعار جديد ليس فيه ما يفهم التطلع الى (عطاء) من فرنسا وانما فيه العمل على افتكاك الحق منها وكتب مكان الشعار القديم هذا الشعار :

« لا نعتد الا على أنفسنا ونتوكل على الله » .

والحقيقة أنه تدرج - استعدادا - لهذا التغيير الذى بدأ يوم اعلن فى كلمته الصريحة « أن الجزائر ليست فرنسا ، ولا تريد ان تكون فرنسا ، ولا تستطيع ان تصير فرنسا ولو أرادت » . وتبع ذلك تحديه لمن سأله هل تستطيع أن تستقل الجزائر؟ أن ذلك ممكن، وان الجزائر فوق مستوى بعض تلك الامم التى حصلت عليه . وقد أثر عنه فى هذا العهد تعبيرات ثورية ، وفى نشيده الذى أنشأه يوم عيد المولد النبوى عام 1356 هـ (1937 م) خطة ثورية :

يَا نَشْءُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُضِ الْخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ
وَاقْلَعْ جُلُودَ الْخَائِنِينَ فَمِنْهُمْ كُلُّ الْعُطْبِ
وَأَذِقْ نَفُوسَ الظَّالِمِينَ أَلْسَمَ يُمَزَجُ بِالرَّهَبِ
مَنْ كَانَ يَبْغِي وَدَنًا فَعَلَى الْكِرَامَةِ وَالرَّحَبِ
أَوْ كَانَ يَبْغِي ذُلَّنَا فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرَبِ
هَذَا نِظَامُ حَيَاتِنَا بِالنُّورِ خُطٌّ وَبِاللَّهَبِ
حَتَّى يَعُودَ لِقَوْمِنَا مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبَ

وفى نشيد آخر له يشهد السماء ونجومها اننا للعلی وللخلود ، وان جيلنا سیرى خافقات البنود ، واننا للحمى سنكون الجنود، فنزيح البلاء ونفك القيود، ونذيق الردى كل عات كنود، وننيل الرضى من وفى بالعهود . واننا هكذا سنعود .

الفصل الخامس

النيابة فى البرلمان

وربما ظهر لمن يعيش فى عصرنا ان فى مبدأ الشهاب السياسى من ارسال نواب عن الشعب الى البرلمان الفرنسى ما يخالف المبدأ الوطنى ويسلم بتبعية الجزائر لفرنسا ، ويسلم بمبدأ الاندماج !
ونقول ليس الامر كذلك .

اولا : لانه لا يمكن وصول صوت الجزائريين لاسماع الفرنسيين واسماع العالم اجمع الا بواسطة وصول منتخبين الى البرلمان ولهم حصانة فى الكلام . وما دام قانونهم يسمح بهذا الحق فلم لا نستعمله حتى نصل الى تحقيق غرضنا فى الانفصال ؟ .

وثانيا : لأن الإرلانديين كان لهم نواب فى مجلس العموم البريطانى ولم يمنعهم ذلك من (انفصالهم) عن انقليترا وحصولهم على الاستقلال .

ثالثا : هذه القضية من ابن باديس كانت مرحلة لا بد منها ، وقد اعلن - قبل وفاته بنحو عامين عدوله عن هذا المطلب وافتى فتوى شرعية سياسية بانه - ما دام الفرنسيون يحتقروننا ، ويمتهنوننا ويشتمون ديننا ويشترطون علينا للحصول على النيابة التنكر لديننا وقوميتنا والبراءة منهما فانه حرام علينا ان نرتضى تحت أقوامهم ، وان نلج عليهم ان يعطونا هذا مثل هذا المطلب - .

فابن باديس جعل ذلك مرحلة تتقدم غيرها من المراحل .

رابعا : لم يكن هذا رأيه وحده بل كان رأى جميع الذين اشتغلوا بالسياسة من الوطنيين المخلصين وبرهنت الايام على صحته وسلامته ولم يؤد الى الاندماج - فقد ندمت فرنسا على ما كان منها ، ثم تبرعت بالاعتراف للجزائريين ، بعد ان اجمع ساستهم وأحزابهم جميعا على المطالبة بحكومة جزائرية بهذا الحق .

وارسل شعبنا نوابه الوطنيين باسم البيان ، ثم باسم (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) فلم يؤد هذا الى الاندماج والاعتراف بالتبعية لفرنسا ، بل اعلن للعالم كله شخصية الجزائر وكفاءة رجالها ، واحقيتها في الحياة ، وقامت الحجة على لفرنسا ، وكان بعض أولئك البرلمانيون من أول من رفع لواء الجهاد يوم أول نوفمبر 1954 م . فأول رئيس للحكومة المؤقتة ، ووزير خارجيتها كلاهما سبق له ان كان من النواب البرلمانيين .

فالنظرية في أساسها كانت سليمة ، وهي مرحلة كان لابد من سيرها لدخول حصون العدو وتفجيرها من الداخل .

مع هذا التطور المستمر في سيرة هذا الرجل : من العمل الصامت في تكتّم وحذر الى السير الهادف في حكمة وسداد ، واستعداده الى الاعلان والتصريح الواضح بالثورة والرشاد مع كل ذلك نجد بعض (العاقين) يشكّون في (ثورته) وفيهم من يتهمة وحزبه بـ : الاندماجية ! فمن كان لا يعرف معنى البهتان فهذا منه !

الفصل السادس

اتصال العلويين خاصة بالإدارة

وقد بان مما تقدم اتصال العلويين بالإدارة وعملهم تحت أوامرهم ، ولكن أمرهم انكشف بوضوح أكثر بعد ان تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . فقد استعرت الحرب بين حزب الاصلاح والعلويين وخصوصا بعد العدوان على شخصية ابن باديس .

ثم ان الشيخ عبد الحميد بن باديس دعا مرة ثانية الى الحسنى ، وجاء في دعوته التي نشرت في العدد 103 من الشهاب .

« مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم فانهم - بحمد الله - متفقون على أصل دينهم الذي لا يكون احد من أهل الدين الا به ، وذلك الاصل الذي بينه حديث جبريل في بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم ، فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان

ويحبون البيت متى استطاعوا اليه سبيلا - أو يقرّون لذلك وإن لم يفعلوا - وكلهم يقولون بلسان المقال أو لسان الحال : رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا ، فقد حظوا بحول الله ما لم يحظ منه غيرهم من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما» .

وللحصول الى تفاهم بالحسنى قال الشيخ لكتاب المصلحين والطريقين :
« اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملازمة مما هو حرام بإجماع المسلمين ، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن العظيم ببيان لقول الخصم دون تعرض لشخصه ، واقامة للحجة التى تردده عليه ، مع حسن السلوك والقصد فى الوصول الى الحقيقة والاذعان لها اذا حضرت على أى لسان ، ومع الشعور بان السراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما ان يهدي أخاه الى ما يراه خيرا له ، ويصرفه كما يراه شرا له ، لانه - كما يأمره الاسلام - عليه ان يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها ، فان من لم يحسن السلوك يكون خابطا أو مرائيا ، ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكون معاندا ولم يعصر قلبه روح الاخوة ينقلب عدوا مؤذيا . ومن اتصف بهذه الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء - والعياذ بالله - على نفسه وعلى غيره . »

نقول هاته الكلمة الحققة البارة لجميع الكتاب راجين ان يقبلوها ويعملوا بها واننا سنكون أول عامل بها ، فلا ننشر - كما لم ننشر - ما يخرج عن دعوتها ، ونحسب ان سيكون العمل بها سببا فى زوال الفرقة ان لم يكن فى إزالة الخلاف . »

الفصل السابع

تأسيس جمعية العلماء

وانتخاب ابن باديس رئيسا

وانزعاج فرنسا ودسائسها بواسطة - عملائها

وكان لهذه الدعوة اثرها فى تحسن الجو وبدء نوع من التعارف ، وجدت الدعوة لتأسيس جمعية العلماء ، وقد اقتنع بالضرورة لذلك اغلب علماء الجزائر ، فلما كان الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال وما صحبه من مظاهرات صليبية

وعجرفة استعمارية، سهل ان تخرج فكرة جمعية العلماء من العدم الى حيز الوجود . ونشرت مجلة الشهاب مقالات كثيرة فى الدعوة لتأسيسها، فنضجت الفكرة . وكان الاجتماع التأسيسى الأول لها هو يوم 17 ذى الحجة 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، وقد حضره علماء من الجانبين الاصلاحى والطرقى ، ولم يكن ابن باديس حاضرا ، ولكن اتفق الحاضرون على انتخابه رئيسا للجمعية وهو غائب ، ثم لحق بهم ، واعتذر عن تخلفه ، وحضر المأدبة التى أقامها لهم نادى الترقى، وخطب فيها، واعلن رضاه عن تأسيس الجمعية وقبوله لمسؤولية رئاستها ، واعتبره تكليفا واجبا عليه القيام به .

ويروى أستاذنا الشيخ محمد خير الدين ان تغيب الشيخ عن الاجتماع الاول لتأسيس كان بتواطىء مع جماعته حتى لا يكون حضوره داعيا للحدرد والفشل ، . فالجو لم يكن خالصا، وقد دعى للحضور م . ميرانت مدير الشؤون الاهلية من طرف اللجنة التحضيرية ، فلما أصبحت الجمعية حقيقة واقعية أخبر بذلك فحضر فورا . وهى رواية مقبولة ودهاء من حزب الاصلاح .

وقد ضم المجلس الادارى الأول علماء من الطرفين الاصلاحى والطرقى كما مثل فيه جميع المذاهب الموجودة فى الجزائر ، ومثل المذهب الاباضى العلامة المرحوم الشيخ إبراهيم بيوض ، وكان كثير من الكتاب والأدباء الاباضيين من فرسان « الشهاب » مثل الشيخ الطرابلسى والفرقد ، ورمضان حمود ، وإبراهيم بنوح رحمهم الله .

اتصال مباشر بين ابن باديس وابن عليوة :

وسكنت الاقلام عما يثير الفتنة ويدعو الى الفرقة وعقدت الرحلات لوفد الجمعية ، ولما وصل الوفد الذى يرأسه الشيخ عبد الحميد بن باديس الى مدينة مستغانم اجتمع مع الشيخ ابن عليوة فى ضيافة العلامة الشيخ بلقاسم ابن حلوش ثم استضاف الشيخ ابن عليوة الشيخ ابن باديس فقبل ضيافته . وقد حدثنى عن هذه الحادثة الفذة فى التاريخ الاستاذ محمد بن الصادق جلولى الملىانى ، وكان حضرها بجانب الشيخ ابن باديس الذى كان يرافقه سواء كان بقسنطينة أو فى رحلاته الوهرانية كحارس شخصى ، وليس له سلاح سوى حب مكين ، واخلاص متين واشفاق كبير مع عصية (مطرق)

يحسن استعماله كسيف فى الهجوم أو الدفاع (على الطريقة الوهرانية)
احتياطا لما عسى ان يدعم من الاحداث .

قص على كثيرا من أخبار هذه الرحلة والتقاء الشيخ بكثير من الشخصيات
الجزائرية الموالين والمعارضين ، فكان بين ابن باديس وابن عليوة كل الاحترام
الشخصى مع تسليم العليوي لابن باديس بالفضل والتقدم فى العلم ، وطلب
منه لقاء درس ، فكان موضوعه يتصل بالتصوف والسلوك الصحيح للنسك
والزهاد والعلماء المنتسبين له ، دون ان يكون فيه مساس ولا تعريض ولا غمز
ولا همز . مما استمتع اليه « الإخوان » بكل أدب واحترام ، وكان على رؤوسهم
الطير .

تدخل فرنسي ناجح ثم الفشل :

لكن فرنسا لم تكن ليرضيها ويروق لها ان يتم التصالح بين طائفتين
متخاصمتين من المسلمين ، أو يقع الانسجام والتعاون والسلام بين قادة
جماهير المتدينين ، فشرعت تكيد لتعكير الجو بين الطائفتين ، وإحلال الخصام
من جديد محل السلام ، وتدير مكر لتشتيت الجمع والقضاء على الجمعية التى
كانت تجمع الطائفتين المصلحين والطرقين : اما بالاستيلاء عليها وتسخيرها
لأغراضها ، واما بمحوها وسحقها .

وكانت وسيلتها تدخل مديرها للشؤون الاهلية م . ميرانت وهو شخص
قذر يحقد على المسلمين ويزدرى بوجودهم ، و « يدجن » كل فعل منهم ان
استطاع ، وله اتصالات متينة مع السيد عمر اسماعيل التاجر الثري ورئيس
اللجنة الدائمة بالجزائر للجمعية ، وأحد أعضاء اللجنة التأسيسية ، وله اتصال
كبير بالطريقة العليوية وشيخها .

ولما حان وقت انعقاد الاجتماع السنوى العام - فى السنة الثانية ، وفيه
يتجدد أعضاء المجلس الاداري بانتخاب من الأعضاء العاملين ، أخذت
مؤامرة تدبر لاحداث انقلاب بطرد العلماء المصلحين من الجمعية ، وكان الذى
تولى كبر المؤامرة السيد عمر اسماعيل صديق وكان صديقا لم . ميرانت ولشيخ
العليويين . وقد استدعى م . ميرانت لحضور الاجتماع . وفاحت فى الجو
رائحة المؤامرة الكريهة ، فشمها « عفاريت » الاصلاح وحذروها .

وكان من فصول المؤامرة ان يكون الانقلاب بواسطة الانتخابات .
ولا ينتخب من الاعضاء - حسب القانون الاساسى - الا من
يملك بطاقة عضو عامل - وهو من يصدق عليه لقب « عالم »
فى الجزائر - وقد تكفل العليويون بسد هذه (الثلمة) واغراق
الاجتماع بسيل من هؤلاء « العلماء » وأخذ السيد عمر اسماعيل يوزع بطاقات
هذه العضوية على كل مرشح لها يقدم اليه ، ولا يشترط الا لحية مرسله ،
وسبحة طويلة وقد يكون معهما - معلقا بالجانب - (بوسعادي ماضي) !
فلما شرع فى الاجتماع بانث علامات لا تبشر بالخير ، فرفع الرئيس
الجلسة فجأة ، وأمر باخلاء القاعة حتى لا تقع حوادث تتسبب فى حل الجمعية
وحتى يستبعد كل غش .

الفصل الثامن

تأسيس جمعية علماء السنة

وهكذا احبطت المكيدة المدبرة من الادارة الفرنسية بواسطة اعوانها
المنفذين لاوامرها . ولم تنته هذه الدورة الا بانقسام فاصل ، وتأسست
جمعية جديدة دعيت « جمعية علماء السنة » . وعين لرئاستها الشيخ المولود
ابن الصديق الحافظي الفلكي الأزهرى .

وهو عالم كبير ، وكاتب شهير ، ولكنه كان شاذا فى العلماء ، متهاككا على
الشهرة والرئاسة ، من كتاب الشهاب ، نشبت بينه وبين كتابه المصلحين
معارك قلمية ، كالميلى والعمودى والزاهرى ، والزواوى ، وابن عمارة ولا شك
انهم - أى خصوم الإصلاح - كانوا يعدونه ليخلف ابن باديس فى رئاسة
الجمعية .

وهكذا عادت الحرب كأشد ما تكون عنفا ، وكشفت الادارة الاستعمارية
عن وجهها الكريه ، بتدخلاتها الوقحة ، وشرعت فى مقاومتها العنيفة لجمعية
العلماء ومشاريعها واضطهادها لاعضائها ووقوفها بجانب خصومها .

الفصل التاسع

سياسة الضغط والإرهاب

ومن قراراتها - فى هذه الفترة - منع العلماء الأحرار من استعمال المساجد الرسمية فى التدريس والخطابة ، وبدأت بمنع الشيخ العقبى من التدريس فى الجامع الكبير بالعاصمة ، وعمت المنع فى سائر أنحاء القطر ، ولما أنشأوا الصحف الإسلامية عطلتها واحدة اثر الأخرى ، ثم أصدرت قرارا تمنعهم من إصدار أية صحيفة عربية . بينما كان خصومهم أحرارا فى إصدار ما شاءوا . وتوصلوا الى إصدار جريدة باسم « المعيار » كانت تستعمل أقذع السباب وأقذر الشتم والقذف ، ومكثت هذه الجريدة حرة تلغ فى أعراض العلماء وخاصة الشيخ ابن باديس، فتأسست لجوابها جريدة باسم « المجيم » كالت لها بمكيالها ، وكلمتها بلهجتها ، ولكن الإدارة بادرت بإغلاقها بعد نحو شهر فقط من بروزها . ونظرا لمحتواها ولغتها فانها لم تعلن عن مصدريها ولا عن مطبعتها ، وبحث الداخلية عن طابعيها حتى توصلت الى اسم « المطبعة » وقدمتها للمحاكمة ، وغرمتها .

اما العليويون فقد كانوا يتمتعون - كعهدهم من قبل - بكل عطفها وتأييدها واستطيع ان اضرب مثلا محسوسا يعرب بوضوح الى أى مدى بلغت ثقتها بهم ، وتعاونها معهم ، واعتمادها عليهم ، ومساعدتهم فى تكوين « اخوانهم » واطارتهم .

هذا المثل ننقله من كتاب لهم اصدروه للدفاع عن « شيخهم » وجمعوا فيه « شهادت وفتاوى ٠٠ » وسجلوا فيه شهادات كثيرة منها ما هو صادر من اقطابهم ، ولما جاء ذكر كبيرهم الشيخ عدة بن تونس قال صاحب الكتاب فى ترجمته :

« ان فضيلة المشار اليه حقيق بان يعتبر كبيرا بين أقرانه ، ولو مع صغر سنه لما جبل عليه من حسن الاستقامة وجميل الاخلاق زيادة مما اعطى من سلامة الذوق وصحة الوجدان ، وقد رأيت اقدامه وكريم شيمه الاستفادة من تعاليم الاستاذ ما يسحق الذكر ، ومن ذلك انه انخرط فى سلك العسكرية الفرنسية على ما يقتضيه القانون الجبرى وصار مقره (القشلة) بدل المسجد

فكف على عمله الذى هو من عادته ، وكان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم الى العمل بالدين ويعجب لهم الذكر والذاكرين الى ان صارت كلمة الاخلاص تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ، ثم اشتدت الرغبة فى الذكر على الاسلوب المعتاد عند الفقراء الى ان استحسن رؤساء الجند من الفرنسيين تلك الانعام فالزموا الجند ان يكرر كلمة الاخلاص بتلك الصيغة أثناء مشيهم النظامى ورجوعهم من التعاليم الرسمية فكان الجند يدخل بكلمة الاخلاص يتقدمهم فضيلة السيد عدة مع من كان معه من الفقراء ، وقد كان له ابلغ معين فى ذلك أحد اخوانه فى هاته النسبة يدعى ابن عبد الله بن قطاط وكان ذلك بمدينة مستغانم .

وبلغنى انه « انتقل الى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فقل ما يقرب من ذلك من جهة تصوير من حوله من العساكر فى صفة الذاكرين فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم فى غيره » (انظر كتاب الشهاد والفتاوى) .

وهذه الشهادة الحية تعطينا مثالا رائعا لما كشفته المجلة الأهلية فى مطالبة الحكومة الفرنسية بوجوب نجدة الشيخ ابن عليوة الم رابط العصري وحبیب فرنسا .

فقد تدخل ضباطها واصدروا أوامره للعساكر كلهم ان يلتزموا «الذكر» العليوى ، وينخرطوا فى هذه الطريقة فعلا ، ويستعملوا شعاراتها .

وقد كادت هذه الطريقة ان (تأكل) جميع الطرق ، لا الطريقة الرحمانية وحدها ، كما أوصى وحرص صاحب مقال المجلة الاهلية . ولولا وقفة ابن باديس وكتاب الاصلاح - وذلك لما أراد الله من خير بهذه الامة - لكانت العاقبة انغماس شعبنا فى مذهب الحلول ، ودروشة وجنب وانحطاط فكرى لا مزيد عليه .

واننا نختم هذا الفصل بما آل اليه أمر هذه الجماعة «جمعية علماء السنة» رغم ما (حشد) لها من وسائل الانتصار والتأييد .

فى السنة الثانية من تأسيسها كان رئيسها يقوم بجولات لنشر دعوتها ، ويزور العواصم لدعم نفوذها . وقرر ان يزور مدينة عنابة وكانت الطريقة

تعدّها من قلاعها ، لوجود طائفة نشيطة منها فيها . ولكن حزب الاصلاح والوطنية لم يكن فى عناية ضعيفا .

حل الرئيس الحافظى بعناية ، واعلن انه سيلقى درسا كبيرا فى جامعها الكبير ، بينما كان اعضاء جمعية العلماء ممنوعين من القاء مثله فى المساجد الرسمية فى سائر أنحاء الوطن . وغازم مثل هذا الوضع الشبان المصلحين والوطنيين المخلصين ، وهم الذين كانوا يمثلون الوطنية قبل وجود الحزب فى الجزائر ، ودبروا للشيخ مقلبا كان آخر عهده بـ « النشاط » .

وقد سمعت تفاصيل المكيدة من رواة ثقة ما زال بعضهم بالحياة ؛ فقد جماعة منهم بباب المسجد ، وأمامهم صناديق من « الطماطم » ومن « البيض » ومن جاء للدخول الى المسجد ناولوه « بيضة » أو « طمطمة » فاذا تساءل : وماذا يصنع بها ؟ قالوا له : « خذ واسكت ! » .

ولما صعد الشيخ على المنبر - فى بيت الصلاة ليلقي خطبته أو درسه - رماه أحدهم ببيضة ، وصاح به . ورماه الثانى بطمطمة ، وتذكر كل واحد ان عنده نصيبه من « السلاح » فلم يبخل به !

وخرج الشيخ من المسجد تحت حراسة ، ومن عناية ، فى حالة يرثى لها .

الخاتمة فى بوقاعة ، تنجس البغل

وقد قص على هذه الخاتمة - بعد وقوعها بأعوام قليلة - تاجر أمين موثوق به فى دينه وروايته .

بعد حادثة عناية رجع الشيخ الى مدينة بوقاعة - لافاييت - كما كانت تدعى ونزل بها تمهيدا للحاقه بمقر سكناه فى « بنى حافظ » ولا بد له من راحلة يركبها لطول المسافة ووعورة الطريق .

وبحث عن راحلة فتعذر عليه ، ودل أخيرا على رجل يملك بغلا وأعرب له عن مقصوده ، وجرت بينهما المحاوراة التالية :

- هل تكرينى بغلك للوصول عليه الى الدار ؟

- نعم .

- كم تطلب فى كرائه ؟

- ألفي فرنك !
- عجباً ! انى لا أريد أن اشتريه فهذا ثمن شراء (1) - انما أريد ان أكتريه فقط .
- وهل تظن - أيها الشيخ - ان بغلا ركبته أنت أقبل به مرة أخرى ليدخل الى حوشي ؟ أبدا انه تنجس .
- وكانت النهاية .

(1) كان مبلغ ألفي فرنك في مثل تلك الأيام قيمة شراء بغل. وللمقارنة نقول كان ثمن كلغ لحم ضاني يساوى 10 فرنكات !

(2) الاسطبل - مريض الحيوانات - يسمى في كثير من الجهات « الحوش » .

الباب الرابع من القسم الثالث :

رأينا ان نتبع - أبواب هذا القسم بباب رابع نذكر فيه بعض ما يدعم ما جاء فيه ويعرف منه القراء تطور الحالة في السنوات التالية القريبة من تأسيس جمعية العلماء ، ويعرفون آثارها في الامة ، وكيف كان ينظر اليها الاجانب .

وقد تقدم في الباب الثالث ان الادارة الفرنسية بالجزائر حاولت بكل ما استطاعت الاتيان على الجمعية ، فلما أصبحت حقيقة واقعية حاولت بكل جهدها ان تستولى عليها لتسخيرها كما سخرت (المشائخ) و (العلماء) من قبلها ووجدت المساعدة من حلفائها الاقدمين ، فلما عجزت اعلنت الحرب العنيفة ضدها بالتضييق على رجالها ومنعهم من استعمال المساجد ، والتنقلات وبالقرارات والاعتقالات والمحاكمات واغلاق النوادي والمدارس ، وبالمساومات ولم تترفع عن تدبير المؤامرات والاقدام على الاغتيالات ، وقد تورط معها في هذه التصرفات بعض القوم ، وغرقوا معها الى الازقان .

الفصل الاول :

بيجو يحاول خلود حكم فرنسا

في هذا الفصل ننقل المقال الخطير الذي اشرنا اليه في الباب السابق الفصل الثالث وهو يكشف كيف حاول الجنرال (بيجو) - وهو حاكم الجزائر - أن يخلد حكمها في الجزائر ، ولم يكفه - بعد ان تغلب على الامير عبد القادر - أن يطرد السكان من أخصب أراضي الوطن في الشمال ويستود شذاذ آفاق أوروبا لاحتلالهم بها ، ولكنه أخذ يدبر - بوحى الشيطان - لضمان أمنهم

وحمايتهم من ثورات الشعب وعضبه فاوحى اليه ان يجعل سلطة فرنسا من سلطان الله ، ولا يجوز ان يعارض رضا الله وقدره . وانما يستطيع ان يفرس هذا في اذهان عامة المسلمين بواسطة (مشائخهم) وعلمائهم .

وهذا ما يكشف عنه هذا المقال الذى كتبه صحافى فرنسى ، ونشره فى جريدة فرنسية عظمى كانت فى وقتها تنطق باسم أعظم احزاب فرنسا واقواها نفوذاً، وهى جريدة (البوبلير، الشعبى) وهى لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى وطالما وعد هذا الحزب رجالنا السياسيين ومناهم بممسول الكلام ، وما كانت وعوده الا غرورا ، وكانت ايام حكمه من شر الايام فى عهد الحكم الاستعمارى ويكفى برهاناً على ذلك ايام (نايجلان) ثم (لا كوست) و (قى مولى) وكلهم من رجاله .

والمقال التالى مملوء حقداً على الاسلام وكتابه وأمله ، وتحريضاً بهم ، وتشلية عليهم ، ومع ذلك فقد كشف عن حقائق وفوائد واقلها ان يعرف المسلمون ما يعتقد فيهم ويقولونه الآخرون عنهم .

وقد نشر هذا المقال فى مجلة الشهاب ، فى باب دائم فيها عنوانه (ما يقولون عنا) وهو باب ينقل فيه ما يكتبه غير المسلمين عن المسلمين عامة او عن أقطار الاسلام المستعمرة وخصوصاً المغرب العربى . وكان يكتب قبل نقل المقال هذه العبارة .

(كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه) .
وهذا هو نص المقال كما ترجمه ونشره الشهاب :

يقفلة العالم العربى :

الجامعة الاسلامية .

ما يقولون عنا

كل ما ينشر فى هذا الباب هو على عهدة قائله ولا رأى لنا فيه
الجامعة الاسلامية

عن مجلة الشهاب ج 7 م 14 رجب 1357 هـ سبتمبر 1938 م

يقفلة العالم العربى :

جاء فى العدد الصادر من جريدة البوبلير (الفرنسية فى 22 يونيو سنة 1938 م تحت هذا العنوان ما يأتى من مقال بامضاء (جورج وجنير) .

مهما يكن من أمر فإن فكرة الجامعة الإسلامية تتقدم تقدما عظيما ، فإن كل مسلم كما هو معلوم يجب عليه كما أمره النبي أن يحج إلى مكة في حياته ولو مرة واحدة . وهذا يحقق له السعادة المستقبلية ويكسبه نوعا من القاب الشرف وهو لقب (الحاج) ما دام حيا ، وفي العهد الذي كانت فيه البلاد المقدسة تحت سيطرة الباب العالي الضعيف المتداعي . لم يكن للحج أى صبغة سياسية . فقد كانوا يستغلون الحجاج استغلالا ماليا ، ولكنهم ما كانوا يثيرون روح المصيبة فيهم . أما اليوم فإن ملك الحجاز وهو يعتبر الوارث لملك محمد يرمى لمصلحته إلى تأسيس الوحدة الدينية للخمسائة مليون من المسلمين المنتشرين في قارتي آسيا وأفريقيا .

لذلك ترى الحجاج الذين يعودون إلى أوطانهم من مكة مصابين بضرب من الجنون المقدس . وبنوبة من العقيدة الوجدانية يوشك عود الدين الحق المنزه عن البدع . وقد لاحت لي فرصة للتحدث طويلا في هذه الأيام الأخيرة مع شاب عربي أخذ بعضا من ثقافته من مدارسنا وهو يفيض حماسة وطنية ، فأكد لي أن الإسلام على وشك أن يخرج من كهف الظلمات التي غمره فيها جبن رؤسائه ووساوس الدهم قرونا طويلة . فالإسلام عنده هو القرآن هو كل شيء ولا شيء غير القرآن . وقد جره هذا الإيمان إلى مدى بعيد، وعلى هذا الضرب من التحمس كان يخبرني بأعجاب عن حالة الأمن بالحجاز وما يلاقيه السارق هناك من المحاكمة على أسلوب القرآن والحكم عليه بقطع يده، لأن هذا هو الذي قرره نبي الإسلام .

كنت أستمع إليه وأفكر فيما يكون عليه من الغرابة الوطنية الفرنسية ، وقد يصل إلى درجة النيابة عن الأمة ، وما كان يأتيه من الأعمال إذا كان كتب النجاح لمشروع بلوم فيوليت ونال أمثال محدثي هذا الحقوق السياسية كاملة.

ليس الحجاج وحدهم ينفردون بنشر هذا المذهب الرمزي ، ولكن يشاركونهم في إذاعته كبار أهل الاطلاع والعلماء والإدباء المتخرجون في جامعات دمشق والقاهرة المتضلعون في القرآن فانهم يبشرون بالمساجد والزوايا أو الرباطات التقاليد القديمة والمذاهب والعبادات والأعمال التي تتفاوت في درجات غلواتها ويأخذ بها المسلمون الحاليون . فهؤلاء المتعلمون الذين يدعونهم بعلماء الدين

يوقدون على الدول الحامية وعلى من يمالئها من الرؤساء السياسيين والدينيين
حربا عوانا ، وقد أصبحت نتائجها محسوسة للدرجة القصوى .

هؤلاء العلماء يعلنون خيانة المرابطين للدين فانه فى سنة 1830 م ، كان
يوجد بالبلاد المغربية رجال محترمون يقال لهم المرابطون ، وكان مصدر
سلطانهم على الناس انهم من ذرية محمد ، وكانوا يعيشون مما يرد عليهم من
هدايا المؤمنين ، فلما تعين المشير بوجو BUGEAUD احترم هؤلاء المرابطين
وبذل لهم حمايته وامدهم بالانعامات عن سعة ، واستمدت معونتهم كل حكومة
قامت فى تلك البلاد ، وكان منهم أصدقاء كثيرون مخلصون لفرنسا ، وكان
متى قال احد المرابطين : (اذا كنا قد أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك ،
وهو على كل شىء قدير فاذا أراد ان يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل ،
وكان ذلك عليه أمرا يسير الا يزيد عن كسح فتاته من تبين) . ولكنه كما
ترون يمددهم بالقوة ، وهى مظهر قدرته الالهية ، فلنحمد الله ولنخضع
لارادته) . كان متى قال احد المرابطين ذلك آمن كل سامع له بما يقول .

ولكن تدخل فى هذا الامر العلماء ، فتراهم منذ عشر سنين يجنون فى
هدم سلطان المرابطين ويسحقون مذهبهم بآيات الكتاب ، ويهزمونهم فى كل
مجال بما يقتبسونه من أحاديث الرسول ، مما يجهله خصومهم كل الجهل .
فتجدهم يقولون للمؤمنين : (ان الم رابط والامام والمفتى موظفون لدى الفاتحين
فهم يخونون الاسلام والمسلمين ، وانتم تعطونهم مالا ليصلوا بكم ويباركوا
عليكم،والله ورسوله يردون ذلك ولا يقبلونه منكم ، فنحن الذين نعرف القرآن
ونمثل الايمان الذى ارسل به محمد) .

(ويقولون للأمهات الجاهلات التشبهات بالخرعبلات : اذا ذهب اولادكن الى
مدارس الفرنسيين واتبعوا تعاليم الرؤساء الدينيين الذين رضيهم الفرنسيون
فان ذكورهم يشبون مجرمين ، واناثم عاهرات .

(وقد نجح هؤلاء فى حمل الناس على البراءة من مواطنيهم الذين قبلوا
ان يعدوا من الفرنسيين وامتنعوا من دفنهم فى مقابر المسلمين ، وهؤلاء القادة
ينفذون أوامر تأتيهم من القاهرة ودمشق ومكة ، وهى المدن التى تعمل فيها
جماعات خفية لتنفيذ اغراض على جانب كبير من الخطورة ، والتبعة فى ذلك

تقع على الحكومة الفرنسية ، فهي التي ترغت هؤلاء المتعصبين أو الخبيثين
يبتون دعوتهم ، ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين) انتهى .

ملاحظات على المقال :

هذا هو نص هذا المقال ، ونود أن نلاحظ ما يأتي :

(1) ان الاشتراكيين الفرنسيين كانوا أشد الناس عداوة للوطنية الجزائرية
وفكرة الانفصال عن فرنسا ، وكانوا (حماة) دعوة الاندماج ومحو كل اثر
للشخصية الجزائرية . لهذا يفزعون أشد الفزع من يقظة العالم العربي ،
ويخشون أشد خشية من (الجامعة الاسلامية) وبمعرفة هذا ينكشف لك سر
تحمس الكاتب الاشتراكي ضد فكرة (الجامعة الاسلامية) وضد أحكام القرآن .
(2) لم يكن محمد (ص) ملكا ولا صاحب مملكة ، وما كان الا بشرا رسولا
ارسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين وما اورث ملكا لاحد حتى يرثه
ملك الحجاز .

(3) ملك الحجاز - في عهد المقال سنة 1938 م ، كان هو الملك عبد العزيز
بن سعود ، رحمه الله ، لم يكن له أى طموح خاص بتأسيس خلافة اسلامية
يتولاها، انما كان له شعور كل مسلم فى اعتصام المسلمين بحبل الله جميعا
واستمساكهم بالعروة الوثقى ، وزوال شقائهم وسيطرة المستعمرين عليهم
وعلى أوطانهم ، ولم يكن من أقطار الاسلام ناجيا من الاحتلال آنذاك سوى
مملكة آل سعود ومملكة اليمن وتركيا والافغان وايران والمكائد حولهن كثير .

(4) اذا أحب أوروبى وطنه وعمل لصالح مواطنيه وكافح مستعبيهم ،
وجاهد أعنف الجهاد لخلاصهم فهو النبيل الشريف المستحق لكل ثناء .
كما فعل كافور ومازنى ودوقول وغارى بلدى .

اما اذا فعل نفس الفعل مسلم من أجل خلاص أمته وتحرير وطنه ، وكفاح
أعدائه فهو (مصاب بضرب من الجنون المقدس وبنوبة من العقيدة الوجدانية) ! .
ميزان عجيب يزن به هؤلاء (المفكرون) الاشياء ، سواء منهم غلاة اليمين أو
(رحماء) اليسار !

(5) الاسلام هو القرآن فهو رسالة الله الينا ، واحكامه هى أحكام الله
وفيهما الراحة والامن لمجتمعاتنا . والشرائع الوضعية لم تقض على السرقة

والفساد ولكن الاسلام قضى - بالقصاص والحدود - على معظم الفساد والمفسدين ، وفى نحو 30 عاما قطع ابن السعود 16 يدا من 16 سارقا فانتهت السرقة - او كادت من مملكته الشاسعة الارحاء بينما باريس وسكانها فى رقعة ضيقة - يقاربون سكان مملكة ابن السعود لا يأمنون على انفسهم واموالهم ، وضاعت الملايير وآلاف الانفس رغم ان شرطتها تزيد على عدد جند ابن سعود .

(6) رغم ان الكاتب كان اشتراكيا ، والحزب الاشتراكى كان يمنى المسلمين باعطاء بعض حقوقهم ، ومنها ما يخولهم برنامج فيوليت - انذاك - من التمتع بهذه الحقوق مع الاحتفاظ بـ (الاحوال الشخصية) فانه يستكثر على (مسلم) ان يصل الى النيابة فى البرلمان الفرنسى مع افكاره الاسلامية ليمثل اخوانه المسلمين الفرنسيين !!

وقد كان م . دالادى زعيم الراديكاليين - وهم من اليسار أيضا - اصرح من الاشتراكيين اذ قال لوفد المؤتمر الاسلامى (لا يمكن ان تنالوا شيئا من فرنسا ما دمتم متمسكين بالاحوال الشخصية ، وفرنسا مدافعها قوية ١٠٠ وهذا ما كان يعلمه ويتحققه (العلماء) من قبل ، ولهذا شددوا فى ان (يجمع) المسلمون على اشتراط الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية . حتى لا يتحقق مشروع فيوليت ويزول خطره .

(7) تدخل (العلماء) احبط عمل فرنسا ، وأبطل مفعول مكيدة (بيجو) منذ عهده ، ولم يفدها (احترام) المرابطين وبذل حمايتها لهم وامدادهم بالانعامات عن سعة . وقد بالغت فى ذلك ، وكان ماريشالها ليوطى فى المغرب يدخل مقام (مولاي ادريس) حافيا مطاطىء الرأس ، لكنه كان يدوس الشعب المغربى وكرامته ودينه بحذائه العسكرى .

(8) الثقة بالمدارس الفرنسية ثقة عمياء ، واعتماد افكارها وتربيتها واسلوبها وثقافتها - دون حماية من التربية الاسلامية والاخلاق الوطنية - قد يؤدى - حقا - الى المآل الذى رواه من قول العلماء للمواطنين ، فالمتجنسون - الذين خانوا دينهم وامتهم وقوميتهم - كانوا من الذين وثقوا بهذه المدارس .

(9) رغم ان الكاتب اشتراكى ، ومقاله مكتوب لجريدة اشتراكية فانه يغرى بهؤلاء العلماء ، ويجعل تبعة نجاحهم فى اعمالهم - فى ايقاظ الروح الدينية

والقومية فى أمتهم - (تقع على الحكومة الفرنسية فى التى تركت هؤلاء المتعصبين الخبيثين يبتون دعوتهم ويضعفون سلطان أصدقائنا المرابطين .

10 - لا شك ان القارىء ادرك حكمة ابن باديس فى قوله : (لا راي لنا فيما ينشر فى هذا الباب) .

فانه يترك للقارىء حرية الحكم ، ومعرفة الخبيث من الطيب ، والصديق من العدو .

الفصل الثانى :

محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر

ذهب م - ميرانت من ادارة الشؤون الاهلية مذءوما مدحورا ، وخلفه فيها مستشرق (عالم) بالعربية والقانون هو (م . ميو) ، جرى به من الاقسام الدراسية حيث كان يعلم الطلاب الى ادارة حكومية مملوءة بالمؤامرات والمغامرات والدسائس والمكائد الفاجرة ، وقد حاول ان يغير أسلوب سياسته - مع الاحتفاظ بالجوهر - من الارهاب والعنف الى شىء من المرونة والكياسة واللين والمساومة . ولكنه لم يستطع ، واستمرت هذه الادارة فى أسلوب المغامرات والمؤامرات والعداوة للسافرة للقومية الجزائرية التى كان من أبرز مظاهرها حركة جمعية العلماء قبل انتصاب الحركة الوطنية السياسية بالجزائر .وبدل أن ينجح (العالم م . ميو) فى انقاذ حكومته وادارته من الفساد غرق فى عفوناتها واقتدارها الى الرقبة ، فقد كان من أفجر ما دبر فيها من جرائم قضية اغتيال المفتى المالكي الشيخ ابن دالى عمر محمود الشهير باسم (كحول)، كما دبر اغتيالا آخر بمدينة قسنطينة ضد الشيخ (أحمد مرازقة) الشهير بالشيخ الحبيبانتى (1) لكن الله سلم ، ونجا الشيخ أحمد رحمه الله . وكان

(1) توفي يوم 10 محرم الحرام سنة 1356 هـ - مارس 1937 م ، اهل من قبيلة بنى حبيبي قرب الشقفة ولاية جيجل ، ولد بها سنة 1867 م ، وتعلم القرآن فى زاوية بن حافظ ، ثم انتقل الى قسنطينة حيث أخذ عن الشيخين عبد القادر المجاوى وحمدان الرنيسى ما اهل للتدريس فانصب مدرسا بمسجد سيدى الكتانى كما كان يلقي دروسا للطلبة وللعوام بالزاوية العيساوية فانتفع بعلمه الكثير . رحمه الله ورضى عنه . =

المقصود من اغتيال ابن كحول، ومن اغتيال (الحبيباتنى) لو تم - القضاء النهائى على جمعية العلماء باتهام الشيخ العقبى بالاول والشيخ عبد الحميد بن باديس بالثانى ، والزج بهما فى السجن ، وربما تم تصنيفتهما جسديا باعدامهما ، وبذلك تنتهى حياة الجمعية ، والقضية الوطنية - فى نظرهم - على ابشع صورة وافظعها . ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا فنجأ ابن باديس وانتحر من حاول اغتيال الشيخ أحمد بقسنطينة وسلمت الجمعية ، وأصيب العقبى بخدش .

وهذا ما نذكر بعضه فى هذا الفصل منقولا عن مجلة الشهاب ، ج 8 ، م 14 شعبان 1357 هـ أكتوبر 1938 هـ .

قضية الاستاذ العقبى :

ومصرع الامام ابن دالى عمر كحول

لم يتعين بعد تاريخ النظر فى هذه القضية الهائلة التى أدمت القلوب وحزت الانفس . ولا يزال المحامون يبذلون جهود الجبارة لانتشال البرىء، النزيه من بين مخالف التهمة الفظيعة التى نسجت خيوطها فى الظلمات أكف لا تخاف الله ولا تراقب الشرف ولا تخشى تقرير الضمير .

هذه المأساة الفظيعة لا تتعلق بالطيب العقبى وحده ، بل هى مأساة تتعلق بكل جماعة مصلحة مستنيرة من الاوساط الاسلامية بهذه الديار ، فما نكب العقبى الا من أجل فكرته التى هى فكرتنا وما ضربوه اذ ضربوا الا وهم يقصدون ان تنال الضربة ماديا وأدبيا كل فرد من جمعية العلماء . والشيخ العقبى - وان تخلى عن عضوية المجلس الادارى لما رفض الاجتماع العام نظريته فى مسألة البرقية المشهورة - ما تزال قضيته قضية الجمعية كلها ، ونحن حين نعلن التضامن التام مع الطيب العقبى فى هذه القضية ، انما نتضامن مع الحق وننحاز حول الانصاف ، وندافع دفاع المستميت ضد كارثة لا يريدون ان ينزلوها على رأس فرد بل يريدون ان يصيبوا بها قوما ،

= عن (النجاح : 15 محرم 1356 هـ - 28 مارس 1937 م) .
وكان تقيا زاهدا بعيدا عن الشبهات محبوبا من الناس كلهم . وخرج فى جنازته ابن باديس وطلبته . (م . ع . بستانجي مصححه) .

وينكبوا بها فكرة ويحطموا بها النهضة العربية الاسلامية فى هذا الوطن ،
وما هم ببالفين من ماربهم الخبيث شيئا • فما كان الله ليخذل البرىء المتكل
عليه ، وما كانت العدالة النزيهة بناصرة البغى والعدوان •

ولقد كنا نشرنا فى جريدة (البصائر) منذ بضعة أشهر مقالا تحت عنوان :
(لا يعدم الحق انصارا) بنينا على جمل اختصرتها جريدة (لاديبش) عن
جريدة (البويلار) الباريسية لسان الحزب الاشتراكى والتى يرأس تحريرها
رئيس وزراء فرنسا السابق م • ليون بلوم ، فى اعدادها الصادرة فى 23
جويلية الماضى وما بعده • ثم لما حصلنا على تلك الاعداد عربنا المقال بتمامه ،
وها نحن نقدمه لقراء الشهاب ، ليروا كيف ينصر الحق الاحرار •

جريمة قضائية بالجزائر

تعريبا عن جريدة البويلار لسان الحزب الاشتراكى الفرنسى

جريمة قضائية تقترب اليوم بمدينة الجزائر ، وتوشك ان تغدو غلطة
سياسية جديرة بالازدراء • رجل متهم ، ولا يقوم على اتهامه أى دليل مادى
أو أدبى • يتهمونه بأنه المحرض على ارتكاب جريمة القتل •

اما القتل فقد كان ضحيته مفتى الجزائر ابن دالى عمر الملقب بكحول ،
ووقع ذلك يوم 2 أوت 1936 م •

واما المتهم فهو مسلم يعترف الجميع بان له أسمى الصفات الادبية • رجل
ليس فى صفحة حياته أى خدش ، وهو مثال الطهارة الدينية والانسانية ،
هو الشيخ العقبى زعيم العلماء المحترم ، والعلماء هم المصلحون فى الوقت
الحاضر فى الميدان الاسلامى الجزائرى •

والذى ألقى هذه التهمة انما هو القاتل نفسه ، هو شقى من أسفل
طبقات السرق والغوغاء : أدى به الى ذلك خوفه من مقصلة الاعدام ، وعلمه
بان ما سيقوله سيصادف هوى فى نفس بعض أصحاب السلطة • فحاول ان
يحط عن كامله بعض الوزر الذى يعلم انه سيتحطم تحته • وهذا المتهم
(بالكسر) المدير بالعناية يدعى عكاشة •

يا لها من قضية عدلية رهيبة :

انما هي أيضا قضية سياسية . ذلك اننا وراء مسرح هذه المأساة ، وفى تلك الظلمات التى يهيئون خلالها طريقة القضاء وينصبون آلة الاعدام : نرى ايدى الادارة الجزائرية لا تكاد تخفى وجودها ، وتلعب لعب المنتقم العديم الضمير .

لا يجب - وذلك من شرف فرنسا - ان يذهب مسلم نبيل لم يصدر منه ضد فرنسا أى شئ ، ولم يرتكب ضدها أى خيانة لا يجب ان يذهب ضحية دسياسة سياسية لحمتها عمى البصيرة وسداها الفوضى .

لا يجب ان تقف الطبقات الاسلامية السليمة : بالقطر الجزائرى ، موقف الثائر الموتور ضد القضاء الفرنسى ، وضد الادارة الفرنسية ، وضد فرنسا نفسها .

لا تستطيع الجزائر اليوم . وفى هذه الظروف على الاخص ، حيث السماء الاممية متلبدة بالغيوم ، ان تفتح على نفسها قضية كقضية ادريفرس .

وسنعود غدا الى الموضوع .

اليكم تفاصيل ما حدث :

كان المفتى ابن دالى عمر يسير قاصدا المسجد حيث اعترضه أربعة من الرجال ، فتقدم احدهم نحوه وامسك رأسه ليقبله كما هى عادة الاحترام عند الالهالى . وعندما كان هذا يقبله قبله يهوذا كان عكاشة قد تمكن من اغماد خنجره فى قلب المفتى ، واما الاثنان الآخرا فكانا يقومان بمهمة الحراسة . وفى نفس ذلك اليوم تمكنت الشرطة من القاء القبض على الاربعة ، وأودعتهم السجن ، حيث لا يزال ثلاثة منهم هنالك الى يومنا هذا . اما الرابع فقد قضى نحبه .

هنالك فى السجن (طبخوا) عكاشة بكل شدة فلم يكتف بالاعتراف فحسب بل زاد على اعترافاته بيانات مدققة عن سبق الاصرار وعن تهيئة الموقع وطريقة النجاة ، وأخيرا ادعى بان بعض كبار المسلمين كانوا شركاء فى الجريمة . فى الحين وقع القاء القبض على الشيخ العقبى الذى وجهت اليه شخصا تهمة عكاشة ، والشيخ العقبى رجل اشتهر لدى الجميع بانه الرجل النقى المومن المقتنع بايمانه .

هو رجل ولد بقطر الجزائر ، ونشأ وتعلم بالحجاز فى بلاد العرب ، وتشبع بأسرار العلم والتعاليم الاسلامية .

وبما انه من رعايا فرنسا فقد رفض سنة 1914 م ، الانخراط فى سلك الجندية التركية وكان جزاء ذلك ان ذاق الام الغريب أربعة أعوام .

ثم حل بأرض الجزائر سنة 1920 م فترغم حركة الاصلاح الدينى ، وانه بمحاضراته ودروسه ومقالاته وبنفوذ الشخصى وبعلمه ونزاهته ، قد تمكن من جمع اتباع كثيرين من حول فكرته . وخاصة بين الطبقات الاهلية المثقفة . ثم أسس جريدة وانشأ ناديا هو نادى الترقى .

وقد كان الادارى الكبير الذى زان منصب ادارة الامور الاهلية ، واعنى به مسيو لوسيانى ، عرض على هذا الرجل منصب الافتاء بالجزائر ، لكن العقبى رفض هذا المنصب احتفاظا على استقلاله وحرية علمه .

الا انه كان يرتقى منبر المسجد فى الجزائر ويعظ الناس ، حيث انه من تعاليم الاسلام وتسامحه الذى يجهله الكثير ، هو الحق لكل مؤمن ان يجهر بكلمة الحق كما يراها ، فكان العقبى يغتنم فرصة الحياد الحكومى يومها .

وكانت خطب العقبى المقنعة تتجه بصفة خاصة ضد الطرقية التى يسرى عواقبها سيئة ، ويراهم متساهلة فى الدين ، عديمة الفكر ، داعية للخرافات والالوهام أو هى نوع من الاكليروس المحنط حيث يقوم الانتقام الشخصى مقام المصلحة الدينية ، وحيث تختفى آيات القرآن وحكمته العالية تحت ندالة النفعية والمطامع .

فالموظفون الرسميون المسلمون – ولا أقول رجال الدين لان الاسلام لا يعترف بطبقة تدعى رجال الدين – أقول ان متوظفى المساجد وعلى رأسهم المفتى وهم الذين يتقاضون أجرا مقابل أعمالهم . كانوا يرون بغاية الكدر والقلق انتشار هذه الافكار .

لكن لم تكن هنالك ظفينة تفصل بين المفتى والمصلح ، وكانا يجتمعان عند أصدقاء الجميع . وكذلك لم يكن ذكر لاي دعاية ضد فرنسا .

وكان المفتى الذى هو متوظف بالحكومة – ونحن نقول هذا دون أى مقصد خفى – كان رجل الادارة الجزائرية وكان مستشارها الفنى فى مسائل السياسة الاسلامية .

انما العقبى الذى كان لا يتعرض لفرنسا ولرجالها الا بكلام لا يمكن أبدا وبأى صفة كانت أن يؤخذ عليه ، لم يكن من جراء ذلك عدوا لأي أحد فى الميدان السياسى .

وفى سنة 1933 م اشتكى احد النواب المالىين وهو من أصل طرقى ضد استعمال المساجد بهذه الصفة فقرر عامل الجزائر تحجير المواعظ الحرة فى المسجد الذى كان العقبى يتكلم فيه .

اما العقبى فقد اتجه نحو الحكومة يطلب منها هذه المظلمة .

ثم اتجه سنة 1936 م على رأس وفد اسلامى معتبر نحو باريس حيث اقتبله رئيس الوزراء ، ولما رجع الى وطنه ، وكان واثقا من وعود فرنسا فى التدخل بصفة متسامحة فى هذه القضية ، أخذ يحمل على خصومه بشدة فى صحيفته .

وفى نفس هذا الوقت وقع مصرع المفتى ، وستة ايام بعد ذلك ، وعندما اعترف عكاشة تحت الهراوة البوليسية بوجود محرضين على القتل ، وقس الزج بالعقبى فى غيابات السجن ، لكنه لم يلبث غير قليل ، حيث ان عكاشة عندما وقعت مجابهته بالعقبى ، نكص على عقبيه ، ونقض غزله وكتب ادعاءه السالف ودخل فى سلسلة متناقضات لم تبق لاقواله اى قيمة ، ثم استمر البحث يجرى بطرق أخرى ، ولا يزال جاريا الى يومنا هذا . رغم مرور 22 شهرا على وقوع الجريمة .

رأت السلطة القضائية انه لا يوجد أى دليل مادى أو أدبى على ادانة العقبى فاصدرت أمرها بالغاء الدعوى ضده وبرأته .

وهكذا رجعت للقضية صفتها الاصلية ، بعد ان كادت تأخذ صبغة قضية سياسية دينية ، ودخلت فى ميدان القضايا العدلية المعتادة ، وكسفت هالة التقديس التى كانت تحيط بعكاشة ومن معه ، وهم من ذوى السوابق الذين طالما حوكموا بتهمة القتل والسرقة .

كان هذا الختام حسنا انما هو لم يرض كل الناس .

ففى الحين قام (الحق الشخصى) يعترض على براءة العقبى . وهذه المرة كانت الادارة الجزائرية ، كما ستراه فى الفصل الآتى ، قد وقفت موقفا يكاد يكون مكشوفاً .

فدائرة الاتهام نقضت حكم البراءة ، وأوقفت العقبى جنبا الى جنب مع عكاشة لترسل بهما معا أمام محكمة الجنايات .

فان لم يثر الضمير العمومى فى تلك المناسبة فسترى بمناسبة المحاكمة ما يجعل نفس تشكيل المحكمة مرعبا ، وترى الصراع العنيف بين الحق والباطل لكننا قبل ذلك نريد ان نزيح القناع عن وجه الادارة الجزائرية التى هى مسؤولة عن هذه الفضيحة القضائية .

ان الادارة الجزائرية التى هى الآن بصدد تكوين انفجار من الغضب ، ان لم نقل انها بصدد تكوين العصيان والثورة فى الاوساط الاسلامية ، والتى يظهر عليها انها لا تنتبه لشيء ، انما هى ادارة الامور الاهلية التى تعمل الى جانب الوالى العام للمقطر الجزائرى .

كان القائم بالحق الشخصى والمعارض على براءة العقبى ، هو السيد ابن دالى عمر ابن المفتى القليل وهو متوظف بادارة الامور الاهلية ومتخصص فى اللغة العربية .

لكن معارفه الفرنسية لا تسمح لنا بان نظن انه هو مؤلف تلك المرافعة القانونية الشديدة التى اسماها (مذكرة) وقدمها الى دائرة الاتهام .

اما مدير الامور الاهلية ، مسيو ميو فهو رجل من أكثر الناس تعمقا فى العلم وهو مدرس الحقوق فى كلية الجزائر .

وادارة الامور الاهلية تتبع بكل دقة وعناية ، كما هو واجبها تفاصيل وذيول مقتل المفتى ، وتطور حركة العلماء المسلمين بالمقطر الجزائرى .

فعندما كان العقبى بباريس عام 1936 م كان المفتى ابن دالى عمر قد اتهم بانه الساعى فى ارسال برقية الى وزير الداخلية يحذر فيها من الانخداع لدسائس العلماء .

لكن الرأي العام الجزائري اكتشف سريعا هذا السر الصياني وعلم ان هذه البرقية ، انما صدرت عن ادارة الامور الاهلية .

وكانت علائق المفتى المذكور بالادارة الجزائرية مشهورة معروفة ، وكانت أغلب الأوساط الاسلامية تسلقها بالسنة حداد فكان المفتي متهما - بحق او بباطل - بأنه جاسوس الإدارة وعينها على المسلمين .

وفي الحقيقة ان الحملة العنيفة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتي الضيق الدائرة ، بل كانت صادرة عن إدارة الامور الاهلية .

يقولون ان هذه الادارة لا تستيغ طعم الافكار الحرة التي لا تريد ان تنقيد فيها والتي يدعوها ضميرها ان تترفع عن السخافات السياسية المنحطة .

وكانت الادارة الجزائرية منذ امد بعيد مرتبطة ارتباطا وثيقا مع حالة الطريقين الذين كانوا يجتمعون حولها قصد التمعش وكانت شهيتهم تزداد حول هذه السياسة الفدائية .

يقولون ان المرابطين هم رهبان المسلمين ، انما نقول انهم على كل حال من طبقة المتسولين ، ! التأثير على المرابطين والتاثير على الامة بواسطة المرابطين، هذا هو شعار ادارة الجزائر في حكم المسلمين .

وهذه الطريقة تشتم منها رائحة بوليسية منافية كل المنافاة للطريقة الفرنسية وللأساليب العصرية والجمهورية ، وهى منافية للاخلاق وعديمة الجدوى انما ادارة الامور الاهلية لا يهمها من ذلك اى شىء ، لانها تعبد الاستبداد عبادة وهى تحن حيننا ممزوجا بالاسف لعصر (البيروعر) الذى كان يتيه به المستبدون عجباً .

وادارة الامور الاهلية ترجع لذلك العهد كلما استطاعت الى ذلك سبيلا . اما الاهالى المثقفون فهم يعلمون ان حبل المودة الادارية قصير معهم ، ما لهم وللتدخل هؤلاء الذين يبدون الاعتبار الذين تشور فى انفسهم عواطف الهمة والافكار السليمة ؟ ليرجعوا حلا الى قيود (التمربيط) فلا عدو الا الحرية ولا ضرر الا من الافكار ، والواجب هو مقاومة هؤلاء الجسورين ، ولتستعمل فى سبيل مقاومتهم كل الاسلحة بما فيها من سلاح الزور والبهتان .

لقد ارتكبت جناية ، ان العدو هو الذى - سلاح ذراع الجانى ، فلنجره
أمام القضاء ولتدرك الحرية عظيم وزرها ، ولتعترف الافكار بحقيقة ضعفها .
قديمًا كان سلاح الجور والاستبداد يدعى الباستيل ، اما اليوم فان
الباستيل أصبح أشد هولًا من السابق ، ذلك لان الاحكام الكاذبة الخاطئة
صارت تقود اليه .

اعلموا - وانتبهوا جيدا - ان المحكمة التى سيوقفون العقبى أمامها ،
ليست محكمة الجنايات الفرنسية (الكسورد اسيز) وما فيها من ممثلى
الشعب النزيهين ، بل انما هى دائرة الجنايات (الكوركريمنل) التى أسسها
الاضطهاد العنصرى بالجزائر والذى هو جدير بالقرون الوسطى ، لتكون
خاصة بمحاكمة العرب هنالك يجلس تحت رئاسة حاكم أصولى - لا تكاد
رئاسته تكون مطمئنة لسنة من المستشارين أربعة من المستعمرين واثنان من
المسلمين .

واننى أخاف ولا أحاول كتمان خوفى فهو خوف هائل مبنى على فكر
وروية ، أخاف من تحيز الاربعة ممثلى المستعمرين الذين يسرون حسبما يمليه
عليهم بفضهم للعرب ، وأخاف مع ذلك وأكثر من ذلك تعصب العضوين
المسلمين وانحيازهما ان كانا من الوحدات التابعة للإدارة .

حذار حذار أيها العقبى كن منتبها على يمينك وكن منتبها على يسارك ، فان
الخطر جسيم .

لكن حذار غدا من انفجار العاطفة الاسلامية ، حذار من التهاب العقل
والايان لماذا يا ترى تحاول الادارة الجزائرية ان تكبت الفكرة الإصلاحية
الاسلامية بالجزائر ؟

ان هذه المسائل لا تخرج من الميدان الدينى الا عندما نتدخل نحن فيها ،
فيفهم من ذلك جماعة المسلمين باننا أعداء عقيدتهم وایمانهم هذا العداء
لا يجب ان يصدر منا ، وما كانت الادارة الجزائرية مؤتمرا دينيا ، وكما كانت
مدينة الجزائر بيزنطة العتيقة .

ثم ما هو الدور الذى يلعبه الوالى العام فى هذه القضية ؟ أهو الذى يديرها ؟ أم هى ادارة الامور الاهلية ؟ وهل عامل العمالة هو الذى من شأنه ان يتخذ المقررات الخطيرة وان يحتفظ بثقل المسؤولية ؟

يمكننا ان نقول بان طرائق الحكم قد أصابها الارتباك عندما اجتازت البحر . ولنرجع الى العقبي انهم يريدون فى هذه الساعة ان يحطموا الاهالى الذين بقوا فى سلام ، ويريدون ان يدنسوا حركة اصلاح دينى بما يقترفون ضد المصلح من افك وبهتان . ان الاصلاح الدينى لا يهمننا نحن معشر الفرنسيين الديمقراطيين الفاصلين الدين عن الحياة العامة .

انما الذى يهمننا هو الحق والشرف ، فلا نترك المبدأ الرهيب الذى يدوس الحق والشرف يصول فى الميدان ويجول .

واننا من أجل هذا أردنا ان نفصح أمام الراى العام الوطنى ، لتصدر فرنسا حكمها قبل ان يصدر الحكم الخطر المحرق الذى يريدون ان يصدروه .
(انتهى) .

ملاحظات على هذا الفصل :

أ - اثناء صائفة 1938 م اشتدت الازمة بين المانيا وبين الحلفاء الغربيين بريطانيا وفرنسا بسبب قضية (السوديت) فى تشيكوسلوفاكية ، وعزم هيتلر على ضم بلادهم الى المانيا ، ولاحق فى الافق نذر الحرب ، واخذت الهيئات المختلفة فى الجزائر والشخصيات أيضا ! تقدم شواهد الاخلاص والتأييد للحكومة الفرنسية ، والاستعداد لبذل دماء الشعب فى حرب عالمية .

وأثناء الاجتماع السنوى للجمعية فى سبتمبر 1938 م - بنادى الترقى - جاء الشيخ العقبي العضو الادارى بنص برقية من هذا النوع (تطبل بها الجمعية مع المطلبين وتزمر مع المزميرين) حسب تعبير ابن باديس رحمه الله وأراد ان يوافق عليها المجلس ويمضيها الرئيس ، فكانت موضع الرفض واستنكرها المجلس ، وعرف أين كتبت ومن الذى أشار بها ، واعلن ابن باديس انه لن يمضيها ولو قطعوه اربا اربا . ولكن الشيخ العقبي هدد اخوانه باستقالته من الجمعية ان لم تمض البرقية فلم يفد تهديده ، وانفض الاجتماع

الخاص ، وخرج الامر منه الى الاجتماع العام فاعلن فيه عزمه ذاك ، وأعلن ابن باديس عن السبب ، فكان الاجتماع على تأييد موقف المجلس وابن باديس واستنكار تقديم أى تأييد لموقف استعماري ، قد يجبر الامة الى سفك دماء غزيرة من أبنائها فى حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل .

كانت هذه البرقية موعزا بها - أو كتب على الاصح نصها - فى ادارة الشؤون الاهلية مثل البرقية التى امضاها كحول من قبل .

وهكذا كانت خيبة مرة لم ميو وادارته ، وكانت نصرا مبينا . اما الخيبة فى الصفحة التى تلقاها من الجزائر الوطنية الابية برفض البرقية .

واما الانتصار الذى حققه فى فصل الشيخ العقبي عن جمعية العلماء نهائيا . اذ استقال بعد انتخابه ببضعة ايام .

(2) يهوذا هو احد تلاميذ المسيح عليه السلام ، وهو الذى خانته ، ودل اليهود على مكانه ليقتلوه ، فرفعه الله اليه ، والقى شبه المسيح على يهوذا ، فلما دخلت اليهود وجدوا امامهم يهوذا فاخذوه ليقتلوه بعد أن القى الله عليه الشبه فاستنكر ذلك منهم فلم يفده ولم ينجه فقتلوه وصلبوه معتقدين انه المسيح (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) .

(3) محمد عكاشة احد أرباب السوابق ومحترفى الجريمة ، سيط عليه العذاب فاعترف ان الشيخ الطيب العقبي - بحضور محمد واعلى عباس التركي - رحمهما الله - هو الذى أمره بقتل المفتي ، واعطاه السلاح ، وعندما وقعت المواجهة أمام قاضى التحقيق خاطب الشيخ العقبي عكاشة وقال له ما فحواه (يا محمد انت اسمك محمد باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكيف تكذب هذه الكذبة وتتهم الابرياء ولا تخاف الله ؟) فاخذ الرجل يبكى متأثرا ، ورجع عن اعترافه الذى وقع تحت العذاب ، فافرج عن الشيخ الطيب وزميله فورا - بعد ستة ايام فى السجن - افراجا مؤقتا ، ثم أصدر قاضى البحث حكمه بالبراءة وعدم التتبع (نوليو) فاعترض عندئذ القائم بالحق الشخصى . فاصدرت غرفة الاتهام حكما بنقض البراءة . وقد حوكم الشيخ عام 1939 وصدرت البراءة فى حقه وحق عباس التركي ، وادين عكاشة ولكنه لم يعدم .

4) حكاية رفض الشيخ العقبي للانخراط فى سلك الجندية العثمانية للسبب الذى ذكره نستبعدا ، واعتقاله اثناء الحرب قد يكون للاشتباه فيه بانه من فتيان النهضة العربية ، وقد نكل جمال باشا - جزار سوريا - بكثير من أبطال العرب ، وكان الشيخ العقبي من محررى جريدة (القبلة) لسان حال الملك حسين (ملك العرب) الذى لعب به الحلفاء وسخروه لعونهم على وعد ان يعلنوه ملكا على كامل بلاد العرب التى كان الاتراك بها . وقد بلغنى ان العقبي بقى بالاناضول معتقلا مدة عامين . ثم رجع عام 1920 فاعتقلته فرنسا مدة شهرين .

5) كان الشيخ العقبي زعيما من زعماء الاصلاح حقا . ولكن سبقه الى الميدان الاستاذ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، وكان يعمل فى هدوء وسكوت واناة وبرهان ذلك شهادة الاستاذ محمد الهادى السنوسى والاستاذ محمد سعيد الزاهرى وكلاهما تتلمذ عليه قبل هذا التاريخ . انظر كتاب : « شعراء الجزائر » .

أسس جريدة الاصلاح فى بسكرة عام 1927 م ، اما نادى الترقى ، فانه ليس هو الذى أسسه ، وانما استدعى بعد تأسيسه ليحاضر فيه .

6) لم يكن منع العلماء الاحرار من دروس المساجد نتيجة شكوى النائب المالى الا ظاهرا فقط ، والحقيقة انه تدبير من الحكومة الفرنسية والحاكم العام باشارة من ادارة الشؤون الاهلية ، وسبب ذلك ما فى هذه الدروس من تأثير شديد على سلطة الاستعمار ، وما يخشى من ايقاظ الرأى العام وتهيجه ، كما تقدم فى الفصل السابق عن جريدة (البوبلير) .

7) حقا ان الاستاذ ميولر هييب ! فبينما هو يلين للعقبى ، ويستقبله اذا هو زاره باستدعاء منه أحسن استقبال ، اذا به يعمل جاهدا لتوريطه ، وسوقه بعنف نحو المقصلة كما يكشفه هذا الكاتب ، وحينما كتب المقال كان العقبي ما يزال عضوا بالجمعية ، فادانته ادانة لبقية أعضاء الجمعية كلهم ، ولهذا أبى أن (يعفيه) من التهمة وسلط عليه القائم بالحق الشخصى ، وهو متوظف بادارته لا حول له ولا قوة ، الا أنه ابن ضحية هذه الادارة ولا يبعد أنه اشترط عليه للبراءة ان يتبرأ العقبي من الجمعية .

8) كانت هذه الادارة معتادة مثل هذا اللعب ، وكلما توجه وفد ل (طلب) قدر طفيف من الحقوق سبقه سيل من البرقيات المضاة من المفاتي والقضاة ورجال الدين والطرق وبعض النواب ، وكان الرأى العام قد اعتاد هذا وعرفه فلم يعد يعبا به .

والحقيقة هى ما جاء فى المقال (ان الحملة ضد العلماء لم تكن صادرة عن المفتى .. بل كانت صادرة من ادارة الامور الاهلية ..

حقيقة الشيخين وسرهما

ولم يكن الشيخ محمود كحول خاملا ولا جامدا ولا أبله فهو مثل الشيخ مولود ابن الموعوب مفتى قسنطينة الذى أعلن الافكار الاصلاحية فى الوسط القسنطيني وحارب أنواعا من البدع (2) لكن داء الرجلين انهما كانا من أطوع الناس للادارة الاستعمارية فى تنفيذ أغراضها ، والتهالك على عتبتها ، وتقديم رضاها على رضى الله ، وعدم المبالاة باتجاه الشعب ، فكان أمرهما عجيبا ، ولعل هذا ما أدركه الشيخ حمدان الوئيس فنفى نفسه - بنفسه - من الجزائر ، ثم أخذ العهد على تلميذه ابن باديس الا يقرب الوظيف ولا يستعمل علمه للوصول اليه .

(2) ولد سنة 1283 هـ (1866 م) ، وتوفى فى 1358 هـ (1939 م) ، وكان أديبا لامعا يكتب النثر ويجيد الشعر ، ويؤيد الاصلاح حتى اذا اصطدم المصلحون بالاستعمار كان فى صف الاستعمار يرسل باسمه البرقيات أعنى يمضيها .

فهرس

7	الاهداء
9	مقدمة الكتاب

القسم الاول

19	السنة والبدعة
27	البدعة والتقليط فيها
30	بغض السلف للبدعة وأهلها
31	المتصوفة والبدعة
32	هل فى البدعة مستحسن ومستتهجن ؟
37	التأمر بالمعروف والتناهى عن المنكر من نصر السنة وقمع البدعة
39	فعل البدعة فى افتراق الكلمة
49	انكار على البدعة فى العصر الحديث
54	الطائفة الظاهرية

☆ ☆ ☆

57	الدعوة الاصلاحية وزعيمها ابن باديس
60	أول صدام عنيف بين الاصلاح والحلول
69	رسالة جواب سؤال عن سوء مقال
71	مضمون السؤال وتفصيل الجواب
72	المقدمة فى وجوب الادب مع النبى (ص)
76	الفصل الثانى فى بيان حرمة مخاطبة النبى (ص) بمثل هذا الخطاب
77	الفصل الثالث : ان العارفين ارسخ الناس قدما فى حب النبى (ص)
79	الفصل الرابع فى بطلان عذره
79	الخاتمة فى نصيحة نافعة ووصية جامعة

التقاريط :

80	تقريط العلامة الشيخ محمد النخلى القيروانى (تونس)
81	تقريط العلامة الشيخ بلحسن النجار المفتى المالكى (تونس)
81	تقريط العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام (تونس)
81	تقريط العلامة الشيخ محمد الصادق النيفر قاضى الجماعة (تونس)
82	تقريط العلامة الشيخ معاوية التميمى
83	تقريط العلامة الشيخ شعيب بن على شيخ علماء تلمسان
84	تقريط العلامة الشيخ مولود بن الموهوب مفتى قسنطينة
86	تقريط العلامة الشيخ العابد بن أحمد بن سودة من علماء المغرب

- 86 تقرّظ العلامة الشيخ مولاي محمد بن العربي
- 87 تقرّظ العلامة الشيخ عبد القادر بن محمد بن عبد القادر (المغرب)
- ☆ ☆ ☆
- 89 رد الفعل
- 93 السطو بالشيخ عبد الحميد بن باديس
- 94 فاجعة الفتك بالاستاذ
- 95 شجاعة وقوة بدنية وروحية
- 96 عزيمة وتصميم
- 96 الاخطار التي تهدد خادم الامة
- 97 شكر عام للاحساس العام
- 98 شاهد عيان يروى الحادث كما وقع
- 101 الاستاذ محمد الصالح بن عتيق شاهد العيان
- 104 الصحافة العربية وحادث الاعتداء
- 106 حول حادثة الفنك
- 106 البلاغ الجزائري وحادثة الاعتداء
- 109 صحيفة الشورى والاعتداء
- 110 مجلة الفتح والاعتداء
- ☆ ☆ ☆
- 112 اعتداء جديد على مدير الشهاب
- 114 من هو أحمد بوشمال ؟
- 116 عجز عن القول فاضطر الى الضرب
- 118 اثر الحادثة وسببه
- 120 الى الامام
- 122 حركاتنا ذاتية
- 124 ما مع مثلك يتكلم يا جودى !
- 128 تكرر الاعتداء على اصحاب الشهاب
- 130 اصحاب جريدة « النجاح »
- الصحافة الفرنسية :
- 139 محاولة قتل صحافى اهل
- 143 دعاة الباطل والضلال
- 144 على نمط راسبوتين
- 147 فى مجلس الجنائيات : خمس سنوات فى السجن المضيق

- 149 اهي جناية عادية ومسألة فردية
150 مسكين ذلك الشقي العليوى مسكين
152 آخر محاولة للسطو بالشيخ ابن باديس
155 ملحق أخير

القسم الثانى

- 159 هذا القسم
159 الفرسان الثلاثة وتسابقهم فى الميدان
160 فساد فى اللفظ والمعنى
161 نشأة الطريقة العليوية (الشيخ أحمد عليوة من هو ؟ وما هو ؟)
164 شيخه فى السلوك
165 تجديد الشيخ فى الطريقة
166 الخلوة
166 كتاب الشهادت والفتاوى
168 أسلوب جديد فى المقاومة
169 عبادة الله بالرقص
170 رقص وغناء يرفع الى حضرة القدس
170 افتراء على الصحابة
171 وضع حديث عن أبى بكر (رضى الله عنه)
172 النسبة الصحيحة لذكر الصدر
173 ولله الاسماء الحسنى
174 الرقص عند الذكر فعل اليهود

☆ ☆ ☆

- 175 القول بالحلول ووحدية الوجود
176 انكار الفقهاء واهل الفتيا
177 الشطحات متى يؤخذ عليها ومتى لا ؟
178 ابن باديس يهاجم (شطحة) خطيرة
178 (الشهاب) يهاجم الرقصات والشطحات
179 القوم فى الحضرة
182 هل للشيخ بن عليوة شطحات ؟
184 رواية لسان الدين
184 رواية ثالثة للشيخ الوارزقى

☆ ☆ ☆

- 187 أقوال فضيعة فى جانب الله : اصرار عجيب
189 ايقاظ وان ناموا
- ☆ ☆ ☆
- 191 استدراج الشيطان وتحديه للرحمن
193 لا سلطان لابليس على الصالحين
- ☆ ☆ ☆
- 195 الفرسان الثلاثة وسلسلتهم
196 اسناد الطريقة
- ☆ ☆ ☆
- 201 تسابق هؤلاء الفرسان فى ميدان الجهر بالسوء من القول
201 من أقوال الشيخ بن عليوة
203 فساد فى اللفظ والمعنى
204 اخذ علم الباطنى وكنمان الرسول ؟!
205 نوم يغنى عن ذكر الله
206 اثبات الجهة لله
206 الواصلون وعلامة وصلهم
207 الله كل شىء فى الوجود
209 تأكيد القول بوحدة الوجود
209 عن شيخه ورث الحلول : ارتقى للالوهية
210 ليل وعاشقها
212 هو ذات الرحمان
213 فريد فى الزمان والكل دونه !
214 تالله لست سواء
215 مع ليل اشف الغليلا !
215 جنة رضوان فى مستغانم
216 فتشت عليك يا الله !
217 هو عينك لست سواء
217 حاكى الكفر ليس بكافر
219 اهو أغراض وصدود ؟
222 خيال سقيم
- ☆ ☆ ☆
- 224 الفارس الثانى : محمد بن الحبيب
225 التلميذ نسخة من أستاذه

226 الكون فى قبضته
228 رؤية الله جهرا !
228 قول بنى اسرائيل ومآلهم
228 ضريحه البيت المعمور
229 رفع الحجب ومشاهدة الله
230 الخمار الاعظم
230 كل قطب وكل ولى خاضع له
231 الفلك الدوار فى قبضته

☆ ☆ ☆

233 الفارس الثالث عدة بن يونس
234 من رآه رأى الله - تعالى الله
235 انت مخلوق ولست مخلوق
236 هل يعلم رسول الله ما فى الضمائر ؟
237 الموتى يتكلمون
238 من رآنى رآه فى حلتى
238 مولى سطوة
239 عبد الله ام عبد مخلوق ؟
240 خاتمة هذا القسم

☆ ☆ ☆

242 النثر لا يقل نكرا وشناعة عن الشعر
243 الشيخ من العلماء
243 المنح القدوسيه ، فى شرح المرشد المعين بطريقة الصوفية
244 لابن عاشر ظاهر وباطن
244 التنويه بعلم الباطن
245 العلم والولاية والتزهد فى العلوم
247 امثلة من المعانى الباطنية
248 الوهية البشر
250 انت صم لا تسمع
251 هل العالم قديم ؟
251 انكار المحسوسات
252 قوله فى الطهارة والصلاة
253 ما هى فرائض الوضوء السبع ؟

- 254 الجمعة معناها وعلى من تجب ومن يحضرها ؟
 255 الذهب والفضة : الحقيقة والشرية
 256 الدخول على الله !
 256 صوم المسلمين وصوم (القوم)
 258 الحج عند المسلمين وعند (القوم)
 259 العمرة عند المسلمين وعند (القوم)

☆ ☆ ☆

- 260 توبة الانبياء والمخطئين وتوبة (القوم)
 263 خاتمة : كلام أهوج ... وشيطان فى صورة انسان

القسم الثالث

- 271 العليوية - اخت القاديانية
 272 اتصال بالفرق المبتدعة
 273 العليوية بالجزائر (1)
 276 العليوية بالجزائر (2)
 277 مجلة المنار تفضح القديانية وزعيمها
 278 اصل ارتدادهم عن الاسلام
 281 بقايا الباطنية
 282 سورى مغرور يدعى النبوة
 283 تكذيب أوروبا للدينين الجديدين

☆ ☆ ☆

- 285 الاتصال برجال الكنيسة
 285 المجلة الاهلية تفضح الاتصال
 286 الشيخ أحمد بن عليوة - الم رابط العصرى وصديق فرنسا -
 287 اعجابه بالمسيح وبالانجيل
 288 استحقاقه للمكافأة
 290 اطراء بمعلومات فاسدة
 292 أصحيح هذا ام باطل ام مبالغ فيه ؟
 297 سكوت مريب
 298 براعة ابن باديس فى رد الكيد
 299 حقيقة شعوره نحو « مستخدم » الحكومة

☆ ☆ ☆

- 301 الاتصال بالادارة الفرنسية والتعاون معها
301 هذا التعاون قديم من عهد روش
033 نفور الشعب من العملاء
305 سعيهم لمنع الشهاب من دخول المغرب
306 نجاحهم فى منع دخول الشهاب للمغرب
307 هذا ما كنا نتوقع
309 مقال لصحافى فرنسى حر
309 صحف محجورة - تعريف بالشهاب
312 مبدأ الشهاب الدينى والديوى

☆ ☆ ☆

- 312 الشهاب كان موضوعيا
312 تطور الشهاب بتطور الشعب

☆ ☆ ☆

- 316 اتصال العليويين خاصة بالادارة
317 دعوة صاحب الشهاب القادة للمفاهمة بالحسنى
317 تأسيس جمعية العلماء
319 تدخل فرنسى ناجح ثم الفشل
320 تأسيس جمعية علماء السنة

☆ ☆ ☆

- 321 سياسة الضغط والارهاب
322 نهاية جمعية علماء السنة العملية
323 الخاتمة : فى بوقاعة ، تبجس البغل

☆ ☆ ☆

- 325 بيجو يحاول خلود حكم فرنسا
326 ما يقولون عنا
329 ملاحظات على المقال

☆ ☆ ☆

- 331 محاولة تحطيم النهضة العربية الاسلامية بالجزائر
332 قضية الاستاذ العقبى ، ومصرع الامام بن دالى عمر كحول
333 جريمة قضائية بالجزائر
340 ملاحظات على هذا الفصل

أحمد حماني

أ صراف بين السنة والبدعة

أو
القصّة الكاملة للسطوب بالإمام
الرئيس عبد الحميد بن باديس

الجزء الثاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين . له الحمد في الاولى والآخرة وله الامر .
لا نعبد الا اياه ولا نستعين سواه .
والصلاة والسلام على محمد سيد النبيين وامام المرسلين .
وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد :

فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « صراع بين السنة والبدعة
أو القصة الكاملة لمحاولة السطو بالامام الرئيس ، عبد الحميد
ابن باديس » .

وما كان يدور بخلدنا - عندما شرع القلم يخطه - أن يبلغ
مثل هذا الحجم ، ولكن الوفاء بما جاء في العنوان - حتى يطابق
الاسم المسمى - أوجب البسط في الكلام فقد كان مجال القول
ذا سعة ، ووجد اللسان للقول ، ثم ان صدور الاخوان المخرجين
للكتاب كانت أوسع من المجال ومن اللسان ، فكان ما كان ...

وارتفع عدد صفحاته الى درجة أصبح من العسير اخراجه في
جزء واحد ، وعرض الامر على فلم أر بدا من اقرار رأى الفنيين ،

فهم أخبر بفنهم ، وهم أهل الذكر فى الموضوع ، وانا لنرجو
أن يتسع صدر القارئ الكريم لمثل ما اتسع له صدر الكاتب
والمخرجين .

ان هذا الجزء ، من الكتاب يشتمل على القسمين الاخيرين من
موضوعه وعلى الخاتمة ، وسيجد القارئ فى القسمين ثروة
أدبية فريدة من نثر فنى رائع ، ومن شعر عربى فصيح خلفتهما
حادثة السطو . ويتخلل كليهما تعليقات وشروح مفيدة ، وتراجم
هامية ، نتج كل ذلك من أقلام فحول الكتاب ، وعباقره الشعر ،
أما الخاتمة فان لها صلة وثيقة بالموضوع ، وسيجد فيها القارئ
الكريم تراجم ومعلومات قد لا يجدها فى كتاب آخر .

ولا نطيل فى الكلام ، فالأفضل ان نترك القارئ مع هذا
الجزء ليتابع ما بدأ فيه فى الاول وعساه الا يعدم ما يفيد ،
واقله متعة الاطلاع ان كان نهما طلعة .
والله الموفق والهادى الى سواء السبيل .

الجزائر فى : 05/09/1404 هـ

الموافق لـ : 05/06/1984 م

أحمد حماني

القسم الرابع

ثروة أدبية وثقافية خلفتها الحادثة

ان حادثة السطو بالاستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس « كتبت تاريخ النهضة الاصلاحية – فى افريقيا الشمالية بالحبر الاحمر الذى لا تمحوه الايام » (1) وقد أحسن الزاهري فى قوله .

ان تكتب الحق الدماء فانت من كتبت دماؤك للهدى صفحات (2) ولم يكتب أحداثها الدم وحده ، ولكن الاقلام والمداد والافكار والعقول أنتجت – أيضا – ثروة أدبية ثقافية نفيسة من النثر الفني العلمي الرفيع ، ومن الشعر الجيد المعبر الفصيح ، شارك فى انتاجها كتاب وشعراء الاقطار الثلاثة : الجزائر ، وتونس، والمغرب .

ومن الغبن أن يبقى هذا الكنز دفيناً ويضيع ، كما ضاعت كثير من النفائس، ففى ذلك خسارة أدبية ثقافية عظيمة .

وحتى لو فرضنا أن نشر انتاج كل أديب فى ميراثه الخاص، فان هذا قد يبدد الموضوع ويقلل أهميته .

ان فى هذه الثروة الأدبية – الشعرية والنثرية – حقائق تاريخية ، ومباحث دينية ، ونفائس أدبية ، ونقاشا بارعا، وحوارا شيقا ، بأسلوب رفيع، مما يمكن ان تدرس فيه نفسية النائر أو الشاعر للتعرف على أسلوبه ولغته وتفكيره وتمييز شخصيته ، وبيان مذهبه .

(1) ابن باديس فى تعليقه على حكم القضاء الذى اصدره ضد الجاني .

(2) مما ورد فى قصيدته المنشورة فى قسم الشعر .

ان فى هؤلاء الكتاب والشعراء من كانوا - آنذاك - فى القمة ، ومنهم من تربعوا عليها من بعد .

وقد رأينا ان ننشر كل قسم على حدة يبتدىء بالنشر ويختتم الموضوع بالشعر ، ويقدم للمقال بمقدمة قد تطول اذا تناولت تاريخ حياة الناثر أو الشاعر ، وربما كان هذا من عيوب الكتاب ، وفكرنا ان نجعل للتراجم قسما خاصة بها ، ولكن اقتنعنا ابقاء الامر على حاله حتى لا ينقلب الكتاب الى كتاب تراجم، وللتنوع والاستراحة ، ولانه ايسر للمطلع - وخصوصا الشباب الذى اليه نكتب - ان يعرف الكاتب قبل ان يقرأ موضوعه ، واما الشعر فقد التزمنا شرحه كله شرحا قديرى مسهبا على الطريقة القديمة لانه شعر فعلى يستحق العناية والخلود، وليس مثل الهذر الذى قد لا يقرأه الا صاحبه ، أو صديق له ليداعنه ثم لا يعود اليه واحد منهما أبدا ! لانه لا يمكن ان يؤدي فوائد لفظية أو معنوية تخلده. وربما وقع فى شرح بعض الأبيات التى يظهر انها واضحة المعنى ولا تحتاج الى شرح عناية بها واهتمام فلا تقل انها من الواضحات ، وقديما قيل : (شرح الواضحات من الفاضحات) فاننا قصدنا من ذلك ان يتعلم شبابنا التدقيق والعلم وكيفية التبليغ ، ولا يكتفون بالتقريب للفهم ، كما اننا نشير الى بعض المسائل النحوية والقواعد العربية ، وان كان هذا الامر قليلا ، وعسى ان يكون فيما صنعنا فائدة ولو لقليل من الناس .



أولا - قسم النشر

الفصل الاول :

مقال (بيضاوي) : ابن ملجم

كان من أول من حركته الحادثة واثرت فيه التأثير البليغ الكاتب الكبير الاستاذ (بيضاوي) وهو الاسم المستعار الذي كان يختفى وراءه العلامة الجليل الشيخ مبارك بن محمد الميلي ، أكبر تلاميذ الأستاذ ابن باديس ومدرسته علما وفضلا وكفاءة ، وأحد علماء الجزائر ، وبناة نهضتها العربية الاصلاحية الافذاذ . وأول من ألف للجزائر باللغة العربية والعاطفة الوطنية تاريخا قوميا وطنيا نفيسا وسمه ابن باديس (انه أحيى به الأمة) ، ومن أحيى نفسا واحدة « فكانما أحيى الناس جميعا » فكيف بمن أحيى أمة ؟ ؟

وكان الاستاذ مبارك (بيضاوي) قد جرد سيفه (قلمه) وكتب سلسلة من المقالات نشرت في المنتقد ثم في الشهاب هاجم فيها الانحراف في الدين أو في السياسة ، وهو الذي صرح ضد فكرة الاندماج والاندماجين بان الاندماج هو موت حقيقي للأمة ، موت لا نشور بعده يلحق بنا سبة الأبد ، وانه يختار - لو خير بين حياة تقدم مع الاندماج وبين حياة تأخر وانحطاط وبقاء على الحالة السيئة المستقبحة الحالية مع المحافظة على القومية والشخصية الوطنية - فانه يختار الثاني لان الاندماج موت والحياة المنحطة خير من الموت على كل حال .

وقد انتصرت فكرة المحافظة على الشخصية بفضل المدارس والمساجد والهيئات والاحزاب الوطنية . والحمد لله .

وكان قلمه شديدا في حرب الضلالات والبدع والخرافات ، ودجل بعض المنتسبين الى التصوف وخصوصا (دعاة الحلول ووحدة الوجود) لبعدهم عن الحق في القول والاعتقاد والسلوك ، فاستاءوا من ذلك ، وراوا انه مسهم مباشرة فقرروا ان يسكنوه الى الابد ، حتى يغيض المنبع بالقضاء عليه أو على من ينشرها في الشهاب ويأتى بمثلهأر (افظم) .

وهذه كلمة عن ترجمة الشيخ مبارك يتبعها مقاله :

الشيخ مبارك الميلي 1896 - 1945

ولد الشيخ مبارك بن محمد براهيم الميلي في « أولاد مبارك » بجبال الميلية حوالي 1896 م وحفظ القرآن الكريم في (ميله) التي كان ينزح اليها كثير من أبناء جبال الميلية ، والى أهل (ميله) تنسب « الميلية » لان (ميله) كانت مقرا لحكم تلك الجهات أثناء العصور الخوالي ، فاذا جاء أعوان السلطة من أهل ميله للانصال بالشعب هناك عسكروا بذلك المكان ونزلوا فيه ، فسمى بـ « الميلية » ، بهذا حدثني الشيخ مبارك رحمه الله أيام العمل معه في البصائر عام 1938 م وكان رئيس تحريرها . واما مدينة « الميلية » فحديثه ، مصرت في العهد الفرنسي .

بعد حفظه القرآن في جامع (سيدي عزوز) أخذ المبادئ الأولى عن العلامة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالشيخ الميلي ، أو بالشيخ العلمي ، نسبة الى (العلة) ، وأصله من نواحي (بلزمة) التي كانت مقر الفرسان العرب أثناء قيام الدولة الاغلبية . وكان انشيخ الميلي عالما جليلا سلفيا مصلحا مات شهيدا بيد مجرم أثيم . استفتاه ثم لم يرض بفتواه .

انتقل الشيخ مبارك الى قسنطينة للأخذ من الشيخ عبد الحميد، فكان اعظم تلاميذه والمنتفعين به ، والعاملين معه ، ثم انتقل الى تونس لإتمام دراسته العليا، وهناك لقي كثيرا من نبغاء الجزائريين . ومنهم الشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد السعيد الزاهري ، والشيخ عبد السلام السلطاني ، ولحق بهم الشيخ سعيد الزهوشي وغيرهم ، واخذوا على كثير من مشائخ ابن باديس مثل الشيخ محمد النخلي القيرواني ، والشيخ محمد الصادق النيفر ، والشيخ الطاهر

ابن عاشور ، والشيخ بلحسن النجار وغيرهم ، ورجع من تونس بشهادة التطوع
(العالمية) عام 1925 م .

وفور رجوعه كلف بالتعليم والادارة للمكتب العربي بقسنطينة وهو الأصل
الاول لمدرسة التربية والتعليم سنة 1925 م . وكان من مؤسسيه الشيخ عمر
الجيجلي والد صديقنا محمد الجيجلي ، والاستاذ عبد العزيز الجيجلي . وعين - مقرا
للتعليم - مسجد (سيدي بومعزة) ويوجد في نفس النهج الذي توجد به
المطبعة والادارة للشهاب ، وهو اليوم نهج عبد الحميد بن باديس . لكن أزمة
مالية عصفت به فانتقل الشيخ مبارك الى الاغواط .

ولما كان بقسنطينة أسست « المنتقد » ثم « الشهاب » فتولى عبء التحرير
فيهما وانشاء المقالات التي كان لها دوي كبير ، تارة بامضائه الصريح ، وأخرى
بامضاء « بيشاوي » وثالثة بدون إمضاء، مما أحدث « ثورة » كبيرة في الوسط،
ويمكن ان نتبين مقدارها من كلمة « الاستاذ محمد زغياش » المنشورة في غير
هذا المكان . وقد سمعت كثيرا عن دور الشيخ مبارك رحمه الله من المرحومين
السيد أحمد بوشمال ، والشيخ عبد الحفيظ الجنان رحمهم الله ، وكل منهم
أدى دورا مهما في تلك الايام ، كما سمعت ذلك من الأخ الزواوي - خليل -
ابن القشي مدير المطبعة ، وما يزال بالحياة .

وفي الاغواط - التي انتقل اليها أوائل عام 1927 م - استقبل استقبالا
عظيما ، وكان سبقه اليها الشيخ الزاهري ، ولم ينجح في التحصيل على رخصة
لفتح مدرسة .

فلم يصبر كثيرا وترك مكانه لأخيه الميلي الذي كان أصبر منه، فارتحل الى
تلمسان ، وتمكن الميلي من انشاء مدرسة جمع عليها سرة المدينة ، وفيها ادناء
الشعب ، وكون تلاميذ من أحسن من تفخر بهم الجزائر ، ومكث عنالك بضع
سنتين .

وعندما كان الشيخ مبارك في الاغواط اشتدت الدعوة لتأسيس جمعية
العلماء وتكونت بالفعل اثر الاحتفال بمرور مائة سنة على احتلال الجزائر .
فانتخب عضوا في مجلس ادارتها وأميناً لمالياتها .

تم عاد الى ميله ليكون قريبا من عرين الاسد ، وأخذ يكثر الاجتماع به واللقاء معه ويعينه فى أعماله . والحق ان الصلة كانت بينهما متينة ، فلم يكن أعز عليه فى حياته من الاستاذ ابن باديس كما لم يكن عند هذا أغلى عليه فى حياته من تلميذه مبارك ، وكانا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم « الارواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وقد أسس فى ميله « مدرسة الحياة » ومسجدا جامعا تولى خطابته والتدريس فيه ، وناديا للشباب ، وكان يوالى رحلاته الى تلك الجهات ، وخصوصا المليية ودائرتها والطاهير ودائرتها .

ثم أسندت اليه رئاسة تحرير جريدة (البصائر) بعد ان تخلى عنها الشيخ العقبي فاضطلع بالمهمة ، وتخلى عن امانة المال فأسندت الى الشيخ أحمد ابن معيزة . ودخلت (البصائر) فى عهد جديد من حياتها ، وأخذ ابن باديس يكتب - غالبا - افتتاحياتها . حتى تقرر ايقافها اثر اعلان الحرب العالمية الثانية .

ولما توفى الشيخ ابن باديس - فى 16 ابريل 1940 م - كان وقع ذلك عليه ألما وأغمى عليه بقرب جثمانه . غير أنه استعاد وعيه وملك صبره وإيمانه ، وخلفه فى الاضطلاع بالمسؤوليات الجسم لان الشيخ البشير الابراهيمي كان ما يزال مبعدا فى مدينة « أفلو » ومن ذلك انه أشرف على الدراسة العلمية للطلبة حتى نهاية السنة الدراسية . غير ان صحته لم تكن تساعد على الاستمرار فى مثل هذه المسؤولية فتقرر ان تسند لاخته وزميله الشيخ العربى التبسى ، فانتقل مقر الدراسة - وقتيا - الى تبسة حتى 1946 .

وبعد وفاة ابن باديس تعرض العلماء لضغط شديد من الادارة الفرنسية التى كانت تريد منهم ان يغيروا موقف ابن باديس وسياسته نحو فرنسا ، سياسة الانفصال والجفاء والبعد عن التعاون ، وعربونا على ذلك عرضت عليهم ان يقبلوا برئاسة من تراه فرنسا أليق بسياسة المفاهمة والتعاون وهو الشيخ العقبي ، حدثنى بهذا ثقات منهم من هو شديد القرابة من الشيخ مبارك ، ومنهم من كان فى قيادة الجمعية وعلى اطلاع كبير بحياتها ومشاكلها وما يزال بالحياة ولكن جواب الشيخ مبارك واخوانه كان بالسلب واستطاعوا ان يتخلصوا

بلباقة وشجاعة اذ كان جوابهم : ان ما تقولون لا نملكه ، وانما يملكه الاجتماع العام . والرئيس الحالى وهو الشيخ محمد البشير الابراهيمى موجود فى المعتقل وعندما يطلق سراحه وتتوفر الظروف نعقد الاجتماع العام ، وهو الذى يستطيع ان ينتخب الرئيس وان يقرر - فى سياسة الجمعية وسيورها - ما يراه وكان واسطة هذا الاتصال شخص يعمل بادارتهم ، وكان وثيق الصلة بنادى الترقى وهو الذى وثق به الشيخ الطيب ثقة لا حدود لها شان الغر الكريم .

وكان هذا رفضا صريحا لشقى العرض ، بتغيير سياسة الجمعية عما كانت عليه ، وبقبول رئاسة ترضى عنها فرنسا ! ودبرت بعد هذا الرفض مكائد - وخصوصا ضد الشيخ العربى - ، ولولا لطف الله لذهب ضحية المكر ، ولكن الله تكفل بحماية اوليائه « ان الله يُدافعُ عن الدين آمنوا » .

وبينما كانت الحرب العالمية الثانية تدنو نهايتها كانت آمال الشعوب فى يوم الخلاص تنمو ، وتكونت فى الجزائر حركة سياسة جديدة تعتمد على اتحاد جميع الهيئات الوطنية ، وتريد تحقيق استقلال الجزائر والاعتراف لها بحكومة وطنية ، وقدمت بذلك مطالب رسمية أقرها الجميع فى عريضة وسمت بـ : « البيان » . وكان رد فرنسا متعجرفا، واعتقلت منشئ البيان وأبعدته ، وغاب عنها أنها بذلك تفسح المجال لمن هو أشد منه وأكثر تطرفا وأميل الى العنف . ثم تكونت لذلك حركة « أحباب البيان والحرية » وأبرز مكوناتها (حزب الشعب) المتكون من النخبة الوطنية ، واتحاد النواب المنتخبين ، وجمعية العلماء المسلمين .

ولم يشارك الشيخ مبارك مشاركة فعالة فى هذه الحركة لأن صحته أخذت فى الانهيار، ولكن اخوانه الابراهيمى والتبسي وخير الدين كانوا فى الميدان . وفى يوم 8 فبراير 1945 م ، دخلت الى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة فوجدت الدكتور ابن الموفق رحمه الله نازلا فى درجها ، ووجهه مكفه ، ويكاد دمه يسيل ، فصعدت مسرعا ولقيت الاخ محمد صالح بن معنصر فبادرته بالسؤال : ما الخبر ؟ فقال : ان الشيخ مبارك فى خطر ، ففزعت ودخلت الادارة حيث يوجد ، فوجدته ملقى على جنبه لا يكاد يتحرك، فاقتربت منه وسلمت عليه ، فنظر الى ومد نحوي يده بضعف وقال : (سامحني) .

وكانت آخر كلمة سمعتها منه ، فانه أخذ الى « ميلة » ، ودخل في غيبوبة ، ومن الغد يوم 9 فبراير تلقيت مكالمة من ادارة البريد بقسنطينة من الاستاذ محمود دمي - الذي كان عاملا بها - فاخبرني أنه مر عليه تليغراف يخبر بوفاة الشيخ مبارك ، ثم بعد قليل رن جرس الهاتف فاذا بالذي يتكلم هو الكتبان (دو) الضابط المدير للشؤون الاسلامية بالولاية يتساءل : أحقا أن الشيخ مبارك مات ؟ وشيعت جنازته من الغد - في ميلة بحضور آلاف عديدة وردوا من سائر الجهات ، وأبنيه باسم العلماء الرئيس محمد البشير الابراهيمى وباسم الهيئات الوطنية السيد عباس فرحات زعيم حزب البيان ، ويوجد قبره البسيط بجانب شيخه الميلي بعيدا عن كل أبهة كما هي السنة وكما هي ارادته ومذهبه ، وكان عمره يوم وفاته حوالى 49 عاما .

آثار الشيخ مبارك

لم يترك الشيخ مبارك - رحمه الله - آثارا قلمية كثيرة - كغيره من اخوانه لاشتغالهم بتأليف الرجال - كما أثر من قول أحدهم - ولكنه مع ذلك ترك تأليفين جليلين ومجموعة رائعة من المقالات ، فى المنتقد ، والشهاب ، والسنة والصراط ، والبصائر . ولو جمعت كلها لكانت سفرا جليلا ، نرجو أن يتحقق هذا باهتمام نجليه .

التأليف الاول هو « تاريخ الجزائر فى القديم والحديث » وضعه حينما كان بالاغواط ، وأتم جزئين منه ، وتوقف عند ابتداء الدور العثمانى ، وشغله عن اتمامه أعمال جمعية العلماء الكثيرة الشاقة ، ونوالى أزمات المرض الخطير « السكرى » ، وجهله باللغات الاجنبية الضرورية لكتابة هذه الفترة من تاريخ الوطن . وقد سألته عام 1938 م ، عن سبب تأخره فى اتمام مهمته فذكر لى هذه الاعذار الثلاثة فقلت : ما بال (بعضهم) قد كتب فى نفس الموضوع وأتم عمله ؟ فاجاب : أنا لا أكتب كتابة صحفى - وقد تمعنت فى قوله فاقتنعت فان الاسلوب الذى استعمله فى الجزئين التامين هو أسلوب العلماء والباحثين المقتدرين ، وقد شهد له بذلك أمير البيان شكيب أرسلان ، وقال عن مؤلفه « ما كنت أظن أن فى الجزائر من يفرى مثل هذا الفرى » - وشهد له استاذاه ابن باديس أنه بكتابه هذا قد أحى أمة ، واذا كان من أحى نفسا فكانما أحى الناس جميعا ، فكيف بمن أحى أمة !

والسبب في هذا الاطراء من الشيخ عبد الحميد بن باديس أن تاريخ الجزائر كان مبعثرا مذكورا بضعه في تاريخ المغرب ، وبضعه الآخر في تاريخ تونس ، لأن اجزاء الجزائر كانت قد يتبع بعضها دولة عاصمتها في المغرب ، أو دولة أخرى عاصمتها في تونس ، وهذه الدول قد يكون ملوكها أو أمراؤها جزائريين صميمين مثل دولة صنهاجة أجداد ابن باديس ، ومثل الموحديين من آل عبد المومن ، ومثل المرينيين ، - وهذه هي أهم الدول المغربية المستقلة ، وكان ملوك هذه الدول يحنون الى وطنهم الاصلي ويرون أنهم أحق بملكه من غيرهم ، ويتنازعون مع غيرهم أو بعضهم عليه . لهذا لم تكن (وحدة) تامة تجعل للجزائر تاريخا موحدا . إذ كان المؤرخون لا يؤرخون للشعوب والامم ، وانما يؤرخون للملوك والدول (2) .

والشيخ مبارك رحمه الله استطاع بتاريخه - الذي لم ينسج على منواله أحد قبله ، ان يؤرخ لامة الجزائر ، ويثبت وحدتها وشخصيتها ، واثرها الفعال في الماضي العريق منذ عهد الجاهلية ، وفي عصور الاسلام ، فهو أول مؤرخ جعل للجزائر تاريخا مستقلا وكتبه بأسلوب علمي رفيع لا يشينه - بل يزينه - ما يبيده بين صفحاته من عزة قومية ، ونخوة جزائرية، وأحاسيس وطنية، وغيره اسلامية عربية، مما يغرس في قارئه العزة والنخوة والكرامة والقومية الصحيحة، ويستطيع ان يتبين ذلك من قراه بإمعان ، وقد كان كل جزائري في ضرورة الى مثله أيام صدوره ، وحتى الآن .

اما الاثر الثاني فهو «رسالة الشرك ومظاهره» وقد كان الشيخ مبارك ضد اللين والمهاودة وينزع الى الشدة والصلابة في مقاومة البدع، لهذا شرع يكتب سلسلة مقالات بهذا العنوان في جريدة (البصائر) في عهدها الاول ، وطالت بطول الموضوع ، فاقترح عليه كثير من القراء أن يجمعها في كتاب فاستجاب لذلك ، فاخرج كتابا له قيمته العلمية . واعترف به العلماء، واتخذوه مصدرا يؤخذ منه ويعول عليه في الثانويات والجامعات العلمية بتونس، والجزائر، وغيرهما . وقد جدد طبع هذه الرسالة - مرة أخرى - بعد وفاة الشيخ، وما يزال الوسط في حاجة اليها .

فقد نفدت - جميع النسخ ، كما جدد طبع التاريخ - بعد ان اضيف الى الجزئين السابقين الجزء الثالث الذي اهتم بالدور العثماني في الجزائر بقلم (2) من القريب أننا غيرنا - حتى بعد الاستقلال - أنه لا تاريخ لنا ولا دولة !

الاستاذ الكبير والكاتب القدير (الشيخ) محمد الميلي نجل استاذنا الشيخ مبارك ، الاستاذ بمعهد ابن باديس سابقا وأحد مؤسسى الصحافة الوطنية الثورية أثناء الثورة وبعدها وسفير الجزائر اليوم .

وقد حاول أن ينسج - ما استطاع - على أسلوب والده ، فوفق فى عمله ، ولكننا ما نزال ننتظر منه الجزء الرابع وهو الذى يهتم بالدور الفرنسى ، وأحداثه كثيرة ، والجزء الخامس وهو الذى يعالج قيام الدولة الجزائرية وبناء صرحها . ولا يتم هذا الكتاب النفيس الا بهذه فقد رأينا هذين الدورين معرضين لتزييف خطير ، محتاجين لقلم نزيه ، وعلم غزير ، وحكم صحيح : فهل لصديقنا الميلي أن يتقمص روح أبيه ويتدثر بشجاعته ويكمل هذا النقص ؟ أننا نشهد انه يحب أباه حبا جما ويعرف قدره كما كان هذا يحبه ويرضى عنه ، وإن أكبر علامات الوفاء له أن يتم ما بدأ أبوه فيه وبنفس أسلوبه .

وكان من أول ما أنتج من كتابة كبار المفكرين فى موضوع الحادثة ونشر فى جريدة الشهاب فى عدد 78 الصادر يوم الخميس الثانى رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، ما كتبه الاستاذ (بيضاوى) .

قال الشيخ مبارك تحت عنوان :

ابن ملجم القرن العشرين (2)

« من هذا الملجم بسببته الالفية ٠٠ ؟ من هذا الذى أراد تخريب مدينة العلم ؟ من هذا الذى دفعته غيرته الوثنية الى الانتقام من المصلحين باذاية

(2) من المعلوم ان ابن ملجم هو عبد الرحمن بن ملجم المرادى - أشقى هذه الامة كما جاء فى الحديث - هو الذى اغتال الامام على بن أبى طالب - كرم الله وجهه فى الجنة - وذلك فى 17 رمضان 40 من الهجرة (فى السنينات من القرن السابع الميلادى) وكان استشهاد الامام على نتيجة مؤامرة دينية دبرها ثلاثة من المجرسين ، هم - وان انتسبوا الى الخوارج - تنبرا من فعلتهم كل طوائف المؤمنين .

التزم أحدهم بقتل معاوية والتزم الثانى بقتل عمرو بن العاص ، والتزم عبد الرحمن بن ملجم بقتل على ، رضوان الله عنهم اجمعين . فاما معاوية فقد ضربه من انتدب لقتله فجرحه وقطع منه عرقا لم يلد بعده . واما عمرو فانه تخلف عن صلاة الصبح لعذر واناب عنه خارجه فقتله الشقى وهو يظنه عمرا ، فلما علم قال : أردت عمرا وأراد الله خارجه ، وفى ذلك يقول الشاعر عن المنية : وليتها اذ فدت عمرا بخارجه فدت عليا بمن شاءت من البشر واما على فقد نفذ فيه القضاء ، وجريمة ابن ملجم - أخزاه الله - لا تلزمه الا هو ومن علم بعزمه وتآمر معه ، ولا تتجاوزوه الى غيره بحال .

زعيمهم الاكبر الاستاذ عبد الحميد بن باديس ؟ ومما حدث أخيرا ان هذه الشرذمة اجتمعت ، وتحدثت فيما تنشره جريدة الشهاب - عرضا - ضد ترهات شيخها وقررت الانتقام من (بيضاوى) .

ولما لم تعرف شخصه هولت على جريدة الشهاب ، وطلبت منها تعيينه فلم يؤثر ذلك فى الادارة شيئا واجابتها بالرفض وهناك قررت - باجماع الاصوات - ان تعبت بحياة الاستاذ عبد الحميد بن باديس لكونه المشرف على تلك الادارة .

بعثت أشقاها ليلة الثلاثاء - 14 الجارى - فامتطى القطار من الجزائر الى قسنطينة يحمل لحية جرباء - عجرود - وسبحة باكورية - للبركة - وهراوة وحشية ، وموسى بدوية ، وورقة الذهاب والاياب ٠٠٠ بنية اغتيال الاستاذ ، والعودة ليلة الاربعاء (15) الى الجزائر ، ينزل بها ضحى ، ويلقيه أعضاء جمعيته بكل حفاوة وتجلة واکرام !

وماذا صنع هذا الشقى المفتوح عليه ؟ وكيف كانت عاقبة المعتدين ؟ ضرب الاستاذ على الساعة السابعة والنصف ليلة الاربعاء بهراوة على رأسه وخده الايسر كى يضعفه ويدعشه ثم يقضى عليه بالموسى ، ولكن غاب عنه سر شيخه ، ولم ينتفع ببركة شيخه وربما كان معه حرز من الشيخ وكانت الورقة ورقة ذهاب فقط ٠٠٠ ولولا حنان الاستاذ وانسانيته الكاملة لكانت ورقة ذهاب الى دركه المعد له فى العالم الاخرى .

امسك الاستاذ هذا الشقى الوقح بثبات جنان وقوة فؤاد، وحاول الانفلات منه فانفلت ولكن الى غير منجاة ، فقد احاط به الناس وسدوا عليه كل مذهب، ثم قبضوا عليه وذهبوا به الى المحافظة حيث زج فى السجن .

ويوم الاربعاء 15 أعلم شيخه من طرف بعض طلبة العلم بقسنطينة بتلغراف ، بشروه بفعل تلميذه الصادق المخلص ١٠٠! وبقوا منتظرين هل يكلف استاذ الاشقياء شيئا (البوقاطو) المتطوع مرة أخرى بالدفع عن مريده ؟ ونقف القلم فى هذه النقطة وننتقل الى النظر فيما تلقى عليه هذه المسؤولية ، مسؤولية الاعتداء على امام السنة وأستاذ الامة !

المتبادر الى الاذهان عامة ان المسؤول عن هذا الاعتداء الوحشى هو ابن عليوة المربى لتلك الجمعية ٠٠٠ ولكن العاقل يتوقف فى هذا الامر توقف حيرة ، فان هذا المربى ! على ما وصفه به الامام الخطيب ذكى فطن ، بعيد ان يخفى على فطانتها عاقبة تعديده ، ومريده لا ينفذ له مطلوبه الا بعد ان يضمن له الحفظ والسلامة ٠٠٠ وربما لا يتم ضمانه فيكون ذلك مضرا بناموسه وقادحا فى ولايته ٠٠٠ أكثر بكثير من مقالات (بيضاوي) هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فقد اعتاد أتباعه الاعتداء . وتكررت منهم الجنايات (3) ، ولم يصيبهم شئ ، فربما آمن بذلك هذا المربى مكر الله ، وظن ان سره ما زال ساطعا ٠٠٠

فان صح هذا الاحتمال الاخير وقلنا انه المدير لهذه الجريمة ، فقد تشوف النفوس الى وجه الفرق بينه وبين سائر الطريقين ، فان صحيفة الشهاب قد نشرت انتقادات تعم الطريقين ، وأخرى خاصة ببعضهم ولم يقدم احد منهم على الانتصار لنفسه بمثل هذه الفعلة الشنعاء . بل منهم من صبر ، ومنهم من أجاب بالكتابة فى نفس تلك الصحيفة أو فى اختها (النجاح) فكان دفاعه بنفس السلاح الذى حورب به . علم شد هذا المربى الجديد والطرقى الحديث ٢٠٠ وخرق سياج الادب ، وابتدع بدعة التجسس من البدع التى بثها فى اتباعه ، وكان أقل من الذين يكادون يسطرون بالذين يتلون عليهم آيات الله لانه سطا بالفعل .

الفرق ظاهر لمن تأمل قليلا فان هذا الرجل لم يزل فى دور التأسيس وهو رجل ذو همة عالية يريد أن يتغلب على جميع الطريقين ويكاثر بهم ، بالمشاركين به المشتركين فى ورده ١٠٠ وله بناحيته منافسون أشد منه قوة وابعد صيتا ، ولم يقو عليهم لان لهم سلفا قد عم ذكرهم وطار صيتهم ، فمعاصروه متسلون عما أصابهم بانقياد العامة لهم والتفافهم حولهم. ولم يجد هو ما يتسل به لحدوثه وضعف سمعته ، فاثرت فيه مقالات (بيضاوي) على لطافتها ونزاهة الفاظها، وليس ذلك بغريب فقد قيل قديما «خطرات النسيم تجرح خديه»(4).

(3) قبل الاعتداء عن ابن باديس اعتدوا على محرر « النجاح » وعلى حسين الجزيرى صاحب « النديم » بتونس .

(4) تمام البيت : ولمس الحرب يدمى بنانه .

هذه آراء ظهرت لي أبعينها ، ولم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره ، وسواء كانت المسؤولية عليه أم لم تكن ، افلا يكون حظ منها لناشر دعوته ومزكيه ومزكى اتباعه الامام الخطيب ؟٠٠

من الحيف أن نحرمه حقه من هذه المسؤولية وهو الذي شهد لهذه الطائفة بالولاية التي لا يلحق صاحبها خوف ولا حزن ولشيخها بالخصوص ، فانه اذا تكلم مع رئيس الجمهورية فمن دونه شفى العليل وأزال الغليل (5) .

فمن تخاف هذه الطائفة ؟ أمن الله وهى من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ أم من الدولة وشيخها محام كبير وسياسى خطير وخطيب قدير ؟٠٠

لا ، لا = دع عنك - أيها القلم - الهزل وتتبع مسالك الكتابة فليس الموضوع لذلك . ان المقام مقام جد ، فخطب الشيخ الزواوى ، وكل منتسب للعلم خطابا جديا واستحثهم للاتحاد امام هذا الحادث المؤلم المزمى بسعة الامة الجزائرية عموما والطرقين خصوصا .

ليبد كل جزائرى مقدرته العلمية وشجاعته الادبية سواء فى ذلك الاصلاحيون والطرقيون والمحايدون - وليظهر غيرته على العلم وأهله وليعلن باستيائه من هذه المعاملة العليوية ١٠٠ - ولا اصفها باكثر من ذلك - عاضدوا العلم ومن يسهر على سعادتك ، وعارضوا الجهل والهمجية ومن يريد أن يركس الجزائر فى حضيض الشقاوة باعتدائه على علمائها المبرزين .

ليس هذا الحادث من نمط الحوادث التى يمر بها القارىء مرور مستطلع للاخبار ، بل هو حادث غريب مزعج - للعالم والجاهل سواء - يقرؤه القارىء بامتعاض وتعجب واستغراب ، ويقرأ فيه الوحشية والخبث الاسود .

ان من يمسك قلمه عن الخوض فى هذا الموضوع فليوطن نفسه للذل وليصبر لمثلها فكأن قد ٠٠٠

وعلى الحكومة الا تنظر الى هذه الجناية نظرها الى سائر الجنايات الشخصية ، بل الى جناية حزبية من قوم فوضويين لا يرون الا حزبهم فى

(5) هذا ما جاء عنه فى مقال للشيخ أبى يعلى خطيب جامع سيدى رمضان .



الشيخ مبارك الملي

الوجود ، يريدون ان يخفتوا كل صوت يعارضهم ، ويتغلبوا - بجرائمهم
الوحشية - على من لم يحبذ سيرتهم ويسلك طريقهم ، يريدون ان يسكنوا
من اباحت لهم الدولة الكلام ويهتكوا لبلوغ ارادتهم - حجاب الامن العام •

أما انت أيها الاستاذ العظيم والمرشد الحكيم عدتنا العلمية وعمدتنا
الاصلاحية فليس عليك ازاء هذا الاعتداء من غضاضة وما بك من عيب سوى
انك داع الى الحق ، وناصر للدين ، ومحارب للبدع والخرافات •

امتحنك الله في جهادك ، وبلاك في صبرك وثباتك بهذا الشقى الغر ،
ونحن لا نجهل خطر هذا السبيل :

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا (6)
ولا نجهل أن اعتداء السفلة اللثام رفعة لشأن المعتدى عليه في الدنيا ،
وتضعيف لمثوبته في الآخرة •

وكأين قبلك ممن أودوا في سبيل الله ، ولكن مع هذا كله لا نرضى أن يمس
شخصك المحترم بسوء ، ونفديه بأنفسنا وأعز عزيز علينا ، لا خدمة لشخصك
ولكن خدمة للامة الجزائرية ، فان في حياتك وطول بنائك سعادتها بما تبث
في شعبها من روح العلم الصحيح ، والعمل الثابت • « **بيضاوي** »

(6) هذا البيت من شعر الخنساء رضى الله عنها •

الفصل الثانى :

شلت يد الجاني :

هذه كلمة - ضمنها قصيدة شعرية - دبحها يراع الشاعر الكبير والوطني الغيور الاستاذ رمضان حمود رحمه الله ، وقد كان هذا المفكر الكبير من أحذق رجال الجزائر وأخلصهم ، ومن كتاب الشهاب وإدبائه النابهين ، وقد اغتالته المنية وهو فى عز شبابه فكانت وفاته خسارة عظمت على الوطن .

لما بلغه نبأ الفاجعة الاليمة كتب كلمة نثرية ، ضمنها قصيدة شعرية ، ونحن ننشر فى قسم النثر كملته ، وننشر فى قسم الشعر قصيدته ، ونشرت الكلمة والقصيدة فى العدد 78 من الشهاب الصادر فى 2 رجب 1345 هـ - 6 يناير 1927 م .

قال رحمه الله :

« سمعنا - وما أهول ما سمعنا - أنه وقع سطو فظيع على الاستاذ الالمى عبد الحميد بن باديس من جانب بعض الاوباش المتمردين الذين لا يخلو منهم بلد . ومن حسن الحظ - والحمد لله - ان كانت الضربة خفيفة ، وما كدنا نسمع هذا الخبر الاليم حتى امتلأت قلوبنا حزنا وافئدتنا كآبة وألما لما أصاب شقيقنا فى الوطنية والدين ، فحينئذ من اللازم بل هو الفرض ابداء هذا للاحاساس الخالص نحو شخصه الكريم ، وكل من يمجّد حياة الجزائر الفتاة ويعرف قدر العظماء حتى تجتمع آلامنا وافراحنا على صعيد واحد . ولم أحن عليه لصداقة بيننا أو لغرض شخصى ما ، لاننى لم اجتمع به قط ولا رأيته أبدا ، وانما سمعنا ووجدنا فيه - وفى الشهاب دليلنا - وطنية صادقة ، وغيره دينية ، وصراحة فى القول ، وهى خصال خليقة بان تحبب الرجال الى الرجال (ثم تاتى القصيدة بعدها الختام) .

« وفى الختام أسأل الله لك العافية والشفاء ، وان يجعل هاته المصيبة آخر مصائبك ، بل لا أقول هكذا، لان من كان فى ربتك فلا بد ان يلاقى من الاهوال ما تشيب له رؤوس الصبيان ، ولكن أقول :

اللهم انا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه .

(وادى ميزاب)

رمضان حمود

الفصل الثالث :

الشيخ العقبي والشهاب وحادثة الفتك :

عتاب مر على استعمال الدين

كان الشيخ الطيب العقبي رحمه الله - من الذين كتبوا عن حادثة محاولة الفتك بالاستاذ ابن باديس ، نشرنا وشعرا .

وقد كان أحد اقطاب الحركة الاصلاحية ، وكتابها النابهن ، وكان يميل في أسلوبه الى الشدة والعنف والصراحة المريرة، بينما كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس يجنح - نوعا ما - الى الاخذ بالرفق واللين والدعوة بالتى هى احسن ، ويعز عليه ما وصلت اليه الحال بين كتاب الطرفين ، وبعد 18 عددا من المنتقد ومثلها من الشهاب نشر الاستاذ ابن باديس فى عدد الشهاب 19 مقالا تحت عنوان (فى سبيل الوفاق والتفاهم) قال عنه ابن باديس - فى عدد 75 (أردنا به جمع الكتاب على نقطة خاصة من الاصلاح وإيقاف ذلك التيار القوى من الكتابة الاصلاحية) . ولكن هذه الدعوة لم ترق لبعض الكتاب ، وعلى رأسهم - فيما يقول الشهاب - العلامة المصلح الشيخ العقبي لانه عده تحجيرا تاما ومنعا صريحا لكل كتابة فى الاصلاح الدينى أو ما حام حوله ، وبقي الاستاذ العقبي مصرا على المقاطعة والامتناع التام عن الكتابة ، ولم يقتنع بما ذكره الشهاب من مبررات ، فاضطر الشهاب الى زيادة بيان فى مقال آخر نشره تحت عنوان (فى سبيل الدعوة والارشاد) ودعا الكتاب المصلحين الى العودة (للكتابة فى نقد الدجل والدجالين وانه لم - ولن - يحجر على الكتاب الخوض فى نقد أعمال الطريقين ، وانما أوقفنا ذلك التيار القوى حيث رأينا انه بلغ حده ووصل الى منتهاه) .

ولكن هذا البيان لم يكن كافيا لارضاء الشيخ العقبي الذى بلغ به الغضب أشده حتى جاء هذا العدد - 75 من الشهاب - بعد الاعتداء على الاستاذ - فصرح انه يعيد الحرية الى الكتاب ، وصرح باسم الشيخ العقبي : لانه - أى العقبي - لم يرهما كافية - كفاية تامة - وصريحة صراحة حقه أى رفع مقال - فى سبيل الوفاق والتفاهم - ثم أعلن الشهاب (ونحن نؤكد لحضرته ولكل من كان على شاكلته اننا أضربنا على ذلك المقال الذى زال بزوال ما اقتضاه من الاحوال ورجعنا الى خطتنا القديمة ٠٠٠) .

وقد كان لهذه الكلمة - المبيحة للعودة الى العنف فى القول بعد أن اباح غيرهم استعمال العنف ومحاولة الفتك - كان لها اثر كبير على الشيخ العقبي فنشر مقالا عنوانه: أما الآن فنعم . وقد وجب الرجوع (وبين فيه مقدار ما وصل اليه سوء التفاهم مع ادارة الشهاب ، وما جرى بينه وبينها من كلام مر شديد ، ود لو اطلع عليه الكتاب والقراء وصرح فيه « ان هذا من الشهاب يعد رفعا لقانون ثقیل ، وعد اباحة الرجوع الى العنف (تحريراً للكتاب ، كتاب الشهاب برفع قانون (فى سبيل الوفاق والتفاهم) ذلك القانون الثقيل - وضعا وطبعاً - الذى كان من حين صدوره فى العدد 19 من الشهاب حجر عثرة فى طرائقنا فحال بيننا وبين الكتابة بجريدتنا - كما قالوا - كل هذه المدة الطويلة ، وبالحق كان غلا ثقیلا للأيدي والاعناق ، وبلاء شديدا لا يحتمل ولا يطاق ٠٠٠ ولا اكنتم اخوانى القراء اننى من يوم صدور ذلك القانون عقدت النية وعزمت عزما باتا الا اكتب كلمة واحدة بجريدة تستبد ادارتها كل هذا الاستبداد وتقييد كتابها الاحرار - من يوم خلقوا - بمثل تلك القيود والاغلال . وما كنت لارضى - ولن ارضى أبدا - باعطاء أهل الطرق وارباب الزوايا مثل هذه الامتيازات المجحفة بحقوقنا - معشر الكاتبيين - ولست بالناسي قط ما دار بينى وبين ادارة الشهاب من المفاوضات الطويلة العريضة فى هذا الشأن وكم كان كلامى معها مرا وشديدا جدا ولذلك كتمته عن القراء ، وظل عندها سرا مختفيا الى اليوم وبعد اليوم ٠٠٠ ولقد كنت أفرح كثيرا وأسر جدا لو اطلع عليه كل اخوانى كتاب الشهاب وقرائه الادباء ، ولكن مضى ما مضى ودار الفلك » . وقد نشر هذا المقال فى عدد 78 من الشهاب وختمه بالمه لما أصاب الاستاذ ابن باديس فقال :

(اما الحادث الاليم الذى ادهشنا وقعه ونزل علينا نزول الصاعقة حتى أنا لم نطق ذكره فهو خبر السطو الواقع على الاستاذ الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، ذلك السطو الذى حسبته (جمعيته التآمر بقتل العلماء والفتك بهم) يقضى على مشروع الاصلاحين ، فساء فالها ، وخابت آمالها ، وتلك عاقبة الظالمين . وان لى فى هذا الموضوع كلمة حارة اقذف بها الى لصوص الطريقين فلينتظرها القراء فى العدد المقبل ، وما العدد المقبل ببعيد) ثم جاء المقال بعنوان :

جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم :

أطريقة تلك أم عصابة أوباش ولصوص ؟

أين الحكومة لتحفظ النظام ؟

« والقارىء الكريم يدرك عنف أسلوب الشيخ العقبي من نفس هذا العنوان ، واستعماله لألفاظ ربما كان مبالغاً فى استعمالها آنذاك ، واعتماده مبدئياً على (الحكومة) لحفظ النظام ، وهى التى كانت حريصة على زرع الجهالة والفوضى بين المسلمين واحياء الاحقاد والخصام والتنازع الذى تجرأ ابن باديس على محاولة اطفائه تهيئة الحق للتفاهم والوفاق » .

قال الشيخ العقبي : فى الشهاب عدد 80 الصادر فى 16 رجب 1345 هـ - 20 يناير 1927 م : « اخجل ورب الكعبة أن أصف طريقة تنتسب الى الاسلام ، ويدعى اشياخها - بل كل أفرادها - السلوك والوصول الى الله ... اخجل - ومن صورنى كيف شاء - أن أصف طريقة كهذه بالتآمر على قتل العلماء والفتك بهم ، ويعز على جدا ان تنتهك حرمة الدين ، ويمتنهن كرامة العلماء بواسطة من هم من هؤلاء ، وأرى من الصعب البعيد جدا ان يتعاطى هذه المهنة - مهنة السطو والقتل - غير عصابة لصوص واوباش (1) ، وما كنت لاصدق ولا ليدور بخلى وفكرى ان يقدم على ارتكاب هذه الاعمال البالغة الى حد النهاية فى القبح والفظاظة - اناس انتسبوا الى دين الاسلام الذى يقول :

(1) اوباش : جمع وبش ، سفلة الناس وأخلاطهم .

« ولا تقتلوا النفس التي حَرَّمَ اللهُ الا بالحق » - وتسموا - زيادة على هذا الانتساب - باسم الصالحين ، السالكين ، الواصلين . وما كنت أدري ولا أفهم من لفظ الصالحين انهم هم الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، ويسفكون الدماء - حتى دماء العلماء العاملين - ولا يرعون ولا يتحرجون ، ولا فهمت - قط - قبل اليوم - ان السالكين هم الذين سلكوا الى ارتكاب هذه العظائم من اقرب أبوابها !

كما اني ما علمت - فيما مضى - ان الواصلين هم الذين وصلوا فى الوقاحة وقلة الدين والحياء وعدم الخوف من خالق الأرض والسماء الى هذا الحد وهذه الدرجة ! . . فرحماك اللهم بالأمة التى انعكس فى نظرها معنى الحق والحقيقة ، فسمت العبث بالدين وارتكاب الفظائع والجرائم التى تأتيتها وترتكبها فى اليوم وفى الليلة المرة والمرات طريقة ويا لها من طريقة ! نعم هى طريقة ولكن لمن يفهم اسرارها ويحل معمياتهم وأغازها ، ويعرف علم (القوم)

هذا وانى الى اليوم وساعة كتابة هذه الأسطر لا يكاد يسلم عقلي بوجود هذه العصابة وفى البلاد حكومة تعمل لمصلحة الحكوميين ، وتحافظ على الأمن والنظام العام ! اذن فما هذا الحادث الأليم الذى طرق الأسماع نبأه، وتكرر مرات عديدة فى جهات من هذه العصابة وقوعه ؟ . . . لا أدري - وان كنت أعلم يقينا بانى لا أدري ؟ . . سطو على عالم جزائري كبير ، ورجل من الرجال الاصلاح خطير .

حادث أليم مؤسف ومضحك مبك فى آن واحد ، نبأ من الغرابة بمكان ما كانت تصدق عقولنا لولا انه كان ، و « ليس فى الامكان أبدع مما كان » .

صوفية مسلمون يفتكون بحملة شريعة محمدية ، ودعاة الناس الى الخير ! اهل طريقة يحاولون إقناع الأمة جمعاء ويريدون إفهامها ما هى طريقهم وكيف سلوكها - بمثل ما رأينا وما سمعنا من هذه الجرائم والفظائع الجديدة العصرية، فهل بعد هذا الإفهام من إفهام ؟ . . فلينتبه بهذا الغافلون النيام ! . . وهل تستحق من اسم تمتاز به عن غيرها غير ذلك الاسم الذى جادبه عليها صاحب



الشيخ الطيب العقبي

جريدة « النديم » حيث سماها (طريقة الدبوس) رضى الله عنك يا نديم (2) ،
فانك فى هذه وامثالها زعيم ، وكفى بك لارباب طرق الضلال من عدو قديم .

لعللى - واحسب انى صادق - لم أستعظم قط فى الحوادث التى سمعتها ،
والانباء التى مرت على أذنى حادثا كهذا ، ونبا أزعجنى مثل هذا النبا العظيم
الاليم نبا السطو على هذا العالم المصلح المرشد ، ممن ؟ من أفراد طريقة من أهل
التصوف أو التصوف - كما قالوا - لتوافق القول المعروف عندهم .

يا للفضيحة ويا للعار ! يا للخزى والشنار ! ألهذا تؤسس الطرق ؟ وبمثل
هذه النتائج وهذه الثمرات تأتى الامة ؟ بلاء كبير ومقت أكبر ، ولكن ماذا
نقول ؟ نقول « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر » لقد بدلت الأرض غير الأرض ،
والأمة غير الأمة ، والطرق التى أسسها الصالحون الأولون غير الطرق وجاءت بغير
ما يقصدون ، وأثمرت للامة بذرا غير النوع الذى زرعه !

رحم الله من حسنت نياتهم من الاولين وساء عمل القوم المفسدين من
المتأخرين . ما كنا نظن - والله - ان تصل الحال بمتأخري الطريقين الى
هذه الغاية المشؤومة ، ولا توهمنا سابقا ان تحكم طريقة - ولو كانت عصرية -
على رجال العلم بمثل هذه الاحكام القاسية ، أحكام القتل والإعدام .

وهل تصدر مثل هذه الاحكام الكبيرة من طريقة دون موافقة رئيسها وصدور
ارادته السننية الى اتباعه الكرام البررة السالكين الخيرة الذين هم أطوع له من
فعله وألزم له من ظله ؟ قد كنت أفهم احيانا ان رجال التصوف - أو أولياء الله
الصالحين - هم أرق الناس قلوبا ، واعظمهم مرحمة ، وحبا بالانسانية ،
وأرسلهم ايمانا فى مذهب (السماح والعفو عن الناس) كيف وهم أهل
التواضع وأهل النية ، ومن لانية له فى تنفيذ ارادة شيخه (التى من جملتها
العفو والتسامح) فليس من ذوى الصدق والاخلاص فى الطريقة . ولكن هل

(2) النديم جريدة أسبوعية فكاهية خفيفة الظل كانت تصدر فى أربع صفحات
فقط ، مساء الخميس ، وكان لها رواج كبير فى تونس والجزائر ، يصدرها
الكاتب المبدع والشاعر المقتدر حسين الجزيرى رحمه الله ، وله نقداً
لاذعة على الاحداث والاشخاص ، يرسلها نظماً ونثراً ، وقد عطل الجريدة لما
اعلنت الحرب العالمية الثانية ثم ترك الصحافة وقبل حياة الوظيفة لان الصحافة
لم تضمن له حياة هنيئة ، وذلك سنة 1939 م .

يصح لى هذا الفهم الآن ؟ وهل فى الامة من يفهم كفهى حتى بعد وقوع هذا الحادث الذى أيقظ النائمين ، ونبه كل الغافلين ؟ تالله ان مثل هذا لىوجب الحيرة والشك (فى كل ما سواه) ويجعل العاقل البصير يتردد فى الحكم على هؤلاء القوم بأنهم ممن تصح نسبتهم الى بنى البشر - فضلا عن الدين ، فضلا عن أهل الاخلاق الفاضلة الذين سماهم بعض الاقدمين «صوفية» ما عمل القوم على بنى البشر ، ولا وقفوا عند حد ما أمر به الدين ، ولا تخلقوا باخلاق أهل التصوف وتادبوا بآدابهم ، فهل هم بعد هذا كله - أولياء الله صالحون ؟

وماذا عمل عبد الحميد ابن باديس وماذا جنى ؟ ٠٠ تعلم العلم ورحل فى طلبه الى تونس ورجع الى وطنه مصلحا ومرشدا ، أثبت لنا فى هذه الناحية نشأ جديدا ، فنبت نباتا حسنا ، أسس لنا جريدة دينية أكثر منها سياسية انتقد بعض كتابها نقدا علميا بعض الطرق فلم يرضها كل ذلك وأخيرا حكمت محكمتها العليا (التى هى فوق الحكومات كلها) بالاعدام على هذا المشوش الكبير ، والرجل المخطر وجوده على جماعة الطريقين ومن يحميهم من اذناهم الانتقاميين .

هل نفذ حكم هذه المحكمة ٠٠! نعم ، ولكن لا على الوجه المطلوب حيث جاءت الاقدار فيه بعكس المراد ، ففاز عبد الحميد ونجا من برائن الموت (والموت خزيان ينظر) .

كيف كان ذلك التنفيذ ؟ وكيف جاء على عكس المراد ٠٠! تقرب أحد شبان هذه الطريقة (الفدائية) الى الله باجراء هذه العملية وتنفيذ هذا الحكم القاسى ابتغاء مرضاة الشيخ ونصرة لحزبه وطريقه ، وقد كان يعتقد بالنية أنه لو تم له ما أراد يدخل الجنة بسلام اذ الضمان فى ذلك على الشيخ ، ولكن كان من أمره ما قصته علينا جريدة الشهاب، فثبت أجر هذا المتطوع عند الشيخ على كل حال ، وانما الاعمال بالنيات ، فماذا يقول المسلمون فى هذه الطريقة بعد اليوم ٠٠؟ بل ماذا يقول الناس وبماذا يحكمون ؟ وقد وقع ما وقع وصار ما صار - وهل هم متكلمون أم سيبقى الجميع وهم صامتون ٠٠؟ (أما أنا فقد تكلمت) وماذا تكون هذه الطريقة اذن فهل هى الحكومة القوية المسيطرة على الشعب كله التى لا يرضيها عمل عبد الحميد ومن على مذهب عبد الحميد؟

أم هي طريقة ربانية ومؤسسة تهذيبية دينية ٠٠؟ وهل حياة العلماء الكبار والصغار وحياة الكتاب الاحرار ليست في خطر بعد اليوم ؟

بل هل حياة كل فرنساوى وكل يهودى بل وكل رجل فى الحكومة نفسها اذا كان لا يعجبه ولا يروق لديه سلوك هذه المؤسسة ويجب ان ينتقدها انتقادا حرا هل حياة كل هؤلاء من الناس مؤمنة محفوظة (3) أم الخطر كل الخطر والويل كل الويل عن من تكلم ضد هذه الطريقة العصرية الجديدة ؟

كل هذه الاسئلة نود الجواب عليها من رجال الحل والعقد (4) العالمين بدخائل هذه الجمعية (المباركة) والمطلعين على سنتها الغيبية وأسرارها الخفية والا فما معنى وجودهم بهذه البلاد وهم عباد امثالنا . فهل تنتبه الحكومة الى ما فى هذه الجمعية الجريئة وامثالها من الخطر على الامن العام (3) ؟ واطنهما لو تدخلت فى شؤون هؤلاء القوم بالضرب على أيديهم وتطهير البلاد منهم لما كان وقع منهم مثل ما وقع ، وليس التدخل فى شؤون هؤلاء الناس عنسدى - من باب التدخل فى أمر الدين الذى تتباعد عنه سياسة الحكومة وتآباه (3) .

ولتعلم الحكومة وكل العقلاء من سائر الناس ان دين الاسلام برىء من هذه الطرق الفتاكة الجريئة على الظلم واغتيال النفوس .

واعتقادى الصميم ان كل علماء الاسلام شرقا وغربا - اذا خلوا من الغرض والالتصاق بهذه الجماعة - يفتون بما قلته ويصرحون ٠٠٠ وحسب الحكومة العاقلة الرشيدة ان تنظر نظرا بسيطا الى اصول ما جاء به الاسلام فتعلم صحة هذه الفتوى ٠٠٠

يحزننى جدا ، وآسف كثيرا ان تكون أول كتابة فى جريدة (الشهاب) بعد ان مضت كل هذه الفترة ونمت عن الكتابة بها كل هذه المدة الطويلة (5) ضد طريقة يقال لها طريقة ابن عليوة ، وما كنت لاحب التصريح باسم زاوية

(3) مثل هذه الفقر لا يمكن ان يرضاها ابن باديس وفى كتاباته ما يدل على ذلك .

(4) شكوى الجريح الى الغربان والرخم !
(5) كان الشيخ العقبى قد غضب على الشهاب وقاطع الكتابة فيه ؛ لان الشهاب دعا الى التفاهم والوثام بين الطرفين . وقاطع الكتابة أكثر من عام - منذ العدد 19 حتى العدد 78 وقد مر النص على ذلك .

بعينها ، أو طريقة بخصوصها ، أو انسان بشخصه ، ولكن الضرورة الجأتني لهذا ، وقبح الله ضرورة كهذه ...

قرأت فى العدد 75 من الشهاب خبر الحادث الاليم ، وجاء فى العدد الذى جاء بعده تفصيل هذا الحادث المؤلم المؤسف ، المبكى المحزن المقلق المشجى ... الخ ، حادث السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، فهالنى عند أول وهلة ما قرأت ، وكدت لا اصدق الخبر لولا انه جاء فى جريدة يقوم بإدارتها العليا نفس من وقع عليه حادث الاعتداء ، تواترت الاخبار بعد ذلك ، وكتبت المزايد كلها فى هذا الموضوع ما كتبت ، فأما بوقوع ما وقع وصدقنا ولله الامر من قبل ومن بعد . مسكين عبد الحميد بن باديس ! ومسكين القابض على دينه فى هذا الزمان ! ومسكين من يحاول اصلاح أمة هذا شأنها وهذه افعالها مع علمائها الشرعيين ! مسكين ، مسكين من هو مثلى ومثل عبد الحميد بن باديس اليوم ! ! ظالم وملعون من اعتدى على عبد الحميد ابن باديس ، ومجرم كبير من حاول بالقضاء عليه القضاء على مشروعه الاصلاحى العظيم ...

أيدرى المعتدى على من سطا وبمن حاول الفتك؟ لا يدرى!! ومن لى بأن يدري بأنه لا يدرى؟! ما سطوت يا هذا المجرم الاثيم على عبد الحميد بن باديس وحده ولكنك سطوت على الفضيلة كلها ، والامة الاسلامية جمعاء . وما حاولت اغتيال نفس واحدة ولكنك أردت ان تقضى على نفس تحى بها الناس جمعاء .. وتالله لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا روى الغنم (6) وسولت نفسك الشريرة الامارة قتل عبد الحميد ، بل قتل البقية الباقية بهذه البلاد من دين الاسلام المطهر من كل الارجاس والابخاث فسحقا لك يا عدو العلم والدين سحقا ! وبعدا لك ولقومك ومن على شاكلتك بعدا ! بل تعسا لكم تعسا ، وتبا

(6) هذه الكلمة آخر ما نطق به أبو جهل - أخزاه الله - عندما وطئ عنقه الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود وهو يقول له : وهل أخزأك الله يا عدو الله ؟ وفيها تحقير لعبد الله ، وتعيير له برعى الغنم ولا يستحق هذا المجرم الاثيم أن يوجه له ما وجه لعبد الله بن مسعود ، وأرى ان الشيخ العقبى ما كان حريا به ان يستعمل مثل هذا التعبير أصلا حتى لا يتوارد مع أبى جهل على قول واحد .

لك ولهم سائر اليوم تبا (7) اما سمعت أنت واشياخك ان القوم الذين قبح القرآن سيرتهم وقص علينا نبأ عملهم الفظيع قال فى حقهم : « **يَكَادُونَ يَسْطُون بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا** » فهل أفهمك أحد أشياخك فى درسه يوما ما ان معنى كاد المقاربة ؟ ، وان القوم المذكورين بهذه المخزية الشنعاء قاربوا السطو وما فعلوه ، أما أنت أيها المجرم الكبير (ومغريك فى الاجرام أكبر) فقد سبقت هؤلاء شوطا بعيدا فسطوت بعبد الحميد الذى خرج من درس كان يفسر به القرآن الكريم ، ويبين للناس ما نزل اليهم ، ويتلو عليك وعليهم الآيات (البيئات) سطوت عليه - يا عدو الله وعدو نفسك والمؤمنين - بالفعل ، وتقدمت يا غليظ الرقبة وقاسى القلب لتقضى عليه وتنهب من بين جنبه تلك الروح الطاهرة الزكية ، وتفجع الامة بقتل ذلك الشعور الشريف والاحساس الحى ! ٠٠ وقد قالوا ان ادارتكم العليا هى التى عهدت اليكم بقضاء هذه المهمة وأخذ عليك العهد فيها ، وأوصاك وأعانك على ذلك قوم آخرون ٠٠٠ وقد كدتم تؤدون مأمورييتكم ، وما تأمرت عليه جمعيتكم السرية أو طريقتكم العلوية تلك الطريقة التى لم ندر ما الغاية من تأسيسها ، سيما وقد تظاهرت بهذه المظاهر : مظاهر قتل العلماء ، واغتيال النفوس الابرياء ؟

أردتم وأراد شيخكم قتل هذا المصلح الفذ والعلامة الذى ما انجبت الجزائر - منذ احقاب - مثله الا قليلا ، والامة فى أشد حالات احتياجها اليه ، وقد كنتم تفرحون (كما فرح سفهاء الطريقين بضربه) لو مات ضحية جهلكم، ولكن الله سلم ، فبؤتم أوباء ، كبيركم الذى علمكم طريقة القتل والاغتيال - بخزى أبدي ولعن قد سجلته عليكم يد التاريخ ٠٠٠ ولو قدر الله على عبد الحميد ومات جزاء اعتدائكم لكنتم كلكم بجريرة هذه الروح الطيبة الطاهرة مأخوذين وبها (وكما هو الحكم الشرعى ، مقتولين ، ولكن انسى لكم - وللطريقين امثالكم ان تبؤوا بشسع النعل البتى فى رجل عبد الحميد (8)

(7) وهذه العبارة أيضا استعملها أبو لهب ، ونحن فى غنى عنها .
(8) وهذا أيضا تعبير جاهلى ، فان مهلهلا لما قتل ظلما بجير بن الحارث بن عباد قال له بؤ بشسع نعل كليب ، وكان الحارث بن عباد قد وجه ابنه حتى اذا قتله رضى فاخذ ثاره وكف عن حربه فلما بلغه هذا من فعل وقول مهلهل شمر للحرب - بعد ان اعتزلها - وترجحت كفة قومه به فانتصروا ، وقال فى قصيدة له (ان بؤ الكريم بالشسع غال) - وحكم الشريعة ان المسلمين تتكافؤ دماؤهم) وقد أكد هذا الحكم على بن أبى طالب فى وصيته لاهله عندما ضرب - مثل هذا التعبير من الشيخ هفوة فيما أرى ان اعتبرهم مسلمين ...

ولا أظن أسيماخكم يجهلون قول الخليفة الراشد : لو اشتراك فيها أهل صنعاء
كلهم لقتلنهم بها (9) .

الهذا اسستم طرقكم ايها الطريقون ؟ المثل هذه البضائع والجرائم تسرون
وتفرحون ؟ وتقولون ان رجال الغيب أولياء الله ، تصرفوا في عبد الحميد
(دقوه فقسوا فيه) (10) ، والحال انكم انتم المتصرفون والعاملون ؟ أهذه
هي طرق تصرفاتكم في الكون ؟ أنتم السالكون المسلكون والمرشدون
والواصلون ؟ بربكم قولوا لنا من اجاز مثل هذا في دين انتم اليه منتسبون ؟
أشريعة الاسلام هي التي أمرتكم بها ؟ أم هو من أفك طرقكم الذي تأفكون ؟
الابنيسما تعملون وساء ما به على العلماء تحكمون بالامس سطوتم على
(حسين المزيرى) صاحب جريدة النديم كما سطوتم على صاحب جريدة
(النجاح) (11) ، وجئتم في ناديك المنكر مرتين ، وما كادت الامة تنسى أو
تتناسى أنباء سطوكم (وما بالعهد من قدم) على ارتكاب كل هذه الجرائم
وقيامكم في الكون بهذا التصرف والتصريف أيها الاولياء الصالحون .

أعلمتم ان كل الناس تتألم من أعمالكم وتتساءل وتقول : أ طريقة تلك
أم جمعية ائتمار بقتل العلماء العاملين ؟ هل رضيتم ورضى عنكم شيخكم بعد
ان أصبحتم أكبر جمعية في القطر يخشى الناس شرها ويشار اليها بالايدي
والارجل كما يشار الى غيرها بالاصابع والبنان ! هل اعتقدتم يا رجال الدين
ان حكومة فرنسا اللادينية حكومة العدل وحفظ النظام والحرية سترضى بان
تكون حياة جماعة الطريقين (وهم الذين تبرأ من أعمالهم القبيحة وفضائحهم
الشنيعية الانسانية وكل عقلاء الجنة والناس والملائكة) محفوظة مصونة ، وحياة
العلماء المصلحين (وهم الذين ينشرون افكارهم الحرة ويبرهنون على صحتها بالحجة
والدليل لا يرمقون الناس على قبولها ولا يلزمونهم بها الزاما) في خطر وعرضة
لنهب الجاهلين ، ذلك ما لا يعتقده عاقل ، ولا نظن حكومة فرنسا توافق
عليه يوما أو ترضاه . والذي يليق بنا اعتقاده في جانب هذه الحكومة
الانسانية المحضة هي ان تنهض بعزيمة ونشاط في مقاومتكم .

(9) هو من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(10) تعبير عامي شائع معناه انهم انتقموا منه واصابوه بشر ، ودق الشيء
كسره . وفقس البيضة كسرها وفلقها بيده .

(11) جريدة النجاح قد تابت وانابت عن الانكار عليهم وشهدت لهم بالخير
فيما قبل وبعد .

يا هؤلاء المجرمون الجانون على العلم والحرية وعلى الانسانية جمعاء ، فقد كشفت لها هذه الجرائم عن نياتكم ومخبوء ضمائركم وطياتكم ، وما أمر استغلالكم للجمهور وتجهيلكم للامة وذهابكم فى الغباوة والقائكم لها فى الهوة السحيقة (هوة البؤس والفقر المدقع) بعد نزفكم لاموالها ، وامتنصاصكم لدمائها - فى مثل هذه السنين الشديدة والأيام العصيبة - ما أمر كل ذلك عن الحكومة (لو نظرت فى حالكم أيها الجناة بعين الاهتمام واليقظة) بخاف ولا بعيد (12) .

والامر الآن الذى يجب ان انبه اليه الحكومة - بمناسبة هذه الحادثة الكارثة الفاجعة المؤلمة - هو ان تمعن النظر فى فهم تعاليم القوم وقوانينهم الخاصة بهم كقولهم : الشيخ الذى لا يعلم بحال مريده ، ولا يعلم حتى شمعات جسده لا يصلح ان يكون شيخا مرييا) ، وكقولهم (القطب أو الفوٹ ينظر الى الدنيا كلها وما فى هذا العالم كمرآة فى كفه وهذا لا يؤودوه ولا يعجزه التصرف فى شؤون الكون) ، وكقولهم : (يجب على التلميذ ان يترك اختياره لاختيار الشيخ ويدع ارادته لارادة استاذہ ومربيہ ويجب عليه ان لا يعمل عملا الا بمشورته واذنه وان يكون فى كل عواطفه وحواسه وتصرفاته مستسلما للشيخ كاليت بين يدي غاسله) ... الخ .

ما هو مسطور فى كتبهم ، ومعلوم عند الصغير والكبير منهم ، وماخوذ فيه العهد على كل من دخل طرقتهم .

ومن هذا النموذج الذى ذكرناه يمكن للحكومة ان تسلم يقينا وتجزم ان الطرقى لا يقوم بعمل قل أو جل (وخصوصا اذا كان من نوع ما وقع على عبد الحميد) الا باذن الشيخ وارادته وأخذ رأيه (تفصيلا فى المهم واجمالا فى غيره) قبل كل شئ ، وأقوى حجة أقدمها لها على هذا هذه الجمل من تعاليم

(12) نقلنا هذه الفقرات بنصها لان أمانة النقل تقتضيها ، ولانها تشرح نفسية الشيخ وحسن ظنه بفرنسا ، وهو ما كان يخالفه فيه اخوانه العلماء - وخصوصا ابن باديس - مما أدى به الى الخروج من الجمعية مستقبلا عام 1938 م بعد أن أبوا عليه تقديم شواهد الاخلاص . وهو ما أدى الى مقاطعته الشهاب مدة تزيد عن العام ، وكان يرى ان منطق الحرية فى الكلام ان يقول فى مقالاته كل ما يخطر بباله وكل شرور التخلف والفقر والبؤس والجهل فى الامة انما تحمله حكومة فرنسا وتحافظ عليه ، وهو يحاول تبرئتها ! . واستسلام المريد للشيخ مثل هذا الاستسلام المطلق الذى بينه العقبى هو ما تريده فرنسا لتسخر الشعب بواسطة المشائخ .

أهل الطرق المصطلح عليها عندهم ، والمتفقون كلهم (بالاجماع) فيها .
وما هذه الجمل الا قليل من تعاليم كثيرة يعبرون عنها ، ويسمونها بعلم
القوم ، ويا لهم من « قوم » (13) .

وأرى من الواجب على المحكمة التي ستتولى الفصل فى هذه النازلة ان
تفهم جيدا معنى هذه الجمل من اصطلاحات وعلم القوم حتى تحكم فى المسألة
عن خبرة وبصيرة

أما قراء الشهاب فقد حكموا لاول وهلة وعرفوا من هو الجانى الحقيقى
والمجرم الاول المرتكب لهذه الجناية ، وما بقى على رجال الحكومة الا ان ينظروا
الى هذه الحثيات ويفهموها ، ولها - اذا عييت عليها الانباء فى هذا
الخصوص - ان تسأل أى فرد من اتباع هذه الطريق : هل شيخه من المرين
المرشدين ؟ هل هو قطب أو غوث ؟ هل يعلم أحوال مريده ؟ ولو كان بعيدا
عنه ؟ هل المرید مستسلم له بنية ذلك الاستسلام وهو دائما فى كل أحواله
معه كاليت بين يدي غاسله ؟ الخ ، الخ ؟

كل ذلك اذا سألت عنه يكون جوابها - بلا شك وبلا تردد - بالايجاب ،
والتلميذ لولا اعتقاده فى شيخه اكثر من كل هذا لما كان ينقاد اليه ذلك
الانقياد ويلقى اليه فى كل شؤون بالقياد ، وقد نراه يقدم له اعظم عزيز
عنده وأكبر شئ يغار عليه كزوجته وبنته البالغ البكر وهلم جرا - وهل كان
ذلك الا بنية الانقياد وعظيم الاعتقاد فى الشيخ ؟ (14) .

فمن هو المسؤول عن هذه الجناية وامثالها ومن هو المؤاخذ بها يا ترى ؟ ؟
نعم يمكن للشيخ ابن عليوة واتباعه العقلاء (ان كان هناك اتباع للحديث
يفهمون ، ولما نقوله يعقلون) ان يعلنوا بواسطة الجرائد براءتهم من أعمال
هؤلاء الجناة المعتدين ، وطردهم واخراجهم عن طريقتهم وحزبهم ، ويلعنونهم
على رؤوس الاشهاد كما « لُعِنَ الدين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود
وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتنون » .

(13) تحميل الشيخ ابن عليوة نفسه مسؤولية الجريمة شخصا استبعده
ابن باديس ، وتحميله للطائفة ثابت مؤكد ولكن من فعل ؟ الله أعلم .
(14) قد يزوج الرجل ابنته البكر لشيخه دون ان يكلفه مهرا كبيرا بل ربما
جهز ماله من عنده أما ان يبيع له ابنته أو زوجته سفاحا فهذا مستبعد فى
قومنا .

ولا أرى لهم من وسيلة تمحو وصمة هذا العار الكبير عن هذه الطريقة - بل عن كل الطرق - غير هذه ، والا فالجريمة بهم لاصقة لا محالة ، والتهمة عليهم متوجها وهم عما حدث مسؤولون ، وبه مؤاخذون ، لا سيما الشيخ ، وما ادراك ما الشيخ ؟ .. وانى اسأل هذا الشيخ نفسه بشرفه وانسانيته وايمانه بمعتقديه ماذا يفعل رجل مثل يكفر بكل هذه الطرق : طرق الفرقة والضلال (بل طرق القتل واغتيال النفوس) ويعتقد ان لا طرق فى الاسلام ؟ .. ماذا يفعل رجل مثل يعتقد ان طريق الاسلام واحدة ، هى صراط الله المستقيم الذى دعا الناس اليه بقوله : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » ؟

ماذا يفعل رجل اعتقد ان المسلمين كالجسد الواحد ، وآمن بقوله : « **انما المؤمنون إخوة** » ماذا يفعل رجل هذه عقائده ، وماذا أفعل أنا - والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدع بالحق واجب ؟ ماذا أفعل ؟ ..

أصرح بعقيدتي ، وأجاهر برأى ومذهبي - وهو الكفر بكل الطسوق الباطلة فى الاسلام فيعاديى الطرقيون ويقتلونى ؟ أم اعتنق احدى هذه الطرق - وأنا لها كاره - واتجنس بجنسيتها مخالفا لضميرى واعتقادي ووجداني - فاسلم من القتل ، فيقبلونى وربما عظمونى وأكرمونى ، ولكن بشرط أن أضل الناس وقد يضلونى ؟ أم اسكت عن التصريح بعقيدتي وأنافق لاهل كل طريقة فاعيش عيشة الهوان والصغار والذل والاحتقار ، أشعر من نفسى ويشعر العقلاء العارفون معى بمذهب الذبذبة والحيرة ؟ .. قل لى بربك ، قل لى : هل على عبد الحميد - أو على أنا - من عار اذا أعلنت عقيدتي وأبنت للناس فكري وديني كما أعلن الطرقيون أفكارهم وعقائدهم ودينهم الجديد لا بواسطة القول والكتابة والتأليف فحسب ، بل حتى بواسطة الغناء والتطويل والرقص والشطح الطويل ، ولم يكفهم لإظهارهم لكل ذلك حتى حملوا به أعلاما خفاقة على رؤوسهم يجمعون بها أمرهم ، ويعلنون لكل الناس شعائرهم وما هم عليه ، ولم يخجلوا من ذلك ولا راقبوا الله فيه ولا استحووا لآمنه ولا من خلقه ؟ أيفعل القوم كل هذه الافعال ويعلنون مذهبهم بمثل هذه الوسائل كلها ، ويتحدثون عن باطلهم ولا تأخذهم فى ذلك لومة لائم ولا هم - يجبنون .

ويراد منا - نحن معشر العلماء - أو طلبة الظاهر على رأيكم ان نبقي متفرقين
غير مجتمعين ، ومتباعدين غير متجاورين ، وساكنين عن التكلم بالحق غير
ناطقين ، ثم اذا نبس احدنا ببنت شفة قتلتموه وضربتموه غير مشفقين ،
ولو أنصفتهم لقلت : « لكم دينكم ولي دين » ؟ !

كان الواجب على جماعة الطريقين أن يردوا على جماعة العلماء بالحجة
الواضحة والكتاب المنير . لا بالعصى والموسى وضرب الدفوف والمزامير . . .
نحن لا نحارب احدا من الطريقين بعصا ولا موسى ، ولا نضربهم بمديعة
ولا (دبوس) وانما نبين عقائدنا بالنطق واللسان والكتابة بالبنان ، ونحتج
لصحتها بالدليل والبرهان ، فهل هم فاعلون كما فعلنا ؟ وهل ينصفوننا كما
أنصفنا ؟ وقد علموا قوله عز وجل : « **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** » هذا اذا كنا
فى نظرهم قد أسأنا ، وقد قرأوا قوله تعالى كما قرأنا : « **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » اذا اعتقدوا ان بذلك وبه سلمنا .

أفما كان الاليق والاولى بهم (ان كانوا مسلمين) ان يجازونا من جنس
ما أسأنا به اليهم ، وان يعتدوا علينا بمثل ما اعتدينا به عليهم ، فيبقى (الكلام
مع الكلام) والكتابة مع الكتابة ؟

ولكن ما لهم يعملون عمل الوحوش وشرار النفوس ، ويردون علينا
بالضرب بالموسى والدبوس ؟ !

ما هكذا - يا معشر الطريقين - تكون الدعاية ولا بهذه الوسائل تنشر
الطرق والمذاهب ، أحسبتم ان (القوة تغلب الحق) ، كما قالوا ؟ كلا وألف
من جنس كلا ! ان الحق قوة سماوية لن يغلبها فى الدنيا غالب ، وان كثرت
العصى و (الدبابيس) والامواس واختلقت فى مقاومتها المشارب ، فارجعوا
الى رشدكم ، وأنيبوا الى ربكم ، وتفكروا - ولو قليلا - فيما انتم فاعلون ،
لعلكم بعد التفكير والنظر الى طريق الحق تمتدون .

هذه ملاحظتى ازاء هذه الحادثة ابديتها ، وكلمتى الحارة الى أهل تلك
الطرق (على قارعة) أرسلتها ، وانهم هم الذين أنطقتنى رماحهم (لا بل

سكاكينهم وعصيتهم) فنطقت وأساءوا الي وأساءوا الى الاسلام والمسلمين
فحزنت واستأثت ، ولو عملوا صالحا يحمدون عليه لحمدتهم على ذلك وشكرت
ولكن أنى لهم ذلك ، وهم عن الحق معرضون ، وبالباطل والعبث مشغولون ،
« وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون » •

بسكرة - الطيب العقبى



الفصل الرابع :

الاعتداء على صاحب الشهاب :

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

« الشيخ أبو يعلى الزواوى امام مسجد سيدى رمضان بالقصبة من عاصمة الجزائر علامة من كبار علماء الجزائر الاحرار ، محقق ، شجاع سلفى العقيدة ، طيب السريرة حميد السيرة ، بليغ القلم ، سليم النية ، غر كريم ، ينخدع بالمظاهر - لهذا سهل على بعضهم ان يغره بإرسال اللحنى ، والاعلان بالقول بالتزام السنة ، والقيام بالأركان والذكر - فاغتر بهم ، وفتح لهم قلبه ومسجده و متن اتصاله بهم دون ان يبلغ درجة (المرید) ولكنه أثنى عليهم ، وكتب هذا الثناء فى صحافة الاصلاح وفى صحافتهم - فلما وقعت حادثة السطو على الاستاذ ابن باديس عاتبه إخوانه من كتاب الاصلاح والنهضة وحمله أخوه (بيضاوي) مسؤولية عظمى ، وجعله شريكا فى الدم المهراق ، وكذلك فعل كاتب مغربي عظيم - وكان قصد الشيخ مبارك الميلي (بيضاوي) اثاره الشيخ أبى يعلى ، ودفعه للتصريح واتخاذ موقف صحيح ، وهذا ما فعله أبو يعلى فى هذا المقال الأول ، وقد جاء من بعده مقالات سيأتي كل فى مكانه - والملاحظة أن أبا يعلى عين رئيسا للجنة الدائمة بعد تأسيس جمعية العلماء ، وابتعاد عمر اسماعيل عنها ، وبقي وفيما لمبدئه ، شجاعا فى مواقفه ، عظيم النشاط فى أعماله وكتابته ، وقد لقب - فى العلماء - بشيخ الشباب وشاب الشيوخ ، وكان يمتاز بقلب سليم وشفقه وحنان على أمته ، وكثيرا ما تسيل دمعته رحمة على البائسين » .

قال فى « الشهاب » عدد 81 وقد صدر يوم الخميس 23 رجب 1345 هـ - 27 يناير 1927 م . : « لما كنت كثير الكتابة فى جريدة (الشهاب) الثاقب

وعرفت بظهر الغيب الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس المشرف على (الشهاب) . أنه قطب دائرتنا السلفية ، وانه من أسرة عريقة فى المجد المؤثر ذات اماره وشهرة منذ تسعة قرون ونيف ، وكان من قضاء الله وقدره أن اعتدى عليه بعض الاوباش الحمقى الذين لا يتركون أديما صحيحا ، وكان هذا المعتدى - على ما قالوا - من المنتسبين الى الطريقة العلوية ، وكان قد جرى ما جرى من الاخذ والرد فى الكتابة ، ما علم به القراء عموما والاخ (بيضاوى) . خصوصا قبل هذا الحادث الملم المليم وكنا نظن انا مدنيون متمدينون بمدينة فاضلة، محكومون ومقيدون بشريعة عادلة، فلا حكم للمتوحشين، ولا ما يؤذون باعتداء المعتدين ، ولكن جرت سنة الله فى أرضه وحكمته فى خلقه ان يوجد الخير والشر ، والخير والشرير ، ولا مانع لما جرى به القضاء الذى نرضى به ولا نرضى بالمقضى - لما كنت كما ذكر فلايد من نشر كلمة لى فى الشهاب ، وهى كلمتي فى القضية .

انى أبرأ الى الله وأتبرأ من هذا الفعل الفظيع الذى ندعو الله ان ينزل عذابه ولعنته فى الدنيا والآخرة على من علم به ، أو له يد أثيمة، أو رضى بتلك الجناية التى لا تغتفر . ونتبرأ ممن يظهر فى الظاهر القانوني الشرعي أو ثابت فى الغيب ونفس الامر انه مشارك فى هذه الجناية كائنا من كان .

ثم بقى ان أقول : انه لا ينبغى بحال - ونحن سلفيون إسلاميون شرعيون مقيدون بالقوانين الإلهية والدولية - ان تكون أعمالنا من قبيل الرجم بالغيب أو التشفى والانتقام ممن عسى أن يكونوا برءاء ، اذ لا حكم للعقل وحده بل ومقيد بالشرع (1)، نعم لان العقل يحكم بتهمة جماعة من أهل هذه الطريقة انهم معرضون ويحكم انهم مسؤولون هم وشيوخهم ، ولكن يحكم كذلك انهم بريئون ، فلا ينفك فى التصور بين هذين الحكمين ، فالحكم لله العلي الكبير، ثم الدولة (2) وما دمنا مقيدين بالشرع وكنا لم نزل ذوى حملات على الباطنية قد نقم فيها ، ومن قدر على ذلك وبرهن لنا فنحن معه ان شاء ان ينتقم بأيدينا

(1) فى هذا رد على المعتزلة الذين يحكمون بالحسن والقبح ويزعمون ان الحسن هو ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه .

(2) يريد بالدولة السلطة القضائية هنا ، وهى مستقلة عن السلطة التنفيذية أو يجب ان تكون كذلك .

ننتقم ، والا فلا نزيد فى العداوة المقوتة والحقاقة المذمومة كما فعل الاخ
البيضاوى فى مقالته الاخيرة اذ قال هكذا بالحرف :

(من الحيف ان نحرمه - يعنى أياي - حقه من هذه المسؤولية) وذلك بعد
ان قال بما يجعل الشيخ العليوي نفسه بريئا اذ قال هكذا بالحرف : (هذه
آراء أبديتها لم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضره) وهذا تطرف وغلو .

لم أكن لأظن فى الذى تادب ذلك الأدب والذى قابلناه بمثله أولا ان يتبع
ذلك بهذه السيئة ، وانه لا يبعد ان يجعل جميع من يعرف علويا - وهم ثمانون
ألفا على ما صح (3) - مسؤولا ، ويصح عند ذلك ان يدخل الاخ البيضاوى
- فى هذه القضية - العالمين - عموما - والجزائريين خصوصا ، ورحم الله
الامام الشعبى السلفى الحقيقى اذ قال حينما قيل له كيف تعرف عقل الرجل ؟
« اذا كتب فاجاد » واخونا البيضاوى كتب فاجاد فاذا محا حسنة بعشر سيئات
فلا أفعل ذلك معه بل أقول ما قال يوسف « والله المستعان على ما تصفون » .

« الزواوي »

(3) هذا تهويل فى الاحصاء ، تارة (يصححون) أن عددهم كما هنا ، ومرة
أخرى يرفعون العدد الى أربعمئة ألف ! والحقيقة أنهم دون ذلك بكثير .

الفصل الخامس :

الى الناقد الخبير :

كاتب هذا المقال الشيخ محمد زغّيلش (*) احد الأدباء المعروفين فى مدينة قسنطينة ، وأحد المتخرجين من المدرسة الإصلاحية الملازمين لدروس الأستاذ ابن باديس والمعجبين بتلميذه مبارك الميلي . وقد كان لمقاله الذى مر - ابن ملجم القرن العشرين - صدى كبير تعبر عن بعض رنينه هذه المقالة .

قال فى الشهاب 81 الصادر بالتاريخ السابق :

« إليك يا صاحب القلم السيال، والعلم الصحيح، الذى لا يخشى فى سبيل الدفاع عن الدين لومة المبتدعين ، ولا سطوة المتوحشين .

إليك (يا بيضاوي) أقدم ثنائي العاطر ، وتشكراتي القلبية، على ما قمت - بل انفردت - به من الذود عن الدين الحنيف، والإصلاح بما أمر الرسول .

حقا انك لمنفرد فى الإغارة على ناشري مذهب البدعة ومؤيدي حزب الضلال، منذ برزت جريدة (الشهاب) ، وأنت تحمل الحملات الشعواء فتمزق الكتائب وأفئدة « القوم » والقوم يعضون الأنامل غيظا منك ، ولكن ماذا يفعلون ؟

أى (1) بيضاوي هكذا ليكن المصلحون ، وهكذا فليدافع المحامون عن كيان شرعهم القويم . لقد بردت الغليل ، وشفيت العليل ، فامض فى طريقك فالله مثبت أقدامك، وناصرك على أهل الابتداع . نعم إنك تتكلم بصراحة وحرية ضمير ، ولا تداري ولا تركز الى المدارة ، ومعاذ الله ان تكون من هذا القبيل .

(*) ولد سنة 1891 وتوفى بقسنطينة بتاريخ 5 ماي سنة 1962 رحمه الله .
(1) أى هنا لنداء القريب ، وتكون - أيضا - تفسيرية كما تكون بمعنى نعم اذا كان بعدها قسم نحو « أى وربى انه لحق » .

أى بيضاوي؛ انك تعلم ان اسمك - اذا ذكر أمام القوم وسمعه - فروا منه سراعا ، كما تفر الجنون النازلة بالصرعى من اسم (شمهروش الطيار) ؟ ! ! أو كما يفر الشيطان من الأذان (2) .

اطلعت على مقالك الاخير المعنون بـ : « ابن ملجم القرن العشرين » فرأيت فيه ذلك الكلام المنتقى ، والبلاغة الراقية والاسلوب المخترع ، والانتقاد الحر أو - المر - فاحث بى شوقا اليك ، واعجابا بك ، وشغفا بقلمك البليغ .

أنت اليوم يا بيضاوي صاحب الراية وقائد الجيش، فسل الحسام، وحدد المدينة، وأحسن الطعنة ، ولا يكن طعنك الا فى النحور .

اننا نعلق عليك الآمال فى هزم هذا الجيش الجرار جيش الشعوذة والتضليل (3) ، ونحن نسير خلفك نحمل ظهرك ، ونشد أزرعك ونمدك بالآلات والحرب ، فى بعض الامور الصعاب . فامض أيها الامير ، ولا تتوان فى المسير، وعلى الله تذليل العسير .

أى بيضاوي؛ جزاك الله وأهلك جزاء الابرار فى هذه الدار ، وفى تلك الدار ، وزادك قوة ونشاطا على ما أنت عازم عليه ووفقك الى الصراط المستقيم، ونصرك على مخالفى شرعه القويم .

قسطنطينة - محمد زغيلش

(2) (شمهروش) اسم جنى مشهور فى السنة العامة ، يذكر امام المصروع أو فى اذنه لطرد الجنى (ساكن) المصروع فى زعمهم أو المتظاهر بالصرع . فيفر منه ويفيق المغشى عليه من إغمائه . واذا صرع أحد الناس - وخصوصا من النساء - يدعى (طالب) لطرد الجنى فيتقدم ويشعل فتيلة يدخن ويقربه الى انف (المصروع) ويقرأ سورة الجن ، ثم يدخل فى محاوره - مع الجنى المزعوم الذى يملئ شروطه ، وأثناء ذلك يخوف بـ « شمهروش » فيفر، وهى تمثيلية هزلية يحسبها البلهاء حقيقة .

اما الشيطان فقد صبح فى الحديث أنه اذا سمع صوت الأذان ولى مدبرا سريع الفرار وله ضراط .

(3) تحقق هذا الامل بالمقالات المتتالية فى جريدة البصائر (السلسلة الاولى) تحت عنوان « الشرك ومظاهره » وقد جمعت فى كتاب تحت هذا العنوان ، وهو كتاب علمى نفيس .

الفصل السادس :

الى الخطيب أبى يعلى :

« هذا كاتب كبير ، وعالم جليل من علماء القطر المغربى الشقيق الشيخ محمد بن أبى بكر السلاوى ، تألم من حادثة محاولة الفتك ، وشارك بقلبه فى الانتاج الذى صدر اثرها . وكان علماء المغرب يشاركون اخوانهم الجزائريين فى مهاجمة البدع والضلالات وفى الدعوة الى الكتاب والسنة لان المغرب - مثل الجزائر - كان يئن تحت وطأة الجهل والجمود والفساد فى العقيدة والاعمال ، والفرق فى الدجل والشعوذة والاستغلال ، من أقوام لا يخافون الله ولا يرقبون فى أمتهم الا ولا ذمة . وقد أثرت « الشهاب » فى المغرب تأثيرا كبيرا وكاد لها المستغلون هناك فمنعت من دخوله ، وهذا مثل من شعور واحساس اشقائنا بالمغرب . وقد نشر المقال فى العدد 81 من الشهاب أيضا بالتاريخ السابق » .

قال الشيخ محمد بن أبى بكر السلاوى :

« الآن وقد تناولت عدد 76 من مجلتنا العلمية « الشهاب » الاغر ، فلم امعن الفكر واسرح النظر نحو (تلك الاشعة المنبعثة من أفكار ذوى الآراء الراقية والأنظار السامية ، حتى فجعت بقضية الفتك بالاستتاذ الحبيب سيدى عبد الحميد بن باديس ، فبقيت بين تيار كهربائى يدفعنى عن الخوض فى هذا المبحث الصعب المرقى ، وبين مغناطس فعال يجذبنى اليه ويأمرنى بابداء ما يوحىه الفكر ، وترددت هل يكون الخطاب متوجها الى الاستاذ - اذ هو الذى جنى على نفسه حتى ضحى فى سبيل حياة أمته أنفـس شئ يملكه المرء وهو حياته . أم الى الشيخ العليوى وهو الذى تخرج به من استوى عنده اباحة سفك الدماء وحرمتها حتى ازمعت أمرى على ان يكون الخطاب متوجها الى حضرتك » .

ولقد تربصت ملياً ريثما يتمحص لى الحق ، فلم أر - بعد البحث - أحداً جنى على الاستاذ الا اخوتك ، ولا سعى فى نشر طريقة العليوية الا اشباهك من ذوي الجاه والنفوذ والتظاهر بمظاهر العلم .

ان الشيخ ابن عليوة لم يرث التصوف عن آبائه ميراثاً ادبياً فنقول : ان النفوس مجبولة على حب القديم ، ولا عرف بعلم يميزه على باقى الطريقين فنمنحه وصف التهذيب وارشاد الخلق الى الحق . بل لم يكن الا تاجراً شأن المتجرين فى الحطب والملح كما فى صفحة 43 من ديوانه ، فلما رأى ان التجارة فى العقول أفضل من التجارة فى الملح وشاهد أن الخلق قد الفوا الكسل بما احدثه بعض المتأخرين من كثرة الثواب الخارج عن طور العقل على العمل التافه ، هجر الاولى للثانية ، واختار ان يكون تاجراً فى العقول أفضل منه فى البضائع ، ومعلوم ان طريقة هذا أساسها لا يمكن ان تنتشر لولا ان هناك دواعى للنشر اذ انقياد الخلق الى شيخ لا يتميز عنهم الا بالبزة بحيث يصيرون راغبين فى سفك دم كل من يتعرض للشيخ وطريقته - من أغرب ما ينقله التاريخ ، بحيث لو جوز العقل مثل هذا لاصبحت بقاع الارض مملوءة بالمشائخ لما ان المشيخة أصبحت المتجر الرابع ، والرئاسة التى ليس وراءها مطمح لمن يسعى فى الجاه ، وقد طبقنا دواعى الخلق على الشيخ فلم نجد منها ما يميزه عن مطلق السماسرة ، فان كان من جهة المجد المؤثر ، وان الشيخ عريق فى التصوفين فالناس يرغبون فى سفك الدماء الطاهرة حياً فيه لاجل سمعة اسلافه كما هو جل شأن مشائخ اليوم - فالعليوى مفسوح من هذه الحالة المزورة .

وان كان من جهة المعلومات فهذه تأليفه بين أيدينا لم نر فيها ما يصح اطلاق لفظ العلم عليه فضلاً عن ان يكون للشيخ ما يستوجب به هذه الشهرة وبعد الصيت .

وان كان من جهة اطعام الطعام ، وهو أحد موجبات الشهرة اليوم - وان كان نادراً فى السماسير - فالذى يملكه الشيخ لا نسبة بينه وبين بضاعته بالامس .

فلم يبق الا ان هناك عوامل فعالة ليس هنا محل بسطها ، اذ انقياد مثل الشيخ أبى يعلى - وهو الذى وصف نفسه فى جريدة الشهاب بكونه فقيهاً

عالما متبصرا كاتباً خطيباً - الى الشيخ العليوى - وهو من هو - ليس من السهل عند من يعانى مقالاته سيما ووضع الرأس فى سلسلة الشيخ - لا محالة - يؤدى الى وضع الاغلال فى اعناق البسطاء فتوجه الانكار الى الشيخ وهو الذى حدثنى عن خلوته الشيخ الامام المحدث أبو حفص سيدى عمر بن حمدان التونسى أصلاً ، انه يدخل المريد الى بيت مظلم يعده برؤية الله جهاراً ان مكث فيه ثلاثة أيام جائعاً ساهراً - من وضع الحكمة فى غير محلها ولوم ذلك الشقى ، وباخوتكم اقتدى فى الاخذ عن الشيخ حتى اسلم نفسه فى سبيله - ظلم له فى الحقيقة ، فلم تبق القضية مقرونة الا بكم ، فلولا انتم وامثالكم لم يبلغ الشيخ العليوى من الاشقياء مبلغه اليوم ولولا الهيسام بنهب ... العليوى ما كنت لتدع نقد الديوان الذى ملأه الحادا فى اسماء الله وصفاته ودعاوى تنهد لها الجبال ، وعجائب لا يفوه بها الا من ولج المارستان (1) - وتشتغل بشيخ السنة السيوطى وأمثاله وهذه آثاره العلمية المدهشة للالباب زعمت انك صيرتها أحجاراً بالفعل كما صرحت بذلك فى تعقيبك على .

عذرناك بالامس بعد ان نقضنا ردك عروة عروة بكراسة بعثنا لكم بها عن طريق الشهاب أثر ردك ، كان الخير فى عدم نشرها ، ولكن لم يخطر بالبال انكم من اتباع العليوى ، وممن يتشبثون باذياله اذ يبعد كل البعد ان يكون ذلك الفكر الذى لم يبال بالسيوطى والشعرانى والخواص منقاداً الى شيخ لم يشذ عنه من أقوال الباطنية الا ما جهله - حتى رأيت اقراركم الكاتب البيضاوى على ما نسبته لكم فعلت ان خطتكم لا تخرج على نهج اتباع مشائخ اليوم من قصرهم المحاسن على مشائخهم دون باقى المشائخ . فأخوتكم لم تقصد اظهار الحق بكتابتها ولا لها رغبة فى ايضاحه اذ لو كان ذلك المراد لما شددتم النكير على السيوطى فى شئ نرى كتب شيخكم مملوءة باضعاف اضعافه ، ونحن الى نقد أقوال أهل العصر أحوج ، ولو كان مرادكم بمقالتكم « توحيد التربية » ارشاد الامة الى جادتها لما مكنتم ناصيتكم من العليوى ، وقد علمتم ان البلبلة لم تأت الامة الا بتشعب الطرق واختلاف الآراء حسب الاهواء، وادعاء كل طائفة انها على الحق وان غيرها على الباطل .

(1) هذا الديوان ما يزال موجوداً فى السوق وآخر طبعة صدرت منه هى الخامسة وهو كما قال الاستاذ السلاوى واشنع ، واصرار القوم على التمسك به عجيب وجهل فظيع .

فان لم يبك الموحد طول حياته ، فليذرفها الآن دموية تعزية لامة تـذم السيوطى ، وتمدح العليوى . وان لم يتعجب الانسان طول حياته فليتعجب من كاتب يحذر الامة من دسائس الباطنية - وهذه تأليف قدوته كشرح المرشد ، والديوان من ذلك القبيل . وان لم يعرف الانسان مبلغ الغيرة الدينية من المشائخ فليعرفها من العليوى حين أوفد من يقضى على حياة الاستاذ سيدى عبد الحميد جزاء ارشاده له . وهذا تلميذه ، وقد ذكر السيوطى واشباهه فى معرض النقص فلم يكفه ولو بكلمة واحدة ، مع ان الشعرانى هو الذى بذل مجهوده فى انقياد الخلق الى التصوف حتى صارت تأليفه منتهى رغبة المتصوف وغاية دليل الادعياء فى طريق القوم رضى الله عنهم .

بأى شئ، يعتذر عن الشيخ العليوى ؟ هل بكونه هو المجدد على رأس هذا القرن لهذه الامة أمر دينها كما ادعى ذلك فى ديوانه ص : 34 و 57 ، فهو مأجور على دعاويه ؟ أم بكونه يحسن الكتابة الى البوليس فمن فوقه ذا شجاعة وأدب وفهم كما ادعيت فى عدد 70 من الشهاب ؟ ميهات ميهات لو كان مثل ما ذكر يقبل فى الاعتذار لوجب عليكم الاعتراف بان تعقبكم على السيوطى - وهو الذى وضع عقله فى طبق واهداه الى الامم نائيهما وقريبها فافتتنت بسعة معلوماته - من قبل الهذيان .

ان ابن عليوة فى نظرنا ليس له من كل ما ذكر الا حسن السياسة التى تعود على مشيخته بالمنفعة واقتفاء ما حكاها العلامة القرافى فى الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة فى الخلوة . فان يرد المنتقد التحقق فما عليه الا ان يلتفت الى تأليفه المطبوعة وبالاخص الديوان فيطابق الاوصاف كل الموصوف . فان كانت تلك (العصائد) الخارجة عن نهج اللغة والادب والموازين الشعرية - هو الادب الذى وصف به الشيخ فكل ما سوى الله من شجر وحجر أديب ، وان كان أدبه فى شخصه فنحن لا نعرف الشيخ الا من كتبه وأوصافه التى حكاها لنا من عرفه سنة 39 لا من شجاعة فى الديوان الذى ينعقد فى أرض السمسمه وراء قاف ولا مبيضات مكاتبه للبوليس . فان كان المثال هذه المحاسن هى التى عاقتك عن ان تبدى الحقيقة فى الشيخ فنحن لا نزيدك دليلا واضحا على ذلك الشخص الذى أمره الاصحاب بدفع واجب المشيخة للشيخ فأبى حتى اذا ألحوا عليه وأبوا الانصراف عنه الا بصباية ما له عمد الى الزى

العلوي فبعث به اليه صحبة لحيته . وان كان المانع غير ما ذكر فالحمد لله
الذي اظهر سلفيتي في السيوطي ولم أسند عند سبحة ولا شاشية ولا خرقة .
واظهرها لكم في العلوي على اني لو كنت مكان هذا الرجل لبعثت الى الشيخ
من الشعر ما طلب مني الشارع حلقه أفضل من ان أعمد الى لحيتي فاجعلها
وسادا في دار الشيخ أو لفافة وسط لفائف المجرمين في الخلوة . الله أجل
وأعظم من ان يتخذ في خلقه شعارا عليويا يجيء باعتناق الطريقة ويذهب
بالانسلاخ منها . وهو أقدس من ان يكل اللحية الى الشيخ فله اخذها وقت
ما شاء ، فما فعله هذا المسكين فانما هو جناية جناها على جسده زيادة على
ما جناه قديما على كيسه .

ولعلي يا أخي لو كنت مكانك ورأيت ما تحمله صديق الجميع الاستاذ
سيدى عبد الحميد في شخصه رغبة في حياة ذلك البيضاوى واحتراما لمكاتبيه،
لما وسعنى الا ان أنفض يدي من كل ما يشوه الاسلام ويلطخ جوهره الصقيل،
أو أصرح ببعض أعمالهم الوحشية تنزيها للتصوف وسادات القوم ، الحقنا الله
بهم . فاقدر يا أخي قدر الجاهل لا قوة له سواك ، وانظر لمثل ذلك المسكين
الذى اغرى على مثل الاستاذ كيف أصبح يتحمل ضنك العيش في أعماق
السجن تاركا أهله وأولاده يسكبون على فقد العبرات ، ويترددون على الابواب
يلتمسون ما يسدون به الرmq ، وأرحم جماعة طالما ختم على انفاسهم اختام
العصر تجلى لهم الشيخ في الخلوة في أوصاف الجزار ، بعد أن كانت مواعظه
تحبس الامطار ، ولتكن يا أخي على يقين ان السكوت على هؤلاء الادعياء هو الذى
جر الى انكار التصوف من أصله ، فكف هؤلاء واذاعة مثالهم من احترام أولئك
الاتقياء ولتعلم - أخي - أنى لست من الذين ينكرون المحاسن للسيئات ،
ولا من الذين يهجرون الحبيب للذنب الواحد ، فانى رغما عن تعريضكم بى في
غير ما مقال - لا أنسى شجاعتكم فى كلمات ابكيتمونى بها فى مقالكم الاخير .
فلا تنسانا - أخي - من جنسها ، فانى اليها فى غاية الاشتياق .

والله يقول الحق وهو يهتدى السبيل .

محمد بن أبى بكر السلاوى وفقه الله

فاس 9 رجب 1345 هـ .

الفصل السابع :

ومجرمون أيضا...!

كاتب هذا المقال هو الأستاذ محمد العزوزي حوحو (*) وهو أديب كريم من آل حوحو العقبيين ، وهو والد وزيرنا للصحة اليوم ، وعضو اللجنة المركزية ، ومن تلاميذ الشهاب ومدرسته وزعيمها الشيخ عبد الحميد ابن باديس رحمهما الله ، وهو أديب متأنق في أسلوبه ، متين اللغة، فصيح العبارة، لم يرو له كثير لأن المنية اختطفته وهو ما يزال في عز شبابه، وكلمته هذه تنبئ عن عراقته في الأدب العربي القديم وعن تشبثه بأسلوبه وحفظه لأمثاله مع حسن التصرف والتفنن والحيوية ، ولعل له آثارا أخرى لم تنشر ، فحبذا لو عمل نجله على نشرها فيسدي للادب العربي الجزائري الحديث خدمة جليلة .

قال الاستاذ محمد العزوزي حوحو ونشر مقاله تحت العنوان « ومجرمون أيضا...! » في العدد 8 من الشهاب الصادر في 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1928 م .

بخ بخ ساق بغلخال ! (1) :

مرحى مرحى عصابة الكسل ! أنصار الخمول ! زمرة التوكل، يمثلون دور جمعية فدائية ! أو دفاعية تسفك الدماء ، تقتل الأبرياء ! ..

(*) ولد في سيدى عقبة في شهر سبتمبر 1904 ، وتوفي بقسنطينة وعمره (40) عاما في شهر سبتمبر 1944 رحمه الله .

(1) مثل عربي جاهلي يضرب مثلا في التهكم والهزؤ من الشيء لا موضع للتهكم فيه ، وهو من قول امرأة لضررتها . وكلمة : بخ بخ اسم فعل بمعنى عظم الامر وفخم ويكون للرضى والاعجاب والمدح والفخر ، وكلمة مرحى كلمة تعجب تقال للذى أصاب المرمى .

حقا ان الليالى امهات العجائب :

سمعنا بالجمل استنوق ، وبالبغات استنسر (2) وباستحالة الاناثى الى ذكر ، ولكن ما سمعنا وما كنا نظن ان جماعة اللحن والقصع الشريديّة ! أرباب الاحوال والنيات ٠٠٠ رجال الرقصات والشطحات ٠٠٠ الزاهدين القانعين يزهبون أرواح الذين يقفون عثرة فى سبيل معاشهم ١٠٠ !

بالامس صرع (النديم) والامس ضرب صاحب النجاح ، واليوم يقع السطو على الاستاذ عبد الحميد بن باديس ! لانهم انتقدوا سلوك الطرق والطرقين من نهب وسلب ودجل وضلالة وتضليل .

أعجوبة - وسيدى المربى - لا اعجب منها لانقياد هاته الامة ولا انقياد الاعمى للبصير واستسلام المستضعفين لهؤلاء اللصوص المجرمين ٠٠ وأولياء الشيطان المفسدين ٠٠ !

مهلا رويدا شيخ المجرمين ! ان كنت ريحا فقد لاقيت أعصارا ! أرسلت منومك ليقضى على أستاذ المصلحين قضاء مبرما فتستريح من مر الانتقاد ويخلو لك الجو فتبيض وتفرخ وتصفر وتنفر آمنة مطمئنا (3) .

أرسلته وأوصيته بان يشمر الذيل ، ويدرع الليل ، ولكنه لم يحفظ تعاليمك ٠٠٠ ولم تنفعه بركاتك من بعيد ؟ فافحق فى مسعاه جالبا عليك سبة الابد ، وعارا لا يمحي دهر الداهرين . فتقلدها طوق الحمامة يا أيها المجرم الافاك السفاك الاثيم !

لا تحسبن طعان عبس بالقنا وضرابهم بالبيض حسو الثرتم (4) سلبتم الناس أموالهم افسدتم عليهم دينهم ومالهم ، نفرتموهم من كل ما فيه صلاحهم ، عبثتم بشرفهم ، واستحللتم رؤيئة نساءهم ، والآن فهل

(2) البغات من ضعاف الطير ، وفى المثل : (ان البغات بارضنا تستنسر) أى تعتز بجوارنا وتدعى انها انقلببت نسورا . وقال الشاعر :
بغات الطير أكثرها فراخا وام الصقر مقلدة لزور
(3) راجع الى قول كليب وائل للقبرة :

خلالك الجو فيبضى واصفرى ونقرى ما شئت ان تنقرى
(4) الثرتم : بضم المثلة والمثناة : ما فضل من الطعام والادام فى الاناء أو فى القصعة خاصة ورواية اللسان (قيس) بدل عبس .

تستبيحون دماءهم أيضا ؟ عيّدتم المالك المعبود ، برقص وقفز ولا كرقص وقفز القروود ، وذكرتم الله بأصوات منكرة دونها نهيق الحمير وجلبة الفهود ، عاديتم علماء الدين ، واعتديتم على المسلمين ، والآن نراكم تبرزون في صورة المقاتلين ٠٠٠ « ومن يَقتُلْ مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما » ٠٠٠ يا أولياء الله الصالحين ٠٠٠

اشركتم بالله وسرقتهم ، وآتيتم البهتان من بين أيديكم وارجلكم ، وعصيتهم في معروف (5) فهل انتم - بعد - أولياء الله أم أولياء الشياطين ؟ يا أبناء صفوة المقربين ؟ ما بالكم - لا ابالكم - هل عميت عنكم معالم القصد ؟ واستبهمت عليكم سبل الرشيد ، فنسيتم سنن آبائكم وأجدادكم الخاملين .

فأين أنتم من أولئك الذين يرون الموت مغنمة وأعلى درجات التوكل التوسل ٠٠٠ واذا ما سرقوا حمدوا الله على ان لم يكونوا ظالمين أم حضرتكم عصريون ؟ ٠٠٠

كفى ، كفى برح الخفا وظهر الامر لذى عينين ! انتم مجرمون انتم سفاكون ، أنتم عالة على الناس وعبء ثقيل على كاهل الحياة ، بلى أنتم الموت ، فاليك عنك يا موت اننا أحياء وما نحن بميتين ! ٠٠٠

محمد الغزوي حوحو

(5) اشارة الى ما يبایع عليه المسلم عند اسلامه وهي بيعة النساء وبها بايع أصحاب العقبة ليلة العقبة كما في حديث عبادة ابن الصامت ، وقد جاء نص بيعة النساء في الممتحنة : « يا ايها النبي إذا جاءك المؤمنات » الآية .

الفصل الثامن :

1 - صدى الاعتداء على الأستاذ في الأزهر الشريف :

« كان لمحاولة الفتك بالأستاذ ابن باديس صدى كبير في جميع أنحاء المغرب كما كان له صدى بمصر وفي وسط الطلبة المجاورين بالأزهر الشريف ، وقد بعثوا برسالة من انشاء وامضاء العلامة الشيخ العربي التبسي الذي كان يتكلم باسمهم » .

والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي أحد العلماء الأعلام، كان يوم الاعتداء ما يزال مجاورا بالجامعة الأزهرية ، وقد ولد بولاية تبسة في دوار السطح عام 1892 م ، أو قريبا منه ، وقرأ القرآن بمسقط رأسه ثم بخنقة سيدي ناجي (الزيان الشرقية) ثم بالجنوب التونسي بالجريد (نفطة) ، وهناك بدأ طلب العلم ، ثم ارتحل الى تونس ، ثم إلى مصر، ومكث فيها أربع سنوات ، وكان بها أثناء : 25 - 26 - 27 - 1928 ثم عاد الى تونس وشارك في امتحان شهادة التطوير (العالمية) فنالها ورجع الى الجزائر فانتصب لخدمة العلم سنوات بمدينة تبسة، ثم انتقل الى مدينة سيق - شرقي مدينة وهران - ثم عاد الى تبسة حيث أسس مدرسة تهذيب البنين وفتحها عام 1934 م ، وأسس بقربها مسجدا جامعاً حتى تكون له تجربة التعليم والتبليغ .

الشيخ العربي من أقطاب النهضة الجزائرية منذ أيامها الأولى، ظهرت آثاره الدينية والفكرية والقلمية والعلمية حينما كان ما يزال طالبا ، ثم كان أحد الرجال المكونين للأجيال، ترك - حيثما كان - في تبسة أو سيق أو قسنطينة أو الجزائر - طلبة وتلاميذ في قمة التحصيل والعمل المفيد .



الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي

وقد كان عالما محققا ، ومدرسا ناجحا ، ومربيا مقتدرا ، وكاتبا كبيرا ،
يمتاز أسلوبه العلمى بالعمق والمتانة ودقة المعلومات ، لكنه لم يترك آثارا
كثيرة لاشتغاله - طول حياته - بالتدريس ، وما تركه من آثار يسيرة يبرهن
على مكانته العالية فى الكتابة ، وكما كان كاتبا كان أيضا خطيبا مصقعا ، ومحدثا
لبقاء، ومحاورا ماهرا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الاقناع القلبي والفكري
وحسن البديهة ، وله فيها أمثلة رائعة .

وله قصص طويلة مع الاستعمار من اعتقال وسجن وتغريب حتى انتهى
بإستشهاده أثناء معركة الجزائر ، وبالتدقيق يوم 4 أبريل 1957 م - الموافق
4 رمضان 1377 هـ ، اختطف من داره بجوار مسجد طريق التوت ببلكور الذى
كان يلقي به الدروس ، ولم يظهر له اثر ، فهو من جملة 6000 شهيد كان مآلهم
مآله،رحمهم الله ورضي عنهم . وهذه الكلمة التى بعث بها من الأزهر تعرب
إعرابا صادقا عن أفكاره وعواطفه والتزامه وعهده لابن باديس ان يكون بجانبه
فى خدمة الدين والوطن ، وانها فى الحقيقة لمبايعة صريحة ، وقد وفى بالعهد ،
وقدم نفسه فداء لدينه وأمته .

قال الشيخ العربى بن بلقاسم التبسي وقد نشرت رسالته هذه فى عدد
الشهاب 82 الصادر فى 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م ، بعد
مقدمة نصها « نشر مع الشكر الجزيل هذا الكتاب الشريف من إخواننا الأزهريين
الدال على غيرتهم على دينهم ، وتعلقهم بوطنهم،حامدين الله تعالى على ما نتحققه
من خير المستقبل للجزائر على يد هؤلاء الأبطال المجاهدين فى سبيل العلم
والدين » .نص الكتاب :

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان
الى صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس اطلال
الله بقاء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اما بعد ؛ فنهنى أنفسنا ونهنى العلم وآمال الامة ونهنيك بالنجاة من كيد
من ابتلى الله به الدين والامة والعلم والقومية ، وانا لما أصابك لفى غم يونس
وحزن يعقوب ونشكو الى الله التقصير،ولئن أوسد بك هذا الكلب (1) فلك

(1) اوسد الكلب بالصيد اغراه به وشلاه عليه .

بابن أبي طالب (2) - جعل الله أجلك أفسح من أجله، وقارب بينك وبينه في عظيم الأجر - ما يملأ النفس عزاء والقلب رضى ، وإن جل الخطب وعظم المصائب وإن ما نزل بك - من القضاء الذى لا محيى عنه كان علينا - جيرة الأزهر الجزائريين - أوجع نبأ، ولئن كانت فئة العلويين المارقين ومن شيعتهم معهم قصدوا من عدوانهم على الأمة فى شخصك أن يسكتوا داعي الله ، فكانى بك وأنت الأسد الهصور مسمعهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي - يوم أن سامه بعض قومه مثل ما سامك - من هو معدود منا مساكنة - : «أيها السادة إذا تقدمت فاتبعوني وإذا تأخرت - وحاشاك - فاقتلوني وإذا قتلت (لا قدر الله) فخذوا بثأرى » فستجد أصحابك ليس أقل غيرة عليك من أصحابه وإن اختلف ظرف المكان .

القاهرة 1 رجب 1345 هـ - 16 يناير 1927 م ،
عن جيرة الأزهر الجزائريين : **العربي بن بلقاسم التبسي**

(2) ابن أبي طالب هو الإمام علي كرم الله وجهه فى الجنة فتك به الشقي عبد الرحمن بن ملجم فى 17 رمضان عام 40 هـ ، وهو اشقى هذه الامة كما فى الحديث . قتل علي وعمره 63 سنة ، ومات ابن باديس وعمره بالتقويم القمري 52 سنة (1307 هـ - 1359 م) .

2 - متانة أسلوبه العلمي :

لا تكاد كتابات الشيخ العربي رحمه الله تخلو من رموز وإشارات خفية الى أحداث تاريخية أو آيات قرآنية أو نصوص أدبية، يتفطن اليها العلماء والأدباء، فيلذ لهم ذلك . منها ما فى هذا المقال القصير .

فهو يشير بقوله : (ولما أصابك لفي غم يونس) الى ما جاء فى القرآن الكريم عن يونس عليه السلام وقد استبعد إيمان قومه فخرج عنهم دون اذن ربه فابتلاه اعظم بلية قال تعالى : « **وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ** » ولا شك ان أعظم محنة وبلاء تلحق بانسان ما قال الله فيه : « **ونجيناه من الغم** » فهو المطلع على السرائر . ثم يشير بقوله : (حزن يعقوب) الى ما جاء فى سورة يوسف عن هذا الحزن فى قوله تعالى : « **وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفًا عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** » ، وقوله : « **قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ** » ، قال انما أشكو بشي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون » .

ويشير بقوله : (ونشكو الى الله التقصير) الى ما جاء فى جواب الصحابي الجليل أبى الطفيل - وهو آخر الصحابة موتا - لمعاوية رضى الله عنهما - وكان أبو الطفيل من أصحاب علي وجنده فى أيام الفتنة وكان من شيعته يقدمه على جميع الصحابة ولكنه يشني على أبى بكر وعمر ، واجتمع ذات يوم بمعاوية - فى خلافته - فسأله عن مقدار وجده بعلي كرم الله وجهه فأجاب بما فحواه : ان

حزنه لأبلغ من حزن يعقوب على يوسف، واشفاقه اعظم من اشفاق أم موسى على موسى لما وقع بيد فرعون . ثم قال : (وأشكو الى الله التقصير) ونقلت الحكاية عن غير أبى الطفيل ، وانه وصف صاحبه عليا معاوية فى عدله وتقاه وتدينه فآثر فى معاوية حتى دمعت عيناه وترحم عليه ، رضى الله عنهم اجمعين .

ويشير بقوله : (فكأنني بك . . . مسمعمهم كلمة من أنت أعلق منه بالمعالي . . .) الى حادثة الاعتداء على الزعيم المصري المسلم العظيم سعد زغلول رحمه الله، فقد اعتدى عليه كلب عقور من قومه أشلى عليه كما أوسد بعبد الحميد من أراد ان يفتك به - وكلا الرجلين : سعد زغلول وابن باديس مسلم صادق الإيمان مخلص فى خدمة أمته ووطنه، وعبد الحميد - بخدمة الدين - أحق بمثل هذه الكلمة التى قالها زغلول وأعلق بالمجد الطريف والتلبد ، كانت هذه الكلمة رائعة من سعد ، وقد أصاب الشيخ العربي رحمه الله فى تسلية صاحبها بها وقد كنى عن سعد بقوله : (من هو معدود منا مساكنة) . حتى لا يوقع الشهاب وصاحبه فى حرج اذ كان سعد زعيما سياسيا عظيما يفرع اسمه الاستعمار الاوروبى .



3 - جريدة الشهاب وصاحبها :

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(فى هذه المقالة الثانية - التى دبجها يراع الشيخ العربى رحمه الله - أعرب عن عواطفه واحساسه الصادق نحو ابن باديس ومبايعته على العمل بجانبه وعلى نفس خطته لفائدة الدين وخدمة الامة والوطن ، ونعى على خصومه بانهم جناة - لا على ابن باديس - ولكن على الدين والامة اذا هم قتلوه وآذوه ، وان من واجب كل مسلم ان يخف لعونه وكف الاذى عنه .

وقد نشر المقال - كافتتاحية للشهاب عدد 83 الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 10 فبراير 1927 م ، وعنوانه البيت المذكور أعلاه .

قال الشيخ العربى بن بلقاسم التبسى رحمه الله :

(جريدة الشهاب - وايم الله - نعمة من نعم الله على شمال افريقيا عموما والجزائر خصوصا ، يجب ان تؤدى الشكر عليها لله خالصا ، وتشكر لمن كان ابن بجدة هذه اليد البيضاء حتى تستحق المزيد .

وجريدة الشهاب ظاهرة من ظواهر الحياة نرجو منها اثرا طيبا فى حياة الجزائر الدينية والادبية وفى سمعة الجزائريين الذين لا يكاد يظن ان فيهم ممن هو بمثل هذه الصحيفة جدير ، وجريدة الشهاب كنز من كنوز السنة ينقل الى قرائه ما لذ وطاب مما تقطع الاعمار قبل الوصول اليه ليقبس منها من يريد الله به خيرا .

وجريدة الشهاب مدرسة شعبية عصرية على أحدث نظام وأشهى أسلوب ،
فيها تلتقى الديانة الاسلامية بالمدينة الصحيحة العصرية لا تفتنا تهدي الى قرائها
من مختلف العلوم وضروب المعارف ما تقر به العين وتحسد عليه الجزائر .

وجريدة الشهاب شعبة من شعب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين
هما ملاك صلاح الدين لا نزاع في ديننا ما دام في الامة من يؤدي منها اضعف
الامر ولو بادنى الخصال (1) تلك خلال قد عرفها المحب والمبغض والناساج
والداني ، فهذه الصحيفة منذ ان درجت بين قرائها ، ونور صبحها . فان غمط
شيئا من ذلك غامط فقد أنبانا بجهله وحسر اللثام عن حسده ، وقديما كان الحسد
والجهل فوق باع المصلحين . واصدق الظن الا تظل سماء الجزائر ، ولا تقل
سهولها وحزونها من لا يرى في عنقه - ما دام في الفطر السليمة - انما خلق
الاحسان للمحسنين - من لا يرى لمنشئ هذه الصحيفة ايادي له على قطان هذا
القطر يوكل الجزاء عليها الى رب العرش ايادي في هذه الاونة التي خفت فيها
صوت أهل الحق ، وصار فيها الدين الى غربته (2) وامتدت الايدي الى دك
حصونه دكا ، والتي جهلنا فيها كل ملة تربطنا بديننا ولغتنا وقوميتنا . افلا
يكون فرضا حتما علينا - ان نحن لم نتول معه أمرها ونشد عضده - كما هي
فطرة الله التي فطر الناس عليها - ان تكف عنه الشر ، ونقطع عنه هذه اللسان
التي لم يخلق الله الا فساد لغيرها .

ولعمري ان صحيفة تؤدي للأمة هذه الأعمال الجليلة - وحاجة الأمة اليها
حاجة العليل الى الآساة (3) لواجب علينا ان نحافظ عليها ونبذل في سبيلها كل
مرتخص وغال حتى نفوسنا التي بين جنبينا .

وما كان قبل اليوم كاهن ولا عراف ولا زاجر يقر اليه في أذنيه (ما كان)
يظن ان هناك مخلوقا من أنس أو جن تحدثه نفسه بان يحمل المعاول والفؤوس
ليهد علما (4) يزاحم الكواكب بالمناكب من أعلام الاسلام في سبيل الشيطان

-
- (1) ادنى الخصال هو تغيير المنكر بالقلب كما جاء في الحديث ، من رأى
منكم منكرا (الحديث) .
(2) بدى هذا الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدى فطوبى للغرباء (حديث)
(3) العليل المريض ، والآساة جمع الآسى وهو الطبيب .
(4) العلم هنا هو الجبل كما في قول الخنساء :
وان صخرنا لتأتسم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

ومرضاة الطاغوت ولكن من سبقت عليه الشقاوة وجرى عليه القضاء اتبع هواه فركبها عشواء مظلمة . من ذا الذي لا ينفلق كبده أسفا وغما لما أتاه هذا الافاك الاثيم العليوى مما يغضب الرحمن ، ويشير الاشجان ؟ الا فليعلم العليوى السفاك ولي ابليس - ان فعلته التى فعل لم تكن مسددة الى الاستاذ العظيم ابن باديس وانما رمى بسهمه نحر الاسلام وانه اراد هو وشيعته ان يأتوا بدين مزيج من معتقدات الآباء الكاثوليك ، والرسل البروتستانتين ، فليس له ان يرغم علماء الاسلام على قبول شئعه باسم دينهم وان يكتم أفواههم حذر ان يبينوا للناس ما أتيتهم به مما ينقض الهيكل الاسلامى ويحطمه لبنة لبنة ، فدون وصولكم الى غايتكم - والله - لمس السماء ، ودك الشناخيبي (5) .

اترم انوفكم ان جادلتم بالحسنى التى كان يجادل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداء الاسلام ؟ فهالكم الامر وسدت فى وجوهكم مدارج الحق فركنتم الى الاجرام وعمدتم الى قتل من شهد له رسول الله صلى الله وسلم بانه عدل هذا الخلف (6) وانه يحل محل نبي، فى بنى اسرائيل (7) . الا ان أعدى المسلمين للاسلام أولئك النفر الذين يظنون - من قبل انفسهم انهم أولياء الرحمن واحباؤه وملأوا انفسهم ومن يتبعهم بامانى هى ضلال ما أرادوا بها صوابا فاستباحوا من الله المحارم وتعدوا له الحدود ، واعرضوا عما فيه من هدى، فاغتر بهم الجهال ، وانقاد لهم الاقران ، ودخلوا على الناس فى عقائدهم ، ولبسوا عليهم أمر دينهم ، وزهدوا الأمة الاسلامية فى علمائها الذين أمر الله ان يرد اليهم الأمر (8) فى التشغيب ، ونعتهم أجل نعت ، وحث على سؤالهم عند حلول أى حادث (9). وربما تحدث هؤلاء المضللون الى طغام الاحلام ان بين

(5) الشنخاب - بالكسر - والشنخوب ، والشنخوبة ، والجمع الشناخب : هو راس الجبل وقمته وقد ثبتت صلة القوم وشيوخهم باباء الكنيسة الكاثوليك (6) يشير شيخنا الى قوله صلى الله عليه وسلم - يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله أو كما قال .

(7) وفى هذا يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم - علماء أمتى كانبيا بنى اسرائيل .

(8 و 9) يشير الى قوله تعالى : « ولو رَدَّوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ، وأولو الامر منهم العلماء أو هم العلماء - والى قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » والى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون » وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

الصالحين وبين العلماء خلافا عظيما قديما وضربوا لهم الامثال ، وساقوا عليها الشواهد ، وقصوا عليهم من الاغاليط ما جنوا به جنونا حتى ذهبوا بهذه الامة في متاهات لا نجاة بها .

اتشدوا - أيها المصللون ، ولا ترهقوا هذه الامة ، فان الذى نعلمه ويعلمه كل أحد ان طريقة القوم لا تتنازل عن حصاة من أرض السنة ، وفى سبيل السنة .

تبيع العلماء الارواح بيع السماح ، فما العالم الا شخص واحد يرى فى مرأتين فمن أى ناحية من نواحي علم الاسلام أتاكم ما أنتم عليه - معشر الطريقين مما لا يجتمع مع الاسلام تحت سقف واحد ؟ بله (10) صدر واحد ، فاذا من الله عليكم بمن يبصركم بمغبة عمايتكم ويدلكم على الاسلام الذى جاء به جبريل من عند الله وكان يدين به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح ركب منكم الشيطان كل مركب واستنكفتم من قبول الحق الابلج ووضعتهم أصابعكم فى آذانكم (11) وأصررتم على عنادكم أصرارا شأن من سبقكم فى الجاهلية الثانية . ها أنتم استطعتم ان تفتنوا الأمة فى دينها وتعيدوا بها عن أوليات الدين الذى جعلتم أهله شيعة وأحزابا كل يزن غيره (12) بانه السالك بنيات الطريق ، والله تعالى يواخى بينهم ويأمرهم بولاية بعضهم بعضا (13) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحثنا على رص الصفوف وجمع الكلمة حشا .

-
- (10) بله : اسم فعل أمر بمعنى دع واترك .
(11) قال نوح يشكو قومه الى الله « **وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْصَمُوا نِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا** » وقص الله ذلك علينا فى سورة نوح .
(12) زنه يزنه : اتهمه قال حسان فى أم المؤمنين عائشة (حصان رزان ما تزن بريية) .
(13) يقول تعالى : « **انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم** » ويقول : « **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** » .

فهل تستطيعون - يوم يذاد من بدل وغير عن الحوض - ان تغنوا عنهم من عذاب الله شيئا ؟ (14) .

ان الدين الاسلامي في اصوله وفروعه وآدابه دين البشرية على العموم ، ودعوة صاحبه عامة شاملة تامة ، وانه جاء لرفع الاختلاف وسد طرقه ، واجتثاث الحظوظ وجعل كل احد ممن يدين به يراض بلجامه فان ابي آب شيئا من هذا فقد اطرح اسم الاسلام عن نفسه .

انه لم يكن صحابي ولا تابعي ولا غيرهم من اهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير يعلم غير كتاب الله وسنة رسوله شرعا يتبع ولا هدى يستنار به ، فهل هؤلاء الطريقون اهدى من اولئك القوم الذين انعم الله عليهم أو أرادوا ان يعيدوا تاريخ الكنيسة في الاسلام ، ويزعموا الزعامة الدينية ويتلوا وظيف التشريح والهدى وملاك الامر ؟

ان من أراد ان يلتبس الدين الاسلامي في اصوله وفروعه وآدابه من غير ناحية كتاب الله وبيانه (15) فقد سغه نفسه وطلب العلة من معلولها والنتيجة بغير مقدماتها ، وكفى بذلك غيا .

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

القاهرة : العربي بن بلقاسم التبسي

(14) في الحديث انه يرد على الحوض قوم يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم فيذادون عنه لانهم بدلوا وغيروا .

(15) قال القاضي عياض في الشفاء : (عن رجل . . . سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن أنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال : يا ابن أخي ان الله بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا وانما نفعل كما رأيناه يفعل . وقال عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامور بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله ، واستعمال لطاعة الله ، وقوة على دين الله ، ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأى من خالفها ، من اقتدى بها فهو مهتد ، ومن انتصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلا جهنم وساءت مصيرا) اهـ .

الفصل التاسع

إلى الكاتب السلاوي الفاسي

« هذا جواب أبى يعلى للاستاذ السلاوي فى توجيهه الخطاب اليه ، وتحميله مسؤولية المنسبب فى شهرة رجل لم يكن لعائلته مجد يبرر اعتلاءه ، وافتتان العامة به . ولم يكن له علم يستند عليه فيما وصل اليه ، وانما هو سكوت بعض العلماء عن منكراته ، واشادتهم به ، وحضورهم مجالسه ، والثناء عليه مما يسبب اغترار البسطاء به مع المظاهر والتظاهر » .

قال الشيخ أبو يعلى الزواوى - تحت العنوان اعلاه ، ونشر فى عديدين متواليين من الشهاب الاول عدد 83 الصادر فى شعبان 1345 هـ - 10 فبراير 1927 م والثانى فى عدد 84 الصادر فى 13 شعبان 1345 هـ - 17 فبراير 1927 م :

« وقفت فى مجلة الشهاب الثاقب عدد 81 على الخطاب الذى وجهته الى ، وشرفتموني به كأول مرة ، اذ خاطبتموني ، وأشكركم ويشكركم القراء ، على تحريك الهمة والتنشيط على الكتابة ، ويسند اليكم الأجر والثواب فى ذلك لأنكم المسيبون فيما هنالك » .

ثم مما لا يخفى على مثلكم أن من الكتاب من لا يبالى بهم ولا بأقوالهم ، وكذلك الجرائد والرسائل ، فهؤلاء معروفون كاصحاب الخلاف الكثير سواء فى المذهب أو المبدأ ، أو الجنس أو الوطن أو الحكومة ، واما الدين فمن باب اخرى وأولى فالخلاف فى هذه القضايا كلها قد يتغافل عنه ويحتمل .

واما مثلكم ومثل مجلة الشهاب وجملة الكاتبين فيها فلا يحسن السكوت عنهم ولا عدم المبالاة بهم . لماذا ؟

لأننا سلفيون دعاة الإصلاح العام فى الدين وما ألصق به وفى الجنس وما هو فيه ، وفى الوطن والحالة التى هو عليها ، الاستخفاف فى مثل هذه الامور ذنب لا يغفر ، وكفر فى كفر ، أعاذنا الله واياكم من ذلك .

ونخص - نحن السلفيين - بشئ أدق مما يكون . وما هو هذا الشئ ؟ وهو التدقيق والتحقيق فى الاقوال والافعال . والحذر من الخطا والخلل فى القول والعمل ، فنكون كما قال أصدق القائلين : « **والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم** » .

فإذا سلمنا هذا التمهيد - والوقت نفيس والجريدة أنفس ، والورق والحبر كذلك والحق والصواب أكثر من كل ذلك كله وأنفس - أجيبيكم عن شيئين فى خطابكم هذا ويكون جوابى من باب اللف والنشر المشوش قصداً تيمناً ودخولاً بالرفق الذى ما دخل شيئاً الا زانه ، واحد الشيئين جملة جميلة جليلة ختمتم بها الخطاب وهى :

« ولتعلم يا أخى انى لست من الذين يهجرون الحبيب بالذنب الواحد ، فأننى رغماً . . الخ ، قولكم : لا انسى شجاعتكم فى كلمات ابكيتموني بها فى مقالكم الاخير فلا تنسنا - أخى - من جنسها فانا اليها بغاية الاشتياق » .

فأقول : الحمد له على التوفيق والله ما دريت على ما أقول ولا قصدت الا خدمة الهدى والامة والاخلاص فى ذلك لله : « **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** » .

وأشكركم - والاخ البيضاوي مثلكم فى خطابه الاول إلهي وقد هزنى هزا اذ قال فى : « انى شيخ كبير موقر أحمل من الصراحة والشجاعة ما لم يحمله شباننا » الخ . . .

وأشهدكم - قراء الشهاب - وأشهد الله وهو خير الشاهدين - انى جعلته فى حل من حملته على التى اجبته عنها : انه أخطأ فيها اذ جعلني مسؤولاً فى الجناية الواقعة على الاخ الاستاذ عبد الحميد بن باديس ، وفهمت انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحِب للشيخ عبد الحميد ، فاعذره كما عذر عثمان ابن عفان عبد الله بن عمر بن الخطاب اذ حمّله جزع الفتك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى علي بن أبى طالب رضى

الله عنه الا محاكمة عبد الله بن عمر كما علمتم ، وعلى هذا فاخونا البيضاوي
عبد الله بن عمر (1) فهو هو ، ومن ذا الذي ما ساء قط ؟ (2) .

وكذلكم انتم اجعلكم في حل من قولكم « حتى ازمعت امرى على ان يكون
الخطاب متوجها الى حضرتكم » الخ ... قولك ، فلم أر بعد البحث أحدا جنى
على الاستاذ الا اخوتك .

وقولك : وهو الذى وصف نفسه - تعنون اياى - فى جريدة الشهاب
بكونه فقيها عالما متبصرا كاتباً خطيباً الخ - ولعلكم قصدتم بهذه الجملة قولى
فى جوابى اليكم عن شأن ايراد الحديث وقلت لكم هكذا :

« اني لست من علماء الحديث ، ولكنى كاتب متفقه ومتبصر ، وعليه فأقول
الآن : من وجد لي حرفاً غير ما ذكر ، أو قلت أنا خطيب فى مجلة الشهاب أو فى
غيرها ، أو بعدالة مرضية (3) فما ملكت من شئ فهو له ، وهذا إمضائى الآتى .

اعلم انه تسوى بى الارض ولا أقول ولا أفعل ما نسبت الى انى قلته (4)
فتأمل العبارة واياكم من التحريف بالزيادة والنقصان (5) والا فلا يوثق بكم
وبقولكم ، بل عاتبني بعض العلماء هنا وقال لى : لِمَ تقول اني لست من علماء
الحديث فى جوابك الى الفاسي ؟ ولكن صراحتك ، وهكذا شأنك وهكذا كلامك
فى هذا الخطاب كله قارس ، واحماض فى احماض ، وكذلك قولكم : (عذرناك

(1) عبد الله بن عمر من اكابر الصحابة فى العلم والرواية عن رسول الله
والجهاد لا يرتكب مثل هذا العمل دون اذن الامام . ولكن الذى فعله هو
عبيد الله بن عمر وهو اخوه وأصغر منه ، وقد ظننا ان هذا من الشيخ سبق
قلم حتى تكرر ذكره ثلاث مرات فعلمنا انه قصده بالذكر ، سهوا بدون شك .
(2) هذا من قول الحريرى رحمه الله : من ذا الذى ما ساء قط ؟ ومن له
الحسنى فقط ؟

(3) يعنى بيينة من شاهدين زكى كلاهما بأنه عدل رضى .
(4) هذا من تواضع الشيخ أبى يعلى ، انه لعالم كاتب فقيه خطيب ، وان كان
لا يقول هذا عن نفسه لانه حينئذ متبجح مذكّر لنفسه وقد نهى الله عن تزكية
النفس ، « فلا تزكوا أنفسكم هو اعلم بمن اتقى » .

(5) نقل الحديث أو النص اذا نقل بلفظه فيشترط أن يأتى بالالفاظ كما
هى ، وان نقل بالمعنى فالشرط أن يكون مساوياً للاصل ، قالوا لا ينقله بلفظ
أجلى لانه زيادة على النص ، ولا بلفظ أخفى لانه تلبيس ، فهذه أمانة وذمة
الناقل عند نقاد المسلمين .

بالامس بعد ان نقضنا ردك عروة عروه اذ لم يخطر بالبال انكم من اتباع
العليوى) .

جوابى عن هذا الذى جعلتك فى حل منه انى لا أقول نقضت رد فلان ابدا
انما يقول ذلك الحكم ، وأما أنا فخصم ومناظر ، بل أقول : أجبت عن كذا ،
واما كونى من اتباع العليوى فالبيئة على من ادعى ، واليمين على من انكر ،
وازيد فأقول :

اذا كان يلزم من عرف أحدا غير معصوم ووزر ذلك الاحد أو لم يزر - سواء
كان ذلك الواحد قريبا أو بعيدا فيلزم من ذلك المشاركة فهو القول المصادم
للآية : « **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** » وبعبارة أخرى لا ينجو أحد منكم ومن
غيركم ، لاننا كلنا - معاشرنا - للمخالفين وحتى الاخوين الشقيقين .

ما هذه المقدمات ؟ وما هذه الاستنتاجات باخوانى ؟ استحلفكم بالله ما عرفتم
أحدا من المتصوفة ومن غير المتصوفة من المتدعين والعصاة والمرقة بل من
الكفرة والفجرة ؟

انما المنتظر ان تسألونى أصحيح أنا من الآخذين بالطريقة العليوية أولا ؟
أو لغيرها لا لمجرد مقتكم العليوى ان جميع من عرفه يستلزم المقت وهذه العقلية
أو القضية لا تفيدكم ، انما يفيدكم - ويفيدنا - بيان البدعة والخطا أولا ثم
تبديع من عمل بها بشروط اثباتية على قواعد الشرع العزيز ، واما من عرف
أحدا فيلزمه جميع أعمال ذلك الاحد ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فهذا
لا يعقل الا بتفاصيل كأن يتأخيا أو يتصادقا ، أو يكون احدهما سلطانا على
الآخر كما قيل : « **ان المحب لمن يحب مطيع** » ومع ذلك ففيه تفاصيل أخرى
لا تخفى عليكم ان انصفتهم : هاتوا لى مسلمين عاملين بهذه الآية : « **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**
إِخْوَةٌ » أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ آخى بين الصحابة ؟ ولن
تستطيعوا أبدا ، الا بالقول وقل كذلك الصحبة والوفاء » .

ولما بلوت بنى الزمان ، ما بى وما بهم
ولم أجد خلا للشدائد اصطفى
ايقنت ان المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفى

قال العلامة الغزالي في المعنى ما لفظه : « فاما ما علمت انه يعلمه - يعنى عيوب الاخ أو صاحب - فلا بد من التلطف في النصيح بالتعريض مرة ، بالتصريح مرة أخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش ، فان علمت ان النصيح غير مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار - فالسكوت أولى ، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه ودنياه ، اما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال » اهـ

وكذلك مجرد معرفة احدكم آخر اذا اختلفا مذهبا أو دينا أو مبدأ فانه لا يمكن ان يتحدا حالا أو يغلب أحدهما الآخر أو يلزموا كل واحد منهما أعمال الآخر ، وهذا لا يعقل أيضا •

فلم يبق اذن سوى النظر الى عمل كل واحد منهما ان خيرا فخير وان شرا فشر • ولم يبق لكم - معشر السلفيين الا الاستفهام أنا عليوي مثلا أو خلوتي؟ أو شاذلي؟ أو قادري؟ فأجيب ولا ينفعني الحكم بل لا يجوز الا بعد الجواب • ولا أحكم ان الشيخ السلاوي عيساوي أو موساوي مع جزمي أنه يعرف عشرات منهم ويعرفونه ، وانما أنظر الى أعماله لو كنت معه وكان كفتنى أقواله انه اعدى الاعداء للطرقين •

اما جوابي عن هذا فاني اعلنته قبلكم لا لفضلي عليكم ولكن لسنى وتاريخ تبرئى من كل ما يخالف عمل السلف أو الكتاب والسنة وقلت ما قال امام الحرمين : (انى راجع عن كل قولة قلتها تخالف عمل السلف ، ولم يقلها السلف) ولم يبق أيضا سوى مباهلتي (6) لمن رأى لي عملا يخالف قولي، وأحق الناس بالشهادة على هذا من مضى •

(6) اذا كان الخصم مبهتا لا يقتنع بأى حجة يدلى بها دعى الى المباهلة ، وقد جاء ذكر هذا الاصل في قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة ابنته وابنيهما الحسن والحسين عليهم السلام وطلبهم - أى النصارى - للمباهلة فامتنعوا - ولو فعلوا لاهلكهم الله - وقبلوا بدفع الجزية •

نعم ، كنت منذ أربعين سنة خلوتيا (7) فلما رأيت البدع ، والمخالفة والرقص والطبل واختلاط النساء بالرجال طلقتهما ثلاثا بتاتا ، ومع ذلك فقد بقيت اعرف جملة منهم ومن الشيوخ وهم يعلمون انى منكر مخالفتهم (يعنى مخالفتهم للسنة) .

وكذلك صاحبى ابن عليوة يعرفنى انى منكر ما يخالف عمل السلف واشهد الآن بين يديكم انى ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوى الا استحسن وسلم حتى قال : ان حملاتك ان كانت علينا مقبولة وان كانت لنا فهى احسن لنا . ويخاطبني قائلا : انك بنظريتك السياسية والاجتماعية تنقاد اليك ونعمل باشارتك (8) . وكذا كان يقول في شيخى طاهر الجزائرى ونحن بمصر ، وعندى اليهود على ذلك وما زال وما زلت طامعا فى ، وطامعا فيسه ، أى بان نتفق على كتاب الله وسنة رسوله ، وصرح لى امام جمع انه اذا ظهر لكم - معشر الاخوان - فى الدين والوطن والجنس - ان نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ، فها أنا ذا واخوانى ، وشكرته على ذلك .

ولم أر وام اسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم الا الصدود وتصعير الخدود ومقتى بانى كافر بهم وببدعهم ، وقلت لكم وما زلت أقول انه - الشيخ ابن عليوة يقول لكم : (مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة وللامة) (9) .

(7) الطريقة الخلوتية هى الطريقة الرحمانية وكانت أوسع الطرق الصوفية انتشارا بالوطن ولها مواقف وطنية فى حرب المقاومة والثورات وكثير من زواياها كانت معاهد علمية جليلة .

(8) لو صدق لكان أكثر انقيادا له فى السلفية وثوقا بعلمه .
(9) هل كانت هذه دعوة صادقة مخلصه الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمة الامة ؟ أم كانت من باب التمويه لارضاء الشيخ أبى يعلى وابقائه فى كنف العليويين يدافع عن موقفهم عند الحاجة ويحسن الظن بهم ، ولاقامة الحجة على خصومهم ؟ التريديد الثانى هو الصحيح . فان هذه الدعوة لم تنطل على زعيم المصلحين الاستاذ الامام ، فقد علق على هذه الفقرة بقوله رحمه الله :

« **الشهاب :**

« اذا كان هذا الرجل صادقا فيما يزعم فليبادر الى الاعلان بالامر باحراق ديوانه المملوء بالعقائد الباطنية والحلولية ، والتهجم الصريح على مقام الربوبية ومقام الرسالة ، وبالتوبة من جميع ما فيه . والا فان المصر على ذلك المبطل لا يكون زعمه الرجوع الى الكتاب والسنة الا من باب التمويه الذى لا ينطلى =

وبقى أمر ديوانه وشطحات المتصوفة ، فأمر معروف ، وعليه جدالنا معهم .
اما ديوانه فاحلف بالصيغة التي ذكرها خليل صاحب المختصر في اليمين وهي :
« وفى على أشد ما أخذ على أحد » انه - الديوان - ما جاء فى يدي ، ولا طالعه
ولا عرفته ولا سألت عنه . انما جاء بيدي « كتاب الشهاد » وكتاب آخر فى
الرد على الشيخ عثمان التونسي لا غير !

وبالجملة فقد جعلتكم فى حل من تكفيركم اياى وحكمكم على بالجناية لمجرد
معرفة الشيخ أحمد بن عليوة ، فتحرزوا أنتم ان تعرفوا احدا من الشيوخ ،
فيبلغنى عنكم ، واياكم ثم اياكم .

اما انا فابتهل ، واستنزل صاعقة تأخذنى أو تأخذ شيخا من شيوخ الطريقة
عرفته وعرفنى - وهم كثيرون كما قلت - ان رآنى منقادا له أو هو منقاد لى لما
يخالف الكتاب والسنة .

والذى لا أجعله فى حل - لا لغيظى الشديد ولا لذنبه الكبير - بل لان
القضية لم تخصنى وحدى اذ تخص الامة عموما وطلبة العلم بالجزائر خصوصا :
هو الذى كتب فى الشهاب ، وتكلم لبعض أصدقائى فقال : فى الشهاب
عدد 74 بامضاء (طلبة العلم بالجزائر) يخاطب الاخ البيضاوى :

« لماذا يقرر الشيخ الزواوي ان الشيخ ابن عليوة اذا تكلم مع المتصرف
والبوليس فالعامل فالوالي فالوزير فرئيس الوزارة ورئيس الجمهورية كفى
وشفى ما فى النفوس ؟ فهل المقصود من المرشدين المجددين للدين - كما قرر
الزواوي فى خطبته - القيام بمهام السياسة من النيابة المالية والعضوية

« الا على بسطاء العقول » اه . دليل التمويه ان العليوى شرط دعوة جميع
رؤساء الطرق وقبولهم فهل يمكن ان يستجيبوا ؟ ثم نقول :

ولقد قامت الحجة التاريخية على صدق ما علق به الشهاب على هذه الدعوة
فان الشيخ ابن عليوة دعى الى جمعية العلماء عند تأسيسها ، واستجاب ، ولكنه
حاول الاستيلاء عليها فى اول سنتها الثانية وحشر « اخوانه » الاميين لانتخاب
من يرضاه رئيسا لها لولا ان تفتن المصلحون فى آخر لحظة ، وكان آله فى يد
م . (ميرانت) العدو اللدود للجمعية وللجزائر ، فلما أخفق الشيخ فيما أراد أسس
أو أسسوا له (جمعية علماء السنة) التى لم تعش سوى نحو سنتين ثم عصفت
بها الامة ، وكان هذا كله بعد نحو أربع سنوات أو خمس من هذه الدعوة .

العمالية والبلدية (10) « اه وهذا ما لا أجعله فى حل لانه جناية على الامة كلها .

ماذا يقول طلبة العلم بالجزائر ، ولكن على مذهب أبى ذر العقبى ، ليظهروا اسماءهم ، وثانيا ماذا تقول الامة وأبناء الوطن فى هذا ؟!

اما أنا فأقول ان قوله قررت ذلك فى الخطبة كذب فى كذب ، وانما قلته فى جوابى الى الاخ البيضاوى جريا على طريقتى وعلى نظريتى وعلى سياستى : انى لو كنت قادرا على شىء من أحوال الامة لكلفت جبرا بالسيف والنطع ان يكون راعى غنمهم وابلهم وجمالهم ووقادهم وفحامهم وفلاحهم وصعلوكهم وحقيهم وذليلهم ونساؤهم وصبيانهم - يحسنون جميع ما ذكرت أنه يحسنه الشيخ عليوة ، وأما امثال الشيخ عليوة من أصحاب الطرق الذين هم تسعة وتسعون بالمائة فى الامة فمن باب اخرى وأولى ان القنهم ذلك والزمهم به شرطا اوليا لقيادة الامة ، وافضيتاه ، واعاراه !

لو كنت صبيحة نشر الشهاب فى قسنطينة لاشتريت جميع أعدادها ولو كلفنى ما لا أطيع من المبلغ المالى وأحفظ تلك الأعداد أو أحرقها أحسن ، كيلا تبلغ الاصدقاء اخواننا فى الدين من التونسيين والمصريين والشاميين والنجديين فيحزنهم ذلك .

ولكيلا تبلغ سمع الاعداء فيفرحون ويمرحون سرا بان الحداقة والفطنة والمعرفة والادب والسياسة والنظر - وبالتالي حسن الخطاب والجواب - محتكر فى الجزائر ، بل وفى الاوطان الاسلامية للنواب فى المجالس المالية فقط ، وهم أثنى عشر فقط منتخبون من خمسة ملايين (11) .

(10) كانت هذه هى المجالس المنتخبة التى تشارك فى ادارة الامور بالجزائر تحت الحكم الفرنسى المجلس المالى على مستوى القطر كله ، والمجلس العمالى على مستوى العمالة - وكان فى الجزائر كلها ثلاث عمالات فقط : قسنطينة والجزائر ووهران ، ويسمونها عمالات أو ولايات فرنسية ! والمجلس البلدى فى كل مدينة يكثر فيها الفرنسيون واليهود ، اما حيث الاغلبية الساحقة للعرب فلا وجود لمجلس بلدى يدعونه « بلدية مختلطة » ويمثل المسلمين القياد على ان نواب المسلمين عدد قليل نسبيا : الخمس أو السدس وائر الحرب العالمية الثانية فقط رفعت نسبتهم الى مقدار الخمسين ! وعد هذا من اعطاء الحقوق ! ومن المضحك ان المسلمين كانوا يطالبون بالتسوية فى العدد بحيث يكون عدد من يمثل الفرنسيين - وهم التسع - مساويا لعدد ثمانية أتساع ! (11) كان عدد السكان عام 1927 م ، خمسة ملايين نسمة ، وكان يمثلهم =

واما العلماء - ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء (12) والعلماء ورثة الانبياء،
 (13) - فلا تلزمهم الفطنة ولا معرفة الخطاب والجواب ، ولا جدل ولا نظر ، بل
 يلزمهم ان يكونوا مع الفرنسيين على حد المثل الفرنسي (امشى كما ادفعك)
 ومعناه عندنا انقياد أعمى . فاذا كان العلماء وشيوخ الطرق صما بكما عميا فمن
 لهذه الامة المسكينة ؟ واحزاناه ! أو بعبارة أخرى فقد صادم هذا الرجل نصوص
 العقل والشرع . والعلماء ورثة الانبياء كما في الصحيح (الجوهرة) .
 (وواجب في حقهم الامانة - وصدقهم وضم له الفطنة)

وليس يؤذن بقسوط الدعى مثل محاولة رفع ما لا يرتفع ، مقال ذلك ان
 الزمخشري رحمه الله معتزلى فى مسائل مخالف فيها ، فاذا لم نتفق معه فى
 تلك المسائل فلا يليق ان ننفى عنه البلاغة والفصاحة اذا عاديناه وكذلك جميع
 الاوصاف فى المتخاصمين فلا بد من التسليم فيما يسلم فيه ، والافئاد ، والعناد
 مما يكاد يجعل المناظر مجنوناً لا قيمة له . ولهذا كان شيخنا الشيخ الطاهر
 الجزائرى لا يناظر ولا يجاوب وهو هو رحمه الله .

وبالله من العقول ! - أو يا للحزن على هذه الامة ! ، أو يا للأسف على هذه
 الانراض أو أمراض ! وياحزنى على الهدى والصواب ! كذا أراد الله « كذلك
 يضل الله من يشاء ويهتدى من يشاء » « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من
 نور » .

الزواوى امام جامع سيدى رمضان - الجزائر

= اثنا عشر عضوا مسلما فى المجلس المنتخب 4 عن كل ولاية بينما عدد النواب
 الاوروبيين يماثل خمسة اضعاف فى المجلس المالى وهو مثل البرلمان فى الاوطان
 الاخرى ، وعدد المنتخبين الاوروبيين اضعاف عدد المسلمين بخمس مرات أو ستة
 ثم هم يطالبون باقصاء المسلمين تماما ، بينما كان عدد السكان الاوروبيين
 لا يزيد - تقريبا عن عشر السكان (نحو أربعمئة أو خمسمئة ألف نسمة)
 وانما تضاعف عددهم نتيجة انهزام الجمهوريين الاسبان عام 1939 م ، ثم انهزام
 فرنسا عام 1940م ، وكل انهزام كان يلحق بدولة أوروبية تقبل فرنسا اللاجئين
 على حسابنا وتعطيهم أرضنا وخيراتنا ، وتمنحهم الجنسية الفرنسية .
 (12) سيأتى آخر المقال تعليق ابن باديس على هذه النقطة ثم رد أبى يعلى
 ثم جواب ابن باديس .
 (13) حديث نبوى نصه : « علماء أمتى كانبيا بنى اسرائيل » .

متى كان مشائخ الطرق علماء :

علق الاستاذ ابن باديس رحمه الله على قول الشيخ أبي يعلى فى مقاله السابق (واما العلماء - ومعلوم ان شيوخ الطرق علماء ٠٠٠) بقوله فى الهامش :

متى كان هذا معلوما ؟ وعند من هو معلوم ؟ احسبتم - أيها العالم الفاضل - انكم اذا سقتم هذا الباطل سوق الضرورى المعلوم - يعمي الناس كلهم عن انه باطل صريح ؟ ارضيتم لأنفسكم تقديم هذه المقدمة الباطلة لأجل ان تحشروا شيوخ الطرق فى عموم وراثه الأنبياء ؟ ٠٠٠

اننا نعتقد ان حضرة الكاتب الفاضل أعقل من هذا وأعلم ، وانما - لما تورط فى علاقة مع من ملأ ديوانه - المطبوع الرائج بين اتباعه بتقريره ورضاه الى اليوم - بالعقائد الباطنية الحلولية وما اليها - اضطر الى الدفاع عن نفسه حتى بدعوى ان كون شيوخ الطرق علماء أمر معلوم فاللهم غفرا .



الفصل العاشر

شيوخ الطرق ليسوا بعلماء

«لم يسلم أبو يعلى بما آخذه به الشهاب من قوله : « ومعلوم أن مشائخ الطرق علماء » وإن جعله علمهم من باب المعلوم بالضرورة غير سديد وغير واقع .
وها هو يناقشه فيه ويعلن أن نفي العلم عنهم قضية غير مسلمة ، ولكن نقطة الضعف في جوابه أنه عجز - عندما ضرب الامثال - عن عد ما يقنع بدعواه ويبرهن عليها .

قال الشيخ أبو يعلى تحت العنوان أعلاه ، ونشر في « الشهاب » العدد 90 الصادر يوم الخميس 27 رمضان 1345 هـ الموافق 31 مارس 1927 م .

وقفت في مجلة الشهاب الغراء عدد 84 على اعتراض الشهاب على قولي : ومعلوم أن شيوخ الطرق علماء بقوله « متى كان هذا معلوما وعند من هو معلوم ؟ » إلى أن جعل قولي ذلك من قبيل سوق الضروري المعلوم باطلا لتعمية الناس ، وعلى أني لما تورطت في العلاقة مع الشيخ عليوة اضطررت إلى الدفاع عن نفسي كذا قال . فالجواب :

أما كون شيوخ الطرق علماء فلم أظن أن ينكره أحد ، لأنه من الضروري الجلي المشاهد بناء على أن قولي من باب المجموع لا الجميع ، ومن جهة المصطلح والعرف بأن من درس العلوم الشرعية ولو بعضها كالفقه (علم الحلال والحرام) والفرائض والحساب والتوحيد (علم الكلام) والنحو والصرف باللغة والمعاني والبيان حسب المقرر في العالم الإسلامي عموما وفي الأزهر خصوصا .

فهؤلاء يسمون عندنا علماء عرفا وشرعا ، لان علم الحلال والحرام هو سيد العلوم ، فجدير بحامله ان يسمى عالما . وما دمنا أيضا لم نحصر ولم نضبط من نعطي له اسم العالم . ويندرج مع العلماء . ولا شك ، انه مضبوط في الأزهر بشهادة امتحان العالمية ، واما عندنا في هذه الديار فعلى اجازة من ارباب الزوايا التى يدرس فيها الفقه أى يأذن الشيخ المدرس للطالب ليدرس تارة مع كتابة الاجازة ، وتارة بالاذن فقط ، فاذا اعتمدنا هذا - ولا بد ان نعتمده ، والا فلا يوجد عالم الا فى الأزهر (1) ومن الأزهر ، وهذا باطل بل ولو من فى الأزهر فقط فانى أعرف شيخين عالمين من أكابر علماء الأزهر احدهما الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الحالي أبو الفضل (2)، والآخر العلامة الشيخ محمود الخطاب ، وهما بقيد الحياة ، اما الأول شيخ الأزهر فلم أتحقق كثيرا أنه شيخ الطريقة يعطى الورد اذ لم يصرح لي بذلك عند زيارتي فضيلته عام 1335 هـ . ولكن كان كل منا فى عقيدة الاشعري ، وطريقة الجنيد ، وكان قصدي أن أسأله هذا لانه هو الذى سألني أولا ثم قيل لي انه من شيوخ الطرق .

وأما الشيخ محمود الخطاب فأشهر من ان يذكر ، ونادى فى مصر باتباع السنة هو ومريدوه ، وعرف بالفقرة هو وتلاميذه فى اللباس وقص الشارب واعفاء اللحي وعادى غالب علماء الأزهر من أجل مخالفتهم ذلك ، وهجرهم ملتزما داره ، وله عدة تواليف ، وهو مدرس فى الأزهر معدود فى علماء الأزهر رسميا ، ومن أكابر الطريقين .

وأما فى الشام فأعرف صاحبي وصديقي العلامة الازهري الشيخ خالد النقشبندى الخطيب العام فى مصر والشام ، فانه شيخ الطريقة النقشبندية . والشيخ يوسف النبهاني الذى هو ضدنا وضد صديقنا الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار . ومعنى ضدنا وضد المنار انه ممن ينكر الاصلاحيين

(1) كيف يصح هذا الزعم من أبى يعلى مع ان من يخاطبه - الشيخ ابن باديس - كان متخرجاً بشهادة العالمية (التطويع) من الجامعة الزيتونية بتونس ؟ وكذلك توجد جامعة القرويين وكلتاها : الزيتونة والقرويين - من أقدم جامعات العالم ، والدراسة فيها مضبوطة معترف بها رسميا ؟ فلم يكن الجامع الازهر منفردا بتخريج العلماء كما يدعى .

(2) أبو الفضل الجيزاوى شيخ علماء الاسكندرية تولى مشيخة الأزهر ، لقيه الشيخ ابن باديس اثناء عودته من الحج عام 1332 هـ (1914م) فاجازه .

السلفيين وأنه يرى الولي على غير ما نراه نحن كما هو الخلاف القائم بيننا وبينهم . ولكن مع ذلك كله فإن أعدى أعاديه : صديقي الشيخ رشيد رضا إذا سألناه عن النبهاني فلا يقول انه ليس بعالم ، ولا متى عرف انه عالم ، بل يقول انه من علماء بلدهم ولكنه خرافي ضال مضل ، بل قبوري ومشارك ، وهذا غاية ما يقول الشيخ رشيد وأقول انا ، لا كما يقول الشهاب .

وكذلك شيخ شيوخ الطرق في مصر الشيخ البكري صاحب صديقنا الاستاذ الشيخ رشيد رضا - كما ذكرت ذلك في جوابي للبيضاوي ، واني أكتب هذا جازما بان يصلهم وكانني أكتبه وهم حاضرون وأنتظر الجواب منهم . وكذلك أعرف هنا عندنا في الزواوة ثلاثة بقيد الحياة ، علماء معتبرون من حيث العلوم الشرعية ، ولا أستطيع أن أجاريهم أو أقف معهم فيما عدى الكتابة والخط :

أحدهم الشيخ الحاج أحمد آجيز . شيخني حضرت عليه دراسة المختصر ، وختمته مرتين ، ومقدمة الأجرومية مرة ، والتوحيد (السنوسية) مرة .

والثاني صديقي الاستاذ الشيخ أحمد آل يوسف الجنادي فانه بحر لا ساحل له ، يتلو كتاب الله بعدة قراءات : ورش ، قالون ، عشر ، واما الفقه والفرائض والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق فحدث عن البحر ولا حرج .

والثالث الشيخ أحمد أبو القاسم البوجلبي فهو مثل الشيخ الثاني، وكانت قراءتهما على أبي الثالث الاستاذ المرحوم الشيخ محمد أبو القاسم أعلم علماء الزواوة في عصرنا، وعنه اخذ أستاذنا المرحوم ابن زكري الشيخ محمد سعيد مفتي الديار الجزائرية ، وهذا - أعني الشيخ محمد أبو القاسم - شيخ طريقة ، خلوتي .

وأما كوني تورطت في العلاقة مع الشيخ عليوة الى ان اضطرت للدفاع عن نفسي فالجواب عنه :

أني أعلنت عن نفسي اني سلفي ، وأعلنت اني تبرأت مما يخالف الكتاب والسنة ورجعت عن كل قولة قلتها لم يقلها السلف الصالح كما قال امام الحرمين أبو المعالي ولعنت الباطنية وسمع ذلك مني الخاص والعام ، فاتضح

مذهبي وديني ، وكذلك أعلن الآن انى إصلاحى كاتب على قدر معرفتي ،
اجتماعي عمراني سياسي .

فالذى يتصف بهذه الصفات ويعلنها عن نفسه فلا بد ان يجتمع ويعاشر
ويكون مدنيا ، فاذا توحش واعتزل وهاجر الناس كلهم - والحال ان أكثرهم
عصاة مبتدعون وعلى انه واحد منهم فى الهيئة الاجتماعية من الجنس والدين
والوطن - فاذا فعل فقد ناقض ما يقول ، أى فليس بإصلاحى ولا سلفى
ولا عمرانى ولا مدنى ، وعليه فانى لا أعد واحدا منا - معشر السلفيين - اذا
عاشر احدا من المخالفين أو جماعة أو أمة - انه متورط فى العلاقة ، ولا أمره
ان يقطع العلائق من جميع المخالفين فى المسائل الخلافية فيبقى اذا مع الاحجار
والاشجار ، فانى فى هذا معاوية ، اذا مدت شعرة بينى وبين الناس اجذبها
واذا انجذبت ألينها ، وانما أريد ان ينظر الى اذا كنت مع مخالف الى احد
أمرين : اما ان يصيرنى اليه ، أو اصيره الى ، والا فالأنبياء عليهم الصلاة
والسلام جاءوا ليعاشرُوا الخلق ويجتمعوا ، وليدعهم ، ولا يكون ذلك
بالاعتزال عنهم ، وكذلك المرشدون العلماء .

وأرى فى أخلاق كثير من طلبة العلم بديارنا هذه - هذا الخلق النزق ،
وضيق دائرة المعرفة ينزعون لأدنى شىء الى المعادة والمماراة .

وفى علمي أن أول ما يدرسون خطبة خالد الازهري فى شرحه على
الاجرومية « الحمد لله رافع مقام المنتصبين لنفع العبيد الخافضين جناحهم
للمستفيد » ولكنهم لا يعتبرون فى ذلك غير أنهم لحنوا أو لم يلحنوا ، والتحرير
منهم من يتعجب فى براعة الاستهلال اذا تكلم بالرفع والنصب والخفض .

والسادة الصوفية لا يزيدون على التعجب فى قول الحسن بن أبى طالب
رضى الله عنه : « لو شتمني أحد فى اذنى اليمنى ، واعتذر الى فى اليسرى
لقبلت منه » .

هذه اخلاقنا - أهل الجزائر - اجتماعية ، دينية ، أدبية سياسية ولا تسع
حوصلة سيد منا خردلة لكل ضيق ، حسبى الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

الجزائر : الزواوى أبو يعلى

ليسوا بعلماء وإن وسمهم أبو يعلى بالعلم

أجاب الشهاب على دعوى الشيخ أبى يعلى رحمه الله فى تخرجتين على قولين له فى مقاله هذا فقال عندما انتهى أبو يعلى من عد العلماء الطريقين :

1 - « يدعى الاخ أبو يعلى ان شيوخ الطرق علماء فى معرض الدفاع عنهم والتعظيم من شأنهم هكذا على الاطلاق والاجمال ، وهم فى هذا الشمال الافريقى يعدون بالآلاف قد ملأوا المدن والقرى والمداشر ، واحتلوا السهل والجبل » .

ثم لما نوقش الحساب فى هذه العبارة جاءنا - بعد البحث والتنقيب فى الشرق والغرب والخروج عن دائرة الوطن الذى هو محل البحث ، - جاءنا - أراح الله تعبهُ - بأقل من عدد أصابع يديه (1) !

لنتساهل مع حضرته ولنكمل له عدد المائة من الهواء ٠٠٠ فيكون حاصل هذه العملية الهوائية الهوائية ٠٠٠ هكذا : مائة من شيوخه العلماء فى آلاف مؤلفة من شيوخه الجهلاء . ثم اليس من الحق ان يقال له بعد هذا : انما مثلك كمن قال فى جلد حمار أسود فيه موضع كف أبيض انه أبيض فلما قيل له فى ذلك قال - بكل قوة - نعم هو أبيض ، اليست فيه بقعة بيضاء ؟ ان كلامى من باب المجموع لا من باب الجميع ؟ ٠٠٠ وهل بعد هذا المنطق يحسن بنا ان نطيل المناقشة مع فضيلة الشيخ أبى يعلى ؟

(1) حسب أبو يعلى تسعة ثلاثة مصريين : أبو الفضل ، والخطاب ، والبكرى واثنين من الشام : خالد النقشبندى ، والنبهاني . وأربعة من الجزائر : آجذيد والجنادى والشيخين أحمد ومحمد أوبلقاسم .

2 - وقال عند انتهاء أبى يعلى من الاحتجاج على انه لا يحسن اعتزال الناس وخصوصا المرشدين منهم :

« يا ابا يعلى : ان اخوانك السلفيين لم ينكروا عليك معرفتك بصاحبك ، ولا معاشرتك لأتباعه ، ولا إتيانك لمجامعهم ، فهم يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم عاشر الكفار والمنافقين ، وكان يغشى يهود المدينة فى مجالسهم ، وانما أنكروا عليك مدحك وثناءك على شيخ هذه الطائفة ، وسكوتك عما فى ديوانه المطبوع بإذنه ، الرائج بين أتباعه بتقريره المملوء عقائد حلولية صريحة وتهجمات على مقام الربوبية ومقام النبوة سخيفة ، . وأغضاءك عما فى الكتب المنسوبة اليه من أحاديث موضوعة وتحريفات باطنية لكلام الله وكلام رسوله ، وانت الرجل المعروف بشدة الإنكار على السيوطى ، وابن عربى ، والشعراني وغيرهم . هذا هو الأمر الغريب منك ، والمنكر عليك ، ومحل الريبة فىك .

فاذا استطعت ان تخصص شيئا من وقتك النفيس لنقد ديوان الضلال ، وكتب التحريف والتخريف نقدا علميا نزيها كما أنفقت كثيرا من وقتك فى نقد أولئك الشيوخ المذكورين ، فانك تكون قد برهنت على صدقك وإخلاصك ونزاهتك وبرأت ساحتك من قولة كل قائل فىك ، وان لم تفعل فانك اذا منى الظالمين ، اه .



الفصل الحادى عشر

لا تغفُ إنك أنت الأعلى

« هذا عالم كبير من أشقائنا المغاربة يعرب عن عواطفه الصادقة وتأييده التام لحركة الاصلاح التى يقودها ابن باديس واستهجانه لما قام به الجانى مسن محاولة الفتك به . وهذا الموقف منه قد كلفه غالبا اذ عزل من منصبه وابتعد من فاس بتدخلات من خصوم الاصلاح واضطهاد من حكومة فرنسا المتحالفة معهم . »

قال الشيخ محمد غاڤي مدير المدرسة الناصرية بفاس تحت العنوان السابق ونشر فى العدد 86 من الشهاب الصادر فى 7 شعبان 1345 هـ الموافق 3 مارس 1927 م .

« أكتب ما أكتب وأنا متأثر جدا مما دبره أصحاب الاغراض السافلة والمطامع الاشعبية ضد شخصكم الموقر - يايتها العالم الكبير والمصلح الخطير، كفانا دليلا على زعامتكم الاصلاحية ونزاهتكم الشخصية مجلة الشهاب الغراء التى تصدر تحت إشرافكم ورأيكم المحمود ، تلك الجريدة الوحيدة فى بابها التى خدمت الاسلام والمسلمين عموما والاصلاح والمصلحين خصوصا ، تلك الجريدة التى كان الشمال الافريقي متعطشا لمثلها منذ زمان، فجاءت بعد طول الانتظار ترفل فى ثوبها الاصلاحى القشيب بتلك اللهجة الحارة والحكمة الكبرى (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شىء) ، فهزت اعطاف المفكرين، وافزت قلوب الغافلين ، فانتبهوا بتلك الصيحة ودبت اليهم روح الحياة بتلك

النفخة ، فتهافت الناس عليها تهافت الفراش على السراج (1) حركت أقلام القاصرين وانطلقت ألسن العاجزين ، اما الكتاب والمقتدرون فمرعى ولا كالسعدان (2) هنالك ابتلى المغرمون وفتن المدعون فما استفاقوا من لزيد أحلامهم ونشوة ترهاتهم الا وعوراتهم مكشوفة ، واباطيلهم مفضوحة ، والناس تنقم عليهم من كل صوب وحذب ، فايقنوا ان نجمهم قد أفل ، ونفوذهم قد ضال ، فولوا الأدبار ورجعوا الى أنفسهم وقالوا انكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤوسهم وقالوا : انصروا أنفسكم ان كنتم فاعلين ، فوثبوا الى عالم من علماء المصلحين وزعيم من زعماء المفكرين فأرادوا به كيدا فجعلهم الله الأخسرين ونجاه ولكن بادوا بالاثم العظيم .

على رسلكم - أيها الطريقون - ما هذه الهجمة ؟ أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ هذا وانتم تزعمون الخصوصية وتدعون الولاية والاجتباء ؟ اذكروا هل يحل عذا في شريعة الاسلام أم انما حرم على أمثالنا من العوام ؟

نحن لا ننكر عليكم شيئا من هذا لأن سفك الدماء شعاركم ، وازهاق النفوس دينكم . واذا كان ذلك جائزا ان تفعلوه بضعكم ببعض فكيف بخصومكم وألد أعدائكم على زعمكم ؟ وانما نرجو من عطوفتكم أمرين :

1 - ان تحصوا لنا على صفحات (جريدتكم) عدد القتلى في برلمانكم الصحاري (الديوان) حيث سيقع بينكم احتدام كبير ، وجدال عظيم في استئصال جرثومتنا نحن المساكين الذين نريد ان نبدل دينكم وان نظهر في الارض الفساد !! لما نعلمه علم اليقين من ان (حضراتكم) مظاهر التجليات ومما يوجد في هذا الوقت الحاضر ، بل له الاغلبية الساحقة ، أنصار السلم العام والرحمة بالانسان كيفما كان .

(1) هذا الاعتراف الثاني الذي قرأته لاحد كبار علماء القطر المغربي الشقيق في تأثير الشهاب وصاحبه في يقظة المغرب ، والاعتراف الاول قرأته لزعيم النهضة المغربية ومؤسس حزب الاستقلال العلامة الكبير محمد علال الفاسي الذي كان من كتاب الشهاب أيضا وشعرائه أثناء هذه الحقبة ، وقد أعلن فضل الشهاب وصاحبه عليه في تصريح قرأته ونقلته جريدة (الشعلة) عام 1950م ، رحم الله الجميع .

(2) مثل من أمثال العرب يقولونه في استحسان الشيء يروونه ولكن دون مثله مما سبق معرفته ، والسعدان نبات شوكي تسمن عليه الابل .

2 - ان تبينوا لنا المنتصر من الفريقين فى هذه المعركة الهائلة : هل دعاة القسوة والارهاب (اليعقوبيون) (2) أو أهل الشفقة والاعتدال (الجرونديون) (3) لنتبين مصير العالم هل الى سلم عام أم الى حرب عالمية قد تحيرت فى ذلك انظار الساسة العظام فى هذه الايام ، ولكم الشكر والسلام .

كفاكم - أيها الطرقيون - من هذا ، ودعوا عنكم ادعاء التصوف فقد الزقتم به مخازى كبيرة يبرأ الى الله منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب (4) لا تتذرعوا الى إذايتنا وأكل لحومنا والقضاء علينا باننا ننكر التصوف ، ولا على الصوفية ما لا ينكر . وانما عليكم أنتم أعمالكم التي لا توافق التصوف ولا الاسلام معا .

لا تظنوا اننا نجهل التصوف أو لا نقدره ، كلا . ولكن نحن أعرف به منكم فقد أخذناه من مصدره طاهرا نقيا ثم عرضناه بعد على الكتاب والسنة فما قبلناه قبلناه ، وما لم يقبلناه رفضناه اهتداء بهدي أربابه واقتداء بعمل أصحابه (5) ، أولئك العلماء بالله الذين اتاهم الله العلم والحكمة ، وخصهم بفهم أسرار دينه والاعتبار بآياته الكونية والتبصر بسنته التي لا تبدل لها . أولئك هم العلماء الاعلام نور الله بصائرهم وطهر سرائرهم ، وكشف عن قلوبهم حجاب الغفلة وعماية الضلال فتفجرت ينابيع المعرفة من صدورهم ،

(2) اليعقوبيون هنا حزب من الثائرين الفرنسيين المتطرفين كانوا يعقدون جلساتهم فى كنيسة كانت تابعة لرجال الدين الذين ينتمون الى سان دومنيك ويلقبون أيضا باليعقوبيين وكان على رأس هؤلاء الثائرين زعيمهم السفاك روبيسيير الذى بسط الارهاب لما تولى الحكم فقتل كثيرا من زعماء الثورة ثم قتل بدوره عام 1794 م .

(3) حزب سياسى من الثوار ايضا من اليمين توصلوا الى الحكم بعد سقوط لويس السادس عشر عام 1892 م ، ثم انتزعت منهم السلطة اثر هياج شعبى وقتل منهم 21 فى 31 أكتوبر 1793 م .

(4) ابن يعقوب هو يوسف عليه السلام . القاه اخوته فى الجب ثم جاءوا اباهم عشاءً فيكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستيق وتركنا يوسف عند مناينا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبير جميل والله المستعان على ما تصفون . فالذئب المتهم من أبناء يعقوب برىء بدون شك بشهادة الله سبحانه فى القرآن لهذا يضرب به المثل فى وضوح البراءة وكذب التهمة .

(5) علق الكاتب هنا بقوله : كان الجنيد رضى الله عنه يقول : تظهر لى النكتة من علوم القوم فلا اقبلها الا بشاهدى عدل : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وانبجست منها عيون الحكمة ، ونفذت سهام عقولهم الى بواطن الاشياء ومقتضيات الصفات والاسماء، فراوا بأنوار الهداية المحمدية في الكتاب سطورا « ونريد ان نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونَمَكِّنَ لهم في الأرض » .

« وما خلقت الجنَّ والانسَ الا ليعبدون، ما اريد منهم من رِزقٍ وما اريد ان يطعمون، ان الله هو الرزَّاقُ ذو القوة المتين » .

« انما هذه الحياة الدنيا متاعٌ وانَّ الآخرة هي دارُ القرار » ، « فلا تفرَّجْكم الحياة الدنيا ولا يفرَّجْكم بالله الفرور » .

بل سمعوا بأذان الحكمة والاعتبار « افلا يتدبَّرون القرآن » ، « فاعتبروا يا أولى الابصار » ، فامتثلوا أمر الله وتدبروا وتبينوا في اختيارهم ما يبقى وتبصروا ، ونفضوا أيديهم من غير الله ، اذ علموا انه لا يضر ولا ينفع ، وافرغوا قلوبهم لله ، واشتغلوا لعيوبهم ، وأخبتوا الى ربهم ، وأخذوا حذرهم، ووقفوا عند ما حد لهم ، وقاموا بحق الوراثة اكبر قيام (6) .

نظروا بافكارهم الثاقبة وآرائهم الصائبة الى مقام الخلافة الالهية الذي منحه الله للانسان بقوله : « إني جاعل في الارض خليفةً » ، « ويجعلكم خلفاء الأرض » ، فاكبروه فترفعوا عن الاغيار ، وانسلخوا عن الشرور والاشرار ، اجللا لمرتبتهم ، واخلاصا لله في عبوديتهم ، وفي ذلك يقول ابن عطاء الله : « ما أحببت شيئا الا وكنت له عبدا ، وهو لا يرضى ان تكون لغيره عبدا » (7) . بهذا ، وأعظم من هذا نالوا الخصوصية وأدركوا الولاية والاصطفاء وحاشاهم - ومعاذ الله - ان يكونوا على شيء مما أنتم عليه ، فلا نسبة بينكم بل هم - عندي - أعظم واجل من ان نفضلهم عليكم :

الم تر ان السيف ينقص قدره اذا قيل هذا السيف خير من العصا ؟

(6) يشير الى قوله صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الانبياء » .
(7) علق صاحب المقال على قول ابن عطاء الله بقوله : « لا ينافي هذا الكلام محبة الانبياء والصالحين لان حبهم لله وفي الله » اه يشير بهذا التعليق الى أن حب الانبياء فرض واجب . ولا يكون المسلم مومنا حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما . وان يكون رسول الله - فداه أبى وأمى - أحب اليه من أمه وأبيه ونفسه التى بين جنبيه .

ولذلك لا تعدونهم انتم من أهل « الحضرة » وأصحاب الدائرة والعدد كالجنيد والكرخي (8) ، والثوري والسقطي وابن عياض ، والجيلاني ، وابن مشيش وامثالهم لأنهم لا يعرفون قطبا (9) ولا غوثا ولا يدعون لأنفسهم تلويثا ولا تمكينا، ولا عاقروا المدام بين الندامي ، ولا افتتنوا بالحدود والقدود ولا لزموا صهر (10) العقود ونقر العود ، ولا وقفوا على تلك الحدود أو قالوا بوحدة الوجود (11) حقا ليسوا من عرائس (حضرتكم) وأفراد جماعتكم ، بل ليسوا على شاكلتكم، وإنما هم علماء اعلام وأئمة عظام وفلاسفة الاسلام .

كل ذلك والفقهاء لهم بالمرصاد لا ينبسون بكلمة في فلسفة الاسلام ومدينة القرآن وسنن الاجتماع وال عمران حتى تقوم قيامتهم وتداول دولتهم حفظا لكيان الدين وسياجه المكين ان يدخل فيه المغرضون ما ليس منه ، أو يلبس على العامة المتشبهون بالصوفية فيخبطون خبط عشواء ويضللوا العباد ويدعوا الى جهنم وبئس المهاد ، وصونا للحكمة عن غير أهلها أو وضعها في غير محلها (12) .

(8) الجنيد امام الصوفية ، من علماء السنة أستاذ السرى السقطي الذي مات ببغداد ، الكرخي هو معروف الكرخي امام زاهد سيقهما ، والفضيل ابن عياض عاصر هرون الرشيد وكان من العباد ، والجيلاني هو الشيخ عبد القادر توفى ببغداد . وكان عالما سنيا يجمع الطلبة ويعلمهم ويقوتهم ، وسفيان الثوري من رجال الحديث والفقه وله مذهب اندثر .
(9) علق الكاتب هنا بقوله : « ما ينسب الى ابن مشيش من ذلك أراه مكذوبا عليه ، ولي على ذلك أدلة » اهـ وابن مشيش من الصوفية المغاربة وتنسب اليه شطحات ، وهو في سند رجال الشاذلية .
(10) علق الكاتب هنا بقوله : « هذه العبارة وقعت في شعر الششتري حيث قال :

قد وقفت على حدود تلك الحدود ولزمت صهر قعود ونقر عود » اهـ من اضلال الشيطان لبعضهم انهم يزعمون سقوط القيام بالتكاليف اذا بلغوا درجة ما في التصوف .

(11) ابطال القول بوحدة الوجود منهم ابن عربي الحانمي ، وابن الفارض ، وابن العفيف التلمساني ، وجلال الدين الرومي الخ . . .

(12) كان الامام أحمد ابن حنبل شديد النكير على كل ما يبدو منهم مما يخالف الشريعة ولا يثق بهم ولا بديانتهم وزهدهم ، وحتى بعض هؤلاء الأئمة الذين برأهم صاحب المقال . وقد ألف ابن الجوزي البغدادي الواعظ الشهير كتابا سماه « تلبيس ابليس » وأنكر عليهم كثيرا مما نسب اليهم ولم يستلم من نقده كبارهم . وكان مالك لا يقبل رواية زاهد يرغب عن الباح .

بهذا وذاك قام أمر الدين وارتفع مناره وعلا عماده : قبض هؤلاء الفقهاء على أمر الدين بيد من حديد فسدوا الذرائع ، والجموا كل قوال - مهما كان حاله - بلجام ظاهر الشريعة المتفق عليه ، ولم يلتمسوا لاحد مخرجا ولا خلقوا له عذرا .

ولولا ذلك لعطلت الاحكام وانتهكت الحرمات ، وضاعت الحدود وقال كل في الدين ما أراد . فلما مضى أولئك الصوفية المحقون ، والفقهاء المجتهدون وجاء من بعدهم ادعياء الفنين ودخلاء العلمين (وافق شن طبقة) واصطحب المتفهمة الجاهلون ، والمتصوفة الكاذبون فاستبدلوا اللباب بالقشور (13) واشتغلوا بما لا يسمن ولا يغنى من جوع . بل غفلوا عن مواقع الخطا ومزلة الاقدام ، وتركوا - بتواضعهم أو عدم ثقتهم بكفاءتهم العلمية - أمر الدين فوضى في يد الجاهلين ، وأجلوا حامية مراكز خط الدفاع عن الشريعة المطهرة بدعوى التسليم لاولياء الله من غير ما بحث معهم ولا تمحيص للمحققين من المبطلين . اذ ذاك سنحت للمتربصين بالاسلام الدوائر - الفرصة ، ووجدوا لاتحادهم متسعا ولدجلهم مجالا ، فافسدوا من العقول ما استطاعوا وشوهوا في وجه الدين ما قدروا ، وأتوا - بدعوى الصوفية والتصوف - ما يسود منه وجه الانسانية ، وتقشعر منه جلود الذين لا يعقلون .

هنالك لفظ حملة الشريعة نفس نفوذهم الاخير ، ووضعوا تراث مجدهم الثالث ، مجد الوراثة المحمدية (14) بين مشائخ الطرق الغاشمين ، فما كان من هؤلاء الا أن ركبوا العصا ، واتخذوا السهى - لا عن جدارة - مسكنا وأوهموا عوام الناس - بل عامتهم ان بيدهم تصارييف الامور ومفاتيح المقدور ، فوقع ذلك في النفوس حيث لم يجد معارضا ، ورسخ في القلوب اذ لم يسبق لها ما يخالفه من عقائد الدين الصحيحة السالمة كما قيل :

أتاني هواها قبل أن اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

(13) كذا ، والصواب : استبدلوا القشور باللباب قال تعالى : « **اتَّسَبَدَّلُونِ** **الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ** » فالباء تدخل على المتروك المرغوب عنه . (14) هي وراثة العلم التي أشار إليها الحديث (العلماء ورثة الانبياء) وفي المحاوراة بين الشيخ أبي يعلى وبين صاحب الشهاب ما يثبت ان مشائخ الطرق ادعوا وراثة الانبياء مع جهل معظمهم - وحسبهم أبو يعلى في العلماء وادعى ان هذا معلوم ضرورة . وقد سبق ذلك .

بادروا الى استغلال هذه السلطة الروحية التي اثمرت بذورها على يد من كان بالامس يعكس آمالهم ويعاكس ارادتهم ، ويقف وقفة الحارس المتيقظ فى وجه من يهاجم الاسلام بما لا يليق .

استثمروا هذه السلطة بعد ما دعموها بتلفيقات لا حظ لها من الصحة ، ولكن نسبوها الى بعض من يعتقد من الصالحين المتقدمين ، ونسجوا من عندياتهم على منوالها كالشياطين « يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَاکْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ » ليموهوا على الناس انهم خلف أولئك الذين بان فضلهم ، وعظمت منزلتهم ، وانهم على آثارهم مقتدون . وهيئات ! هيئات ! ان يلتقى سهيل والسهى (15) وأين الثرى من الثريا .

فقل لقتيل الحب وفيت حقه وللمدعي هيئات ما الكحل كالكحل وكيف يطمعون ان ينالوا ذلك المقام ، وقد ناقضوا أصل الصوفية وفرعهم ، وخالفوا رمزهم وشعارهم، فتكالبوا على الدنيا ، وسفلت أخلاقهم ، وطاشت أحلامهم ، وزادوا على ذلك أمورا أتخاشى عن ذكرها ، وأترفع عن وصفها ونعتها . ومع ذلك لا يستحون ان يجاروا أمام الناس بأنهم صفوة الصفوة ، وخاصة الخاصة ، قال قائلهم :

هم الرجال أدام الله مجدهم والغير والله أوباش وغوغاء !
فى حين أنا لا نسلم لهم معشار عشر ذلك ، بل لا نرى لهم قلامة ظفر حتى من التشبيه بأولئك الأماجد العظماء،ويا ما أسعدهم ، وأوفر حظهم،لو نالوا تافها من التشبيه الصحيح بأولئك القوم فكانوا كما قيل :
فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبيه بالكرام فلاح ولكن :

طلب الابلق العقوق فلما لم يجده أراد بيض الانوق (16)

(15) سهيل نجم بهى الطلعة يمانى مشهور عند العرب مذكور فى اشعارهم . والسهى كوكب خفى من بنات نعش الصغرى لخفائه تمتحن به الابصار ، وفى أمثالهم (أريها السهى وترينى القمر) .
(16) الابلق الفرس فى لونه بياض وسواد ، والعقوق الحامل ، والذكر لا يحمل ، وهذا مثل يضرب لمن يطلب محالا وقد تمثل به معاوية رضى الله عنه فيمن طلب منه قلما منعه طلب أكثر منه .

فهم كما قيل :

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها
استفادوا من تلك السلطة الموهومة ففتكوا بالأمة فتكا ذريعا، واثقلوا
كواهلها بالضرائب ، والزيارات ، واختلسوا أموالها بضروب الحيل واصناف
المكر والخداع، حتى تركوها وما لها من ناطق ولا صامت ولا تملك معهم فتىلا .
ثم ما وقفوا عند هذا الحد حتى زادوا عليه طورا ، فاستخدموها بقضها
وقضيضها فى مصالحهم الشخصية وحاجاتهم النفسية ، واغراضهم
الشیطانية، بل زادوا عليه أيضا . . . الى ما تعلمه وتراه .

ولا تزال الأمة ترزح تحت اعبائهم الثقيلة الى الآن من غير ان تأخذهم
عليها مرحة ، أو يرقبوا فيها إلا ولا ذمة . ما هكذا - والله - التصوف
يا صاح .

التصوف علم وعمل ، اما العمل فهو التخلق بأخلاق الله والتأدب بأداب
الحنيفية السمحة ، وتقوى الله سرا وعلانية ، ومخالفة الهوى ومحاسبة النفس
على النقيير والقطير .

واما العلم فهو المرشد الى ذلك والدليل على عظيم هاتيك المسالك ، وأهم
ما يتخلق به الصوفي الحقيقي : الصبر عند البلية، والسماحة، والاناة، والحلم،
والعفو، واحتمال المكاره، والرضى بالقضا، والزهد، والقناعة، والورع، وعدم الغضب
الا لله، وحب الخير لجميع المؤمنين بل لجميع الناس، ومسامحتهم، ورفع الاذية
عنهم، وبعبارة أجمع وأخصر : هو التأسي بصاحب الشريعة صلى الله عليه
وسلم قولا وفعلًا وحالا. قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

ولا يخفى على القارئ النبیه ما ينجم عن هذه الخلاص العظيمة والاعمال
الكبيرة والمجاهدات الاخلاقية الكريمة - ان صاحبها إخلاص - من العلوم
الدنية والمعارف الربانية ، والمواهب الصمدانية - للحديث الشريف « من
عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم » وكذلك كان ، فقد كرع الصوفية
من موارد المعارف والأسرار ورووا فنالوا من العلوم بغيتهم ، وأدركوا أمانيهم،
فأتوا من فلسفة الدين بالعجب العجيب ، ولهم فى باب الارشاد والحكم

ما يبهر العقول ويدهش الالباب ، ومن غرر كلامهم (رض) فى ذلك : « لا تصحب من لا ينهضك حاله ، ولا يدلك على الله مقالته » . « الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها » ، « من علامة الغرور ترك الواجبات والمسارة الى نوافل الخيرات » ، « الوقت سيف ان لم تقطعه قطعك » ، « ما حرموا الوصول الا لتضييعهم الاصول » ، « الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية » ، « متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى كل حال متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك » .

هذه نقطة من بحار معارفهم الزاخرة ادرجتها عامنا لينفذ منها الى اكتناه مراتبهم العالية وعلومهم الغزيرة . ومع ذلك فما أوتوا من العلم الا قليلا . هؤلاء هم الصوفية حقا ، والعارفون صدقا ، نحبهم - والله - حبا جما ، ونقتدى بهم ما أمكن على قدر وسعنا ، وجهد طاقتنا ، « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » . على أنى لا ازكى نفسى كما لا ازكى على الله احدا ، وليس من قصدى التبجح بمعرفة حقائق التصوف وأسراره ، أو التلويح الى أننى ممن ضرب فيه بسهم فتقول عنى (ماذح نفسه يقرئك السلام) لا . والله لقد صدقتك الخبر وانى اعرف بأمرى من غيرى فما ذقت - ولو من ثمالتهم - جرعة وليس لى فى غنيمتهم قرعة .

وابن اللبون - اذا مالز فى قرن - لم يستطع صولة البزل القناعيس وانما ذكرت ذلك فى معرض الاستدلال ليعلم هؤلاء المدعون اننا نعرف الصوفية وان لم نكن منهم ، ولا نبخسهم حقهم ، أو نضع قدرهم كما لا نظريهم ولا نكيل لهم الشاء جزافا .

أترى بالله عليك أيها القارىء المنصف ان رجالا كهؤلاء العلماء يسمون أنفسهم بسمات الألوهية ، أو يدعون لأنفسهم ما خرج عن حدود الشرع ! كلا ، ثم كلا ، وحاشا ومعاذ الله ، هم براء من ذلك ، وان نسبه السفهاء اليهم افتراء عليهم وبهتاننا واثما مبينا .

أترى انهم يرضون ان يوصفوا بما يصفهم به هؤلاء الجهلاء أو يعظموا بمثل ما يعظمون به الآن ! لا . لا، ورب الكعبة .

اتراهم - لو وجدوا فى هذا الوقت - يصبرون على هذه الجرائم التى توتى باسمهم ولا يكونون أول رام معنا لهؤلاء المردة بسهم العقاب والملام ، ثم بطعان أسنة الأقسام ، الى ان ينزلوهم عن مراتبهم ويبيّنوا للناس أجمعين انهم قطاع الطريق ، لا شيوخ الطريق ، وانهم جرائم الفساد يمتصون دماء الناس ، ويستنزفون أموالهم ، ويفسدون عليهم دينهم وعقائدهم ، فيتركونهم ولا دين ولا دنيا ؟

اتراهم يسمعون ما دخل علينا من الاوهام والخرافات والمرائى الكاذبات فلا يغارون على دينهم ولا ينتصرون له ؟ وهم ذادته وحماته ورجاله المخلصون ؟ الصوفية - رضى الله عنهم - لم يكن لهم شىء من هذا ولا عرفوه وانما كان حالهم كما ذكرنا ، والتصوف حقيقة ما قلنا يساير الاسلام حيث سار ، ويتوجه معه كيفما دار ، يقبله العلم الصحيح ويؤيده الدين الحق فهو كما قال الجنيد (رض) : « علمنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة » وكان الصوفية أيامئذ علماء ، فقهاء ، محدثين وفى ذلك يقول الجنيد : « علمنا هذا لا يصلح الا لمن قرأ القرآن وكتب الحديث » فحفظوا بذلك من تلبسات الشيطان فلم يكن لهم شىء ينكر ، الا ما لم يسلم منه بشر ، من فلتات نظرية وعثرات لسانه (17) . ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا ان تعد معايبه على ان كلامهم لم يكن - ولن يكون - ككلام من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم يجب قبوله مهما صح ، بل ما كان موافقا لصريح الكتاب والسنة قبلناه ، وما لا ، فلا . مع التماس العذر مثل فلتة ، عثرة ، غلطة والظن بهم على كل حال جميل .

اما أنتم المتشحون - فجئتم بعد ما طوحت به طوائج الزمان ، ورمت به نوائب الحدثان ، فما كان منكم الا ان تدرعتم ببعض اصطلاحاته عن طعن المنكرين ، وحاربتم باسمه حزب المصلحين ، ولكن سيهزم جمعكم وتولون الدبر فاربعوا على أنفسكم « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » .

(17) هذه الفلتات اللسانية هى ما يسمونه (الشطحات) تصدر منهم وقت الغيبوبة (والحال) فمن صدرت منه حالة الوعي فهو مؤاخذ بها لا محالة ، ومن صدرت منه وهو غائب عن الوعي ان وجد لها مخرجا عفى عنه ، اذا اشتهر بالفضل ، وان أصر عليها أو لا مخرج لها عوقب وكذا ان لم يشتهر بالفضل .

ألم تعلموا أن مقاومتكم هذه لا تزيد الناس الا نفورا منكم وحقدا عليكم حيث بكل حركة من حركاتكم الدفاعية - تفتضح عورة كانت عندكم مستتورة ، وتبرهنون للناس على بطلان مدعائكم . فانتم تعينوننا من حيث لا تشعرون . وتخربون بيوتكم بأيديكم وأيدي المصلحين .

أنصفوا ، فهل كان الصوفية ينتصرون لأنفسهم ؟ لا . ولكنهم يسلمون ويرضون لأنهم يرون الفعل حقيقة من الله ، ثم هو الذى يتولى نصرهم من حيث لم يحتسبوا .

أين هو صبركم على الأذى واحتمالكم للمكروه ؟ ألم تسمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ؟ أو ما كان من الدين ان تكتفوا بالكتابة فى الجرائد والقول ، فتبينوا للناس مذاهبكم واعتقاداتكم ، وتدفعوا ما يوجه اليكم من التهم ، وتكشفوا عما أحاط بكم من الشبه ، فيرجع بعضنا الى قول بعض .

ولكن أبيتكم الا ان تظهروا للناس خبث نواياكم وفساد طويبتكم ، وتبرهنوا على ما تضمرونه من السوء لمن يريد أن يغير منكمرا أو يبين حقيقة .

ما فتكتكم الا بانفسكم . اما نحن فقد انتصرنا، وأديننا الواجب، وبلغنا الدعوة، فان هلكنا ففى سبيل الله ، وان نجونا فقد عاهدنا الله ان نذب على الدين الى أن يظهرنا على القوم المجرمين .

ذكرتمونا بتدبيركم قضية اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس بجماعة الفدائيين و (شيخ الجبل) (18) بل هى أشبه بكثير بالقضية التى حكاها عن نفسه ابن العربي فى الاحكام حيث ذهب ليناضل امام الاسماعلية فلما غلبه ارادوا قتله لولا ان تقطن فاسرع بالهروب حافيا .

(18) جماعة من الباطنية كان لهم شيخ يسكن بهم أعلى قمة جبل ويؤجرون أنفسهم لمن أجرهم ، ولهم جراءة فى الفتك عظيمة لا يكاد يفلت منهم ضحيتهم، ويسمون أيضا الحشاشين لتناولهم مخدر الحشيش ، ومن لقبهم هذا جاء نعت كل مفتال (حشاش) فى الفرنسية وينطقون بها (أساسان) .

ولكن هل غاب عن حضراتكم ان قتل النفس حرام بل من اكبر الكبائر ، قال تعالى : « ومن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فجزاؤه جهنمُ خالداً فيها » (19) الآية . ومهما وجدنا من عذر لأولئك لا نجد لكم عذرا ، لأن الفدائيين والاسماعيليين كفار ، لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، اما انتم فاستحي ان اقول مثلهم ، وان كان مذهب المتصوفة يلائم كثيرا مذهب الباطنية (20) .

وقبل البحث عن هذا التشابه الكلي وما سببه ؟ أبرء ساحتكم من ذلك ، لانا نراكم تذكرون الله جهرا وتجعلون السبح في أعناقكم ، وتصلون أمام الناس . وان كنت أعلم ان الباطنية كذلك لا يتظاهرون بالكفر والالحاد ، بل يتزيون كثيرا بزي الزهاد والعباد .

وانما أعلم من أمركم انكم ارتكبتم جريمة لا تغتفر ، قد يكون عذرکم ان (حضراتكم) اذا غضبوا لا يقوم لغضبهم شيء ، ولكن : أين عقاب الحكومة وفضحيتمكم أمام الأمة جمعاء ؟

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن اما أنت أيها العبقري الكريم فنهنيك بسلامتك ، ونهني الشعب الجزائري كله ببقائك لتقوده الى حيث الهداية والرشد والصلاح والفلاح . ولئن أصابك في سبيل الله ما أصابك، فتعز بما أصاب من سلفك من المصلحين الصالحين ، واصبر فان الله يحب الصابرين ، ولا يضيع أجر المحسنين » .

فاس - محمد غازي

مدير المدرسة الناصرية

(19) اختلف في قاتل النفس عمدا غير مستحل القتل . هل له ثوبة ؟ ومذهب ابن عباس انه لا ثوبة له اعتمادا على هذه الآية التي تثبت خلوده في النار . ومذهب الجمهور أن له توبة ان كانت توبته نصوحا أخذا بصوم قوله تعالى - بعد أن ذكر موبقات منها الاشرار و قتل النفس بغير حق - : « إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » اما اذا قتل نفسا مؤمنة معتقدا ان ذلك حلال له فهو كافر . وقد أفتى علماؤنا ان قاتل النفس - ولو تاب - لا تقبل امامته .

(20) تراجع مقدمة ابن خلدون في فصل « علم التصوف » فقد ذكر وجوه التشابه بين المتصوفين والباطنية ومن أين جاءهم هذا ؟ وفي عظمائهم وشعرائهم شخص يقال له النجم الاسرائيلي !

حزب الإصلاح لا ينكر التصوف الحقيقي

هذا ما جاء فى تعليق صاحب الشهاب على مقال الشيخ محمد غازى السابق
اذ قال عقبه - ونشر فى العدد نفسه :

« **الشهاب** : قد أبان حضرة هذا الكاتب القدير عن حقيقة التصوف
الاسلامى ومقام رجاله الاقدمين فى العلم والعمل والتقوى والفضيلة ، وذكر
ما اجمع عليه الجميع من وجوب عرض أصوله وأقوال أهله وأعمالهم على الكتاب
والسنة . وبين كيف أندس هؤلاء الدخلاء فى أهله وهم أبعد الناس عنهم لما
انحطت المدارك العلمية ، وتخلى العلماء عن وظيفتهم . وفى هذا كله ما يدحض
ما يتمسّدق به الدجالون ، ويجاريهم فيه المغرورون : من انكار حزب الإصلاح
الدينى التصوف الاسلامى الحقيقى من أصله ، وانكاره على عامة أهله ليصرفوا
الناس عن سماع كلمة المصلحين ويبغضوهم فى دعاة الحق من السلفيين ،
ويوهموهم أنهم هم على طريق أولئك العلماء الزهاد سائرون . والله يعلم أنهم
لكاذبون ، وسيحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون ، اهـ .

ونلاحظ - من المقال ومن التعليق - شدة الالتحام بين القطرين الشقيقين
الجزائر والمغرب ، وتضامن علمائهما فى حرب الدجل والخرافات والفساد الذى
من ورائه قوة الاستعمار . وما يرى من عنف مشروع فى مهاجمة هؤلاء المدعين
التصوف المستغلين لغفلة العامة فانما يراد به افتكاك الشعب من أيديهم ،
وتخليصه من نفوذهم ، اذ كانوا محالفين للمستعمرين ، مرتبطين معهم . وليس
هذا ادعاء فقد كتبتة الجرائد ، ومنها جريدة الطان ، ثم جريدة (المجلة الاهلية)
وقد ترجم الى العربية ونشر فى الشهاب . ولكن الشهاب بسعيهم واعترافهم
منع من الدخول الى المغرب ، وأثناء الثورة الجزائرية اعترف قائدها بتخلص
الشعب الجزائرى من نفوذهم ، وان كان هذا النفوذ قد استمر فى المغرب ، هذا
من قبل . اما الآن ؟ وتبقى علامة استفهام !

الفصل الثانى عشر

أثر الشهاب فى يقظة الشيبية

وسوء أثر بعض الزوايا

تحت عنوان « لمن أشكو ؟ ٠٠٠ » نشرت (الشهاب) كلمة فى افتتاحيته العدد 85 بامضاء « مسلم غيور » من فاس يشكو من حال المسلمين - وخصوصا فى المغرب ، ومما جنى عليهم نومهم وانصرافهم عن الاسلام الحق الذى من مبادئه انه يوجب عليهم مراقبة أحوال جيرانهم ، ووزن قوتهم بقوة مناوئهم ، مما تعبر عنه الدول الغربية - اليوم - بالتوازن الاوروبى ، وناهيك بما لاختلال التوازن من الاثر السيء .

وجاء فى هذا المقال الذى نشر فى العدد المذكور بتاريخ 25 شعبان 1345 هـ ، الموافق 24 فبراير 1927 م .

« تبذ المسلمون ويا للأسف - وهل يغنى التأسف فتىلا ؟ - كتاب ربهم وسنة نبيهم ، فانتظروا النصر من حيث لا تأتى نصره ، وارتقبوا - وهم جالسون فى قعر بيوتهم - ان تهب عليهم رياح النصر أو تشرق عليهم شمس السعادة .
يفزعون - كلما نابتهم نائبة ، أو حلت بهم كارثة - الى أصنام القبور ، كما كان يفزع اليها الأولون قبل ان تستنير افكارهم بمصابيح الدين .

يتعلقون بأذيال طواغيتهم من كهنة المشائخ الطرقيين ، ويتمسحون بها تمسحا ، يعتقدون أن فيه صلاح الدين والدنيا . خاب وخسر رجل يرجو المعونة من غير الله ، وضل من ينتظر حصول مسبب عن غير سببه الذى اقتضت النواميس الكونية جعله سببا فى حصوله .

هذا هو السبب الحقيقي لسقوط مجد المسلمين ، وهذه علة من أكبر عللهم ،
فهل هم عنها مقلعون ؟

سبق أن ابنت - فى بعض كتاباتى - انه طاف بالمسلمين - وهم نائمون
تحت مفعول المخدرات التى خدر أرباب الطرق والزوايا بها أعصابهم - طائف
شعور فتنبه بعض أفرادهم للخطر المحدق بالجماعة الاسلامية ، وقام يعمل لصالح
دينه بكل قوة واعظم ثبات .

وسرعان ما سرى ذلك الشعور فى كل بلاد وقطر من الاقطار الاسلامية التى
منيت بذلك الداء العضال .

وقد كان قطرنا المغربى آخر من تأثر بتلك الأفكار الحرة السليمة، فنبح فيه
أفراد يعدون على الاصابع ، زاحموا إخوانهم على انهار الصحف والمجلات ، فقامت
قيامة الدجالين والمشائخ وأبرقوا وأرعدوا ، وهرعوا للوسوسة التى هى سلاح
العاجزين .

افسحت هذه المجلة - يعنى مجلة الشهاب - المجال لبعض الشبيبة الفاسية،
فنشروا على اعمدها ما عن لهم نشره مما لا يخرج عن بيان حقيقة الدين الاسلامى
وشرح المفاصد التى انجرت له من وراء أرباب الزوايا ، فرأى هؤلاء ان البلاء قد
حاق بهم من كل جانب ، فوسوسوا للحكومة ما وسوسوا مما اضطر ادارة
الاستعلامات الى التوجه من وراء بعض افراد تلك الشبيبة المتنورة ومحادثة
بعض ضباطها لهم فى ذلك الموضوع محادثة تنم عما لاحرار الفرنسيين من
التنبه والرزانة ... هذا آخر سهم فى كنانة الطريقين المشعوذين .

رمى به كبيرهم فى هذه العاصمة فأخطأ الرمى ، فلتحذر الشبيبة شره
ولتقاومه ...

اما الطرق فسنعلمهم من مقالاتنا المنشورة فى هذه المجلة ان غائلتها شر
الغوائل .

فاس - مسلم غيور

من هو الكاتب ؟

كان يكاتب الشهاب من فاس عدة كتاب كبار وعلماء أحرار منهم الشيخ محمد علال الفاسي زعيم الشبيبة حينئذ ، ومنهم الشيخ محمد غازي ، ومنهم الشيخ محمد أبو بكر السلأوي ، وكل واحد من هؤلاء مطلع على خبايا الزوايا ، متشبك معها في معركة . ولعل هذه الكلمة لاحدهم . وربما كانت للمرحوم علال اذ تكلم فعم ثم خص الشبيبة بالكلام - والله أعلم - ومع الأسف ان هذه السعائيات اثمرت من بعد ، ومنع الشهاب من دخول المغرب ، كما منع صاحبه الشيخ ابن باديس من زيارة كان ينويها وعزم عليها الى المغرب ، وكبيرهم - الذي أشار اليه - هو الكتاني ، وقد لعب ضد استقلال المغرب دورا كبيرا .



الفصل الثالث عشر

1 - نقيب الأشراف وانخداعه لمن خدعه بالله :

« كان نقيب الأشراف بالجزائر الشيخ محمد الشريف الزهار - من الشخصيات الجزائرية المحترمة ، إماما بمسجد أسلافه بالقصبة ، ولكنه كان غرا كريما - كشأن المؤمن - ينخدع لمن خدعه بالله ، واتخذ موقفا من العلويين وشيخهم قبل أن يتبين ، فصرح بكلام فيهم وشهادة لهم ، فلم يسكت عنه (الشهاب) حتى لا يغتر المسلمون بكلمته لمكانته - ومكانة أسلافه - وطلب منه أن يبين الحقيقة ، فنشرت كلمة في الشهاب عدد 82 الصادر في 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م .

فما كان من هذا الأستاذ إلا أن تثبت ثم أعلن موقفه الصحيح الصريح ، واعتذر عما وقع منه قبل ، ثم تابع يفضح أمورا أخرى في مقال ثان . وفيما يلي ننقل ذلك مبتدئين باستفسار « طلب حقيقة » ثم بالبيان « الجواب بالبراءة » ثم بمقال « شر المغرورين أو الغرورين » .

2 - طلب حقيقة :

قال الشهاب في عدده المتقدم ذكره :

« منذ اجتماع العلويين في جامع سيدي رمضان للحج الأكبر (1) - كما يقول بعضهم - ونحن في حيرة والتباس حقيقة مما صدر عن أحد أعيان العاصمة وهو الشيخ محمد الشريف الزهار الامام بجامع جدة رضى الله عنه ، من وقوفه

(1) كان من عادة العلويين وتجديد شيخهم أن يعقدوا مؤتمرا سنويا يحشرون اليه من استطاعوا من الاتباع والمحبين ، ويجي هؤلاء من سائر أنحاء القطر ومن تونس والمغرب والشرق وأوروبا . واطلق عليه بعضهم اسم « الحج الأكبر » شأن المبالغين .

بذلك المحفل ، والقائه لتلك الخطبة التي كادت ان تنشق لها السموات ، ومدحه
لذلك الشيخ مدحا مفرطا ادهش الحاضرين .

ودونك - أيها القارىء - ملخص قوله :

« أيها السادة انى كنت قبل الاجتماع بهذا الرجل العظيم أنكر عليه أقواله
وأفعاله وأقدح فيه وأسبه ، وأقول لأتباعه إن شيخكم بدعي زنديق بل كافر
وما اشبه ذلك . والآن - وقد اجتمعت به - والحمد لله - فقد ظهر لي ما كان
خفيا عني من الأسرار والأنوار ، وها أنا تائب مما قلته ، وأشهد انه ولي كامل
زاهد قطب ٠٠٠ الخ » ، اهـ .

فبالله متولى السرائر هل كانت حقيقة اعتقادك - أيها الإمام - فى ذلك
القطب ما فهت به أمام الجمهور ، أم كان نطق لسانك مغايرا لجنانك ؟ فصادقنا
- أرشدك الله - حتى ترتفع عنا الحيرة ، وتنجو من الوقوع فى المحذور اقتداء
بك ، حيث كنت إمام مسجد ، شريفا ، بل نقيب الاشراف ، وابن عائلة
موصوفة بالصدق والكمال ، فكيف محضت فى هذا المجال ، فعجل بالجواب
على كل حال .

الجزائر - مستبين

3 - الجواب بالبراءة :

ولم يطل الانتظار لسماع جواب هذا الاستفسار فقد جاء الرد سريعا ونشر
فى العدد الموالى 83 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 10
فبراير تحت العنوان « الجواب بالبراءة » وهذا نصه :

الشهم الغيور مدير جريدة الشهاب الأغر سيدي أحمد أبو شمال،سلاما
واحتراما .

« اطلعت فى جريدتكم السمحة عدد 82 على سؤال عنوانه « طلب حقيقة »
بامضاء « مستبين » مضمناه اجتماع العليويين بمسجد سيدي رمضان ، وخطبتي
فى ذلك الاجتماع ومدحي لذلك الشيخ مدحا مفرطا ، وطلب مني الكاتب حقيقة
اعتقادي ٠٠٠ الخ .

فأقول - ولا أخشى لومة لائم ، لتظهر الحقيقة وضاحة الجبين ، وأشهد الله
الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - أننى برئ من بدع المبتدعين ،

وخزعبلات المتصوفين ، وشعوذة المشعوذين ، ونصرة السفاكين (2) . . . احب العلماء العاملين، والأولياء المتقين . طريقتي السنة والكتاب ، شاذلي رحمانى (3) بلغنى عن الطائفة العليوية وشيخهم (المربى) من الاسرار والانوار ما شوقنى الى مشاهدة رؤيتهم، فاجتمعت بالشيخ وأصحابه فى مسجد جدى محمد الشريف الزهار رضى الله عنه ، فكان كلامه فى الصلاح والارشاد والوقوف على حدود الشريعة ونفع العياد (4) .

ولا يغرنك لين من فتى ، ان للحية سما يقتل ، فاعجبني ذلك ، وحمدت الله على وجود رجل مثل هذا ، فى هذا الزمن ، وخطبت خطبتى التى لا انكرها ، ولكن لما اطلعت على حقيقة أمرهم ، وحللتها تحليل الحكيم الكمياوى تمثلت بالمثل السائر : (ما أنت أول سار غرة قمر) (5) فتبين لى الرشيد من الغي وظهر الامر بخلاف ما كنت أظن من أمور مصادمة للشريعة لا ينبغى السكوت عنها ، ولا يسعهم انكارها ، ويختم عليها مشافهة ، وحذرتهم من سوء عاقبتها عملا بقوله تعالى : « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » فأبوا وأصروا على فعلها . فتكلمت مع الشيخ نفسه ليزجرهم على ذلك فتبسم وسكت ، فلما علمت أن القوم اتفقوا على الضلالة نبذتهم نبذ النواة ، وهجرتهم وقاطعتهم وقلت لهم : « هذا فراق بينى وبينكم لان الحب فى الله والبغض فى الله » فقد تحققت صدق ما هو شائع عنكم ، من هتك الدين باسم الدين ، وحمدت الله حيث

-
- (2) يشير الى حادثة محاولة الفتك بالاستاذ ابن باديس ، وارقة دمه .
(3) الطريقة الشاذلية تنسب الى الشيخ أبى الحسن الشاذلى دفين مصر ، وأصله من المغرب الاقصى وعاش كثيرا بتونس ، وله زاوية كبرى فى أعلى مقبرة الجلاز . وهى الطريقة التى تفرعت منها الدرقاوية وعن الدرقاوية تفرعت العليوية . والطريقة الرحمانية هى الطريقة « الخلوتية » وتنسب الى « سيدى محمد - بفتح الميم - ابن عبد الرحمن » العالم الجزائرى الجرجرى الذى عاد بها من الشرق وانتشرت ، وكان لها مقام محمود فى المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسى ، وهى طريقة الشيخ ابن الحداد ثم كانوا من بعد الاسلاف - كغيرهم .
(4) هذا هو الكلام الذى اتخذ له أبو يعلى ، لكن الكلام وحده لا يكفي فقد كان ديوانه فى السوق مملوءا ضلالات مما يخالف تصريحاته ، ولذلك لم يقتنع الشهاب بادعاءاته .
(5) صدر بيت من بيتين قالهما الحريرى لمن بلغته شهرته فرفع مكانته فلما رآه أزدراه وشك فى مكانته .

أخرجني من الظلمات الى النور ، وشاهدت الامر عيانا ، فليس من راء كمن
سمع • فتأسفت على ما صدر مني ، واستغفرت الله عسى ان يغفر لي ، ورجعت
عن ذلك ، فان الرجوع الى الحق افضل من الباطل •

هذا هو اعتقادي - أيها السائل - وهذا هو ديني الذي أدين الله به ، فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر •

كتب بالعاصمة في 4 فبراير 1927 م

محمد الشريف الزهار



4 - شر المفرورين ... أو الغرورين :

ثم اتبع الشيخ الزهار براءته تلك بمقال تحت العنوان اعلاه - كشف فيه أقاويل وأفعالا مما ينكر الاصلاح على أصحابها ، ويحاربهم من أجله - وقد نشر هذا المقال في العدد 88 من الشهاب ، الصادر في 13 رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، وهذا نصه بعد العنوان :

1 - « هم المتمشيخون من المتعلمين ، وهم الرؤوس الجهال الذين اتخذهم الناس بعد ذهاب العلم بموت العلماء ، وافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا حتى ألفوا تأليف أباحوا فيها - لاهل البيت - جميع المحرمات ، مستدلين - بل محرفين لقوله تعالى : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ » الآية (6) ولا ينظرون لقوله عليه السلام : « لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (7) .

2 - **والتصوفون بل المتطرفون** - طهر الله منهم العالم يزعمون انهم يجددون لهذه الامة أمر دينها ، باذن من النبي صلى الله عليه وسلم لانه يجتمع معهم كل يوم وليلة ، ولا يغيب عنهم طرفة عين ، ويلقنهم كيفية الذكر والصلاة عليه ، ويطلعهم على مقام محبيهم في الجنة ومقام مبغضيه في النار، ويقول له :

(6) الآية هي قوله تعالى في سورة الاحزاب : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

(7) سرقت امرأة مخزومية ، وثبتت عليها التهمة ، فكبر على بعض الصحابة أن تقطع يدها - نظرا لسمو مقامها في قريش ، فبعثوا أسامة وكان حسب رسول الله عليه - ليشفع لدى الرسول ، فغضب وأخبر ان الذي أهلك من كان قبلهم أنهم كانوا يعفون عن زلة الشريف ، وينفذون الحد في غيره ، ثم قال ما نقله الكاتب : « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » وليس أشرف من مقام فاطمة وحاشاها .

قل لأصحابك يفعلوا كذا وكذا ، ولم يفكروا فى حديث (من رأى فقد رأى حقاً (8) فان الشيطان لا يتمثل بي) - فلا يرى إلا فى المنام ، ولا فى الحديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده فى النار » (9) .

ثم منهم من يقول : لو غاب عني النبىء يوماً واحداً لخاصمته بين يسىء الله(10) الى ما لا نهاية له من سوء الادب مع سيد البشر ، ولا تسأل عما ينسبون لانفسهم من الخوارق والشعوذات والخزعبلات التى تروج على الجاهلية من أولئك (المتنطعين) واعوانهم المفتونين .

3 - وذرية الصالحين - وما أدراك ما ذرية الصالحين ؟ - تركوا ما كان عليه سلفهم الصالح وارتكبوا المحرمات ، ويزعمون ان آباءهم واجدادهم ضمنوا لهم وللمتمسكين بهم الجنة ، ونسوا حديث : « يا فاطمة اعملي ولا تتكلي فاني لا اغني عنك من الله شيئاً » .

ثم من عجيب امرهم واغترارهم انهم يشربون الخمر جهاراً ثم يقول المعتقد فيهم : انني رأيت سيدى فلان فى « الطبرنة » وظننت انه يشرب الخمر فناداني وقال لى : اشرب من كأسى هذه ، فلما شربته وجدت رائحته طيبة ، وطعمه عسلاً ، والزجاجة شممتها بعد ذلك فوجدت رائحة الخمر ! (11) .

(8) رؤية النبىء صلى الله عليه وسلم يقظة مستحيلة شرعاً وعادة لانه مات فكيف يقع الاجتماع به والتلقى عنه ؟ ولم يقع هذا لابی بكر ولا عمر ولا لفاطمة فكيف يقع لغيرهم ؟ ورؤيته مناماً لمن يعرف شخصه من أصحابه يقين لان الشيطان لا يتمثل بصورته ، اما من كان لا يعرف صورته ممن لم يجتمع به فمن أين له انه هو ؟ ألا يمكن ان يتصور الشيطان بغير صورته ثم يزعم أنها هى صورته ؟ ان الشيطان تجراً على ان يتصور بصورة ثم يزعم انه ... هو الله ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلي تأمل .

(9) حديث متواتر المعنى واللفظ . رواه نحو مائة من الصحابة ، ولا شك ان من قال : لأصحابه أمرني النبىء صلى الله عليه وسلم أن أقول لكم « افعلوا كذا وكذا » كاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مستوجب دخول النار . (10) أصل الخصومة بين ابن باديس والعلويين مثل هذا التعبير من ابن عليوة الذى رده ابن باديس فى رسالة له « جواب سؤال عن سوء مقال » واشتعلت الخصومة .

(11) كلمة « الطبرنة » تصدق - فى القديم - على كل مقهى أوروبى تباع فيه الخمر . والجلوس فيه كان مستهجنًا جداً فى الراى العام لأنه مظنة السوء . ثم ان هذه الشهادة لا يمكن ان تقبل - لو صدرت - لانها صادرة من «سكير» لمثله تبريراً لعملهما ، ولا تروج الا على المغفلين - والصحيح انها كذب مروي من « الاخوان » لتبرئة السكيرين من تهمة السكر .

ويقول آخر : رأيت ابن سيدى فلان ، ومعه امرأة زانية ٠٠٠ فلما خطر فى قلبى شئ منه نادانى وقال لى انظر ما أنا راكب فوجدتها دابة وهو فوقها ١٠٠ ! (12) الى غير هذا من امثاله وأكثر منه مما لا يكاد العاقل يصدق بوقوعه لولا مشاهدته وذيوعه •

وما اكتب لكم هذه الرسالة لتنشروها - الا لانى تلاقيت مع كثير من هؤلاء واطلعت على أمورهم فمتى يخلص هذا القطر التعيس من شرورهم ؟

محمد الزهار - امام ونقيب الاشراف

(12) أبلغ من هذا فى الاستبلاء ما يحكى أن أحدهم خرج من بيته وترك شيخه مع زوجته فى خلوة ، فلما رجع وجد الشيخ يفعل بها الفاحشة فقال مكذبا بصره « تريد أن تمتحننى لتفسد نيتى ! والله ما فسدت ! » وهذا الذى ذكره الشيخ لا يعفى شيخه لانه يثبت عليه الوقوع مع ٠٠٠ دابة - والدابة فى عرفنا العامى هى (الاتان) انشى الحمار ! !

5 - غاية حزب الإصلاح الدينى تطهير الطبقات : سكوت العلماء آفة

علق « الشهاب » على هذه المقالة من نقيب اشراف الجزائر بقوله :
« هذه الاصناف الثلاثة قد ملأت القطر الجزائري المسكين وشقيقه التونسي والمراكشى ، فقد أفسدت عليه امر دينه ودنياه وقطعت عليه طريق الحياة والتقدم . وقد امتزجت هذه الاصناف الشريرة بالطبقة العامة التى هى أساس بنائها ، ومبعث قوتها ومادة وجودها فلا يرجى للامة تقدم أبدا الا بعد تطهير هذه الطبقات من الادران . وتلك هى الغاية التى يسعى اليها حزب الإصلاح الدينى فى الاقطار الثلاثة . وما زاد هذا الداء انتشارا الا سكوت العلماء عن التغيير ، وكتهم ما عندهم من علم ، وابتغاؤهم رضى العباد قبل رضى الله . واذا كانت لهم شبهة فى السكوت قبل اليوم فلا عذر لهم اليوم فى التخلّف وقد رفع راية الإصلاح ابطالها المجاهدون ، فلينضموا الى حزب الله فان حزب الله هم الغالبون » .

الفصل الرابع عشر

الكتاب الإصلاحيون ، والضلال الخرافيون

« عاد الى القول الأستاذ بيبضاوى - وهو الشيخ مبارك الميلي رحمه الله تستر تحت هذا الامضاء المستعار ، وكان يفعل ذلك عندما يريد ان يشتد في الهجوم ، ويتنازل الى أسلوب القوم - وفي هذا المقال يرد على بعض ما جاء في جريدة البلاغ لسان حال العليويين وشيوخهم ، بمناسبة حادثة محاولة الفتك ، ومقاله منها « ابن ملجم القرن العشرين » - اذ هاجموه وألحوا في معرفة شخصه ، وزعموا ألا فرق بين القول والفعل، فجاء هذا المقال ردا عليهم ، وتحت العنوان الأعلى نشرته جريدة (الشهاب) في عددها 86 الصادر يوم الخميس 27 شعبان 1345 هـ ، الموافق 3 مارس 1927 م . قال :

« لقد حمل الكتاب الاصلاحيون - غير واحد ١٠٠! على طائفة الضلال الخرافيين - حملة الأسود الضراعة على الحمر الوحشية، فلم تقابلهم بغير شهيق يملأ الفضاء ، ويصم الآذان .

اجتمعت هذه الطائفة اثر تلك الحملة باصطبلها ، ولم تستر اقدارها عن الأعين فأبرزت للناس (وريقة) لطختها بسيال أمعائها وحمأة أفكارها، فشوهت بها دمية الأدب الجزائري ، وغيرت جوه النقي .

حشرت - ولم تستح - وريققتها تلك مع الصحف الجزائرية ، وهجمت على الكتابة والتحرير هجوم أستاذها على الشعر والتفكير ، وكان الاجدر بها - لو عرفت كيف تعيش - أن تصرف عنايتها الى اصطبياد البسطاء في ظلام الجهل بسلاح الخزعلات ، وجوارح الدعاوى العريضة .

استعدت هاتيك الطائفة - من قبل ان تخلق جريدة المنتقد - الى نشر دعوتها بكل الوسائل ، واشترت - بعد تجربة طرق كثيرة للدعاية - مطبعة جمعت أموالها ممن ساقهم طالعهم الى مخالبتها ، وعزمت على اصدار جريدة لخدمة جناب القطب المنجم ! ولكن أستاذها - من افزاز الاذكياء ! - عرف انها لا تروج الا عند المشتركين فى سبخته ، فرفق بهم ، ولم يجمع عليهم اشتراكين ! وذلك مما لا ينتبه له الا من شاب فواده (1) فى اختبار طرق استدرار الدينار .

ولما جاءت نوبة الحديث عنه بجريدة (الشهاب) وجد الفرصة مناسبة لاصدار الجريدة ظنا منه ان الكتاب الاصلاحيين سيرفعون من قيمتها ويضيعون أوقاتهم فى معارضة هذيانها ، فتتشوف نفوس القراء اليها ، وتروج عند غير المشتركين فى سبخته ، وفى رواجها افطع سبة للامة الجزائرية ، وان رضىيتها بعض صحفنا رصيفة لها ، ووصفتها بالغرا ، كأنها تتقرب اليها بذلك ، ولم تجد سييلا الا بنقل نعى المتوفين عنها .

ولعل هذا الفرض السخيف خفى على بعض الاصلاحيين فكتب عن تلك (الوريقة) بالشهاب ، وجارته فى ذلك الادارة نفسها - مرة فقط - وهو ما لا نود ان يقع من بعد .

اقترح على الكتاب الاصلاحيين - بالجزائر وفاس وتونس - الا يشعلوا اقلامهم البليغة بسفاسف هذه الشردمة ، فانها لا تتأثر بالكلام البليغ ، ولا يندى جبينها من الفضائح ، ولا نتيجة تبحث عنها غير اجتلاب الفلس من طرقه المذمومة .

لا تظنوا أن هذا الاقتراح - ان قبلتموه - سيسرهما وتنشط فى عملها ، اذ يخلولها الجو ويتسع أمامها الميدان ، بل انه ليحزنهما ويحيرهما لان فيه حبس وريقتها عن الرواج ، وابقائها فى حوانيت باعة الخضر ، اذ انها لا تباع - بقسنطينة - الا عند أحدهم ، لانهم لم يجدوا من باعة الدخان من هو ذو لحية تيسية .

(1) الفودان : جانبا الرأس مما يلي الاذنين الى الامام ، والشعر الذى عليها .

لا تفهموا - من اقترأ حتى هذا - انى اطلب منكم ترك الكتابة رأساً عن هذه الشرذمة فانى انما اطلب منكم الاعراض التام عن مناقشة تلك الوريقة لكونها ساقطة تجل مجلتنا الشهاب عن الاشتغال بها .

نعم ان فى الامة من تغره الشرثرة ، لذلك أحب أحيانا التنازل لمناقشة الغوغا ، ولكن فى غير (الشهاب) ، فلو وفى الواعد باصدار جريدة (المهماز) بوعده لكتبنا فى هذه الجريدة باللغة التى يفهمها أولئك الزعانف واجبرناهم على الحياء .

ولكن اكتفوا - أيها الكتاب المجيدون - بمناقشة الطائفة نفسها وإبداء ترجمات طريقتها ، وإظهار خزعبلات تعاليمها ، ولا تضعوا معاويلكم دون هدم صنمها .

ذلك الصنم العصرى الذى اجتمع فى وسطه العقائد الفاسدة المتباينة من مجسمة ، وجبرية ، وباطنية ، وحلول مطلق ، وحلول معين (2) وغير ذلك مما يجده من يصبر لقراءة شرح ابن عاشر ، وهو شرح يشهد لصاحبه بأنه من ابرع من يحرفون الكلم عن مواضعه .

ومع كونى أقترح عليكم أيها الكتاب ذلك الاقتراح فان استمنحكم العفو - مرة واحدة - فى إبداء ملاحظات قد تتفكهون بها على مقالة (المنسوب لأمه) كما هو قانون (اليقاشين) خلاف ما جاء فى الكتاب العزيز (3) .

(2) هذه كلها من طوائف المبتدعة : فالمجسمة يشبهون الله تعالى بخلقه ، وليس كمثل شئ ، والجبرية يقولون ان الانسان مجبور على فعل الخير والشر وهو كالريش فى مهب الريح ، والباطنية - وهم غلاة الشيعة - يقولون ان للقرآن ظاهرا ، وله باطن يفهمه الائمة المعصومون ، ويؤولون معانى القرآن بما لا يقبله عقل ولا ثقل . وأهل الحلول يزعمون أن الله - تعالى - يحل بعباده الذات القديمة بالحادث ، وهو من قول النصارى فى طبيعة المسيح عليه السلام ، ومنهم من يقول بهذا ومنهم من يقول : « ليس فى الوجود سوى الله ! » كل شئ عندهم هو الله ! . وكل هذه العقائد موجودة فى ديوان الشيخ وفى شرحه على المرشد المعين لابن عاشر ، وهو خلط عجيب زعم أنه يشرحه على مذهب القوم فأتى فيه بما لا يصدر عن عاقل . وقد اطلعت عليه ولم أصبر على ختمه !

(3) الذى انتسب لأمه هو الكاتب العليوى (عدة بن تونس) ، ومن أسماء النساء عندنا قديما أسم (تونس) . وعادة الناس أن ينتسبوا لأبائهم (فلان ابن فلان) وبذلك جاء القرآن الكريم فى إبطال التبنى : « أدعوهم لأبائهم هو أقيسط عند الله » ولكن جرت عادة (اليقاشين) - وهم الذين يحترفون كتابة الحروز ، ويتخذون لذلك (حانوتا) يسدلون على بابهم كلة . ويكتبون للحب بين الجنسين والكراهة أن يسألوا حرفاءهم عن أسماء امهاتهم لان ولادة الام لابنها لا شك فيه بخلاف الابوة ! وهذا ما يشير اليه الكاتب سخريه بالخصم .

اننى اشفق على هذا الكويتى ، أو (الكويتى) ولا أمزقه تمزيق الليت
للتيسر لانه حديث عهد بقراءة (سيدى خالد على الاجرومية) - كما يقول
امثاله حسبما يدل عليه : « حتى لا يصير السامع منتظرا لشيء آخر » (4) .

وقوله : « من قبيل المجموع لا من قبيل الجميع » . وقد غرته نفسه - وهم
طائفة الغرور ، وحدثته نفسه بمنازلة يضاوى ! وهم شرذمة الدعاوى
- ما بالك لا أبالك - تلج مضائق لا ينفذ اليها سر شيخك ، وتحمل نفسك
ما لا طاقة لك بعبئه ؟

لو كنت ممن يفهم الخطاب ويفقه معانى الكلام لتركتك تفزع من صولة
كل كاتب ٠٠٠ فزع البكر من صولة الناكح (5) ٠٠٠ ولو استطعت ان أفعل
كما فعل المتنبى مع ضيفه لربيت فيك الحياء ولو كان وجهك من أديم الكلاب .
ولكنك لم تستطع الصعود لفهم كلامى ، ولا أستطيع النزول لتفهيكم
فأشكر الذى منحك البلادة وطوقك بالجهالة .

يقول ابن تونس انى أسأت الى القارىء بعنوان المقال (6) - كانه وكيل
على القراء (يعنى فزاي) (7) - لاننى ذكرته بفتنة مشؤومة على المسلمين ولم
يفهم - ومن أين يأتيه الفهم ؟ وجه المناسبة بين القضيتين التاريخية
والحالية (8) .

(4) سيدى خالد يسمى به شرح الاجرومية للشيخ خالد الازهرى وهو أول
ما يتعلمه الطلبة فى النحو بجامع الزيتونة ، فى السنة الاولى ، ويسمون به
الطبقة الاولى كلها (طبقة سيدى خالد) وقد غاب عليه الاتيان باللام لان
« منتظرا » يتعدى بنفسه ، فالصواب منتظرا شيئا آخر .

(5) يشير الى قول الشاعر :

كبكر تحب لذيذ النكاح وتفزع من صولة الناكح !

(6) يقصد المقال الذى عنوانه (ابن ملجم القرن العشرين) .

(7) كلمة فزاي عامية يراد بها الفضولى الذى يتدخل فيما لا يعنيه .

(8) القضية التاريخية هى اغتيال أمير المؤمنين على بن أبى طالب من طرف
أشقى هذه الامة عبد الرحمن بن ملجم المرادى . والقضية الحالية هى محاولة
العليوى ميمين محمد الشريف اغتيال الشيخ عبد الحميد بن باديس . فالمناسبة
واضحة ، ومن المعلوم أن وجه الشبه فى المشبه به أقوى فلا ابن باديس فى
درجه على ، ولا ميمين فى درجه ابن ملجم ولا القرن الاول مثل القرن الرابع عشر
ولكن ابن تونس - يحاول ان يشير - على الكاتب وعلى حزب الشهاب - ثائرة
اخواننا الاباضية فى الجزائر ولم يدر أنهم من أول المنكرين على ابن ملجم فعلته
ويبرأون الى الله منه ، ولا تلزمهم معرفته « ولا تزرُ وازرةٍ وزرٍ أخرى » .

أليسوا هم الذين ذكرونا بها ؟

أليس الشؤم يذكر الشؤم ؟

فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ .

ويقول ابن أبيه : ان شيخه لا عقب له كما ان النبي صلى الله عليه وسلم لا عقب له ! لقد ذكرنى بهذا - حكاية عن بعض الماجنين : كان ماجن لا عقب له ثم توفيت زوجته ، فسأله بعض أصحابه : كيف حالك ؟ فأجابه بأنه مثل الله فوقف السائل موقف الدهش من هذا الجواب ، فقال له ذلك الماجن ألم أصبح لا صاحبة لى ولا ولد ؟

ولكن صاحب الحكاية هازل ماجن أما ابن أبيه فهو جاد محتج ! وبعد فلم أرد - لو قدر له الفهم - تعيير شيخه من هذه الوجهة ، ومن تأمل قولنا « انما هو رجل يخدم على نفسه فقط » عرف المراد (9) .

ومن شك فى بلادة هذا المخلوق فلينظر الى تسويته بين الكتاب الاصلاحيين وبين اخوانه الفدائيين اذ يقول - أنقل عبارته للبركة ! : واى فرق تراه - بالله عليك - بين الجانى على المسلمين بيده ، وبين الجانى عليهم بلسانه (10) .
أليس هذا التصريح - من كاتب فى وريقتهم الدفاعية - صريحا فى الدفاع عن ذلك الجانى ؟

ثم أليس ذلك حجة قاطعة على مشاركتهم فى الجناية ؟

ثم أليس ناطقا بان عدتهم الدفاعية هى الهراوى والموسى فهم يعتمدون فيما بينهم على السر ، وفى الخارج على الشر (10) .

وقد أراد هذا المغبون - الا من البلادة - ان ينفى عن رهطه الدفاع بغير القلم واللسان فقال - نفعا الله بفقد أمثاله - « ولا تنس ان فى الزوايا خبايا ولتعلمن نباه بعد حين ، وما هى من الظالمين ببعيد » (11) .

(9) كلمة ابن أبيه تستعمل عند ما لا يكون الاب معروفًا وهى صادقة على أى أب كان شرعيا أم لا - وكلمة (يخدم على روحه) يعنى أن ليس له هم شديد ، وحرصه على الدنيا يشتمد ذمه فى العرف ، خصوصا اذا بلغ الامر الى بيع دينه بدنياه ولعل المراد أنه حريص لا يضيع الوقت .

(10) فى هذا التعبير صراحة بان من انكر على مبطل ضال افساده للناس وتحريفه للدين مثل الذى يرفع عليه الموسى ويضربه ويحاول ذبحه ! ابن باديس وممين سواء عند ابن تونس !

(11) فى هذا الكلام تهديد واضح وأصرار على استعمال العنف مع المصلحين الذين يعتبرهم ابن تونس من الظالمين !

الفصل الخامس عشر

الاعتداء على زعيم النهضة الجزائرية العظيم

– أريد حياته ويريد قتلي

« كل ما تقدم من مقالات ومحاورات مما كتب باقلام جزائرية أو مغربية وهذا قلم تونسى كريم يشاركونهم فى هذا الموضوع ، وقد أرسل مقاله من بعيد واختار لنشره مجلة الشهاب ، وعائلة شقرون من العائلات التونسية الماجدة، ولهم من يشاركونهم فى هذا العلم بالجزائر وبالمغرب ، وليس هو الوحيد الذى كتب فى الموضوع فقد نشروا مقالاتهم فى الصحافة التونسية التى اهتمت بالحادثة أيما اهتمام ، وفى هذا المقال بيان لعاطفة صادقة مما يكنه امثال هذا العالم الفاضل لحزب الاصلاح ورئيسه ابن باديس» .

قال الشيخ على بن محمد شقرون الطالب بالسنة الرابعة من القسم العالى النظامى بالازهر الشريف تحت العنوان أعلاه ونشر فى (الشهاب) عدد 89 الصادر فى 20 رمضان 1345 هـ ، الموافق 4 مارس 1927 م .

(أفضى الى بخبر الاعتداء على الاستاذ الجليل والمصلح الكبير – بينما كنت طريح الفراش لألم ألم بي ، فحال بينى وبين القيام بالواجب نحو الأستاذ المعتدى عليه ونحو المجرم المعتدى معا ! !) .

نعم ، انه حال بينى وبين الواجب المقدس ، ولكنه – رغم شدته – لم يحل بينى وبين التألم والتأثر والتأوه وللحال تمثلت الأستاذ يقول : (أريد حياته ويريد قتلى) هكذا تضاعفت الآلام ، وهكذا تعددت الموجعات والخطوب، والارزاء وهكذا قدر الامر فكان .

لم يدع الأستاذ المصلح الكبير الى منكر ، ولم يعمل على ترويح ضلال أو احقاق باطل أو ازهاق حق ، أو اعتداء على كرامة ، أو انتهاك حرمة ، أو سلب أموال ، أو ازهاق أرواح الى غير ذلك من الاسباب التى تدعو الى التدمير والامتعاض وتحريك ثائرة النفس .

• ولكنه - حفظه الله - قام يدعو الى دين الله الحق بالتي هى احسن فى غير عنف ولا شدة مبينا - بوجه مشروع وحجة سليمة - ما ادخل على الدين الحنيف والملة السمحة من الامور الباطلة والعقائد السخيفة التى ليست منه فى شئ . علاوة عما يدعو اليه من الاخذ باسباب الرقى والتقدم فى كل ناحية من نواحي الحياة الحقبة التى تتفق مع روح العصر الحاضر .

أفمن يدعو الى حق ويبين للناس ما اعتقدوه من شرع الله وليس منه يعتدى عليه وتنتهك حرمة ؟ ؟ وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

نعم كل امرئ ينفق مما عنده ، فلا غرابة اذا تألبت جماعة الاضلال وأهل الباطل والافساد الذين اعتادوا ان يعيشوا عالة على العباد دون ان يدرك هؤلاء السذج البسطاء العقول ، الذين لم تتنور افكارهم ، ولم تتشقق مداركهم ما يستعمله أولئك الدجاجة من التمويلات الفارغة ، وما يتخذونه وسيلة لابتزاز الاموال بغير وجه مشروع ، وانتهاك الاعراض لاجل التبريك « **والله يعلم انهم لكاذبون** » .

عز عليهم ان يبين للناس حقيقة دينهم القويم ، وأمر أولئك المشعوذين خشية ان يفقدوا عطف العامة عليهم فيفقدوا - تبعاً لذلك ما اعتادوا أخذه وسلبه وابتزازه دون حق أو شرع - فجمعوا جموعهم ، واصطفوا بطلا من أبطالهم - وهكذا اجتمع من قبل كفار قريش واختاروا منهم جماعة لازهاق روح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم - لينالوا من أبى الشيببة الناهضة ويمكروا به ، ولكن الله مكر بهم وهو خير الماكرين فخلصه ونجاه كما نجى نبيه ووقاه :

واذا العناية لاحظتك عيونها نعم فالمخاوف كلهن أمان
ونحن - اذا استعرضنا شيئاً من التاريخ ورجعنا الى الذكريات والحوادث الماضية وجدنا للأستاذ المصلح اسوة حسنة بغيره من الزعماء والعظماء والعلماء

الذين وهبهم الله قلوباً حية ، ونفوساً طاهرة ، وعقولا راجحة وغيره دينية صادقة ، فحاولوا ما حاوله الاستاذ الكبير وأرادوا بارادة المصلح العظيم ، فاصابهم ما أصابه في سبيل الله والدين والحق ! !

لقد نال زعيم تونس الجليل الاستاذ عبد العزيز الثعالبي (1) الشئ الكثير في هذا السبيل، وكادت تفتك به الغوغاء والزعانيف من أذنان أولئك الأوغاد المشعوذين ومن انتمى اليهم . ثم انظر اليهم - بعد ان فهم القوم ما دعاهم اليه ونبههم عليه - كيف قدرُوا جهاده ومجدوا فعله واحبوا ميوله واحساساته فأصبح أبا للشعب وحاملا لواء الامة بعد ما كان الد أعدائها (في زعم أعدائه) ولا تنس شبيبة اليوم ، والطبقة المتنورة في الامة من ازدرائهم علنا بالشعوذة والمشعوذين على صفحات الجرائد وفي الاجتماعات العامة .

وناهيك بما لاقاه فقيد الاسلام والمسلمين المرحوم الامام محمد عبده ، فقد قص علينا بعض شيوخنا من تلامذته - رحمه الله - قصصا وحكايات يندمل لها القلب ، ويدوب لاجلها الفؤاد أسى ، لان الاستاذ الامام حاول الاصلاح ، ونعى على المذبذبين سلوكهم وطرائقهم .

ولكن القوم يترحمون عليه ، ويتمنون امثاله من دعاة الاصلاح والعاملين عليه والمحبذين له .

وهكذا احسنوا الى الاستاذ الباديسي من حيث أرادوا الاساءة الى شخصه الكريم - بل استغفر الله - الى المبادئ التي يجاهر بها ، ويدين الله عليها ، ويحبب قومه فيها ، بالدليل المقنع والحجة الصادقة والبرهان الواضح في

(1) الشيخ عبد العزيز الثعالبي - من آل الثعالبي الجزائريين ، استوطن أهله تونس من بعد الاحتلال ، ثم كان هو مؤسس الحركة الوطنية بتونس ، ألف كتاب (تونس الشهيدة) ونظم الحركة للمطالبة بالدستور ، وسمى حزبه (الحزب الحر الدستوري) وكان يدعو الى الاصلاح الديني والسياسي ، فاستعملت فرنسا سلاح الدين ضده كما ذكره الكاتب - ولكنه استطاع ان يؤلب الرأي العام التونسي ، والقيام بمظاهرات صاخبة ، وكاد القصر الملكي ينظم الى حركته ، فادركت فرنسا خطره ، وأخرجته من تونس ، وبقي حزبه يواصل الحركة من بعده ثم انشق - في غيبته - الى حزبين القديم والجديد ، وكان علي رأس الجديد السيد الحبيب بورقيبة الذي واصل الكفاح الى الاستقلال عام 1956 م ، وكان الثعالبي عام 1927 م ، في قمة شهرته ومجده رحمه الله ، توفي بتونس في الاربعينات .

لين وعوادة ورفق . فسجلوا اسمه في صحائف الزعماء والعلماء والعظماء
من حيث لا يريدون .

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانى كامل (2)
وبعد فقد بلغ السيل الزبى ، وأصبح الامر غاية في الخطورة ، ونهاية
في المجازفة بالاعتداء على الارواح ، والخروج عن مقتضى الواجب الذى يتحتم
تقديسه ومراعاة حرمة القانون (3) .

ان الاستهانة بالقانون جريمة لا تغتفر ، وذنب لا يصفح عنه ، وعمل
لا يبرره شيء ، فقد انتهك ذلك المعتدى حرمة ، وخرق سياجه ، وشوهه
تشويها باعتدائه الشخصى على من خالفه فى العقيدة دون ان يلزمه الاستاذ
بعقيدة خاصة ، أو رأى خاص ، كما انه لم يلزم غيره بحال من الاحوال برأى
من الآراء ومذهب من المذاهب .

فأى مبرر يبرر له ان يتولى القصاص بنفسه دون ان يلجأ الى القضاء ؟
وما ذلك المبرر وأى قانون يسمح لمثل ذلك المعتدى باقتراف ما اقترف دون ان
وكل الامر الى رجال الادارة ؟

حقا انها جريمة مزدوجة تثير رجال القضاء وحماة القانون وأزباب الادارة
فماذا عساهم ان يفعلوا ازاء ذلك ؟

أرجو ان يتتبع الشهاب الاغر جميع خطوات القضية بدقة واسهاب ، حتى
لا نحرم استيعاب اطرافها والالمام بشعبها على وجه كامل واف .

وختاما اهنيء الاستاذ أولا بنجاحاته ، أمد الله فى عمره العزيز ، وأدام بقاءه
ونفع به . ثم الشبيبة الجزائرية الناهضة برافع لواء الاصلاح ، وحفظه من

(2) من أقوال أبى الطيب التى جرت مجرى الامثال .

(3) القانون - فى ظل الاستعمار - انما هو لحماية المستعمرين وتثبيت
أقدامهم ، واما أبناء الوطن فانه يسرهم تناحرهم وفنك بعضهم ببعض ، سيما
إذا كانت الشخصيات التى تدعو الى الاصلاح والنهوض والحياة هي الضحايا .
ومن أشتكى الى « القضاء » الاستعماري فكمن قال المتنبي فيه :
« شكوى الجريح الى الغربان والرخم »
أو كمن قال فيه الشاعر الجاهلي :

المستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

تلك اليد الاثيمة - ثم بقية الامة ممن يعطف على الحركة الاصلاحية وتصبو
نفسه الى نجاحها وتعميمها فى سائر نواحي الحياة .
ويجب ان يكون الحادث مشجعا للعزائم ، مقويا للهمم مجددا للقوى ،
باعثا على التقدم مرددين :

لا يظهز العجر منادون نيل منى ولو رأينا المنايا فى أمانينا

القاهرة - علي محمد شقرون
بالسنة الرابعة من القسم النظامى
الازهر الشريف



الفصل السابع عشر

للحقيقة والتاريخ

عبد الله بن عمر لا عبد الله

كاتب هذا الاستدراك هو العلامة الشيخ اسماعيل بن علي بن صالح الميجلي من آل جفري أو ابن جفر ، وهي عائلة كبيرة من دائرة الطاهير - بنى سيار - يستقر كثير منها بمدينة قسنطينة ويحترفون التجارة ويشاركون في حركاتها الاصلاحية والوطنية .

ومنهم زميلنا وصديقنا الشيخ عمر جفري رحمه الله ، أستاذ الرياضيات بمعهد عبد الحميد بن باديس ثم الاستاذ بثانوية حيحي المكي . وكان الشيخ اسماعيل رحمه الله زميلا للشيخ ابن باديس اثناء الدراسة بقسنطينة ثم سافر الى الشرق وتابع دراسته في الازهر ثم دخل في سلك أساتذة الازهر، وتزوج مصرية ، وولدت له أولادا كان أحدهم ضابطا في الجيش المصرى ، ولكن الشيخ اسماعيل بقى على صلة بصديقه ابن باديس ورأيت كتابا للشيخ من اهدائه وهو « الاخلاق لابن مسكويه » .

وتوفى الشيخ اسماعيل بمصر ولم يقدر له ان يزور الجزائر(*) ولكن زوجته جاءت بعد استقلال الجزائر ، ورأيتها فى مدرسة التربية والتعليم سنة 1962م .

(*) نبهنا الاديب الالمى محمد العيد - الهانى - بستانجى - رئيس القسم العربى بالمطبعة - الى انه أدرك الاستقلال وزار قسنطينة 1963 م ، وصلى الجمعة بمسجد حسين باى ولقى أمامه الشيخ محمد الطاهر الميجلي - وقد عدنا اليه - للتأكيد - فأيد الخير ، وانه عند ما ذهب الى الحج نزل عنده بالقاهرة فأكرم مثواه فلما كانت سنة 1963 زار قسنطينة ومكث فيها أياما فى عائلته معززا مكرما - ثم ذهب الى مسقط رأسه بنى سيار من ولاية جيجل ، وصعد الجبل ، وركب - من بعد السيارة والطيارة - الحمار ! ثم مات بالقاهرة - كما ذكر بعض اقاربه - عام 1966 رحمه الله . نذكر هذا للتحقيق ، وشكرا للاستاذ بستانجى .

وهذه الكلمة التي أرسلها الشيخ اسماعيل رحمه الله يصحح بها هفوة تاريخية وقعت فى مقال للشيخ أبى يعلى الزواوى . وقد نشرت فى العدد 90 من الشهاب الصادر فى 27 رمضان 1345 هـ ، الموافق 31 مارس 1927 م ، وهذا نصها :

حضرة الوطنى الغيور (1) مدير مجلة (الشهاب) وفقه الله لما فيه خير الوطن وسعادة أهله ، وكتب لشهابه حظا وافرا من تمحيص الحقائق ، وتلافى ما زل عن الازهان ، أو شطت به اقلام الكتاب . السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد اطلعت - فيما اطلعت عليه - فى العدد الثالث والثمانين من الشهاب على مقال مديج ببراءة الاجتماعى الكبير والبحاث الخطير العلامة الشيخ سيدى الزواوى تحت عنوان « إلى الكاتب السلاوي الفاسي » ذكر فيه فى مقام الاعتذار عن « البيضاوي » فيما ألقاه على الشيخ من تبعة فى الجناية الواقعة على الاستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس ما نصه :

« وفهمت منه - يعنى المعتذر عنه - انه شديد الغيرة وحريص على السنة ومحب للشيخ ابن باديس فاعذره كما عذر عثمان بن عفان عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، اذ حمله جزع الفتك بأبيه وبتسعة من الصحابة العظام - فقتل الهرمزان بدون محاكمة ، وأبى على بن أبى طالب الا محاكمة عبد الله بن عمر الى آخر ما ذكره فى هذا الصدد

ولما كان لكلام الشيخ منزلة خاصة فى النفوس - لما عرف به من سعة الاطلاع والعناية بالبحث والتمحيص - وكان فى كلامه مجانية للحقيقة من بعض الوجوه ، أحببت أن أبين ما فيه إظهارا للحقيقة ، ودفعاً لما يعلق ببعض الازهان مما ينبو عنه مقام عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ذلك الرجل الذى كان معروفا بشدة الورع وكثرة التحري لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى شهد له صلى الله عليه وسلم بالصلاح على ما فى صحيح البخاري فى قوله لحفصة أخته رضى الله عنهما : « ان عبد الله رجل صالح »

(1) حدثنى الشهيد أحمد بوشمال مدير الشهاب رحمه الله أنه استندعى من طرف مديرية الامن واستنطق من أجل هذا الوصف : « الوطنى الغيور » ! فليتصور مقدار الضغط والريبة آنذاك ، وكانت الحركة الوطنية فى بدء نشأتها ، وقد رأت من صاحب الشهاب مبداء « الوطن قبل كل شئ » .

ووصفه معاوية بأنه رجل قد وقذته العبادة ، فأقول : - مع اعترافى بفضل الشيخ ، واعتقادي ان الانسان عرضة للسهو ، والقلم قد يجور - : ان هذا الذى نسبته الشيخ الى عبد الله بن عمر ، وعده عثمان نفسه فتقا فى الاسلام ، لم يكن مما جنت يدا عبد الله ، ولم يكن عبد الله منه فى شىء ، وانما هو شىء أتاه أخوه عبيد الله بن عمر ، وكان أصغر من عبد الله سنا ، وذلك انه شاع - عقب طعن عمر ان هذه الجناية لم ينفرد بتدبيرها أبو لؤلؤة ، بل شركه فيها أناس آخرون ، فقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر - غداة طعن عمر - مررت على أبى لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان - وهم نجى - فلما رهقتهما ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان ، نصابه فى وسطه فانظروا بأي شىء قتل عمر . فجاءوا بالخنجر الذى ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التى وصفها عبد الرحمن . وكان رجل من تميم قد اتبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر . فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أسرها فى نفسه - وكان رجلا من فتيان قريش وأبطالهم - حتى مات عمر ، فتقلد سيفه فأتى الهرمزان فقتله ، ثم مضى حتى أتى جفينة - وكان رجلا نصرانيا من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبى وقاص ، الى المدينة ليعلم الكتابة - فعلاه عبيد الله بالسيف . فلما سمع بذلك صهيب - وكان القائم مقام الخليفة - أرسل اليه من أتى به ، فأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف ، وينظر الخليفة فى أمره . فلما بويع عثمان جلس فى المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والأنصار :

أشيروا علي فى هذا الذى فتق فى الاسلام ما فتق ؟

فقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه : أرى ان تقتله !

فقال بعض المهاجرين : قتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم .

فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين إن الله قد أعفاك ان يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان ، انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك .

فقال عثمان أنا وليهم وقد جعلتها دية ، واحتملتها فى مالي .

وعفا عن عبيد الله ، فلما استخلف علي وفرغ من أصحاب الجمل خافه عبيد الله بن عمر أن يقتله بالهرمزان فخرج حتى لحق بمعاوية ، فكان من

رجالہ ، وقد شهد معه معركة صفين وفيها قتل ، قتله حريث بن جابر الحنفي
من رجال علي. ومن شعره في هذه الواقعة وقد حمل في آخرين على مسيرة علي :
أنا عبيد الله ينميني عمر خير قريش من مضى ومن غير
غير رسول الله والشيخ الأغر ابطأ عن نصر ابن عفان مضر
والربيعيون فلا أسقوا مطر

وأما أخوه عبد الله فقد حمّله ورعه على أن يلزم بيته في كل تلك الشدائد
والأهوال الهائلة التي كانت بين الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين
مما لا نتولى الخوض فيه .

ذلك والله تعالى يحسن رعايتنا ، ويكتب لنا العصمة من الزلل في القول
والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة - اسماعيل بن علي بن صالح
الجيجلي بالازهر الشريف



الى مجلة المعرفة المصرية «شيخ علماء الجزائر» أم شيخ الحلول ؟

« طالما ألح علماء الاصلاح وكتابه الكبار - وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس - على الشيخ ابن عليوه - وحزبه وراءه - ان يفيىء الى أمر الله ، ويتوب اليه من القول بالحلول ، ووحدة الوجود ، مما هو مبثوث فى (شعره) ونشره ، رائج فى الاسواق برواج (ديوانه) وكتبه .

وكان الشيخ ابن عليوه - فى حياته - يصرح فى مجالس العلماء انه سنى يلتزم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويحاول أن يقنع بذلك العلماء السلفيين من أمثال أبى يعلى الزواوى رحمه الله ، وطالما جادل عنه فى الشهاب وغيره وشهد له - حتى بالعلم .

أما ابن باديس واخوانه فانه لم يقنعهم مجرد القول ، وشهادة الشيخ أبى يعلى ، بل كانوا يقولون : « ان كان صادقا فى ادعائه فيعلن براءته من هذه الاقوال الموجودة فى شعره ونشره ، وليسحبها من الاسواق فانها تؤذى الله ورسوله وتضلل المسلمين » .

لكن الشيخ و (اخوانه) كانوا يتصاممون عن سماع هذا الشرط فى الاقتناع بسنيتهم ، ويخرجون بالصمت عن لا ونعم . وبقي الشأن هكذا حتى مات الشيخ ، وقام (اخوانه) بتجديد طبع (ديوانه) وكتبه والعمل على رواجها من بعده كما كانت رائجة فيهم فى حياته .

بل كان الشيخ يعمل بكل وسيلة لرواج مذهبه ، ويقوم بالاعلان والدعاية داخل الوطن وخارجه .

وقبيل وفاته كتبت عنه مجلة (المعرفة) المصرية القاهرية مقالا فى تقرير
احد كتبه ، ولقبته فيه بـ « شيخ علماء الجزائر » .

والمقال - فى حقيقة أمره - دعاية عريضة ، وعلان طريف عن الشيخ قد
يتأثر به بسطاء العامة فى الجزائر ، فقد عرف كثير من قوما باعترارهم بكل
ما يأتى من الشرق وخصوصا ما يأتى مكتوبا فى الصحف والمجلات أو فى
مطبوع الكتب أو المخطوطات ! فاذا جاء من مصر بان الشيخ هو « شيخ علماء
الجزائر » فانه لم يبق قول لقائل :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام !

ولكن التسليم لم يكن من شأن حزب الاصلاح ، ولا اذعان الا لما جاء فى
كتاب الله أو سنة رسوله (ص) . ولا شهادة الا من خير عدل أمين . لهذا
لم يسعهم أن يسكتوا ، وتكلم الزاهرى بلسانهم يرد هذا الباطل ويكشف
هذا (الجهل) مستعملا مع (المعرفة) أسلوب اللطف واللين ، ولعلها لم تكن
(جاهلة) ، وانما كانت قد قبضت أجرة (الاعلان) ولم تتخرج فى قبضها
لأنها اعتبرته اعتبار (الاعلان) ، وان الزاهرى لم يكن متحاملا وليس وحده
الشاهد على بعد الشيخ عن صفه عالم ، فقد شهد بذلك الاستاذ أحمد توفيق
المدنى ، اذ قال فى كتابه (حياة كفاح) ، ج 2 رقم 70 عن الشيخ : « لا أزال
فى حيرة من أمره ولن أزال كيف تمكن من انشاء طريقه صوفية وهو شبه أُمى ؟
وكيف كان له سلطان على الناس وهو لا يكاد يبين ؟ ذلك هو أحمد بن عليوة
المستغنى » .

وقد رأينا ان ننقل نص هذا المقال للزاهرى لنجعله خاتمة القسم (الرابع)
ونعرف ان الشيخ بقى مصرا على أقواله حتى آخر حياته ، فقد نشر المقال
بمجلة الشهاب بتاريخ جمادى الاخرة 1352 هـ الموافق أكتوبر 1933 م ،
وتوفى الشيخ ابن عليوة بعد اشهر من هذا التاريخ فى 2 ربيع الآخر 1353
جوان 1934 م . عفا الله عن الجميع .

قال الشيخ الزاهرى :

(شيخ علماء الجزائر) أم شيخ الحلول ؟

حضرة الاستاذ الجليل صاحب مجلة (المعرفة) الغراء التي تصدر بالقاهرة السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فيا أيها الاستاذ انكم كنتم نشرتم في جزء فبراير الآخر من مجلتكم القيمة تقريظا لرسالة كتبت لشيخ الحلول ، واصدرها باسمه هو في الذب عن (مجد التصوف) أو عن (مجد التصوف) كما ينطق بها (سيدى الشيخ هذا . ولقد اسرفتم يا حضرة الاستاذ فى تقريظ هذه الرسالة فأعطيتموها أكثر من حقها ، ولا نلومكم على هذا فان المجاملة وحسن الظن منكم هما سبب هذا الأسراف فى التقریظ ، ولكن الذى نريد أن نلاحظه لكم هنا أمران اثنان لا ثالث لهما . اما أولهما فهو قولكم عن شيخ الحلول : انه (شيخ علماء الجزائر) واما الثانى فهو وصفكم له بأنه يجادل بالتى هى أحسن ، ويأخذ بأيدي خصومه فى رفق ولين الخ الخ . . . اما انه (شيخ علماء الجزائر) فهذا خطأ مبين ، فانه لا يوجد فى الجزائر كلها من يعترف لشيخ الحلول بالعلم ، ولا هو يدعى لنفسه العلم فى هذه البلاد ، فضلا عن ان يكون (شيخ علماء الجزائر) ولا يخفى ان فى هذا اهانة للجزائر ، وتشويها لكرامتها وهو ما لا نرضاه لمجلة (المعرفة) الراقية التى عرفناها تضع الاشياء فى مواضعها ، وعرفنا انها ليست من الصحف التى تجازف بالالقاب والنعوت .

للمعرفة ان تجامل هذا الرجل وان تلاحظه بما يبدو لها من الكلام الطيب الجميل ، ولكن ليس لها ان تمدحه بما يحط من كرامتنا نحن الجزائريين جميعا . ترى لو قام احد من الجزائريين ووصف مشعوذا دجالا من دجاجة مصر الذين لا صلة بينهم وبين العلم ، فقال عنه : انه (شيخ العلماء فى مصر) فهل يكون قد تحرى الواقع ، واعطى مصر قيمتها ولم يحط من كرامتها ؟؟

فى الجزائر علماء ، وفيها جمعية لهؤلاء العلماء المسلمين قد اسندت رئاستها الى فتى هو من أكبر رجال العلم والعمل فى هذه البلاد ، فلو انكم أيها الاستاذ قلتم عن هذا الرئيس بأنه (شيخ علماء الجزائر) لاصبتم شاكلة الصواب ، ولما اعترض عليكم احد بادنى اعتراض . اما وقد وصفتم بها رجلا لا يعرف القراءة ولا الكتابة الا قليلا كشيخ الحلول فهذا ما لا يرضاه احد فى

الجزائر ، حتى هؤلاء الخونة المردولون الذين يرأسهم شيخ الحلول فى نفس الامر ، ويرأسهم فى الظاهر أحد (مريديه) (1) .

واما انه يجادل بالتي هي أحسن ، ويأخذ بأيدي خصومه فى رفق ولين الخ ... فهذا أيضا خلاف الواقع تماما ، فانه لا يوجد فى الجزائر أكثر من شيخ الحلول وقاحة وافكا ، ولا أشد منه بذاءة وسبابا ، ولا اقبح منه سفاهة وفحشا ، فهو انما أنشأ ورقته الضالة التى لم يعرف هذا الوطن اكذب منها ولا (إبردوجها) ولا (أصح رقعة) - لغاية واحدة وهى سب العلماء والولوغ فى أعراضهم ، وقد استكتب لذلك بعض من لا ذمة لهم ولا دين ، ولقد لجأ الى سلاح البذاءة والفحش وأكثر من استعماله بعد ان فشل واخفق فى استعمال الهراوة والموسى ، فهو مجرم سفاك يسفك الدماء ويعتدى على الاعراض وتلك سبيله الى المجد وسبيله الى الشهرة وسبيله الى أن تصفه (المعرفة) وغير المعرفة بانه (شيخ علماء الجزائر) وهذه هى أمنيته القصوى التى ليس له وراءها أمنية أخرى .

ليس شيخ الحلول الا (مقدما) من (مقاديم) الطريقة الدرقاوية الكثيرين فنصب نفسه (شيخ) لا (مقدما) فقط وهو قليل الاتباع والمريدين بالنسبة الى أى شيخ من أشياخ الطرق سواء .

ومع ذلك فانا لا انكر ان شيخ الحلول بشتته للعلم والعلماء وولوغه فى أعراض حماة الشريعة المطهرة قد اكتسب شهرة فى الجزائر ، واصبح اسمه يجرى على اللسان والافواه أكثر من أى شيخ طريقة آخر ، ولكن اية شهرة هذه التى اكتسبها شيخ الحلول بسبب العلماء ؟ هى مثل شهرة السارق بالسرقة ، ومثل شهرة السكر بالعريضة والسكر ، يجرى اسمه على اللسان والافواه ، ولكن كما يذكر الناس ابليس مقرونا باللعن وبالاستعاذة بالله من شره وإذاه ، لقد نال شيخ الحلول فى هذه البلاد شهرة ، ولكنها سيئة شوهاء شنعاء مقرونة بكل كراهية واشتمئزاز ، حتى لقد كاد ان يصبح ملعنة هذه البلاد ، وماذا تقول فى شهرة ينالها مشعوذ دجال . هل تكون الا من هذا الباب ؟!

(1) يشير الى الشيخ الحافظى رئيس جمعية علماء السنة ، رحمه الله .

لقد كان شيخ الحلول تاجرا يبيع الاحذية ويصنعها فافلس احتيالا وأكل أموال الناس . ثم ارتد إلى تجارة كلها ربح ، ورأس ماله فيها النصب ، والاحتيال يحتال على (الفقراء) المساكين ، فيسلب أموالهم ، ويشغل ابدانهم ويختلس إيمانهم ، ومع ذلك فهو يحترف طريقة التصوف ويستغلها استغلالا ماديا ، ولا يعرف من التصوف الا انه باب من أبواب الرزق ، وسبب من أسباب المعاش ، ووسيلة من وسائل الاكتساب . وليس له مزية ولا فضل على أشياخ الطرق الاخرى الا انه كان - وقد لا يزال - متين الصلة وثيق الروابط بجماعة القاديانية بالهند ، وهذه القاديانية معروفة بكفرها والحادها ، ولقد كانت هذه الطائفة الضالة عزمت على ان تنشر وباءها في الجزائر فاعتمدت شيخ الحلول للقيام بنشر دعوتها ، وقد لبأها فعلا ، فقد كان في سنة 1927 نشر في ورقته الضالة عدة رسائل جاءت من القاديانية في الهند تنشر بها دعوتها هنا بواسطة شيخ الحلول ، ولكن مجلة (الشفاب) يومئذ قامت فيبنت للناس قيمة القاديانية وكفرها ونشر لعلماء الهند ومصر والشام وغيرها فتاوى في كفر هذه الطائفة وردتها عن الاسلام . وكذلك قامت جريدة (البوق) بنصيبها في مكافحة وباء القاديانية ، فاضطر شيخ الحلول الى افعال ما يرد عليه من هذه الطائفة ، ولم يعد ينشر لها شيئا ، ولكنه لم يعلن براءته منها ، وهو لا يزال شديد الصلة بها ، وانما ينتظر الوقت المناسب لكي ينشر دعوتها من جديد ، وفي الحق ان شيخ الحلول يشبه القادياني من وجوه كثيرة فغلام أحمد القادياني قد ادعى النبوة وزعم انه يتلقى الوحي من الله ، وشيخ الحلول قد ادعى الألوهية وزعم انه هو الله . كما في ديوانه العامي الملحون . والقادياني يزعم ان اتباعه قد ملأوا الارض بكثرتهم ، وان الملك الفلاني والامير الفلاني والعظيم الفلاني قد اعتنقوا دينه الجديد ، وشيخ الحلول كذلك يدعى ان اتباعه لا تخلو منهم بقعة من الارض فاهل اليمن في زعمه كلهم من مريديه ، وان زواياه منتشرة في أمريكا وأوروبا واليابان وفي جزيرة (واق واق) ! وليس ببعيد ان يدعى ان سكان السماوات وأهل المريخ قد اصبحوا اتباعا له ومريدين ، وكان ادعى ان الامير عبد الكريم بطل الريف هو أيضا من مريديه وما من عظيم لقيه أو سمع به الا قال عنه انه من اتباعه أو من مؤيديه ، ولقد زاره ذات يوم جماعة من أهل تلمسان فنشر بين ايديهم بعض الرسائل التي

جاءته من قاديانية الهند ، وكانوا لا يقرؤون خط الرقعة فصعب عليهم ان يعرفوا ما فى تلك الرسائل ، ولكنه زعم لهم ان (مقدمه) العام فى الهند اخبره فى هذه الرسائل بانه أصبح له فى الهند كذا وكذا مليوناً من الاتباع والمريدين ، وان زهاء نصف مليون منهم يريدون زيارتى الى الجزائر ، ولكن أين الفنادق التى تكفى لاقامتهم ؟! قال وعلى هذا فانى عزمت أنا على السفر الى الهند ليزورونى هنالك فيها ! ثم قال لهم : الملايين فى الهند يتشوقون الى رؤيتنا والى تقبيل ايدينا وابن باديس والعقبى والزاهرى واصحابهم لا يعترفون لنا اننا اولياء الله ولا (يسلمون) لنا ، ولكن هؤلاء التلمسانيين قد ارتابوا فى هذه الملايين من الفقراء الحلوليين وشكوا فى وجودها فى الهند فبحثوا حتى عرفوا أنها رسائل جاءت من مركز القاديانية فى الهند ، والقاديانى جمع ما قيل فيه من مدح وثناء وطبعه فى كتاب يحتج به على صحة دعواه ، وكذلك شيخ الحلول كان - ولا يزال - يحتال على الناس حتى يكتبوه ويشنوا عليه ، وجمع ما حصل عليه وطبعه فى كتاب (الشهادت) .

والقاديانى يشتم خصومه بانهم كانوا مدحوه حتى ان خصما له أجابه ، وقال لقد مدحتك قبل ان تدعى النبوة ، وكذلك شيخ الحلول يسب خصومه الذين انكروا ادعاءه الألوهية بانهم كانوا اثنوا عليه ، وانا نفسى قد شتمنى مرارا فى ورقته الضالة بانى كنت أثبتت عليه بكلمة طيبة لا فى جريدة سيارة ولا فى محفل عمومى ، ولكن فى رسالة خاصة قد مدحنى هو بأكثر منها ، وذلك انه كان مدح نفسه وطائفته بمناسبة احتفال اقامه ، ونشر وصف ذلك فى بعض الجرائد ، ولكن امضاه بامضائى انا فارست أنا الى الجريدة انفى ان أكون ارسلت بمقال ما ، فى هذا الموضوع ، ونشرت الجريدة تكذيبى لهذا المقال وبراءتى منه ، فكتب شيخ الحلول الى يقول لى لا يلزم ان تتبراوا من هذا المقال، ويقول ان فى التكذيب ما يمس به هو ، فكتبت أنا اليه أقول له انى احترمه ، ونفيت له ان أكون قد أردت المساس به وأثبتت عليه ببعض عبارات طيبة لا بأس بها ، وكنت اعتقد يومئذ ان صاحب الجريدة هو الذى زور امضائى ، ولم أكن قد اطلعت على شئ من كتب هذا المشعوذ الدجال ، ولما رأيت كفر هذا الدجال وادعاءه للالوهية ، وتعلقه بالقاديانية الخ الخ ...

وقفت له انكر عليه فجعل هو يسبني ويشتمني في ورقته الضالة ، ولكن بماذا يشتمني ؟ لقد شتمني بانى كنت مدحته واثنيت عليه ! فهو يعترف بان مدحه هو خطيئة من الخطيئات ، وبان الثناء عليه وزر من الاوزار ، وقد حكم على نفسه بالضلال من حيث يدري أو من حيث لا يدري .

نعم يا شيخ الحلول والضلال ، ان مدحك خطيئة والثناء عليك وزر وذنب ما دمت أنت على هذا الغيى وعلى هذا الضلال فان انت تبت وارعويت عن جهلك وضلالك ، فانا لا أتحرج ان اثنى عليك كما اثنى على كل من آمن وعمل صالحا والا فتلك هفوة ، اسأل الله ان يتجاوز لى عنها وان يحفظنى فلا أعود لمثلها ولا اغتر بعدها بدجال مثلك ، وانى استغفره تعالى وأتوب اليه انه كان توابا .

وهران : جمادى - 2 - 1352 هـ

أكتوبر 1933 م

عن مجلة الشهاب ج 11 م 9

محمد السعيد الزاهري

لم نشأ ان نغير شيئا من ألفاظ المقال :

أولا : لأمانة النقل ،

ثانيا : لأن الشيخ لم يتب ، و (القوم) - من بعده - مجتهدون فى رواج أقواله ، حريصون على اثبات (وحدة الوجود) . . . فى أمتنا أعادنا وأعادها الله منها .

القسم الخامس

1 - شلت يد الجاني

أول قصيدة نشرت في هذا الموضوع - كانت للشاعر الوطني الكبير (رمضان حمود) رحمه الله ، وقد أرسلها صحيفة قطعة نثرية وضعناها في باب النشر .

ولد أدينا الكبير بمدينة غرداية سنة 1906 م ، ونشأ كما ينشأ غيره من أبناء سراة البلد ، فحفظ القرآن الكريم ، وتأدب بآداب العرب : فاستظهر كثيرا من النصوص الادبية من الشعر الفصيح والنثر الفني حتى أصبح وله ملكة جيدة في قول الشعر وكتابة النثر كما تشهد بذلك قصائده ومقالاته .

وكان الى ثقافته العربية الاسلامية على معرفة باللغة الفرنسية مما وسع مداركه ، كما كان يشتغل - مع ذويه بالتجارة - وعاش مدة في مدينة غليزان بالغرب الجزائري ولاية وهران سابقا حيث عشنش الاستعمار والاستيطان الفرنسي الاوروبي على حساب أهل الوطن ، ذهب اليها وعمره ست سنوات وبها قرأ الفرنسية، ثم هاجر الى تونس وعمره 16 عاما فانضم الى أفراد البعثة العلمية لأبناء الطائفة التي كان يرأسها الشيخ أبو اليقظان والشيخ طفيش رحمهما الله ، ودخل الزيتونة . ولكنه أصيب بالمرض هناك ، ولازمه حتى قضى عليه .

وقد كتب الفقيه في جريدة (وادي ميزاب) (وفي الشهاب) انتاجا طيبا ، شعرا ونثرا، يبين عن دين متين، ووطنية صادقة، وقومية سليمة، ويشرى مستقبل باسم، ولكن المنية عاجلته وهو في عز الشباب، فتوفي عن ثلاثة وعشرين عاما سنة 1929م، فبكاه (الشهاب) وحزبه وشعروا بفقده ، وهذا نص القصيدة تحت العنوان السابق ، وقد نشرت في العدد 78 الصادر في 2 رجب 1345 هـ ، الموافق 6 يناير 1927 م ، قال رحمه الله :

حاروا ولم يلقوا الدليل لسعيهم مالوا الى التهديد وهو مجاني (8)
 لم يفلح الجاني ولم ينل المني فالحه يرفع من يشا ويقارب (9)
 قل للذي يسطو على عظمائنا مهلا فانك بالتمرد خائب (10)
 هذا - الشهاب الفذ تلسع ناره فارسله صاعقة فانك غالب (11)
 واذقهم طعم الردى بسطوره فالعبد للتقريع ، انه صاحب (12)
 وارشدهم بالبينات ليهتدوا بالحق انه للعقول مناسب (13)

(8) حاروا : من الحيرة التردد وجهل الصواب في الرأي والمذهب مجاني
 للصواب من الامر مبادئ للحق .
 (9) المني : ج الامنية بغية يود الحصول عليها من امر محبوب مع عسر أو
 استحالة (يشا) ممدود قصره الشاعر للضرورة وذلك جائز ، يقارب بمعنى
 يقربه اليه « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب** » .
 (10) السطو : الوثوب والهجوم والاخذ بشدة ، يقال سطا به ، وسطا
 عليه ، ومهلا : رفقا وتؤدة ، أى امهل وارفق ، والتمرد التعدى على الناس
 ومجاوزه حد مثله ، وخائب : خاسر .
 (11) هذا : التفات الى صاحب الشهاب ، والشهاب من اسمائه : كل مضيء
 متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المرسل على الشياطين ، فهو نار قد ينزل
 صاعقة تشعل النار في الارض ، والصاعقة نار تسقط من السماء في رعد
 شديد عذب الله بها قوم ثمود لعنادهم ، قال تعالى : « **واما ثمود فهديناهم
 فاستجبوا لعمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون** ٠٠٠ » .
 (12) الردى الهلاك والسقوط ، والعبد للتقريع يشير الى قول الشاعر :
 العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الاشارة
 (13) البينات : يريد بها آيات الله البينات أى بالقرآن : « **شهر رمضان
 الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » .
 وكانت طريقة ابن باديس التذكر بالقرآن ، وسنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم التي جاءت بيانا له .

2 - إلى زعيم المصلحين إلى من أؤذي في الله إلى الاستاذ عبد الحميد بن باديس

هذه القصيدة من نظم الشاعر الكبير ، الكاتب الأديب الشيخ محمد السعيد الزاهري رحمه الله، جاءت بعد قصيدة الشيخ رمضان حمود، والشيخ الزاهري له اطوار في حياته ، فهو أديب لامع ينحدر من عائلة شهيرة في الزيبان الشرقية ، اشتهرت بكبار كتابها وشعرائها مثل الشيخ الهادي السنوسي رحمه الله ، والشيخ زهير أمد الله عمره .

حفظ القرآن في مسقط رأسه (مدينة ليانة) وتلقى المبادئ الأولى على علماء عصره في بلده ، ثم التحق بقسنطينة وبقي فيها بضعة أعوام يستمع الى علم وأدب الشيخ عبد الحميد حتى نال بغيته وظهر عنده نبوغه، ولكن ضاقت نفسه بحزم الشيخ في تربية طلابه وتقييد بعض حرياتهم ، فانتقل الى الجامعة الزيتونية ، ولقى هنالك كبار الطلبة الجزائريين أمثال الشيخ مبارك ، والشيخ العربي رحمة الله عليهم ، واستمع الى دروس فطاحل علماء الزيتونة وأدبائها، ومن هؤلاء الأخيرين أستاذنا الشيخ معاوية التميمي رحمه الله ، وقبل أن يغادر الزاهري تونس كان له صيت كبير في الأوساط الأدبية .

وفي العشرينات عاد الى الوطن فانغمس فورا في حركة النهضة وصار من أقدر كتابها ، حرر في المنتقد ثم في الشهاب ، وفي (صدى الصحراء) وفي (الاصلاح) وشارك في إنشاء وتحرير جريدة (البرق) القسنطينية، وامتاز

بلهجته العنيفة فسبب له خصومات ومحاكمات ، وأسس جريدة (الجزائر) وجعل شعارها (الجزائر للجزائريين) ، وهو أول من يعلن ذلك كشعار له في الصحافة الجزائرية ، فلم تصبر الإدارة الاستعمارية عليها وعطلت صدورها . وكان يكتب بأمضائه الصريح وبالإمضاءات المستعارة ، ومنها « تأبط شرا » كما كان يكتب وينحل غيره كتابته ، وعو من الأدباء الذين أسسوا جريدة « الجحيم » لرد عادية سفهاء « المعيار » العليوية بنفس سلاحهم . فقهرهم وأسكتهم . « وَلَمَّا انتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ » .

وانتقل الى مدينة الأغواط بقصد تأسيس مدرسة فطال انتظاره - عبثا - لرخصتها ، فانتقل الى تلمسان والقى محاضرات وكون بها حزبا مؤيدا له ، واشتبك في خصومات محلية (1) وراسل الشهاب بمقالات رنانة ، ثم انتقل الى وهران وقام بها مدة طويلة في عمل متواصل ، وأخيرا حظ زحاله بعاصمة الجزائر وبقي فيها الى ان لقي ربه ، رحمه الله -

كان الشيخ الزاهري أدبيا ممتازا ، غزير الانتاج ، يسير عليه قول الشعر الجيد ، ولكنه يكتب النثر بأسهل وأيسر مما يكتب الشعر ، شهد له بطول الباع في الكتابة الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيره ، وقد كتب - فضلا عن أدب المقالة - القصة ، ونشر أقاصيص اسلامية بعنوان (الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير) ، كما نشرت له مجلات راقية مثل : مجلة (المقتطف) المصرية للدكتور يعقوب صروف ، وهي مجلة علمية رصينة ، كما نشرت له مجلة (الرسالة) المصرية ، وكانت في عصرها لسان حال الأدب الراقي المتأنق ، اما صحف الجزائر فقد شارك بقلمه وشعره في معظمها .

ولما تأسست جمعية العلماء عام 1931 م ، انتخب في مجلس إدارتها عام 1932 م ، وفي اجتماعها العام سنة 1934 م ، أشد قصيدة رنانة مطلعها : حي العروبة في جمعية العلماء وحي - ويحك - فيها الدين والشيعا وتولى مع الشيخ العقبي رئاسة تحرير صحفها السنة والشرعية والصراط آخرها البصائر في سلسلتها الاولى ، ولكن لم يجدد انتخابه لعضوية مجلس

(1) اثناء وجوده فضح اختلاسا ارتكبه بعضهم في مالية جمعية خيرية للعناية بالمساكين فحوكم مع زميل له ومع مدير الشهاب فحكمت المحكمة ضدهم وغرمتهم ، واخذت الحكومة واذا نابها في مضايقته ، ولعل هذا من دواعي انتقاله من تلمسان الى وهران .

ادارتها اثناء اجتماعها العام سنة 1936 م . فكان ذلك بداية منعرج خطير في حياته . اذ اتهم بعض أعضائها بالعمل ضده ، وأخذ يقول عنهم السوء وينشره . ثم تجاوز القول الى العمل فأسس الجرائد الخاصة به وكتب ضدهم ثم ضد الجمعية ، من ذلك انه أسس جريدة (الوفاق) فلم ترج ، وردھا الباعة ورفضها القراء ولم يستسيغوا ان يتنكر لمبادئه وإخوانه ، قال به الأمر الى ما آل اليه أمر (النجاح) و (البلاغ الجزائري) ، وأخذ يصانع أعداءه القدامى وخصوم مبدئه الاصلاحى بالامس ، ويثني على بعض شيوخ الزوايا والطرق ، وقد كان من أشد كتاب المصلحين ضدهم ، ثم بلغ به الامر انه انضم عام 1939م الى الحلفاء - وفيهم فرنسا - اثناء حربهم ضد ألمانيا وحلفائها ، وكانت تغلب عليه نزعة ضد النازية ، وهذا خلاف ما صنعته جمعية العلماء ورئيسها ابن باديس الذين قرروا الحياد والسكوت قائلين - كما سمعت بأذني فحواه من ابن باديس - (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الشعب أغضبنا فرنسا ، وان قلنا ما يرضى فرنسا غضب الله علينا ولم يرض الشعب عنا فلنسكت) وحاولت فرنسا ان تنطقهم فلم تستطع . اما الزاهري فنطق بما أحبوا ان يقول في هتلر وحزبه ، ولم يكن نطق الزاهري مفهوما أو معللا بعللة معقولة كميله الى اليسار ، فقد كانت أفكاره يسارية منذ عهد الجبهة الشعبية ، وكان له فصل يكتبه في جريدتهم بوعمران ويترجم الى الفرنسية ويمضيه باسمه الصريح م . س . زاهري ، ولكن هتلر كان مسالما للاتحاد السوفياتي عام نشوب الحرب 1939 م ، اقتسم معه أرض جمهورية بولونيا . وكان موقف اليساريين غير محمود ، وما انقلب الوضع الا بعد ان هاجم هتلر أرض الاتحاد السوفياتي في 21 جوان 1941 م ، فهاجمته اليساريون بشدة وأسسوا المقاومة السرية في فرنسا ضده ، ولا يتهم الزاهري في وطنيته لانه كان منطرفا لكنه سوء تدبير منه لترخص له الرقابة في اصدار جريدته . ومن عجيب اننى قرأت له في أحد اعداده زعمه بان الشعب الجزائري كله بجانب (الحلفاء) في الحرب ! مع ان عواطف الشعب لم تكن كذلك لما يقاسيه منها ، بل كانت مائلة لجانب خصوم فرنسا بغضا لها لا حبا فيهم ولا اقرارا لمبادئهم .

واثر الحرب العالمية الثانية استمر في حطته وأسس جريدة (المغرب العربي) مهاجما فيها العلماء ، مادحا الطرقية والطرقين هاجبا بشدة الشيخ البشير الازراعي ، الذي سكنت عنه كثيرا محتسبا ، ثم كتب عنه مقالا نشره في (البصائر) ويوجد منشورا في كتاب (عيون البصائر) .

وأخيرا اضطرت الحركة الوطنية الى جريدة وحروف عربية فاستعارت ذلك منه لمدة قبل ان يخرجوا جريدتهم العربية الخاصة بهم ، ووجد نفسه في خدمة الحركة الوطنية الصريحة ، ولما وقع الانشقاق داخل الحركة لم يحسن الاختيار وانحاز الى الآية المحوكة كما قال عمر (1) فكانت عاقبة أمره خسرا ، فانه لما نشبت الثورة سكنت مدة ثم أخرج جريدته من جديد، وشرع بلمز الجبهة وينتقد بعض تصرفاتها ، اذكر من ذلك انه سنع بقتل خائن أعدم بالمسجد الكبير بعد ما عاث فسادا في جهة تابلاط واحتمى بالمسجد ، وقد أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دماء قوم اذن في قتلهم في المسجد الحرام .

ومن ذلك انه انتقد انتقادا مرا سفر وفد فيه السيد فرحات عباس للاتحاد بالثورة وبأمر من القيادة ، وكتب عن ذلك كلمة في جريدته عنوانها : (وفد مريب في مهمة مريبة) وغابت عنه السياسة الحكيمة التي انتهجتها جبهة التحرير في قبول جميع المواطنين - اذا نصحوا - في صفوفها .

ثم تجرأ أخيرا ونشر صورة كبرى غطت كامل الصفحة الاولى من جريدته للسيد ... الذي كان رمز الخلاف وزعم انه زعيم الشعب الاكبر وصادف ان كانت الفتنة في اشدها بين فدائي الجبهة وبين اتباع (الحركة الوطنية) ، فكان هذا الانحياز المعلن منه بمثابة الحكم على نفسه بالاعدام .

وذات يوم من أيام 1956 م ، خر الشيخ الزاهري صريع خمس رصاصات من يد فدائيين في مدخل نهج زبانة (لالير - آنذاك -) قرب جامع كتشاوة ،

(1) جاء رجل الى عمر بن الخطاب وكان يلي له عملا في خلافته فقال له : رأيت الشمس والقمر في حرب ومعركة ، فقال له عمر : وفي أي جانب كنت انت ؟ قال : كنت في جيش القمر ، فقال عمر : كنت في جانب الآية المحوكة ، قم والله لن تلي لي عملا أبدا ، يشير عمر الى قوله تعالى : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة** » فلما وقع الخلاف بين علي ومعاوية كان الرجل في جيش معاوية .

فذهب ضحية تهوره وسوء تصرفه وأصراره على الخطأ ، وعسى إن يلقي عند ربه خبرا مما لقي من الناس .

وكان - عفا الله عنه - لا يبالي ، وقد يسيء الى سمعته وعرضه مع نقاء سيرته وبعده عن الريب وإن عاش حياته عزبا ، فقد كان بوهران يسكن حذو حي المؤسسات ، فزاره أديب كبير من اصدقائه ودل على محل سكنه فلم يجده فيه فكتب له على بابيه :

سكنت - ويعك - في حي (البراديل) اما تخافن من قال ومن قيل !
ولم يكن الزاهري رحمه الله يخاف من أى قول يرسله أو يقال فيه .

كتبت دماؤك للهدى صفحات

اما هذه القصيدة فقد قالها في حادثة السطو على الاستاذ ابن باديس ، منوها بشخصية ابن باديس مستنكرا فعل خصومه وأصفا بعض منكراتهم الدينية وتصرفاتهم الاجتماعية، وقد نشرت في العدد 78 من الشهاب الصادر في 9 رجب 1345 هـ ، الموافق 13 جانفى 1927 م ، قال (من بحر الكامل) .

لا تبلغ العلياء دون ثبات هيهات دون المجد كل أذاة (1)
يا وقفة لك في سبيل الله لم نرها لغيرك من ذوى الوقفات (2)
فى الله ما لاقيت مما كاد يذ هب بالذى لك من عزيز حياة (3)
ان تكتب الحق الدماء فأنت من كتبت دماؤك للهدى صفحات (4)
عجبا! لقد أسمعت حتى النائمى من الورى بمقابر (الخلوات) (5)

(1) العلياء بالفتح والمد كالضم والقصر : المكان العالى المشرف حسا ومعنى وهيهات بفتح الاخير وضمه وكسره اسم فعل بمعنى بعد وفيه لغات ، والاذاة : الاذية والضرر .

(2) نصب المنادى لانه نكرة ، للتعظيم فهو فى قوة النكرة الموصوفة يا وقفة عظيمة .

(3) من عزيز حياة من اضافة الموصوف لصفته ، والاصل من حياة عزيزة .
(4) ان كانت الدماء تكتب الحق والرشد والهدى ، فانت قد فعلت ذلك ، وقد صرح الشهاب بان نهضتنا كتبت بالحبر الاحمر الذى لا تمحوه الايام .
(5) حقا ان من يقبل الخلوة وشروطها من جوع وعطش وظلمة وأوهام ووساوس لفى قبر وضع نفسه بنفسه فيه .

بعثوا اليك (منوما) يعدو على
 قطع الطريق عليك في غلس ولم
 فاسأل منك دما زكيا في الدجى
 شلت يد (التيس) الشقى فانها
 لا تحفلن بعصاة تسطو على
 فسلحك العلم المبين وانهم
 ولأنت ذو العلم الصحيح وهم
 ما فيك من جد ومن عزمات (6)
 تكن التيوس لتقطع الطرقات (7)
 ظلما فيا للظلم في الظلمات (8)
 شجت جميل الفضل والحسنات (9)
 أهل الحياة وهم من الاموات (10)
 منسلحون عليك بالسبحات (11)
 ذروا الاوعام والاحلام والشبهات (12)

(6) النائم لا يملك ارادته ، والمنوم هو الذى تسلط عليه غيره فتسبب في نومه بتخديره . وفى ذلك الزمان شاع استعمال التنويم المغناطيسى وذكره وتسخير النائم لارادة المنوم له . ويعدو يعتدى ويهاجم من العدوان من جسد من حزم ضد الهزل ، وعزمات جمع العزيمة .

(7) الغلس : ظلمة آخر الليل ، والجمع الاغلاس ، و (التيس) حيوان مسالم داجن يفترس من الاسود ولا يفترس غيره ، والشاعر يهزأ بهم وقد شبهوا التيوس - عنده - فى اللحى ، وانما قبح ذلك منهم لانهم ظنوا ان اللحية هى أعظم مظاهر الدين ، واللحية سنة نبوية صحيحة ، وقد كان ابن باديس رحمه الله يلتجئ ، وعلى مذهب مالك يعتنى بلحيته ويقبض منها ، اما اهمالها فقد اشبه اهمال التيس لها .

(8) دماء الشهداء زكية لانهم يبعثون بها يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك ، والدم اذا سفك ظلما دون موجب شرعى فصاحبه - ان مات - شهيد .

(9) شلت يده : ييست شلا وشللا ، والفعل ماض ، ولكن معناه الدعاء مثل قول عاتكة فى قاتل الزبير رضى الله عنه :

شلت يمينك ان قتلت لمسلما . جلست عليك عقوبة المتعمد والشلل توقف العضو عن الحركة وقد يكون لليد أو للرجل أو لنصف الجسم وشجت : جرحت ، وكان الجبين المشجوع جبين السجود ، واقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وفى علمنا ان شيخنا رحمه الله كان يقرم الليل فجبينه جبين الحسنات .

(10) العصاة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . وتحفلن فعل مؤكد بنون التوكيد الخفيفة : لا تهتم .

(11) السبيحة : فى الاصل الدعاء ، الصلاة ، النافلة ، وتطلق على خرزات منظومة فى سلك تتخذ للذكر وحساب عدده أو للتسلية ، ولم تكن فى عهد السلف ، واذا كانت من مظاهر (التقى) وتظاهر بها من ليس من أهل التقوى حقا فهى بدعة منكرة ، وقد اشتهرت بحملها ووضعها فى الرقاب هذه الطائفة .
 (12) الاحلام هنا جمع حلم بالسكون : المنامات ، ولها طور كبير فى حياتهم .

- ان كنت تألم في الجهاد فهم كذا ك يجرعون من الردى كاسات (13)
 ولك الثواب الجم عند الله في دار البقاء ووارف الجنات (14)
 ولسوف يبقى الدهر ذكرك خالد بالعلم لا باطالة الصلوات (15)
 لا تجزعن عبد الحميد لنكبة كانت عليهم أكبر النكبات (16)
 أنت الزعيم الحر في الاصلاح والاحرار لا ترتد بالصدمات (17)
 سل اليراع على الذين تصيدوا هذى العباد بصالح الدعوات (18)
 قتلوا الشعور من الجزائر بالذى يأتون من حيل ومفتريات (19)
 نصبوا الديانة شركة للكسب فاصطادوا بها من كان ذا غفلات (20)
 وكسا خدائعهم بثوب (كرامة) ما مر من حقب ومن سنوات (21)

- (13) يجرعون : جرعه الماء : ابلعه اياه جرعة بعد جرعة ، والاذى : الهلاك والسقوط . والكاسات : الكاس وهى مؤنث . ولا يقال كاس الا اذا كان فيه شراب والا فهو كوب .
 (14) الجم الكثير ، الجنات الوارفة الواسعة الظل ، ورف النبات اهتز واشتدت خضرته ونضرتها .
 (15) وقد كان ابن باديس يطيل الصلوات ولا يريد ان يشتهر ذلك عنه لانه ما عدا المرائض سر بينه وبين ربه ، ولولا هذه الصلوات ما خلد له ذكر !
 (16) لا تجزعن عن : أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، وسقط حرف النداء من عبد الحميد ، والنكبة : المصيبة .
 (17) لا ترتد : لا تنهزم ، والصدمات جمع الصدمة ، وهى الدفع بالجسم والاصطدام ، التضارب بالاجسام ، ومن ذلك اصطدام الفارسين - والسيارتين .
 (18) اليراع من الرجال الجبان ، وهو هنا القلم ، اشار الى العباد وهو جميع العبد باشارة المفرد المؤنث لانه فى معنى الجماعة .
 (19) كثيرا ما يمحرقون بحيلة يحسبها السذج كرامة ، وانما هم كذب مفترى ، وقد قال الله فى سحرة فرعون : « سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ » .
 (20) الشركة سكن الراء ضرورة ، وأصله شرك بالفتح وشركة مفتوح أيضا والجمع الشرك : حبال الصيد وذو والغفلات من لا فطنة لهم ولا حذر عندهم .
 (21) قد تظهر أشياء خارقة للعادة على يد عابد من عباد الله ، فان كان نبيا قد تحدى قومه ، وجاء بذلك من عند الله فهى معجزة بمثابة قول الله لهم (صدق عبدى فيما بلغ عنى) كالعصا لموسى تنقلب حية تسعى ، وكاحياء عيسى الموتى ، فان لم يؤمنوا استحقوا العذاب .
 وقد يظهر الشئ الخارق للعادة من غير نبى ، ولا يصح منه حينئذ دعواه له ولا تبجح به ، ولا اخبار للناس عن أنه ظهر على يده أو سيظهر ، وهذا =

حتى لقد صان «التصوف» عادة والناس أسرى في يد العادات (22)
أودى التصوف بالعقول فلا ترى فى (القوم) عقلا وهو غير موات (23)
لولا التصوف ما رأيت ذوى اللحي يأتون أمرا وهو غير مواتى (24)
عجبا لقوم يحجبون نساءهم عن كل ذى عين وذى لحظات (25)
وعن الكواكب والنسيم وما له فى الفجر من جرى ومن خطرات (26)
ورأيت منهم من يبيع لشيخه ما كان من زوج له وبنات (27)
ولربما زار النساء (مرابطا) قد جئنه لتطلب البركات (28)

= يسمى الكرامة وقد نفاها بعضهم كامام الحرين لأنها تلتبس بالمعجزة والمحققون من العلماء يثبتونها ، قال صاحب الجوهرية :

وأثبتن لاوليا الكرامة ومن نفاها فائذن كلامه فالاولياء الحقيقيون ينفونها عن أنفسهم ويكتمونها ان وقعت خشية الفتنة واما الدجالون فانهم ينتحلونها ويدلسون بالباطل منها خداعا للناس وهذا ما يشير اليه الشاعر .

(22) التصوف علم حادث فى الملة ، اختلف فى أصل اشتقاقه أهو من الصوف أم من الصفاء ؟ وقد عقد فيه ابن خلدون فى مقدمته فصلا بديعا وأثبت ضلال المتأخرين من الصوفية وتأثرهم بالباطنية ودعاوبها وديانتهم بالحلول ووحدة الوجود فانظروه هناك فانه مفيد جدا .

(23) اودى به ذهب به ، وأداه الى الهلاك ، والقوم هنا جماعة المتصوفة وموات هنا بمعنى ميت من الموت أى حل به الموت ، والارض الموات المهملة المهجورة .

(24) مواتى : هنا بمعنى موافق ، أى غير موافق ولا لائق .

(25) يحجبون : يسدلون الحجاب دون النساء ، ولا يسمحون برؤيتهن ، ومن ذلك وضع الخمار على الوجه عند الخروج - والسفور اظهار الوجه وكشفه واللحظات النظرات بموخر العين عن يمين ويسار ، والملاحظة المراقبة .

(26) الكواكب جمع كوكب : الاجرام السماوية التى تكتسب ضوءها من غيرها ، والنسيم الريح اللينة لا تحرك شجرا ولا تعفى اثرا خطرات اهتزازات وتحركات ، وخطر له الامر لاح فى فكره .

(27) يتعجب الشاعر من شدة محافظة قومنا وعدم تسامحهم مع بعضهم بعضا حتى ان الانسان ليحجب حريمه عن كل احد حتى على نسيم الفجر وهو لا يسرى ثم يتسامح مع شيخه فيرى نساءه وبناته قد يزرنه ويأتينه يطلبن منه البركة ويدفعن الزيارة ويعطينهن بركاته فى زعمه . وذلك مبالغة فى الثقة وان كان الخلق فى قومنا الا تسامح فى شأن الحريم .

(28) لتطلب لالتماس البركة .

فيعدن في فرح بما حصلنه من فيضة من سائر الحاجات (29)
 وعفيفة هتك (المرايط) عرضها وتظن ذلك أظهر القربات (30)
 فتظل تفخر في النساء بانها ظفرت من الايسام بالرغبات (31)
 هذا (التصوف) عندهن وهذه آثار (علم القوم) والسادات (32)
 مات الرجال فلم تعد من غيرة لهم على الازواج والحرمان (33)
 ورأيت قوما يتركون عيالهم جوعا بلا قوت من الاقوات (34)
 يتصدقون على المشائخ والعيال ل يبيت من جوع على الجمرات (35)
 مارسوا اخلاق الشيوخ فلم احد غير الخمول وغير حب الذات (36)
 ووجدت منهم من يعد اخا العبا دة وهو في لهو وفي لذات (37)

(29) الفيض مما يستعمل في التصوف يريدون به افاضة بحر العلوم الدينية على من وصلوا فيهم وقبلت عبادتهم ، والشاعر يرمز الى شيء آخر .
 (30 - 31 - 32 - 33) العفيفة الطاهرة التي ترفعت عن الفاحشة وصانت عرضها ، وافادت هنا واورب الكثرة ، والمرايط في أصل الاستعمال الشرعي من لازم الشغور التي يأتى منها العدو ويسكنها بقصد الجهاد على الحدود ثم صار يطلق على من يلزم العبادة ويعتزل الناس لها في مكان ما ، ثم صار يطلق على أبناء الزوايا ومشائخها ولو كانوا جهلة عصاة وفساقا ، وهذا الاخير هو الصنف المراد من الشاعر وحاشا الاصناف الاولى فانهم من خيار الامة ، ولا توجد امرأة مسلمة ترى ان الفاحشة مما تفخر به على اترابها وتظهره ، فان من تطاوع أبناء المرايطين على الفاحشة يعرف فعله بها وفعلها معه وانه فاحشة ، والشاعر هنا يبالغ .

(34) كانت عادة قومنا ان يأتهم (المشايع) مرة أو مرتين في السنة فيذبحون لهم الذبائح ويتكلفون في ضيافتهم واطعام اتباعهم ثم يجمعون لهم (الزيارة) ولا يعفى من نصيبه فيها احد ولو كان في مسغبة ، وهذا ما أشار اليه الشاعر .
 (35) يريد بهم بعض شيوخهم الزوايا ، على حرقه الجوع والفاقة بحسبه الناس من العباد القانتين وهو في الحقيقة يبيت عاكفا على لذاقة وشهواته .
 (36) مارس الشيء عالج عاناه ، وتمرس به احتك به ، والشيوخ : يريد بهم شيوخ الزوايا، الخامل من الرجال : الناقط من لا نباهة له ، والخمول الضعف ، والخفاء ، وحب الذات : الانانية وإيثار النفس على حساب الغير .

(37) من يتظاهر امام الناس بالعفاف وبالتنسك والعبادة ، والحال انه صاحب لهو وبطالة وانغماس في اللذات .

طلبوا صلاح المسلمين ففرقوا	الاسلام فى طرق وفى اشتات (38)
وبنوهم من بعدهم لا يهدأو	ن اليوم فى وقت من الاوقات (39)
يتكفون الناس الحافا عسى	يعطونهم من فضلة وفتات (40)
والناس لم تبق الضرائب عندهم	فضلافهم فى اتعس الحالات (41)
ضاقت سبيل بنى الشيوخ فهل ترى	فى الناس ذا فقر وذا صدقات؟ ((42)
لم تجد أبناء الشيوخ كرامة	اثرث، ولا ما قيل من نفحات (43)
نهضوا لحزب المصلحين لعلهم	يقفون دون طريقه عشرات (44)
آذوك حين دعوت من ضلوا الى	دين النبى بحكمة وعظمت (45)
واذاية الجهلاء مثل اذاية الـ	مجماء ما كانت بذات ترات (46)
صبرا «زعيم المصلحين» على الأذى	لا بد دون الشهد من لسعات (47)
والمرء يدرك بالثبات على العلا	ما عز من غرض ومن غايات (48)

- (38) جعلوا المسلمين طرائق مختلفة متشعبة مع ان الاسلام دين واحد وطريقة واحدة .
- (39 - 40) بنوهم يرتحلون طلبا للثروة ، يتكفون الناس أى يمدون نحوهم أكفهم ويلحون فى طلب الناس اعطاءهم فيعطونهم من الفضلة وفتات موائدهم ، والفتات ما تفتت وتكسر من الشئ المقوت .
- (41) يقول ان الناس قد انهكتهم ضرائب الاستعمار واتت على ما عندهم فهم فى نحس مستمر .
- (42 - 43) لم يعد أبناء الشيوخ ينتفعون بما يروى من كرامات نسبت لأبائهم ولا جدادهم من قبل ، ولا ما يروى من نفحات مروية لهم .
- (44) نهضوا : قاموا ، عشرات : جمع عشرة : مزية وسقطة أى موضع العثور
- (45) آذوك : أصابوك بضر حينما دعوت الضالين الى الرشيد بحكمة وموعظة
- (46) التره مصدر وتره يتره وتره وتره أصابه بمكروه أو بانتقام منه ، والوتيرة : الانتقام والظلم فيه ، ومعلوم ان الحر لا يأخذ بثاره من حيوان اعجم
- (47) عجز البيت تضمنين لمثل آخر شعري (ولابد دون الشهد من ابر النحل)
- (48) عز : غلا ونذر وقل ، الغاية : المنتهى والمطلوب .

حمتك يد المولى لشاعر الشباب المشهور

هذه قصيدة رائعة من روائع أمير شعرائنا - بلا منازع - الاستاذ الكبير محمد العيد آل خليفة رحمه الله ، اصل عشيرته من بلدة كوينين بقرب مدينة الوادى (سوف) من ولاية بسكرة ، وولد بمدينة عين البيضاء فى 27 جمادى الاولى 1323 هـ - 28 أوت 1904 م .

وبعد حفظه القرآن الكريم بمدرستها الابتدائية انكب على طلب العلوم الاسلامية الدينية والعقلية واللسانية ، وأول من أخذ عنهم الشيخان محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجى ، وظهر نبوغه مبكرا ، واستمع الى علماء عصره فى بسكرة بعد ان انتقل اليها مع أسرته عام 1918 ، فاستمع الى المشائخ على بن ابراهيم العقبى ، والمختار بن عمر اليعلاوى ، والاديب الكبير جنيدي المكي ، ثم توجه الى الجامعة الزيتونية بتونس عام 1921 م ، فانخرط فى سلك طلبتها وسمع من كبار مشائخها ، ولكن لم يطل به المقام فيها كثيرا اذ عاد الى وطنه بعد سنتين واستقر حينما ببسكرة عروس الزيبان فاشتغل بالتعليم ، وأخذ ينشر فضله وأدبه بما يعلم ويلقى ، وبما يكتب وينشر ، فذاع صيته وعرفت قصائده الرنانة من خلال المنتقد ، والشهاب ، وصدى الصحراء ، والاصلاح ، وخاض معمعة الصحافة ، فشارك فى اخراج (صدى الصحراء) التى أسسها السيد أحمد بن العابد عام 1924 م ، كما شارك العقبى فى اخراج جريدة الاصلاح ، ثم انتقل عام 1927 م ، الى العاصمة فأسندت اليه ادارة (مدرسة الشبيبة) بأعلى حى باب الوادى (قرب ثانوية عقبة اليوم) ، وكانت



الشيخ محمد العيد آل خليفة

مؤسسة وطنية حديثة ألفت حولها رجال البر والاخلاص فبذل في ادارتها والتعليم بها كل ما لديه من قوة الايمان والشباب والوطنية باخلاص ، وكان بجانبه - في التعليم - خيرة أبناء الجزائر مثل الشيخ باعزيز بن عمرو احد كبار المتخرجين من مدرسة ابن باديس واحد الكتاب النابهين ، والشيخ فرحات ابن الدراجي بوحامد المتخرج من الزيتونة واحد الكتاب المجيدين ، والشيخ جلول بدوي الاديب المشهور ، والشيخ عبد الرحمن الجيلالي المؤلف المؤرخ ، وغيرهم، رحم الله الأحياء منهم والاموات .

وممن نبغ في عهده من تلاميذ المدرسة - اذكر منهم ولا احصيهم - الاساتذة : عثمان بن الحاج بوقطاية ، والاستاذ الطاهر بوشوشى ، وكلاهما أديب نابغة شاعر ناثر ، والاستاذة شامة بوفجى ، واختها .

ولكن هذه المدرسة أصيبت بنكبة عظيمة وزلزلت زلزالا شديدا يوم قبلت جمعيتها بوضعها تحت اشراف (الاكاديمية) الفرنسية ورقابتها في بداية الحرب العالمية الثانية ، ويقال ان ذلك كان بتأثير من الشيخ الطيب العقبي رحمه الله ، وكان الشيخ محمد العيد يحبه ويقدره ويجله لانه من أساتذته ، ولكنه لم يرض عن الوضعية الجديدة ، وأول ما أصابها ان فارق الشيخ محمد العيد ادارتها ، ثم غادر الجزائر فرارا من هذا الجو الجديد ، وما زالت هذه المدرسة في انحدار منذ ذلك اليوم حتى حصول الاستقلال ، ولم يكن لها انتاج يذكر وذلك ما كانت الادارة الفرنسية تقصده مما رفضته جميع المدارس الحرة وقبلت جمعيتها به .

قضى الشيخ محمد العيد فترة الحرب العالمية وما بعدها مترددا بين بسكرة وباتنة ، دأبا على التعليم والادارة ، وعاد الى انتاج الرجال بالتعليم والتكوين، فتخرج عليه شباب في بسكرة ، وفي باتنة حيث أدار مدرستها مدة عامي : 46 - 47 ، وعندما عقد مؤتمر (المعلمين وهيئات المدارس الحرة) بمدينة قسنطينة في 16 مارس 1946 م ، كان من أبرز رجاله وألقى فيه قصيدة عصماء ؛ وكان هذا المؤتمر تمهيدا لمؤتمر المعلمين الاحرار الذى انعقد تحت اشراف جمعية العلماء في سبتمبر 1946 م ، وبمركزها ، وترأسه المرحوم الشيخ محمد بن العابدين السمتي أحد افاض المعلمين الاحرار ، وهذا المؤتمر هو الذى اعلن (العصيان المدني) ضد قرارات فرنسا القاضية بتعطيل جميع

المدارس الحرة والمنع من فتح القديم منها وانشاء الجديد الا برخصة وتحت اشراف الاكاديميات ، وقالوا : (اطلبوا الرخصة نعطكم أياها) فقلنا : لا نعتزف بالقانون الذى يمنعنا من حرية تعليم ديننا ولغتنا ، ومنذ أكتوبر 1946 م ، افتتحت أبواب مدارسنا متعرضة للغرامة والغلق وسجن المعلمين .

وعندما نشبت الثورة فى 6 ربيع الاول عام 1374 هـ نوفمبر 1954م كان الشيخ محمد العيد فى مدرسة العرفان بعين مليلة (على 50 كلم ، من جنوب قسنطينة) بجانب أخيه وصديقه الشيخ محمد بن العابد السمانى رحمهما الله ، فأما الشيخ ابن العابد فقد صعد الى الجبل وشارك فى الثورة كجندي من أول رصاصة أطلقت ، رغم علو سنه ؛ ففى مساء يوم 31 أكتوبر 1954 م ، سلم ابن العابد مفاتيح المدرسة لزميله محمد العيد وقال له : أنا ذاهب ! ولكنه لم يلبث الا قليلا واعتقل وعذب عذابا أليما حتى فقد بعض حواسه وحكم عليه بالاشغال الشاقة ، وما انتهى عذابه الا بانتهاء الاحتلال عام 1962 م . وأما الشيخ محمد العيد فقد ألقى عليه القبض عام 1955 م ، وزج به فى سجن قسنطينة ولم يكن عليه بيان بفعل معين ، وحضر للدفاع عنه بعد كبار المحامين من باريس ممن كانوا يحضرون للدفاع عن الثوار وكبار الشخصيات ، فخرج من السجن بعد بضعة أشهر وبقي كامثاله من الجزائريين فى عذاب الترقب وانتظار الغدر من لحظة لآخرى ، وكان تحت الرقابة الدائمة المشددة والاقامة الجبرية فى مدينة بسكرة ، فعاش معزولا عن المجتمع الى ان انبلج صبح الحرية .

وبعد الاستقلال عاد الى ميدانه فى التربية والتعليم ، بقى مترددا بين باتنة وبسكرة ، وحضر الى الجزائر لمناسبات منها وفاة صديقه وصفيه الشيخ محمد البشير الابراهيمى رحمه الله . وقد رثاه ، وحضر اقامة بعض ذكرياته ، وذعب الى الحج موفودا من وزارة الشؤون الدينية 1385 هـ (1966 م) وقد جمع بعض شعره فى ديوان أنيق ونشر فى حياته ، ولكنه يحتاج الى عناية أكبر لتفسير أحداثه ، فان قصائده سجل خالد للنهضة الجزائرية من بدايتها فى العشرينات الى حياة الاستقلال فى الستينات .

وفى الاسبوع الثانى من شهر رمضان 1399 هـ (جويلية 1979 م) ختمت أنفاسه بمدينة ، باتنة ثم نقلت جثته غداة يوم الوفاة الى مدينة بسكرة

حيث شيع جثمانه فى حفل رهيب حضره بعض الوزراء وكبار رجال الحزب والحكومة والادارة ، وقام بتأيينه - باسم وزارة الشؤون الدينية - رئيس المجلس الاسلامى الاعلى .

يستاز شعر محمد العيد بالمتانة مع سلاسة الاسلوب وعذوبة الالفاظ ، وعمق المعانى وطرافتها ، وقد شبهه أمير البيان شكيب أرسلان بانه فى شعراء العربية يشبه البهاء زهير ، وكان كبار المشائخ كلهم يجملونه وينزلونه بأعلى منزل ، أما الابراهيمى - وهو الذواق فى الادب - فكان يضعه فى مكانة لا يسمو اليها أحد عنده ، ولا يحتاج محمد العيد الى برهان أسطع من شعره . نشرت هذه القصيدة فى عدد الشهاب 81 الصادر فى 3 رجب 1345 هـ ، الموافق 7 يناير 1927 م .

قال محمد العيد يخاطب الشيخ ابن باديس : (والقصيدة من بحر الطويل)

3 - حمتك يد المولى

حمتك يد المولى وكنت بها أولى فيالك من شيخ حمته يد المولى (1)
وأخطأك الموت الزؤام يقوده اليك أمرو أملى له الغي ما أملى (2)
فياالوضيع النفس كيف تطاولت به نفسه حتى أسر لك القتلا (3)

(1) لشاعرنا الكبير براعة لا تجارى فى رد العجز على الصدر كما فى هذا البيت من هذه القصيدة وحماية الله لاوليائه من عنايته بهم ، والمولى : الولي والنصير ، والسيد والمالك ، والقريب أيضا وكلها صالح عنا الا الاخير . أولى : احرى واليق واجدر من غيرك .
(2) الزؤام : السريع الكريه ، أمرو انسان ، والغى الضلال وخلاف الرشيد ، وأملى له : وسوس له وأمره وأوجى اليه (ما) هنا نكرة أو موصول يراد بها التفخيم كما فى قوله تعالى : « فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ (ما) عَشِيَهُمْ » أى شئ عظيم الهول .

(3) (يا) حرف نداء للاستغاثة والمنادى محذوف تقديره : يا عباد الله ونحوه والجار والمجرور - هنا - مستغاث منه متعلق بحرف النداء لتضمنه معنى الفعل (ادعو) أو متعلق بفعل مضمر .

وتطاولت نفسه تجاوزت به قدره وتكلفت الطول وهى الحقيرة ، واسرار القتل كتمانها وذلك قتل الغدر والقيلة وهو قتل الجبناء لان الشجاع ينذر خصمه ويقول له (خذ حذرك ودافع عن نفسك) . ثم يبارزه وانما يبارز الانسان كفؤه ، واما الوضيع فانه يغدر من استنكف عن منزلته . وقاتل الغيلة لا عفو عنه وان عفا ولى الدم لانه غادر .

ونالك فى جنح الدجى بهراوة فأدماك، بل أدمى الكرامة والفضلا (4)
وأدمى البرور المحض والرفق والهدى وأدمى الشعور الغض والحزق والنبلا (5)
وأهوى الى نصل بكف لثيمة تعود ان ينضى بها ذلك النصلا (6)
فأوسعتها وهنا وأوسعها قوى وأجهدتها عقدا وأجهدتها حلا (7)
وكادت يد الجانى العليوى تعتلى يد الشيخ لولا الله أدركه لولا (8)

(4) الدجى : الظلام ، دجا الليل يدجو اذا اظلم ، وجنح الدجى طرفه وكنفه
والهراوة - بالكسر - العصا الضخمة كالتى فى الفاس والمول ، والدبوس
منها نوع من الهراوى يكون أغلظ فى وسطه منه فى طرفيه ، وقد يكون بارزا
ماضيا فى بطنه . وأدماك : أسال دمك ، مثل : دماك ، وما ادماك انت بل ادمى
الكرامة . لانك كريم وأدمى الفضل لانك فاضل .

(5) هذه صفات جمعها الشاعر فى بيت واحد ، براعة تذكر ببراعة
أبى الطيب المتنبيء ولم يقل له أنت بر ، أنت رفيق ، أنت حاذق نبيل الخ . .
ولكن الجانى بجنايته اصاب كل هؤلاء فيه . البرور ضده الفجور : المخالفة
بالاحسان ، والطاعة والصدق ، والمحض الخالص من الشوائب ، والرفق
اللين ، ويقابله العنف والغلظة ، وفى الحديث : « ان الله يحب الرفق »
والهدى والرشد والساداد ، وضده الضلال ، والشعور يريد به الاحساس
والغض الطرى ، احساسه رقيق ينطبع فيه بسهولة الخير فيجزي به ، والشر
فيتألم منه والحزق المهارة والاتقان وذلك من اثر الذكاء ، والنبيل الذكاء
والنجابة والفضل وكرم النفس والمحتد .

(6) النصل حديدة الرمح والسهم والسكين ، وكان الجانى يحمل سكيناً
من النوع المصنوع بالجزائر يدعى (بوسعادى) يمتاز بصلابته نصله ومضاء
رأسه وسهولة غوصه فى الثياب وفى الجسم ويصلح للطعن به كما يصلح
للذبح ، وكان مرخصا فى حمله معلقا كما كانوا يعلقون السيوف . وأنضى
السيوف من غمده : سله وجرده .

(7) الوهن : بالفتح أو السكون الضعف فى الامر أو العمل أو البدن
« حملته أمه وهنا على وهن » ، « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون »
القوى : جمع قوة قدرة واطاقة ، والقوة ضد الضعف ، اجهده بذل جهده
وطاقته وجد فى أمره معه ، والشاعر يصور ابداع تصوير ما بذله الجانى فى
تنفيذ جريمته وما بذله الشيخ فى مقاومته .

(8) كادت : قربت ، واذا كانت فى الاثبات ، فالفعل معها قرب ولم يقع
واذا كانت فى النفى فقد وقع الفعل ، وقرب الا يقع ، وهى تعمل عمل كان
وخبرها جملة فعلية ، فعلها مضارع يتجرد - غالبا - من (أن) عكس عسى ،
ما اروعه من بيت يشرح اشفاق الشاعر - بل الامة - من عاقبة الصراع بين
هذا التعيس وبين ضحيته ثم يتنفس الصعداء بنصر الله .

فوافتك بالنصر العزيز طلائع مباركة تترى من الملا الاعلى (9)
 وحفت بروح القدس شخصك فانشنت مصيبتك الجلى كرامتك المشلى (10)
 وغادرك الجانى الشقى موليا وهل يسلم الجانى الشقى اذا ولى (11)
 وان أنس، لا أنسى الذين تضافروا على الفتك بالجانى فقلت لهم مهلا (12)
 أليس من الآيات أنك بيننا تعامل بالعدل الذى أغضب العدلا (13)
 وترضى ، ولو عمن تبرم بالرضى وتسلى، ولو عمن أبى منك أن تسلى (14)
 وتحفظ حتى من أراد بك الاذى وتنصر حتى من أراد بك الخذلا (15)
 لك الله من داع الى الله لم يثق بغير كتاب الله والسنة الفضلى (16)

(9) وافاه : ادركه ، والطلائع : جمع طليعة ، وهى مقدمة الجيش تترى
 يأتى بعضها بعد بعض مع تراخ .
 (10) حفت : احدثت واستدارت واحاطت ، وروح القدس جبريل عليه
 السلام انشنت : تولت وانعطفت ، المصيبة : البلية ، وكل أمر مكروه ، والجلى
 الشدة العظمى مؤنث الاجل ، وهو الامر العظيم ، والخطب الجسيم ، والمثلى
 مؤنث الامثل الخيار والافضل .
 (11) موليا : فارا معرضا بعد ان كان مجتهدا فى تنفيذ جريمته .
 (12) تضافروا : تعاونوا ، مهلا : رفقا اسم فعل أمر منقول عن مصدر الفعل
 يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومعناه : تمهل وارفق ولا تسرع
 ولو لا تدخل الشيخ وأمره باستعمال الرفق مع الجانى عليه لقتلته الجماهير
 الغاضبة ، ولما صدر عليه الحكم بخمس سنوات سجننا لم يكن بذلك راضيا ،
 ورآه كثيرا فى حقه ولكن الحق العام استعمل حقه فى الموضوع لخطورة الجريمة
 واصرار الجانى على موقفه .
 (13) حقا انه لمن آيات الله ان يكون الداعية الى الله مؤتسيا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو الذى قال له الله : « ادْفِغْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَاذَا
 الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَتْهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » ، وما يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا
 يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » روى عن بعض السلف انه قال : ذلك محمد صلى
 الله عليه وسلم .

وقد أغضب الجانى العدل - لانه سفك دم مسلم ، وهو حرام عليه .
 (14) تبرم بالشئ، سئم وضجر ومل ، وتسلى تطيب نفسك وتنسى الاساءة .
 (15) الخذل : ترك النصر والاعانة وقت الحاجة .
 (16) لك الله، خبر ومبتدأ، وهى صيغة تعجب مثل : لله دره، ولله انت انما يثق
 بكتاب الله لانه الحق الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويثق بسنة
 رسول الله لانها جاءت مبينة لكتاب الله ، وهو صلى الله عليه وسلم معصوم
 لا ينطق عن الهوى فما لم يكن من كتاب الله وهو مخالف لسنة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فهو الضلال لا شك فيه ، وفى الحديث فى حجة الوداع
 قال صلى الله عليه وسلم ما فعواه : « تركت فيكم ما أن اتبعتموه لن تضلوا
 أبدا : كتاب الله وسنة رسول الله » .

سعى لبنى الاسلام بالخير ما سعى فأبلى (رعاه الله) فى الخير ما أبلى (17)
ولم يلبث الاشرار حتى تأمروا عليه فلم يألوه فى شرهم خيلا (18)
أرادوا به الفتك الذريع شماتة وما كان للفتك المراد به أهلا (19)

فهل كان هذا شأن من يدعى التقي ؟
وهل كان هذا شأن من يدعى الوصلا ؟ (20)

أما كان ازهاق النفوس محرما ؟
على القوم أم ظنوا النفوس لهم حلا ؟ (21)

(17) سعى : مشى بجهد وسرعة ، وسعى عمل ، وأبلى اظهر بأسه حتى بلاء
الناس فاختبروه ، وهل أشد من السطو عليه ؟
(18) تأمر القوم بفلان ، واثمروا به هموا به ، وأمر بعضهم بعضا بقتله
وتشاورا فى قتله .

لم يألوه : من الا يألوا الوا ، قصر فى الامر ، ولم يال لم يقصر ، يقال : (لم
يال جهدا) لم يقصر ولم يدخر وسعا ، والخبل والخبال الفساد والجنون
يصاب به ، والخابل المفسد الشيطان .

(19) الذريع : السريع والفظيع ، والشماتة الفرح ببلية الغير وهى من
احس الاخلاق ، ونصب شماتة مفعولا لاجله ، وفى القرآن الكريم من قول
هرون لايخيه موسى لما أخذ بلحيته يجره اليه « قَالَ : ابْنُ أُمِّ إِنْ الْقَوْمُ
اسْتَضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تَشْتُمْ بى الأعداء » .

(20) ان الذى يتقى الله لا يؤذى المؤمنين والمؤمنات ولا يستحل دماءهم
واعراضهم ولا يشمت بمن نزلت به بلية منهم ، والوصل : - فى عرف
المتصوفة - بلوغ مرتبة خاصة عند الله وقبوله اعمال المرید وانى له ذلك ؟
وقد صح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم - قال عند وفاة أخيه من
الرضاع عثمان بن مضعون : « والله لا أدري ما يفعل بى » تعليما لامته
ألا يغتر احد بمنزلته فيأمن مكر الله . فليجتهد فى عمل الصالحات وليظن
بالله خيرا .

(21) بلى ! فان قتل النفس التى حرم الله - الا بالحق - من أكبر الكبائر
لقوله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فجزاؤه جهنم خالداً فيها وَغَضِبَ اللَّهُ
عليه وَلَعَنَهُ وَاعَدَ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » وأختلف علماء أهل السنة فى قبول توبة
القاتل عمدا والجمهور على قبولها ان تاب توبة نصوحا ، وقال ابن عباس لا توبة
له ، وافتي علماؤنا ألا يتولى الامامة ولا يصلى خلفه ، وهذا اذا قتل وهو
يعلم ان النفس عليه حرام فاذا استحلها وأعتقد انها غير حرام فهو كافر لانه
انكر معلوما من الدين بالضرورة ، وازهاق النفوس قتلها واهلاكها والاقدام
على فعل ما يتلفها .

إذا كنتم - يا قوم - بالحق قادة

فأدلو ببرهان اليه كما أدلى (22)

تنحلتم - يا قوم - فعل محمد وما فيكم من كان يشبهه فعلا (23)

وحملتم - يا قوم - هدى محمد من الزينغ أقوالا بتوا بها حملا (24)

فصورتكم الاسلام كالليل قاتما

من الزينغ . والاسلام كانصيح أو أجلى (25)

فواعظم صبرى أين عهد محمد ؟ تراه يتيح الله رجعته أم لا ؟ (26)

وواعظم صبرى أين عهد صحابة أقاموا هدى القرآن بينهم فصلا ؟ (27)

(22) زعموا انهم علماء يقودون الناس بالحق الى الحق فهاتوا البرهان على ما تدعون « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » يقال : أدلى بالدلو : ارسلها فى البئر ، وأدلى بحجته احضرها واحتج بها ، والبرهان الحجة الواضحة .
(23) تنحلتم : اتخذتم مذهبا وادعيتكم ذلك ونسبتموه لانفسكم ، ولا يتم ذلك الا بشبهه فى افعاله ، لان سنته قول وعمل واقرار .

(24) الزينغ : الميل عن الحق والاعوجاج عن طريقه . وهدى محمد طريقه وسبيله ، وفى الحديث : « ان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد » وما لم يكن من هديه فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وحملتم السنة أقوالا لا تصلح لها ولا تصح معاني لها وهى من الكذب عليها ، ذلك من ينوء بحمله هدى النبى ، ودعاوى المتصوفين اكثرها مما تأباه السنة ولم يؤثر عن النبى واصحابه فان كان شرا فكفاهم بذلك ، وان ظنوه خيرا فهل غفل عنه الرسول وهو أولى بكل خير ؟ ناء بحمل الشئ نهض به بجهد ومشقة ، مثقلا وناء به الحمل أثقله واماله .

(25) قاتما ضاربا الى السواد ، والقنم الغبار الاسود . واجلى أكثر جلا ، وظهورا .

(26) وا : حرف نداء مختص بالندبة والمنادى هنا من قسم المضاف فهو منصوب وتراه : تظنه ولا يستعمل مضارع رأى بمعنى ظن ، الا مبنيا للمجهول يا هل ترى ؟ أتراه يكون كذا ؟ يتيح : يقدر ويهيى ، ورجعته : عودته .

(27) صحابة محمد صلى الله عليه وسلم من اجتمعوا به فصدقوه وعزروه ونصروه ، وقد يطلق هذا اللقب الشريف على الذين سبقوا منهم ولازموه كابى بكر وعمر ، وأبى عبيدة وعلى غيرهم من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار وقد يطلق على جميعهم حتى الذين راوه وهم صفار وهذا هو اصطلاح المحدثين والشاعر يقصد المعنى الاول لانهم هم الذين حكموا من بعده ويصح ان يقصد الثانى لان الناس كانوا ملتزمين الاستقامة كلهم حكاما ومحكومين ، والقرآن كان هو الحاكم بين الجميع وعند الجميع بينهم فى انفسهم وبينهم وبين غيرهم .

نعال (أبا حفص) تر العدل ذاهبا كما شئت الدنيا تر الظلم محتلا (28)
تر الغي مرفوع المعالم محكما تر الرشد مدفوع المعالم مختلا (29)

تغيرت الآثار بعدك وانطوت
رسوم الهدى واخلولق الدين ان يبلى (30)

وجاء على الاسلام بعدك معشر تعدوا حمى الاسلام وافترقوا سبلا (31)

(28) أبو حفص هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه اسلم في السنة الخامسة من البعثة استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعز الاسلام به فاعتز باسلامه المسلمون وكان - مع أبي بكر - كالوزيرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات الرسول كان مع أبي بكر قوة له وأوصى له بالخلافة من بعده فاقام العدل وجاءت على يده الفتوح وحقق الله في عهده للمسلمين ما وعدهم به في كتابه وعلى لسان رسوله حتى قتله اللعين أبو لؤلؤة المجوسى عند صلاة الصبح في ذى الحجة 23 من الهجرة ، وكان مثال العدل والقوة لا تأخذه في الله لومة لائم وفيه يقول عبد الله بن مسعود : ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر ، وقال رحم الله ذلك المرء كان اسلامه عزا ، وهجرته نصرا ، وخلافته رحمة ، ومناذته منا ضرب من ضروب تفنن الشاعر في اداء معانيه والاعراب عن مشاعره لا يريد ان يشكو له ، واحتلال الظلم انه غلب على مواطن الحكم ودور القضاء وقوله تر مجزوم فى جواب الطلب : تشاهد وتنظر (29) الغي : الضلال ، وأصله الغوى سبقت الواو الياء فقلبت ياء ، وادغمت فيها وكذلك كلما اجتمعتا واحدا عما ساكنة ، والغوى بكسر الواو : الضلال المنقاد للهوى . والمعالم : جمع المعلم مما يستدل به على الطريق ويهتدى به من يسلكها محكما معملا به غير منسوخ ، والقانون المحكم هو الذى يقع به الحكم والذى عدل عن الحكم به يقال فيه نص منسوخ ، والرشد والاستقامة على الطريق وهو ضد الغي ، والمختل الواعن الفاسد ، يقال اختل الامر وهن وفسد واختل عقله زاغ .

(30) انطوت : انحسرت وطويت بعد نشرها ، والرسوم جمع رسم وهو ما بقى من اثر الديار ، واخلولق من افعال المقاربة يقترن خبرها بان كاوشك عملا ومعنى : وبلى : رث ، ثوب بال رث قديم .

(31) المعشر : الجماعة ، والقوم والرهط ، ولا واحد له من لفظه ، قال ذو الاصبغ العدواني :

وانتم معشر زيد على مائة فأجمعوا أمركم - طرا - فكيدونى
ويستعمل للرجال دون النساء كما قال فى اللسان ، سبلا طرقا وهذا ما نهى الله عنه فى قوله : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

فلم يحفظوا لله حصنا ولا حمى ولم يرقبوا فى الله عهدا ولا الا (32)
 غرار لهم فى الحق دعوى عريضة وان سمعوا الحق استخفوا به جهلا (33)
 فهل كان دين الحق دين جهالة وهل كان أهلوهم زعانفة غفلا (34)
 فدم يابن باديس كما كنت راشدا

فانى رأيت الرشيد يستاصل الدجلا (35)

وخذ بيمين الحق تعل عليهم فانى رأيت الحق يعلو ولا يعلى (36)
 وان تك قد مستك منهم بلية لذلك فالداعى جدير بان يعلى (37)

(32) حصن الله وحماء ما لا يجوز ان يتعدى حدوده ، وفى القرآن الكريم :
 « **وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ، وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ** » وفى الحديث :
 « ألا وان لكل ملك حمى ، الا وان حمى الله محارمه » وعهد الله ميثاقه يأخذه
 المسلم على نفسه عندما ينطق بالشهادتين والال العهد وفى القرآن :
 « **لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّة** » لا يرقبون فى مؤمن عهدا ولا يحفظون
 ميثاقا ولا يوفون به .

(33) الغرار : الجماعة المتماثلون من قولهم (هم على غرار واحد) أى
 متماثلون استخفوا : اظهروا الاستخفاف والاستهانة ، وجهلا مفعول لاجله
 لان من يستهين بالحق فهو أحق بعيد عن المعرفة والعلم .

(34) الجهالة : الحق والجفاء والغلظة والسفاهة وعدم المعرفة والعلم ،
 وأهلوهم جمع أهل - وهو ملحق فى الاعراب بجمع المذكر السالم - بمعنى ذويه
 المنتسبين اليه والزعانفة : جمع زعنفة : أجنحة السمك ولا خير فيها وكل
 جماعة ليس لهم أصل واحد ويطلق الزعنف على القصير وعلى الطائفة من كل
 شئ ، والغفل من الرجال الذى لا يرجى خيره ولا يخشى شره .

(35) استاصل الشئ : قلعه من أصله ، والدجل الكذب والتمويه والتمخرق
 كفعل الدجال وهو الكذاب الذى يخرج آخر الزمان فيلبس على الناس دينهم
 ويفترون به ويتبعونه ، ورأيت هنا بمعنى علمت وتيقنت والمفعول الثانى هو
 الجملة الفعلية .

(36) تعل مجزوم فى جواب الامر : تغلب وتنتصر ، فالحق ينتصر ويغلب
 الباطل وان كانت للباطل صولة ، فان للحق جولة ولا يعلى على الحق ، وفى
 وصف الوليد بن المغيرة للقرآن جاء قوله : (ان أعلاه ، لمثمر ، وان أسفله
 لمغدق وانه يعلو ولا يعلى) .

(37) بلية : مصيبة ومكروه ، وهذا عهد الله للمؤمنين « **الْم . أَحْسِبَ**
النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » وقال تعالى : « **لَتَبْلُغَنَّ فِي**
أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا إِذْ تُنْفِرُ بِهِ » وقد بلى ابن باديس رحمه الله فى نفسه وماله وعرضه
 وفى حياته وحتى من بعد موته اذ ما يزال قوم قد أكل الحقد عليه قلوبهم
 يهرفون بما لا يعرفون ولكن الله سبحانه بمنه وفضله قادر ان يجعل له
 ما جعل لعباده الصالحين : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات** **سَيَجْعَلُ لَهُمُ**
الرَّحْمَنُ وُدًّا » .

حنانيك لا تأخذ بها الشعب انها جناية أفراد ذوى همم سفلى (38)

حنانيك لا تعرض عن الشعب وافتكر

بأدوائه واجمع لأحبابه الشملا (39)

ولا تأس فالتاريخ - يا شيخ - حافظ

لأعمالك الكبرى وأمالك الجسلى (40)

سينلو على الاجيال شكرك مومئا اليك وأنباء الورى سور تنلى (41)

(38) حنانيك : من الشفقة والرحمة والرقّة فى القلب مصدر نائب عن فعله عامله محذوف تقديره تحنن مرة بعد أخرى ، وحنانا بعد حنان والمواخذة بالذنب المعاقبة عليه واللوم والتوبيخ وهم الرجل ما يهم بفعله وينوى القيام به ويجول بفكره عمله ، وانما يكون ذلك حسب مكانة الرجل قرب رجل كما قيل :

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر ويقال رجل هم أى ذو همّة يطلب معالى الامور ، ولكن بعض الناس تنحط همته الى ما فعل هؤلاء الجناة فهمهم لا اسفل منها .

(39) الادواء : جمع داء، المرض ، والدواء ما يعالج به المرض ، وفى الحديث (تداؤوا فان الذى انزل الداء انزل الدواء) وفيه ما فحواه : « ان لكل داء دواء الا الهرم » . والشمل ما اجتمع من أمر القوم ، يقال جمع الله شملهم أى ما تفرق من أمرهم .

وكان ابن باديس - رحمه الله - همه جمع شمل الشعب فى كتلة واحدة لان هذا ما أمر به الاسلام ونهى عن خلافه فى قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » واذكر ان ادارة الشهاب الاولى فى عدد 13 من النهج الذى يسمى اليوم باسمه فى قسنطينة كانت فيها لافتة بخط جميل وغلظ كتب فيها قوله تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » وما زالت صورتها مطبوعة فى ذهنى وفى نفسى حتى الآن .

(40) لا تأس لا تحزن ، والمأساة الفاجعة وكل حادثة تحمل على الاسى وهو الحزن وفى القرآن الكريم : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

(41) مومئا : مشيرا ، والاماء : الاشارة ، والورى : الخلق ، وقد بلغ الشاعر القمة فى هذين البيتين ووقع لهذا الرجل المؤمن كل ما توقعه له دون ان يكون قصده اثناء عمله . بعض ذلك راه فى حياته ومعظمه ما كان بعد وفاته وقد حفظ التاريخ عمله وها هى الاجيال تنلو شكره وكل حيل يومىء اليه ويعينه لمن بعده ، وكيف ينسى عمله - وان نسيه الناس - وقد كتبه الله فى الامام المبين : « انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم وكل شىء احصيناه فى امام مبين » .

وقد أصبح يوم ذكرى وفاته عيدا للعلم يحتفى به فى كامل انحاء الوطن وحيدا لو صفا هذا العيد من كل الشوائب التى تنافى جلال هذه الشخصية وجلال العلم رحم الله ابن باديس ، ورحم الله الشاعر العظيم محمد العيد .

4 - الى العلامة السلفى

4 - الى العلامة السلفى (والقصيدة من بحر الوافي) :

هذه القصيدة من نظم أحد كتاب وشعراء المغرب الشقيق الذين كانوا يشاركون بانتاجهم الادبى فى (الشهاب) وينخذونه منبرا لنشر دعوتهم الدينية وحرب التدجيل فى شعبهم وبث اليقظة والنهضة فى امتهم والتعاون مع الكتاب والشعراء الاصلاحيين فى الجزائر وقد كان لحادثة الاعتداء على الاستاذ اثر كبير ، فكتب الكتاب كثيرا مما جاء فى باب النشر ، وأرسل الشعراء بقصائدهم ننشر منها فى هذا الباب ما نعتز عليه ، ومنها هذا القصيد للشيخ محمد القرى من فاس بعث به بمقدمة قصيرة ، ونشر فى (الشهاب) 82 الصادر يوم الخميس 30 رجب 1345 هـ ، الموافق 3 فبراير 1927 م .

قالت الشهاب :

صدى الاعتداء فى المغرب الاقصى :

جناب مدير مجلة الشهاب المحترم ،

تحية وسلاما ،

الرجاء منكم ان تنشروا على صفحات - الشهاب - الاغر القصيدة التالية بمناسبة نجاة العلامة السلفى المصلح السيد عبد الحميد بن باديس من ضربة الشقى الاثيم ولكم مزيد الشكر .

وقاك الله كيد الخائنين وأخزى المبلسين الملحدينا (1)

(1) وقاك : حفظك وصانك من الاذى ، والكيد : المكر والخداع الخائن الغادر الناقض للعهد والامانة ، وأخزى : اذل وأهان ، والمبلس : من لا خير عنده ، والمتحير : لا بينة عنده من أمره ، أو من يعمل عمل إبليس ، والحد فى الدين مال عنه وطعن فيه وانتهك حرماته ، والحد فى أسماء أو صفات الله حرف فيها وبدل ، والملحد الكافر الذى ينكر الالهية ، والمراد هنا : المنحرفين عن الحق فى أسماء الله وصفاته ، والحق من دينه ولم يرد بهم الكافرين .

- ولا لاقوا من الاقلام الا طعنا يصرع المستكلبينا (2)
لقد ظنوا - وما ظنوا هباء - بأنهم سيضحوا مفلتينا (3)
وان قتلهم مرء مهين على قوم يقرون المهينا (4)
وان قتلوه لا يبكى عليه ولا يلقي حماة مثيرينا (5)
فيقتصون من ألف بظفر له ان لم يقوموا شاهرينا (6)
من الاشرار ناس دأبهم أن يعيشوا فى الاثام مشوشينا (7)
وان ضحوا على التشويش أروا هم كى يكتبوا فى المجرميننا (8)
وان راحوا بكل قبيح عار وان تابوا بلعن اللاعنينا (9)

(2) الطعان : الضرب برؤوس الرماح ، والاقلام لها رؤوس كالرماح ، وقد يكون طعانها انفذ اثرا من طعان الرماح وأقتل ، والمستكلبين : المتخلفين بخلق الكلاب ، يقال استكلب الرجل اذا نبج كالكلاب ، وفى الكلاب وفاء يضرب به المثل ، وفيها نباح يرعب ويؤذى الضيوف .

(3) ما ظنوا : ما : هنا موصل والعائد محذوف تقديره : ظنوه ، وهباء : خير الموصل والهباء : - وجمعه أهباء - الغبار ودقائق ساطعة ومنثورة على وجه الارض ، والمراد : الشيء الحقير ، مفلتين : ناجين من شر فعلهم : افلت اذا تخلص من شر . وقد حذف النون من فعل سيضحوا ولا وجه له لان الفعل غير مجزوم ولا منصوب ، والضرورة فى مثل هذا قبيحة ، وان استعملت وهى كثيرة فى العامة .

(4) مرء : رجل ، مفرد لا جمع له من لفظه ، مهين : حقير ، يقرون : يقبلون ويسكتون .

(5) ظنوا أنه لا يبكى عليه لهوانه عليهم وضعته عندهم . حماة : جمع حام من يدفع الاذى عن قومه ويحمى ذمارهم ، المنثر : القائم بالثار ، المطالب بالدم المدرك لثاره .

(6) يقتصون : يأخذون بالقصاص ويبالغون فيه لو أخذ من رجلهم ظفرا لاقتصوا له من ألف . وشاهرين : مصلتين السيوف ، يقال شهر السيوف : سله ورفعته .

(7) دأبهم : عاداتهم وشأنهم مشوشين مخلصين ، شوش الامر خلطه وصيره مضطربا .

(8) ضحوا : بذلوا نفوسهم وأرواحهم ، وشان من يفعل هذا الريح ، ولكن عاقبة من يضحي على التشويش ان يكون مكتوبا فى قائمة المجرمين .

(9) راح : جاء أو ذهب فى الرواح أى المساء وعمل فيه هذا هو الاصل ويستعمل فى مطلق الذهاب والمضى . العار : ما تلحق به مذمة ويستحى من كشفه واطلاع الناس عليه ، والقبيح مشتق من القبح وهو ضد الحسن فى القول أو فى الفعل أو الصورة . تابوا : عادوا ورجعوا .

- أولئك من يروا طعما لذيذا إذا عاشوا غواة فاتنينا (10)
 إذا قتلوا إذا سفكوا دماء تراهم فى الشقا متبخترينا (11)
 يعدون الفضيلة أن يكونوا جناة ، فى الجناة مبرزينا (12)
 يحبون المديح بكل وصف تسميهم به منتطعينا (13)
 إذا شئت امتداحهم فقل فى أمتداحهم بغاة مفسديننا (14)
 لهم فى ذاك فخر ، أى فخر وأحب أن يسموا مقلقيننا (15)
 أراح الله منهم كل شعب وأحيا المرشدين المصلحيننا (16)
 وأبقى من يصون سياجه أن يناوى من أرذال خائنينا (17)
 فكم قوم هنالك قد دعوا مسلمين ، وما هم بالمسلمينا (18)
 نعم ، قد سلموا فى دينهم فاستحقوا أن يقال مسلمينا (19)

- (10) غواة : جمع غاو . ضال منقاد للمهوى وقد يضل غيره ويغويه ، وهو الفاتن المضل لانه يوقع فى الفتنة ، ومن الفتنة الكفر والاختلاف والقتال .
 (11) من أكبر الفتنة القتل وسفك الدماء والشقاء - وقصره الشاعر ضرورة - ضد السعادة وهو الشدة والعسر ، متبخترين : ما شين مشية التبختر والتمايل والاعجاب بالنفس وهى مشية يبغضها الله الا فى ميدان الحرب امام العدو ونكاية فيه .
 (12) برز : فاق أصحابه فى عمل وسبقهم .
 (13) المنتطع المتكلف المتأنق فى كلامه المتحذلق والمتشدد فيه .
 (14) يقصد الشاعر - والله اعلم - أن براعتهم لا تظهر الا فى ميدان الغى والفساد ، وليس لهم وجه يستحقون المدح به الا هذه البراعة ! ودليل ذلك ما جاء فى البيت التالى .
 (15) أحبب : صيغة تعجب ، فعل ماض حول الى صيغة الامر ويدخل حرف الجر على فاعله تجنبا لقبح اسناد الامر الى الظاهر ، قال تعالى : « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ » أى ما اسمعهم وأبصرهم ، والمقلق : المزعج .
 (16) دعاء عليهم ، لفائدة جميع الشعوب ! وأحى دعاء للمصلحين ، والفعل فى الدعاء ماض فى اللفظ انشاء فى المعنى لان الدعاء يطلب للمستقبل .
 (17) المراد بالسياج هنا : حدود الله ، والسياج الحائط على كرم ونحوه من النخيل والاشجار المثمرة والنباتات والخضر .
 (18) كم الخبرية : يراد بها التكثير . يحسب كثير من الناس فى المسلمين ولا برهان لهم من قول أو عمل أو اعتقاد !
 (19) مسلمين بالتشديد من الاستسلام لا من الاسلام .

هم أهل المقابر والزوايا امانتهم الاله مذبذبينا (20)
تعليق الشهاب على البيت الاخير ، (بل هداهم الله وارشدهم) .

(20) نسبوا الى المقابر لانهم يلتجئون اليها ويتقربون - عامتهم - بالقربات والندور ويتمسحون عليها ، ويدعونها رغبا ورهبا ، والزوايا : جمع الزاوية المراد بها المؤسسات التي يراسها شيوخ كانت في اصلها تجمع طلبة العلم يحفظون القرآن ويتعلمون العلم على شيخ ، ثم صار الخلف يرثها عن السلف من ال الشيخ ولو لم يكن من أهل العلم والمعرفة والسلوك الصحيح ، ثم ندر في شيوخها العلماء وتراسها الجهال ، وتسربت الى المعتقدات الضلالات والجهالات ، وهذا ما انكرته الحركة الاصلاحية ، وخصوصا لما تحالف بعضهم مع السلطة الاستعمارية كما فعل الشيخ عبد الحى الكتانى بالمغرب ضد السلطان الشرعى وضد الحركة الاستقلالية .

ومع ذلك فان ابن باديس لم يقطع كل أمل فيهم ، بل كان يتخذ منهم موقف الناصح الامين ويأمل الهداية لهم ، ولهذا لم يقبل ان تكتب لهم الموت على سوء الخاتمة بل دعا لهم بالهدى والرشد ، عكس ما دعا عليهم الشاعر بموتهم مذبذبين .

الشاعر الفقيه الشهيد محمد القرى الفاسي

4 شوال 1356 هـ ،

8 ديسمبر 1937 م ،

رأينا هذا الشاعر الكبير العالم المسلم يشارك اخوانه « المصلحين » في أحداثهم بالجزائر ، ويتألم لما اصاب الشيخ ابن باديس ، ويتلهف شوقا الى لقائه ، ويعرب عن صدق عواطفه الاسلامية الوطنية . وقد كان - يوم انشاء الشهاب 1925 - في عنفوان شبابه كما كان من الذين شاركوا في تحريره وترويجه والتأثير به ، اذا كان الاتجاه واحدا والغاية واحدة ، « فقد تشبعت مجموعة من الشباب المغربي بافكار الافغانى ومحمد عبده وكان بداية انطلاقهم ، ولم تأت سنة 1925 حتى تأسست حلقات سرية بين هؤلاء الشباب بدأت تتطور وتعيش أحداث وطنها بكامل الانتباه ٠٠٠ » (1) ، وبلغت أخبارها الدولة المستعمرة - كما أشارت اليه مراسلات الشهاب - وكان ذلك بفعل وشايات خصومه - من فاس .

ومنعت (الشهاب) من دخول المغرب التي كانت محرومة من صحافة وطنية يستطيع فيها هؤلاء الشباب ان يعلنوا افكارهم ، ويثثوا الوعي الصحيح ، ويحاربوا ضلال الخرافيين والزيغ والفساد فى العقائد والاعمال ، ويكشفوا دسائس المستعمرين وأذنانهم من الجامدين والعملاء .

(1) (من ذكريات سجين مكافح ٠٠٠) للاستاذ ابراهيم الكتانى . ص 88 .
منقولة عن جريدة (العلم) .

وفى عام 1930 بلغ الحمق بالفرنسيين الى اصدار (الظهير البربرى) يعلنون فيه الغاء المحاكم الشرعية فى مساكن المسلمين البربر بالمغرب - وكانوا يمثلون 60 ٪ أو يزيدون - واحلال العادات والاعراف البربرية الجاهلية محل أحكام الشريعة المحمدية ، - ومن هذه العادات حرمان المرأة من الارث ومن كل حقوقها الانسانية التى اعترف لها بها الاسلام - وكان غرضهم من هذا « الظهير » محاولة فصل البربر عن الاسلام وعن العروبة ليسهل ابتلاعهم من النصرانية الصليبية وادماجهم فى الامة الفرنسية ، وذلك ما حاولوه فى الجزائر وأملوا ان تتحقق احلامهم ، اذ كانت بلاد القبائل محرومة من المحاكم الشرعية ، والحكم بالشريعة. وكان الشعب يفاطعها ويتحاكم الى علماء الشريعة راضيا بها وبهم، لكن الشباب المغربى الوطنى تنبه لهذه المحاولة الخطيرة ضد الاسلام ، وضد وحدتهم الوطنية فأراها فرصة مؤاتية لاعلان وجوده (ولم تأت سنة 30 حتى استطاعت هذه الجماعة السرية ان تعلن نفسها وترفع رأسها عندما دعت الى مقاومة الظهير البربرى وزج بالكثيرين فى السجن » (2) .

كانت حقا مظاهرات رائعة ، حاسمة فى القضاء على هذا المشروع الخبيث ، فقد دعت لتجمعات كبرى فى المساجد ، حيث يحلق المؤمنون ويرفعون أصواتهم بالنشيد العذب :

يا لطيف ، الطف فيما جرت به المقادر ،
ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر

وعلى صوت هذا النشيد استيقظ شعب المغرب ، وهب الى العمل الجدى ، وعرف انه لن يزول الخطر ما دام المستعمر جائئا فوق أرض المغرب ، فاشتد ساعد الحركة الوطنية السرية .

« وظهر ثقلها أكثر حينما جاءت سنة 1934 أثناء المطالبة بالاستقلال فى هذه السنة تم توسيع الحلقات السرية على أساس تنظيم الشعب فى حلقات ضمت الخرازة والدباغة والقيصرية والعطارين » (3) .

(2) المصدر والصفحة .

(3) المصدر المذكور والصفحة نفسها . وهذا القول من جريدة (العلم) ، وصوب المؤلف ان مظاهرات الاستقلال لم تقع سنة 1934 .

وجاءت سنة 1936 فانتصرت في فرنسا أحزاب « الواجهة الشعبية » وهي متألقة من أحزاب اليسار وأبرزها الأحزاب الثلاثة . الراديكالي ، والاشتراكي والشيوعي ، وظن كثير من الناس انه يمكن ان يكون اليسر واللين في معاملة العرب والمسلمين ، وهكذا سمح لبعض الأحزاب الوطنية بالظهور أو بالانشاء ، أو بالعودة الى العمل وكان هذا في تونس والجزائر والمغرب ، وسمح بالنشاط « لنجم شمال افريقيا » ثم « حزب الشعب » وفي المغرب للكتلة الوطنية . وفي تونس لحزب الدستور .

ولكن حكومة الواجهة الشعبية نفسها خيبت الآمال ، وبرهنت على ان اليسار الفرنسي لا يقل « وطنية » - أو رجعية - عن اليمين ، اذا تعلق الامر بمقاومة الوطنيين ! ففي عهد حكومة الواجهة جاء الامر بحل حزب « نجم شمال افريقيا » تم بحل « حزب الشعب الجزائري » وزج بزعمائه في السجن وقدموا الى المحاكمات وصدرت ضدهم أحكام الاشغال الشاقة ! ثم كان الامر في تونس كذلك ، وأحداث 9 أبريل 1938 معلومة . وكانت أحداث المغرب أشد قسوة وعنفًا ، وهي التي أودت بحياة هذا الشاعر الوطني الكبير .

فقد « جاءت سنة 1936 فحدث اصطدام آخر على اثر المطالبة بانشاء الصحافة » (4) . فحتى عام 1936 لم يكن مسموحا للمعاربة بصحافة وطنية يعبرون بها عن خوالج نفوسهم .

اما سنة 1937 م فان « العمل السري بدأ يأخذ طابعا أكثر فعالية ، فبعد العمل في السر وفراءة اللطيف أحست الحركة الوطنية أن الوقت قد حان لتأسيس تنظيم سياسي شعبي . . . لكن الحماية . . . وافقت على تأسيس جمعية سياسية على شرط ان تشتغل بالسياسة وتكتب في الصحف ولا تنزل الى الجماهير الشعبية . . . ولم تقبل الحركة اقتراح الحماية ، وتقرر تأسيس التنظيم السياسي بغية تعميم الوعي وتنظيمه بطريقة أكثر شمولية . . . فعلا حدث الاصطدام مباشرة بعد التنظيم الذي شهدته كثير من المدن المغربية كان أعنفها في فاس وفي القنيطرة ، وفي فاس بالضبط استمرت المظاهرات عدة

(4) المصدر المذكور .

ايام دون توقف ٠٠٠ وكان الاجماع الشعبي فوق طاقة الاستعمار ٠٠٠ لم
تمر هذه المصادمات دون انتقام وحشى من جانب الحماية » (5) .

وقعت هذه « المصادمات » بتاريخ شعبان 1356 الموافق ليوم 27 اكتوبر
1937 ، والايام الموالية له فى مدن فاس والقنيطرة وسلا ، والرباط ، ووجدة .

وجن جنون الفرنسيين فألقوا القبض على كثير من الوطنيين ، منهم آبرياء
لا ذنب لهم الا وجودهم فى ساحة الاحداث ، ومنهم علماء كبار فى جامعة
القرويين ، وعلى رأسهم الشهيد محمد القرى شاعر فاس ، ومثله اخوانه فى
العلم والانتساب الى القرويين : ابراهيم الكتانى ، وعبد العزيز بن ادريس
العمروى والفقيه رشيد الدرقاوى ، والاستاذ هاشمى الفيلالى ، والاستاذ
عبد الهادى الشرايبي ، والفقيه محمد بن عبد الله . ومنهم طلبة . وقدموا
الجميع الى محكمة القوانين العرفية . وصدرت عليهم الاحكام بعامين او عام
او ستة اشهر سجنا .

ولكنهم لم يسكنوهم السجون ، بل وجهوا بهم الى بعض معتقلات التعذيب
والتقتيل حيث سلموهم الى جنود الليف الاجنبى ، او الى جماعة « القومية »
تحت أوامر الضباط الفرنسيين وأوكلوا اليهم تعذيبهم بالتجويع والضرب
والارهاب حتى الموت .

وعندما كتبنا عن شعر شاعر فاس كنا نجهل كيفية استشهادة ، ثم
أسعدنا الحظ - اثناء ملتقى الفكر الاسلامى الثامن عشر - بلقاء حبيبه وصديقه
ورفيقه فى المحنة الكاتب الكبير الشيخ ابراهيم الكتانى الفاسى القروى ،
فاتحنا بهدية تيمنه هى كتابه النفيس (من ذكريات سجين مكافح فى عهد
الحماية الفرنسية البغيض أو أيام قولميما) وفى هذا الكتاب قرأنا صفحات
رائعة من الكفاح البطولى والمحنة المؤلمة التى تعرض لها هؤلاء العلماء الوطنيون .

يشتمل الكتاب على 190 صفحة ، فيها وصف 50 يوما من العذاب الالىم
المهين الذى تعرض له هؤلاء المجاهدون ، ودقق كيف قتل شهيدان أحدهما اتهم
زورا بسرقة رغيف . والثانى هو هذا العالم الاديب الشاعر محمد القرى .

(5) المصدر المذكور ، ص 189 ، منقولا عن جريدة (العلم) .

والكتاب نفيس جدا نال جائزة المغرب لعالم 1972 . ولا يحق - فى رأينا -
لمؤرخ يتناول عصر الوجود الفرنسى فى بلادنا الا يطلع عليه ليعرف ما كان
يلاقيه الاحرار فى سجونهم ومعتقلاته .

فى الطريق الى المجهول :

بعد اسبوع واحد من القاء القبض على المتهمين كانوا قد فرغوا من تقديمهم
أمام محكمة الطوارئ المستعجلة ، وحكم عليهم بالسجن . والمعتاد أن يقضوا
مدة الحكم فى السجون العادية يتمتعون بحقوق السجناء ، مثلما يتمتع به
سجناء الحق العام من السراق والفجرة والقتالين والمجرمين . لكن هؤلاء علماء
وفقهاء وأشراف ووطنيون ، لهذا قضت « حكمة » الاستعمار الفرنسى ان
تخصيهم بالسجن (السياسى) ! واذا كان معناه عند الامم معاملة السجن معاملة
انسانية خاصة ، تقتضيها قوانين الدول فانها عند الفرنسيين معناها معاملته
بأقسى ما يمكن بالتقتيل والتعذيب . ويتحدث الاستاذ ابراهيم الكتانى عن
أحداث اليوم الثالث من رمضان 1356 هـ 8 نوفمبر 1937 م فيقول : « عند
الزوال وقفت القافلة لتناول طعام الغداء فسمحوا لنا بالنزول ، فرادى للبول
بجانب السيارات باستعجال ، وقد شاهدت أثناء نزولى الشهيد محمد القرى
- أعلى الله مقامه فى عليين - كان يركب شاحنة غير التى اركب فتبادلنا
الاشارة بالتحية من بعيد ثم عاد كل منا الى شاحنته » .

والذين تناولوا طعام الغداء هم الحراس أو الزبانية ، اما الوطنيون فكانوا
رغم العذاب والسفر والتجويع صائمين .

ولما وصلوا الى معتقل « قالميما » اخذوا فى تعذيبهم ليل نهار ، واقتصروا
فى اطعامهم على رغيف زنته 200 غ يتناولوه من قدر على العمل ويحرمه كل
مريض وعاجز ولم يسمحوا لهم بماء نقى ، كما لم يسمحوا لهم - بالصلاة الا
داخل المعتقل - فرادى ، وبعد اسبوعين كانت الحالة قد بلغت ما جاء فى
وصف يوم الثلاثاء 19 رمضان 23 نوفمبر عن قتل برىء متهم بسرقة رغيف
قال :

حوالى الساعة الثامنة والنصف اجتمع جماعة على المتهم بسرقة الرغيف -
يضربونه حتى سقط للارض واستمروا فى ضربه حتى أغمى عليه وسالت دماء

غزيرة من أنفه وفمه • ووقف علال الاعور فوق صدره وبطنه وجعل يرفسه بحذائه الغليظ بعنف وسرعة ويتحرى مقاتله على الخصوص فيرفسها أكثر وكذلك الوجه حتى تلتطخ جسمه وسروايله واستمر في رفسه حوالى 20 دقيقة الى ان بردت أنفاسه ٠٠٠ ثم سحبوه عند جذع نخلة ، وقد طالت قامته وتفتحت عيونه على هيئة مفزعة ، وعلاه اصفرار فاقع ، واستمر على هذه الحالة اليوم بأكمله لم يتحرك منه عضو ، ولا طرفت له عين فتتحققنا نحن عن موته - وكنا - بعد ذلك نؤرخ بموته فنقول « وقع هذا قبل - أو بعد - قتل صاحب الرغبة ٠٠٠ » وقد تكررت نفس العملية في هذا اليوم مع نحو من سبعة اشخاص كلهم سحبوا بعد الضرب والرفس ، وانعدام الحركة وانقطاع النفس وسيلان الدماء ٠٠٠ ولكنهم - جميعا - قاموا من غشيتهم فأعيدوا حالا للعدو السريع والعمل الثقيل والضرب الشديد ٠٠٠ لكن صاحب الرغبة استمر في موته ٠٠٠ » •

وما انتهى النهار حتى كان عدد الذين انفكت ارجلهم أو انتفخت اقدامهم أو خارت قواهم ٠٠٠ قد قارب العشرة ممن لم يسقطوا ٠٠٠ ولكنهم عجزوا عن الرجوع الى المعتقل على اقدامهم فساروا بين اثنين يهادون ، وقد كان بينهم الشهيد محمد القرى رحمه (6) •

فى ادارة الشؤون الاهلية :

الحكام يشاركون بانفسهم فى التعذيب :

بعد يومين - أى يوم الخميس 21 رمضان 25 نوفمبر أخذ المعتذون الى ادارة الشؤون الاهلية فاستقبلهم النقيب فى مكتبه ، ومن بين من حمل اليه الشهيد محمد القرى • قال المؤلف عن هذا الحاكم :

« ٠٠٠ جعل ينادى كل واحد باسمه ٠٠٠ يحيط به جيش من الضباط وصف الضباط الفرنسيين ، ومن القوم ، وكلما أبدى حركة أو اجاب عن سؤال ضربوه جميعا ضربا مبرحا ٠٠٠ فلما وصل الى الشهيد محمد القرى - وكان قد انكسر ظهره من كثرة الضرب ، وانثنى فلم يبق يقيمه ، كما لم يبق قادرا على الوقوف ، وكان قد أتى به اليوم فى العربة مع من أتى بهم فيها ، كما

(6) المصدر المذكور ، ص 108 •

انه أتى به محمولا البارحة واليوم قبله - جعل يضربه فوق راسه بسوطه بكل قوة ، والدماء تفور من راسه كأنه نافورة قوية فتغمر ثيابنا ووجوهنا ، وهو مع ذلك لا يزداد الا ضربا . ايه ايها الفقيه (الكرى) أين جئت لتموت ، وأين دعيتك التربة لتدفن ؟ ثم تركه ودعيب يضرب الآخرين .

وقد تأثر الرقيب الكرسي لما وقع للفقيه القرى رحمه الله ، فتقدم والاسى باد على محياه واحضر قطنا وكحولا ، وجعل يمسح بهما جروح الشهيد الدامية واثرا الانفعال الشديد (7) باد ولا تظن ان هذا الكرسي انساني رحيم ، فانه هو وابنه من الزبانية وذرية الشيطان الرجيم ، لكنه وجد في الرقيب من يزيد عليه قسوة وفظاظة ولعنة ف (ر ق) قلبه الجلود ، فالحاكم شأنه ان يشكى اليه من اعتداء السجنانيين . فاذا بلغ ان يكون سجان من الزبانية **احن قلبا منه فكفاه قسوة .**

الحق هذا أم هو نوع من التعذيب :

وبينما المعذبون في احدى حصص التعذيب قال لهم الترجمان : « ان سيدي الرائد وصلته رسائل في هذا اليوم من السلطان ومن الحكام الكبار في الرباط وفاس يأمرونه فيها بمضاعفة تعذيبنا ، والتعجيل بقتلنا . وتنفيذا لذلك جمعنا لهذا المشهد الحفيل الذي سيكون فاتحة العمل الحاسم المعجل بالقضاء علينا وراحة المغرب منا ! . . . ولقد علم الله ان القلم عاجز عن وصف ما جرى على حقيقته . . . وحسبك ان تعلم ان السيد الجزائري الذي كان موطفا بقولميما قد حضر هذه العشية وشاهد ما جرى لنا فبلغ به التأثر ان انتحر حسبا قيل - او مات كمدا . قابله الله بعفوه وغفرانه » (8) .

وبعيد جدا ان يأمر السلطان محمد الخامس بتعذيب العلماء وقتلهم وقد أصابه - من بعد - من الهوان والسجن والابعاد ما أصابهم .

ويقول عن يوم 20 رمضان : (جاء الكورسيكي فوجدني في حالة سيئة فتركني مع المعطوبين ومنعنا جميعا من تناول رغيف الصباح . . . وعندما عاد أصحابنا في المساء وزع عليهم رغيف العشية وسحبنا نحن الى مغارة المعطوبين

(7) المصدر المذكور ، ص 122 .

(8) المصدر المذكور ، ص 123 .

ووزع علينا ربع رغيف عن جميع اليوم أى نحو 50 غ ، وقيل لنا ان المريض لا يحتاج الى طعام وعلى من شعر بحاجة الى الاكل ان يخرج من بين المرضى ٠٠٠ ويخرج غذا للعمل (9) .

ويقول عن اليوم السابع والعشرين من رمضان : (لم يغمض للواحد منا جفن ولو لحظة واحدة اذ كنا جميعنا فى أنين متواصل وألم شديد كامل ٠٠٠ وقد بات عند رجلى - فى هذه الليلة - الشهيد محمد القرى رحمه الله ، وكان قد أصيب فى عروق ركبته اليمنى من شدة الضرب فأضحت رجله مرتفعة الى أعلى ، بحيث لا يقدر على وضعها الى الارض وهو يود - بجذع الانف - لوضعها فيبكي وينتحب ، ويتعلق بهذا ويرجو ذلك أن يقف أو يجلس فوق ركبته عساها تنزل للارض . فاذا ما فعل زاد تألمه وأبينه ٠٠٠ والرجل لا تفتأ مرتفعة الى أعلى لا تنخفض ولا ترجع) (10) .

اغتيال القرى أو « يوم الشهيد القرى » :

يوم 29 رمضان هو اليوم الخامس والعشرون من العذاب وهو يوافق 3 ديسمبر وسماه المؤلف يوم الشهيد القرى وقال : (انه من غير شك أخذ يوم من ايام (قولميما) فلقد جاء (الولد) فأمر باخراج جميع المعطوبين كائنة حالتهم ما كانت فتكونت منهم فرقة خاصة عين لمرافقتها بعض (القوم) وتقدمها من هم أحسن حالا ٠٠٠ انهم جميعا استطاعوا السير عدا الاستاذ الشهيد محمد القرى ، فقد عجز عن الوقوف بله السير .

فما زالوا يتفنونون فى التمثيل به بكل أنواع التمثيل مدة الساعتين اللتين قضوهما فى الطريق وأظنه سار جلها حبوا على يديه ورجليه مع الضرب الشديد المتصل ، وحمل يهادى بين اثنين من رفقائه فى أقلها على ما أظن مع الضرب أيضا والرفس واللكم للقلب والانثيين والدماغ ، فلما وصل - وصل فى حالة لا تتصور ٠٠٠ اجتمع عليه طائفة من (القوم) ومعهم (الولد) - ولد الكورسيكى - وبالغوا فى تقتيله بوحشية فظيعة بحجة انه صحيح يتظاهر بالمرض والعجز ليخدع الحراس ويقلت بذلك من العمل وأخيرا تركوه فى

(9) المصدر المذكور ، ص 144 .

(10) المصدر المذكور ، ص 145 .

الهاجرة مبطوحاً على وجهه ، باسطة يديه مفرقا رجليه . بعدما انتزعوا منه
الرجيف الذى كانوا أعطوه اياه مع بقية (المعطوبين) عندما أخرجوهم ٠٠٠
والذى كان فيهم من لم ير للرجيف وجها منذ يوم السبت الماضى ، ومنهم
الشهيد - يلاحظ ان هذا يوم الخميس - .

وبعدما جلسنا للغداء تقدمت منه فسألته عن حاله ، وعرضت عليه ان
أتية بخبز وزيت فقال : انه لا يشعر بجوع - مع انه لم يأكل منذ سبعة ايام ،
ولكنه أبدى رغبته فى الشرب فسقيته وهو منبطح على وجهه اذ لم يقدر على
الجلوس . وحوالى الساعة الثالثة استأذنت الولد فى الشرب فاذن لى ، وكان
سطل الماء قريبا من (الشهيد) فنادانى طالبا الماء . وكان ذلك آخر عهدى
به » (11) .

أثناء الرجوع - ويقول عن ولد الكورسيكى (الرحيم) :

» ٠٠٠ ثم رجع يسب ويلعن ذلك القرى الذى أبى ان يسير على قدميه
زيادة فى التظاهر بعجزه وضعفه . ثم أختار اربعة منا أمرهم ان يسيروا معه
ويحملوه من يديه ورجليه . وقال لهم : لا عليكم اذا انفكت أوصاله ، أو
انخلعت عظامه .

وقد حدثنا (المعطوبون) الذين كانوا مرافقين له انه - رحمه الله - كان
عاجزا عن الوقوف وعن السير وان (القوم) تفننوا فى تعذيبه والتمثيل به
بدعوى ارغامه على الوقوف والسير .

من ذلك انهم كانوا يوقفونه بين شخصين ويجعلون الهراوة (المانقو)
تحت ذقنه ، ثم يزيلون الشخصين ويتركونه واقفا معتمدا على الهراوة ، ثم
يزيلون الهراوة من تحت ذقنه فيهوى بقوة لوجهه فيجتمعون عليه بهراويهم
بكل قوة لرأسه وظهره ، ثم يقفون على ظهره بأحذيتهم ويرفسون ويركلون
بكل قوة صائحين سابين لاعنين . وقد تكررت هذه العملية منهم هذه العشية
أكثر من عشرين مرة قبل أن يراهم (الولد) - ولد الكورسيكى - ويأتى
اليهم . فلما جاءهم ضاعفوا وحشيتهم أضعافا مضاعفة ، وجعل هو يهدد بوطئة
بسناك فرسه ويقفز من فوقه عدة مرات ٠٠٠ ومنذ حمله الاربعة الذين ذهب
بهم منا - كما أمرهم - و (القوم) يتبارون فى ضربه على رأسه وظهره
بهراويهم الغليظة حتى وصلوا به الى المعتقل فوضعوه فى مربوط الدواب .

(11) المصدر المذكور ، ص 149 - 150 .

لقد مرت بنا فى هذا اليوم الاسود المشهود حوادث جسام ، ولكن فظاعة ما وقع للشهيد فيه - رحمه الله - جعلنى أقصر الحديث فى هذا اليوم عنه (12) - وفى اليوم الموالى 30 رمضان « نقل الشهيد الى اسطبل خارج المعتقل » (13) . وفى يوم العيد (فى هذا الصباح ذهب اثنان منا لنقل (الشهيد) الى المستوصف ، وعند رجوعهما اخبرانا أنه فى النزاع الاخير .

استشهاده :

وقال عن يوم 4 شوال (8 ديسمبر) : « فى هذا اليوم أسلم الروح الشهيد محمد القرى رحمه الله ، بعدما غاب خمس ليال واربعة ايام لا نعلم ماذا جرى له فيها زيادة عما وقع بمرأى منا ...

فكان موته خسارة لا تعوض ورزية وطنية عظيمة اذ كان مؤمنا سلفيا صادق الايمان شاعرا مكثرا وكاتبا وخطيبا مؤثرا وعلامة لغويا مطلعا متبحرا ، ومكافحا متفانيا ، وكان الى ذلك ذا أخلاق دمة ، لين الجانب متواضعا محبوبا منكرا لذاته مخلصا لاصدقائه ... على انا لم نتحقق خبر استشهاده الا بعد رجوعنا من قولميما الى سجن (عين على مومن) الفلاحى » (14) اهـ .

وكانت وفاة هذا الشهيد من أسباب انتهاء محنة اخوانه ، فانهم لبشوا من بعده نحو 20 يوما فى العذاب ، ثم جاء الامر بنقلهم الى السجن المذكور وهو سجن مدنى أغلب المسجونين فيه من المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة (وقد الفطيع (15) ونقلوا - بعد ذلك الى سجن الدار البيضاء حتى أعلنت الحرب مرت بنا فى هذا السجن أهوال وفظائع ، ولكنه لا نسبة بينه وبين جحيم قولميما العالمية الثانية فى سبتمبر 1939 والذى أعلنها هو م . دالادى زعيم اليسار ورئيس الوزراء ووزير الحرب الفرنسى ، وهو الذى اعتز على الوفد الجزائرى وهدده وتوعده بأن مدافع فرنسا قوية ، فقال له ابن باديس : هنالك مدافع أقوى منها فقال : وما هى ؟ قال : مدافع الله .

(12) المصدر المذكور ، ص 150

(13) المصدر المذكور ، ص 150

(14) المصدر المذكور ، ص 156

(15) المصدر المذكور ، ص 175

صلى الاعتداء :

احساس لطيف من شاعر شريف

هذا صوت شعري نفاذ ، مثل الشعر التونسي فى أدب فاجعة الاعتداء على الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله ، وشاعرنا اليوم هو الشاعر الكبير الاستاذ صالح سويسي الشريف القيرواني .

وقد كان الشيخ ابن باديس يعتز بتونس ويعترف بفضلها وبفضل جامعتها واساتذتها عليه وعلى وطنه ، ونوه - اعترافا بالجميل - بهذا فى كل مناسبة عرضت ، وكان لكل استاذ منهم مكان فى قلبه من الاحترام والاعزاز والتكريم ، وذكر فى لسانه ، ولكنه كان يخص اثنين منهم بالذكر والتنويه ويقول : ان تعليمهما اياه تجاوزا به حد التعليم الذى يكون من مثلهم لمثله الى حد التربية والتوجيه وتكوين الشخصية .

احدهما جزائرى قسنطينى وهو الشيخ حمدان الويسى العالم الفذ والمربي الكبير ، والثانى تونسي قيرواني وهو الشيخ محمد النخلى أول من جهر بفكرة الاصلاح ورفع رايته بالجامعة الزيتونية بتونس .

واذا كان بجانب الشيخ حمدان الويسى أنه مواطن ابن باديس وبلديه ، وأول من تلقى عنه التربية الدينية والعلمية ، فان بجانب الشيخ محمد النخلى انه ابن القيروان - وأعظم بها - ذات المجد التليد فى العلم وفى التاريخ وفى العائلة الخاصة ، وانه آخر اساتذته فى العلوم القرآنية .

ان القيروان مقر الاجداد أيام عزهم ومجدهم وملكهم وسلطانهم انها مسقط رأس جده - الذى ما زال ينتسب اليه - المعز بن باديس حامى السنة وقامع البدعة وفخر الملوك والسلاطين وعاصمة آباءه وابنائهم الصيد .

لقد أشار الشاعر التونسي الفحل - بذكاء ومهارة في قصيدته - الى هذا الجانب الحساس في نفسية الشيخ عبد الحميد دون حرج ولا إحراج ولا تبجح أو تفاخر، ولا شك انه بلغ ما أراد .

والشاعر الشيخ صالح سويسي من أبرع شعراء تونس وأشهرهم في عصره ، نشأ وعاش في مدينة القيروان ، وكان فيها مثل الشيخ خزندار في تونس هما الناطقان بالشعر العربي المتين بمتانة الأخلاق والدين والوطنية يعترف لهما أدباء تونس وشعراؤها بمكانتهما المتقدمة السامية .

وهذه القصيدة التي تقدمها أرسل بها الشاعر الى مجلة الشهاب - وهو من قرائها - صحيفة رسالة رقيقة فنشرتهما في عدد 88 الصادر بتاريخ رمضان 1345 هـ ، الموافق 17 مارس 1927 م ، بعد مقدمة وجيزة، وهذا ما جاء في الشهاب :

صدي الاعتداء :

إحساس لطيف من شاعر شريف

(جاءتنا الرسالة التالية من الأديب الديني شاعر القيروان ، فننشرها شاكرين فضله ، خجلين مما وصفنا به ، لحسن ظنه ولسنا له بأهل) .

« حضرة المرشد الفاضل ، والمؤمن الكامل ، مقاوم البدع والتدجيل وواسطة عقد الاختيار في هذا الجيل أوحده الرجال ، ورافع صروح الكمال أبو العباس سيدي أحمد بوشمال أمدّه الله بروح من عنده ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فان حادث السطو الليلي على العالم المجدد ، والمصلح المفرد الأستاذ الكبير سيدي عبد الحميد بن باديس - قد أخذ رنة في العالم الاسلامي عند الافراد الذين نور الله وجوههم ، وأفعم قلوبهم بحب الخير والسعادة الى أبناء هذا الدين - .

نعم هي رنة أسف وفرح في آن واحد ، فالأسف من جهة وقسوع بعض الضرر في ذلك الجسم الذي ملئ علما واصلاحا ، والفرح لوجود عالم يصدع بالحق ويهون عليه كل ألم يحصل له في سبيل إصلاح المسلمين .

أيها المدير المصلح أرجو المذرة عن تأخير كتابتي في هذا الحادث لاني كنت حليف سقم ، وأخذت الآن في اطراف المعافاة ، فله الحمد والشكر الجزيل .

وقد نظمت الأبيات الآتية راجيا غض النظر عن الغلط والقصور .
والسلام .

دم أريق في سبيل الله (والقصيدة من بحر البسيط)

« دم جرى في سبيل الله والدين فيه المثوبة يوم العرض والدين (1)
أجر المجاهد فيه دون ما ريب في جنة الخلد بين الحور والعين (2)
من جسم عبد الحميد العبقري بدا
نجل ابن باديس نبراس السلاطين (3)

(1) دم جرى : نكر الدم بقصد تعظيمه وتفضيحه أمره فهو موصوف قوة ، والدين في صدر البيت المراد به الملة والشريعة كما في قوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » وقوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » واما في عجز البيت فان المقصود هو الدين بمعنى الجزاء كما في قوله تعالى : « ملك يوم الدين » يوم الجزاء ، وكما في قولهم (كما تدين تدان) ويوم العرض هو يوم الحشر ، قال تعالى : - في الحاقة - « يَوْمَئِذٍ تَعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ » والمثوبة : الثواب والأجر على الأعمال .

(2) دم جرى في سبيل الله : فهو دم مجاهد ، وفيه أجر من سال دمه في سبيل الله دون ما ريب يناله في جنة الخلد ، والنعيم المقيم ، الحور : جمع الحوراء وهي التي اشتد بياض الابيض من عينيها ، واشتد سواد سوادها ، والمذكر أحور ، والعيناء التي عظم سواد عينيها في سعة ، وجمعها : عين ، ومذكرها عين ، وقد مدح الله نساء الجنة بهذين الوصفين فقال : « وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ » .

(3) العبقري : منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب ، والنجل : الولد والنسل ، والنبراس : المصباح وهي سريانية ، والشاعر يزيد انه ولد المعز بن باديس وهو اشهر ملوك الدولة الصنهاجية ولد عام 398 وتوفي 454 وولى الملك بعد أبيه وهو صبي (406 هـ) ورباه الوزير علي بن أبي الرجال فنشأه على مذهب أهل السنة وكانت الدولة اسماعيلية باطنية فاعلن مذهب السنة وفرج عن العامة والعلماء ما كانوا فيه من غم وهم فانتقم منه الفاطميون بمصر لقطعه دعوتهم وأرسلوا عليه الاعراب من صعيد مصر وأقطعوهم بلدان المغرب فاجتاحوا القيروان وخربوا العمران ولكنهم عربوا الوطن نهائيا ، وكان المعز عالما أدبيا يقرب العلماء والادباء ويجمعهم في بلاطه حتى انه لم يجتمع - بعد الخلفاء العظام - من الادباء مثل ما اجتمع عنده ومن اشهرهم الحسن ابن رشيق وابن ابي الرجال والشاعر القيرواني ابن شرف .

دم بعلم وطهر صار ممتزجا بقوة العزم يجرى في الشرايين (4)
 من ضربة من خبيث الفعل ذى بدع من جهله صار مبعوث الشياطين (5)
 عبد الحميد وقاك الله من فئة تمكن الجهل منهم أى تمكين (6)
 أرضيت ربك والجهال قد غضبوا قوم تبدوا بتدجيل وتلويين (7)
 سلوا الخناجر من الجهل وأنت لهم جردت سيف علوم للملاعين (8)

نجاك ربك من أنجى بقدرته

فى ظلمة الليل - عند الضيق - ذا النون (9)

(4) الشرايين : واحدها شريان وهى العروق النابضة التى يجرى فيها الدم الاحمر فى الجسم ويقابلها الاوردة وهى التى يجرى فيها الدم المتعكر ، فالشرايين تحمل الدم المصفى الخارج من القلب والاوردة تحمل العائد اليه .
 (5) ذى بدع : صاحب بدع جمع بدعة ، وهى عبادة الله بامر مستحدث فى الدين لم يرد فيه نص من كتاب أو سنة قولية أو اقرارية ، فهو حدث مردود على صاحبه لقوله صلى الله عليه وسلم : « من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » وقد تكون البدعة فى الاعتقاد وذلك ما عليه الباطنية ومن اعتقد اعتقاداتهم ، وقد تكون فى الاعمال التعبدية وقد تجتمعان والعباد بالله ، واغلب ما يفعله دعاة التصوف جامع بين الاعتقاد الفاسد والعمل المبتدع الشياطينى هى التى تأمر بالفحشاء ، قال تعالى : « **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** » وهل أفحش من قتل نفس مؤمنة يخلد قاتلها فى النار ؟
 (6) الفئة ، الفرقة من الناس من فاوت رأسه اذا شققته أو من فاء اذا رجع . تمكن الجهل : رسخ الحق والفظاظة .

(7) تبدوا : هنا بمعنى ظهروا ، وتبدى أيضا اذا خرج الى البادية وسكن ، بها فصار بدويا ، والتدجيل : فعل الدجل وهو الكذب والتمويه واظهار خلاف ما يبطن ومنه المسيح الدجال الذى يظهر فى آخر الزمن ، والتلويين : تقديم الالوان المختلفة ماديا أو تغيير أساليب الكلام من أسلوب الى آخر .
 (8) جردوا الخناجر ، وهى جمع الخنجر بفتح الخاء وكسرها السكين أو السكين العظيمة ، فهم تسلحوا بسلاح مادي من جهلهم بينما كان سلاحك العلم والعلم غالب يسخر المادة ويذلها - والملاعين جمع الملعون المطرود عن الخير المخزى واستحقوا هذه الصفة بنص القرآن فى قوله تعالى فى القاتل : « **وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** » .

(9) ذو النون هو نبي الله يونس بن متى، أرسله الله الى أهل نينوى (شمال العراق) فكذبوه وآذوه فبرم بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتماديهم فى اصرارهم ، فذهب مغاضبا لهم قبل أن يؤمر ، وأسلم قومه لما رأوا العذاب وآمنوا بربه ، وابتلى الله يونس فالقى فى البحر فالتقمه الحوت وهو مليم فنادى ربه متضرعا ، ودعاه خاشعا فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغم قال تعالى : =

كم من دماء جرت للمصلحين وكم
قد نالهم من ضروب الذل والهون (10)

أما لكم أسوة في حيدر وكذا
نور الهدى عمر ذى البأس واللين (11)

فاصدع بارشادكم وأجهز على بدع
منسوبة - عند أهل الجهل - للدين (12)

ودم الى ملة الاسلام ناصرها والله يحرسكم بالكاف والنون (13)

ناظمها : صالح سويسى الشريف القيروانى - 1 رمضان 1345 هـ .

= « وَذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ » . وهذا وعد صادق من الله ان ينجى كل مؤمن يتوجه اليه عند الضيق والغم ، ويوجهه بدعائه مخلصا .

(10) المصلحون الذين سالت دماؤهم في سبيل الدعوة الى الاصلاح كثير من قبل الاسلام ومن بعد بعثة رسول الله به قال تعالى : « وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتْلٍ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ » وقال على بنى اسرائيل : « وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ » .

(11) حيدر : هو لقب على كرم الله وجهه ، وحيدرة الأسد فقد كان ممن قتل في سبيل الله من المصلحين أسد الله الغالب على بن أبى طالب زوج فاطمة البتول وأبو الحسن والحسين سبطى الرسل ، ولم يشفع فيه عند قاتله المخذول موافقه في نصر الله ورسوله في جميع المواقف ولم يشفع له عنده أسبقيته للاسلام ، ودفعته شقوته الى اهراق دمه ، ومن شدة شقائه اعتقاده - لعنه الله - أنه يتقرب الى الله بقتل على ، حقا انه أشقى هذه الامة كما كان احمر تمود عافر الناقة أشقى قومه ، وإما عمر فقد قتله اللعين أبو لؤلؤة المجوسى ، وكلاهما : عمر وعلى قتل عند صلاة الصبح ، عمر بمسجد المدينة ، وعلى بمسجد الكوفة ، وابن باديس اعتدى عليه وهو خارج من المسجد فله أسرة بهما ولحاق ان شاء الله بمقامهما ، وكان عمر من البأس بحيث يهابه الشيطان ، كما جاء فى الحديث ، وكان من اللين بحيث يسهر على رعيته ويحمل الطعام لنجوعى على ظهره ، ويدعو زوجته أم كلثوم بنت على لقبالة امرأة بدوية ، وتلك تربية النبوة رضى الله عنه ونون الشاعر عمر للضرورة .

(12) أجهز على الجريح : اتم قتله واتى عليه ، وقد اثر عمل الاصلاح على البدع واهلها وعلى المصلحين ان يجهزوا عليها .

(13) الكاف والنون : هما كلمة الله النافذة ، قال تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

فى ذمة التاريخ افظع حادث لشاعر السلفين وخطيبهم الاستاذ الشيخ الطيب العقبى

هذه القصيدة النفيسة هى اطول القصائد فى هذا الموضوع ، وقائلها هو
الشيخ الطيب العقبى رحمه الله وهو شاعر فحل ، وناثر قدير ، وكاتب وخطيب
وصحفى ، لعب دورا هاما فى النهضة الاصلاحية .

ولد الشيخ الطيب بجبل (أحمر خده) من قبيلة أولاد عبد الرحمن - كما
أخبرنى به الاستاذ محمود الواعى وهو ثقة - من جبال الاطلس الصحراوى
بقرب (سيدى عقبة) مدينة الفاتح العظيم - عقبة بن نافع الفهرى القرشى -
حيث استشهد صحبة ثلاثمائة وبضعة عشر من جلة الصحابة والتابعين رضوان
الله عنهم اجمعين .

هاجر الى الحجاز صغيرا صحبة عائلته أثناء حملات الهجرة التى تسبب
فيها محاولة فرض التجنيد الاجبارى على الجزائريين فى صفوف الجيش
الفرنسى لاجبار الشباب على خدمة الجيش الفرنسى ليكونوا وقود حروبهم
الاستعمارية القذرة - كما كانوا فى احتلال الطونكان (الهند الصينى) وفى
مدغشقر - أو ليكونوا دروعا لهم تقيهم هجمات خصومهم الالمان وغيرهم ،
أو لبناء مجدهم العسكرى .

ولقد قاوم الشعب فكرة التجنيد بكل وسائله الهزيلة ومنها ترك الوطن
والهجرة منه ، ولكنهم استطاعوا فرضه عليهم عام 1912 م ، ورغم قيوده
المجحفة بالجزائريين ومنعهم من تسلم مناصب الجيش العليا فقد كان فيه خير

لهم « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » لانه أيقظ الروح العسكرية في الجزائريين ودرب عددا كبيرا على فنون الحرب واحسان استعمال مختلف الاسلحة العصرية، فكان لها اثرها اثناء الثورة الفاصلة ، كما ان صنوف الاجحاف ، وأنواع الظلم والتمييز العنصرى أيقظ روح المقاومة والتفكير فى وسائلها .

ادركت أحداث الحرب العالمية الاولى الشيخ الطيب وهو بالحجاز وأثناء ذلك بدأ أعماله فى ميدان الصحافة فاشترك فى تحرير جريدة (القبلة) جريدة الامير حسين - أمير مكة المكرمة - فى عهد الاتراك (الملك حسين من بعده) . ولما انتهت الحرب وكانت مأساة الملك حسين وابنائاه عاد الى الجزائر فى بداية العشرينات 1920 واستقر بمدينة بسكرة وكان فيها طليعة نهضة فكرية عربية اسلامية بدأت نسماتها تهب على الجزائر كلها ، فكان الشيخ العقبى من مؤججها بما كان يلقى من الدروس الحية والمحاضرات القيمة ، وبما كان ينشره من مقالات نارية وقصائد مؤثرة ، وقد كان ينشر انتاجه فى (المنتقد) ثم فى (الشهاب) وفى (صدى الصحراء) ثم أسس جريدة له دعاها الاصلاح عام 1927 م .

كان الشيخ العقبى فى دروسه وخطبه ومقالاته ينهج نهج السلفين فى أحياء السنة وامامة البدعة ، والهجوم بشدة على البدع والضلالات ، والادهام والخرافات ، وقد اختار خطة الهجوم العنيف والصراحة المرة ، واثارة الخصوم أبلغ اثاره فاستفزهم واثّر كثيرا عليهم كذلك كانت مقالاته فى المنتقد وفى الشهاب من بعده .

وجاء يوم رأى الشيخ عبد الحميد بن باديس الجنوح الى استعمال اللين والدعوة بالحسنى رجاء الوصول الى صلح بين المصلحين وخصومهم فدعا الى ذلك فى مجلة (الشهاب) ووضع شروطا لنشر المقالات ، فغضب الشيخ العقبى ورأى هذه الدعوة تراجعاً عن الخطة وتقهقرا الى الوراء ، منافية لحرية الفكر ، مقيدة لانطلاق حرية القلم والصحافة فكف عن الكتابة وقاطع الشهاب ابتداء من عدد 18 حتى 75 منه .

حينئذ أعلن الشهاب رفع كل قيد وسمح بالعودة الى حرية العنف فى التعبير خصوصا بعد ان سمح الخصوم لانفسهم باستعمال أقصى وسائل

العنف واستباحوا دماء المصلحين واعتدوا على زعيمهم الشيخ ابن باديس وهو الداعى الى الحسنى، فحاولوا الفتك به وذبحه . فعاد الشيخ الطيب الى الكتابة معلنا اغتباطه مستانفا هجومه الشديد ، ثم ظهر له ان يؤسس جريدة تكون لسان حاله وسماها : (الاصلاح) بمدينة بسكرة عام 1927 م ، ولم يكن فى بسكرة مطبعة يستطيع ان يطبعها فيها فاتفق مع (المطبعة التونسية) بتونس لتقوم بطبعها ثم يوزعها بالجزائر ، وكان موعد صدورها يوم المولد النبوى 1346 هـ ، فلم تصدر والسبب ان السلطة الفرنسية فرضت عليها رخصة للطبع فى الخارج وأبت ان تسمح برواج جريدة فى الجزائر بعد طبعها فى تونس مع ان تونس كانت خاضعة لنير الاستعمار الفرنسى أيضا .

وقد طلب ان تطبع (الاصلاح) بالمطبعة الاسلامية الجزائرية بقسنطينة (مطبعة أصحاب الشهاب) فاعتذرت لان امكانياتها محدودة وكانت تطبع آنذاك كتاب (تاريخ الجزائر) للشيخ مبارك الميلى وكتاب (العواصم) لابن العربى ، وجريدة (البرق) فضلا عن (الشهاب) و (تقويم الاخلاق) لابن العابد ٠٠٠ الخ .

لكن الشيخ العقبي لم يقبل العذر وشن على أصحاب مطبعة الشهاب هجوما عنيفا وكال لهم سيلا من الاتهامات ، وبعث لهم بمقال شديد اللهجة نشره فى (الشهاب) واعتذر الشهاب أبلغ العذر ثم ضيق أصحابه على أنفسهم واتخذوا من الاجراءات ما قد يسمح لهم بطبع الجريدة وأبلغوا الاصلاح فاستغلى التكاليف بالمقارنة بينها وبين ما اتفق عليه مع المطبعة التونسية ، ولم يستطع ان يصل معهم الى حل لأنهم بينوا ان النزول الى أقل مما طلبوا سيكون خسارة محققة لا يستطيعون تحملها .

والحق ان المطبعة لم تكن تجارية بل كانت تعاني أزمة ، وقد تبين بعد شهور من هذه الأحداث عجزها عن إخراج (الشهاب) أسبوعية فتحولت شهرية، اما الاصلاح فقد تكفل بها جماعة من أهل بسكرة وعلى رأسهم الشيخ محمد خير الدين، فأسسوا شركة، واشتروا للاصلاح مطبعة، فصارت تطبع بها .

ثم ان الشيخ العقبي انتقل من بسكرة الى العاصمة ليحاضر فى (نادى الترقى) بعد تأسيسه فى الجزائر. وكان مقره حيث هو الآن بأشهر ساحات

العاصمة (الجزائر) التاريخية التي كانت تسمى ساحة الحكومة - لأن مقر الدولة الجزائرية قديما كان بها - وكانت شهيرة بساحة (العود) أى الحصان وهى المعروفة اليوم بساحة الشهداء ، وكان تأسيس هذا النادى فتحا مبينا فى تاريخ النهضة وبعد صراع داخلى تقرر تخليصه نهائيا من المشروبات الكحولية وتصب محاضرا به للدعوة والارشاد . حاضر فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وانتخب العقبي لمواصلة المحاضرات به .

وكان - فى الوقت نفسه - يلقي دروسه فى الجامع الكبير بلهجته الصريحة ، وأسلوبه الفصيح، فأقبل الناس عليه، وأثر فى الوسط تأثيرا كبيرا، وقل الفساد والسكر والاعتداء ، وكان مستشريا بالعاصمة، وانخفضت نسبة الجرائم، وفتحت العقول والاذهان، وزالت منها كثير من الخرافات والبدع والالوهام، واستعدت النفوس لما هو أعظم، وصار للحركة جمهور غفير ، وخصوصا من العمال والشباب سماه الشيخ العقبي (الجيش الازرق) لما كان يمتاز به العمال من لباس البذل الزرقاء .

فى هذه الاثناء استند ساعد الدعوة الى تأسيس جمعية للعلماء لتنظيم صفوفهم فى مؤسسة قوية تشملهم وتؤلف بينهم وتنسق أعمالهم ، وكانت الجرائد تدعو الى ذلك وتروج له ومن اعظمها بلاء فيه (الشهاب) وقد تمت الدعوة وتأسست الجمعية فى 17 ذى الحجة 1349 هـ - 5 مايو 1931 م ، وعقدت أول اجتماع لها فى نادى الترقى، وانتخب ابن باديس لرئاستها بإجماع . ولم يكن حاضرا ، وقد أبلغني الشيخ محمد خير الدين، وهو الثقة المطلع والسديد التدبير، ان تعييه كان مقصودا وباتفاق معه حتى تنجح الفكرة ويباغت بها من كان لا يرضيه ولا يقبل ان تكون قيادة الجمعية فى قوة وعلم وصلاية **وصلاح ابن باديس .**

وكان الشيخ الطيب بحكم مكانته فى الحركة الاصلاحية من أبرز أعضاء الجمعية ولسانها بالوسط الجزائرى كله ، وقد كانت الجمعية فى عامها **الاول تجمع** كل من يصدق عليه لقب (عالم) بالجزائر - عرفا - فجمعت **بين الاصلاحيين والطرقين .**

وسرعان ما تفتنت الادارة الاستعمارية لخطورة تكتل العلماء فى جمعية واحدة على رأسها ابن باديس وحزبه الاصلاحى، فأخذت تدبر المكائد ضدها بقصد الاستيلاء عليها كليا وتسخيرها لأغراضها الخسيسة، أو بتشتيت شملها

– على الأقل – وتمزيق وحدتها ، وأحداث الفتنة – أو الحرب الداخلية – بين أعضائها أبقاء للفتنة بين المسلمين وهذا ما توصلت اليه ولعب فيه م . ميرانت مدير الشؤون الأهلية بالحكومة العامة للجزائر دورا كبيرا بمساعدة عمر اسماعيل والعلويين، وكان ميرانت من أشد الناس حقدا على الاسلام وازدراء وتعديبا للشعب .

ثم أخذ الضغط الاستعماري على الحركة – خاصة – وعلى الامة عامة يشتد، ومن ذلك ان والى الجزائر أصدر قرارا يمنع الشيخ منلقاء دروسه العلمية بالجامع الكبير ، ووجهت تعليمات من الولاية العامة ان يمنع العلماء الاحرار – والمراد بهم أعضاء جمعية العلماء – منلقاء دروسهم ومواعظهم فى المساجد الرسمية ، وسئل ابن باديس عن رخصة التعليم فى الجامع الاخضر . وكان لهذا القرار وقع القنبلة الشديدة الانفجار ، فانه تسبب فى أول نزول من الشعب الى التظاهر فى الشوارع ، فعمت فى أعظم المدن – من أقصى الشرق الى أقصى الغرب عام 1934 م – مظاهرات صاخبة ، ثم كانت السبب فى إقبال الامة على بناء المساجد الحرة والنوادي ، يخطب ويعلم ويحاضر فيها هؤلاء العلماء،مما جعل اليقظة عامة شاملة ، وهذا ما دعا المؤرخ الفرنسى شارل اندري جوليان ان يقول فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) ما فحواه : (ان العلماء هم الذين ايقظوا الراي العام الأهلي ، وكان كمحكوم عليه فى بيت ينتظر الإعدام) .

ومنع منع العلماء من حرية الدعوة فى المساجد أخذت فرنسا فى منعهم من حرية الصحافة والتعبير عن أفكارهم بالكتابة،فعطلت جرائدهم (السنة) ثم (الشريعة) ثم (الصراط)، واتخذت قرارا حاسما تعتبر فيه اللغة العربية لغة أجنبية فى الجزائر، والتعبير بها يحتاج الى إصدار رخصة مسبقة لابد منها، وهكذا أصبحت الجمعية محكوما عليها بالعجز عن اصدار أية جريدة جديدة ، ولما جاءت الواجهة الشعبية – منتصرة فى الانتخابات الفرنسية – الى الحكم علقت عليها آمال كبيرة نظرا لما اشتهر به اليساريون من حسن كلام ، واصدار وعود طالما كانوا خارج الحكم .

وذهب م . ميرانت وخلفه فى منصبه م . ميو وهو مستشرق وأستاذ قانون فحاول ان يلين دون ان يغير الغاية كما نبين من بعد وصار يود الاتصال

بالعلماء ويعقد روابط خاصة بالشيخ العقبي ، كما افسح المجال للحركة الوطنية لتنتشر بالجزائر - بعد قيام حكومة الواجهة الشعبية - لانها لم تكن بعيدة عن منظماتها اليسارية قبل انتصارها فى الانتخابات . أما فى الجزائر فكانت الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) منذ نشأتها سرية أبدا بينما كانت فى فرنسا جهرية آنا ، وسريا أحيانا .

وكان حلول الحركة الوطنية والسماح لها بالانتشار فى الجزائر سنة 1936 نعمة عظمى وفرصة كبيرة للأجهاز على البدع والخرافات ، والتأخر الفكرى والتخلف الثقافى ، والاسراع بالاصلاح الدينى ، غير ان الشيخ العقبي لم يقدر الموقف حق قدره ولم يحسب له حسابه الصحيح، وعوض ان ينسق أعماله مع الحركة الوطنية ويسايرها ويتعاون معها ويعتبرها حليفا قويا صالحا لانتشار الدعوة، ويتجنب كل نكسة، عوض ذلك اصطدم بها وانكر عليها ما لا ينكره مسلم وطنى رشيد يدرك ان الغاية المرجوة هى التحرير الكامل للشعب فى كل مناحى حياته الدينية والدنيوية ، الروحية والمادية ، السياسية والاقتصادية ، المالية والثقافية .

والحق انه لا يتحمل مسؤولية الصدام وحده ولكن يتحملها معه قوم آخرون خابوا - من بعد - فى الامتحان يوم جاءت الثورة التحريرية الكبرى، فحملتهم الأنانية وحب الذات والتهالك على الزعامة والرئاسة بكل ثمن على التنكر للمبادئ ، والاصطدام المسلح بالثورة وقتل المناضلين .

وان كان هذا لا يعفى الشيخ العقبي من تحمل مسؤوليته كاملة أمام التاريخ ، فان من كان مثله من العلماء كان من واجبه ان يكون عمله لله خالصا، لا ينتظر عليه جزاء ولا شكورا الا من الله ، وان يعرض عن كل أنانية وحب الذات « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

والحق ان الشيخ العقبي لم يكن فى (سياسته) فى مستوى مقامه الدينى كما برهنت عليه الايام ، وذلك ان فرنسا انتهزت هذا الضعف فيه ودبرت ادارتها مكيدة اغتيال مفتى الجزائر الشيخ محمود بن كحول (ابن دالى عمر) ثم سلطت تهمة الاغتيال على الشيخ الطيب ، وعلى المسلم الغيور السيد عباس

التركي محمد واعلى بانهما دبرا الاغتيال ، وسلحا القاتل ، وبلغت الوقاحة بهذه الادارة الى درجة القاء القبض على الرجلين والزج بهما فى السجن ، ولكن القاتل أو المعترف بالقتل تراجع عن أقواله أمام قاضى التحقيق عندالمكافحة بحيث لم يبقيا فى السجن سوى سنة أيام .

لكن كان لها الاثر الفظيع على اعصاب الشيخ العقبى الذى خرج من السجن بغير ما كان يعهد فيه ، وصار يمكن ان تترك عروض الاستعمار اثرها فيه وينخدع للأعبيها ، ففى عام 1938 م ، كانت الازمة التى هددت بنشوب الحرب العالمية بين ألمانيا وحلفائها من جهة ، وبين فرنسا وحلفائها من جهة أخرى ، وفى مثل تلك الازمات كانت الادارة الاستعمارية تخلق موجات من الرسائل والبرقيات والخطب والتصريحات تعرب عن تأييدها ، وتقديم شواهد الاخلاص لها باسم الامة .

وطمعت ادارة م.ميو،الذى كان له يد كبرى فى قضية الاغتيال،فى برقية من جمعية العلماء تعرب بها عن شواهد الاخلاص لفرنسا،وأعزت بها الى الشيخ العقبى ليعرضها فى اجتماع لمجلس ادارتها الذى يسبق - عادة الاجتماع العام من كل سنة ، وكان الشيخ ما زال تحت رحمة محاكمته بتهمة التحريض على قتل المفتى وبطلب من القائم بالحق الشخصى .

ولما عرضها على المجلس صرح الرئيس ابن باديس رحمه الله (ان اليد التى تمضى هذه البرقية يجب ان تقطع قبل إمضائها) وأيده فى موقفه هذا إخوانه،وهدد العقبى بالاستقالة فلم يعبأ به ، ثم خرج الامر الى الاجتماع العام فصرح ابن باديس بقوله : (والله لو قطعوني إربا إربا ما امضيتها) وكان الاجماع التام على تأييد موقف ابن باديس واخوانه،واستنكر تقديم أى تأييد لموقف فرنسا التى كانت جلاد الشعب وعلى وشك تجنيد مئات الآلاف من شبانه للحرب .

ونفذ الشيخ العقبى تهديده وقدم استقالته من الجمعية التى شارك فى تكوينها ، واشتهرت به واشتهر بها،وكان ذلك فى صائفة عام 1938 م ، وذلك بعد أيام قليلة من تجديد انتخابه .

ثم جاءت الحرب واعلنت فعلا فى 3 سبتمبر 1939 م ، وكان لجمعية العلماء صحفها،واعلنت الرقابة على الصحف،وصارت مجبرة على قول ما لا تريده

ولا تستطيع قول كل ما تريده ، عندئذ قررت جمعية العلماء ان تغلق صفحتها، وقد سمعت باذني الرئيس ابن باديس يقول ما فحواء : (ان قلنا ما يحب الله ورسوله ويرضى الامة غضبت فرنسا وسخطت ، وان قلنا ما تحب فرنسا وترضى عنه اغضبنا الله ورسوله ولم يرض الشعب ، لهذا قررنا السكوت) لكن فرنسا لم ترض عن هذا السكوت وحنقت عليه أشد حنق لانها كانت تود ان تنتهز الفرصة وتجذ أقلام العلماء تطبل وتزمر لها وتمجد أعمال ساستها وقادة جيشها وتهاجم بحق أو بباطل خصومها ، فكان تقرير السكوت ضربة (معلم) لمكيدتها فجن جنونها وأرسلت الى الشيخ مبارك الميلي - وهو رئيس تحرير البصائر لسان حال الجمعية - تطلب منه ابراز (البصائر) فقال : (انها ليست جريدتي الخاصة ، انما هي جريدة الجمعية ولا يستطيع ابرازها الا بقرار منها فقالوا له : قدم استقالتك لنا ؟ فاجاب : بأى صفة أقدم الاستقالة ؟ اذا احتجت الى تقديم استقالتى فانى اقدمها لرئيس الجمعية ابن باديس) .

فالتفتوا الى الشيخ العربي التبسي الامين العام لجمعية العلماء وطلبوا منه ان ينلي اليهم بتصريح لفائدة فرنسا وحلفائها فقال : ليس لى حق فى الادلاء بأى تصريح باسم جمعية العلماء ، ان ابن باديس هو وحده يملك الحق فى مثله ، فقليل له : انك الكاتب العام للجمعية ! فقال : ذلك يوجب علي كتابة جلساتها وحفظ دفاترها ووثائقها !

حينئذ تذكرت الادارة الاستعمارية ان هنالك من يستطيع ان يتكلم باسم العلماء وحزب المصلحين فى الامة ، وكان منذ عام مستعدا ان يماشىها فى موقفها السياسى وان يقدم لها - باسم الامة - شواهد الاخلاص .

وهكذا رجع الشيخ العقبي الى ميدان الصحافة وأخرج جريدة (الاصلاح) فى شهر ديسمبر عام 1939 م ، وبعد ان اختفت عن الظهور ما يزيد على عشر سنوات. واذا كانت الاصلاح أيام بروزها فى بسكرة لا تجد من يطبعها فانها فى عام 1939 م. لم تجد من يقرأها. ومن الحق ان نقول انها وجدت العون الاكبر فى ابرازها وتدبيج المقالات الطويلة فيها من قلم قضى كل أيامه فى زعمه فى (حياة كفاح) وكان الاصل والفصل فى كل حركة أو فكرة أو ثورة

فى الجزائر ! لقد تعاون الشيخ توفيق المدنى مع الشيخ العقبى تعاونا كاملا فى تحرير جريدة الاصلاح فى عهدهما الجديد، بينما أبى العلماء ان يكتب أى واحد منهم كلمة ترضى فرنسا .

ولم يلبث ابن باديس الا قليلا بعد نشوب الحرب وبرز (الاصلاح) - ولحق بربه - فوسوس الشيطان لهم أن يكافئوا الشيخ على تضحيته ، وان يكونوا واسطة فى تربعه على رئاسة جمعية العلماء، فاتصلوا بالمشائخ: الميلي والتبسي وخير الدين يطلبون منهم أن ترجع الجمعية عن سياسة ابن باديس الانفصالية ، والمجافية لفرنسا، حسبما اعلنته كلمته الصريحة وحسب سكوت صحفها عن التعاون معها .

وعرضوا عليهم - ان قبلوا بتغير سياستهم وتنكرهم لسياسة ابن باديس ان يقبلوا ان يكون على رأسهم - خليفة لابن باديس - الشيخ الطيب العقبى . وقد حدثنا بمثل هذا من رواء عن الشيخ مبارك الميلي ، كما رويته مشافهة عن بعض رجال جمعية العلماء وكبار مؤسسيها، وما يزال بالحياة، اطال الله بقاءه .

ثم آل الامر أخيرا بالشيخ الطيب الى ان يكون بجانب الطريقين ضد اخوانه العلماء المصلحين ! كما آل امر الشيخ الزاهري قبله، حذوك النعل بالنعل، منذ عام 1938 م .

ولا أقول هذا الكلام جزافا ، فقد جاء عام 1947 م ، الى مدينة قسنطينة مظاهرا لأحد أرباب الزوايا الذى كان يعارض دخول العلماء للتدريس فى الجامع الكبير .

ففى أواخر عام 1947 م ، أسس العلماء (معهد عبد الحميد بن باديس) للدراسة الثانوية ، وأرادوا أن يدخلوا الجامع الكبير للتدريس فيه ، فسخرت الادارة الفرنسية أعوانها للمعارضة فى ذلك وجاءت بشيخ الزاوية هذا من (وادى سقان) ليظهر معارضته واحتياجه للمسجد ، وأعلن عن عقد اجتماع كبير يعقد فى الجامع ويحضره العلامة الكبير الشيخ الطيب العقبى ! وبالفعل لما افتتح الاجتماع جاء هذا الشيخ وبجانبه الشيخ العقبى يظاخره ويشد أزره مستعدا ليلقى فى الشعب خطبة رنانة !

ولكن الشعب هاجت عواطفه ، وما ان بدأ شيخ الزاوية فى الكلام حتى علت صيحات الانكار من جميع الجهات ، وعلا الضجيج وتعذر متابعة الاجتماع، وأخرج الرجلان تحت حماية العقلاء من رجال الاصلاح حتى لا يلحقهما أذى الجموع الهائجة .

وكان ذلك نفس ما حدث للشيخ الحافظي سنة 1933 م ، فى مسجد عنابة وهو خاتمة وجود (جمعية علماء السنة) وقد ذكرناه فى مكان آخر .

والحق ان هذا ضعف لازم للشيخ العقبى - عفا الله عنه - فى اطواره الاخيرة ، ان يصانع الادارة الفرنسية ويماشى اغراضها ولو بمجافاة اخوانه ومصالحة خصومه، ولا نقول انه رجع الى عقائد الطرقية وبدعها وخرافاتهما ، كلا، ولكنه كان يلتقى معها فى مسألة الادارة الفرنسية ، وحتى بمناوأة الاتجاه الوطنى المعادى لفرنسا ، فهذا مما يسر عليه التصادم مع الحركة الوطنية ولازمه الى آخر حياته .

ففى عام 1956 م ، والثورة فى اشدها جاء صحفى من باريس نائبا عن جريدة العالم (لومند) وطلب مقابلة صحفية مع الشيخ العربي التبسي رحمه الله ، وكنت بجانبه فى مركز جمعية العلماء، فاستشارنى فى الامر ، فقلت له : لا أرى ان تسمح له بهذه المقابلة ولا ان تعطيه حديثا فانك لا تستطيع ان تقول ما تريد، وذكرته بمثل ما قال الشيخ ابن باديس عند ما قرر ان تسكت جرائد الجمعية، وانه لا يضمن ان يقوله الصحافى ما يشاء - وليس ذلك ببعيد - وحينئذ فانه لا يستطيع ان يكذب ما ينسب اليه ولا ان يصلحه .

وكان ذلك هو نفس ما يراه، واتفقنا عليه، واعتذر الشيخ عن لقائه . وبعد أيام اطلعنا على حديث طويل عريض فى نفس الجريدة أدلى به الشيخ الطيب ، وانتسب - مع الاسف - للعلماء، وزعم الصحافى ان العلماء انقسموا بعد قيام الثورة ، فمنهم الذين ذهبوا الى القاهرة أو الى بعض العواصم العربية ، ومنهم من بقى بالجزائر واتخذ موقفا مناسباً لفرنسا كالشيخ العقبى ! وقد وجد فى كلامه ما يبرر به قوله الاخير .

ويظهر لى من تصريحات الشيخ العقبى وبعض مواقفه انه كان مؤمنا بقوة فرنسا الرهيبة ، وبقلة جدوى معارضتها بالقوة والعنف ، وانه يمكن الوصول

الى الحصول على الحقوق منها بالحسنى واللين ! وانه كان لا يرى تناقضا بين الرضى بالجنسية الفرنسية والاسلام، وهذا ما كان يختلف فيه مع جميع اخوانه العلماء ، ومع مواطنيه من رجال الحركات الوطنية .

ويوم نسبته جريدة (العالم) الى جمعية العلماء وحسبته منهم كان قد مر على استقالته منها ومفارقتها بارادته ما يزيد عن 18 عاما من عام 1938 الى عام 1956 م ، ومع ذلك فهو عندهم ما يزال من (جمعية العلماء) عند الحاجة اليه طبعاً !

اما الشيخ العربي رحمه الله فقد رأى ما فعله ذلك الصحافى فى مقابلته للشيخ العقبى وهو ما كان حريا ان ينسب اليه لولا ان ثبته الله، وقد بقى تابنا صابرا حتى القى عليه القبض يوم 4 أبريل 1957 م ، ولم يظهر له أثر . فهو من الشهداء الابرار .

واما الشيخ العقبى فقد عاش الى ما قبل فجر الاستقلال وتوفى حثف انفه عام 1961 م ، واذكر اننى رأيت نعيه فى مجلة كانت تصدرها الاذاعة الجزائرية ووصلت الينا فى سجن تازولت الرهيب . رحمه الله وعفا عنا وعنه .



قالت جريدة الشهاب في عددها 83

الصادر في 7 شعبان 1345 هـ ،

- 10 فيفري 1927 م -

في ذمة التاريخ افطع حادث

(والقصيدة من بحر الكامل)

لشاعر السلفيين وخطيبهم العلامة الاستاذ الشيخ/الطيب العقبى ونشرت
في (الشهاب) الصادر في 7 شعبان 1345 هـ (الموافق 10 فيفري 1927 م) .
عبد الحميد النصر قد وافاك رغم المنافس والذى عاداك (1)
واصلت سيرك مرشدا ومعلماً ولسوف تُحمد بعدها مسراكا (2)

(1) عبد الحميد : منادى باسقاط حرف النداء ، وهو مقيس من المنادى
القريب ، وافاك : جاءك وادركك وفاجأك رغم المنافس على كره منه وقهر وغلبة
وذل ، والمنافس المبارى المغالب ، المزاحم : الحاسد ، وعاداك : خاصمك
وباعدك وصار لك عدوا ، والتحاسد مذموم ابداً ، والتنافس فى الخير محمود
« وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » *

(2) واصلت : تابعت وواظبت من غير انقطاع مرشدا ومعلما : حالان
والمرشد الداعى الى الرشيد ، الدال على طريق الهدى ، والمعلم الذى يجعل غيره
عالما بالشيء يعرف حقيقته ، والتعليم اشرف عمل يباشره الانسان وهو وظيفة
الرسول ، قال صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت معلما » وفى شعر شوقى :

قم للمعلم وفية التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا
أعلمت اعظم أو أجل من الذى بيني وبينى أنفسا وعقولا
سبحانك اللهم خير معلم علمت بالقلم القرون الأولى

وقوله تحمد مسراكا : ترضى عن مسراك ، والمسرى مصدر ميمى ، ويأتى أيضا
اسم مكان واسم زمان من السرى وهو السير ليلا فى طلب الحاجة ، وفى
المثل : (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضرب لاحتمال الشدة رجاء الرخاء .

انى رأيتك للزعامة أهلها والكل للنظر السيد يراكا (3)
 ان كادك الاعداء يوما أو سطوا فالله جل جلاله يراكا (4)
 ما شوخوا لك سمعة كلا، وان قصدوا بذاك الحط من علياكا (5)
 أو ضجوك بذلك الدم واعتدوا فلقد أقاموا أمة تهواكا (6)
 هاجوا العواطف كلها فتحركت فقلوبنا بالعطف لا تنساكا (7)

(3) راي هنا بمعنى علم ، والزعيم : الرئيس والسيد والكافل الضامن ،
 وفى سورة يوسف : « **وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ** » بمعنى : كافل وضامن ، وفى الزعامة
 بمعنى الرئاسة مسؤولية ثقيلة وكل من طلبها وتهالك عليها لا يحصل عليها
 أو لا تهنا له اذا حصل عليها ، وكان ابن باديس رحمه الله من ازهد الناس
 فى الزعامة وطلبها والسعى اليها ، ولكنه لما انتخب اليها رفع رايته وآمن
 انها وجبت عليه فقام بها واعتبرها تكليفا لا تشريفا . ادخال (ال) على كل
 وبعض لا يصح عربية فصيحة لانهما ملازمتان للاضافة ، والتنوين معاقب
 للاضافة - فيهما - ولكن الاستعمال شائع كما فعل الشاعر ، والسديد :
 القويم الصائب .

(4) كادك الاعداء : مكروا بك وخدعوك ، والكيد : الارادة بالسوء ، قال
 تعالى : « **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا** » وقال : « **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
 الْخَائِنِينَ** » سطا عليه : يستطو وسطا به : وثب عليه واخذه بقوة وقهر . جل :
 عظم وتنزه وترفع ، وجلاله : عظمته ، يراك : يحميك ويحفظك ويدبر أمورك
 (5) شوه : قبح ، والشوه القبح ، والمشوه القبيح الشكل ، والشوها
 المرأة الملبسة القبيحة الوجه ، و (كلا) كلمة ردع وزجر ، وعلياك ممدود قصر
 للضرورة وذلك كثير فى كلامهم .
 (6) ضجوك : لطمخوك ، قال المهلهل :

لو بأبائين جاء يخطبها ضرج - ما - أنف خاطب بدم
 أى ضرب على أنفه ولطمخ بدمه . أقاموا : أثاروا ، تهواك : تحبك ، والامة :
 الطائفة من الناس وتطلق على الذين تجمعهم صفات خاصة بهم كما فى قوله
 تعالى : « **وَلَنَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** »
 وقد تطلق على مطلق الجماعة حتى من غير العقلاء كما فى قوله تعالى :
 « **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ** » وجاء اطلاقها
 على مفرد : « **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا** » وفى الحديث ان زيد
 ابن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد رضى الله عنه يبعث أمة وخده ، واما
 (الامة) التى تجمع الشعوب العديدة بجامعة الدين واللغة والوطن والعادات
 والتاريخ كالامة العربية اليوم فهو اصطلاح حديث ، لهذا ، يصح ان يقال :
 الامة الجزائرية ، والتونسية ، والمصرية الخ . . . والاهانة لا تكون بالسطو
 بانسان واصابته فى بدنه واسالة دمه أو قتله ، فان ذلك وقع لاشراف الناس
 « **وَكَاثِبِينَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرًا** » .

(7) هاجوا : أثاروا ، والعواطف : جمع العاطفة : الشفقة والرحمة والحنان
 والعطوف المحسن الشفوق .

تعسا لهم فى جهلهم وضلالهم ولكل من فى الحق قد ناواكا (8)
 خطت دماؤك صفحة بيضاء شا هدة بأنك حامد عقباك (9)
 أدموك يا رجل الثبات وقبلها أدمى الشرار الرسل والنساكا (10)
 هى حلة الشرف الرفيع لبستها حمراء صافية فجر رداكا (11)
 وافخر وسر نحو العلا متقدما تطأ المعاند - دائما - نعلكا (12)

(8) تعسا لهم : هلاكا لهم وشقاء ، أتعسهم الله أهلكتهم يستعمل فى الدعاء بالشقاء والهلاك وهو منصوب على انه مفعول مطلق نائب عن فعله ، قال تعالى : **« والذين كفروا فتعسوا لهم وأضل أعمالهم »** ناواك : عاداك وعارضك .
 (9) العاقبة : آخرة كل شىء كالعقبى . والعبرة بالخواتم ، قال تعالى : **« وللآخرة خير لك من الأولى »** وقد صدق العقبى فيما توقع لابن باديس ، فانه منذ هذه الحادثة وسمعتة فى صعود حتى انتصرت الامة بانتصار مبادئه ، وتحرر وطنه .

(10) كان ابن باديس حقا ثابتا صابرا مؤمنا بحسن العاقبة ، والشرار : جمع الشرير جامع الرذائل والخطايا ، هم شرار وأشرار وأشراء ، والنساك : الزهاد العباد المنقشفون ، والنسك العبادة ، والمناسك العبادات وأفعال الحج وأماكنها ، وقد قتل الاشرار يحيى ، وأدموا محمدا صلى الله عليهما ، ومن أشهر الاشرار بنو اسرائيل الذين قال الله فيهم : **« ويقتلون النبيئين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس »** .

(11) الحلة : كل ثوب جديد ساتر للبدن ، وكان الشيخ الطيب يشير الى قول أبيه (أبى الطيب) :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم !
 وقوله : جر رداك : يريد افتخر وازه بما حصل لك ، وجر الرداء يكون من المختال المزدهى ولا يحسن ذاك الا فى ساحة القتال أمام العدو ، وقد رأى هذه المشية رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى دجاجة يوم احد فقال : **« انها لمشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الوطن »** قال تعالى : **« ولا تمش فى الارض مرجا ان الله لا يحب كل مختال فخور »** والشيخ لا يقصد هذا ولا يقصد منه هذا ، وانما هو قول الشاعر ، ويسوغ من القول للشاعر ما لا يسوغ لغيره وعليه يحمل ما يأتى .

(12) افخر تباه وتمدح بالخصال الطيبة والمكارم فيك وفى أهلك واذكر فضلك على غيرك والتفاخر على الناس من مكاره الخصال وقد ذمه القرآن وخصوصا اذا أدى الى التعالى على الناس واحتقار الغير قال تعالى : **« انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد »** وقال : **« ان الله لا يحب كل مختال فخور »** والشاعر يريد أن يذكر محامد بحق إذ أعلاها القيام بما يرضى الرب . وطء المعاند : دوسه وطء الشىء برجله داسه ، ووطأ الشىء سهله ، ومن ذلك تسمية مالك كتابه (الموطأ) لقول أبى جعفر المنصور له (وطنه توطئة . والمعاند من يمارى فى الحقائق ويأبى =

أسست خير جريدة تدعو الى دين الهدى وتحارب الاشراكا (13)
 فاستصرخوا ودعوا ثبورا ويلهم والكل بالافك المبين رماكا (14)
 ان تنقدوا طرق الضلال فلم تكن فى النقد كذابا ولا افاكا (15)

= قبول الحق بعد ظهور البرهان فهو لا يجهل الحق ولكن يأباه كما قال تعالى :
 « وَجَعَدُوا بِهَا **وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** » والنعل : الحذاء وما وقيت
 به القدم من الارض ، والكلمة مؤنثة ونعل للدابة طبق من حديد أو جلد يوقى
 به الحافر ويكون كالنعل للمقدم .

(13) أسس ابن باديس جريدة (المنتقد) وخرج العدد الاول منها يوم
 عيد الاضحى 1343 هـ وبعد 18 عددا منها عطلتها فرنسا فاخرج (الشهاب)
 وأعلن فيها دعوة الحق ومحاربة الدجل والخرافات والفساد الدينى والعقائدى
 والخلقى والاجتماعى وكان يعمل لليقظة ووصول الامة لحقوقها السياسية
 وشعاره : (الحق فوق كل احد ، والوطن قبل كل شئ) . دين الهدى ، دين
 الرشيد وهو الاسلام الصحيح نقيما كما جاء به الرسول ، والاشراك بالله
 اعتقاد أن مع الله شريكا فى اسمائه أو صفاته ، ومن مظاهر ذلك دعوته
 والتقرب اليه واعتقاد جلب النفع ودفع الضرر - بما وراء الاسباب - وكان كثير
 من الناس يعتقدون فى القبور واعلمها ما كان يعتقد اهل الجاهلية فى اوثانهم
 وحتى اهل الجاهلية لم يكونوا يتقربون لالهتهم الا لتقربهم الى الله كما جاء
 فى قوله تعالى حكاية لقولهم : « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** » لهذا شبه
 المتأخرون بالمتقدمين لتشابه الاعمال .

(14) استصرخوا : استنجدوا واستغاثوا من الصراخ وهو رفع الصوت
 بالنداء والصريخ المغيث والمستغيث أيضا . الثبور : الهلاك والويل ، ويقول
 ذلك من اصابته مصيبة شديدة ، وقد قصى الله حالة أسل النار أنهم اذا سمعوا
 زفيرها وشهيقها وتغيظها « **دَعُوا هَٰذَاكَ ثُبُورًا** » فقال : « **لا تدعوا اليوم ثبورا**
واحدا وادعوا ثبورا كثيرا » لشدة ما يلحقون من العذاب يدعون على أنفسهم
 بالهلاك فلا يجدونه ، والويل كلمة عذاب ينطق بها عند الشر ويدعى بها على
 من وقع فى الشر ضد كلمة ويح . والافك : الكذب المبين الواضح . ورماك :
 اتهمك بالباطل ، ومن ذلك رمى المحصنات : قذفهن والكذب على اعراضهن .

(15) نقد الشيء النظر فيه لتمييز جوده من رديئه ومن ذلك نقد الدراهم
 لمعرفة صحتها من زيفها ، ونقد الكلام أظهر ما فيه من حسن أو عيب ، وانما
 يكون الناقد محمودا اذا كان خيرا بما ينقده يعرف جوده من رديئه ، أمينا
 فى حكمه ، يقول الحق للحق ولا يبالى ولا يمارى ولا يدارى ، منصف من
 نفسه . وكان ابن باديس رحمه الله منصف كثيرا ما ينشر فى صحيفته نقد
 خصومه له ، فان وجد حقا أذعن ، واعترف به وأن وجد باطلا فند ، ولم يكن
 كذابا . والضلال هو الانحراف عن الطريق السوى والجادة المثلى الى التيه .
 وذلك مما يعرض الضال التائه الى الهلاك ، وهذا شأن من خرج فى دينه عن
 كتاب الله وسنة رسوله ، والكذاب صيغة مبالغة من الكذب من يخبر بغير
 الحقيقة ، والكذب خلق ينافى الايمان وهو من أسوا ما يتصف به الانسان ، =

أو تحتقر تلك الجموع فكلهم أهل رب العالمين لذاك (16)
 هذا هو العمل العظيم مثوبة وأجل ما قد قدمته يداك (17)
 يا ويحهم ماذا جنوا بصنيعهم لو يعقلون تطلبوا لرضاكا (18)
 لم يغضبوك بسطوهم بل أغضبوا رب السماوات العلا وأباك (19)

= وقد يستهين به أول الامر ثم يستمر فيه وما يزال يعتاده حتى يكتب عند الله كذبا ، وفي التنزيل قوله تعالى : « **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَلْبُ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** » والافاك الكذاب ، والافك والكذب .

(16) احتقر الشيء هان عنده وصغر وذل فاعرض عنه ، والحقارة الذلة والهوان والشاعر يريد باحتقاره عدم المبالاة بهم واعتبارهم من الاشياء التي تعوقه عن مضيه في أمره فهم عنده أهون من أن يصدوه عن أغراضه ، وهذا شأن المعتز ولا اعز ممن اعتز بالله وربما أشار الى قول الجاهلي :

نحن الاولى ، فاجمع جموع عك ثم وجههم اليينا
 وأحق الناس بالاحتقار من عدل عن استعمال سلاح البرهان الى استعمال سلاح الخناجر والدبايس .

(17) مثوبة : ثوابا واجرا وجزاء ، ثوبه من كذا عوضه وجزاه ، أجل أعظم وأكبر قدمته يداك : فعلته في دنياك لتجده في آخرتك وهو تعبير قرآني : « **يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ** » وأعظم ما يتربص المرء من مولاة أن يجاهد في سبيله ويسيل دمه ويذهب ماله فيثاب عليه .

(18) ويح : كلمة ترحم وتوجع تقال عند الاشفاق والعطف عكس ويل كلمة عذاب وشر فان أضيفتا فليس الا النصب ، وان جردتا ففيهما النصب على اضمار فعل تقديره ألزمه الله . . . وفيهما الرفع على الابتداء وجاز فيه التنكير لما فيه من التهويل . ارتكبوا جناية وذنبا واثما ، وتطلب الشيء طلبه مرة بعد أخرى مع التكلف .

(19) بسطوهم : بوثوبهم ، وانما حكم الشاعر بأن رب السماوات غضب عليهم لانهم ظلموا واستحلوا دم مسلم وبيتوا قتله ، وقد حرم الله الظلم على نفسه وحرمه على عباده ، وقال : « **فَلَا تَظَالَمُوا** » ولانه سبحانه وتعالى قال في قتل المؤمن - وهو ما عزموا أن يفعلوه : « **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** » وفي الحديث الصحيح : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » فمن استحل الحرام أغضب الله تعالى . وقوله : (وأباك) الواو : واوقسم وأباك مقسم به مجرور بالكسرة المقدرة على الالف ، وقد استعمل الشاعر فيه لغة (القصر) في الاسماء الخمسة ، وهي لغة شهيرة ورد عليها قولهم (مكره أخاك لا بطل) وقول الشاعر :

واها لسلمي ثم واها واها هي المنى لو أننا نلناها
 يا ليت عينها لنا وفاها بضمن نرضى به أباهـ =

هى غضبة عربية مضرية حلت عرى خطب أمض قواكا (20)
 هى نقمة فى زعمهم لكنها جاءت بأعظم نعمة تغشاك (21)
 لم يفلحوا فى كيدهم اذ قارفوا ذنبا ومدوا فى الطريق شبكا (22)
 يتربصون بك الدوائر حيث لا يبيغون بالخطر العظيم سواكا (23)

= ان أباهما وأبا أباهما قد بلغا فى المجد غايتها
 وكان من حقه ان يقول : (أن أباهما وأبا أبيها) ولكنه استعمل لغة القصر
 والاعراب حينئذ بحركة مقدره على الالف منع من ظهورها التعذر ، ومن المعلوم
 ان الاسماء الخمسة أو الستة فيها ثلاث لغات : الاعراب بالحروف وهذا هو
 الاكثر والقصر - وهى هذه - والنقص وهى حذف حرف العلة كما فى قوله :
 بأبيه اقتدى عدى فى الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم
 قال ابن مالك : (وقصرها من نقصهن أشهر) .

(20) مضرية : منسوبة الى مضر جد المضرية ، وبنو مضر من أمهات القبائل
 العربية واليه تنسب قريش ، وتعتبر الدولة الاموية - وكذا العباسية - دولة
 مضرية ، والغضبة المضرية شهرها قول الشاعر :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
 وعرى : جمع عروة ، ما يوثق به ويقيد من حبل أو غيره ، والخطب فى
 الاصل : الامر والشأن ولكنه غلب استعماله فى المصيبة والامر العظيم المكروه ،
 ومن ذلك قول الشاعر فى خطيب :

(خطبت فكنيت خطبا لا خطيبا)

والخطيب من يلقي خطبة ، ورجل خطيب حسن الخطبة ، والخطيب أيضا
 من يخطب امرأة للزواج وهى خطيبته أى مخطوبته ، وأمض أو هن قواك ،
 والقوى : جمع قوة ، وتجمع أيضا على قوات : الطاقة والقدرة ضد الضعف
 والوهن ولغة القرآن ضم القاف فى الجمع كما قال سبحانه : « **شديد القوى** »
 وكسر القاف قبيح فى النطق لانه خروج من الكسر الى الواو وانما يناسبها
 الضم .

(21) نقمة : مكافأة بالعقوبة - كريهة ، نقم منه كذا كره « **وما نَقَمُوا**
منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » ، والنعمة : ما يرضى ويحب وتقربه
 العين كالانعام وتفرج به النفس والرغد والصحة والعلم والجاه والوسع فى
 المعيشة وخلاف البؤس ، ونعم الله كثيرة قال الله تعالى : « **وان تعدوا نعمة**
الله لا تحصوها » تغشاك : تخالطك وتغطيكَ .

(22) لم يفلحوا : لم يظفروا ولم يفوزوا فى كيدهم : مكرهم . قارفوا :
 دنوا وقاربوا قارف السيئة قاربها وفعلها واقترب الذنب ، واجترحه فعله ،
 والشباك : جمع الشبكة : حباله الصائد وشركة الصيد .

(23) تربص به : انتظر له شرا يقع له أو يلحقه به ، وتربص بالمكان
 توقف وانتظر ، والدوائر : جمع الدائرة : نوائب الدهر وصروفه ومصائبه ،
 وتربص به الدوائر انتظر انقلاب الحال الى أسوأ لانتهاز الفرصة ، ذلك شأن =

نصبوا لك الارصاد فى غسق الدجى

يرجون قتلك خلسة وأذاكا (24)

من بعد ما انتمروا على الامر الذى لو تم مس العرش والأملاك (25)
وتقدمت كف الأثيم بضربة قد زلزلت من وقتها الأفلاك (26)
وقعت على رأس العلوم وربها والرأس أثبت ما يكون هناك (27)
وسطا بأخرى دون تلك فصادفت ما تحت هدب العين من يسراكا (28)

= اللئيم المتردد كما كان حال بعض الاعراب من حول المسلمين فى المدينة الذين قال الله فيهم : « ومن الأعراب من يتخذ ما يُنفق مَغْرَمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء » . والخطر : الاشراف على الهلاك ، وسواكا : غيرك وكلمة (السوى) من استعمالات بعض المتصوفة يطلقونها على ما سوى الله تعالى ، ويزعم الحلوليون منهم والقائلون بوحدة الوجود فى (شطحاتهم) المردية انهم (ليسوا سواه) تعالى الله عما يقولون .

(24) نصبوا الارصاد : وضعوها وضعا محكما ، والارصاد : جميع الرصد ، والرصد القعود بمكان بقصد الترقب والانتظار ، ويستعمل الرصد فى ترقب الصيد وفى ترقب العدو ويقع عن غفلة منه فى الفخ ، وهو من أهم خطط الثوار للايقاع باعدائهم ويطلق عليه فى عرفهم (الكمين) ويقال (رصد) للمفرد وغيره مذكرا ومؤنثا . والغسق : اشتداد الظلمة ، قال تعالى : « الى غسق الليل » الى ظلمة الليل ، والدجى الظلمة ، والدياجى الظلمات ، خلسة : مخادعة ومخاتلة مع سرعة ، والقتل خلسة : هو قتلة الغيلة ولا عفو فيه من ولى الامر ، وان عفا ولى الدم لسبق الاصرار والغدر .

(25) انتمروا : تشاوروا فى الامر وتدابروا فيه وأمر بعضهم بعضا به واتخذوا فيه قرارا « وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى ، قال يا موسى ان الملأ ياتهمون بك ليقتلوك » ومع هذا لم يفدهم لانه كيد ومكر « ولا يحقيق المكر السيء إلا بأهله » .

(26) الزلزال : الارتجاف والاضطراب والارتجاج ، والافلاك : مدار النجوم ، وقد بالغ الشاعر ، ومذهبه الشعرى الادبى يسمح له بذلك ، اما اعتقاده الاصلاحى السلفى فلا ، فقد كسفت الشمس يوم مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة رضوان الله عنهم (كسفت لموت ابراهيم) فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد » . وهذه تربية عالية من الرسول صلى الله عليه وسلم لامتة تقطع كلام أى متجربى ، والشيوخ الطيب وابن باديس اعرف الناس بذلك ولكنه فن الشعر .

(27) رأس العلم : على رأس سيد العلوم وصاحبها ، وكان - فى مثل هذا الخطر أشد ما يكون ثباتا واطمئنانا الى ربه .

(28) سطا بضربة أخرى أقل من الاولى قوة . هدب العين شطر اشفارها ، ويطلق الهدب والجمع : الاهداب أيضا على حمل الثوب وطرته ، من عينك اليسرى .

واستل موسى للشقاء أعدها فكفيتها والده قد أنجاكا (29)
 وأخذته أخذ العزيز ولم تخر منك العزيمة عندها حاشاكا (30)
 لا حول عندك ، لا ، ولا لك قوة لكن رب الناس قد قواكا (31)
 غالبته فغلبته صعبا الى حيث استجاب السامعون نداكا (32)
 فتفلت الجاني وولى مسرعا متقصدا دارا بها سكاكا (33)

(29) استل : اخرج وانتزع من غمده ، والموسى آلة حادة من فولاذ يخلق بها ويذبح وينحر تذكر وتؤنث ، وتجمع على مواس ، وموسيات ، والمدينة الشفرة الكبيرة وتجمع على مدى ، ومديات ، وما زالت هذه الآلة تدعى فى لساننا (موسى) وكان الشقي قد أعد نوعا منها يصنع محليا ويسمى (بوسعادي) لاعتناء أهل (بوسعادة) به ، يمتاز بالطول والصلابة ودقة الرأس ويغوص بسهولة فى الضحية ، ويتخذ له معلق ، وكان يتسلح به ، المستعدون للعراك ، وقلما يغلت من ضرب به ، كفيتها كفاك الله شرها وأنجاك الله وحفظك من غائلتها .

(30) أخذته : تناولته ، والعزيز : القوى ، والمالك لغلبته على أهل مملكته والمنيع الذى لا ينال ولا يغالب ولا يعجزه شيء ولا يفهره - وكان لقب من يتولى الحكم فى مصر - وقد تولاه يوسف عليه السلام : « **قالوا يا أيها العزيز سنأ وأهلنا الضر** » . خارت قواه : وهن وضعف وفتر وانكسر ، والعزيمة الجدى فى الامر والمضى فيه بالقوة والارادة المؤكدة وتطلق على ما يقابل الرخصة فى الاحكام الشرعية وهى ما فرض ابتداء فى الاحوال العادية كوجوب الوضوء ، للصلاة والغسل بالماء عزيمة ، وقصرها فى السفر رخصة ، وكالصيام فى الصحة والشهود عزيمة والافطار فى المرض والسفر رخصة ... الخ ، وحاشاك : من أدوات الاستثناء : حاشاك استثنى من الحكم السابق ، وتعرب فعلا ماضيا فاعله ضمير مستتر وجوبا على خلاف الامر فى ضمير الماضى وتعرب حرف جر اذا لم تسبقها (ما) فان سبقت بها فليس فيها الا الفعلية وفيها لغات : حاشا ، وحاش ، وحشا ومما سبقت فيه بما قول الشاعر :

فأما الناس - ما حاشا قريشا - فانا نحن اكرمهم فعلا

(31) الحول : القدرة على التصرف والطاقة والدفع ، وكان الشيخ ابن باديس نحيف الجسم لا يقوى على بدين مثل المعتدى ، ومع ذلك فقد قبض على يديه كليهما ودافعه فى الدرج صعودا بينما كان الجاني يريد نزولا ، فلولا أن قواه الله ما استطاع ان يتغلب عليه ويصعد به حتى الطريق العام .
 (32) غالبته : باريتها فى المغالبة وتحديثه كل منكما يريد ان يكون له الغلب وكنت تذهب به صعودا وهو يريد بك النزول فلولا ان الله معك قد قواك لغلبك ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

(33) تفلت : تخلص وانفلت وتفلت الى الشيء نازع اليه وجاذب ، وولى : انقلب على عقبه ورجع ، وتقصد الدار : قصد اليها وتوجه نحوها عن قصد وتصميم حيث وجد مختبئا فى سقيفتها ، اختباء ترصد وأصرار على الاثم .

يبغى القضاء عليك ثانى مرة فحماك ربك ثانيا ووقاكا (34)
وتخافت الاقوام فى خلواتهم ان سوف لا تحى وقد احيكا (35)
ودوا لو انتصروا فلما يفلحوا بل أصبحوا صرعى بسيف هداكا (36)
فتحقق الوعد الصريح بنصر من نصر الاله وجل ما اعطاكا (37)
تبت يدا العليوى الذى للفتك عن بعد الديار اناكا (38)
ما كان يخطر ان ينالك معتد لكن بذاك الشر قد فاجاكا (39)

(34) يبغى : يطلب قتلك ، فكان الله فى حمايتك للمرة الثانية كما حفظك فى المرة الاولى .

(35) تحادثوا بصوت خافت خفصوه وأخفوه خشية ان يسمع شأن المتأمرين على ما لا يحبون ان ينكشف كشأن أصحاب الجنة الذين تأمروا على جنى ثمارها فى غفلة عن المساكين أصحاب الحق فى صدقاتها كما قص الله شأنهم : « **فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخَافَتُونَ أَلَّا يَدْخُلْنَ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ** » . وكان تأمر هؤلاء القوم أشنع ، لانهم قضوا بالهلاك والموت على وارث من ورثة النبوة وقد قضى الله بغير ما قضوا فقضى باستمرار حياتك ولم يكفهم وجودهم فى (خلوات) حتى أضافوا تخافت الاصوات لانهم تناجوا بالاثم والعدوان ، قال صلى الله عليه وسلم : (والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس) .

(36) ودوا : أحبوا : (ولو) هنا معناها التمنى و (لما) معناها هنا (لم) يفيد مجرد النفى والقلب ، ومعناها ألا صلى النفى واستمراره الى زمن التكلم مع توقع وقوع المنفى فى المستقبل ولا يصح هنا لان الشاعر لا يتوقع حصول القتل فى المستقبل ، وأصبحوا : بمعنى صاروا ، وصرعى : جمع صريع : مطروح على الارض ، فاعيل بمعنى مفعول ، وقد صرعهم سيف الهدى والرشاد لا سيف البغى والظلم والفساد .

(37) وعد الله صريح فى نصر من نصره مؤكدا بقسمه وبأدوات التوكيد، قال تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** » ، وقال : « **وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ أَن لَّقَوِيَّ عَزِيزٌ** » ، وقال : « **إِن اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** » وجل : عظم وكبر ما منحك آياه ، انه نصره واعظم به .

(38) تبت يداه : خابت وخسرت وقطعت ، والتباب الخسارة والهلاك والفعل ماضى فى الصيغة انشاء فى المعنى لان القصد الدعاء ، وقد أتى الجانى من بعيد لينفذ حكم الاعدام ، فأصله من مجانة دائرة برج بوغريزيج وبدأ سفره من مستغانم ثم ركب من الجزائر فى القطار الذى كان يقطع المسافة بين الجزائر وقسنطينة فى ليلة كاملة أو فى نهار كامل وقد يكون بدأ سفره من مستغانم غربى الجزائر بما يزيد على ثلاثمائة كلم وهذا ما أكده الشيخ ابن عتيق من الذين عاشوا الاحداث ، فالمسيرة تقرب من 800 كلم .

(39) ما كان يخطر ببال أحد ان يصيبك عدوان معتد لكن الشر فاجاك وجاءك العدوان بغتة وعلى غير انتظار لانك كنت تدعو الى الحسنى : بالتى هى احسن .

حَقَّتْ جموع الناس تنظر ما جرى وجميعهم بالروح قد فداكا (40)
 ما كان اعظم هوله من حادث زكا نفوسهم كما زكاكا (41)
 كادوا به يسطون لو مكنتهم من قتله لسطو به لولاكا (42)
 لله موقفك العجيب بنهيهم عن قتل من للقتل قد وافاكا (43)

(40) وقد خفت الجموع لترى ما حدث والحال انهم كلهم يعلنون ان ارواحهم فداءك .

(41) (ما) تعجبية نكرة تامة مبتدأ - كان زائدة ليس لها اسم ولا خبر ويكثر ان تزداد في مثل هذا الموضع بلفظ الماضي . واعظم فعل التعجب ماض وفاعله ضمير مستتر وجوبا يعود على (ما) وهوله مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (ما) هذا هو الصحيح في اعراب الجملة التعجبية ومعناها : شيء عظيم جعل الحادث هائلا ، ويصح ان تكون (ما) موصول والجملة صلة والخبر محذوف تقديره : الذي جعل الحادث مهولا شيء عظيم ، ان هذا الحادث زكى نفسك وطهرها كما زكى نفوس المؤمنين لانه امتحان والامتحان تمحيص من الله لنفوس عباده فمن صبر وثبت فقد فاز قال تعالى : « **الْم • أَحْسَبَ النَّاسُ** **أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ** **اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** » فالحادث امتحان لك وللامة طهر الله به النفوس .

(42) كاد : أم أفعال المقاربة تفيد ان خبرها قرب من الفعل ولم يقع فاذا كانت منفية فالفعل لم يفعلوه لان الشيخ ابن باديس منعهم من الفتك به فلولا لوقع السطو به ، ولولا حرف امتناع لوجود امتناع قتل الجاني لوجود ابن باديس المجنى عليه .

(43) « لله موقفك » من صيغ التعجب ، مثل : لله أنت ، ولله أبوه ، ولله دره ، وقاتله الله . والتعجب هو التساؤل عما خفى سببه وله صيغتان معروفتان مبوب لهما في كتب النحو هما (ما أفعله) و (أفعل به) مثل قوله تعالى : « **قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرُهُ** » وقوله : « **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ** » وأشهر اعراب للكلمتي (أفعل) وافعل ان كلا منهما فعل ماض وفاعلهما ضمير مستتر وجوبا في (أفعل) والاسم الذي بعد أفعل مفعول به . والمجرور بعد أفعل : فاعل وزيدت قبله الباء لقبح اللفظ وهو اسناد ما صورته الا مر الى الاسم الظاهر ، واذا جاء لفظ التعجب من الله فلا يقال فيه (تعجب) لان الله لا تخفى عليه خافية ولكن يقال فيه : (تعجيب) فالله سبحانه يدعو عباده ليتساءلوا . والشاعر هنا يتعجب ويستغرب ما وقع من ابن باديس فقد عفا وصفح عمن جاء يقتله متسلحا بهراوة ومدية وتمكن منه فأسال دمه وأستعد لذبحه ، ثم أصر على اتمام جريمته فترصد له في السقيفة ولما القى عليه القبض كانت الدماء ما تزال تلطخ وجهه وجبهته وثيابه ، وصار بإمكانه ان يعامله على الاقل بالمثل « **فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ** » ، « **وَلَكِنْ اَنْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ** » ومع ذلك فانه عفا عن الجاني بل منع الناس من الفتك به .

علمتهم كيف التحمل للأذى فتعلموا درسا على بلواكا (44)
 ذهبوا به زفا لدار حكومة والكل يحمي في الطريق حماكا (45)
 طاف الجميع حيال شخصك وابتغوا سببا به يستعجلون شفاكا (46)
 ثم انثنوا بك راجعين وأنت كال بدر المنير تمدهم بسناكا (47)
 لا تجزعن - عبد الحميد - لحادث هز البلاد وحرك الاسلاك (48)
 لك أسوة بالهاشمي (محمد) فاشكر لما رب الورى أولاك (49)
 وأصبر على ما قد أصابك واحتسب عند الاله الأجر يوم لقاكا (50)

(44) البلوى كالبلية : المصيبة والاختبار ، والبلاء : الامتحان والاختبار
 ويكون بالخير وبالشر ، قال تعالى : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** » .
 (45) من عادة الناس ان يتجمعوا في مثل هذه المناسبات فضولا فلما
 أخذت الشرطة هذا الجاني الى (الكوميسارية) صحبوه كما تصحب العروس
 اثناء زفافها ، ولم يكونوا مطمئنين في ذهابهم ان يكون أعوان الجاني مندسين
 (في الزفة) ليحاولوا اتمام جريمة صاحبهم فكانوا يقظين يحمون حماك ان
 يصيبك منهم اذى من جديد . أدخل كلمة (ال) على كل ، ولا يصح في فصيح
 الكلام .

(46) حيال الشيء : قبالتة ، يقال قعد حوله وبحياله : ازاءه .
 (47) انثنوا : رجعوا ، وقوله راجعين حال مؤكدة لعاملها مثل قوله تعالى :
 « **لا تعثوا في الارض مفسدين** » ، والسنى بالقصر : الضوء والنور والسناء
 بالمد الرفعة والعلو .

(48) أكد الفعل بنون التوكيد الخفيفة ، والجزع : الفرع للمصيبة وعدم
 الصبر لها واظهار الحزن ، الحادث : الامر الواقع العظيم ، أحداث الدهر
 مصائبه ، وهز الشيء حركه وهيج له العمل ، والاسلاك : جمع السلك ، الخيط
 ينظم فيه الخرز وغيره ، ومنه استعير السلك الديبلوماسى وبه سمي سلك
 الكهرباء ، وسلك الهاتف ، وكلاهما ينظم غيره ومراد الشاعر اشتغال اسلاك
 الهواتف بنقل الخبر وآلات الاعلام وكانت حديثة العهد في ذلك العهد نوعا ما .

(49) اسوة : قدوة واتباع وهذا ما ارشد اليه المولى في قوله تعالى :
 « **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة** » وقال للمؤمنين : « **قد كانت لكم
 اسوة حسنة في ابراهيم** » . والهاشمى هو نبينا عليه الصلاة والسلام : محمد
 ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وقد أودى عليه الصلاة والسلام فصبر ،
 وأعطى فشكر ، رب الورى ، رب الخلق أولاك : أعطاك المعروف .

(50) الصبر على المصائب من عزم الامور ، جاء في وصية لقمان لابنه في
 القرآن الكريم : « **واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور** » وقد ذكر
 الصبر في القرآن ما ينف على مائة مرة ، واحتساب العمل هو طلب الاجر فيه
 من الله ، ومن دعا الله مخلصا لم يخب دعاؤه ولا رجاؤه ، ومن احتسب اجره
 على الله في عمله أوتى اجره بغير حساب كما في الحديث (من صام رمضان =

فالله قال (لتبلون) وأنت من تدري حقيقتها ولا تخفاسا (51)
فى ذمة التاريخ افطع حادث قد سجلته على العدى ذكراكا (52)

=ايانا واحتسابا ٠٠٠ () ومن قام رمضان ايانا واحتسابا ٠٠٠ () ومن
قام ليلة القدر ايانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه () ومن ذلك احتساب
الولد يموت للوالدين .

(51) الخطاب فى قاله تعالى : « **لَتَبْلُوَنَّ فى اموالكم وانفسكم** » للنبي صلى
الله عليه وسلم وأمه ، قال الشوكاني : (تسليية لهم عما سيلقونه من الكفرة
والفسقة وليواطنوا انفسهم على الثبات والصبر على المكارة والابتلاء والامتحان
والاختبار والمعنى لتمتحنن فى اموالكم بالمصائب والانفاقات الواجبة ٠٠٠
والابتلاء فى الانفس بالموت والامراض وفقد الاحباب والقتل فى سبيل الله) .
وفى تمام الآية : « **ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا** » ومن اسباب نزولها ان ابا بكر ضرب رئيسا من رؤساء
اليهود ضربة شديدة فشكاه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لابي بكر :
« ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله قال قولا عظيما يزعم ان الله
فقير وانهم عنه اغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ،
وانكر اليهودى مما قاله لابي بكر فصدق الله الصديق بقوله : « **لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء** » ثم اخبرهم المولى سبحانه انهم ان
يصبروا على البلاء ويتقوا الله فان ذلك من عزم الامور .

(52) فى ذمة التاريخ : فى عهده وضمانه ان يسجله ويكتبه ويخلسه
فانه اهل للتسجيل وفى ذمة الله فى كنفه وعهده ، والذمة من الانسان ما يقبل
الالزام والالتزام ، وافطع : اسم تفضيل من الفطاعة : اشتداد الشناعة والقبح
سجلته : كتبه فى السجل وهو ما تكتب فيه العقود والعهود والاحكام
والصكوك ومهمات الاخبار والآثار ، وقد سجل على الاعداء ليكون فى
صفحاتهم السوداء بينما هو صحائفك البيضاء .

صدي الاعتداء:

فى الله أوذيت

للشاعر الأديب صاحب الامضاء

وهذه قصيدة أخرى من المغرب الأقصى لم يعلن صاحبها عن اسمه ورمز اليه بامضاء (علوي) ، وقد نشرت فى الشهاب 6 شوال 1345 هـ (الموافق 8 ابريل 1927 م) .

قال : (والقصيدة من بحر البسيط) .

فى خدمة الدين والأوطان والبشر قد نلت ما نلت من مكر ومن ضرر (1)
وفى مقاومة الإضلال قد نصبت لك الحبال فى سهل وفى وعر (2)
 واجمعوا لك (أهل الزيغ) كيدهم جزاء ما نسجت عليك من أثر (3)

(1) هذا مذهب ابن باديس بان من خدم أمته وأراد رقيها والنهوض بها من هودتها وصلاحتها عامل فى خدمة البشرية جمعا .
(2) الحبال : جمع الحبال ، والشراك تنصب للإيقاع بالصيد من الصائد .

(3) أهل الزيغ ان كان منصوبا فهو بفعل محذوف وتقديره اعنى أهل الزيغ ، ويصح رفعه على البدلية أو على لغة (أكلونى البراغيث) وهى التى أشار إليها ابن مالك بقوله :

وقد يقال سعدا وسعدوا والفعل للظاهر بعد مسند
أى يقال سعدا الزيدان ، وسعدوا الزيدون والفاعل هو الاسم المظهر
والالف علامة التثنية والواو علامة الجمع وهى لغة شائعة فى عاميتنا ، تقول :
جاءوا الرجال .

ان البغاة (فلا عاشوا ولا سلموا) قد حاولوا فعلة من أكبر الكبر (4)
وأرسلوا وفدهم اليك منتقما فلم تساعدهم الاقدار بالظفر (5)
وجاء أشقاؤهم اليك مختفيا فكنت من مكروه (مولاي) فى حذر (6)
رام اللثام بخبت فى نفوسهم اطفاء نور بذاك القطر منتشر (6)
راموا بك الفتك أقوام أبالسة وما دروا أن أهل الحق فى وزر (8)
واضمرؤا لك سوءا فى نفوسهم فكان فعلهم ضربا من الخور (9)
فلم ينالوا بحول الله بغيتهم فاصبحوا فى حضيض الذل كالبقر (10)
أنا على رغم بعد الدار قد أسفت نفوسنا وعرانا منتهى الكدر (11)
فيابس باديس لا تجزع لحادثة لولا ثباتكم آلت الى الخطر (12)
فان من يبتغى انقاذ أمته من المكاره لا يخشى من الغير (13)

-
- (4) البغاة : جمع الباغي ، وقتل النفس التى حرم الله من أكبر الكبائر .
(5) الوفد : جمع الوافد القوم يجتمعون ويقدمون على الأمير ونحوه لاداء مهمة وتنفيذ رغبة ، والظفر : الحصول على المراد ، والنصر .
(6) فى حذر : فى تحرز واحتياط .
(7) رام : قصد ، واللثام جمع اللثيم من لؤم : الدنى، الاصل الخسيس المهين الشحيح .
(8) راموا بك الفتك أقوام : الاسم هنا مرفوع فطعا وهو اما بدل من الواو فى قوله راموا ، أو نعت مقطوع للدم حذف مبتدؤه وجوبا : هم أقوام أبالسة، ويجوز ان يكون فاعل راموا ، والواو علامة الجمع ، والوزر : الملجأ ، والجبل المنيع ، ومن ذلك قول الشاعر :
تعز فلا شئ على الارض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا
(9) ضربا : نوعا ومثلا وشكلا وصنفا ، والخور : الضعف والارتخاء .
(10) الحضيض : القرار من الارض عند اسفل الجبل ضد الارج ، وجمع حضيض احضة وحضض .
(11) أسفت : حزنت وتلهفت ، عرانا طرا علينا والم بنا الكدر ضد الصفاء والغىظ .
(12) الجزع : فقدان الصبر باظهار الحزن والكدر ، وليس من أخلاق أولى العزم وآلت : رجعت .
(13) يبتغى يطلب ويريد ، والغير أحداث الدهر ومضائيه .

- فى الله أؤذيت فاصبر صبر محتسب
وؤم على النصح والارشاد للبشر (14)
أبقاك ربك محفوظا ومحترما
بجاء خير الورى المبعوث من مضر (15)

(14) فى الله أؤذيت : فى سبيل الله أصابك القوم بالضرر فاصبر لله صبر من يريد ثوابه الموعود به واستمر فى النصح لدينك ولكتاب ربك وسنة نبيك وعامة المسلمين ودلالة الناس على الخير .
(15) دعاء بالحفظ ودوام الاحترام ، وهو المهابة ورعى الحرمة ، وخير الورى هو محمد صلى الله عليه وسلم من العرب المستعربة أبناء اسماعيل من ذرية مضر جدمهم .

ذنب ابن باديس ذنب غير مفتفر

هذه القصيدة واردة على الشهاب من بلاد شنقيط، وهي اليوم في موريطانيا وكانت تعرف تلك الجهات ببلاد الملثمين، وليست كل بلاد الملثمين وإنما هي جزء منها وكثير منهم عرب اقحاح، لهذا كاد الشعر - اليوم - يكون سجية في اخواننا الموريطانيين، وكان من أشهر قبائل الصحراء صنهاجة الصحراوية ووسمت بـ (الصحراوية) تمييزا لها عن (صنهاجة التلية) وكلا فسرعى صنهاجة التلية والصحراوية بنوا امجادا في دولة الاسلام، فألى الصحراوية تنتسب دولة المرابطين التي أسسها على تقوى من الله الأمير أبو بكر بمعاونة الفقيه عبد الله بن ياسين، فكانت توسم بحق بدولة الفقهاء لوقوف أمرائها وملوكها على حدود الشرع، واعظمهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ثم ابنه علي بن يوسف . وأما صنهاجة التلية فهي التي شدت من عضد دولة العبيديين وانقذتهم من سقوط وشيك فعرفوا لها فضلها، واستخلف المعز لدين الله الفاطمي - عند رحيله الى مصر بعد فتحها ونقل العاصمة اليها - أمير صنهاجة القائد العظيم بلقين بن زيري بن مناد، ومن آل زيري تكونت الدولة كاملة تابعة للعبيديين ثم تفرعت منها واستقل عنها كل من الدولة الزيرية الصنهاجية، والدولة الحمادية في بجاية والقلعة، وبسطت نفوذها من الحدود التونسية حتى المغرب .

اشتهرت صنهاجة - من القبائل البربرية - بعزتها وكثرة عددها، حتى قيل انها كانت ثلث البربر، وقيل في أصلها انها عربية يمنية كمثل كتامة، وكما قيل في نسب كل قبيلة ملكت وحكمت، والمؤرخون والنسابون مختلفون:

منهم من ينسبهم في العرب كابن حزم ، ومنهم من ينفيه عنهم، وسواء صحت النسبة العربية أو لم تصح - فان الانسان بعمله لا ينسبه، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه ، ويكفي الصنهاجيين فخرا وشرفا أن يكون منهم في الأولين أبو بكر . ويوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين بن علي ابن يوسف ، فما منهم الا قائد بطل حامي الزمار كما فيهم بلقين ، والمنصور، وباديس ، والمعز بن باديس الذي أمات البدعة وأحى السنة ، وحماد ودولته ويكفيهم فخرا ان في الآخرين منهم عبد الحميد بن باديس موضوع حديثنا فانه بعث أمة وكون نهضة وأحى سنة ، وصدق فيه قول الاول :

انا - وان كرمتم أحسابنا وزكيت لسنا على الاحساب نتكل
تبسنى كما كانت أوائلنا تبسنى - ونفعل (فوق) ما فعلوا
ان صاحب هذه القصيدة كتتم اسمه واكتفى بامضاء مستعار هو (غريب)
فقد يكون هو الشاعر الجزائري الفحل الاستاذ جنيدي الكي الذي تغرب في
تلك الايام الى شنقيط (موريطانيا) وقضى فيها أعواما كمعلم وترك فيها
أثرا حميدا ، وكون رجالا احتلوا - فيما بعد - مناصب عليا في بلادهم ، وقد
تكون من إنتاج أحد أبناء موريطانيا الأقحاح - والشعر فيهم يكاد يكون
سجية - فتكون هذه القطعة من شاعر صنهاجة الصحراوية في عالم صنهاجة
التلية وامامها قد حددت الارتباط بين الوطنيين والاحساس بين الاخوة في
القطرين .

وقد أرسل بقصيدته بعد بضعة أشهر من الحادثة ، ونشرت في العدد 94
الصادر في 26 شوال 1345 هـ - الموافق 28 أبريل 1927 م ، تحت عنوان :

ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر

(والقصيدة من بحر البسيط)

- جنى على نفسه (فى ذاتك) الجاني يا بؤسه من ائيم للشقا جاني (1)
سطا عليك ووجه الليل ملنفع تشبه صنعه من قبح وكفران (2)
أدمى فؤاد الهدى لما أراق دما من مهجة نبضها وقف لأوطان (3)
سلاحه مدية وسبحسة وعرا وة اخاء - وايم الله - ذو شان (4)
هذا التصوف فلتسجع بلابله بكل زاوية (خضرا) وديوان (5)

(1) جنى على نفسه : ارتكب ذنبا وجريمة ، والجاني اسم فاعل من الجناية وجان فى آخر البيت من جنى الثمرة يجنيها اقتطفها وتناولها من شجرتها ، والجنى ما يجنى من ثمر أو من غسل ، وبؤسه اشتداد حاجته وفقره ونزول الشدائد به ، والنداء هنا للتدبة لانه انما جنى الشقاء من فعلته .

(2) ملنفع : مشتمل ومغطى ، والملفعة ما يتلفع به من مرط أو كساء أو نحوه والشاعر يريد ان الليل قد انتفع بظلامه وهذه الظلمة - فى سوادها - شبيهة بفعلته النكراء المظلمة فى قبحها وكفرانها .

(3) نبض العرق : تحرك وضرب ، والنبض علامة الحياة ، فى الانسان وفى الحيوان وأراق الدم : صبه ، ويقال أيضا هراقه ، هراقه صبه . والمهجة : الروح ، ودم القلب، والدم مطلقا ، ووقف : حبس وتبرع ، وكان الشاعر عليم بما فى صدر ابن باديس الذى من أقواله من بعد : لمن أعيش ؟ أعيش للإسلام وللعروبة وللجزائر ، وهذا ما أوقف عليه حياته .

(4) علق الشاعر هنا بقوله : « اخاء المدية والسبحسة والهراوة » .

(5) سبجت الحمامة : هدرت ورددت صوتها وغنت ، والبلابل : جميع البلبل : طائر صغير الجثة ، حسن الصوت يضرب به المثل فى طلاقة اللسان وترديد الالحان ، وقد اشتهر عن (المتصوفة) غرامهم بالغناء ، ومن يقنع الغراب أن صوته كربه لا يصلح للغناء ؟ وهذا ما يرمز اليه الشاعر ، ينخذ المتصوفة فى معابدهم قبورا لمشائخهم المتوفين المرتجين عندهم ويكسون تلك القبور بأعلام خضراء ، والديوان : مجلس وهمى يزعمون أن (الصالحين) يجتمعون فيه لتدبير شؤون (الاخوان) أو (الفقراء) أو أحوال (العالم) ويتخذون فيه القرارات الحاسمة فى مصير الناس والعالم !

ما ضر لو كلت للأثيم منتقما بكيله وشفيت غل ضمان (6)
 لكن عفوت عليه عفو مقتدر لله من شيمة شما وإحسان (7)
 خابت مساعيه فليخلد بخلوته حتى يرى الحق في جوار سجان (8)
 قمت بداه وأيدى الموعزين له فى هدم صرح هدايات وعرفان (9)
 معى لتحريره من غيه فابى الا اعتسافا وتأيدا لأدران (10)
 جهل وتشعيب آراء وشعوذة (باسم الإله) وزور تلو بهتان (11)
 تلاعب بعقول النشر، ترهمة رقص مكاء وعزف ابن إخوان (12)
 أساطير واضاليل منمقة كانها السل فى جثمان الايمان (13)

(6) لا حرج على من كال للمعتدى بمثل كيله ولكن العفو أحزم واقرب
لأخلاق المتقين . قال تعالى : « وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى » وقال : « وَلَمْزَ ائْتَصَرَ
 بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل » « وَلَمْزَ صَبْرٌ وَغَفْرٌ أَنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُور »
 والضمان الصدى العطشان ، وغلة حرارة العطش وشدته .
 (7) العفو بعد القدرة من خلق الكرام وقد قدر الشيخ رحمه الله على الجاني
 عندما القي الجمهور عليه القبض ولو أرسلهم عليه أو سمح لهم ان يفتكوا به
 لنطعوه **أربا** أربا ولكنه عفا وصفح وعلم انه آلة مسخرة ، والشيمة : الخلق
 والطبقة والعادة ، والشما مؤنث صيغة الاسم وهو ذو الانف ، والكريم
 ذو **الشمم** ، والشمم ارتفاع قصبه الانف مع حسن وجمال .
 (8) علق الشاعر على قوله هذا : (إشارة الى ما يفعله العليوية من البقاء
 أياما معدودة فى الخلوة ليشاهدوا الرب) اهـ . وهذا من عبث الشيطان بهم
 ويهوه على ذقونهم وخلد بالمكان أو الى المكان أقام فيه وأخلد الى الارض لصق
 بها وقد كانوا يلصقون بالارض لا يتحولون عنها أثناء خلوتهم ، والشاعر
 استعمل هذا الفعل خاصة إشارة الى قوله تعالى : « ... لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ
 وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ » .
 (9) الموعزين له : المشيرين عليه والموسوسين له بهذا الشر ، وأوعز اليه
 تقدم له به وأشار عليه .
 (10) علق الشاعر على قوله هنا « الابيات التالية لأدران مفسرة لها » والذي
 سعى لتحرير الجاني من غيه وضلاله هو المجنى عليه ، والاعتساف : الميل عن
 الطريق والعدول عنه والخط فيه على غير هدى ، والأدران جمع الدرن :
 الوسخ ، وداء الدرن هو داء السل .
 (11) تشعيب آراء : تفريقها ، والشعوذة أو الشعبة خفة فى اليد واعمال
 كالمسحرة ترى الشئ للعين بغير ما هو عليه ، والبهتان الكذب المفترى الذى يجعل
 المكذوب عليه فى حيرة .
 (12) الترهات جمع الترهة : الاباطيل والدواهي ، والمكاء : الصغير بالفم .
 (13) أساطير جمع أسطورة الخرافة والاحاديث المكذوبة ، منمقة : مزينة ،
 وقد نون أساطير واضاليل للضرورة مزخرفة والسل داء الدرن (البرد) وكان =

يا للضلالة ! كم عاثت بأدمغة كعيث ريح بأزهار وأفنان (14)
 ذنب ابن باديس ذنب غير مغتفر يدعو لتحطيم أنصاب وأوتان (15)
 قال الهداية عصما ليس يخطبها من حاد عن نهج سنات وقرآن (16)
 قال السعادة في علم وفي عمل وفي القضاء على سلطان كهان (17)
 قال الرقي الى العقول تحريرها من سلطة الوهم، عين كل نقصان (18)
 قال الجهالة للاحجاء مقبرة قال : التمدن والاسلام صنوان (19)
 دعا فلباه فتيان غطارفة من كل (طيب) ذكر نجم فرقان (20)
 شفوا الغليل بحكمة وتؤده وفصل قول يفوق حكم لقمان (21)

= قليلا ما يسلم منه من أصيب به ، وهو أنواع كثيرة اشهرها سبل الرثة ، وما يزال يفتك بالناس ، ولكن اكتشاف جرثومته سهل علاجه . والایمان يقرأ بتسهيل الهمزة .

(14) النداء : هنا للاستغاثة من الضلالة ، يالله للضلالة ، وكم للتكثير ، وعاثت : افسدت والريح لا تكاد تبقى شيئا من الازهار ومن الاغصان .
 (15) النصب : كل ما عبد من دون الله من الاصنام والتماثيل ، وكان حول الكعبة حجارة تنصب فيهل لها من دون الله ، والاولتان : جمع الوثن : الصنم المعبود من دون الله .

(16) السنة هي المصدر الثاني للشريعة الاسلامية ، وهي قول النبي صلى الله عليه وسلم أو فعله أو اقراره ، والعصماء : مؤنث الاعصم : الممتنع العزير وقد قصرها للضرورة .

(17) الكهان : جمع الكاهن ويجمع أيضا على كهنة : من يدعي معرفة الاسرار وعلم الغيب ، وعند اليهود وعابدى الاصنام ، والذي يقدم الذبائح والقرايين ، وعند النصارى هو من ارتقى الى درجة كهنوت ، وقد قضى الاسلام على الكهانة كلها ، وعلم المسلمين انه لا يعلم الغيب الا الله ، ومن ادعى علم الغيب فقد افتري ، قال تعالى : « قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » .

(18) الوهم : ما يقع في القلب من المخاطر ولا يبلغ درجة الشك ولا الظن فهو في الحقيقة لا أصل له مثل توهم ان الحجارة تنفع أو تضر وأكر نقص في الانسان أن يخضع الى الاوهام فيعدها حقائق .

(19) الاحجاء جمع الحجى : العقل والفطنة ، صنوان : أصلهما واحد تفرعا من شيء واحد ، يقال اذا خرجت نخلتان من أصل واحد انهما صنوان ، وكل واحدة منهما صنو .

(20) الغطريف : الشاب الظريف السخي الحسن السيد السرى .
 (21) الغليل العطشان عطشا شديدا ، وشفأؤه في ربه وازالة عطشه ، تؤدة : تمهل من تواد في الامر تمهل وتأنى . والفصل الجد في القول حكم لقمان : حكمة لقمان ، وقد ذكر الله لقمان في كتابه . قوله ، وقد ربي ابنه على توحيد الله وعبادته لا يشرك به شيئا وطاعته الوالدين والتخلق بكارم =

فثار عنهم من البغاث ثائرة فكان ما كان من نصر وخذلان (22)
 دام ابن باديس كعبة لدى أمل صاد الى العزة القعساء غرثان (23)
 هو السعودي فلتسعد بطلعته شبيبة القطر من شيب وشبان (24)
 شنقيط 30 شعبان غريب (غريب)

= الاخلاق « واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » الآيات .

(22) بغاث الطير أضعفها وأهونها ويسمى به طائر أصغر من الرخم بطي،
 الطيران قال الشاعر :

بغاث الطير أكثرها فراخا وأم الصقور مقلدة نزور
 وفي أمثالهم (ان البغاث بأرضنا تستنسر) وقصد الشاعر ان الذين اجرموا
 وقاموا خذلهم الله بنصر خصومهم .

(23) صاد : عطشان ، وغرثان : جوعان . والقعساء مؤنث صفة الاقعر
 وهو العزيز المنيع .

(24) علق الشاعر على قوله هذا : (تشبيه تام - يعنى هو السعودي)
 اذ أجل الاستاذ من ان ينتسب لغير محمد صلى الله عليه وسلم) اهـ ، وانما
 اضطر الشاعر ان يعلق هذا التعليق لانه مما كان يرمى به المصلحون انهم
 (وهابيون) وكان ذلك من خصومهم تنفيرا للعامة منهم لان السعوديين قد
 هدموا انقباب وبنائيات القبور ، ومنها ما كان مبنيا على قبر السيدة خديجة ،
 وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصحابة - رضوان الله
 عنهم - فاستنكر أعمالهم القبوريون واستغل ذلك ضدّهم أعداء الدولة
 السعودية الفنية وهابوا ان ترجع للشريعة سيادتها وللعرب دولتهم بالرجوع
 الى تطبيق احكام الشريعة .

والحقيقة ان الحركة الاصلاحية كانت بعيدة عن الوهابيين والسعوديين ،
 بل انها كانت أميل الى الحركة التي قام بها جمال الدين الافغاني وتبناها من
 بعده محمد عبده ومحمد رشيد رضا لامور عديدة منها الاتصال الفعلي بالشيخ
 رشيد رضا ، وثانيا لانها كانت في ابعادها حركة دينية سياسية اجتماعية
 للنهضة الشاملة وحرب الاستعمار ، وقد كان جمال الدين الافغاني السد
 المستعمرين ، وهم يعرفون هذا فيه . والجامع بين الاصلاح والوهابيين توحيد
 الله في الوهيته وربوبيته وانكار عبادة القبور ودعاءها .

واما بيانه لشبيبة القطر ، وذكر الشيب فيهم فانه يريد بالشباب هنا ما
 يراد بالفتى في الشجاعة والبسالة وعزة النفس ولا يكون فتى خامل كسول
 ولو كان حديث السن يا فتى ، وكانت قريش تسمى حمزة بن عبد المطلب :
 فتى قريش .

مرحبا بالأستاذ عبد الحميد

هذه قصيدة نفيسة نظمها الشاعر المغربي الكبير الاستاذ محمد القرى الذى كان الشهاب يلقبه بـ « شاعر فاس الكبير » . وكان من حزب الشهاب الاصلاحى بفكرته وقلمه وشعره .

وهى قصيدة لم تقل فى « حادث السطو » فقد مرت له قصيدة أخرى فيه وهى التى طالعها (وقاك الله كيد الخائنين) ولكنها تتكلم عن شخصية ابن باديس وتنوه به وبالمهمة التى نذر نفسه للقيام بها ، ومنها خدمة أمتيه ودينه ووطنه بواسطة الصحافة الوطنية الحرة الصادقة .

وكانت هذه القصيدة بمناسبة عزم ابن باديس على زيارة القطر الشقيق بصحبة رفيقه وتلميذه الاستاذ أحمد أبى شمال مدير الشهاب وعضده الأمين ، وأخذا يعدان العدة لتحقيق هذا الحلم ، فاستبشر بهذا النبأ علماء المغرب وأدباؤه وشبيبته الناهضة ، وأخذوا يعدون عدتهم لاستقبال الضيف معلنين ابتهاجهم - كما تنبئ هذه القصيدة .

ولكن سلطة الاستعمار كانت أشد حذرا من السماح بمثل هذه الزيارة التى تدعم وحدة المغرب العربى ، وتربط بين العاملين لنهضته فمنعت وقوعها، وأبت أن تعطى جواز السفر للاستاذ ورفيقه خشية عواقبها الوخيمة ضد الاستعمار .

وكانت قريبة عهد بفضيحتها الكبيرة فى حرب الريف واثرها على نفوذها فى الجزائر وفى المغرب . ولم يكن يخفى عليها ما تتمخض عنه النهضة العربية الوطنية واليقظة الاسلامية ، وارتباط أطرافها فى الجزائر والمغرب وتونس ،

ومقدار ما يمكن أن تحدثه تحركات ابن باديس في المغرب وفي تونس لوجود طاقات كبرى كامنة فيهما ، وقد اعترف الزعيم المغربي الكبير الشيخ علال الفاسي بأن المدرسة الاولى التي تلقن فيها المبادئ السياسية هي جريدة الشهاب ، وله فيها قصائد ومقالات ، نشرت في هذه السنة التي نتحدث عنها 1927 م ، وهكذا لم تتحقق هذه الزيارة التي كان المتوقع ان يكون لها الصدى الكبير ولم تكتف بهذا الاجراء حتى منعت دخول الشهاب ورواجه في المغرب .

أما تونس فكان الارتباط بها أسهل ، وقد طلب فيها ابن باديس العلم ، ومكث فيها ما بين 1908 و 1912 م ، وشاهد فيها نشوء حركتها السياسية وأحداثها ومظاهرات الجلاز وشهداءها عام 1911 م ، وكان من أساتذته فيها الشيخ محمد الصادق النيفر - وهو أحد مؤسسي حركة الدستور فيما بعد - ومنذ ابتداء الحركة الاصلاحية - وحتى في طورها الاول - كان على صلة وثيقة بكثير منهم وكان دائما يعتب على علماء تونس انعزالهم عن (السياسة) . وفي صائفة عام 1937 م ، زارها ، واجتمع بجمع كبير من العلماء والادباء والكتاب والسياسيين وجرت له معهم محادثات والتقى محاضرات واتصل بشعبها النبيل وحث العلماء الزيتونيين ان يتصلوا - مباشرة - بالشعب وأن يقطعوا عزلتهم وينغمسوا في السياسة والاتصال بالجمهير وعلن ذلك في محاضرة عامة كان في منصتها الاستاذ محمد الشاذلي بن القاضى وعندما فرغ منها علق عليها وأعلن ان مشائخ الزيتونة قد شاركوا - فعلا - في السياسة الوطنية وأحدثها برهان ذلك ان قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر - رحمه الله - كان من مؤسسي حزب الدستور .

واذكر أنه لم يمر الا قليل من الوقت حتى رأينا وفدا من علماء الزيتونة يشرع في زيار مدن القطر ويلقى المحاضرات الدينية والاجتماعية في الجماهير وعلى رأسه المرحومان الشيخ المختار بن محمود والشيخ محمد الشاذلي ابن القاضى .

والحق ان علماء الزيتونة قد تأثروا بالسياسة الوطنية واثروا فيها لا بتلاميذهم وخريجى الجامعة فحسب ولكن بشخصياتهم ، واذكر ان الشيخ الفاضل بن عاشور كان من أعضاء الحركة الدستورية - اثر الحرب العالمية

الثانية - وكان اخطب خطباء الحزب ، كما ان استاذى وصديقى العلامة
البجاجة الشيخ محمد الشاذلى النيفر - عميد الكلية الزيتونية للشريعة
السابق - وعضو مجلس الامة التونسى كان من أول المنخرطين فى حزب
الدستور ومن اعضائه البارزين ، وترشح لانتخابات مجلس الامة اثر
الاستقلال ففاز بالنيابة عن مدينة تونس ولعب دورا أساسيا فى وضع
الدستور الوطنى ، وهو اليوم عضو منتخب فى البرلمان التونسى .

كما انه كان - وما يزال - ذا اثر كبير فى السياسية القومية يقدم الخدمات
الجليلة للاسلام وللوطن بواسطة التدخلات العلنية والاتصالات الشخصية
بالقادة والرؤساء كناصر أمين - والدين والنصيحة - وبوسيلة الاقناع
والتذكير قد تؤدى خدمات أكبر وأجل من الضجيج والتهريج . وكثير من كتاب
تونس وزعمائها تخرجوا من الجامعة أو قرأوا على اساتذتها .

هذه نبذة تاريخية نقدمها أمام هذه القصيدة التى تناولت شخصية
ابن باديس كمصلح وكصحافى حر ، وتكلمت على مهمة المصلح والصحافى
وما ينبغى ان يتحلى به من يريد ان ينهض بأمتة ، وقد نشرت القصيدة فى
جريدة الشهاب عدد 93 الصادر فى 19 شوال 1345 هـ ، الموافق : 19 ابريل
1927 م ، فى باب (روضة الشعر) بمقدمة وجيزة وتحته عنوان :
(مرحبا) وهذا نص المقدمة ثم القصيدة :

« لا زلنا نسمع من الاستاذ كلمات الاشتياق الى زيارة الديار المراكشية
وقد صبح عزمه فى هاته الايام على السفر ، وما بلغت انباء سفره السادة
المغاربة حتى جاءت عدة كتب فى حثه وتنشيطه .

وجاءت القصيدة البليغة من شاعر فاس الكبير فى الترحيب به وبرفيقه
السيد أحمد بوشمال قبل قدومهما ، فشكرا لاولئك السادة على احساسهم
وكرمهم .

مرحبا بالأستاذ عبد الحميد (والقصيدة من بحر الخفيف)

- مرحبا بالأستاذ عبد الحميد ويوم يزور فيه سيد (1)
صديق مرافق لصديق برشيد مرافق لرشيد (2)
سوف يلقي منا وتلقى صدورا رحبت للتبجيل والتمجيد (3)
سوف يلقي منا وتلقى اقتبالا دونه جودنا بكل تليد (4)
مرحبا بالمجلين العزيزين الجديرين بالثناء الحميد (5)

(1) مرحبا : كلمة الاستقبال والتكريم ، واکرام الضيف واجب ، وأوله اظهار البشاشة والابتهاج بقدومه ، والرحب بالضم السعة وهو مصدر ، وبالفتح فالسكون صفة مشبهة : الواسع يقال : مكان رحب ، وأرض رحبة ، ورحب الصدر : طويل الاناة ، والرحبة بسكون وبفتحتين الارض الواسعة ، وما تزال كذلك فى لغتنا الدارجة ، وصف اليوم بصفتين : الاولى : الجملة الفعلية ، واثانية سعيد .

(2) الصديق : صيغة مبالغة من الصدق وهو الخل الحبيب مشتق من صدقه المودة والنصيحة ، وفى المثل : (صديقك من صدقك لا من صدقك) مرافق : مصاحب صحبة معاملة بلطف ونفع ، والرشيد : المهتدى المستقيم على طريق الحق ، والرشد : الاستقامة وضده الغي . وقد صدق الشاعر فى وصف الرجلين والصلة بينهما كما أعرفها .

(3) يلقي : يصادف ويجد ويستقبل منا ، رحبت : اتسعت ، والتبجيل التعظيم والتكريم ، والتمجيد : الاعزاز والرفعة ، والمجد : العز والرفعة .

(4) جودنا : بذلنا وسماحنا ، تليد : عتيق نفيس ، المال العتيق القديم ، والطارف : الحديث .

(5) مبجلين : معظمين مكرمين ، والعزیز القوى ، والغالى النفيس النادر والغالب والملك كلها من معانيه . والجدير : الخلق والمستحق للشيء ، الثناء : ذكر الخصال الحميدة بالمدح ، وقد تصدق كلمة الثناء على الذم ، لذا يقال : أثنى عليه حمدا . وقال عنتره «أثنى علىّ بما علمت» .

من شباب الى المعالي سراع وشباب لكل خير شهود (6)
 من شباب تمثل النبل فيهم وهم قائلون : هل من مزيد ؟ (7)
 من شباب على المعالي دؤوب وشباب على الأعادي شديد (8)
 من شباب يسعون سعيا حثيثا لوائام بين الشعوب مديد (9)
 من شباب بهم صلاح بلاد وشباب بهم حياة جدود (10)
 مرجبا بالداعي لنيل معال تمتطى بالتوفيق والتسديد (11)
 مرجبا بالداعي لنيل مخاز - تعتدى بالفتى لنار الوقود (12)

(6) سراع : مسارعين مبادرين ، شهود : حضور غير غائبين : يسرعون
 يبادرون الى المعالي ويحضرون كل خير ولا يغيبون ، والشاهد : الحاضر ،
 ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ منكم الشاهد الغائب » .
 (7) تمثل : تصور ، النبل : الفضل والشرف والنجابة والذكاء ، وهم
 يطلبون المزيد لا يقنعون بما بلغوه وحصلوا عليه لطموحهم .
 (8) دؤوب : صيغة مبالغة لدائب وهو الجاد المستمر في العمل ، والاعادي :
 جمع الاعداء ، والاعداء : جمع عدو وهو الخصم المباعد الساعى في المضرة
 لخصمه ، فالاعادي جمع الجمع . شديد : قوى شجاع قاس .
 (9) يسعون : يمشون بجهد واجتهاد ، والمراد يعملون ، والحديث السريع ،
 كان نفسه تحته على السرعة وتحضه عليها ، اللوائم : الوفاق ، توائم ، توافق
 وتناسب ، مديد : طويل .
 (10) بهم صلاح البلاد لا بغيرهم ، ففي الكلام حصر ، كما ان احياء متأثر
 الجدود بهم وحدهم وكم للجدود من عز ومجد .
 (11) المعالي : جمع مفردة المعلاة : الشرف والرفعة ، تمتطى : تركب ،
 امتطى الدابة ركبها ، والتوفيق : الصواب والاهتداء اليه ، والتسديد التماس
 السداد : الرشاد والاستقامة والصواب .
 (12) المخاز : جمع المخزاة ما يبعث على الخزي وهو الذل والمهانة والفضيحة
 تعتدى : تتجاوز ، لا تعتدوا : لا تتجاوزوا ، نار الوقود : النار المتقدمة
 المشتعلة .

وكانت دعوة ابن باديس تهدف الى اصلاح الدين والدنيا . فصلاح الدين جعل
 شعاره قول مالك « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » وأسلوبه جعل
 شعار فيه قوله تعالى : « ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
 وجادلهم بالتي هي احسن » ثم كانت حربه لكل انحطاط فكري وخلقى وكل
 انحراف في العبادة بالاشراك بالله أو الانكباب على البدع والخرافات . وهذا
 ما أشار اليه الشاعر في البيتين ، فان من أكبر المخازى الانحطاط الفكرى
 والتخلف في مجال الحيا مع ان أمة الاسلام خير أمة أخرجت للناس . والزيف
 فى العقائد يؤدى الى جهنم .

- مرحبا بالعظيم بل بالصحافي مرحبا بالزعيم بل بالعميد (13)
 مرحبا بالصحافي الحر بالذا هب بالشعب فى سماء الصعود (14)
 ان تسلى عن الصحافى من هو قلت من يبتنى حياة الخلود (15)
 فوق هام العلى بأس معال وبناء على العلوم مشيد (16)
 فهو مبدى حقائق الكون للناس بقول أجلى سنا من عمود (17)

(13) الصحافى : من اتخذ الصحافة مهنة له ، والصحافة - فى الاصطلاح الحديث - كتابة الجرائد والتحرير فيها وإخراجها ، والاصل فيها من الصحيفة وهى القرطاس المكتوب وتطلق أيضا فى الكتاب على الورقة بوجهيها ، والصحافى نسبة الى المهنة بكسر الصاد والنسبة الى (الصحيفة) بصيغة الصحفى بفتح الصاد ، واما الضم ، نسبة الى الجمع فلا يصح لان النسبة الى الجمع تكون بارجاع الصيغة الى المفرد ثم ينسب . والنسبة الى فعلية فعلى والنسبة الى (فعيل) فعلى . والعميد سيد القوم وسندهم ، وهو من الرتب العسكرية فى الجيوش العربية ، والعماد - وجمعه عمد بفتحيتين - ما يسند اليه ويعتمد عليه .

(14) الحر من ملك حريته ولم يخضع لسلطة تملكه ، والصحافي الحر هو الذى يتصرف بكل حرية لا يخضع لسلطة حكم ولا حزب ولا هيئة وإنما يقول ما يميله عليه ضميره ومصلحة أمته ووطنه وكذلك التزم ابن باديس فى صحيفته وفى حياته ، ولا يصعد شعب ولا يرتقى الا بصحافة حرة ناصحة لا ترهب ولا ترهب وبصحافيين أحرار شجعان .

(15) الخلود : الدوام والخلد : الدوام والبقاء ، وإنما يعتبر الخلود اذا كان فى عزة ومجد وقوة وراحة للامة تكون فيه فى طليعة الامم وأعزها وأقواها دولة وسلطانا والامة الاسلامية - ما تمسكت بالاسلام - خير أمة أخرجت للناس .

(16) الهام : جمع الهامة ، وهى رأس كل شىء ، ورئيس القوم وسيدهم ، ونوع من البوم الصغير يلزم الخرائب يصوت بصوت كرية تزعم العرب أنه يطالب بأخذ الثأر ، ويسمى أيضا الصدى . والأس : أصل البناء وما يقوم عليه وقاعدته ، والحجر الاساسى أول حجر يوضع فى البناء ، مشيد مرتفع ، قصير مشيد : مرتفع ، ولا شك أن بناء يكون أساسه العلم ومعالي الامور يضمن العزة والخلود لاهله .

(17) فهو : أى الصحافى ، مبدى حقائق : مظهر للحقائق . وهى جمع حقيقة ، الحق ، وهو ضد الباطل ، والحق هو الله سبحانه ، وإنما ينجح القوم اذا عرفوا الحق والتزموه ، وتنكروا للباطل وهزموه . وعبدوا الحق ووحده . والصحافى الحر النزيه - نصحا لأمتة - يلتزم الحق ويقول ولو كان مرا . والصحافى الذى يكذب يخونها لان كذبه يغر بالشعب ويخدع أولى الامر ولهذا قال أبو بكر فى خطبته الاولى « الصدق أمانة والكذب خيانة » . والصحافى الناصح يبصر أمتة بالعلوم ، ويكون أسلوبه واضحا مفهوما أظهر من ضوء =

وهو بان حياة مجد لقوم ولقوم هدام مجد وطيد (18)
وهو من يوقف الحياة على احدا ياء شعب عن الرقى مذود (19)
وهو من يبذل النفيس من العمر لاهياء شعبه المنكود (20)
وهو من يقدر الانام ويدري قدر كل من مسيد ومسود (21)
وهو من يبتنى وجودا جديدا فى فضاء رحب وكون جديد (22)
مرحبا بالموفق النذب أهلا بزعيم الاصلاح أسد الاسود (23)

=الصباح - والعمود أراد به الشاعر - كما فسرہ بنفسه - عمود الصباح
والسنا - بالقصر - الضوء - ولا ترتقى أمة الا بمعرفة حقائق الكون وتسخير
طبيعته لخدمتها .

(18) الصحافي يبني لقومه حياة المجد - ان استقام ونصح وكان كفؤا
لاداء مهمته فان كان ليس بأهل لاداء مهمته ، متطفلا على مهنته ، جاهلا بعمله ،
تسبب فى هدم مجد لهم وطيد ، والوطيد الثابت الدعائم .
(19) يوقف الحياة : يحبس حياته ويخصص أعماله من أوقف ماله جعله
حبسا فى سبيل الله والرقى الصعود . والمذود المطرود المدفوع من ذاده
يذوده : طرده ودفعه وكان المستعمرون حريصين على منع شعبنا من احراز
أى تقدم وصعود فى كل ميادين الحياة ، وخصوصا السياسة والاقتصادية .
وهم لذلك يشجعون الخرافة والانحطاط العقلى والاجتماعى والدينى ، ويحمون
الفساد والمفسدين .

(20) يبذل يعطى ، والنفيس هو المال الكثير ، وهو أيضا الثمين الغالى
المرغوب فيه المتنافس عليه . والمنكود : الممنوع المحروم ، والنكد العسر
والمشقة .

(21) يقدر الانام : يزنهم ويقيسهم - قياسا صحيحا - بمقاديرهم ،
والقدر مبلغ الشئ، وكونه مساويا لغيره بلا زيادة ولا نقصان . وبذلك أمرنا
كما جاء فى قول عائشة رضى الله عنها « أمرنا أن ننزل الناس منازلهم » وفى
القرآن الكريم : « ولا تبخسوا الناس أشياءهم » والصحافي المقنتر يعرف
أقدار الناس ولا يظلم سيذا فيضعه دون منزلته ، ولا يظلم مسودا فيجعله
فوق مرتبته . وقد شهد عمر بن الخطاب لابي بكر بصحة تقديره ومعرفته
بالرجال ، يشهد لذلك تقديمه لخالد بن الوليد رضى الله عنه .

(22) الفضاء المكان الخلو المتسع ، والرحب المتسع . والشاعر يريد أنه
يجدد حياة أمتة ويريد الا تقتنع بما ورثت بل تحتفظ بما فى القديم من أمجاد
وقوة وعزة وتبنى الجديد الطارف وقديما قال أولنا :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا
ولما أنشد هذا البيت ابن باديس قال : « ونفعل (فوق) ما فعلوا »
والحمد لله الذى صدق ما توقعه فلم يكن للمتقدمين أساطيل الجو وقد ملكناها .
(23) الموفق : المسدد ، والرجل النذب : السريع الى الفضائل ، والنجيب
الظريف . والخفيف فى الحاجة اذا ندب اليها خف لقضائها ، وهو الماضى
النشيط . وجمع النذب أنداب .

لأعدمناك مصلحا ونصوحا لأناس على الهوان قعود (24)
 لأناس عن المعالي نيام لأناس عن كل مجد رقود (25)
 قد تساوى لديهم أن يكونوا سادة الناس أو خسيس العبيد (26)
 شأن ضعفى النفوس، شأن الكسالى شأن من ألفوا وخيم الجمود (27)
 شأن من أخلدوا الى الراحة العمياء واستسلموا الى التقليد (28)

والاسد : ملك الحيوانات وأقواها وأنبهها ، ويفتح وسطه ويسكن ،
 ويطلق على الذكر والانثى فيقال : هو الاسد وهى الاسد ، ويشبه به فى
 الشجاعة . والاصلاح ضد الافساد ، وهو وظيفة الانبياء قال شعيب فيما قصه
 القرآن : « **ان أريد الاصلاح ما استطعت** » . وكان ابن باديس كما وصفه
 الشاعر زعيم الاصلاح ، قال عنه المؤرخ الفرنسى (شارل اندرى جوليان) فى
 كتابه افريقيا الشمالية تسير . انه أقوى شخصية دينية برزت فى افريقيا
 الشمالية . ومع ذلك لم يكن له هذا الطموح وإنما حصل له بصدقه .

(24) عدم الشئ فقده . والماضى اذا دخلت عليه (لا) ولم تكرر فانه يتحول
 الى صيغة دعاء . فان تكررت (لا) فهو منفى نحو « **فلا صدق ولا صلى ولكن**
كذب » والصيغة فى الدعاء انشاء ، وفى النفى اخبار . والنصوح صيغة مبالغة
 محولة من ناصح الكثير النصيح والهوان : الذل والضعفة واحتمال ظلم اللئام ،
 والقعود جمع القاعد الجالس الساكن على الضيم لا يحدثون أنفسهم بالنهوض
 والقيام ثائرين على من ظلمهم ولا يصبر على مثل موقفهم الا الاذلان : غير
 الحى والوتد !

(25) رقود جمع راقد نيام جمع نائم ، ولما كان النائم لا يملك وعيه وهو
 غافل عما يجرى حوله جعل من يصبر على الحالة السيئة التى كانوا فيها مع
 الاخطار المحيطة بهم نياما ورقودا - وكلامه من باب الاستنهاض والدعوة الى
 الاستيقاظ . ومن خطب أمير المؤمنين علي قوله فى جنده « يا شباه الرجال
 ولا رجال » .

(26) السادة : الشرفاء القادة الرؤساء ، والخسيس الرذل الدنيء الحقير ،
 والنافه . والعبيد جمع العبد من لا يملك حريته . يباع ويشترى كالمتاع فى
 الاسواق ، وقد يجعل نفسه الخسيس كذلك وان كان حرا .

(27) شأن قصة وعادة وحال ، أو ما عظم من الامور والاحوال عموما وشأنه
 كذا : طبعه وخلته وضعفى : جمع ضعيف ، كضعاف وضعفاء فاقد القوة
 والمريض الواهن . والكسالى جمع الكسلان وهو من فتر نشاطه وتثاقل
 وتوانى . وألف الشئ انس به وأحبه ، وألفه اعتاده وآنسه . والوخيم الثقيل
 الوبئ غير الموافق ، الردى .

(28) أخلدوا الى الراحة ألفوها ولصقوا بها ، أخلد الى الارض لصق بها .
 والتقليد : المحاكاة . والاتباع من غير نقد ولا تفكير ، وهو مذموم لانه الغاء
 للفكر واستعماله ، والاسلام يأمر باستعمال النظر والتفكير « **أفلا ينظرون**
الى الابل كيف خلقت ٠٠٠ » ، « **كتاب انزلناه اليك مبارك ليذبرا آياته**
وليتذكروا » . وأما يكون الاتباع لسنة نبوية واضحة كتقيل
 الحجر الاسود كما قال عمر .

فهم ، من اخلادهم فى أسار وهم من تقليدهم فى قيود (29)
 من رأوه فى حالة قلده بله فيما يقودهم للكنود (30)
 هم (لعمري) أشباه بله الخنثى أو قروود تشبهت بقروود (31)
 خلة فيهم : عظيم عليهم نبذها أو يسلسوا فى القيود (32)
 مصلحو الناس فى الوجود قليل وقليل وجودهم فى الوجود (33)
 وإذا هم أتوا - وقد نبغوا - كم ذا يلاقون حقود الحقود (34)

(29) هم أسارى الراحة التى ألفوها فصارت فى طبائعهم ، وهم مكتفون
 مقيدون بتقليدهم ليست لهم حرية الحركة والسعى .
 (30) لما ألفوا التقليد فانهم اعتادوا أن يحاكون غيرهم فيما رأوه منهم .
 وقد يكون ما يأتية مضرا بهم وهذا شأن الامم الضعيفة مولعة بتقليد غيرها من
 الامم القوية المتغلبية . ولو كان فيما ينافى مصلحتها ويؤدى الى مضرتها .
 أو يبطل شريعتها وينافى كرامتها، وكلمة بله اسم فعل أمر بمعنى : دع واثرك ،
 والكنود فسر الشاعر بأن مراده كفران النعمة . فهم يقلدون غيرهم من الاجانب
 حتى فيما يقود الى كفران النعم .
 (31) بله - هنا - جمع أبله - والمؤنث بلهاء - من ضعف عقله وعجز
 رأيه ، وعيى فى حجته والخنثى . جمع الخنثى وهو من له عضو الرجال
 التناسلي وعضو النساء ، فهو لا ذكر ولا أنثى ، أو هو من الرجال من كان فيه
 لين وتكسر وتثنى ، صورة الرجال وأحوال النساء . والقرد أكثر الحيوانات
 تقليداً ، ويضرب به المثل فى التقليد ، ويشبه به من يقلد غيره دون تفكير .
 والشاعر يقول : لسفه رأى هؤلاء القوم قلدوا من هو نفسه مقلد ،
 وخير مثال لهؤلاء من يقلدون غيرهم فى الالحاد والكفر بالله ! ولو استعملوا
 قليلا من التفكير فى خلق الله لاهتدوا بما نصبه لهم من الآيات . انهم يحاولون
 مسخ أمتهم ، ونسخ شرائعها ، بدعوى التقدم ... ولكن الى الورا !
 (32) الخلة بالفتح والضم من معانيها الخصلة وتجمع على خلال . نبذها
 طرحها وتركها . أسلسوا قيادهم : انقاد وسهلوا على أسرهم ربط قيودهم
 وأغلاهم . والفعل منصوب بعد - أو - والقيود جمع القيد : الكتاف .
 (33 و 34) المصلحون قليل وجودهم فى الدنيا : انهم الانبياء والمرسلون اذا اوحى
 اليهم ، أو العلماء والفلاسفة المفكرون الذين يعيشون لغيرهم لا لانفسهم ويصبرون
 على البلاء والمحن وقد يتنكر لهم أقرب الناس اليهم وقد ينازلهم أقوى الاقوياء
 من البغاة ، ومن شر من يعاديهم الذين حسدوهم وحقدوا عليهم مع اقرارهم
 بفضلهم والاعتراف فيما بينهم وبين انفسهم كفعل أبى جهل ابن هشام مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحقد : امساك العداوة فى القلب يترصص
 صاحبها الفرصة للانقضاض على المحقود عليه للايقاع به ، ويجمع الحقد على
 احقاد وحقود ، والحقود صيغة مبالغة محول عن الحاقد ، والنبوغ : الظهور
 وكم هنا خبرية يراد بها التكثير .

غير ان الحقود مهما تكن لا تك شيئا امام اسد ربود (35)
 وبعيد ان يجنبوا فى مقام هم قيام على حماء البعيد (36)
 وعزيز عليهم أن يروا فى بلد ، هم سكانه قبح عيد (37)
 وعظيم سكوتهم عن أمور تصم الدين بالشنار الشديد (38)
 وعظيم سكوتهم عن مخازر هى أعدى من الوباء المبيد (39)
 وقبيح بهم مقام على الذل وان هم أذوا إذاية هود (40)

(35) كثرة أنواع الحقد والحاقدين لا تؤثر شيئا فى عزم ارادة الشجعان الذين اشبهوا الاسود ، والمتريد من اسماء الاسد وأربد لونه تغير والربد لمع سواد فى بياض ، وقوله (لا تك) جواب مهما مجزوم بها ، حذفت النون قياسا لتوفر الشروط .

(36) بعيد خبر مقدم والمبتدأ هو المصدر المسبوك من ان والفعل : بعيد جنبهم فى مقام بعيد ، والحمى : المكان المحمى الممنوع على الغير ، والبعيد المراد بعيد المنال .

(37) عزيز عليهم : صعب عليهم لا ينال منهم ، ولا يقبلونه ، والعيد : جمع العادة وتجمع أيضا على العادات ، والعاد ، والعيد ، والعوائد وهى ما يعتاده الانسان أى يعود اليه مرارا متكررة ، والقبح ضد الحسن والقبيح ما اتصف بالقبح .

(38) عظيم خبر مقدم مبتداه سكوتهم ، تصم : تعيب الدين وتلحق به العار والشنار اقبح العيب ، والشديد القوى ، هذا وان دين الاسلام - فى جوهره - ليس فيه ما يصمه ويشينه . بل فيه كل ما يرفعه ، ويزينه ويعلى شأنه وكل من درسه من مصادره : القرآن والسنة القولية والفعلية والاقرارية لا يملك الا أن يعرب عن تعظيمه والجهر بحسن رأيه فيه وقد يهتدى ويسلم ، ومن عظماء الرجال قوت الالماني وكارليل الانكليزى ، وقارودى الفرنسى وقد اعلن اسلامه ومثله العالم بوكاى وكذلك أتبان دينى اما من يحسب الاسلام هو ما عليه بعض المسلمين فانه يشتد نفوره منه ولا يجوز للعلماء السكوت عنه ، وقد روى عن بعض المهتدين الى الاسلام قوله - عندما اطلع على حالة المسلمين - : (الحمد لله ان عرفت الاسلام قبل ان أعرف المسلمين !) .

(39) المخازى جمع المخزاة ما يستنحى من ظهوره من القبايح ، هى أعدى أشد عدوى ، والعدوى الفساد وانتقاله من جسم فاسد مريض الى صحيح كانتقال الجرب والسل والوباء كل مرض عام ، والمبيد المهلك من باد فنى وهلك ، ومن الامراض امراض معدية شديدة العدوى ، ومنها مالا .

(40) الذل الهوان والصغار ، أذوا : أصابتهم الاذاية ، والاذى الضرر ، والاذى الشديد التآذى والتأثر بالاذى الشديد . واليهود : اليهود ، واشتقاق اسمهم من هاد يهود : تاب يتوب وفى القرآن الكريم « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هَذَا اليك » رجعنا اليك ، وقد أفسدت اليهود فكرتهم الامم فكانوا كما قال الله فيهم : « يقتلون النبيين بغير حق ويقتلون =

وغريب بلادة من فطين وغريب فطانة من بليد (41)
فهم الحاملون للدين حتى ينجحوا أو يغيبوا في اللحد (42)
أنجح الله سعيهم وعداهم لصواب الجواب يوم الورود (43)

= **الذين يأمرون بالقسط من الناس** . وبظلمهم وفسادهم طاردتهم الامم وأذلتهم ، فالفوا الذل وصبروا عليه ولكنهم برعوا في تدبير المكائد والدسائس وبذلك ينتقمون من اعدائهم .

(41) من الغرابة بمكان عظيم أن تظهر البلادة من كثير الفطانة وقد يتكلفها فيتغابي كما ان عكس ذلك غريب ، وهذه نكبة كبرى وفضيحة ، والغريب من الامر العجيب والشئ غير المألوف ، والبعيد عن الفهم . والبلادة الغباوة وقلة الفهم وضد الذكاء . والفطين صفة مشبهة من فطن يفطن فهو فطين : الحذق والذكاء والفهم . والفطانة من الصفات الواجبة ، في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

(42) المصلحون من الناس هم الذين يحملون الدين ويحمونه ويقومون بمهمتهم الاصلاحية حتى يحققوا اغراضهم أو يسكنوا قبورهم ، واللحد : القبر ، ونوع منه يحفر القبر ثم يشق في جانبه مكان يوضع الميت فيه .
(43) انجح سعيهم : وفقهم الله في مساعيهم ونصرهم ، وحقق اغراضهم ، يوم الورد يوم القيامة والورود على الحوض حيث يرد المؤمنون فيسقون من حوض النبي صلى الله عليه وسلم . ومن شرب منه لا يضره لا يضرنا الله من الذين يردونه فلا يذادون عنه ، آمين .

ومن ذا يرد سهام القدر ؟

شئنا أن نختم القسم الاخير بهذه الرباعية الرائعة من الشاعر الناثر الاديب الكبير الشيخ موسى الاحمدى نويوات - وان كانت ليست من موضوع الكتاب - الا انها قيلت فى تأبين الاستاذ الامام ابن باديس رحمه الله بعد وفاته ببضع سنوات بمناسبة ذكراه التى اقيمت بقسنطينة عام 1947 م . فاذا كانت قد أخطأته سهام البشر عام 1926 فقد أصابته سهام القدر عام 1940 . وهذه مناسبة تشفع لذكرها .

والشاعر الكبير هو (موسى بن محمد الاحمدى نويوات ، ولد سنة 1903 بدوار أولاد على من ولاية المسيلة اليوم ، وفى الشمال منها ، ولقومه صلة بقوم الشيخ البشير الابراهيمى فى النسب والجوار . حفظ القرآن الكريم ، وأخذ المبادئ الاولى فى اللغة والدين بزاوية الحاج سعيد بن الاطرش ، حيث تتلمذ على الشيخ محمد أرزقى بن البدوى ، والشيخ يحيى طلبى .

انتقل الى قسنطينة ليسمع من الشيخ عبد الحميد بن باديس لمدة سنتين كاملتين عام 1927 - 1928 م فحقق مراده ، وأخذ عنه العلم ، والتربية الاسلامية القومية . ومن قسنطينة انتقل الى تونس ليأخذ من كبار شيوخها مدة أربع سنوات كاملة هى 29 - 30 - 31 - 1932 م ، كالشيخ عثمان بلخوجة ، والشيخ محمد الزغوانى ، والشيخ محمد اللقانى والشيخ عثمان بلمكى التوزرى وهو ممن أعلن الحرب على البدع والضلالات ، والشيخ الصدام القيروانى ، وكان ممن يهتم بالشعر ونظمه وعلمه . والشيخ المختار بن محمود من حاملى لواء النهضة الاسلامية الاصلاحية فى تونس .

وعاد الشيخ موسى الى وطنه ليشارك في حمل قسطه من اعباء النهضة وبدأ ذلك بانتسابه الى جمعية العلماء والعمل تحت لواء أستاذه ابن باديس ، فأخذ يعلم في (قلعة بني حماد) العاصمة الاولى للدولة التي أسسها جد الحماديين الملك الهمام ، حماد بن بلقين ، وسكنها عام 400 هـ ، ولم يخرج الشيخ موسى عن تلك الجهات ، فقد أخذ يتردد بين مدنها وقراها مديرا لمدارسها ، مسؤولا عن الحركة فيها .

وكان طول حياته - عاملا نشيطا وعالما وأديبا منتجا ، وشاعرا ناثرا . مساهرا للحركة مندمجا فيها ، متطورا معها . وكان عمله منسجما مع القادة فكان على اتصال متين بالشيخ ابن باديس في حياته ، واتصال كبير مع أستاذا مبارك الميلي واتصال عمل مع الشيخ محمد البشير الابراهيمي ، وأذكر له أنا لما أسسنا جريدة (الشعلة) الثائرة . كان من المشتركين معنا في الثورة وحمل مشعلها .

فلما جاء عهد الاستقلال تابع - في الدولة - نشاطه ، يؤدي واجباته في وزارة التربية كمدير لمدرسة التهذيب القديمة التي أصبحت تكميلية ، كما يؤدي واجباته في وزارة الشؤون الدينية التي قدمته أحيانا لالقاء محاضرات في التلغزة . كما يؤدي واجبه في الانتاج والتأليف ، فقد قدم الشيخ موسى مؤلفات كثيرة طبع بعضها ، وما يزال كثير منها ينتظر النور ، وما قدم منها كان له صدى كبير واثر حسن .

من كتبه كتاب علمي نفيس قدمه - رغم جفاف موضوعه - في عرض أدبي شيق وهو كتاب (المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي) .

ثم ألف كتابه الثاني (كشف النقاب عن تمارين اللباب ، في الفرائض والحساب) وهو تعليق على كتاب لشيخنا الزيتوني الشطبي ، وقد أطلع عليه ، فراقه وأثنى عليه ، ومن أهم كتبه المطبوعة (معجم الافعال المتعدية بحرف) . وكتاب (شرح الاسئلة الرمضانية) . وله سلسلة قصص شعبية أخرجها في أسلوب أدبي رائع منها : بقرة اليتامي ، وسالم وسليم (الاقرع بوكريشة) ، ومحمد ابن السلطان ، والبغلة الحمراء ، والعكرّك ، وفتية الجبل ، واللص والعروس ، الخ . . . وله أيضا كتاب في المطالعة ، وقد طبع .

وله ديوانان احدهما فى الشعر الفصيح ، والآخر فى الشعر الملحون .
وشعر الشيخ - فى كلا الفنين : الفصيح والملحون - جيد جدا يبلغ فيه القمة
ولاشك انه يخدم العربية ينشر ديوانيه أجل خدمة .

وقد قيل فى تأبين الشيخ ابن باديس شعر كثير منذ وفاته حتى اليوم ،
وقد اخترنا أن نقدم هذه القصيدة لبيان عواطف أبنائه نحوه وحسرتهم عليه
بعد سبع سنوات من وفاته ، ولما كان الشيخ موسى من أبنائه وطلبته فهو

أهل لتمثيل هذه العواطف .

(ومن ذا يرد سهام القدر ؟)

قال الشيخ موسى : والقصيدة من بحر المتقارب .

شبابَ الجزائر: ماذا الخنوعُ وما لَزْفِيرُكَ بينَ الظلُوعِ
وما لِعُيُونِكَ تَذْري الدموعُ بعيشك - يا نشءُ - قل ما الحَبْرُ ؟ (1)
أَمِنْ أَجَلٍ بِدِرِكَ لَمْ يَطْلُعْ أَمِنْ أَجَلٍ غَيْثِكَ لَمْ يَهْمَعْ ؟
أَمِنْ أَجَلٍ بِرَقِّكَ لَمْ يَلْمَعْ جَزَعَتْ وَجُدَتْ بِتِلْكَ الدَّرَرُ (2)

(1) شباب الجزائر منادى مضاف ، سقط منه حرف النداء . والخنوع والخضوع والذل ، يقال خنع له واليه : ولا يكون من العبد الا لله . وفى قنوت الصبح (ونخنع ونخلع لك) أى نخضع ونذل لك وننخلع عن أعمالنا وصفاتنا السيئة . والزفير اخراج النفس مع مده . وزفير النار صوت توقدها المسموع . وحركة التنفس (زفير وشهيق) وهما ادخال النفس واخراجها . ذرت العيون الدمع صبته وأرسلته . وانما تتوالى الزفرات ، وصب الدموع ممن ذهبت نفسه حشرات ، فعلى أى شىء كان يفعل ذلك شباب الجزائر سنة 1947 م ؟ لقد أصيب بنكبات : مات عشرات الالوف من شبابه فى معارك حرب عالمية عادت بالقوة والضراوة على المحتل ، ومات عبد الحميد زعيمه سنة أربعين ، ثم لحق به الميلي عام 1945 م ، ثم استشهد خمسة وأربعون ألفا من أمتة عام 1945 م ، والشاعر يعلم هذا ولكنه يريد أن يقرره ليفكر بنفسه ، ثم عين له أحد هذه الاشياء التى هى موضوع القصيدة الشاعر ومراده .
(2) البدر القمر ليلة اكتماله ، ليلة 14 من الشهر ، يستمر طلوعه من أول الليل الى آخره هاديا للسائرين ، مسامرا للساهرين ، فاذا غاب لعله ما أوحش مترصديه .

وكان ابن باديس بدر الشباب . والغيث المطر النافع يحيى به الله الارض بعد موتها . وهمع الغيث سال ولمع البرق : أضاء وتلألأ ، والبرق نور يلعب فى السماء على اثر انفجار كهربائى فى السحاب . وانما تكون هذه علامات =

لقد كان عهدي ببدر السَّما تُلُوحُ أشعته في الحمى
ويهدي السُّرَّة إذا ما سَمَا فتحمَّدُ بعد المسير السُّمُرُ (3)
وعهدي بغيثك يسقي الرُّبَا فتُخرجُ من زهرها أضرباً
فطابت وطاب لها مشرباً وفاح أريجُ شذاها العطرُ (4)
فأين دليلك قل يا شبَّابُ وأين غداً ضوءُ ذاك (الشَّهابُ)
أفي عالم النُّجُم أم في التُّرابُ تغيَّبَ ذاك السنَّا واستتَرُ (5)

=مباشرة بان العام مخصب فيفرح الفلاحون ويستبشر الشعب ، فاذا لم يلمع برق ولم يهطل مطر جزعوا ونزلت دموعهم كالدرر . والشاعر جعل ابن باديس كاليد ، وكالغيث النافع ، فلما مات افتقدوه وبكوه جزعين .

(3) السما قصره للضرورة ، وذلك شائع في الاستعمال ، والحمى المكان المحمي الممنوع لغير أهله ومن قوله (ص) : « كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه » . والسرَّة جمع السارى وهو الماشى الطريق ليلا ، والسرى والسريان سير الليل ومن أمثلة العرب (عند الصباح يحمد القوم السرى) يضربونه فى احتمال المشقة رجاء الراحة ، سما : ارتفع . والسمر حديث الليل ، وسمر لم ينم وتحدث ليلا .

(4) الربا جمع الربوة مثلثة الراء : ما ارتفع من الارض وفى القرآن الكريم فى عيسى وأمه : « **وَأَوْبَيْنَاهُمَا إِلَى رُبُوءَ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** » : مكان مرتفع ، والمعين الماء الجارى فى العيون ، وأضرب : أنواع مختلفة ، فطابت الربوة ، وطاب الغيث مشربا لها فزهت ، وفاحت الازهار انتشرت روائحها . الارجح الرائحة الطيبة ، والشذى : قسوة ذكاء الرائحة ، والشذو المسك وريحه ، والعطر صفة مشبهة من عطر يعطر كمعلم بعلم : تطيب ، والعطر الطيب مطلقا والطار بائع العطر ، والحرفة العطارة والمطار والمعطر صيغة مبالغة ومشربا تميز .

(5) الدليل : المرشد الهادى ، وجمعه الادلة والادلاء ، ودله يدل دلالة أرشده وهداه . والدليل البرهان المرشد . غدا : ذهب غدوة ، وهو هنا بمعنى صار ويعمل عملها ، والشهاب : الكوكب عموما وكل مضيئ متولد من النار ، ومنه شهاب السماء المعد لرجم الشياطين ، قال تعالى فى شياطين الاستماع : « **فَاتَّبِعْ شَهَابٌ ثاقِبٌ** » أى نجم مضيئ . (والشهاب) مجلة عبد الحميد بن باديس التى كان يرجم بها ، وفيها الدجالين فى السياسة والدين ، برزت عام 1925 م واختفت باعلان الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر 1939 م . ولما كان محل (الشهاب) السماء فقد ورى عن ذلك وتساءل : أين اختفى ؟ أفى عالم النجوم أم فى عالم التراب (فان الصاعقة المتولدة من الشهاب تنزل وتختفى فى التراب) والسنا الضوء .

وما البَدْرُ والغَيْثُ إلاَّ العَمِيدُ وَمَنْ هُمُّهُ فِي الْمَعَالِي بَعِيدُ
أَبُو النَّشْرِ وَالشَّعْبَرُ عَبْدُ الْحَمِيدُ فَقِيدُ الْجَزَائِرِ ذَاكَ الْأَبْرُ (8)
بِـ (سِيرَتَا) ، رَسُولُ الْفَنَّا زَارَهُ وَأَنْشَبَ فِي الْعِلْمِ أَظْفَارَهُ
أَصَابَ الْقَضَا فِيهِ أَقْمَارُهُ وَمَنْ ذَا يَرُدُّ سِيَّهَامَ الْقَدَرِ ؟ (7)

(6) عميد القوم سيدهم وسندهم ، همه قصده وعزمه ، يقال له همه عالية ،
وهو بعيد الهمة ومن الشواهد :
لَهُ هِمَمٌ لَا مَتْنَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
والفقيد الذي فقد فاحس الناس بغيابه واختفائه وترك فراغا من بعده
قال أبو الطيب رحمه الله :

عَشْ عَزِيزاً أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَّا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
لَا كَمَا قَدْ حَيَّيْتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدِ
والابر : أفعل تفضيل من البر وهو الاتساع في الاحسان ، والبر ضد
الفجور قال (ص) : « البر حسن الخلق » . ولم يكن عبد الحميد الا كما وصفه
الشاعر فقد كان شديد البرور بالنشر وبكل أبناء شعبه ، يحب لهم الخير ،
ويجتهد في ايصاله اليهم برا بهم .

(7) سيرتا - أو قرطه - هي مدينة قسنطينة . وهو اسمها في عهد
الفيقيين ، أطلق عليها الرومان اسم امبراطورهم قسطنطين معنق النصرانية
وأبقاه العرب كعادتهم في عدم تغيير الاعلام ، كانت في الجاهلية عاصمة المملكة
المستقلة والملوك العظام مسينيصا وابنه مصيبسا ، ثم كانت بعد الفتح من
قلاع العروبة والاسلام . وهي عاصمة النهضة القومية العربية الاسلامية
الحديثة ، لان ابن باديس بدأ بها اعماله ، وأعلن دعوته منها .

ورسول الفناء : هو ملك الموت الذي وكل بقبض الارواح والفناء ، العدم :
فني يفنى فناء عدم ، والفناء خلاف البقاء وهو من صفات المخلوقات والمحدثات
فكلها الى الفناء ، والبقاء من صفات الله وحده قال تعالى : « كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَنَ
وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ۝۰۰ » ، والفناء بالكسر : الساحة أمام البيت وجمعه أفنية .
أنشَبَ فِي الْعِلْمِ - فِي ذِي الْعِلْمِ - أَظْفَارَهُ ، غَرَزَ فِيهِ مَخَالِبَهُ وَعَلَقَهُ وَلَمْ يَفْلِتْهُ
وَلَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا ، ذَلِكَ قَضَاءُ اللَّهِ وَقَدَرُهُ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرُدُّ سِيَّهَامَ
الْقَدَرِ ؟ لَقَدْ اسْتَطَاعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ أَنْ يَقَاوِمَ الْمُعْتَدِي الْعَلِيَّوِي مَسَاءَ يَوْمِ 14
دَيْسَمْبَرِ 1926 م ، وَاسْتَطَاعَ النَّاسُ أَنْ يَلْقُوا الْقَبْضَ عَلَى الْمُعْتَدِي بَعْدَ أَنْ
اِكْتَشَفُوا مَكَانَ تَرْصُدِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْضُرْ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ
سَهْمَ الْقَضَاءِ لَمَّا جَاءَ مَسَاءَ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ 16 أَيْرِيلِ 1940 م ، لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى
خَلْقِهِ كُلِّهِمْ : « إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » .

وراحَ الذي كَانَ كالمَشْرَعِ . وأيُّ الذي مِنْ

إلى رَحْمَةِ اللَّهِ لَمَّا دُعِيَ . وكانَ الذي لَيْسَ مِنْ

فَكَمْ ذَاكَ عَنْ شَعْبِهِ مِنْ خُطُوبٍ فَظَائِعُهَا الْمُرُّ تُدْمِي الْقُلُوبَ

وَكَمْ ذَاكَ فِيهَا الْعَذَابَ ضُرُوبٌ وَكَمْ ذَاكَ تَأَذَّى وَكَمْ ذَاكَ صَبْرٌ (9)

فَكَمْ حَارِبَتُهُ جِبَاءُ الرُّفَاةِ وَحَدَّتْ لَهُ فِي الدُّجَى الْمَرْهِفَاتُ

فَبَدَّدَ أَحْزَابَ تِلْكَ الْجُفَاةِ وَعَفَّ عَلَى جِلْفِهِمْ إِذْ قَدَّرَ (10)

(8) راح : ذهب وولى ، والمشرع : مورد الشروع للشاربين . يقال شرع بشرع - كقطع يقطع - فى الماء دخل فيه أو شرب بكفيه منه ، وشرع الماشية أوردها الماء وأى للاستفهام وكرع فى الماء مد عنقه وتناول الماء من موضعه - الى رحمة الله متعلق براح - وكان تامة بمعنى وجد وحضر ، والذي لا مفر منه هو الموت « كل نفس ذائقة الموت » . وليس فى الجزائر من لم يشرب من مشرع عبد الحميد مباشرة أو بواسطة .

9 - كم فى هذا البيت وما بعده خبرية وأريد بها التكرير : ذاد دفع وطرد والخطوب جمع الخطب ، وهو الشأن وغلب استعماله للامر العظيم المكروه . وفى القرآن الكريم : « ما خطبك يا سامري » ؟ . وقد خرج السامري بقوم موسى من توحيد الله الى عبادة العجل الذهبى ، فظائعها فظيعة شنائعها ، آثارها مرة تؤلم القلوب وتؤذيها . ضروب : أنواع ، وأصناف ، تأذى لحقه الاذى وأحس به ، وصبر : ضبط النفس وتحمل ما يكره دون جزع .

(10) الجبابة جمع الجباب اسم فاعل من جبى يجبى وجبا يجبو (وأوى ويأوى) وهو الذى يجمع الخراج ويقال للخراج المجبى ، والرفات : العظام المكسورة المندقة والفعل منه رفت من باب ضرب وقتل انكسر واندق ، وحدت له - مضت وسنت والمرهفات الحداثد الماضية القاطعة - والجفافة جمع الجافى الغليظ القلب الجافى الطبع والجلف الغليظ الطبع .

والشاعر يريد أن الذين حاربوه بكثرة هم جبابة القبور والعظام البالية وعبادها العائشون على جمع الصدقات والنذور المقدمة للقبور ، فطالما تأمروا عليه فى ظلام الليل ، وحضروا للفتك به أسلحة رقيقة الشفرة فبدد جمعهم ، ثم عف عن الانتقام حتى ممن سفك دمه واراد ذبحه .

وكم نَشَرَ الدُّرَّ في (الأخضر) وكم فيه أخرجَ من عبقرى
 تراه الى السَّبْقِ اذ يَنْبَرِي يحوزُ الرهانَ ويجني الثَّمَرُ (11)
 شبابٌ يحنُّ الى الصَّالِحَاتِ ويصبُو - بشوقٍ - الى المَكْرُمَاتِ
 ويسمُو - بِغَايَاتِهِ - للحياةِ ومن طَلَبَ الحقَّ يوماً ظَفَرُ (12)

(11) كان يلقي دروسه في الجامع الأخضر . وقد بنى في قلب المدينة
 العربية من العهد التركي للعبادة وبث العلم تم بناؤه عام 1156 هـ بناء حسن
 باي رحمه الله . فلما منع الشيخ من الجامع الكبير سنة 1913 م ، طلب أبوه
 - بعد رجوعه من الحج - ان يؤذن له في الجامع الأخضر، عام 1332 هـ - 1914م،
 ثم حاولوا اخراجه منه بعد عشرين سنة، أوغزوا لمامه الشيخ الورع بلقاسم
 ابن عزوز أن يخرج من مقصورة الجامع التي جعلها الشيخ مكتبا لتحضير
 دروسه وكتابة مقالاته فأجابهم : انه هو الذي سبقني اليها ، وأبى أن
 يرتكب هذه الحماقة . وكان الشيخ يؤدي صلاة الجمعة بالجامع كما
 كان يشرع في التعليم به ابتداء من انتهاء صلاة الصبح الى القاء درس التفسير
 من بعد صلاة العشاء ، وتارة يقرئ درسا آخر بعد التفسير كما كان يفعل
 عام 1930 م ، اذ يلقي درسه في القوانين الفقهية لابن جوزي . وقد أخرجت
 دروسه كثيرا من النبغاء الذين يصدق عليهم وصف (عبقرى) لو أنبرى منهم
 أحد للمسابقة لحاز الرهان وجنى الثمار ، ومنهم شاعرنا فقد سبق الشباب
 - مرارا - في الاجابة عن أسئلة مسابقة رمضان فحاز السبق دونهم وحج
 بسبقه ، ومن عباقرة تلاميذ ابن باديس الذين تخرجوا من دروسه : مبارك
 الملي ، والزاهري والسنوسي ، وعبد السلام السلطاني ، والغسيرو ، والصادق
 حماني، والفضيل الورتلاني، ونصر الدين ناصر، وباعزيز بن عمرو . الخ .
 ولا نذكر الا الموتى ، وكثير منهم أحياء . وثمرة مثل هذا السباق طيبة حلال
 (12) حن الى الشئ وصبا اليه اشتاق اليه ومال نحوه وعطف اليه .
 والصالحات جمع الصالحة ، وصف حذف موصوفه الاشياء الصالحة والاعمال
 والاقوال الصالحة ، وانما يكون الفلاح والنجاح للذين يعملون الصالحات قال
 تعالى : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ » وقال : « **والعصر**
ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » والمكرمات ج .
 المكرمة فعل الكرم والخير من الكريم يسمو : يعلو ويرتفع . والغايات جمع
 الغاية التي تجمع أيضا على غاي ، وأصلها الراية تنصب وتكون نهاية السباق
 فالواصل اليها أولا هو السابق . وظفر فاز بالشئ، وناله .

لَأَجْلِكَ - يَا نَشْرُءُ - كَانَ الْفَقِيرُ
يَكُودُ لَتَحْيَا وَتَبْقَى سَعِيدُ
وَتُرْجِعُ ذَاكَ التَّمَرَاتِ التَّلِيدُ
تَمَرَاتِ جَدُودِ كَرَامٍ قَبِيرُ (13)
فِيَا نَشْرُءُ - سَعِيًّا وَكُنْ ذَا ثَبَاتُ
وَهُبَّ سِرَاعًا إِلَى الصَّالِحَاتِ
فَهَا مُرْكَبُ بُنَاةِ الْحَيَاةِ
يَغْذُ الْمَسِيرَ فَكُنْ فِي الْأَثَرِ (14)

(13) لاجلك : بسببك ، وأصله مصدر أجل : جلب شرا ، ثم استعملوه فى تعليل الشر ، ثم أطلق على سبب كل عمل فيقال : من أجلك ولاجلك . وفى التنزيل - بعد قصة ولدى آدم « مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ » الآية . يكد يعمل بجد ، ويلج فى الطلب ، ويشتد فى العمل . تبقى هنا بمعنى تصير ، فى المعنى وفى العمل - التراث اسم مصدر من ورث ورثا - بكسر الواو وفتحها - وارثا وراثا والمراد به هنا ما ورث عن الهالكين قال تعالى : «وَتَاكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لًّا» والتلید : القديم العتيق، والطارف الحديث الجديد قبر : دفن ، وسبب دفنه قصور الخلف وتطول الزمن ، ومكائد العدو.

(14) سعيا مفعول مطلق نائب عن فعله : أى أسرع سعيا ، وهو فى العربية من صيغ الامر والسعى المشى بسرعة والعدو نحو الغاية ، والمراد كن جادا فى سيرك . والثبات الدوام والاستمرار والمواظبة ، ولا يكون النجاح الا مع الاستمرار فى العمل قال الله تعالى : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « أحب العمل الى الله أدومه وإن قل » ، وهذا الحديث مما سمعناه من شيخنا رحمه الله . وهب الرجل من النوم : استيقظ وانتبه وأسرع ، والبغاة ج . الباغى هنا يعنى الطالب من بغى بغاء وبغية الشئ طلبه ، لا من بغى الرجل اذا عدل عن الحق ، وبغى عليه اذا استطال عليه وظلمه فهو باغ والجمع - بغاة - أيضا ومن هذا قوله تعالى فى قارون : « فَبَغَى عَلَيْهِمْ » استطال عليهم . ويغذ المسير : مضارع أغذ السير وفى السير أسرع - كن فى الاثر اتبع طريقهم التى ساروا عليها لتصل بهم وتسير فى ركبهم .

وحسبك من راحلٍ خلفٌ خيرٌ ، بنشر اللغى كلف
له شملٌ شعبك يا تَلَفٌ فكن تحت رايته تنصير (15)

(15) حسبك : كافيك ، والحسب الكفاية والغناء يقال (بحسبك درهم)
أى كافيك ، وفى الحديث الصحيح (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه
المسلم) أى إذا احتقر أخاه فقد بلغ الكفاية من الشر والراحل هنا عبد الحميد
ابن باديس . والخلف : بفتحتي الخليفة ، والولد الصالح يخلف أباه ويسد
مسده والمراد به هنا الشيخ البشير الابراهيمى الذى خلف ابن باديس فى
الرئاسة وقيادة ركب النهضة . وكان مثل ابن باديس فى الكفاءة والخبرة ،
وهو مفرم جدا بنشر اللغة وآدابها شديد الغيرة عليها . به يأتلف شمل الشعب
ويجتمع ، وكان الامر كذلك فقد اجتهد كثيرا أن يوحد الصفوف فجمع اخوانه
فى الجمعية ، كما اجتهد أن يقضى على مضار الحزبية ، اثر خروجه من الاعتقال
عام 1943 م . وتم ذلك عام 1944 م ، فتكون حزب واحد تحت اسم (أحباب
البيان والحرية) ثم كانت أحداث 8 مايو 1945 م ، وعاد الاختلاف والشقاق ،
وما زال - رحمه الله - واخوانه يعالجون الامر بالحكمة والموعظة الحسنة ،
رغم الصعوبات الجمة ، والاذاية الشديدة من بعضهم . وفى باريس تمكن القوم
من جمع الشمل من جديد واجتمعت الاحزاب سنة 48 - 1950 م ، من أقطار
الشمال تحت رئاسته هنالك وتم الصلح . وفى عام 1951 م ، تكونت
بالجزائر جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها وكان للمشائخ الابراهيمى
والتبسى ، وخير الدين أعظم الآثار فى تكوينها والمشاركة فى أعمالها حتى
بدأت الثورة والوحدة تامة والانسجام كامل . ثم كانت الحكمة العظمى فى
قرار الجبهة بدعوة الجميع الى الجهاد دون مراعاة الماضى خيرا كان أو شرا فمن
استجاب فهو (الوطنى) ومن أبى فهو الخصم . فراية الابراهيمى هنا المراد
بها : راية اجتماع الشمل والاتحاد ، والعمل الصالح للبلاد والعباد ، وليست
راية حزب قد يصدع الوحدة ويفرق الشمل وتنصر - مجزوم فى جواب
الطلب ، تفز وتظفر بالمعنى وتقهر الاعداء ، وجاء النصر - والحمد لله
- حضرناه وقطفنا ثماره .

خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب فى فصول

الفصل الأول - اثر الصنهاجيين آل باديس فى إحياء السنة وإماتة البدعة :

1 - آن لنا أن نضع القلم ، ونختم ما أردناه من هذا الكتاب . وما خطر ببالنا - عندما بدأناه - أن يبلغ حجمه هذا المقدار ، ولكننا أحببنا أن نعطي صورة واضحة عن هذا الحادث الجلل الذى دبر فى تلك الظروف العسيرة لا ضد شخص ، ولكن ضد نهضة أمة استيقظت من نومها الطويل ، وأرادت أن تصلح أمور دينها ، ودنياها لتحى فوق الارض مثل غيرها من الامم .

فلا يعلم الا الله ماذا كان المآل لو حققوا غرضهم ، وتم لهم ما أرادوه . وطننا بالله وثقتنا فيه أنه كان سيهىء لها ظروف النهضة بشكل آخر وشخصيات أخرى ، فقد كانت الحركة الوطنية السياسية آنذاك 1926 م ، فى اختمار وتكون ، وان كانت خارج الوطن . والنهضة العربية والتربية والتعليم ، والاصلاح الدينى والاجتماعى - وذلك ما أداه العلماء - من ضروريات النجاح فى الحركة السياسية والثورة الحربية . وقد شاهد القراء أن وقوع هذه الحادثة فى تلك الظروف الحالكة كان من الاحداث الحاسمة التى أيقظت النائم ، ونبهت الغافل ، واستنهضت الخامل ، وفتحت الاعين وصححت الاحكام ، وعرفت الامة بمن يعمل لصالحها وايقاظها ويضحى من أجلها فأصغت لمقاله ، وتفهمته ، ووازنت بينه وبين غيره ، فالتفت حوله وأهملت غيره ، فأسرع الحادث بالنهضة ، وكان ما أصاب ابن باديس فى بدنه من محنة شبيها بما أصاب العلماء الائمة قبله ، ومصادقا لقوله تعالى : « أَلَمْ أَحْصِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » ، وقوله تعالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ



الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

المجاهدين منكم والصابرين » ولقد امتحن - من قبل ابن باديس - الأئمة الاربعة فى أجسامهم : أبو حنيفة ، ومالك بن أنس ، والشافعى ، وأحمد ابن حنبل فما زادتهم المحنة - التى أصابت كل واحد منهم - الا ايمانا وصبرا وثباتا ، وصدقا ، وشهرة ورفعة بين الناس ، واحتراما من الاجيال .

والحق أن ابن باديس منذ هذا الحادث وشأنه فى ارتفاع ، وأمره فى اقبال وأمر خصومه فى تول وادبار ، من ذلك الزمان ، وحتى الآن .

2 - قدمنا الكتاب للطبع ، وما فيه ترجمة للإمام الرئيس عبد الحميد ابن باديس ، لان الكتاب كان - فى حقيقة أمره - جزءا من حياة النهضة ، وحادثة واحدة من أحداث كثيرة ، كما لم يكن فيه تعريف بشخصيات لعبت أدوارا مهمة فى حركته أثناء حياته أو من بعد مماته .

ولكن تبين لنا أن هذا سيكون نقصا فيه ، وما دام الكتاب قد طبع وحده فهو وحدة كاملة ، ولا بد أن يعرف قارئه قدرا كافيا عن ابن باديس وحزب الإصلاح وبعض رجاله الذين أبلوا معه فى ميادين الجهاد البلاء الحسن ، وهذا ما سنذكره فى هذه الخاتمة وربما كان دون وثائق. لان الامر بها سيطول، ولكن المعلومات صحيحة مأخوذة من أفواه الثقات أو من المشاهدة والشهادة .

3 - أما عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس فانه سليل عائلة ابن باديس الصنهاجية ، ينتسبون الى جدهم الاعلى المعز بن باديس بن المنصور ابن بلقين بن زيرى بن مناد بن منقوش ، أمير صنهاجة التلية عاصمتهم الاولى أشير . والمعز أشهر ملوك الدولة الصنهاجية تولى الملك اثر وفاة أبيه - فى حصار (قلعة بنى حماد) حيث ثار بها عمه حماد عام 406 . وكانت عاصمة ملك المعز مدينة عقبة ابن نافع (القيروان) ودام المعز فى ملكه خمسين سنة الى أن توفى رحمه الله سنة 456 هـ . والى هذا الملك الهمام يرجع الفضل فى اقرار مذهب أهل السنة بمملكته ، وطرد بدع مذهب الشيعة الباطنية الاسماعيلية التى تركها العبيديون الفاطميون ببلادنا - كالقول بالامام المعصوم وبحلول الله فى جسم الانسان ، وبتأليه الأئمة ، وشتى الصحابة كآبى بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، وكالزيادة فى النداء للصلاة (الاذان) وتعذيب العلماء وجبرهم على قول البهتان ، واعتقاد الزيف والضلال . كل ذلك أبطله المعز

ابن باديس ، وقطع علائقه مع خلفاء الفاطميين بمصر ، وقد ناله بعضهم كالحاكم بأمر الله ، وملاوا الدنيا فسادا وضلالات ولكن هذه القطيعة كلفته غالبا اذ أرسلوا على مملكته الاعراب ، وأقطعوهم مدنها وقرأها فتسبب مجيئهم في ذهاب قوة دولته وخراب ملكه وبلاده وهياها لغزوة النورمان الصليبيين الذين تغلبوا - فيما بعد - على صقلية واستولوا فعلا على بعض أجزاء افريقيا ومنها المهديّة عاصمة الدولة نفسها ، وكانت صقلية تحت سيطرة الاسلام وتحكم من افريقيا وقد فتحت منها (1) .

4 - بعد زوال دولة الصنهاجيين - أواسط القرن السادس الهجرى - بذهاب دولتهم الزيرية بالمغرب الادنى ، والحماذية بالمغرب الاوسط ، واستيلاء دولة الموحيدين على كامل المغرب مع جزء من الاندلس سكن فرع من آل ابن باديس مدينة قسنطينة احدى عواصم المغرب الاوسط وقد اشتهرت بجو ثقافى علمى منذ القديم .

وأقبل أبناء هذه العائلة على العلوم والمعارف ، واذا كان مجد الحكم والملك قد تنكر لهم ، فان العلم والثقافة والفكر سوق يقبل كل الناس ، واستعاضوا عن دولة الحكم بدولة العلم ، فالامارة فيه والسيادة أعظم غناء وأفضل عاقبة . واشتهرت هذه العائلة فى قسنطينة بالفضل والعلم والمشاركة فى الحياة ، الاجتماعية العامة ، وأمدت الادارة المحلية بأكفاء الرجال منذ القرن الثامن الهجرى ، فكان منهم العلماء ، والقضاة والمفاتي والاداريون ولا يمر بقسنطينة رحالة الا ويذكر بعضا من هؤلاء .

كذلك كانت أثناء العهد الحفصى ، ثم أثناء العهد العثمانى حتى نهايته . فلما جاء العهد الفرنسى كان منها بعض النواب فى المجالس التى ينتخبها الشعب ، وقد قدم الشيخ ابن باديس - فى أحد اعداد الشهاب - عريضة للنائب السيد حميدة بن باديس ورفاقه فى مجلس نيابى يشكون من مظالم

(1) فتحت على يد أسد بن الفرات قاضى القيروان عام 213 هـ ، وكانت تابعة فى الحكم لوالى القيروان ، فلما انتقل العبيديون الى مصر نزعوها منه وجعلوها تابعة لهم رأسا ، فافتكها منهم النورمان عام 484 وصاروا يهاجمون دول المغرب منها ، واحتلوا المهديّة حتى طردهم منها عبد المؤمن بن على ، عاشر المحرم عام 555 هـ .

أصابته الامة ويطلب وزملاؤه رفعها . كما كان من أشهر قضاة قسنطينة أثناء هذا العهد الشيخ المكي بن باديس - وهو جد عبد الحميد بن باديس - وله نوادر ما تزال مروية بقسنطينة .

ويذكر الكولونيل بلبيدر - أحد أركان الادارة الفرنسية عن هذه العائلة الباديسية أنها كانت تمت الادارة بأعظم الرجال كفاءة أثناء الحكم الاسلامي ، فلما جاء العهد الفرنسي كان شأنها كذلك في نبوغ أفراد منها في الادارة ثم يقول : ولكن العجيب الغريب أن الضربة القاضية على سياسة فرنسا في الجزائر - يعنى سياسة الاندماج - جاءت على يد أحد أبناء هذه العائلة ، وهو عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، جاء هذا في تقرير سرى تركه بالولاية العامة واطلعت عليه سنة 1964 م ، عندما كان مدير مكتبتها صديقى الاستاذ محمود بن نينى .

الفصل الثانى - عبد الحميد بن باديس وتكوينه :

5 - ولد عبد الحميد بن محمد مصطفى ابن الشيخ المكي بن باديس بمدينة قسنطينة فى الاسبوع الثانى من ربيع الآخر 1307 هـ ، الموافق يوم 4 ديسمبر 1889 م ، وأمه السيدة زهرة بنت السيد على الاكل بن جلول . وهى عائلة من أعظم العائلات النبيلة بالمدينة . وقرا القرآن على الشيخ محمد ابن المداسى ، وتلقى المبادئ الاولى فى العلوم على مشائخ أشهرهم المربي الكبير الشيخ حمدان بن الويسى ، وهو الذى رباه وحببه فى العلوم ووجهه الوجهة الصالحة قبل أن يهاجر الى المدينة (2) . والشيخ حمدان من تلاميذ الشيخ

(2) عالم من زعماء الحركة الاسلامية فى الجزائر ، هاجر الى الحجاز سنة 1908م واستقر بالمدينة المنورة يدرس بالمسجد النبوى ، على صاحبه الصلاة والسلام ، الى ان التحق بجوار ربه عام 1920 م - أثنى عليه مفتى الديار المصرية الشيخ بخيت وقال عنه ذلك الرجل العظيم - وقال عنه أستاذ الجيل فى مصر الاستاذ لطفى السيد لما أدى فريضة الحج عام 1911 م ، ما يلى :

... « أما نحن فقد كنا نغشى الوقت بعد الوقت درس الاستاذ الكبير الشيخ حمدان الويسى مدرس الحديث والبيان بالحرم الشريف ... » .
(عن كتاب الهلال العدد 131 - شعبان 1381 هـ - فبراير 1962 م ، ص : 128 - 129 - وكتاب معجم اعلام الجزائر لعادل نويهض حرف الواو ، ص 346) م . ع . بستانجى) .

عبد القادر المجاوى الذى نزل بقسنطينة عام 1868 وارتحل عنها الى المدرسة الثعالبية عام 1896 وقد بنى نهضة وقد ترك تلاميذ كثيرا فى كامل الوطن أعظمهم قدرا الشيخ حمدان رحمهم الله . وقد ولد المجاوى بتلمسان ، وطلب العلم بالمغرب قبل أن يحل بقسنطينة . وكان أبوه محمد مصطفى بن باديس يشتغل بالفلاحة والتجارة ويحفظ القرآن ويحب أهله ، وكان يحب ولده حبا جما وهو الذى سهر على تربيته وكان الشيخ يبر به كثيرا ويحسن اليه .

6 - حاول عبد الحميد أن يلتحق باستاذة مهاجرا الى المدينة فمنعه أبوه، ثم أذن له أن يهاجر الى تونس فى طلب العلم ودخول جامعتها (جامع الزيتونة) فالتحق بها عام 1908 م ، وأخذ فيها عن كبار علمائها ، ومنهم قاضى الجماعة الشيخ محمد الصادق النيفر - الذى شارك من بعد مشاركة فعالة فى انشاء الحركة السياسية التى قادت تونس الى الاستقلال - وهى الحزب الحر الدستورى - والشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام ، وحامل لواء اصلاح التعليم بالجامعة الزيتونية من بعد ، وقد بلغ الزيتونيون فى عهده عشرات الآلاف وأسست له فروع فى الجزائر . ومنهم الشيخ محمد النخلى القيروانى أحد رجال التفسير والاصلاح الدينى ، وأعظم مشائخ ابن باديس تأثيرا فى نفسه وحسن توجيهه نحو كتاب الله وفهمه . والشيخ بلحسن النجار مفتى تونس ، ومن كبار علمائها النبغاء . وأثناء دراسته بتونس جرت أحداث حسام ، وبدأت الاصطدامات بين الشعب التونسى وبين القوات الفرنسية الغاشمة ، وفى عام 1911 نزل الشعب الى الشوارع وسالت الدماء أنهارا ، ولا بد لذلك أن يترك طابعه فى نفسيته الشابة ، ولذلك كانت أول مظاهرات شعبية فى الجزائر - وقعت فى أهم المدن الجزائرية من أجل اغلاق المساجد فى وجوه العلماء الاحرار - كانت بدعوة وقيادة العلماء عام 1934 م ، وكانوا فى طليعة المتظاهرين وحملوا على ذلك النواب ولعل هذا ما يعنيه المؤرخ الفرنسى الشهير شارل اندرى جوليان فى كتابه (افريقيا الشمالية تسير) اذ يقول : (العلماء هم الذين أيقظوا الرأى العام الاهلى الذى كان كمحكوم عليه بالاعدام فى بيت ينتظر التنفيذ) .

7 - أنهى عبد الحميد دراسته الجامعية بتونس عام 1912 م ، (3) وعاد الى الجزائر ، وفى نفسه أن يكون فى الجزائر ما فى غيرها من الاقطار : بأن تكون لها معاهد علمية يجد فيها أبناءها ما يرحلون لطلبه فى تونس أو المغرب أو مصر ، وكان الاستعمار قد قضى على معاهدنا العلمية . وأن يكون لها حركة تضمن لها حسن مصيرها كجزء من أجزاء الامة العربية ، وكشعب من أمة الاسلام الكبرى . وبينما كان فى تونس . سقط الخليفة العثماني عبد الحميد الثانى ثم هاجمت إيطاليا الصليبية طرابلس الغرب - بكل وقاحة - وشرعت فى احتلالها . وقد وجدت مقاومة عنيفة من أهلها شبيهة بمقاومة شعب الجزائر وفى سنة 12 تألبت دويلات البلقان ضد دولة الخلافة الاسلامية واقتطعت كعبرا من أطرافها ، وقال السياسى الانقلىزى الحقود غلادستون (ما أخذه الصليب من الهلال ، فلن يرجع الى الهلال) . وفى هذه السنة أيضا - عام 1912 م - سطت فرنسا على دولة المغرب وأجبرت سلطانه على أمضاء معاهدة الحماية .

ورغم كل هذه الهزات الرهيبة التى أصابت عالم الاسلام فانها لم تفت فى عضد ابن باديس أو تدخل اليأس على قلبه بل دفعته لبدء حركته مؤمنا بالله متوكلا عليه . وانتصب فى المسجد الكبير بقسنطينة للتعليم الذى كان يؤمن أنه الوسيلة القوية لبث الوعى فى الشعب ، وضمان يقظته واستعداده الصحيح لآخذ حقه فى الحياة بيده وتحقيق رغباته ، وكان من شعاراته قول شوقى رحمه الله :

(3) نشرت جريدة « المشير » التونسية فى عددها الصادر فى 6 أوت 1911 م ، اسم الطالب عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس ضمن اسماء الطلبة الزيتونيين الذين نالوا شهادة التطويع من الجامع الاعظم فى نهاية السنة الدراسية (1910 - 1911 م) وكان ترتيبه الاول بين جميع الطلبة الناجحين ، كما كان الطالب الجزائري الوحيد الذى تخرج من الزيتونة فى تلك الدورة . (كتاب النشاط العلمى والفكرى للمهاجرين الجزائريين ، ص 21) .
ويتبين من هذا أن ابن باديس مكث بتونس للتدريس بعد تخرجه - فكان يدرس ويدرس ؛ ومن تلاميذه الشيخ عبد السلام التونسي أحد كبار العلماء .
م * ع * بستانجى «

فعلم ما استطعت لعل جيلا سيأتى يحدث العجب العجبا
وأدركناه يقول : أما العجب فقد رأيناه ، ونحن ننتظر العجب ! ولو عاش
الى اليوم لرآه . (كان هذا البيت لشوقى مكتوبا بخط جزائرى كبير على
كراريس تلاميذ مدرسة التربية) .

وكان يؤمن أننا يجب أن نعتمد على أنفسنا ونتوكل على الله . لكن
الاستعمار لم يكن نائما عنه ، ولن يرضى عن حركة تكون خارجة عن مراقبته،
لهذا سلط عليه مفتى قسنطينة الشيخ مولود بن الموهوب - ليمنعه من حرية
القاء الدروس فى الجامع الكبير . ومع أن الشيخ ابن الموهوب - عفا الله عنه -
كان مصلحا فى تفكيره ومنهاجه وكان ذا قدم راسخ فى الادب شعرا ونثرا -
فانه لم يسعه الا تنفيذ تعاليم الادارة الاستعمارية . وذلك ضعف منه وقلة
ايمان وثقة بالشعب ، فارسل اليه من أطفاً عليه الضوء ، فلما أصر الشيخ على
القاء دروسه وأمر طلبته بان يصحبوا معهم الشموع فى اليوم التالى أرسل
اليه أحد أتباعه (الحاج القریشى) فاغلق كتابه ، وأطبق دفتيه عليه . كما
أخبرنى المرحوم السيد عمرو بن جيكو (4) .

8 - ومن جديد فكر فى الهجرة من الوطن نهائيا . فاستأذن من أبيه أن
يسافر الى الحج فى موسم سنة 1331 هـ ، الموافق 1913 م ، فاذن له .
فغادر قسنطينة فى رحلة طويلة وفى المدينة المنورة لقي علماء عظاما ، منهم
شيخه حمدان الونيسى الجزائرى ، والشيخ حسين أحمد الهندى وألقى دروسا
امامهم فى الحرم النبوى . كما لقي الشيخ الوزير التونسى ، ولقى أيضا علامة
الجزائر وأديبها الشيخ محمد البشير الابراهيمى . وتذاكر معه كثيرا - كما
قص الابراهيمى - فى مستقبل الجزائر .

وكان قد أبدى رغبته أمام الشيخ حسين أحمد المدنى الهندى فى البقاء
بالمدينة ، فنصحه - لما توسم فيه - أن يعود الى وطنه قائلا : (أرجع الى وطنك

(4) من رجال الصناعة الكبار ، ومن المكونين لجمعية التربية والتعليم ، كان
يصرف كثيرا من ماله فى المشاريع العامة وله مواقف محموددة أثناء الثورة
يجد ثوابها عند الله الكريم ولد فى 6 ديسمبر 1900 م ، وتوفى رحمه الله
فى 2 أوت 1982 م .

يا بنى فامثالك هنا كثير يغنون عنك ويقومون مقامك ، ولكنهم فى وطنك قليل ، وخدمة الاسلام هنالك أجدر بك وأنفع له من بقائك هنا) • ولما عزم على الرجوع أخبره شيخه أنه سيرخص له فى التدريس ، وأخذ عليه العهد الا يتولى الوظيفة ولا يتخذ علمه سلما لاغراضه الدنيوية – فوفى بعهده وعرج – فى رجوعه – على مصر فلقى فى القاهرة مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعى فأجازه ، ثم لقى فى الاسكندرية كبير علمائها الشيخ أبا الفضل الجيزاوى – الذى تولى من بعد منصب شيخ الجامع الازهر – فأجازه أيضا وكانت طريقة الاجازة هى المعمول بها – من قديم – فى العالم الاسلامى، وتجزيز للمجاز أن يروى عن شيخه علومه •

الفصل الثالث – الى العمل :

9 – بمجرد أن عاد الى مدينة قسنطينة فى ربيع سنة 1332 هـ (1914م) شرع فى التعليم بجد واجتهاد ونشاط • متطوعا لا يسأل على عمله أجرا من الناس ، ولا يقبله •

فالدروس العامة – ومنها التفسير والحديث – كان يلقيها فى الجامع الاخضر وقد استطاع أبوه – الذى كان نائبا – أن يحصل له على رخصة من كاتب الولاية • ودروس الطلبة كان يلقي بعضها فى مسجد (سيدى قموش) – وهو مسجد لعائلته يوجد بوسط المدينة، وقد جدد بناؤه من بعد، عام 1924م – وكان يدعو هؤلاء الطلبة اليه ، ويسافر لاستجلابهم – كما قص علينا الشيخ الهادى السنوسى فى كتابه (شعراء الجزائر) بأنه زار بلادهم عام 1917 م ، لهذا الغرض ، أى بعد نحو عامين ونصف من شروعه • وكان يبيت فيهم أفكار الاصلاح، أما الصبيان – تلاميذ الكتاتيب القرآنية – فقد كان يلقي عليهم الدروس فى كتابين اثنين : الاول : كتاب (سيدى فتح الله) برحبة الصوف، والمعلم به القرآن الشيخ صالح الجنان من أحبائه ومريده ، وهو والد صديقنا الشيخ عبد الحفيظ صويلح الجنان(5) رحمهما الله أحد أركان الحركة الاصلاحية

(5) ولد ونشأ بقسنطينة وتلقى دراسته على ابن باديس ثم سافر الى الزيتونة لاتمامها فتوفى والده رحمه الله وترك له عائلة كبيرة فانقطع وخلفه فى التعليم • ثم حصل على وظيفة فى الجامع الاخضر وبسبب مواقفه الوطنية عزل من منصبه =

بقسنطينة ، والثاني : كتاب الزاوية القادرية (سيدى عبد المؤمن) بوسط المدينة القديمة . ولم يكن يعمل دون تخطيط ، بل خطط لاعلان الدعوة العامة وقدر لها 10 سنوات .

كانت هذه الفترة من أخصب فترات حياة الشيخ ، وكانت مليئة باحداثها التاريخية الجسام ، فقد انتهت فيها الحرب العالمية الكبرى بانتصار الحلفاء واستسلام ألمانيا فى 11 نوفمبر 1918 م ، وانكسار الدولة العثمانية حليفها . وإذا كانت دول الاستعمار الكبرى قد خرجت منتصرة فان شخصية (ولسون) الرئيس الأمريكى فرضت نفسها وقد زرع فى العالم مبادئه الاربعة عشرة ومنها حق الامم فى تقرير المصير ، ورأت فيها الشعوب الضعيفة بصيص النور . وانعقد مؤتمر السلام فى باريس (فى فرساي) وبعثت كثير من الشعوب مندوبين عنها لعلهم يستطيعون أن يحصلوا لشعوبهم - من الذئاب - شيئا من الحرية أو السلام ، ولكن كانت الخيبة نصيب الجميع ، ورجعت أمريكا الى قارتها وعادت الى عزلتها ولكن الشعوب لم تخلد الى اليأس وبدأت تعمل لتحرير بلادها ، وافتكاك حقوقها على طريققتها،ومنها الشعب الجزائرى .

10 - فى أثناء هذه الفترة تأسست جريدة النجاح بقسنطينة - أسسها أحد المتخرجين من الزيتونة (الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمى) عام 1919 م ، وتولى رئاسة تحريرها أحد تلاميذ الشيخ ، السيد اسماعيل مامى من عائلة ابن عبدى الشهيرة ، والمتصلة بالصهر بعائلة ابن باديس ، وأخذ الشيخ ينشر فيها مقالاته بامضائه الصريح أو بامضاء رمزى (العيسى) والعيسى نسبة البطل العصامي عنتر بن شداد ، ثم هو من الحروف الاولى لاسم ولقب عبد الحميد ابن باديس وكانت النجاح - أولا - ذات نزعة وطنية ، ولكنها لم تثبت أمام الترغيب والترهيب كثيرا ، فارتدت فى أحضان الاستعمار وتمونت من الصندوق الاسود ، وصارت تبوح بأسرار كتابها ، ثم صارت تهاجم كل حركة اصلاحية وطنية ، ولم تفلت من خصومتها جمعية العلماء من بعد،ولا كتاب

= عام 1938 م ، ثم أخرج من كتاب سيدى فتح الله وبرخصته - فى تعليم القرآن - احتمت جمعية التربية تلك السنة وتولى ادارتها ثم ، تولى مراقبا فى معهد ابن باديس ، ثم توفى رحمه الله بعيد الاستقلال وكان خطيب الجمعة فى جامع صالح باى حتى وفاته فى 8 أوت 1963 م ، رحمه الله .

النهضة العربية الاسلامية - واختنقت هذه الجريدة عام 1957 م ، لكنها
- والحق يقال - لم تهاجم الثورة . بل اختنقت بحرمانها معاونة الصندوق
الاسود بعد امتناعها من مهاجمة الثورة .

وفى هذه الحقبة أيضا عاد من الحجاز قطبان من أقطاب الحركة الاصلاحية
هما : الشيخ الطيب العقبي الذي عاد سنة 1920 م ، والشيخ محمد
البشير الابراهيمي ، وكلاهما هاجر مع عائلته الى الحجاز فرارا من التجنيد
الاجباري واستقرا بالمدينة المنورة حيث أتما دراستهما وتأثرا بأفكار الاصلاح .
وتسلحا بسلاح مقاومة الجمود والركود ، وشاركوا في النهضة والدعوة الى
اليقظة والاستعداد . وكلاهما كاتب شاعر خطيب داعية ، فكانت عودتهما
ربحا عظيما للنهضة، واستقر العقبي بمدينة بسكرة يعظ ويرشد العامة ويلقى
الدروس على الخاصة ، واستقر الابراهيمي بولاية سطيف - وكان يتردد بين
الجزائر وبين تونس ويخف الى مجالسه حيثما كان - فحول الادباء والمفكرين
والعلماء والكتاب والشعراء فيجدون عنده ما يغذيهم وينعش أرواحهم ، ويبهيج
نفوسهم؛ فقد كان الابراهيمي العالم المحدث ، والاديب المنتج ، والكاتب المفكر
والشاعر المبدع ، والخطيب المصقع ، والمحدث اللبق والوطني الاسلامي
المتحمس بل المتطرف مع فكر وروية واخلاص ، وسعة صدر حتى مضرب المثل
فكان يأتي داره - في رأس الوادي - ولاية سطيف من ذكر من سائر أنحاء
الجزائر وحتى من تونس - وممن كان يزوره بانتظام صديقه ابن باديس .

الفصل الرابع - أجمعية الإخاء أم جمعية العلماء ؟

11 - في عام 1924 م ، تمت المدة التي حددها ابن باديس لاعلانه الدعوة
العامة ، وفي رحلة من رحلاته الى رأس الوادي لقي الابراهيمي - أو في
سطيف - فحدثه بمشروعه وهو أنه يريد أن يؤسس جمعية تحت اسم
(جمعية الاخاء العلمي) تتكون أولا من علماء قسنطينة (6)، وحدثه عن أغراضها،

(6) كان يوجد - آنذاك - منهم : الشيخ مولود بن الموهوب والشيخ الطاهر
ابن زقوطة ، والشيخ الزواوي بن الشيخ الفقون والشيخ أحمد مرازقة
(الحبيباتني) والشيخ البوعوني ، والشيخ يحيى الدراجي ، والشيخ
ابن المطماطية .

وطلب منه أن يضع لها قانونا أساسيا فاستجاب الابراهيمى للدعوة ووضع القانون ، وعرضه عليه فأقره واتفقا عليه ولكن التجربة باءت بالفشل ، لان أغلب العلماء - ان لم يكونوا كلهم - مرتبطون بالوظيف ، قليلو الثقة بالعامه ، والاقبال على عمل الجماعة .

فاقتنع ابن باديس بوجوب التمهيد لمثل هذه المؤسسة بواسطة صحافة حرة وطنية وفكر فى وسيلة تضمن لها البقاء والحرية والاستقرار ، فكون أولا مطبعة جزائرية اسلامية وأعضاؤها من تلامذته النابهين المخلصين يعملون فيها بأنفسهم ، وكان أعضاء المطبعة الجزائرية الاسلامية هم عبد الحميد بن باديس ، وأحمد بوشمال ، وخليل (الزواوى) بلقشى واسماعيل الصحراوى ، وعبد الحفيظ الجنان ، ثم انسحب هذا الاخير لضيق ذات يده ، وقام بها الآخرون . وقد بلغنى أن الشيخ رحمه الله قد استعان بذهب زوجته وابنة عمه تبرعت به عليه لانه لم يكن ثريا ، وقدمته له عن طيبة نفس وايمان بعظمة مقاصده .

وبعد أن ضمن لصحافته المطبعة - حتى يأمن الضغط عليها - أصدر صحافته الاولى فالشيخ يعتبر من مؤسسى الصحافة والطباعة العربية الوطنية فى الجزائر .

وكانت الصحيفة الاولى (المنتقد) برز العدد الاول منها يوم عيد الاضحى من عام 1343 هـ ، الموافق 11 جويلية 1925 م ، وكانت فتحا جديدا فى الصحافة العربية فى سلامة العقيدة ، واسلامية المنهج وفصاحة التعبير وفى الوطنية الصادقة . وقد جعلت شعارها (الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شىء) .

وقد عاهدت أمتها على خدمتها فى الاصلاح الدينى والذنىوى « السياسى » ولكن السلطة الاستعمارية لم ترض عن لهجة (المنتقد) التى أخذت تهدم قلاع الجمود والتحجر والجحود وتعلن الدعوة الى الحق ونيله والوصول اليه ، فاصدرت أمرها باغلاقها بعد بروز 18 عددا منها ، وصدرت اثرها (الشهاب) فخلفتها بسرعة ، واحتضنت مبادئها وأفكارها ، وافسحت صفحاتها لاقلام كتابها . فى المبدأ الدينى أعلنت الجريدتان أنه (لا يصلح آخر هذه الامة

الا بما يصلح به أولها) وفى المبدأ الدينى أن (الحق والعدل والمؤاخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات) .

ولم يصلح أول هذه الامة الا بتمسكهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلح آخرها الا بذلك ، لهذا يجب التمسك بهما ، كما يجب اعلان الحرب على الدجل والخرافات والبدع والضلالات ، وتنبيه الامة الى الاخطار التى تهددها مما يروجه بعض أصحاب الطرق والزوايا فى اتباعهم، ومن شر هذه البدع نشر أفكار الباطنية التى منها دعوة الحلول ووحدة الوجود. وكان شيخ العليوية هو فارس دعوة وحدة الوجود قد أصدر ديوانه منذ 1920 وقد احتوى على ضلالات وكفريات فهاجمه كتاب المنتقد والشهاب وكشفوا خطره ورد ابن باديس على (شطحة) منه آذى فيها رسول الله (ص) وهى موضوع رسالة : « جواب سؤال عن سوء مقال » فاعتبروا ابن باديس مسؤولا عن كشف (الشيخ) وأرسلوا اليه من حاول الفتك به فى 14 ديسمبر 1926م، فنجا من كيدهم- .

وفى المبدأ الدينى كتب الشهاب على نفسه والمنتقد قبله أن يعلن أن من حق الشعب الجزائرى أن ينال جميع الحقوق التى يتمتع بها جميع الساكنين بالجزائر وما داموا قد اشتركوا فى القيام بجميع الواجبات ، فليس من الحق أن يطلب منهم التنازل عن مقومات شخصيتهم من دين ، ولغة ، وجنسية لينالوا حقوقهم . لهذا رفضت الشهاب فكرة الاندماج ، وقالت فيها ما قاله مالك فى الخمر ، وهاجمتها وهاجمت أصحابها مهاجمة شديدة . وعدت الاندماج هو الموت الحقيقى، وفضلت الحياة مع الجمود والخرافة والتأخر والانحطاط – على حياة راقية مع الاندماج اذا كان لابد من التخيير بينهما لان الاندماج ميتة شاذة. فالشهاب – وصاحبها ابن باديس ، وحزب الاصلاح أول من هاجم فكرة الاندماج الجزئى كما جاء به برنامج فيوليت ثم بلوم – فيوليت – أو الكلى كما دعا اليه آخرون فى الثلاثينات ، ورد عليهم بالكلمة الصريحة ، وكل هذا وقع قبل مجيء الحركة الوطنية السياسية الى الوطن وانتصابها للعمل به .

12 – فى عام 1349 هـ . الموافق 1931 م ، تم ما عسر مثله عام 1924 م ، فتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ذلك أن فرنسا احتفلت فى

1930 م ، بمرور قرن على احتلالها الجزائر ، ورأى الشعب من مظاهر التحدى والهوان والاستفزاز والاذلال أشياء كثيرة ، وقبل التحدى وتوجه نحو المقاومة واتخاذ الموقف الذى يغيظ الكفار ، وكانت الدعوة لتأسيس الجمعية مستمرة وخصوصا فى مجلة الشهاب . وتأسست لجنة تحضيرية . ووجهت الدعوة الى كثير ممن يصدق عليهم لقب عالم فى عرف الجزائريين ، فاجتمعوا يوم 17 ذو الحجة عام 1349 هـ ، الموافق 5 مايو 1931 م ، واجمعوا على تأسيس جمعية تحت اسم (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) كما أجمعوا على انتخاب الشيخ عبد الحميد ابن باديس رئيسا لها . وقد وضعوا لها القانون الاساسى وصادقوا عليه وجاء نصه على مقتضى قانون الجمعيات غير السياسية ، ونص فيه على أن الجمعية لا تشغل بالسياسة وذلك شرط فى الترخيص لها بالوجود . وحتى لا يصدق عليها ما يشترط فى تأسيس الاحزاب السياسية .

وكان يوم انتخابه للرئاسة غائبا بمدينة قسنطينة وقد حدثنى الشيخ محمد خير الدين أنه لم يحضر الاجتماع من أوله بتواطؤ معه وتدبير الجماعة حتى يمر الحادث بسلام لانه لو حضر من أول الامر لتنبهت الى خطورة الجمعية بعض الدوائر ، وصنعت المكائد لعدم اتمامه فكان من التدبير الحكيم لنجاح المشروع الا يحضر الا بعد أن يتم التأسيس ، وكان فى المجلس الاول بعض من ترضى عنهم هذه الدوائر . ويمكن أن تعتمد عليهم .

ويؤيد هذا أنه بعد سنة من ذلك - حاولوه - بكل مساومة بالترغيب وبالترهيب أن يتخلى عن رئاسة الجمعية أو يعتزل التدريس، وليختر واحدة منهما فقط ، ويقال أنهم ضغطوا على أبيه الذى كان فى أزمة خانقة ووسطوه للضغط على ابنه، فأبى أن يصنع واحدة منهما ، فابتدأوا فى الضغط الشديد على الجمعية ولكن لم يجدوهم نفعا . وسارت القافلة والكلاب فى نباح مستمر .

13 - حاولوا أن يستولوا عليها ليحولوها الى (بردعة) من برادعهم أو يتقضوا عليها، وتواطأ معهم الامى عمر (7) اسماعيل الذى حشر نفسه فى اعضائها

(7) كان من أثرياء العاصمة ، فزين له غروره أن يكون فى « طليعة الاعيان ، وتظاهر بالاحسان ، ورصد جائزة بألف فرنك لمن يوفق لتأسيس جمعية للعلماء ، فلما تأسست فرض نفسه رئيسا للجنة الدائمة واستدعى للاجتماع م . ميرانت عدو المسلمين اللدود . ثم طرد من الجمعية فى الظروف التى بينهاها .

مع العليويين وشيخهم فتفطن الجماعة لغرضهم ، وفوتوا عليهم الامر وسلمت الجمعية فأسسوا لها (جمعية علماء السنة) واشتعلت الحرب بين الفريقين ، عنيفة ، ودامت نحو سنتين ثم اختفت هذه الجمعية من الوجود ، فابتدت الحرب سافرة بين الادارة الاستعمارية وبين نشاط الجمعية والعلماء الاحرار ، وكانت الادارة من قبل تعمل من وراء الستار .

منع الشيخ العقبي من التدريس بالجامع الكبير من طرف واى الولاية ، وأرسلت التعليمات الى سائر الولاة ورؤساء الدوائر لمنع العلماء من المساجد ومن المعلوم أن المساجد كان بعضها تحت تصرف الحكومة الفرنسية (مع أنها حكومة لائكية لا حق لها فى التدخل فى شؤون الديانة المسيحية ، ولا اليهودية ولكنها احتفظت بحق التدخل فى شؤون الديانة الاسلامية ، واستولت على أوقافها لتعمر المساجد بمن تريده لا بمن يعمرها عمارة يحبها الله ورسوله) وبعضها تحت تصرف الطرفين - وهى الزوايا الخاصة بكل طريقة ، وأغلبها تعادى الحركة الاصلاحية اما للخصومة العنيفة كالعليوية ، واما لانها لا تستطيع أن تعاكس رغائب الادارة الاستعمارية .

لكن هذا التصرف الاخرق - الذى أريد به خلق الحركة الاصلاحية الوطنية جاء بعكس ما يريدون ، وكان له رد فعل سريع له مظهران :

الاول : قيام مظاهرات الاحتجاج فى كل أنحاء القطر من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ، ولاول مرة ينزل الشعب الى الشارع ويعاكس - بمظاهرات عامة - قرارا تعسفيا ، وكان هذا المظهر أكبر علامة على يقظة الرأى العام ، كان ذلك عام 33 - 1934 م .

الثانى : ان الشعب أخذ يؤسس - بماله الخاص - المساجد الحرة ، الخارجة عن مراقبة الحكومة ، والمتحررة من بدع رجال الزوايا ، ويعمر هذه المساجد بالعلماء الاحرار المصلحين ، وعمت هذه الحركة الشعب ، وتعود عليها ، وحتى بعد الاستقلال استمر على هذه العادة ، وأسس كثيرا من المساجد وربما استقل شخص واحد بتأسيس جامع عظيم . ولم - يقتصر - بارشاد العلماء وقيادتهم - على تأسيس المساجد بل سبق ذلك بتأسيس المدارس والنوادر .

اما المدارس فكانت لتعليم الصغار مبادئ الدين واللغة والاخلاق والمبادئ الوطنية ، وكانت هذه المدارس تستقبل ثلاثة أفواج :

الاول : التلاميذ الذين لا مكان لهم فى المدارس الفرنسية ، ولهم حصص كاملة صباحا ومساء وتستغرق الدراسة - على الاقل - خمس ساعات .

الثانى : من التلاميذ الذين يقرأون فى المكاتب الفرنسية يقرأون العربية ساعة - فى المساء بعد خروجهم من مدارسهم .

الثالث : من الشبان والكهول وحتى الشيوخ لرفع الامية وتعليم المبادئ الدينية والاخلاقية والوطنية .

وبجانب المساجد والمدارس نبتت النوادى التى يجتمع فيها الشباب والكبار بعيدا عن جو الحانات والمقاهى ، وكانت هذه النوادى ذات نفع كبير لانها كانت تستقبل طوائف العمال والشباب من الذين لا يتيسر لهم ارتياد المساجد فانتشرت الدعوة بينهم وانتشلوا مما كان يتهدهم ، واعتنقوا المبادئ الوطنية وعمرت بهم المساجد الحرة .

فكان من المقاومة الشديدة للحركة الاصلاحية الوطنية المنع من انشاء المدارس الجديدة ومحاولة غلق المدارس القديمة ، ومنع العلماء من التدريس بالمساجد والزوايا . وغلق النوادى اما باغلاقها من اول مرة ، واما بمنعها من بيع المشروبات الحلال الا برخصة خاصة - مثل الرخصة التى تفرض على المقاهى العربية ، وهى رخصة لا تعطى الا لقدماء المحاربين المعطوبين أو الذين تنكروا لامتهم ودينهم ، ثم هى خاضعة لقانون (المقاهى العربية) وكانوا يشترطون فيمن تعطى لهم رخصة فتحها ان يكون (متعاوناً) مع شرطة المخابرات العامة - مراقبا لزيائنه . ومن هذه المقاومة الشديدة منع جرائد العلماء من الصدور ، عطلو جريدة (السنة) لسان حال الجمعية فاخرجت (الشريعة) فعطلوها أيضا ، فاخرجت جريدة (الصراط السوى) فعطلوها ، ونصوا على ان هذا التعطيل سار على كل جريدة تصدرها الجمعية مستقبلا ، معللين ذلك بانها تصدر بلغة عربية واللغة العربية لغة أجنبية فلا يصح ان تصدر بها جريدة الا برخصة مسبقة !

هذه المناورات والاضطهادات لم تجدهم نفعا ، ولم تزد الامة الا يقظة ومحادة لهم ، وتحديا لارادة المستعمرين واعوانهم .

الفصل الخامس : القضاء على سياسة الاندماج

14 - ان الحركة الاصلاحية كانت أعظم مظاهر الحركة الوطنية في الجزائر ، والناطقة باسمها ، ذلك أن الحركة الوطنية السياسية (نجم شمال افريقيا) كانت غائبة خارج الوطن ، ممنوعة فيه ، سرية حتى في فرنسا لا تصل منها الا جريدتها الامة أو بعض منشوراتها باللسان الفرنسي سرا ، فكانت كلمتها خافتة أو مجهولة في الوسط الا للقليل من الناس ، وبقي أمرها هكذا الى انتصار الواجهة الشعبية في فرنسا - وكان النجم من أعضائها - ثم سمح لها بدخول الوطن ومباشرة نشاطها فيه ذلك أثناء 1936 م وبالضبط أثناء الصيف من شهورها في شهر جوان .

من أجل هذا كانت الحركة الاصلاحية هي حاملة لواء العروبة والاسلام والوطنية في الجزائر والمقاوم الشديد لحركة الاندماج . وكانت صبغتها قومية علمية عملية أكثر منها نظرية سياسية ، وكانت الظروف لا تسمح لها بمباشرة السياسة علنا كما هو الحق لحزب سياسي . خوفا على منشأتها ان تعطل تماما ومع ذلك لم تسلم .

الاندماج قبر لا نشور بعده

لكنها كانت تقاوم - بضراوة - فكرة الاندماج ، وقد جاءتها من قبل الدين حتى يكون ذلك أبلغ وأعظم تأثيرا ، وقد أعلنت ان الاندماج موت لا نشور بعده . ففي العدد 152 من الشهاب الصادر في 21 جوان عام 1928 م صدرت كلمة في الشهاب من قلم الشيخ مبارك الميلي جاء فيها (سياسة الاندماج هي القبر الذي لا نشر بعده) وجاء فيه (أن سياسة الاندماج بعيدة في نفسها ، بعيدة من الامة واخلاقتها وعقائدها ، فهي سياسة عقيمة ، والمتنصر لها غير حكيم) .

وقوله (ان البقاء على الحالة التي نحن عليها - ونحن متفقون على مقتها - خير عندي من الاندماج لان حياة منحلة خير من ميتة شاذة عن ميتة الأمم) اهـ

وقد أصدر العلماء فتوى شرعية وطنية فى ردة المتجنس وخروجه من الاسلام ، فكانت ضربة قاضية على سياسة الاندماج ، لان الامة أصبحت لا تقبل من يتجنس فى معاملة معه فى حياته كالتزوج منه والتزويج اليه ، ولا تقبل أن يعامل بعد موته معاملة المسلم فلا تسمح بدفنه فى مقبرة المسلمين فان دفن غصبا نبش قبره وطرحت - فى العراء - جيفته .

الكلمة الصريحة عام 1936 م : ان الجزائر ليست فرنسا

ثم أعلن ابن باديس كلمته الصريحة التى صدرت فى الشهاب بتاريخ افريل عام 1936 م ، فكانت كلمة وطنية خالصة ، وهى بنت الحركة الاصلاحية ، لانها صدرت قبل نزول الحركة الوطنية السياسية بالجزائر فى جوان 1936 م . وكانت هذه الكلمة بداية تاريخ جديد فى حياة الجزائر وسيانستها ، اذ كانت رفضا عنيفا لسياسة الاندماج التى أعلن تساهله معها - عن حسن نية - بعض الساسة . قال ابن باديس : (ان هذه الامة الاسلامية الجزائرية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصبح فرنسا ، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت ، لكنها أمة بعيدة كل البعد فى لغتها وفى اخلاقها وفى عنصرها وفى دينها لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين من قبل الدولة الفرنسية) اهـ (افريل 1936) .

وقد انزعجت من هذه الكلمة كل الدوائر من المستعمرين أو من السياسيين المتفرنسين ، واستبشر بها كل الوطنيين وتنبه بها من كانوا مخطئين فى وجهتهم فعادوا الى الصواب ، فلما حلت الحركة الوطنية بالجزائر بعد هذا التاريخ بقليل ، كان من الواجب أن تتألف الحركتان وتتحالفا ، ولكن ذلك لم يتم تماما بين الطرفين ، فقد كان العلماء فى محنة اغتيال المفتى والاتهام بجريمتهم ، ثم اعتقل بعد قليل زعماء حزب الشعب ، وعذبوا ، والحقيقة أنهما الحركة الوطنية والحركة الاصلاحية متكاملتان ، لا تستغنى احدهما عن الاخرى - ولم يطل الزمن بابن باديس أن لحق بربه بعد ثلاث سنوات .

تهمة باطلة ومحاولة فاشلة

هذه هي الحقيقة ، ولكن بعض من يتطفل على التاريخ ويكتبه - وهو من غير أهله - بلغ به الخط والجرأة عليه الى أن ينسب الى العلماء أنهم من مؤيدى برنامج م . فيوليت الذى فحواه ادماج الامة الجزائرية فى فرنسا ادماجا بطيئا فى أطوار . وكان عليه ان يتبين ليكون حكمه عن بصيرة .

وبرهان بطلان هذه التهمة أن ابن باديس بنفسه فندما بقلمه - وذلك فى سنة 1936م عندما أصبح م . فيوليت وزيرا - فى الشهاب وصرح بقوله :
(كنا نقاوم بروجى الرجل العظيم الذى لانسى فضله - م . فيوليت لما فيه من عدم التسوية لا بين الجزائريين والفرنسيين ، ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم ، وما فيه من تهيئة الطبقة المثقة للاندماج من السكوت التام عن الدين واللغة - قاومناه أيام كان الناس كلهم متمسكين به ، لما كان مخالفا لمبدئنا فى المساواة فى الحقوق والمحافظة على المقومات الدائمة ٠٠٠ ثم ثبتنا على تلك المقاومة لأننا نعرف أننا بمبدئنا نعبّر عن عقيدة جمهور الامة ونعرب عن احساسها) اهـ .

فالمشتغلون بالسياسة على الساحة الجزائرية وفى أرض الوطن كلهم قبلوه ورضوا به ، وليس فيهم - طبعاً - الحركة الوطنية (نجم شمال افريقيا) لانها كانت ما تزال فى فرنسا - أو أوائل 1936م - ولكن الشهاب وحزبه من العلماء رفضوه لانه خطر على القومية الجزائرية ويفتح باب الاندماج ، والجماهير مع رأى العلماء وهم الذين يتكلمون باسمهم .

فهذا التصريح من ابن باديس يصفع كل من يدعى أنه كان أو كانت جمعية العلماء من مؤيدى برنامج فيوليت راضية بسياسة الاندماج ، ويمكن أن يجد هذا التصريح كل من يريد أن يطلع عليه منقولا عن الشهاب فى الجزء الثالث من كتاب الدكتور عمار طالبى ، الصفحة 319 - 320 ، وكان العمل لرده من أسباب الدعوة الى عقد المؤتمر الاسلامى الذى أسقط هذا البرنامج تماما ، واستبدل غيره به كما أعلن عنه الشهاب فى نفس المقال فوضع برنامج من المسلمين فى المؤتمر ، وأعرض عنه وعن غيره .

من الذين كانوا يتهمون العلماء بمصادقتهم على برنامج فيوليت ؟

والغريب فى الامر أن الذين كانوا يتهمون العلماء بالمصادقة على برنامج م . فيوليت ، انما هم طائفة من المتجنسين ، فقد جاء ذلك فى الشهاب (ج 11) من المجلد 9 والصادر فى اكتوبر 1933 م . ان (م . الزناتى) رئيس المتجنسين بقسنطينة ، وصاحب جريدة (الصوت الاهلى) اتهم ابن باديس وحده بمصادقة برنامج فيوليت واتهم العلماء بان سائرهم صادقوا على هذا البرنامج . والزناتى عدو لدود للعلماء وخصوصا لرئيسهم ابن باديس ، وقد شتمه شتما قبيحا من أجل كلمته الصريحة لانها قبرت سياسة الاندماج ، وقد رد الشهاب على تهمة ونقل كلمة كانت قد صدرت من الشهاب ، ونشرت فى عدد جويلية 1933 م ، وجاء فيها الحكم بردة المتجنس .

قال الشهاب :

(مشروع السيناتور فيوليت ليس بالمشروع الغريب عند قراء الشهاب ، فقد كنا تحدثنا عنه لقرائنا عندما أعلن به صاحبه وذكرنا أهم ما احتوى عليه مثل ادخال الطبقات الاهلية المتنورة فى دائرة الانتخابات الفرنسية لمجلس الشيوخ والامة ، وتعميم الجنسية الفرنسية على كل الطبقات والمتوظفين وحاملى الشهادات العلمية واضرابهم بحيث يكون الجميع فرنسيين يتمتعون بسائر الحقوق ، وينمو عددهم بالتدريج شيئا فشيئا الى أن تتكون منهم قوة فى البلاد ذات بال) ثم يقول ابن باديس (قد تقرر من مختلف النصوص الشرعية والاحكام الفقهية أن المتجنس بجنسية اجنبية يعد مرتدا عن الاسلام لقبوله طوعا واختيارا الخروج عن بعض احكام القرآن ...)

ثم يقول عن دعوى الزناتى أن العلماء موافقون على هذا البرنامج : (أما آخر ما ابتكره م . زناتى فهو ادعاؤه باطلا بان سائر اعضاء جمعية العلماء المسلمين قد صادقوا على ما فى برنامج فيوليت فمتى كانت جمعية العلماء - جمعية سياسية حتى تتفاوض فى البرامج السياسية وتصادق عليها باجماع الآراء ؟

ومتى تمت هذه المصادقة ؟ ومن هم سائر الاعضاء الذين صادقوا ؟
(ولجمعية العلماء المسلمين اجتماعاتها الرسمية ، ولها صحيفتها الخاصة

باسمها ، ففي أى اجتماع وفى أى صحيفة رأى زناني أن سائر أعضاء جمعية **العلماء المسلمين قد صادقوا على ما فى برنامج فيوليت ؟** اهـ والاسئلة التى ألقاها ابن باديس على هذا المتجنس المرتد ما تزال مطروحة على كل متخص .
فهؤلاء هم الذين اتهموا - بالامس جمعية العلماء - بانها ايدت هذا البرنامج ، ومع ذلك هاجموا ابن باديس لانه حاربه .

أما الدين يتهمونهم اليوم ، ويندفعون لاصاق الباطل بهم فانهم يحسبون أنفسهم مؤرخين ووطنيين . ومنهم طائفة لا نشك فى صدق وطنيتهم واخلاصهم ، ولكن ضللتهم الدعاية - وهم يسوؤهم أن يحشر العلماء - كرجال خدموا أمتهم - فى طائفة الاندماج لهؤلاء ننشر هذا البيان ، ولكن لا عذر لمن هو عند نفسه وعند (جامعته) مختص فى تاريخ الحركة السياسية والعصر الحاضر ، فانه قصور أو جهل فاضح وغرض واضح . واقرارهم لمثل هذا يصحح اتهامهم بانهم لا يحسنون الدراسة ، ولا يستحقون حمل لقب الامانة التاريخية ، ولو جلسوا على كراسى فى الجامعات ! وكان ذلك أقل ما يجب عليهم حتى لا يضللوا الاجيال القادمة أو يصيبوا قوما بجهالة ، واذا أصروا على مهاجمة الاموات الابرياء فسيسلط عليهم من يعاملهم بالمثل .

الفصل السادس : اعلان اليأس من سياسة فرنسا

15 - خابت كل الامال التى علقنا على حكومة الواجهة الشعبية واستمرت فرنسا فى سياستها المعادية للعرب والمسلمين فى كل البلاد التى تحتلها ، وحلت حزب (نجم شمال افريقيا) ثم حزب الشعب (8) الجزائرى الذى خلفه ، وزجت بزعمائه فى السجون عام 1937 ، وأخذت تلقى على المناضلين القبض وتسوقهم الى العذاب وصنعت مثل ذلك فى تونس ، فأخذت تقمع المظاهرات

(8) تأسس حزب الشعب فى 11 مارس 1937 م . واعتقل زعماءه فى شهر أوت 1937 بتهمة إعادة هيئة منحلة ، ومنذ ذلك الحين عادت الحركة الوطنية الى السرية كما كانت الى أن تأسست حركة انتصار الحريات الديمقراطية .

م . ع . بستانجي «

بكل عنف وتزج بالزعماء فى السجون والمعتقلات ، ثم تنكرت للمعاهدة التى كانت قد عقدتها مع سوريا ، كما فعلت انقليترا مع مصر - ورجعت الى الحكم المباشر .

- وقد استعرض ابن باديس هذه التحولات فى سياسة فرنسا وتابع تطوراتها فى اعداد متوالية . ومنها ما جاء فى عدد رمضان 1356 هـ نوفمبر 1937 م فى « كلمات صريحة » عن قلق السياسة الفرنسيين ، وبحثهم عن الداء واقتراح الدواء وقال : « ... وأما العلاج فقد كادت كلمة القوم تتفق على انه الضغط والارهاق واستعمال القوة والشدة » وماذا نقول نحن فى هذا العلاج ؟ نقول بالصدق والصراحة اللذين تعرفهما منا الدوائر الحكومية ، انه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما حينما ما ، ولكنه يزرع فى القلوب بغضا وحقدا ويملا الصدور ثورة وحماسا وما مآل ذلك - بطبيعة الامتلاء وطول الزمن - الا الانفجار ولا يدري الا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار ... » اهـ

وأكد فى هذه الكلمات الصريحة ما جاء فى اختها التى اعلنها منذ ابريل 1936 م من (ان هذه الامة الجزائرية الاسلامية ليست هى فرنسا ولا يمكن ان تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى اخلاقها وفى عنصرها وفى دينها لا تريد ان تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة والذى يشرف على ادارته السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسية) اهـ أى انه يشمل أرض الصحراء كلها فهى قطعة من الجزائر باعتراف الحكومة الفرنسية نفسها ، وقد أرادت فرنسا - من بعد - ان تتنصل من هذا اثناء المفاوضات مع حكومة الجزائر المؤقتة فلم تستطع .

لا نعتمد الا على انفسنا ونتكول على الله

وفى هذه الكلمات الصريحة قطع علاقته بماض كان يرتبط فيه ببعض الامل فى فرنسا - وان كان شخصيا لا أمل له فيها - وليس هذا تخميننا ، ولكننا سمعناه منه فقد كنا نسمر معه ذات ليلة وأخذ يبين لنا اخطار برنامج (بلوم - فيوليت) لو نجح ، وذلك أيام تعلق السياسة به ورغبتهم فى تحقيقه

كما اعرب عن اعتقاده باننا لن ننال شيئا من فرنسا الا اذا افتككناه بالقوة
واخذناه غصبا ، وقد سألته - انذاك - لما لا يعلن هذا للناس فقال : دع الامة
حتى يضربها حائط الواقع فتفيق ، فان هذا ابلغ في اقناعها ، فاذا خابت آمالها
يئست ، واذا يئست منهم عملت . فكان يعمل جاهدا لاقناعها باليأس .

ففى هذه السنة 1937 رأى ان الامة جرت وراء السراب مدة سنة كاملة ،
ترجو انصافا من ذئاب الاستعمار - وان لبسوا جلد اليسار - وهى مدة كافية
لحصول اليأس ، فكتب مقالا تحت عنوان (هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟) .
جاء فيه تأكيد دواعى اليأس ، لان رئيس وزرائها ووزيره المختص
بالقضية وعدا الوفد وعدا قاطعا أخلفاه ، (ولم يصدق لا الرئيس ولا الوزير)
- كما قاله بالحرف (عدد أوت 1937) .

ثم قال : « فماذا فهم الناس من هذا كله ؟ ... قالوا ان فرنسا تعد
وتخلف لانها رأت مصلحتها فى الاخلاف ! والجزائر تنخدع وتطمع ولكن
يطول انخداعها ويستمر طمعها ... وأما نحن - الجزائريين - فاننا نعلم
أننا أدركنا هذا الاخلاف العرقوبى ، وأدركنا مغزاه ، وأخذ اليأس بتلابيب
كثير منا ، وهو يكاد يعم ، ولا نتردد فى أنه قد آن أوانه ودقت ساعته . ماذا
تريد فرنسا من مماطلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومى جواب هذا السؤال فى قصيدته التى نشرناها فى
الجزء الماضى ، حيث قال :

ولعلَّ من نُظِّمَ السيا سة ان نُفَشَّ وأن نُفَرَّ
ولعلَّ منها أن يُدَسَّ سَ لنا ونجذبَ للحُفَرِ
ولعلَّ منها أن يبسَّ سَ بنا لنُحَلِّبَ كالْبَقَرِ
ولعلَّ منها أن نُمَّا طَل كي يساورنا الضَّجَرُ

كذب رأى السياسة وساء فالها ، كلا والله لا تسلمنا المماطلة الى الضجر
الذى يقعدنا عن العمل وانما تدفعنا الى اليأس الذى يدفعنا الى المغامرة
والتضحية » .

أيها الشعب الجزائرى ، أيها الشعب المسلم :
أيها الشعب العربى الابى :

حذار من الذين يمنونك ويخدعونك ! حذار من الذين ينومونك ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك .

استنوح الاسلام ثم استنوح تاريخك ، ثم استنوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك وسلام الله عليك .

ومنذ هذا التاريخ أخذ يؤكد هذا المعنى قولا وعملا ، وينتهاز كل فرصة لإعلان اليأس من وعود فرنسا .

ففى عدد نوفمبر بين أن الامل فى حكومة الواجهة الشعبية قد خاب ، وأنها توجهت للاهتمام بحالة المعمرين وصرفت أموالا باهضة لفائدتهم - كما نشرته جريدتهم - كما نيقن ان روح الحكومة - حكومة الواجهة الشعبية - غير روح مبادئهم ، ومسامها فى يد غيرهم .

ثم قال :

« فازاء هذا رأينا أن الواجب علينا ان نعلن لشعبنا ان : لا نعتد الا على أنفسنا ونتكل على الله » اهـ

وابتداء من هذا العدد - رمضان 1356 - اختفت كلمات مبدأ الشهاب الدينوى - التى كانت مرسومة على الشهاب منذ تأسيسه مجلة - وهى : «الحق والعدل والمواخاة فى اعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات» وحل محلها قوله :

« فلنعتد على أنفسنا ولننتكل على الله » .

فالحقيقة أنه كان مستيقنا أننا لن ننال من فرنسا حقا ، ولن نحقق مطلبنا ، وكيفما كانت حكومتها - يمينية أو يسارية - فانها حكومة فرنسا المعتدية ، وانما كان يساير المتفائلين ، ويسوق الشعب والجماهير نحو اليأس ، ويصرح ان اليأس - بداية اليقظة والعمل الصحيح ، ويوقن أن الغضب يؤدى الى الانفجار ، وما الانفجار الا الثورة .

وكانت سنة 1937 قد تهيأت فيها الفرص التى يطلبها لتحقيق هذا الغرض ففيها اشتد الضغط على الامة ، وانتصر مذهب الذين ينصحون حكومة فرنسا

بان علاج الازمة الوحيد هو استعمال الشدة والعنف ، وتسليط وسائل الارهاب مما جعل الفرنسيين لا ينتهون من ارتكاب حماقة حتى يشرعوا فى ارتكاب ما هو اشد منها .

منها التضييق على التعليم بمنع العلماء من القاء الدروس الدينية فى المساجد الرسمية ، ومنع اعطاء الرخص لفتح مدارس جديدة ، واغلاق ما استطاعوا اغلاقه من القديمة ، ومحاكمة المعلمين الاحرار والزج بهم فى سجون الاستعمار ، وتغريمهم ماليا ، وتعذيبهم جسديا . واغلاق النوادى ومنعها من بيع المشروبات حتى تختنق ، واعتبارها كـ (المقاهى العربية) حتى تمنع الاجتماعات فيها وفتح اقسام للتعليم فيها .

ومن هنا حل الحزب الوطنى (نجم شمال افريقيا) - كما تقدم - وكان قبل من احزاب الواجهة الشعبية ، فتكررت له حكومتها ، وعاملته كما كانت تعامله حكومات فرنسا اليمينية والفاشية ، فلما تأسس (حزب الشعب الجزائرى) اثر ذلك - فى مارس 1937 - لم يمكث الا قليلا ثم أقدمت على حله ، والقاء القبض على زعمائه ، ومطاردة مناضليه ومعاملتهم معاملة قاسية فاشية .

لقد كان الوطنيون معتادين مثل هذه المعاملة من فرنسا فى فرنسا - لانه انشئ فيها - ، ولكنها جديدة على أرض الجزائر ، ولهذا فقد انتهزها ابن باديس رحمه الله ليقاوم روح (الخوف) من السجن فى الامة و (الاستحياء) به ، بل رأى أن المصاب به - فى سبيل الله والوطن - أهل للتكريم والتهنئة ، حتى تزول الدهشة من الشعب وأبنائه وتتغير المعايير عندهم ويروا - فخرا - ما كان يرى (معرة) . ففى شهاب نوفمبر 1937 قدم تهنئة لهؤلاء الابطال وللامة بهم قال :

» عيد الفطر المبارك :

تهنئة به الى الامة الجزائرية الكريمة

كنا قبل نهنىء الامة الجزائرية بمثل هذا العيد وليس لها مظاهر السعادة ما تهنأ به الا ما نرجوه لها ونأمل .

اما اليوم فاننا نهنئها وهى فى طور جديد من أطوار حياتها ، وهو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهناك فنهنيها - ومن أبنائها من هو

سجين فى سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين فى سبيل السياسة والحقوق
المفصولة .

أمة أخذت تقدم الضحايا فى سبيل سعادتها حقيقة بان تنال السعادة وبأن
تهنأ بها .

فتهانينا اليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا - على الخصوص - الى أولئك
الابطال الاماجد السيد الحاج مصالى ورفاقه والشيخ عمر دردور .

حياهم الله وعجل سراحهم وجعل فيهم القدوة الحسنة فى الصبر
والتضحية « اهـ .

وكان الشيخ عمر دردور عميد تلاميذ الشيخ الاوراسيين وصديق الشهيد
مصطفى بن بو العيد .

لم يكن السجن السياسى معتادا فى الجزائر ، حتى ذلك الوقت ، بل كان
السجن - على العموم - مرهوبا ، ومرة تلحق المسجون .

لكن ابن باديس أراد ان يربى أمتة ويبين لها انه - اذا كان فى سبيل الله
والوطن ولاجل اغاظة العدو - فانه نعمة وشرف يستحق المسجون التهنئة فى
شخصه وتستحق الامة ان تهنأ بمصيره وتضحيته ، وان يقتدى به .

وأذكر ان احد تلاميذه ارتكب مخالفة - بقيامه بعرضه دون اعلان عنه ،
واستعماله فيه (البارود) - فحكم عليه بغرامة مالية - مائة وخمسين فرنك -
فاما ان يدفعها لدولة الاستعمار ، واما ان يدخل السجن لعدة ايام ، فذهب
لاستشارته فأشار عليه بدخول السجن ولا يدفع مالا للعدو ، وانما أراد أن
يذهب عنه رهبة السجن والفرع منه .

الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة

وكان من أبرز حماقاتهم وأدلها على مقدار بلاهتهم واستهتارهم - قرارهم
باقامة الذكرى المئوية لاحتلال مدينة قسنطينة فى هذه السنة ، فقد صور لهم
الغباء والغرور سنة 1937 انهم يستطيعون ان يقيموا احتفالات (بهيجة) بذكرى
انتصار أجدادهم ، وان يمثلوا بعض أحداث يوم الاحتلال تمثيلا ، ويصوروا
المنتصرين والمنهزمين ، وان يشاركهم فى هذه التمثيليات ، ليذيعوا فى العالم

أننا نشاركهم فى الاحتفال بانتصار (المدنية) على (الهمجية) والنصرانية على الاسلام !

ومن قبل ذكرونا بهذا (الانتصار) - ذكرى لا تنسى فى مكان بالمدينة لا يخفى ، اذ أقاموا - سنة 1909 - فى مدخلها تمثالا ضخما لقائدهم لامورسيير محتل قسنطينة ، وآسر الامير عبد القادر فى حجم عملاق على قاعدة كبيرة - يلبس جزمة عسكرية ، وفى يده سيف طويل هائل قد سله وتوجه نحو المدينة العربية - علامة الهجوم .

ويوم أن احتفلوا بالذكرى المئوية عام 1930 لاحتلال الجزائر وشارك فيها جيشهم بقاتته البريين والبحريين والجويين ، وبكنيستهم ورجالها يحملون صلبانهم ويرتلون أناشيدهم - وبسراتهم ونبلاتهم ، وبسفائهم وصعاليكهم - لم يكذب يعترضهم أحد ، بل شاركهم بعض الغافلين أو الخونة المارقين أو العملاء المأجورين .

ولكن سبع سنوات بين 1930 و 1937 - فعلت فعلها - وآن للشعب ان يقول رأيه ويتخذ موقفا علنيا صريحا من هذه الالهانات وهذا ما فعله ابن باديس . اذ جمع هيئات بلده وحرر بيانا يخاطبون فيه الشعب بما يجب عليه نحو هذه الالهانة ، وقد وزع هذا البيان أعضاء جمعية التربية والتعليم ، وأعضاء شعبة جمعية العلماء ، وأعضاء الجمعيات المشاركة .

وكان الشيخ بعد طبع البيان - وقراءته عليهم - قد سألهم عن توزيعه ، فسكتوا لعلمهم بخطورته - فى مثل تلك الظروف الارهابية - عليهم وعلى الشيخ - فقال لهم : أنا أوزعه ! فقال السيد الطاهر بن بهات التاجر العباسي - بلسانهم جميعا - « كلا ، بل نحن نوزعه ، ونكفيك مؤنته » .

ويوجد نصه فى الشهاب (عدد رمضان 1356 نوفمبر 1937) وهذا هو :

على هامش السنتير :

منشور المقاطعة

نداء الى سكان قسنطينة المسلمين :

« قاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها » .

اخوانى القسنطينيين :

فى مثل هذه الايام - منذ قرن - مات اجددكم المجاهدون المدافعون ،
والفرنسيون المهاجمون فى ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة من
التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب .
ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك الماساة وضمد تلك الجروح ،
وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الانانيين - الذين يابون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا
ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين - هؤلاء القوم ليسوا كل
الفرنسيين - أرادوا فى هذه الايام ان يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة
قسنطينة تثير العواطف ، وتمس كرامة الاحياء منا والاموات وتنافى مبادئ
الاخوة والرحمة التى ندعو اليها .

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائرى بعرقلتهم - معطلة ،
وحقوقهم - بسعيهم - مهملة ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على
ظهره كل يوم .

لهذا قد اجتمعت 14 جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر
الماضى فى نادى الاتحاد ، وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات ، عازمة على
مقاطعتها فقررت - بالاجماع ما يلى :

نحن الممثلين لجمعياتنا نرى احتراما لانفسنا ، واحتراما لاجدادنا واحتراما
للانسانية :

أولا : ان لا نشارك فى هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانيا : ان نكون فى هدوء تام .

اخوانى القسنطينيين قد فعل المؤتمر الاسلامى واجبه فاحتج على هذه
الاحتفالات وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته
فى قرارها المتقدم وأخوكم هذا كقسنطيني - فعل واجبه بنشر هذا
المنشور عليكم .

فيما بقى الا ان تقوموا انتم بمواجبتكم . فقاطعوا هذه الاحتفالات
ولا تشاركوا فيها . كونوا فى هدوء وسلام .

والسلام عليكم . من أخيكم : عبد الحميد بن باديس
حرر بالمنصورة ، حوز تلمسان

مساء الثلاثاء 23 رجب 1356 هـ 1937/9/28

نداء

الى سكان قسنطينة المسلمين

إخواني القسنطينيين :

في مثل هذه الايام منذ قرن مات اجدادكم المجاهدون المدافعون والفراسيون المهاجرون في ميدان البطولة والشرف . وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب

ومضت مائة سنة ذات كافية لنسيان تلك المأساة ، وضد تلك الجروح وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الانانيين الذين يسأبون الا ان يكونوا سادة متفوقين ، والا ان يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين — هؤلاء القوم — وليسوا كل الفرنسيين — ارادوا في هذه الايام ان يقبوا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تنير العواطف ، وتس كرامة الاحياء منا والاموات ، وتنافي مبادي الاخوة والرحمة التي ندعو اليها

يحتفلون احتفالاتهم هذه ومطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة ، وحقوقه بسعيهم مهمل ، وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يوم .

لهذا قد اجتمعت ١٤ جمعية اسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت ١٨ سبتمبر الماضي في نادي الاتحاد وكانت كلها مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها . فقررت — بالاجماع — ما يلي : نحن — ممثلين لجمعياتنا — نرى احتراما لأنفسنا . احتراما لأجدادنا . واحتراما للانسانية . اولاً — ان لاشارك في هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانياً — ان نكون في هدوء تام عام .

إخواني القسنطينيين :

قد فعل المؤتمر الاسلامي الجزائري واجبه فاحتج على هذه الاحتفالات في اجتماعه العام الاخير وقدم مستنكره ذلك الاحتجاج الى الوالي العام وقدمه مكتب لجنته القسنطينية الى مير قسنطينة . وفعلت الجمعيات الاسلامية القسنطينية واجبها بما قررته في قرارها المتقدم . واخوكم هذا — كقسنطينيين — فعل واجبه بنشر هذا النشور عليكم . فما بقي الا ان تقوموا انتم بواجبكم .

فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا

فيها

كونوا في هدوء وسلام .

والسلام عليكم من اخيكم عبد الحميد بن باديس
حرر بالمنصورة حوز تلمسان مساء الثلاثاء ٢٣ رجب

١٣٥٦ ١٩٣٨ ١٩٣٧ م

المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

APPEL A LA POPULATION MUSULMANE DE CONSTANTINE

Mes frères Constantinois

Il y a un siècle, à pareille époque, vos glorieux ancêtres combattant pour la défense de leur territoire et les soldats français de la conquête tombaient sur le champ d'honneur également couverts de gloire. Une page de l'histoire, illustrant la vaillance et la bravoure des uns et des autres, était ainsi retournée. Un siècle nous sépare aujourd'hui de cette tragédie dont le souvenir s'estompant dans le recul des jours aurait dû s'effacer dans la mémoire des hommes. Un siècle était suffisant pour cicatriser les plaies et unir étroitement les éléments divers du pays sur la table rase du passé.

Aujourd'hui, des hommes sans cœur cherchent à réveiller ces lointains souvenirs et à ressusciter la haine et les rancœurs en célébrant l'anniversaire de la prise de Constantine. Ces défilés militaires et toutes ces vaines parades dans lesquelles leur orgueil de vainqueurs trouvera sa satisfaction constituent une suprême atteinte à notre dignité et une injure à la mémoire de nos glorieux pères et ruinent les efforts que nous ne cessons pas de déployer pour la fraternité des races.

L'indécence atteint son comble lorsque ces fêtes doivent être célébrées pendant que les revendications des Musulmans

d'Algérie attendent encore d'être réalisées, que leurs droits nationaux sont méconnus et que les lois d'exception restent suspendues sur leurs têtes comme une perpétuelle menace.

C'est pour cela que 14 associations musulmanes constantinoises, réunies le samedi 13 Septembre écoulé, sous le patronage de l'Union, ont désapprouvé le caractère de ces fêtes et ont décidé de ne pas y prendre part. A l'unanimité, les résolutions suivantes ont été prises :

« Nous, représentants des populations musulmanes, pour faire respecter notre propre dignité et celle de nos frères, décidons :

1° de nous abstenir de participer à ces fêtes ;

2° d'observer le calme et la dignité les plus absolus.

LE CONGRES MUSULMAN ALGERIEN a fait son devoir en élevant une protestation contre le principe même de ces fêtes. au cours d'une réunion publique, protestation que son comité constantinois a fait parvenir au Maire de Constantine pour être transmise à M. le Gouverneur Général.

La population musulmane ayant fait son devoir, votre frère, le signataire du présent manifeste, Constantinois comme vous, fait également le sien en s'adressant à vous pour que vous fassiez le vôtre.

Abstenez-vous donc de participer à ces fêtes.

Observez en tout la dignité et le calme et que la paix soit avec vous.

Abdelhamid BENBADIS

CONSTANTINE - Imprimerie ALGERIENNE MUSULMANE

صفحة ذهبية

نشرت الصحافة الفرنسية وغيرها اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة فأحببنا نحن أن نشاركها ، فننشر كتابين تاريخيين جليلين . نقلناهما عن كتاب : « تحفة الزائر ، في مآثر الامير عبد القادر ، وأخبار الجزائر » وهذا نصهما :

١

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين داخل البلد : نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ويد القدرة الربانية كللتنا باكمال النصر فها جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف واما التسليم للنجاة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا في سفك دمائكم فالتسليم أسلم لكم وأحسن بكم لانكم أمسيتم في مركز خطير جدا والخلاص منه بدون ضرركم كبير يلحقكم مستحيل كيف وبواريد فرانساقده احاطت بكم من كل جهة وصرت في وسطها مثل السمك في الشبكة »

٢

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا أمسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا »

اه

الشهاب : ج 9 - م 13 - رمضان 1356 هـ - نوفمبر 1937 م .

ان مثل هذا المنشور لخطر جدا فى مثل تلك الايام ، وخصوصا اذا طبع ووزع على الجماهير ، وهو يدعو لمقاومة ما قررتة الحكومة الفرنسية ، فمن غير المعقول ان يقام احتفال عسكرى وتستعرض فيه أنواع الاسلحة بفعل طائفة من الفرنسيين الانانيين - ولكن براعة الشيخ جعلته يحفظ خط الرجعة ويتهم بمثل هذه الحماسة طائفة منهم ، وهم لو استفزوا الشعب وقامت اضطرابات وسقط ضحايا لتبرأت حكومتهم وقالوا ، هذا فعل طائفة مطرفة أنانية .

وانظروا كيف نوه ببطولة المهاجمين والمدافعين معا ، فمن جهة لا يليق بأجدادنا ان يغلبهم جبناء ، ولا فخر للفرنسيين ان يتغلبوا على جبناء ، ولهذا لما قرأ قائدهم جواب قائد الحماة أعجب جدا ببسالتهم وشهد بشرفهم وبطولتهم . ومن جهة أخرى حتى لا يترك مجالا لرميه بالتعصب والحق .

اما مبادئ الاخوة والرحمة والتقارب والتعايش السلمى بين المتساكنين فانها غاية كل عاقل حكيم ومفكر ومصالح سياسى أو اجتماعى .

لكن محاولة الهيمنة والتسلط والتحرش - من طائفة - بالشعب كله والسعى لعرقلة مطالبه ، والحيلولة بينه وبين حقوقه ، وتسييط القوانين الاستثنائية كسياط على ظهره - كل ذلك قبيح من كل عاقل وحكيم ومفكر ومصالح سياسى أو ادارى أو اجتماعى . ومما نلاحظه ان المنشور كتب بتلمسان ولعله أراد ان يطلع عليه خليفته ، الشيخ الابراهيمى ، فلم يحب ان يستبد برأيه ، ولعله توقع ان يعتقله المستعمرون فدبر معه مآل الحركة اذا فى حال اعتقاله .

وخاب الفرنسيون - فى اعتقالهم - خيبة مرة ، وفشلوا فيه فشلا ذريعا ، فقد لزم الناس دورهم ، وتركوا المدينة ، وشوارعها ، ليس بها انيس ، ولا اليعافير ولا العيس !

وبينما كانوا يؤملون أن يشركوا - فى التمثيليات - جنود الاهالى بلغتهم انباء عنهم ، جعلتهم يحجزونهم فى ثكناتهم كامل اليوم ، خوفا من ثورتهم . لقد كانت تجربة عظيمة برهنت على يقظة الراى العام الاسلامى واستجابته للمقاومة ، وكان ابن باديس حكيما اذ بدأ بالمقاومة السلبية ، ولعلها أسهل وأرفق وامكن لاطهار سخط العموم .

ولقد أرادوا اعتقاله ، وتفاوضوا فيه طويلا ، ثم أحجموا ، ولعلمهم خشوا
مغبة ذلك .

أما ابن باديس - رحمه الله - فانه تابع سيره ، وقام - بدوره - بالمشاركة
فى احياء ذكرى ذلكم الحدث الجلل فى تاريخنا القومى . ولكن بطريقه هو !
وكيف كان ذلك ؟

لقد قام بنشر كتابين تاريخيين فى نفس هذا العدد - رمضان 1356 هـ -
نوفمبر 1937 تحت عنوان (صفحة ذهبية) يمكن ان نضع لها عنوانا آخر مع
عنوانه وهو « الموت تحت الاسوار ، احسن من الحياة تحت الاستعمار » .

الكتاب الاول هو نص الانذار الاخير الذى بعثه قواد الجيش الفرنسى
المهاجم الى الجنود المسلمين المحاصرين .

والكتاب الثانى هو جواب المحصورين عن هذا الانذار ، قال ابن باديس :
« نشرت الصحافة الفرنسية اللسان كثيرا عن احتلال قسنطينة ، فأحببنا نحن
ان نشاركها ، فنشر كتابين تاريخيين ، نقلناهما عن كتاب تحفة الزائر - فى
مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر » .

الكتاب الاول : نص الانذار الفرنسى .

« من القائد العام ورؤساء الجيوش الفرنسية الى أحمد باى وعلى بن عيسى
وسائر العساكر الاهالى المحصورين داخل البلد :

نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصارا مجيدا عليكم ، ويسد القدرة
الربانية كللتنا باكليل النصر .

فها جيشنا الجسور وابطالنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم
على خنادق بلدكم ، ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين : اما اعمال السيف ،
واما التسليم للنجاة من الحيف .

لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ، ونحن لا رغبة
لنا فى سفك دمائكم ، فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم فى مركز
خطر جدا والخلاص منه - بدون ضرر كبير يلحقكم - مستحيل ، كيف
وبوارد فرنسا قد احاطت بكم من كل جهة وصرت فى وسطها مثل السمك
فى الشبكة » اهـ

الكتاب الثانى : جواب الامة على هذا الانذار .

« من الامة المحافظة على شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسى المعتدى على حقوق غيره : قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها . نعم ان مركزنا امسى فى خطر عظيم ، ولكن اسنلاؤكم على قسنطينة المحمية بالابطال العربية - الذين لا يهابون الموت - موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا ان الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا » اهـ

هذه هى مشاركة ابن باديس فى هذا الاحتفال ، ويا لها من مشاركة تبرز روح الانفة والعز والشهامة والرجولة فى الاجداد ، وتأبى الاستسلام ، ان هذا يفسر للناس اجمعين كيف بذل شعب الجزائر مليوناً ونصف مليون شهيد ليسترجع دولته وعزته ويرفع رايته . وانه بهذا لم يشتر الحرية بصفقة غبن ولا باع النفوس فى الجهاد بيعة وكس .

ان المبدأ الجديد - الذى اعلنه ابن باديس - لسياسته فى الشهاب ، وهو « لنعول على انفسنا ولنتكل على الله » انما أراد به أن يقطع كل صلة بهذا الموضوع فى الماضى ، فى التعويل على مساعدة فرنسا الديمقراطية فى النهوض بالامة الجزائرية ، ففرنسا هى فرنسا ، ديمقراطية كانت أو فاشية ، يمينية أو يسارية - وأراد ان يعلم الشعب ان يعول على نفسه فان له طاقة فعالة وأن يتكل على الله .

لقد أراد ان يفصل بين سياستنا وبين الكتل الاجنبية التى تغفل نفوذها فينا ، كان كل سياستنا - اذا لم يكونوا عملاء الادارة الفرنسية - يعولون على الاحزاب الفرنسية ، وحتى احزاب اليمين منها فقد مال بعضهم الى حزب العقيد « دولاروك » وهو حزب « الصليب النارى » وبعضهم الى حزب العميل الفاشى « دوريو » « وهو الحزب الاجتماعى الفرنسى » أما أغلب الساسة فقد مالوا الى احزاب اليسار منهم من انخرط فيها ، ومنهم من عول عليها ، واكبرها : الحزب الراديكالى ، والحزب الاشتراكى ، والحزب الشيوعى .

اما العمال فكانوا فى منظمة « النقابة العامة للعمال » وهى ذات ميول اشتراكية وشيوعية ، وتقبل انخراط العمال المسلمين فيها ، وتهتم - قليلا -

بمطالبهم ، ولكنها لا تتسامح بالانفصال عنها في منظمة خاصة بهم . وقد دامت هذه الحالة الى نشوب الثورة واقبال يوم 24 فبراير 1956 م .

ولم يكن مسموحا من الجميع - الاحزاب السياسية او النقابات العمالية ، ان يظهر أى جزائرى العواطف القومية ، الوطنية الاسلامية .

وابن باديس فى مبدا الشهاب الجديد يعلن لشعبه ان يتنكر لما كان ينتهجه ، وينصحه بالتعويل على النفس والاتكال على الله ، استمع اليه وهو يقول : أيها الشعب الجزائري المسلم العربي الابى !

حذار من الذين يمتنونك ويخدعونك !

حذار من الذين ينومونك ويخدرونك !

حذار من الذين ياتونك بوحي من غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك

وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك !

استوح الاسلام ، ثم استوح تاريخك ثم استوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك « اهـ »

فالذين يعدونه ويمتونه ويخدعونهم هم سياسة فرنسا ابتداء من رئيس

الوزراء الى اصغر موظف فيها .

فليس فيهم من وفى بالوعود أو العهود كالشيطان مع بنى الانسان .

« يَعْدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا » ومن واجبه ان يحذرهم .

والذين ينومونه ويخدرونهم هم الذين يزينون له حالته البئيسة التى وصل

اليها من جهل وانحطاط وتأخر ، ومرض وفقير وجوع وعري ، وذلة ومهانة ،

ثم يزعمون له ان الرضى بهذه الحالة هو عين الايمان لان « الدنيا جنة الكفار

وسجن المؤمنين » ان « الدنيا لهم والآخرة لنا » . مع ان زينة الحياة والطيبات

من الرزق هى للذين آمنوا .

فمن حقه ان يحذرهم ويقطع الصلة بهم فانهم يعملون - عن جهل أو علم -

لفائدة الاستعمار .

والذين يأتونه بوحي من غير صيره وتاريخه وقوميته ودينه هم الذين

يقولون له : انسلك من كل ذلك ، واعتنق قوميتنا ، وتعلم لغتنا . وتنكر

لدينك الذى هو سبب تأخرك ، وانكر تاريخك واجدادك ومجدك ، تكن من (الراقين) المتمدين ! فاذا استوحيت ضميرك فقد تحررت ، واذا استوحيت دينك فقد رشدت لان الاسلام هو الدين عند الله • لا يقبل غيره ، ولا يقبل الذل والمهانة بل يدفع الى العزة والسعادة والسلام ، ويضمن النصر المبين لمن جاهد فى الله واعتصم به •

هذه النصيحة الغالية قدمها ابن باديس ، والتزم بها الى وفاته ، فانه كان رحمه الله اذا قال فعل • ومن درس اقواله - شعرا ونثرا - منذ هذه السنة تيقن انه كان مؤمنا بالثورة عاملا لها ، موعزا بها - فاستمع - مثلا - الى قوله : « والله لا تسلمنا المماثلة الى الضجر الذى يقعدنا عن العمل ، وانما ندفعنا الى اليأس الذى يدفعنا الى المغامرة والتضحية » فما - عسى المغامرة - فى ميدان الكفاح - الا الثورة المسلحة واى تضحية ينوء بها ابن باديس ويهدد بها ان لم تكن التضحية بالنفوس •

ليس من ضحى بكبش غنم مثل من ضحى بنفس بشرية واستمع الى قوله : محذرا من استعمال القمع والارهاب كعلاج لهيجان عواطف الشعب : « انه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما ، حينما ما ولكنه يزرع فى القلوب بغضا وحقدًا ويملا الصدور ثورة وحماسا وما مآل ذلك بطبيعة الامتحان وطول الزمن - الا الانفجار » وقد كان ، فابتدأ هذا الانفجار عنيقا عام 1945 وأخمد باستعمال الفتك والارهاب مرة أخرى ، ثم عاد الانفجار عام 1954 فعصف بقواتهم ، وقضى على كل اعمالهم فى قرن وربيع وعلى كل احلامهم الى الابد •

16 - واستمر فى ميدان الثقافة يقوم بمجهوداته العظمى ، وأصبح طلابه يعدون بالآلاف ويقوم على التدريس معه نجباء المتخرجين من مدرسته ، أو من مريديه ، ومن هؤلاء الشيخ فضيل الورتلانى - قبل ذهابه الى فرنسا مبعوثا منه للعناية بالمفتريين ، ثم هجرته الى مصر والشرق - ومنهم الشيخ محمد جلولى المليانى أمد الله فى حياته • ومنهم الشيخ عبد المجيد بلحيرش المتخرج من الزيتونة ، ومنهم الشيخ الجيلالى الفارسى المتخرج من مدرسة ابن باديس ثم من الزيتونة ، ومنهم الشيخ أبو بكر حاج عيسى الاغواطى خريج مدرسة

الشيخ مبارك ، ثم الزيتونة ومنهم الشيخ محمد ميهوبى الدراجى ، والشيخ عمر دردور ، ومنهم الاستاذان الاخوان محمد الامين ، وأحمد الامين الخنشليان المتخرجان من الازهر الشريف ، ومنهم الشيخ الاخضر فيلالى الخنفى احد متخرجيه النجباء ، ومنهم استاذنا العلامة الجليل الشيخ سعيد الزموشى واستاذنا الشيخ الشريف الصائفى واستاذنا الشيخ عبد العلى الاخضرى ، كلهم زيتونيون ، فكل هؤلاء علموا معه وتحملوا مسؤولية تربية طلابه متطوعين سالكين منهاجه وطريقه ، وذلك ما بين عام 1931 عام تأسست جمعية العلماء وما بين وفاته والتحاقه بربه فى 16 افريل 1940 م .

وكان طلبته أغلى ما عنده وأعزه عليه يجتهد على راحتهم ، ويشقى لاجلهم ويبذل لهم كل ما فى وسعه ، ويؤمن بان أئمن ما يؤديه فى حياته أن يحسن تربيتهم على محبة الدين - واللغة - والوطن وخدمتهن والوفاء لهن . وأعظم تلاميذه فى الاولين الشيخ مبارك الميلى وعبد السلام السلطانى ومحمد بن العابد السماتى وموسى الاحمدى ، والفضيل الورتلانى ، والهادى السنوسى ، ومحمد سعيد الزاهرى ، وناصر الدين الناصر ، ومحمد جلولى المليانى ، وبعازيز بن عمر ، ومصطفى بن حلوش ، وعبد العزيز بن الحاج مصطفى ، ومحمد صالح بن عتيق ، وزهير الزاهرى ، والجيلالى الفارسى ، وعيسى يحياوى وموسى الزقاق ، ومحمد ميهوبى والاخضر فيلالى وأحمد بوشمال ، وعبد الحفيظ الجنان وأحمد بن ميلود .

ومن المشائخ المتأخرين : أحمد السرحانى ، محمد الغسيرى ، وعمر دردور والامير صالحى وأخوه رشيد صالحى ومحمود الواعى ، وسى مسعود ويوسف القلى ، وعمار القلى ، وحسين بن عتيق ، والصادق حماني ، والصادق عيسات وعبد الرحمن رمضان ، ومحمد صالح رمضان ، وأحمد المكي عبادة ، وعثمان بوقطاية ، وعلى مرحوم ومسعود حماني ، ومولود المهاجى الوهراني ، وأحمد بن ذياب ، وأحمد حماني ، ومحمد على منصورى ، وعبد الكريم عقون ، والربيع بوشامة ، وعمر بوحناني ، ومبارك بن جلواح ، واسماعيل العربى ، والعربى كبيش ، وصالح بن زايد ، وسعيد البيباني ، وصالح غربى ، ومحمد الحسن ومحمد الطاهر وعبد المالك فضالة والاستاذ ثعالبى . . . الخ . وهم كثير جدا منتشرون فى الوطن . مات بعضهم واستشهد آخرون ، وما يزال بعضهم فى الحياة .

من هؤلاء المتقدمين والمتأخرين من اقتصر على المدرسة البادية ولم يطلب العلم في غيرها ، ومنهم من شرق أو غرب وأتم دراسته في جامعة من جامعات العواصم الإسلامية ، ولم تخصصهم كلهم . وإنما ذكرنا منهم من وعته الذاكرة الطيرون فمعدرة لدى من لم يذكر اسمه . وما من هؤلاء الا عالم كبير ، أو مؤلف بارع أو كاتب مبدع أو شاعر فحل أو خطيب مصقع أو مرب فاضل ، أو سياسي حكيم ماهر ، وقد يجمع الواحد كثيرا من الخلال ، وكان أثناء فترة الدراسة يتولى تدريبهم على الكتابة والخطابة ونظم الشعر وكتابة النثر سلك في ذلك طريق الامام جمال الدين الافغانى عند اقامته بمصر . وكان يعدهم اعدادا حسنا لخدمة الدين واللغة والوطن على المبادئ المرضية . وتلاميذهم ، وتلاميذ تلاميذهم يعدون في الوطن بعشرات الالوف .

17 - عندما توفي ابن باديس في التاريخ المذكور كان نائبه في الرئاسة الاستاذ الكبير محمد البشير الابراهيمى معتقلا في مدينة آفلو . وقد اعتقل أوائل الحرب العالمية الثانية - أواخر ديسمبر 1939 ، أو في شهر يناير 1940 م ، ولم ينزعج الشيخ لاعتقاله لانه كان لا يخشى عليه الامتحان ، ويتحقق انه سيفوز فيه وهذا ما كان - وقد بقى في الاعتقال حتى سنة 1943 م ، فما طأطأ رأسه ولا هان - فصحت فراسة الشيخ فيه وانه ممن يهناً باسمى وتهناً بهم أمتهم .

الفصل السابع - خلافة الابراهيمى - مساومات وبقظة وثبات

ولما مات ابن باديس اجتمع أعضاء الجمعية اخوان الابراهيمى وانتخبوه بالاجماع رئيسا خلفا لعبد الحميد . ولنلاحظ أن الابراهيمى كان نائب الرئيس منذ تأسيس الجمعية عام 1931 م ، حتى أُنْتُخِبَ للرئاسة عام 1940 م ، ولم ينقصه صوت عند الانتخاب ولا مرة واحدة . وقد انتخبوا لمنصب نائب الرئيس الشيخ مبارك الميلي ، وبقي الاعضاء الآخرون في مناصبهم الشيخ العيسى التيسى الامين العام والشيخ محمد خير الدين المراقب العام ، والشيخ أحمد معينة أمين المال . الخ .

وحدثني الثقات **أن فرنسا** بعثت سماسرتها تساووم أعضاء الجمعية أن يغيروا سياستهم **التي خطها ابن باديس** في (معاداة) فرنسا ومحاربة الاندماج



الأستاذ محمد البشير الازاهيمي

ومحاولة الانفصال عنها ، وإن يقبلوا برئاسة رجل معتدل تعينه لهم - هو الشيخ العقبي - على أن تغير بدورها سياستها نحو الجمعية ، وكان الذين يمكن أن تتصل بهم وتساوهم هم الشيخ مبارك الميلي ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد خير الدين ، وكان الجواب بالرفض ، وقالوا مثل هذا التصرف لا نملكه ، وإنما يملكه الاجتماع العام ، ورئيسنا معتقل ، والظروف لا تسمح بعقد هذا الاجتماع . واثّر هذا الرفض أشد الضغط ، ودبرت مؤامرة ضد الشيخ العربي التبسي ، متهما بتهمة منكرة تيسر لهم محاكمته - في ظروف الحرب - عسكريا وإعدامه . كان ذلك أثناء وجود الألمان والitalians ، بتونس 1943 وتدخل في الموضوع رجال مهرة مخلصون على رأسهم الشهيد المرحوم أحمد بوشمال ، والوطني الصميم محمود بن نيني المرحوم آنذاك بالمحكمة العسكرية وحولوا قضيته الى سياسية واستطاعوا أن يعولوا اعتقاله من مدينة باتنة الى مدينة قسنطينة فنجأ بفضل الله ، ثم بمساند وطنية أخوانه .

كما أن الشيخ محمد خير الدين ناله شرف الاعتقال وسيق الى المنفى ، فلما جاءت لجنة الاصلاح ، وأخذت تستنطق زعماء البلاد في مستقبل الجزائر سنة 1948م أطلق سراح ابراهيمي ، ومثل امام لجنة الاصلاح الفرنسية لاستطلاع رأيه كما جلبوا غيره من زعماء السياسة الذين طال سجنهم . وأثناء هذا العام قدم الى حكومة فرنسا (البيان الجزائري) بعد استشارات بين رجال السياسة وزعمائها جميعا . وبعد اعتقال مؤلف البيان ومقدمه ، ثم الافراج عنه وقع سنة 1944م تالف حزب وطني جديد هو (أحباب البيان والحرية) واتحدت الكلمة وعمت البهجة وعلت الاناشيد والاعلام الوطنية في سائر الانحاء ومن أجملها (شعب الجزائر مسلم) و (من جبالنا طلع صوت الاحرار) و (فداء الجزائر روحى ومالى) ومن عاش تلك الايام بهرته مظاهر الحرية والاستقلال واتحاد الكلمة . وكان من رجال هذا الحزب العلماء ، وعقد مؤتمر وطني أوائل 1945م في الجزائر ، ووضعت مطالب وتقرر ارسال وفد الى (سانفرانسيسكو) لتقديم القضية الجزائرية .

وفى 8 فبراير 1945م توفى الى رحمة الله الشيخ مبارك الميلي وشارك فى دفنه جميع الزعماء الوطنيين وعلى رأسهم الابراهيمى والتبسى وخير الدين ورجال حزب الشعب الجزائرى .

18 - وحل يوم النصر واستسلام الالمان ، وجاءت أعياده يوم 8 ماي وخرج الشعب فى مظاهراته - وكان قد خرج يوم أول ماي فى عيد العمال فسقط منه شهداء فى مدينة الجزائر وبجاية - أما يوم 8 ماي 1945م فقد كانت المفاجأة الكبرى ، وأخذ الفرنسيون - الذين كان دورهم ضئيلا فى تحقيق النصر فى هذه الحرب العالمية - أخذوا يشنون معارك عنيفة على شعبنا الاعزل ، وقد حققوا فى ولاية قالمة ، وولاية سطيف انتصارات حاسمة وحصدوا برصاصهم الأمريكى الصنع 45 ألفا من الشهداء . وذلك تحت سمع وبصر حلفائهم !

ثم التفتوا الى الرؤساء والزعماء ليحملوهم مسؤولية ذلك ويلقوهم فى غيابات السجن ريثما يحاكمونهم ويعدمونهم ، كان رئيس الدولة الفرنسية آنذاك هو الجنرال دوقول ، وكان وزير طيرانه من يدعى (شال تيون) وهو شيوعى النزعة والحزب ، وفى الحكومة مورييس طوريز الامين العام للحزب الشيوعى وحتى صحافة هذا الحزب أخذت تسمنا بوصف (النازيين) وتحرض علينا ، وتشلى الكلاب المسعورة على مناضلينا ، وما كفت عن عملها الا بعد حين ، وبعد خروجهم من الحكومة .

وكان فى طليعة المعتقلين الشيخ محمد البشير الابراهيمى الذى زج به فى السجن العسكرى تمهيدا لمحاكمته ، والشيخ العربى التبسى ، والشيخ محمد خير الدين مع عشرات الآلاف من المناضلين وبقيت هذه المحنة لا أسابيع فقط ولكن شهورا وأعدم فيها كثير من الشباب الوطنيين وخصوصا المناضلين فى صفوف حزب الشعب قتلوا صبورا بعد محاكمات صورية (9) .

(9) كان من ضحايا هذه الايام الشاب اسماعيل بن شعلال رحمه الله ، عضو جمعية التربية والتعليم ، وحزب الشعب ، وأحباب البيان ، حضرت الشرطة لاعتقاله فى مكتب له بالفندق ، ثم زعموا أنه انتحر بالقاء نفسه فى هاوية الوادى السحيق كان ذلك أثناء الاسبوع الثانى من مايو 1948 ، وربما كانوا هم الذين القوا به واغتالوه - والله أعلم .

أما الإبراهيمي فبقي في السجن العسكري بباب الوادي تحت الأرض ،
وفي بيوت ندية مدة ثلاثة أشهر كاملة حتى أثر ذلك على يده وكتفه قبل أن
ينقل منه الى سجن قسنطينة العسكري ، ثم كان آخر من خرج من المساجين
في شهر مارس 1946م فيكون الإبراهيمي قد ابتدأت محنته أوائل الحرب
فاعتقل ، ثم أطلق سراحه لفترة قصيرة عام 1943م فلم (يتب) بل عاد الى
العمل النشط ما يكون ، وشارك مع زملائه في تنظيم الوحدة الوطنية على
امساح الحرب والاستقلال ورفع الرايات في المدن والجبال فتعرض لخطر
الحاكم والاعدام والعذاب ، كما اعتقل كبار اخوانه في سائر أنحاء الوطن ،
وخاصة في جهات الشرق منه .

وكانت فرنسا معولة على تصفية جميع الحركات الوطنية واغتيال رجالها
في قائمة أعدوا جميع من ينتسب الى أي حركة وكانوا في المدينة يزيدون
على 80 عرفوا بنشاطهم في جمعية العلماء أو الحزب الوطني أو في أحزاب
البيان أو في الكشافة الإسلامية ... الخ .

ولكن صدعهم عن اتمام برامجهم خيبة سياستهم في سوريا ولبنان فانها
بعد ما ارتكبت جريمتها في الجزائر - حاولت أن تضرب دمشق بالمدافع
وتصنع في سوريا مثل ما صنعت في الجزائر أو أبشع ، فما راعها الا والجنرال
الانكليزي سبيرس يحاصر قواتهم ، ثم يوجه اليها انذارا بالكف عن ارتكاب
جريمتها او تضربها قواته .

فما وسعهم الا الكف ، وقد أصابهم من الخزي والذل والصغار شيء كثير ،
وسرعان ما عدلت فرنسا سياستها في الجزائر ، وخشيت أن يصيبها فيها
ما أصابها في سوريا ، وكانت بقايا جيوش الحلفاء ما تزال مرابطة بها ،
تشاهد فظائعها وتسمع آثام المذبذبين لهذا كفت عن فظائعها ، ثم أخذت تطلق
سراح المعتقلين وكان آخرهم محمد الششير الإبراهيمي الذي تأخر اطلاقه الى
شهر مارس 1946م .

الفصل الثامن : العودة الى متابعة العمل

19 - وبمجرد خروجه عاد الى العمل كانشط مناضل ، وكان عمله فى جميع الميادين العلمية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وقد أخذت المدارس تتسع وتثبت فى كل ميدان وهى محتاجة الى معلمين ومسيرين - وكان الابراهيمى رحمه الله يمتاز بحسن الادارة واستعمال الرجال ، ويعتمد على الانتقالات الكثيرة بسيارته لا يكل ولا يمل ، وأثناء هذه السنة عقد المؤتمر الاول فى عهده لاجتماع جمعية العلماء العام وحضر جلسته الاولى - فى قاعة سينما الماجستيك فى باب الوادى - نحو خمسة آلاف ، وعلا صوته فى الجموع مملوءا قوة وايمانا وعزما .

عقد هذا الاجتماع فى سبتمبر - 1946 م - ولم ينعقد منذ وفاة ابن باديس - فكان من أعظم مظاهر اليقظة القومية وعزة الاسلام ، وبكى الابراهيمى على الرئيس ابن باديس ، وعلى مبارك الميلى الذى لحق بربه فى 9 فبراير 1945 م وأعلن عن الفراغ العظيم الذى تركاه ، ولكنه أعلن متابعة السير على الخطة الدينية العربية القومية .

وفى السنة الموالية 1947 م حقق الابراهيمى واخوانه فكرة تأسيس معهد ثانوى بمدينة قسنطينة ، ليتم فيه دراستهم خريجو المدارس الابتدائية وحفاظ القرآن وأطلقوا عليه اسم (معهد عبد الحميد بن باديس) واسندت ادارته للعلامة الشهيد الشيخ العربى التبسى خريج الزيتونة والازهر ، وعينوا للتدريس فيه أكفأ العلماء ومنهم المشائخ : نعيم النعيمى ، وأحمد حسين ، وعبد المجيد حيرش ، وعباس بن الشيخ الحسين ، وأحمد حماني ، ومولود النجار . ثم لحق بهم عبد الرحمن شيبان والطاهر سعدى وعبد القادر الياجورى ، ومحمد الميلى ، وعبد الرحمن غمرانى ، وعبد اللطيف سلطانى ، والسعيد الزموشى ، ومعمار حنى ، وعمر جفرى ، وأحمد بن ذياب ، ومحمد العدوى ، ومحمد الحفناوى ، وعلى الساسى ، ومحمد الزاهى ومصطفى بوغابة ، وعبد العزيز قروف . الخ . وقد عاش المعهد من سنة 1947م الى سنة 1957م ، وكان بعد نشوب الثورة عام 1954م - معقلا من معاقلها ومركزا من أهم مراكزها حتى عام 1957م فاحتلته فرنسا وشردت

طلابه ونهبت مكتبته وجعلته مركزا للاستنطاق والتعذيب . وكان المعهد قد أصبح فرعاً من فروع الجامعة الزيتونية لتسهيل اتمام الدراسة بها - واعترفت بشهادته جامعات مصر ، وسوريا ، والعراق ، والكويت ، وقبل طلابه في جامعاتها ، وتخرج منهم أساتذة ، ودكاترة ، وكانوا في جيش التحرير أثناء الحرب من أحسن من يعول عليهم . فالحق أن معهد ابن باديس كان درة لامة وجوهرة ثمينة في تاج النهضة الجزائرية تولى ادارته عند تأسيسه الشيخ العربي ، وناب عنه في تسييره الشيخ محمد خير الدين ، وكان هو الذي يباشر الاعمال في السنوات الاخيرة ويتولى حل أغوص المشاكل بكفاءة وتدبير حكيم ، ويعينه في ذلك لجان منها اللجنة الادارية واللجنة العلمية ، واللجنة المالية ، وغيرهن وكان التآلف والانسجام التام بين العاملين فيه أحسن ما يميزه ، وقد تولى كتابته الاديب الممتاز الشيخ أحمد رضا حوحو حتى اغتاله الاستعمار وتولى شؤونه المالية والاقتصادية الاستاذ أحمد بوشمال ، وإذا اجتمع رأى وتدبير المشائخ محمد البشير الابراهيمى ، والعربى التبسى ، ومحمد خير الدين وأحمد بوشمال على أمر من الامور فاعلم أنه رأى السديد والتدبير المحكم . وقد كان المعهد ثورة حقيقية في حياة الجزائر قبل الثورة وأثناءها ، ثم من بعدها في عهد الاستقلال وبلغ طلبته القمة في الشؤون العلمية والحربية والسياسية والادارية ، فقادوا الجيوش ، وسيروا الوزارات ودرسوا في الجامعات ، وداووا المرضى وآسوا الجراحات وأشرفوا بكفاءة على الادارات . لقد انصهر (المعهد) بإدارته وأساتذته وطلابه انصهاراً كاملاً في الثورة ، وكذلك جميع ما ينتسب الى العلماء في الوطن ، وحتى خارج الوطن في فرنسا ، ولم يشذ أحد ولا حكم على أى منهم بالخيانة والتولى يوم الزحف واستشهد من أساتذة المعهد فقط : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد رضا حوحو ، ومحمد الزاهى ، ومحمد العدوى (10) وكان كثير منهم في السجون

(10) اختطف الشيخ العربى يوم 4 ابريل 1957 ولم يظهر له اثر : قتل ودفن سرا ، واعتقل أحمد بوشمال أثناء الاسبوع الثانى من سبتمبر 1958 - للمرة الثانية - ولم يظهر له أثر - بل قد عذب حتى مات ودفن سرا ، واعتقل حوحو يوم 30 مارس 1956 واغتيل قرب الهريه (قسنطينة) ودفن سرا استشهد الزاهى أثناء معركة حامية فى جبال الميلية فى أوائل عام 1960 وكان مسؤول العدل كجندى ، اما الشيخ محمد العدوى أحد العلماء الافذاذ تخرج من الجامعة الزيتونية بشهادة العالمية - اغتيل أواخر أوت 1957 ودفن سرا .

والمعتقلات أو فى المهاجر يؤدون الخدمات ويتولون المسؤوليات أو مع الجيش يشنون الغارات • ومن ادعى غير هذا فهو متقول يطالب بالبرهان والبيانات •

وأثناء هذه الفترة عادت الى الظهور سنة 1947 صحيفة الجمعية (البصائر) كلسان حال للجمعية ، وكان خليفة الرئيس ابن باديس يهتم - مثله - بالصحيفة ويتولى بنفسه أهم شؤونها ، فلما سافر الى الشرق - بقى يوافيها ببعض انتاجه ، وتولى أمرها بعض أبنائه واخوانه كالاستاذ حمزة (بوكوشة) والاستاذ عبد اللطيف سلطاني والاستاذ توفيق المدنى وغيرهم ، ثم أسست لها لجنة خاصة أثناء الاجتماع المنعقد فى سبتمبر 1953 م ، كما أسس لكل مشروع لجنة • هذا هو الحق ، أما ما يزعمه الاستاذ أحمد توفيق المدنى لنفسه (فى حياة كفاح) فالحق فيه الذى يعلمه أعضاء الجمعية أنه منذ بروز (البصائر) فى سلسلتها الثانية (1947) كان يكتب لها مقالا أسبوعيا موضوعه (السياسة العالمية) ويمضيه بكنيته (أبو محمد) وكان يقبض مرتبا سخيا يبلغ مقداره خمسين ألف فرنك - وهو مبلغ جسيم فى ذلك الحين، فمرتب استاذ بمعهد ابن باديس كان 12 ألفا ثم 20 ألفا ثم رفع الى 30 ولم يزد على هذا حتى أغلق المعهد عام 1957م • كما كان الاستاذ المدنى يترجم للبصائر - وخصوصا بعد انتخابه أمينا عاما للجمعية عام 1951م بعض المقالات الصادرة عن الجزائر فى الصحف الفرنسية ، ولما نشبت الثورة صار يتابع أحداثها ويترجم ما يصدر فى الصحف عنها ، على كل حال كان يقدم عملا مشكورا لا محالة ، أما تسيير أعمال الجمعية فكان للرئيس ، وكان الشيخ العربى رحمه الله يقوم به فى غيابه ، وكانت اللجان المختصة تقوم بعملها ، وشهد الشيخ التبسى رحمه الله أن تسيير جمعية العلماء بعد تأسيس هذه اللجان - أصبح من الهين اليسير على أى رئيس حتى الشيخ على أو الخيار - وكان عجوزا طيبا بلغ من العمر عتيا - • فلم يكن الشيخ توفيق قابضا على دفتى سفينة الجمعية بعد الابراهيمى لا بيد قوية حازمة ماهرة ، ولا بيد ضعيفة فاشلة خائرة ، بل كان يؤدى واجبه كفرد واحد من اخوانه •

الفصل التاسع

رحلات الى خارج الوطن ، وأعمال باهرة ، نداء الى الثورة ومواصلتها

فور نشوبها

20 - فى هذا الفصل الاخير عن الشيخ الابراهيمى نذكر انه قام برحلات خارج الوطن آخرها الرحلة الى الشرق التى بقى فيها من عام 1952م الى أن تحقق الاستقلال عام 1962م ، سافر الى باريس العاصمة الفرنسية أثناء السنوات 48 - 1950م غير مرة طلبا للعلاج ولقاء الرجال ، والقيام بالاعمال ، وكانت اجتماعات منظمات الامم المتحدة تقع فى باريس ، وهكذا تسنى له لقاء عظماء الرجال مثل محمد صلاح الدين وزير الخارجية فى حكومة الوفد المصرية، ووزير خارجية الباكستان . وقد لحقه - فى رحلة من رحلاته الشيخ العربى التبسى عام 1950م - لقيتهما معا فى هذه العاصمة اثر رجوعي من مؤتمر السلام العالمى الثانى المنعقد فى فرسوفيا عاصمة بولونيا أواخر 1950 . فى شهر ديسمبر ، وقدمت فى هذه الرحلات خدمات وطنية سياسية وثقافية . أهم هذه الانجازات أن رجال الاحزاب الوطنية - على مستوى المغرب - اجتمعوا تحت رئاسة الشيخ وحضر عن تونس من مثل الحزب الحر الدستورى بقسميه القديم والجديد ، وعن الجزائر من مثل حركة انتصار الحريات الديمقراطية والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى، وعن المغرب من مثل حزب الاستقلال ، وغيره . وتباحثوا فى مصالح الوطن ، ووضعوا خطة للعمل ، وهدنة كاملة بينهم ، ودامت هذه الحال حتى نشبت الثورة فى الاقطار الثلاثة فوجدت الهدنة قائمة ، بل ربما الحلف والصفاء كما كان الامر فى الجزائر ، فقد قامت (جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها فى أوت عام 1951م ، ولم يكن فيها تطاحن حزبي .

أما الناحية الثقافية فقد كانت عمّ الشيخ، ذلك أن جمعية العلماء اهتمت بحالة المغتربين منذ فتحت الابواب أمامهم عام 1936م ، فارسل ابن باديس الشيخ فضيلا الورتلانى ، فنظم لفائدة أمنهم على ديانتهم وخلقهم ولسانهم وقوميتهم - برنامجا للعمل ، واستدعى للعمل معه خيرة الرجال من كبار أعضاء الجمعية وعلمائها مثل الشيخ سعيد صالحى ، والشيخ محمد صالح

بن عتيق ، والشيخ محمد الزاهي ، والشيخ حمزة بوكوشة ، والشيخ الهادي السنوسي . والشيخ اسماعيل العربي ، والشيخ سعيد البيباني ٠٠٠ الخ . كل هؤلاء جندهم لغزوة جبارة كل عمل مدة . ثم رجع ولكن الحرب العالمية داهمت هذا المشروع فالتجأ الورتلاني الى الشرق مثل اسماعيل العربي ، ونام المشروع حتى نهاية الحرب ، فاستيقظ من جديد ، وارسل له رجال من الجزائر على رأسهم الكاتب الشاعر المسلم الشهيد الربيع بوشامة ، ومعه الشيخ سعيد البيباني وانظم اليهما الشيخ عبد الرحمن اليعلاوي ، وهو عالم جزائري تونسي كان من رجال حركة العمال بتونس ومن خريجي الزيتونة . فنفي الى الجزائر مدة ثم ذهب الى فرنسا واشتغل بها ، فانظم الى حركة جمعية العلماء ، بل انتخب عضوا في مجلس ادارتها . وقد قام هؤلاء العلماء باعمال في فرنسا عظيمة ثقافية وسياسية ، من ذلك ان الوزير التونسي والزعيم السياسي صالح بن يوسف كان في باريس عندما عزل من وزارته بعد نجاحه في تكوين الحركة الاولى لدول العالم الثالث - فاختفى عند رجال جمعية العلماء ثم عرّبوه من فرنسا الى خارجها فذهب الى الشرق .

وفي سنة 1952م شرع معهد ابن باديس في بناء دار عظمى للطلبة الثانويين فافتتح الحملة بنفسه وارسل المندوبين لجمع المال ، وقد اجتمعت بالابراهيمى في طريقى الى ولايات الغرب في اوائل 1952م قبيل رحلته الى الشرق ، ذلك انه وردت اليه دعوة لحضور المؤتمر الاسلامي الذي كان سينعقد بمدينة كراتشي عاصمة الباكستان فقررت الجمعية ارساله ليمثل الجزائر ويبلغ - في مؤتمر كبير للمسلمين - عواطف وآمال وآلام الشعب ، فسافر لاداء هذه المهمة في شهر مارس 1952م . وانهقد المؤتمر وأدى مهمته على أكمل الوجوه . . ولم يعد الا بعد الاستقلال .

وفي أكتوبر 1954م كانت الاستعدادات جارية بقسنطينة لارسال وفود من الطلبة عددهم أكثر من مائة وثلاثين - حينما نشبت الثورة فاوقفت السلطة الفرنسية التسهيلات ، ومنعت الخروج - فما عدا جماعة قليلة خرجت بحيل مختلفة - وكان قد سبقهم اخوان لهم في السنوات 51 - 52 - 1953م وزعوا على الكويت والعراق وسوريا ، ومصر ، منهم من أتم دراسته بهذه الاوطان ،

ومنهم من اتجه الى أوروبا وكلهم رجعوا بشهادات علمية فى الحقوق أو الآداب أو الطب أو الهندسة ومنهم من عاد الى وطنه ليخوض المعارك ضد العدو فى صفوف جيش التحرير ، فمنهم من اختاره الله للشهادة ، ومنهم من هو حى حتى اليوم - يحتل مكانا ساميا فى حكومة بلاده أو ادارتها أو جامعتها أو ثانوياتها .

ان الشيخ الابراهيمى - رحمه الله - كان قد اهتم بهم فى وطنهم ، فأسس لهم - مع اخوانه - المدارس الوطنية ، وها هو ذا يهتم بهم ليكملوا دراساتهم الثانوية والعالية ، فيحصل لهم على الاعتراف بشهادة المعهد كمرشح لذلك - وسبق - بهذا الاعتراف - من جامعات الشرق اعترافها بشهادات الزيتونة . كما يحصل لهم على منح سخية وكان يخاطب المسؤولين من مكان عال ويقول لهم : ان هذه المنح هى زكاة استقلالكم ، وشكرا لله على ما اولاكم .

وكما أودى الشيخ فى وطنه من عدو بلاده أو من منحرفى أمته أودى أثناء هذه الفترة من عشاق احتكار الزعامة ، أو من مناورات صبيانية من عاقين فقابل كل ذلك بما عرف عنه من شجاعة ورحابة صدر ، ورجاحة عقل .

21 - ولما نشبت الثورة - أول نوفمبر - بادر بتوجيه نداء الى أمته من اذاعة القاهرة يدعوها الى الجهاد المسلح ويبين لها أن واجبها أن تستमित فيه لان البقاء على الحالة الحاضرة موت ، فاذا لم يكن من الموت بد فليكن فى ساحة الشرف . وكان هذا النداء الصادر فى الاسبوع الثانى من نشوب الثورة فتوى شرعية بوجوب الجهاد فى صفوف جبهة جيش التحرير الوطنى ضد العدو المحتل ، والشيخ وحده - من القاهرة - هو الذى يمكنه أن يسمع منها صوت العلماء والدين ، ويتكلم باسمهم ، وكل اخوانه كانوا على رأيه ولم تكن لهم وسائل لتبليغ صوتهم وتعيمه فى الشعب ، وقد استجاب اخوانه وأبنائهم لهذا النداء ، ولم تسجل على واحد منهم الخيانة - والحمد لله - وكنا على اتصال به مستمر ، فسافر للقائه هنالك - قبيل الثورة أو أثناءها - المشائخ : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ثم حمزة بوكوشة ، وعباس بن الشيخ الحسين ، ليطلعوه على الحالة وليبصروه بالحقيقة وليعلم أن الثورة ثورة شعب لا ثورة شخص

- كما حاول بعضهم أن يغلط الناس - وقام العلماء - كافراده جنود -
بواجبهم ينفذون ما يؤمرون به فكان فيهم من اختارهم الله للشهادة ، ومنهم
من أودعوا السجون والمعتقلات ، ومنهم من خرجوا للعمل استجابة لدعاء
وتنفيذا لامر؛ فمن الشهداء : العربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد الزاهى
ومحمد العدوى ، وأحمد رضا حوحو - وقد تقدم ذكرهم - وعبد الكريم
بلعقون ، والربيع بوشامة ، ومحمد بلحباسى ، ومحمد شيروف ، وأحمد
شطة ، والبشير الريفى ، ومحمد عادل ، وأحمد قادرى ، ومخلوف ظريف ،
وكلهم ممن كان يتحمل المسؤولية العظمى فى تسيير الحركة الاصلاحية
ومنهم من قضى أغلب أيام الثورة فى جحيم المعتقلات والسجون - بعد اكتشاف
أعماله - مثل : محمد الشبوكى ، ومحمد صالح بن عتيق ، وعبد القادر
اليجورى ، والشيخ الطيب العلوى ، والشيخ مصباح ، وحمزة بوكوشة ،
وأحمد سحنون ، وأحمد حماني ، والصادق مخلوف ، وصالح نور ، والسعيد
الزموشى ، وعمر شكيرى ، والسعيد الزموشى ثم فر من السجن وهاجر ومات .
ومنهم من غادر الوطن فى مهمات الجبهة مباشرة أو بواسطة الجيش ،
مثل : الشيخ محمد خير الدين ، والشيخ ابراهيم مزهودى ، وأحمد توفيق
المدنى ، ومصطفى بوغابة ، وعبد الرحمن شيبان ، وباقى بوعلام ، وأحمد
حسين ، والظاهر سعدى ، وعباس بن الشيخ ، وعلى مرحوم ، والعربى
السعدوى ، والعيد سلطاني ، وعمر دردور ، والشيخ المطاعى ، ومزعاش
الطيب ، وصالح وشان ، وعبد الله ركيبي ، والشيخ أحمد بوروح ، يضاف
الى هؤلاء الاصناف كثير من المسؤولين استشهدوا فى الميدان أو بفعل الظلم
والظغيان .

فكما علا صوت الابراهيمى بالقاهرة يدعو الى العمل فى الثورة برهن
اخوانه وجنده بالامس بالقول والعمل على انخراطهم فى صفوفها وانضوائهم
تحت الوية قادتها المسؤولين عنها فى الداخل وفى الخارج . وقد ذابت
شخصيتهم الخاصة ولم يبق فى الميدان سوى شخصية الشعب يمثلها الجبهة
والجيش .

خاتمة ابراهيمي :

(يايتها النفس المطمئة ارجعي الى ربك)

22 - كان ابراهيمي رحمه الله يمثل - في الشرق - علماء الجزائر وأمة الجزائر المسلمة ، قد لفت اليه الانظار ، وكان بما يتمتع به من خصال في المستوى اللائق لهذا التمثيل . ثم ادركته الثورة بعد سنتين ونصف السنة من ارتحاله فبشر بها ، ودعا شعبه اليها . وجعلت - هذه الثورة - اسماع الناس تصيخ بالاهتمام الى كل قول يصدر من قادتها ، أو من زعماء هذا الشعب . العسكريين والسياسيين والروحانيين ، وقد وجد ابراهيمي - رحمه الله - بعد نشوبها مجال القول ذا سعة ، وان له لسانا قائلا .

وثناء وجوده بالقاهرة انتخب عضوا بالمجمع اللغوي بها ، وهو أعلى مجمع من نوعه في العالم الاسلامي ، ولا يقبل فيه الا كبار العلماء ، وعندما كان بالجزائر كان عضوا مراسلا له ، كما انتخب عضوا بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة يوم تأسيسها .

ولما تم ببيان الدولة الجزائرية من جديد ، وارتفع علمها بين الامم عام 1962م آن له ان يرجع الى وطنه فركب سيارة ، وقطع المسافة بين القاهرة والجزائر - وهي تربو على أربعة آلاف كلم - فيها ، ثم نزل بدار متواضعة في حي حيدرة . ولم يستطع ان يشارك في أحداث وطنه الكبرى الا انه خطب أول خطبة في جامع كشاوة بالعاصمة ، ثم في جامع حسن باي في قسنطينة - وكلاهما استرجعه المسلمون ، ونزعوا عنه ثوب المسخ . ولما أسست وزارة الاوقاف سمى في وظيفة شرفية . وعين له مرتب ضئيل ، سحب منه وشيكا لموقف لم يرض عنه ، ولكن الشعب وجيشه اختفظوا له بالرضى .

اثناء الاسبوع الثاني من شهر مايو 1965 اشتد به المرض ، ودخل في غيبوبة احتضار التي دامت معه الى ان لفظ انفاسه الاخيرة في يوم 19 مايو ، ورجعت النفس المطمئة الى ربها راضية مرضية ، وصلى عليه بالجامع الكبير ، ثم شيع الى مقره الاخير ، في مقبرة سيدي محمد ، وحضر جنازته مئات الالوف وذكرنا يومه بيوم دفن أمثاله كالامام أحمد بن حنبل بالامس البعيد ، ومثل ابن باديس بالامس القريب وعرف الناس مقدار سلطان العلم .

وابنه على قبره زميله ونائبه الشيخ محمد خير الدين، ورثاه صديقه الشاعر الكبير محمد العيد، لم يكن مرتفع السن كثيرا يوم توفى عن (76 عاما) فقد ولد فى شهر يونيو 1889 ببلدية رأس الوادى فى قبيلة (ريغة) من ولاية سطيف وبها حفظ القرآن الكريم وأخذ فى تعلم مبادئ العلوم الدينية واللسانية ، والعقلية حتى مهر فى كثير من فنونها وتفوق ، فسافر الى وادى الساحل ودخل بعض المعاهد هنالك . ثم هاجر الى الحجاز مع أهله قبل الحرب العالمية الاولى فاتم دراسته ونبع فى الكتابة والخطابة والتدريس ، وشارك أبناء عصره من الاصلاحيين بالتفكير والتدبير والعمل والكتابة ، ولما حج ابن باديس عام 1331 هـ (1913) لقيه وتعارفا لأول مرة . وتحادثا فى مستقبل الجزائر ، واتفقا على وجوب قيام نهضة قومية على أساس الدين واللغة والخلق المتين نهضة شاملة كاملة . وقد قدر لهما ان يتعاونا ، ثم يخلف الابراهيمى ابن باديس فى اتمام ما شرع الاول فيه .

وجاءت أحداث الحرب 14 - 1918 وكانت خيبة مرة لعالم الاسلام والمسلمين ، وسقطت دولة الخلافة ، وفقدت بعض الاوطان الاسلامية العربية ما كانت تملكه من (شبه) استقلال ، فلما انتهت الحرب عام 1918 كان الابراهيمى فى دمشق وحضر تنصيب الملك فيصل ابن الحسين على (مملكة) سوريا ، فجاء جنرال فرنسا المتعجرف (غورو) واسقط مملكة فيصل، وارتكب عدة حماقات . واثناء وجود الابراهيمى بدمشق كان يلقي محاضراته وأحاديثه ودروسه فى المعاهد العليا ، وكون طائفة كانوا من بعد من أعظم رجال الفكر والادب والسياسة ، منهم فارس الخورى الزعيم العربى الكبير .

وبعد ورود السلطة الفرنسية وسفوها ورجالها على سوريا لم يبق للشيخ الا الرجوع الى الجزائر ، فأخذ يتردد على عواصمها . كما ان بيته كان كعبة القصاد من العلماء والادباء والشعراء الجزائريين والتونسيين . وأثناء وجوده ببلدته رأس الوادى أسس مسجدا جامعاً تولى الخطابة بنفسه فيه ، لكنه وجد مضايقة شديدة من الاستعمار ، ولما زاره ابن باديس منع من القاء درسه فى المسجد ! كما أنه أسس تجارة لم تنجح ، فأنصرف الى التجارة التى تنجى من عذاب اليم فنجح .

فعندما تأسست جمعية العلماء - وكان من الداعين لها - أنتخب كنائب للرئيس ، وبقي كذلك حتى وفاة ابن باديس وهو في المنفى ، فانتخب خليفة له . وكان قد انتقل الى مدينة تلمسان وأحدث بها نهضة دينية قومية ، وأخذ ينتقل في أنحاء ولاية الغرب الجزائري التي كانت تمتد الى حدود ولاية الجزائر فعمت اليقظة وأقبل الناس يأخذون بأسباب النهضة العامة ، وكانت السلطة الفرنسية تراقبه بحذر وتربص ، وأغلقت مدرسة دار الحديث بعد انجازها عام 1937 ثم انتهزت فرصة الحرب العالمية الثانية فالقت عليه القبض في شهورها الاولى وبقي في الاعتقال أكثر من ثلاثة أعوام ، ثم أعيد الى السجن عام 1945 . في شهر ماي .

وكان رحمه الله سمحا كريما سخيا واسع الصدر ، باسم الثغر رفيقا بابنائيه واخوانه حادبا عليهم ، بحرا لا يجارى في العلم والادب ، حلو الفكاهة سريع البديهة سليم الطوية برا باخوانه وأبنائه يكرم محسنهم ، ويعفو عن مسيئتهم ، أبغض شيء اليه الاستعمار وأبنائؤه وقادته ودوله وعملاؤه ، ومن شاء أن يعرف صدق هذا فليدرس مقالاته في (عيون البصائر) عن فرنسا وعملائها داخل الجزائر وخارجها . رحمه الله برحمته الواسعة .

الفصل العاشر

الشيخ محمد خير الدين ثالث ثلاثة بعد الحرب الاخيرة

23 - من الغبن الشديد أن نضع القلم دون أن نخصص بعض السطور لهذه الشخصية الفذة التي ورد ذكرها كثيرا في هذه الخاتمة ، ولا يشفع لاغفال ذكرها أنه ما يزال على قيد الحياة . - متعه الله بها - فان من لم ينصف الاحياء لم ينصف الاموات ، ولقد سرني جدا أن رأيته يوم افتتاح المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير مدعوا من الامانة العامة للحزب كغيره من كبار رجال جبهة التحرير وجيش التحرير أيام الكفاح - فان هذا أقل تكريم يناله من خدموا الوطن خدمة صدق واخلاص ، تسمو عن كل الاعتبارات . ولد الشيخ محمد خير الدين بقرية (فرفار) احدى قرى واحة طولقة بالجنوب الغربي من مدينة بسكرة عروس الزيبان أوائل هذا القرن ، وعائلة خير الدين ذات مجد عريق ، كانوا - أثناء الحكم الحفصي ثم العثماني - أمراء في تلك

النواحي وسادة العرب الاقحاح ، من بنى هلال ورياح ، وخير الدين - جده -
أحد أولئك الامراء فى عصره . بذلك جاءت الاخبار الصحاح .

وبعد أن حفظ القرآن الكريم فى عائلته ارتحل فى طلب العلم ، فنزل
بمدينة قسنطينة وانخرط فى سلك طلبة عالمها الشيخ الطاهر بن زقوطة (11)
سنة 1917م ، وقد عرفت الشيخ الطاهر خطيب جامع (سيدى الكتانى أو
صالح باى) وكان عظيم التحصيل كفؤا فى مهنته ، يشتغل بتلقين الطلبة
الواردين مختلف الفنون الاسلامية والعلوم العربية .

ولم يمكث الشيخ محمد طويلا بقسنطينة ، فارتحل نحو جامع الزيتونة
وانخرط فى سلك طلبته النظاميين الى أن حصل على شهادة التطويع (العالمية)
ورجع الى قريته (فرفار) وانتسب للفادة والتدريس للعامّة والخاصة ،
وسمع منه كثير من أبناء الجهة ، وكانت الدعوة فى بدايتها ، والخصومة بين
الاصلاح والطرقية فى عنفوانها ، والعراك بين دعاة النهوض ودعاة الركود على
أشده ، وكانت (فرفار) منطقة عسكرية لا تتحمل مثل ذلك ، فانتقل
- بعائلته - الى مدينة بسكرة ، فكان فيها أحسن بالا . وقد عزز نزوله بها
الدعوة الاصلاحية التى كان صوت الشيخ الطيب العقبي يرتفع بها . وقد
أسس الاخوة خير الدين فى بسكرة تجارة يشرف عليها الشيخ بالراى والتدبير
واخوانه بالعمل والسعى والتنفيذ . فما كان لهم من ثروة ، فانما حصلوه من
كسب حلال وبطرق شرعية .

وفى سنة 1927 أسس الشيخ الطيب جريدة (الاصلاح) ولم يسمح لها
بالطباعة فى تونس ، ولم تستطع أن تطبع فى قسنطينة ، فأسس الشيخ خير
الدين جمعية لانشاء مطبعة تكون خير ضمان لطبع الاصلاح ، فكان عمل الشيخ
وفكرته كعمل ابن باديس وتفكيره . كلاهما عمل لانشاء طباعة وطنية .

(11) أحد فقهاء مدينة قسنطينة ووعاظها ولد سنة 1875 م ، أخذ عن الشيخ
حمدان الويسى واجازه ، توفى فى 10 محرم 1368 هـ ، الموافق لـ 11 نوفمبر
1948 م . رحمه الله ، وكان مقتدرا ينشئ خطبة الجمعة كل أسبوع بقلمه .
ويجتمع الطلبة لسماع دروسه فى العربية والدين .

(صححه : م . ع . بستانجى)



الشيخ محمد خير الدين

وقد عمل كثيرا - كاخوانه العلماء - لتأسيس جمعية العلماء وتحقيق فكرتها، وقد حدثني أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يحضر جلساتها الاولى بتدبير من الجماعة وبتواطؤ منهم مع الشيخ ابن باديس نفسه، لان أعوان الحكومة ، وعملاءها ، (واخوان) العليوية وكثيرا من مشائخ الطرق كانوا يأخذون حذرهم ، لو برز ابن باديس من أول وهلة . فأما اذا تحقق وجود الجمعية ، وانتخب على رأسها فلن يضير انزعاجهم ولا مكائدهم . وقد نال الشيخ خير الدين حظّه من المحنة ، فاعتقل مرارا ، ووضع تحت الإقامة الجبرية . وبعث به الى المنفى - أظن أنه نفى لأول مرة عام 1934م - ودبرت مكيدة لتجنيدّه في الجندية الفرنسية - مكرًا به - فتخلص من الورطة بتدبير حكيم من تدابيرهِ ، كما أعتقل عام 1944م أواخر الحرب ، ونفى الى مجانة . فلما نشبت حوادث 8 ماي 1945م، كان من جملة من سيقوا الى السجن بقصد محاكمتهم أو اعدامهم، فلما افتضحت فرنسا في (سوريا) اطلق سراحهم ، وسيق الشيخ محمد خير الدين الى الإقامة الجبرية ، حتى انتهت الازمة .

24 - منذ عهد الشيخ ابن باديس كان الشيخ خير الدين من اقطاب الدعوة الاسلامية والنهضة الوطنية ، وكان له أثر كبير في مدينة بسكرة ، وعلى المستوى الوطنى، ففي بسكرة كان مؤسسًا ومديرا لمدرسة (الاخاء) - ومن تلاميذها النبغاء الشيخ محمد الغسيروى (12) سفير الجزائر السابق بالملكة العربية السعودية ثم بالكويت رحمه الله - كما كان له الفضل الاكبر في تأسيس مدرسة التربية ، والتعليم بها من بعد ، وهى من أهم مدارس القطر ومن تلاميذها الشهيد العربى بن مهيدى .

اما بعد وفاة ابن باديس فقد ثقلت مسؤوليته فاضطلع بها على أحسن ما يرام ، كان الشيخ مبارك مريضا يكاد يقعه المرض ، وكان الشيخ البشير

(12) الشيخ محمد يكن الغسيروى أحد نبغاء طلبة ابن باديس من أبناء أوراس وأحد مؤسسى المدرسة العربية الحديثة فى الجزائر ، وأول من باشر التفتيش العام للتعليم وأحد مؤسسى لجنة التعليم العليا هاجر أثناء الثورة عام 1956 فى مهمة ثم كان سفير الجمهورية فى دمشق ثم فى السعودية ثم فى الكويت وحيثما كان يكون له الصدارة بين السفراء العرب .

ولد بغسيرة من الاوراس عام 1919 وتوفى فى 29 جويلية 1974 .

مسجوناً (معتقلاً) وكان الشيخ العربي التبسي تحت الرقابة المشتدة . لكن اثنين من الرجال منحهما الله من الذكاء ، والمرونة ، والدهاء . والايمان ، والصبر ما يجعلهما أصلح الناس للعمل فى مثل تلك الاحوال ، هذان الرجلان هما : محمد خير الدين وأحمد بوشمال ، وكانا على صفاء ومودة واخلاص ، فاليهما يرجع أكبر الفضل فى المحافظة على الجمعية وهيكلها والخروج بها الى شاطئ الامان .

24 - ثم كان للشيخ محمد خير الدين نشاط مستمر ومشاركة فى كل أعمال الجمعية ومشاريعها الكبرى مثل تأسيس معهد ابن باديس عام 1947 م - وتأسيس دار الطلبة عام 52 - 1953 م . وكان - وتلك خاصية فيه - يخوض الاحداث السياسية الوطنية بكل شجاعة وبدون مؤاربة على المستوى المحلى وعلى المستوى الوطنى ، فكان له رأى فى المجلس البلدى وفى المجلس العمالى ، والمجلس المالى يحاد به قوائم الادارة الفرنسية ويقاومها فى تناسق تام وتفاهم كامل مع الدكتور سعدان احد أقطاب السياسة الوطنيين ، وكان أقرب ساسة زمانه الى القومية الجزائرية العربية الاسلامية بتكوين حسن ، وتأثير من الشيخ خير الدين ، كما كان له رأى فى حركة (البيان) التى أدت الى تألف جميع الهيئات الوطنية فى حزب وحيد هو (أحباب البيان والحريّة) وكان اركانها : من الحزب الوطنى : حزب الشعب، والعلماء ، ووحدة النواب والمستقلين ، وانسجم الشعب كله فى حزب موحد 44 - 45 وحضر المؤتمر الكبير فى ربيع (مارس) سنة 1945 م ، فلما ضربت فرنسا ضربتها فى حوادث 1945 م ، اعتقل وسيق مكبلا الى السجون ثم الى النفى كما تقدم . كانت اقامة الشيخ محمد خير الدين كاخوانه فى بسكرة ، ولكنه كثير التردد على قسنطينة والجزائر .

ثم كان الشيخ احد المؤسسين الاساسيين (لجبهة الدفاع عن الحرية واحترامها) عام 1951 م ، وهى مؤسسة تجمع بين (حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وجمعية العلماء، والاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى - والحزب الشيوعى الجزائرى) ومهمة هذه الجبهة مقاومة الارهاب والضغط الذى سلطته الحكومة الفرنسية ضد مناضلى الحزب الوطنى بعد أن كشفت (مؤامرة 1951م) كما سميتها الجرائد، وكان الهدف الواضح هو القضاء على الحركة

الوطنية ، وعلى الاستعدادات الجارية للثورة التي علمت الادارة الفرنسية بها ولكنها لم تعرف كنهها ، فهذه الجبهة كانت قسوة عظمى لكشف الارهاب ، والتخفيف عن المضطهدين ، واسدال الستار الكثيف على الاستعدادات الصحيحة للثورة ، وقد استمر نشاط هذه الجبهة الى نشوب الثورة ، ولما كنت رئيس فرع قسنطينة منها فاني لما أعتقلت عام 1957 م وجدت عند الشرطة - أثناء العذاب والاستنطاق - بعض منشوراتها مما زاد في ثقل الملف - فلما جاءت الثورة نسخت جبهة التحرير كل الاحزاب والجبهات - وانتقلت الجزائر من الدفاع الى الهجوم .

25 - بقى الشيخ محمد خير الدين يدير المعهد بالنيابة عن الشيخ العربي الذى أنتقل الى الجزائر لينصرف على أعمال الجمعية ويدير شؤونها بعد ارتحال الرئيس الى الشرق مارس 1952 وبرهن عن كفاءة ومهارة وبراعة، ولم يكن يدير المعهد وحده، ولكن يقوم باعباء جسام على المستوى المحلى والوطنى ويعحسن استخدام الرجال وتكوينهم ، وغرس الثقة بهم وفيهم ، فكانت اللجان تقوم بالاعمال ، والطلبة يشعرون بسلطة حازمة دون ارهاق ولا ضغط . ومنذ نشوب الثورة ، كان يعلم أن كثيرا من العاملين معه ومن طلبة المعهد فدائيون ، فيتغافل عنهم أو يشعرهم بالرضاء عنهم دون أن يكشف عواطفه واتصالاته الشخصية ، ومن الذين كانوا على صلة متينة به الشيخ صالح بوذراع الاستاذ بمدرسة التربية والتعليم(13)، واحد رؤساء الحركة الفدائية فى ناحية قسنطينة بالولاية الثانية ، وقد انكشف أمره فى خريف 1955 م وصعد الى الجبل ، وفى تلك الظروف الشديدة لا يمكن أن يكشف كل واحد اتصالاته وأعماله . فلما جاءت أحداث 20 أوت 1955 وكشفت عن اتجاهات خاطئة وأحكام غير صحيحة - منها اعدام الصيدلى عباس علاوة رحمه الله، وهو من خيرة الوطنيين

(13) أحد مناضلى الحركة الوطنية والمشاركين فى التحضير للثورة سنة 1945 اختفى مدة ثم استقر بمدينة قسنطينة وباشر التعليم بمدرسة التربية وتولى الفداء مع الخلية الاولى بها أثناء 1955 ثم انكشف أمره فتجند والتحق بالجبل وتولى - مع الشهيد مسعود بوجريو مسؤولية الفدائيين فى منطقة الشمال القسنطينى حتى استشهدا بقرب الميلية أثناء معركة عام 1960 ويوجد قبره على قرب من الميلية فى مقبرة الشهداء .

المخلصين - عندئذ اتصل الشيخ محمد خير الدين بالشهيد العظيم عبان رمضان رأسا - فى العاصمة - وتفاوض معه فى الامر وكشف له كثيرا مما كان غافلا عنه ، وحمد الله عبان على هذا الاتصال الذى تبين فيه ، وصحح وجهة نظره ، وتمت الاتصالات بين الرجلين من خريف 1955 م حتى ربيع 1956 م . وفيه تقرر ارسال الشيخ كمندوب الى المغرب الاقصى من الجبهة ، فاستقر بالمغرب ممثلا للجبهة متكلما باسمها . وكان له عند السلطان محمد الخامس رحمه الله مكانة سامية لانه - أثناء تالب الاعداء على السلطان ومحاولة خلعه أصدرت جمعية العلماء فتوى أن السلطان تتوفر فيه جميع الشروط التى تشترط فيمن يتولى الامر عند جميع مذاهب المسلمين ، كالقرشية عند أهل السنة - والعلوية عند الشيعة ، والعدل عند الخوارج . ونشرت الفتوى فى جريدة البصائر باسم الشيخ محمد خير الدين ، فكانت هذه يد له عند السلطان رحمه الله . لهذا كان تعيين الشيخ للعمل بالمغرب تصرفا سديدا ، وبقي فى منصبه ذلك حتى بدت طلائع الاستقلال . ثم عاد الى المغرب موقدا من الدولة فى بعض المهام فادى أجل الخدمات . نذكر هذا للتاريخ لتصحيح بعض الاحكام والنظريات من وطنيين محترمين ، ودفعنا لتخرصات بعض التافهين .

26 - بعد الاستقلال عاد الشيخ الى وطنه وشارك فى الاعمال ، ورشح الى أول مجلس تأسيسى لوضع الدستور الاول للجمهورية ، فادى واجبه بكل كفاءة واخلاص .

ثم مال الى العزلة فى منزله معتنيا بالقراءة والتأمل واقتناء الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة ، وقد تمكن من انشاء مكتبة عظيمة يعتز بها ويعمل لانماها ، وكثيرا ما يستقبل فى داره اخوانه القداماء - وهم كثير - من علماء وسياسيين ومناضلين وتجار ومحترفين يحمل له الجميع الاحترام والتقدير والثقة ويجدون فى حضرته الانس والذكريات العطرة .

ان الشيخ محمد خير الدين يتوفر على اخلاق ممتازة أعظمها الذكاء والالمية وصدق الفراسة والدهاء والتواضع .

وانه ليزكرنا بمن اشتهر من العرب بالدهاء وحسن التدبير والتخلص من أشد المآزق وأخرج المواقف مع الايمان بالله وحسن الوفاء .

فكم من موقف عسير يسره ، وكم من موقف حرج كشف غمته ، وكم من شرك نصب لاصطياده فاحتمال لعدم الوقوع فيه ، وربما أوقع فيه من نصبه له وكأيد به « ولا يحق المكر السيء إلا بأهله » . ورغم علو سنه - نسبيا - فانه ما يزال على نشاطه يقود السيارة بنفسه ، ويطالع ، ويكتب ، ويتحدث ، وذاكرته سليمة تسعفه بذكر أدق التفاصيل عما وقع منذ عشرات السنين .
حفظه الله ورعاه واطال في الصالحات عمره .

الفصل الحادى عشر . - أحمد حماني

فى هذا الفصل الاخير من الخاتمة ومن الكتاب رأينا ان نقدم للقراء كلمة عن مؤلفه جزاء صبر من صبر على متابعة قراءته حتى النهاية . او عقوبة له ان لم يرض عنه !

27 - ينتمى أحمد حماني الى عائلة معروفة بالشمال القسنطينى فى دائرة البلدية بلدية العنصر ، وجدها - محمد حماني - كان من رجال ادارة آل (ابن عز الدين) الذين كانوا يحكمون تلك الجهة أواخر الحكم العثمانى ، ولم يكن يخلو من فتن فذهب ضحية بعضها ، وترك من الابناء ثلاثة رجال : ابراهم ، وعلي ، ومسعود ، وشارك جدنا مسعود فى مقاومة الاحتلال الفرنسى وقد رأيت بعض أنواع السلاح التى استعملها ، وكانت فى ارث عمى رابح والد الشيخ الصادق حماني . وقد اشتهر عنه أنه من أباة الضيم - ضرب قائدا ظلمه - وكان عصاميا ، حفظ جزءا كبيرا من القرآن وهو كبير ، وحرص على وجود كتاب له يتعلم فيه الصغار .

وطيلة الحكم الفرنسى لم يسجل التاريخ - والحمد لله - أن واحدا من أبناء العائلة تعاون - بالعمل فى وظيفة بسيطة أو خطيرة - مع الفرنسيين، ولم يكن ذلك عن خمول ، بل كانوا يرون ذلك من الرجس ، وقد اطلعت على تقرير سرى كتبه مسؤول فرنسى يتكلم عن مدرسة البلدية فى عهد ادارة الشيخ الصادق حماني - عام 1945 - 1946 أو عهد ادارة الشيخ عمر حماني - فى مطلع الثورة - فقال عنه (انه من عائلة مشبوهة) وهذا نيشان افتخار والحمد لله .



الشيخ أحمد حماني

فى الاسبوع الاخير - 26 من شهر شوال - 1333 هـ ، والاول من سبتمبر - 6 منه - سنة 1915 م ، ولد الصبى أحمد بن محمد بن مسعود بن محمد حماني بدوار تمنجر بلدية العنصر دائرة الميلية ، وكان يوم الاثنين كما علمت ، والشهران معلومان لنا أيضا ، والسنة كذلك، وبالرجوع الى الاستاذ غزلون مدير المرصد الفلكى ، تبين أنه يوافق ما ذكر ، لان يوم الاثنين ذاك هو الجامع بين الشهرين القمري والميلادى . ولما أردنا التوجه الى تونس سنة 1934 وجدنا انفسنا (منسيين) فغير الوالد - رحمه الله - تاريخ الميلاد الى عام 1920 م لتكمل دراستنا قبل ان تدرکنا العسكرية والتجنيد الفرنسى - وقد ولد الشيخ الصادق من بعدى بتسعة أشهر فميلاده فى جوان 1916 ، ووفاته فى 6 مارس 1983 م رحمه الله .

28 - دخلنا كتاب قریتنا فى نحو الخامسة من عمرى فبدأنا بالقرآن . وعلى والدى الشيخ محمد حماني أخذنا المبادئ، الاولى فى الفقه والتوحيد - وكان من طلبة الشيخ صالح بن مهنا الازهرى (14) بقسنطينة ومن فقهاء الجهة - ثم انتقلنا - و (نا) هنا ليست للتعظيم ولكنى أتکلم عنى وعن أخى وشقيق نفسى الشيخ الصادق حماني - انتقلنا الى مدينة قسنطينة مع أخى الشيخ محمود حماني تلميذ ابن باديس رحمهما الله فتولى بنفسه تعليمنا القرآن أولا فى كتاب (سیدی محمد النجار) ثم فى (زاوية مولای الطيب) فى حى (سیدی بوعنابة) . وفى مدة قليلة أتقنا حفظ القرآن عنده ، وكنا أثناء طلب القرآن نحضر دروس العلم كمستمعين ، وأقرب معاهده الينا (زاوية عيساوة) فى (سیدی بوعنابة) حيث يلقى الدروس الشيخ أحمد مرازقة (الحبيباتنى) - وكان صديق الوالد أثناء الدراسة - فلما سألته لماذا نذهب الى درس ابن باديس أجابنى بقوله (وفوق كل ذى علم عليم) ولم يزد ففهمت . وكان سؤالى بسبب انه لما زار قسنطينة اختار ان يحضر درس ابن باديس واخذنى معه .

(14) كان من أكبر علماء عصره ، رجع من الازهر بفكرة الاصلاح التى بثها محمد عبده وأيد السنة وحارب البدعة وتعرض للاضطهاد . ولد بمدينة قسنطينة سنة 1854 م ، وتوفى فى 11 أفريل 1910 بنفس المدينة وشيع جثمانه جم غفير من سكانها ودفن فى المقبرة المركزية . وله عدة تأليف ، هاجمه الشيخ عاشور وغيره .

أثناء هذه السنة جاء شهر رمضان ، وتساءلت ، هل أصوم أو لا أصوم ؟ ولم أكن - بعد قد شعرت بعلامات البلوغ - فقلت لنفسي : أذهب لاستشارة الشيخ ابن باديس لازالة الشك وذهبت اليه في (سيدي قموش) فما أحسن ما استقبلني ! وسألني عن كل شيء عن اسمي وعمري وعائلي وبلدي وقراءتي - وقال لي : متى تأتي عندنا لقراءة العلم ؟ ثم سألني عن المقصود من الزيارة فلما علم موضوعها قال : (لما كنت تحفظ القرآن فأنت رجل ، فصم) وخرجت من لقائه لا تسعني الدنيا وبشرت أخي ووالدي رحمهما الله بما قال فوافقا ولم يقل سرورهما عن سروري .

وفي أول السنة الدراسية 1931 كنا ضمن طلبة (الجامع الاخضر وسيدي قموش) وفي هذه السنة تأسست جمعية العلماء وتضاعف عدد الطلبة ، وكان مع الشيخ في التدريس الشيخ سعيد الزموشي ، والشيخ الشريف الصائغي (15) وعن الاول أخذنا النحو والصرف والفقه والتوحيد، وعلى الثاني قرأنا الحساب والجغرافية والتاريخ . الخ . وكانت سنة عامرة . وفي السنة الثانية غادرنا الشيخ السعيد الى معسكر ، وأقبل علينا الشيخ عبد العلي الاخضرى وهو عالم محصل رحمهم الله . ولا أغفل اننا في هذه الحقبة قد انتفعنا أيضا بدروسي الشيخ الاخضر الفيلاي الخنقي ، والشيخ الفضيل الورتلاني . والشيخ محمد ميهوبى من كبار الطلاب . والشيخ محمد الملياني الذي كان لنا نعم المربي والمرشد ، وقد صحبنا - من بعد - الى تونس ومكث معنا حتى عام 1937 فاستفدنا من صحبته كثيرا . وأثناء هذه الفترة التي دامت من 1931 حتى سبتمبر 1934 كان الوطن تجرى فيه أحداث جسام منها المعارك الحاسمة مع المخرفين في الدين، ومع رجال (جمعية علماء السنة) العلماء ومع الادارة الفرنسية . ففي 1934 حضرنا لأول مرة مظاهرة شعبية كبرى وعلى رأسها ابن باديس والدكتور ابن جلول ، وكانت ضد اغلاق المساجد في وجوه العلماء . ورأينا في هذه الفترة من الصحف : الشهاب ، والسنة ، والشرعية ،

(15) كلاهما من عائلة الصياغ الشهيرة بعين البيضاء ومسكيانة وكان الشيخ سعيد - بالخصوص - من كبار رجال جمعية العلماء الوطنيين سجن عام 1956 ثم « هرب » من السجن ، وهاجر الى المغرب بطريق الجيش وتوفى بوجدة رحمه الله .

والصراط السوى ، والاخلاص لسان حال (جمعية علماء السنة) والمعيار
« جريدة سفيهة تشتم اعراض العلماء وأسكتتها جريدة الجحيم » ، وقرأنا
المقالات والردود والنقوض ، ودخلنا ادارة الشهاب ومطبعتها ، كل هذا ترك
اثره الواضح فى تكويننا - وفى سنة 1934 وقعت أحداث 5 أوت بمدينة
قسنطينة ورأينا ثورة الشعب حقيقة ، وحضرناها وذل بعدنا اليهود .

29 - بعد موافقة أوليائنا وأخذ الاذن من أساتذتنا، توجهنا - أنا والشيخ
الصادق - الى تونس يوم 26 سبتمبر 1934 ، وشرعنا فى الدراسة بالجامع
الاعظم فى أكتوبر ، ولم نستطع التقيد بالنظام فكنا أحرارا فى اختيار
الدروس والمشائخ حتى نهاية السنة ، وكانت دراستنا غنية مفيدة ولم تقتصر
على الجامع بل شملت دروس الرياضيات ، والفرنسية فى (الخلدونية) ،
وقد تابع الاخ الشيخ الصادق دروس الفرنسية بانتظام - فيما بعد - حتى
بلغ فيها حد الاتقان فهما ومحادثة وقراءة - ولم استطع أن أفعل فعله .
بل قصرت عنه حتى جبرت بعض النقص أثناء السجن 1957 - 1962 م .

وكانت سنة 1936 م سنة جد واجتهاد وتحضير للحصول على الاهلية
وحضر ميعاد الامتحان ، فحصلنا - كلانا - عليها بتفوق ، ثم تابعنا الدراسة
(36 - 1937) فاعلن الاضراب ودام حتى نهاية السنة فحضرناها ، ثم استمرت
دراستنا وسط العواصف والزعازع السياسية المحلية والعالمية حتى بلغنا
سنة التحصيل وهى سنة 39 - 40 فاعلنت الحرب فى 3 سبتمبر 1939 واغلقت
الحدود ، وحاولنا اختراقها فلم نستطع ، واتصل الشيخ الصادق بالسيد
فرحات عباس النائب المالى والعمالى ليحصل له على جواز فوجد الابواب مغلقة
فقال له : ما هو ذنبى ؟ فقال النائب : ألا تعرف ذنبك عندهم ؟ انه أعظم
الذنوب ! انك ذاهب للعلم بالعربية ! ومع ذلك فقد احتلنا فذهب قبلى لوفاة
والدى فى 2 نوفمبر 1939 ثم التحقت بطريق السرية .

ودامت الدراسة الى مايو 1940 ، فكان الهجوم الالماني فى 5 منه، وفتك بدولة
فرنسا فى أسابيع، ثم دخلت الحرب ايطاليا ضد فرنسا فى 10 جوان فتعطلت
تماما، وكنا على أبواب الامتحان، وغادر الشيخ الصادق تونس (نهائيا) أو يوليو،
وبقيت فيها حتى استؤنفت الدراسة فى أكتوبر 1940 ، واجرى الامتحان

الذى اعلنت نتائجه فى 3 ديسمبر 1940 ، وكنت من الفائزين بتفوق ،
وسجلت اسمى فى طلبة التعليم العالى .

31 - استطعت ان أحصل على مساعدة مادية من جمعية التربية والتعليم
لاكمال الدراسة بواسطة ثلاثة من الاخوة الكرام ، وهم الشيخ عبد الحفيظ
الجنان، والشيخ أحمد بوشمال والحاج محمد دمق رحمهم الله(16)، وكان الشيخ
ابن باديس قد سعى ليرسلنى فى بعثة الى مصر مع أول بعثة قررهما ، كما
ينص على ذلك قانون جمعية التربية - فحالت ظروف الحرب دون التنفيذ
فطلبت من هؤلاء الاعضاء هذه المساعدة فوافقوا ، وهكذا سجلت فى القسم
الشرعى ، وتابعت فيه دراستى ، ولم أكن اتغيب عن دروس القسم الادبى
وخصوصا دراسة كتاب (معنى اللبيب) لابن هشام على العلامة المرحوم
الشيخ الهادى بن القاضى ، وكان علامة زمانه فى العربية والفقه الحنفى ،
وكانت المساعدة المادية بسيطة (بدأت بربع ألف ثم بألف فرنك فى الشهر لم
تزد عنها حتى النهاية) .

ومن شيوخنا أثناء الفترة الاولى المشايخ : حمادى بن الامين ومحمد الشاذلى
النيفر والطاهر القصار ، وعبد السلام التونسى ، والطاهر بن عبد السلام
والمختار بن محمود ، والحطاب بوشناق وأحمد ابن ميلاد ، ومحمد عباس ،
ومعاوية التميمى وعبد العزيز بن الامين ، والطيب التليلي ، وعلى النيفر ومحمد
الشاذلى بن القاضى والحاج أحمد العيارى ومحمد النابلى ، ومصطفى بن جعفر
... الخ .

وفى الدراسات العليا كان من اساتذتنا المشايخ : الفاضل بن عاشور ،
ومحمد صالح بن مراد ، والبشير النيفر ، ومحمد العنابى ، ومحمد الزعوانى
وبلحسن النجار ، والعربى الماجرى والهادى بلقاضى ، وفى دروس الخلدونية
كان من اساتذتنا صالح رضا الاحمر ، وابن شعبان وغيرهما، وفى العطارين
على العلامة الاديب الشيخ العربى الكبادى كما استمعنا الى

(16) لهؤلاء الثلاثة مع الحاج حموش كرماني ، والسيد عمرو بن جيكو يعود
الفضل الاكبر فى حفظ كيان الحركة سليمة فى معقلها بقسنطينة أثناء تلك
الظروف الحالكة حتى انفرجت الازمة .

محاضرات من الدكتور أحمد بن ميلاد ، والدكتور السقا وقد استفدنا كثيرا من الحياة فى الوسط التونسى الراقى ولازمنا المطالعة فى المكتبات المتعددة .
العبدلية والخلدونية والصادقية .

وفى مطلع السنة الثالثة - نوفمبر 1942 - نزلت جيوش الحلفاء بالجزائر وهمت بالزحف على تونس ، وكان الجيش الثامن الانكليزى يقترب من حدودها فسابقه الى تونس جيش المانى طليانى ، واحتل القسم الشمالى منها ، وتعطلت الدراسة - من جديد فيها - ودام هذا الكابوس مخيما علينا حتى ربيع سنة 1943 ، (فاحتلت تونس فى الاسبوع الثانى من ماي وفى أشهر قليلة تمت الاستعدادات لاجراء الامتحانات فى شهر يوليو 1943 فنلت شهادة العالمية فى القسم الشرعى بتفوق .

32 - كنت - وأنا فى تونس - على تمام الاتصال بمدرستى الاولى : مع الشيخ ابن باديس نفسه فى حياته . ومع اعوانه وبالخصوص أحمد بوشمال ، وعند الحفيظ الجنان ، وعملت كمندوب للشهاب ، ثم البصائر متجولا - مع المشائخ محمد الملىانى ، وعلى مرحوم ومحمد صالح رمضان وأحمد ابن ذياب وبلقاسم بن رواق بدأت سنة 1937 وتلقينا توجيهات سامية من أستاذنا ابن باديس ، وكانت رحلتى موفقة الى شمال قسنطينة ، وفى ظروف وطنية عسيرة ، القى فيها القبض على زعيم حزب الشعب وبعض رجاله فى أوت 1937 فكان علينا ان نبشر ولا ننفر ونطمئن الناس ولا ندع الياس يتطرق اليهم . وتتابعت الجولات وكان الاتصال بالميلى رحمه الله عام 1938 فأخذت عنه دروسا فى العلم والسلوك والعمل لا أنساها ، وانتهت الرحلة الاخيرة بولاية الجزائر ، وجاءت الحرب فى سبتمبر 1939 .

ووصلت الى قسنطينة وقد أعلنت فرنسا الحرب على المانيا - وفى بعض هذه الجولات كتبت فى البصائر سلسلة من المقالات تحت عنوان (حديث المنجول) كما كتبت فى الشهاب عن (الشباب المسلم) ، وكان ذلك أول ما نشر لى ، وكنت ألقى بعض المحاضرات فى النوادى أو فى المساجد . وقمت بنشاط اثناء وجودى بتونس لفائدة الحركة الاصلاحية والوطنية . ومن ذلك أن (جمعية الطلبة الجزائريين) كانت قد أسست ، ثم فترت عممتها بعد

قليل ، فاحييناها من جديد وانتخب لرئاستها الاستاذ الشاذلي المكي ،
ولامانتها العامة أحمد حماني ، وقد دامت هذه الجمعية بعدنا وقدمت خدمات
جليلة للجزائر ، وفي عهد رئاسة الشيخ شيبان استطاع ان يفاوض شيخ
الجامعة الزيتونية ، ويحصل منه على اعتراف رسمي بالمعهد كفرع لجامع
الزيتونة ، وتلك خطوة عملية في سبيل توحيد المغرب العربي ثقافيا . وكانت
لنا جولات وصولات في الصحافة والسياسة يقتضيها عهد الشباب ، وكتبنا
- أنا والشيخ الصادق - مقالات سياسية واجتماعية في بعض الجرائد التونسية
عن الحالة في الجزائر . كان لها صدى كبير وسمعت الثناء من أجلها من الشيخ
ابن باديس نفسه ، ومن الشيخ محمد بن العابد ومن الشيخ مبارك رحمهم الله ،
سجل ذلك في البصائر .

33 - تم التحصيل على شهادة العالمية في ظروف حالكة السواد بعد عودة
فرنسا من جديد الى تونس في ظل الحلفاء واعلان عزمها على (معاقبة) كل من
قسام بنشاط وطني أثناء غيابها ، ووجدت نفسي ممن يشملهم هذا التهديد
الذي أعلنه - بكل وقاحة - الجنرال جوان في نداء عنوانه بالعربية (أيها
سكان تونس!) (كذا) ، وكنت أثناء غياب (فرنسا) قد شاركت في تحرير واخراج
جريدة (افريقيا الفتاة) وكانت لسان حال الحزب الحر التونسي انذاك
بجانب الشهيد الحبيب ثامر واخوانه ، وبجانب الاخ مبروك عبد الصمد أحد
رجال الحزب . كما عملت بجانب أستاذي الشيخ العلامة محمد الشاذلي النيفر
والشيخ صالح النيفر، والمرحوم الهادي مجدوب، وهو شاب جزائري نشيط ،
واتصلنا بالقيادة الالمانية لتخفيف بعض ما كان يلقاه الشعب، وللقيام بمساع
لاطلاق سراح المعتقلين ، وقلنا لهم : (ان الشعب كان يعرف أن الزعيم
الحبيب بورقيبة ورفاقه قد اعتقلتهم فرنسا ونقلتهم الى سجونها منذ عام
1939 ، وقد غلبتم فرنسا فلم تتدخلوا للافراج عنهم ، وهأنتم اليوم تحتلون
مرسيليا وجنوب فرنسا حيث هم ، كما تحتلون تونس وطنهم فلا عذر لكم اذا
هم بقوا مسجونين) وبسرعة تم الافراج عنهم ، فأعلن براديو برلين في مساء
الغد اطلاق سراحهم ، ثم جرى بهم على طريق رومة وطلب من الزعيم الحبيب
القاء تصريح من راديو رومة ، فالقى كلمة لا تلزمه ولا شعبه بشيء ، ودل بها
على براعة عظمى ، وحنكة سياسية ، ثم نزل بتونس فاحتفى به الشعب أعظم
احتفاء ، وخصصت الجريدة (افريقيا الفتاة) أعمدة كثيرة له .

وفى نفس الوقت حاولنا - معشر الجزائريين - أن نجس النبض ونعرف مقاصد الالمان نحونا فأسسنا منظمة وطنية أطلقنا عليها (الحزب القومى الجزائرى) ووضعنا له قانونا أساسيا اعلنا انه حزب غايته الوصول الى تحرير الجزائر واتشاء دولة وطنية فيه ، وعرف بذلك الالمان فأملوا أن يسخروا شباب الجزائر لخدمتهم ، وتكوين فرقة منهم يطلقونهم بالمظلات ليأتوهم بالاخبار ، وقد استطاعوا ان يغرروا باثنين هما الشهيدان حسين مقرانى ، وابراهيم بن سليمان - والاول من رجال جمعية العلماء والثانى تلميذ نابه شجاع - اتصلا بهم مفردين - اما الجماعة - فامتنعوا من العمل معهم ، ويئس الالمان من اتخاذهم (عملاء) . وفى مقابلة مع قائد من قوادهم طلبنا ان تكون لنا حصة فى الاذاعة فقال (تريدون أن تقوموا بعمل ضد دولة فرنسا ؟ أنا لا أسمح بهذا) عجبنا ! لا يسمحون لنا بعمل ما ضد فرنسا المحتلة لبلادنا المعذبة لشعبنا . سمعت هذا بأذنى من مسؤول عسكري ، وفهمنا حقيقة الالمان ، وقارنا هذا ببرقية هتلير زعيم النازية الى المارشال بيتان يقول له عن نزول قواته بتونس فى نوفمبر 1942 .

(اننا نزلنا بتونس لنحافظ على افريقيا لاوروبا) . كما وجهنا فى الموضوع وجهة صالحة مبعوث حزب الشعب الينا، الاستاذ محمد خليفاتى - أهو السيد محمدى السعيد؟ - فحذرنا من الاندفاع معهم، وعرفنا بمقاصدهم . كما زادنا تبصرة فى الموضوع ما سمعناه من اخواننا رجال (جيش بلاد العرب الحرة) ومن قائده الضابط (ممدوح الميدانى) فقد حدثنا عن الالمان وعن معاملتهم للعرب ، وقال ان المفتى الشيخ أمين الحسينى هو الذى أسس هذا الجيش ودربه الالمان فى اليونان تدريبا جيدا - وهو متكون من جنود آتين من جميع بلاد العرب ومنها الجزائر . وقد وجدت فيه بعض أبناء قسنطينة من تلاميذ التربية والتعليم ينشدون فى أناشيدهم العسكرية (شعب الجزائر) (واشهدي يا سما) . منهم أحد أبناء قريتى الشهيد فنور علاوة والسيد طويحن والسيد زناتى . فلما تم تدريبه أراد الالمان ارساله الى روسيا لمحاربة الروس ، قال الميدانى : فقلنا لهم لا عداوة بيننا وبين الروس ولا يحقق غرضنا المحاربة ضدهم فى أرضهم ، انما نريد ان نحرر بلاد العرب !

فلما نزلوا بتونس قالوا لنا : هذه بلاد عربية تعرضت للغزو فلم يسعنا
الا النزول بها للمشاركة فى الحرب . وقال لنا هذا القائد العربى الكريم :
(احذروهم ، ولا تندفعوا معهم فانهم مستعمرون كآخرين) وكان اجتماعنا
معه فى المدرسة الباشية بنهج الكتبة وبهذه المناسبة نقول ان
القائد الالماني لهذا الجيش العربى كان معجبا بهم جدا ، وقد استطاع ان
يوقف بهم زحف الجيش الثامن - الذى بدأ زحفه من مصر - فى مدينة
النفیضة حتى جاءوا تونس من جهة مجاز الباب . وكان - كما قيل لنا - يضم
الى صدره الجندى العربى ويقول له : - يا حسن جندى فى العالم ! - .

وفى مقابلة أخرى مع أحد قوادهم - وكنا فى مقابلة طلبناها لهذا الغرض
- سألته : ما هى نواياكم نحو الجزائر ؟ ان تونس لها كيان دولى ، ومصر
والمغرب كذلك ، أما الجزائر فان فرنسا تعتبرها أرضا فرنسية ، واننا نخشى
ان تعتبروها انتم تراثا ورثتموه عنها . فقال ان نيتنا نحو البلاد العربية كلها
حسنة ، ونريد أن نعاملها معاملة كريمة . فقلت هذا شيء حسن ولكننا نريد
ان يصدر من حكومتكم تصريح رسمى ، فيه وعد بأنه سيكون للجزائر
استقلال ودولة فى حالة انتصار المحور ، بهذا وحده نكون مطمئنين ويمكن أن
يثق بكم شعبنا ويساعدكم .

فالتفت الى زميل له - بعد أن سمع القول - وقال له : (هذا صغير ولكن
تفكيره بعيد) ثم قال لى : (هذا أمر من السياسة العليا ، ولا نملك أن نتدخل
فيه !) .

ولم أكن صغير السن ، ولكنى كنت نحيف الجسم ، ومن ذلك اليوم فترت
حماستنا للالمان وفهمنا أننا مخططون فى تعليق آمالنا عليهم وعلى انتصارهم ،
ولو تم ذلك لهم لكان معناه استمرار عبودية أمتنا واستغلال وطننا واحتلال
قارتنا . ولم يستطيعوا ان يجدوا منا (عملاء) ، وأذكر بهذه المناسبة اننا
رأينا معهم الحاج مصطفى بن جامع من الوطنيين الجزائريين ، ولا ندرى ما فعل
الله به . وكان نائبا فى قالة وهدد بالثورة أثناء مقابلة رسمية مع لجنة بحث
برلمانية .

ولم يطل الامر اثر احتلال الحلفاء لتونس ، فقد عزل المنصف باى رحمه الله يوم 12 مايو ولا ذنب له الا شعبيته ووطنيته ، وشرعت الشرطة الفرنسية تبحث عن الحبيب بورقيبة ومحمد صالح النيفر رئيس جمعية الشبان المسلمين وغيرهما للتنكيل بهم ، ولكن رجال الحزب الدستوري كانوا قد اتصلوا بالقيادة الامريكية وبرجلهم الديبلوماسى (دوليتل) فضرب على أيدي الفرنسيين ومنعهم من ارتكاب كثير من حماقاتهم وأطار عنهم صلفهم وغطرستهم .

اما المنظمة الجزائرية فقد تمكن الفرنسيون من العثور على بعض أنبائها واعتقلوا من رجالها : الشيخ بورنان بن الدريدى والشيخ بوالاخراس سلطاني والشيخ الكامل الحناشى ، والحاج الناصر ، وبحثوا عنى مجتهدين فاختفيت فى مدينة تونس ، ثم فى بنزرت عند السيد السعيد القاسمى رحمه الله ، وساعد على هذا دركى جزائرى يدعى (العمرى) فكتّم عنى وضلل الطالبين ، برغبة من المرحوم صفصاف الذواوى الذى كان يعرفه جيدا وبقيت فى اختفاء حتى هدأت الاحوال ، وخف الطلب .

فاستطعت أن ارجع الى الجزائر بعد نحو سنة فى 30 ابريل 1944 .

34 - لم أستطع ان أبرز فى مدينة قسنطينة، فقد كنت مطلوبا للجندية ، ومطلوبا للمحكمة العسكرية بتونس ، وكان الذى يعرفنى جيدا هو المفتش الشريف الواعر (ابن خرخار) - وكان زميلا لنا أثناء الدراسة بتونس ثم عمل كمفتش للشرطة السرية - فلقية الشيخ عبد الحفيظ الجنان وقال له : يا شريف ان الشيخ أحمد هنا ، وحذار ان يصيبه شر ، فانا لا نعرف غيرك ، فنقع معه الانذار وكتّم الاخبار ، وكان فيه شهامة ، وان كان (مخلصا) لفرنسا ، وقد ضرب من الثورة فى قسنطينة فنجا ، ولكنه لم يتب ، ثم فأعدم فى باريس . وفى مطلع عام 1945 علمت ان (الجماعة) سيقدمون للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية وسأقدم معهم للمحاكمة غيايبا . والمحاكم غيايبا يحكم عليه - عادة - بالاعدام .

أخبرت الشيخ البشير الابراهيمى بقضية هؤلاء الاخوان وقضيتى وبينت له ما عسى ان يتعرض له من خطر ، فاستجاب سريعا ، وأرسل الشيخ حمزه وكوشة لدراسة الامر ، وفتح له الكيس ليأخذ من المال ما يحتاجه فسافر .

كما أرسلنا من قسنطينة الشيخ عبد الحفيظ الجنان لينظر فى الامر ، وكان موعد المحاكمة يوم أول مارس 1945 ، وبعد عرض القضية على المحامى قبل ان يتدخل ويطلب تأجيل عرض القضية الى 20 مارس للحضور أمام المحكمة العسكرية بالقصبة .

فلما عرضت القضية دافع عنى وعن الاخوان المحامى الجزائرى الكبير عبد القادر القبائلى وتلميذه الاستاذ عمار الدخلاوى وغيرهما . وكان مما قاله وكيل الدولة فى (تغريقه) ما لنا نجد الجزائريين يكادون يكونون مع كل تخريب ؟ فلما ساء أوان الدفاع بين المحامى قيمة الدين ورجاله ، وأن هؤلاء منهم ، ثم أشاد بما يقوم به جنود الجزائر فى تحرير فرنسا بعد هوان الاحتلال الألمانى وقال نعم ان الجزائريين الآن يخربون ، لكنهم يخربون أرض العدو لاذلاله .
فأثر على المحكمة .

وصدر الحكم بالبراءة أو بقدر خفيف من السجن على الجماعة ، وكانوا قد أمضوا أكثر من المدة المحكوم بها . أسهبنا - بعض الاسهاب - فى هذه النقطة لان معلوماتها تنشر لأول مرة - لمن شاء أن ينتفع ولم يأخذ المسألة على وجه الهزل والاستهانة ، وأبناء الجزائر حيشما كانوا ومع أي ظرف كانوا يفكرون فيها ويعملون لها . ومن أراد ان يكتب التاريخ فليصدق الرواية ، والملفات فى المحكمة العسكرية الفرنسية بتونس ، وقضاياها المعروضة يوم 20 مارس 1945 .

وجاءت أحداث 8 مايو 1945 وما بعده وأغلقت جميع مدارس جمعية العلماء، وقد بلغ غيظ الاستعمار أشده من اتحاد الجزائريين فى منظمة (أحباب البيان والحرية) ورفعهم الرايات فى الانهج ، فقتل الآلاف وسجن الآخرون ، وكنت قد فاجأنى مرض خطير فأجبرت على دخول المستشفى فى أوائل يوليو واجريت لى عملية جراحية فى 17 منه ، ثم أخذت أسترجع صحتى بسرعة وغادرت المستشفى نهائيا فى 5 جانفى 1946 . وبينما كنت فى المستشفى أدركنى الطلب وأخبرنى الصديق عبد الحق ابن باديس أن رجال الدرك جاءوا لاستنطاقى فمنعتهم (الاخت سيسيليا وضمنت لهم - بوصفها مسؤولة عن القسم - وجودى ، وكانوا لا يعلمون ببراءتى أمام المحكمة العسكرية ولا بترك تنبعى -

من العسكرية بواسطة أحد رجالنا وهو الكابتن بن معطى، وكانت العملية الجراحية سببا فى نجاة من الجندية نهائيا .

35 - كانت المدارس آنذاك ما تزال مغلقة ومعظم الرجال فى السجون أو المنفى ومنهم الاستاذ الرئيس الذى لم يطلق سراحه الا فى شهر مارس 1946. لكننا لم نكن غافلين ، فقد ذهب السيدان أحمد بوشمال وعبد الحفيظ الجنان الى الجزائر واتصلا بالاستاذ ابن شنب فوضع لهما تقريرا هاما عن التعليم العربى وضرورة عودته وقدم كاعذار وانذار للادارة الاستعمارية فما عبأت به .

ثم تقرر عقد مؤتمر من المعلمين الاحرار ورؤساء جمعيات التربية والتعليم بولاية قسنطينة فانعقد هذا المؤتمر فى 16 مارس 1946 بمدينة قسنطينة . وحضره عدد عظيم من المعلمين ومن رجال الجمعيات والمسؤولين عن التعليم ، وقدمت تقارير هامة ، ورفع ما تقرر فيه - من وجوب فتح المدارس - الى رئيس جمعية العلماء - وكانت هذه المدارس قد اغلقت كلها بأمر عام صدر فى الاسبوع الثانى من شهر ماي 1945 ، نصه (أوقفوا كل نشاط) وكنت فى الوفد الذى سافر بالمقررات الى بسكرة للقاء الرئيس ، واثناء هذه الرحلة لقيت لأول مرة الشاب (العربى بن مهيدي) رحمه الله .

ثم وقع فى الجزائر مؤتمر ثان للمعلمين على المستوى الوطنى - اثر الاجتماع العام لجمعية العلماء فى - بتمبر من تلك السنة تحت رئاسة المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتى ، واشراف الابراهيمى وتقرر فيه أيضا وجوب فتح هذه المدارس وهكذا فتحت جميع المدارس المغلقة من قبل فى أول أكتوبر 1946 م وكان هذا تحديا سافرا وعصيانا مدنيا وارسلت بصفتى كاتبا عماليا لجمعية العلماء - برقية نصها : (افتحوا مدرستكم) - الى كل مدرسة مغلقة : وكان أول عمل لى فى التعليم اننى قمت بدروس علمية ثانوية فى مدرسة التربية والتعليم فى أول السنة الدراسية 1944 - 1945 مع تسميتى مديرا علميا لهذه المدرسة وحضرت المؤتمرين للتعليم بقسنطينة ثم بالجزائر ، كما حضرت الاجتماع العام للجمعية وعيننى الرئيس كاتبا لشؤون الجمعية على مستوى ولاية قسنطينة القديمة ، كما عينت بجانب هذا العمل التطوعى

استأذا بمدرسة التربية والتعليم ، ففي السنة الدراسية كنت أعلم قسما ثانويا بالتربية والتعليم ، كما تطوعت باعطاء دروس لبعض طلبة المدرسة الرسمية وللبعض طلبة الكتانية كانوا يأتون الى في تكتنم خشية المستعمرين ان ينكلوا بهم .

وفي سنة 1947 بدأ الاستعداد لانشاء معهد ابن باديس الثانوى، وبصفتى الكاتب للعماله، وضعت على كاهلى مسؤولية التحضير العلمى والادارى له فاستقبلت الطلبات كلها واعدت برنامج الدراسة بتفاهم مع المشائخ والاساتذة ، وقمت بتوزيع حصص الدراسة على المشائخ ، وتقسيم الطلبة الى ثلاث سنوات : الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، وافتتحت الدراسة فى شهر ديسمبر بعد تذليل كل صعوباتها المادية والادبية ، وحينئذ تسلم الكتابة للمعهد الاديب الكبير الاستاذ أحمد رضا حوحو - وهو يجيد الفرنسية ، والحاجة الى ذلك ضرورية فسلمته كل الاعمال ، وتمحّصت أعمالى للتدريس وشؤون الجمعية .

وتأسست لجنة التعليم العليا كما تأسست مصلحة التفتيش للمدارس فأول من اسند اليه التفتيش على المستوى الوطنى هو المرحوم الشيخ محمد الغسبرى ، وآخر من قام بذلك الاستاذ ابراهيم مزهودى حفظه الله، وبهذه الصفة استطاع ان يؤدى خدمات سامية للجزائر فى الثورة قبل ان يلتحق بجندها ويكون من قادتها السامين وعضوا بلجنتها التنفيذية حسب مقررات المؤتمر الاول - مؤتمر الصمام . وقد سمعت الثناء عليه من قائد الولاية الثانية العقيد ابن طبال مع زميله عمارة رشيد رحمه الله . وكان ممن اسند اليه التفتيش أيضا : الصادق حماني - محمد صالح رمضان - محمد بابا أحمد - على مرحوم . . . الخ .

وقد استمر المعهد فى أداء مهمته التثقيفية ، ولحق به الاكفاء من العلماء ، كما استمرت لجنة التعليم العليا فى أعمالها ، واستطاعت ان توحد التعليم فى مواده وبرامجه وتوحيده على مستوى الوطن كله ، كما استطاعت ان تحسن مرتبات المعلمين - نسبيا - وان تضع نظاما محكما للتسمية والترقية والاياف - عند الضرورة - والانتقال ، وكان الاساس هو المصلحة العامة والطاعة التامة ، وكان المسؤول عن لجنة التعليم الرئيس . ثم أحييت رئاستها الى مدير المعهد بقسنطينة ، ثم عادت الى الجزائر ، ثم اسندت مسؤوليتها الى

الشيخ عبد القادر الياجورى لمدة سنة واحدة ، وكنت آخر من اسندت اليه مسؤوليتها فى عام 55 - 56 - 1957 فكنت أسافر أسبوعيا بين قسنطينة والجزائر للقيام بأعمالها وكثيرا ما يحيل الى الشيخ العربى بعض الاعمال الهامة لانجازها وخصوصا ما يتعلق منها بالاتصال بالجبهة ورجالها وبالجيش واعماله ، وكان العقيد عميروش على اتصال مستمر به ، وقد عرفه فى باريس والواسطة هو الشهيد الربيع بوشامة ، وقد أرسلنا الى ولايته كثيرا من آلات الطبع والكتابة والسحب . وتعاوننا معه فى جهاز المسؤولين السياسيين ، والمعلمين وما يزال بعضهم احياء .

36 - لما نشبت الثورة 1954 م ، استبشر بها الشعب واستقبلها المعهد وطلابه وشيوخه أحسن استقبال ، وكان شيخنا المرحوم الشيخ سعيد الزموشى بيننا فى مدينة قسنطينة يسافر فى نهاية الاسبوع الى (عين البيضاء) ويأتينا باخبار عن المعارك والقتال ، وذات يوم أراد الاديب الشهيد حوحو ان يداعبه ففتح مسجلته - وكنا فى بداية عصر المسجلات - ثم أخذ يستنطقه والشيخ مندفع فى القاء اخباره بحماس ، فلما انتهى أدار حوحو المسجلة ، فاذا بها تعيد ما كان الشيخ يقصه ، وكان مفاجأة ! ثم أخذ كل منا نصيبه من الاعمال ، وكل يكتف نشاطه عن الآخرين لما تأمر به الثورة حتى لا ينحل النظام ولا يختل .

وكان أول معتقل منا هو الشيخ أحمد حوحو ذهب به الى الشرطة وبقي عندهم نحو 24 ساعة ، ثم رجع الينا يقص علينا الاهوال (17) وفى يوم 30 مارس 1956 أعدم المجرم (سان مارسيلي) الكورسي مدير الشرطة بالقسم الثانى وهو مستعرب برع فى مقاومة الجريمة فاغتر واستهان برجال الثورة وعاملهم معاملة محترفى الجريمة ، واظهر استخفافا كبيرا بشأنهم متعاليا مفتخرا ، وبينما هو صبيحة يوم الخميس 30 مارس بقرب الجامع الاخضر - فى الجزائر - تقدم منه فدائى صغير ، وصرعه برصاصة واحدة وافلت .

(17) منها أنهم كانوا يوقفونه الى الحائط ، ويرمون جهته بالرصاص عن يمينه ويساره ! أو يرمون بالسكاكين . وقال : انهم هددوه بالموت ان بدا منه شئ ، فكان يكتف ما وقع له ، وأخذ يسعى جديا للرجوع الى الحجاز ، لانه كان يملك الجنسية السعودية وجاءته الموافقة من سفير السعودية فى باريس ولكنه الاجل .

هاج قومه من (الكورس) وماجو وحوصرت البلاد وجمعوا من استطاعوا وساقوهم الى حى الكدية وبلغ عددهم الآلاف ودامت حالهم هذه حتى الصباح .
ثم اعتقلوا بعض أعيان المدينة منهم الاديب أحمد حوجو ، والشاب محمد الطاهر العجايى ، والحاج رابح بوشريط ، والحاج اسماعيل بوعلاق وعددهم 13 فأعدموهم . وكانوا عازمين ان يعدموا 50 شخصا - كما كان يفعل الالمان - وفيهم - كما يقال - المشائخ العربى التبسى ، ومزهودى ، وأحمد بوشمال ، وأحمد حماني ، ولكن الوالى - وكان اشتراكيا - ناقشهم فى القائمة واقنعهم بالاكْتفاء بمن ألقوا عليهم القبض داخل المدينة واغلقت الدراسة فى المعهد اثر هذا الحادث .

وكانت دار الطلبة التابعة للمعهد من معاقل الثورة ، بها ينزل رسلها الى الولايات فى ذهابهم اليها ورواحهم منها كالشهيْد عمارة رشيد رحمه الله .
وقد تولى المسؤولية الاولى فى الاتصال الاخ الاستاذ ابراهيم مزهودى وهما اللذان أعادا الاتصال - بعد انقطاعه لمدة عام تقريبا - كما شهد بذلك العقيد ابن طبال ، ثم اكتشف أمره فتجنّد واستخلف من بعده الاستاذ مصطفى بوعابة فقام باعبائها حتى اكتشف وكاد يقع فى يد الشرطة لولا يقظة وشجاعة الشهيد أحمد بوشمال رحمه الله ، ثم استخلف من بعده المرحوم الطاهر سعدى حتى يوليو 1957 ، ثم هاجر الى تونس واستخلف من بعده الاستاذ الصادق مخلوف .
واثناء هذه الفترة كنا قد نظمنا الاتصال بين الولايات وعينا للجهة فى كل مدينة مسؤولا تعتمد عليه من عناية وحتى الجزائر ، وكثير من هؤلاء المسؤولين ما يزالون بالحياة وفيهم الشيخ سليمان بشنون الذى لعب دورا هاما وسلم من الاعتقال .

كنت فى مدينة الجزائر منذ ابريل 1956 ، وكانت الاتصالات ترد الى الجزائر من قسنطينة الولاية الثانية أو من الولاية الاولى أو تأتي من تونس ومن كان بها أو من المغرب ، فقد جاء منها مرتين المرحوم عبد الحميد ابن آشنهو الاستاذ بمدارس المغرب ، وعضو المجلس الاسلامى الاعلى ، ومدير المطبعة الرسمية من بعد، وكنت أرسل بالمقالات والبيانات الى تونس والى المغرب والى جريدة (البيان) العربية بنيويورك فتتشر ويكون لها الصدى ، من ذلك ،

ما كان فى أمر اعتقال الشيخ العربى واختفائه ، وقد ارسل الى المغرب وتونس والقاهرة ودمشق ، وتركت أثرا طيبا واستغلتها الجبهة فى لفت انظار الرأى العام العالمى ، وتحرك علماء المغرب ، واحتجوا . والحق أقول اننى انتفعت بهذا فيما بعد لان فرنسا لم تقدم على اعدامى عند القاء القبض علي - لكونى فى مجلس العلماء رغم (التلبس بالجريمة) واكتفت بالتعذيب والمحاكمة والاشغال الشاقة . وكان يتلقى هذه المقالات منى الاستاذ على مرحوم بالمغرب والاستاذ حامد روابحية ثم الاستاذ عبد الرحمن شيبان بتونس ، والاستاذ الغسرى بدمشق ، اما جريدة البيان النيويوركية فقد كنت ارسل اليها مباشرة فتنشر بامضاء (رشيد) ، وارتكبت فى طريق الارسال حيلا لا تخطر ببال المستعمر .

وفى 13 جويلية ترأست لجنة الجزائر لاجراء امتحانات المدارس العربية ، التى كانت تجرى على مستوى الوطن كله، وبينما كنا فيها اغتيل الشهيد عبد الملك فضالة(18) بدعوى أنه أراد أن يفر بعد ايقافه - وقد اطلعت على منشور سرى يأمر باعدام كل من قبض عليه متلبسا بتقديم مساعدة ما للثائرين - وفى 11 أوت 1957 عدت الى الجزائر فى مهمة حمل البريد بين الولاية الثانية والعاصمة - وكنت تحت الرقابة الشديدة - ولم أتفطن لها - كما اخبرنى المرحوم الاستاذ محمد بن العوادى فيما بعد - بانهم سألوه عنى فى عنابة قبل شهر، وعن السر فى ترددى على الجزائر - فالقى على القبض فى طريقي الى مركز جمعية العلماء وحجز ما معى ، وابقيت تحت العذاب مدة خمسة ايام ثم نقلت الى قسنطينة حيث مكثت فى العذاب والاستنطاق 22 يوما قبل أن يصدر قرار الايقاف والسجن ، ومثلت امام المحكمة العسكرية فى 23 سبتمبر 1958 ، وصدر الحكم بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاما قضيت منها فى أوصاب

(18) من شهداء الثورة ، معلم نابغة يتحلى بأجمل الاخلاق ، كان عند اعلان الثورة فى تازمالت ، فنقلناه الى مدينة (حجوط) حيث قضى فيها مديرا لمدرستها سنة 55 - 1956 فاتصلت بنا قيادة الناحية فى وادى الساحل وألحت علينا فى ارجاعه الى تازمالت لخدمة الثورة . فاغتالوه فى 12 جويلية 1957 وكان ميلاده فى بلدية بنى شبانة (دائرة بوقاعة) عام 1920 .

السجون نحو خمس سنوات • وبالضبط أربع سنوات وسبعة أشهر و 25 يوما بالحساب الشمسى من 11 أوت 1957 حتى 4 ابريل 1962 •

وأثناء محنة السجن لم نتخل عن الواجب المقدس ، فكان لنا فى سجن الكدية بقسنطينة - وقد مكثنا فيه 15 شهرا - تلاميذ، واما فى سجن تازولت المركزى الرهيب فان الاوامر الواردة من جبهة وجيش التحرير صريحة فى وجوب مواصلة التعليم والتعلم ، فلما حللنا فيه يوم 6 نوفمبر 1958 م ، استقبلنا استقبالا مدهشا من زبائنته ، وضربنا ضربا مبرحا ، وصب علينا فى الحمام الماء الحار . ثم عزلنا مدة لنذهب آثار العذاب وتلتئم الجراح •

ولاول مرة دخلت فناء المسجونين اتواسع تقدم منى شاب مهذب - هو الاخ فتحى كاهية - و (رحب) بى ، وسألنى هل أنا فلان ؟ ثم قال لى : متى تبندنى التعليم ؟ قلت أى تعليم ؟ فقال « الاوامر التى عندنا من الجبهة واضحة على كل مناضل مثقف داخل السجن أن يعلم اخوانه ، فان لم يكن مثقفا فعليه ان يتعلم ، وأنا أعلم اخوانى دروس الفرنسية وأتعليم العربية » • طلبت راحة أسبوع ريثما يذهب عنى بعض ما أنا فيه من السوء •

وكان فى سجن تازولت ثلاثة اخوان من العلماء : الشيخ أحمد بوزيدى ، خريج القرويين وتلميذ الابراهيمى رحمهما الله ، والشيخ محمود عيسى البايى خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية ، ورفيقي فى القضية الشيخ الصادق مخلوف المتخرج من الزيتونة فقررنا تنظيم التعليم فى السجن كله بحيث لا تقتصر فيه على رفع الامية ، بل نجعله برنامجا تثقيفيا كاملا يشمل فنون العربية من نحو وصرف وانشاء وبلاغة ولغة ، وعلوم الدين من توحيد ، وفقه وقرآن وحديث وسيرة ورياضيات من حساب وهندسة وجغرافيا وتاريخ وأشياء ، وفرزنا (الطلبة) فجعلناهم أقساما وسنوات واستطعنا ان نكون قسما (تكميليا) اشتركنا كلتا فى تعليمه ، وساعدنا على هذا التنظيم التحسن الطارىء على المساجين ومعاملتهم سنة 1959 ، ثم استطعنا ان نستورد الكتب حتى من تونس طلبناها من وزارتنا للتربية - وكان يتولاها الاخ عبد الحميد مهرى عضو اللجنة المركزية - بواسطة الشيخ محمد كحلوش بحيلة جازت على السجانين ، كما ان ادارة السجن اسعفتنا بانشاء مكتبة للمطالعة اخترنا كثيرا من كتبها ،

ولا ندرى من دفع ثمنها أهو الهلال الاحمر ؟ وأخيرا كونا - سنة 1961 مجلة سميناهما (صوت السجين) وكان الاستاذ الصادق مخلوف يكتبها بخطه ونسحبها ، ان هذا التعليم المنظم المستمر - قريبا من ثلاث سنوات - قد اعطى بعض ثماره اليانة ، فقد كنا نجرى امتحانات منظمة . ونعقد اجتماعات أسبوعية يخطب فيها التلاميذ ، ويعرضون مقدرتهم الانشائية ، وقد أصبح كثير منهم يتقنون العربية فهما . وانشاء ، ومحادثه والقاء ، أذكر من هؤلاء الاخ المجاهد عبد الله فاضل . وزير الشبيبة والرياضة سابقا ، والاخ المجاهد فرحات بلمان بمنظمة المجاهدين ، والسادة الاساتذة : حمدانى بن طبال ، ورابع زدام والاخضر قدوح . الخ . وكل منهم - تابع الدراسة من بعد وحصل على شهادة اللسانس ، وكثيرغيرهم معلمون أكفاء أو مفتشون .

ولم تكن وحدنا الذين صنعنا هذا فى سجن تازولت الرهيب ، ولكن العلماء والمفتشين من المناضلين ، كانوا فى جميع المعتقلات والسجون يؤدون مثل هذا أو خيرا منه لامكانياتهم - فى المعتقلات أحسن مما كنا عليه فى الزنانات ، فبعد الاستقلال - وعندما كنت فى الجزائر - جاءنى طلاب يلحون فى اتمام معلوماتهم التى كانوا تلقوها على هؤلاء المشائخ فى السجون والمعتقلات ، واستطاعوا بها ان يكونوا من المعلمين ويريدون اليوم تحسين وضعيتهم ، واستكمال دراستهم ، وباتفاق مع الجميع - طلاب تازولت وغيرهم - رتبنا لهم دروسا علمية بقاعة (نادى الترقى) وجعلنا مدة الدراسة الاسبوعية نحو 15 ساعة : 4 ساعات مساء الخميس و 6 ساعات يوم الاحد - وقد كان يوم راحة - وساعة كل يوم من الايام الاخرى ، واستطعت فى هذه الدروس أن أختتم لهم منظومة (الالفية) مستعملا فى تحضير الدرس الاشمونى - والتصريح . وقد تخرج منهم معلمون أكفاء ونحصل منهم على شهادة الليسانس - بعد النجاح فى مسابقة الدخول للجامعة - جماعة ، ومنهم اليوم أساتذة فيها فى ثانويات او فى الجامعة نفسها ، وعلى سبيل المثال أذكر الاستاذ برامة عمر « أستاذ جامعى اليوم » والسامى العمورى مكلف بمهمة فى وزارة الشؤون الدينية وعلى مزيانى رئيس المجلس الشعبى بالقصبة ووادى قریش ، ورابع زدام أستاذ بثانوية وشاعر كبير بالملحون ، والاخضر قدوح

أستاذ تكميلي ، وابن عبد الرحمن أستاذ ثانوى ، وغيرهم . وفى عام 1958 جاء الأمر القاطع بالتخلي عن هذه الدروس فتوقفت .

37 - وجاء الاستقلال وطويت صفحات عهد الظلام ، ورجعنا الى مستقرنا فى أمن وسلام . ودعينا الى تنظيم التعليم بمدينة قسنطينة فى مايو 1962 تحت اشراف الولاية الثانية وقيادتها ، وحملت مسؤولية ادارة معهد ابن باديس ولكن على أسلوب جديد يستقبل فيه صغار التلاميذ كما يستقبل فيه الشبان والكهول والشيوخ لرفع الامية ذكورا واناثا .

وقد سجل فيه أكثر من الفين ، وجعلناهم فى الدراسة أفواجا ، ونظمنا قسما تكميليا من الشبان والفتيات أعددناهم للشروع فى التعليم ابتداء من السنة الدراسية 62 - 1963 . وكان الاقبال على الدروس بحماس وايمان وفرحة الاستقلال . وختمنا هذا التحضير الاستعجالى بعقد دورة امتحان نجح فيه كثير من الفتيان والفتيات ، وتأهلوا للتعليم فورا فى الاقسام الابتدائية بعد دورة تكوينية سريعة اشرف عليها الاستاذ عمر جفرى رحمه الله أحد اساتذة المعهد قديما بتكليف منى بعد ان أصبحت مفتشا عاما .

وانما للحديث أقول : بينما كانت الاوامر أن نعلم العربية ونتعلم الفرنسية أيضا كانت ذهنية الشعب غير ذلك ، كانوا يظنون أن الصلة قد انقطعت تماما بيننا وبين الفرنسية وغطرستها ، حدثنى الثقة ان معلما للفرنسية - تقدم فى أول درس أمام طلابه - فى حى (باردو) وكتب لهم الابجدية الفرنسية واستنطقهم ، فارتفع صوت من بينهم وقال :

آه ! يفعل هين كذا وكذا ! .. لقد انتهينا من هذا !

ولم تكن لنا راحة أثناء ذلك الصيف ، بل واصلنا أعمالنا فى ابتهاج شعبي لا نظير له . وعقد المعلمون القداماء اجتماعات يتساءلون ما المصير ؟ واخذت الدولة تتشكل والتنظيمات تدبر ، واحتاجت العربية الى موقف الدفاع من جديد .

ثم جاءتنى رسالة من الوزير المختص - آنذاك العقيد محمدى السعيد باننى سميت (مفتشا عاما) للتعليم العربى ، فاسلمت الادارة الى الاستاذ عبد الحميد بحري أحد من اعتمدناهم أثناء الحرب .

ولكن هذه الوظيفة لم تكن الا فى ايام انتقالية ، فقد حذفت وجاءت تسمية أخرى من وزير التعليم وكان وزيرا واحدا لكل أنواع التعليم - كاستاذ فى (معهد الدراسات العربية) بكلية الآداب بجامعة الجزائر ، وذلك أواخر سنة 1962 .

ومع مطلع السنة 1963 غادرت قسنطينة لباشر عملي بهذا المعهد فوجدته ما زال فكرة فى الازهان وشاركت فى اعداده حتى استوى على سوقه وبدأت الدراسة فيه فى آخر فبراير . ثم الغى وشيكا والحقت مهمته بكلية الآداب قبل ان ينتزع منها - هى بدورها - اسمها .

11 - مدة عشر سنوات متتالية 63 - 1973 كنت فى كلية الآداب ، وكنت فى هذه المدة على اتصال بوزارة الشؤون الدينية متطوعا بالاضطلاع ببعض مهامها ، متعاوننا مع جهازها ، وقمت بالقاء درس ليلة السابع والعشرين من رمضان ، كما عقدت بعض الرحلات مع المسؤولين الى بعض الجهات ، ولما أسس المجلس الاسلامى الاعلى عام 1966 م كنت من أعضائه .

وفى مستهل عام 1972 م جاءنى ذات يوم رسول من وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية يستدعينى لمقابلة السيد الوزير ، وقد استقبلنى بحضور الامين العام بحفاوة ، ثم عرض على ان أتعاون معه فى القيام بمسؤولية (رئيس المجلس الاسلامى الاعلى) .

وكان هذا المجلس قد أسس أوائل عام 1966 وتولى رئاسته الشيخ الصديق سعدى رحمه الله بكل كفاءة ونزاهة ، ثم تخلى عنه ، فانتخب لرئاسته الشيخ عباس بن الشيخ حسين فسار به مدة - كنت فيها أقوم بواجبى معه فى تناسق وتعاون - ثم انصرف عنه بإرادته واختياره وبقي المجلس أكثر من ثلاث سنوات يسيره نائب الرئيس الشيخ سعيد صالحى أطال الله حياته ، وكل هؤلاء اخوانى وأساتذتى - وبعد محاورة واستفسارات اقتنعت بالعرض وقبلت المهمة ، وتحملت هذه المسؤولية الكبرى .

وأول مهمة كلفت بها خارج الوطن ان سافرت للمشاركة فى (مؤتمر الفقه الاسلامى) الذى عقد بمدينة البيضاء من جمهورية ليبيا فى ربيع عام 1972، ولاول مرة أحضر مثل هذه المؤتمرات والملتقيات وأشاهد المناقشات العلمية

الحررة الحادة أحياناً ، واسمع لمحاضرات متوالية متتابعة قيمة واعجبت اثناءها بمناقشات فطاحل العلماء ومنهم المرحوم أبو زهرة ، والمرحوم على الخفيف ، والدكتور يوسف القرضاوى ، والاستاذ مصطفى الزرقاء وغيرهم ، واثناء تلك السنة نفسها كان ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى السادس بالجزائر ، وحضره العلماء من الشرق والغرب ، مسلمين وغير مسلمين عرب ومستعربين ، واستطعت ان أشارك بالمناقشة فيه مشاركة طيبة فعالة ، ثم توالى هذه المؤتمرات فى الداخل وفى الخارج ، فسافرت لحضور كثير منها كممثل للجزائر أو كمدعو شخصى ، وتكرر السفر الى بعض العواصم التى أذكرها ، تونس (مرارا) والقيروان (مرارا) والقاهرة وليبيا (مرتين) ومكة (مرات) والرياض والطائف ولوكنو (بالهند) وكابل ونواكشوط (مرتين) وقرطبة واسطمبول (مرتين) وانقره، ونجامنا والكويت (مرتين) وبغداد، وطهران وبروكسيل (مرتين) وموسكو... الخ. وكانت مشاركتى بمحاضرات أو بتدخلات ومناقشات أو بأعمال فى اللجان * وانها لمهمة عسيرة غير يسيرة ومسؤولية ثقيلة ، وقد انتخبت - دون طلب ترشيح ولا علم به - فى المجلس التأسيسى لرابطة العالم الاسلامى منذ عام 1394 هـ ، وكان المكان شاغرا منذ وفاة الامام الرئيس الابراهيمى رحمه الله ، ثم انتخبت بعد ذلك عضوا فى المجلس الاعلى العالمى للمساجد ، وأنا منتخبة فيهما بالاسم لا بالوصف ، لان الذى ينتخب الاعضاء هو المجلس التأسيسى بعد التحرى الكامل عن المرشح ، وانما يقبل ترشيح اثنين من الاعضاء ولا يقبل ترشيح غير الاعضاء .

هذا قليل مما تم من الاعمال ، وما كان خارج الوطن ، اما فى داخل الوطن فان أعمال المجلس اليومية والشهرية والموسمية كثيرة ، وأنا وحدى لست شيئا مذكورا وانما يتم ذلك بتعاون كامل مع الاخوان الطيبين الصالحين الذين يعملون فى تكتهم ، وبعد عن الاشهار ومع انكار للذات ، وهم يقومون بمجهودات وافرة فى تحقيق الغاية التى رسمت لهم فى مرسوم تأسيس المجلس ، وخصوصا فى ميدان الدعوة الاسلامية وتوعية الشعب بمبادئ الاسلام الصحيح وتنقية العقائد من الزيغ والفساد والحرص على بث قواعد السلوك والاستقامة فى السير ، واصدار الفتاوى الشرعية للدوائر الرسمية والافراد والجماعات الشعبية .

ومن أهم أعمالنا - فى الميدان الوطنى - اننا - كاعضاء فى جبهة التحرير الوطنى - شاركنا فى المؤتمر الرابع ، ثم فى المؤتمر الاستثنائى ، ثم فى المؤتمر الخامس ، فكانت كلمتنا فيهن مسموعة ، وسمعة ديننا ومكانته عند شعبنا ومناضلينا - مرفوعة - والحمد لله .

ثم اننا نعوذ بالله من تزكية أنفسنا ، بل نترك الحكم لنا أو علينا لامتنا ووطننا مفوضين الامر لربنا ، راضين بقضائه وقدره . مطمئنين لعدله الكامل ، ورحمته الواسعة ، نسأله - ضارعين - السلامة فى ديننا ، وحسن الخاتمة على الاسلام . والنجاة لنا ولوالدينا وللمؤمنين يوم القيامة ، انه سميع قريب غنى حميد .

خاتمة الخاتمة

38 - ونكتفى بهذا القدر مما أردناه من هذا الكتاب، ومن خاتمته التى وضعت لاتمام التعريف بالحركة الاصلاحية ، وبدعاة السنة وغزاة البدعة ، وببناء النهضة القومية العربية الاسلامية ... بعضهم على الاقل - فى هذه الحقبة من تاريخنا ، ممن لهم اتصال وثيق بابن باديس أثناء هذه المحنة القاسية ، وقد ذكرنا بعضهم بشئ من التفصيل فى صلب الكتاب ، منهم مبارك الميلى ، والعربى التبسى ، وأحمد بوشمال ، ومحمد صالح بن عتيق ، ومحمد العيد ورمضان حمود ، والزاهرى ، والزواوى ، والاحمدى ، وكلهم شارك بشئ ما فيما جاء فى الكتاب ، وذكرنا فيه ما يناسب المقام عن بعض المناوئين المعارضين بكل موضوعية ، ثم ذكرنا فى هذه الخاتمة ابن باديس والابراهيمى وخير الدين ، وليس معنى هذا ان هؤلاء المذكورين كانوا وحدهم فى هذا الميدان ، بل بقى كثير من اخوانهم من عظماء الرجال ممن تركوا فى جيلهم أعظم التأثير - ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر - علامة الجزائر المصلح الكبير الشيخ ابراهيم بيوض رحمه الله ، فانه كان فى الجنوب ، وفى اخواننا الاباضية كابن باديس فى الشمال ، وفى أهل السنة . حمل لواء السنة وقمع البدعة ، حيثما كان ويكفيه - قربة عند الله - انه استطاع ان يعيد صلاة الجمعة لمساجد الاباضية بعد ان هجرتها طويلا ، وأى سنة أعظم من احياء الجمعة واحياء النداء اليها فى مدن المسلمين ؟ كما استطاع ان يقضى على كثير

من البدع التي شاعت في قومه ، كما شاعت في غيرهم ، وفرقت بينهم وبين اخواتهم الاقربين والابعدين ، وطالما أودى في الله بسبب مواقفه ، فثبت وصبر شكر الله سعيه ، وجزاء جزاء الصابرين الشاكرين .

وقد أمد الله في عمره ، وبارك له ولامته فيه حتى ختم تفسير القرآن الكريم ، القاء ودراسة وتدريسا . كما ختمه قبله ابن باديس ، وكما ختمه من قبلهما الشريف التلمساني ، وكل ما جاء من هؤلاء العظماء الثلاثة ، من رجال أمتنا ، كان من هدى القرآن وبركته : (**كِتَابُ انْزِلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**) وكل ما جنته أمتنا من خيرات القرآن وثمراته . فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وبعد قليل من ختمه القرآن الكريم اختير ابن باديس لجوار ربه . ولم يمر الا قليل وقت على ختم الشيخ ابراهيم بيوض ، والاحتفال به حتى لبي داعي الله .

وعسى ان يدرس شبابنا المسلم آثار رجاله ، ويحاول ان يعمل عملهم ، ويصبر صبرهم ويخدم دينه وأمته ووطنه خدمتهم ، وان يكون قدوته الحسنه في كل أعماله وسيرته من كان قدوتهم الا وهو سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال الله لنا فيه : (**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**) .

فاذا عاش المؤمن نصير السنة - وهي خير الهدى - وقامع البدعة وهي شر الامور ، فقد وفق ورشد وعمل صالحا ثم اهتدى .

نسأل الله ان يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم) .

الجزائر في :

20 - 4 - 1404 هـ، الموافق 23 - 1 - 1984 م

أحمد حماني

شكرا... يا دار البعث

أحسنت « دار البعث » للطباعة والنشر في إقدامها على طبع هذا الكتاب وأجملت وقدمت مساعدات كثيرة ، وصبرت صبورا جميلا ؛ فمن واجبي ان أتوجه إليها بالشكر الخالص ، وإلى جميع من انتسب إليها ، وخصوصا الأستاذ محمود - عبد الحميد - عياط مديرها ، والأديب الأملئ محمد العيد - الهاني - بستانجي نجل شيخنا المقرئ الكبير الشيخ عبد المجيد بستانجي رحمه الله ؛ فالأول اتسع صدره لطبع الكتاب ، والثاني اتسع صدره لمراجعته والقيام بتصحيح ملازمه بعناية تذكر له فتشكر ، ولم ييخل علي بملاحظات ثمينة ، فإلى « دار البعث » وإلى عمالها والمشرفين عليها كلهم ، وإلى هذين الرجلين الكريمين أوجه شكري ، مفتخرا بأن مثلهما ما يزال في أمتي . وليس بالكثير أن يشكر المحسن على إحسانه ؛ ففي الحديث : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاللهم اجعلنا من الشاكرين ، وزدنا من نعمك الجلى .

الجزائر فى : 22 ربيع الآخر 1404 هـ « حماني »
25 يناير 1984 م

فهرس الجزء الثانى

7	مقدمة الجزء الثانى
	القسم الرابع
11	ثروة أدبية وثقافية خلفتها الحادثة
13	مقال (بيضاوى) : ابن ملجم
14	ترجمة الشيخ مبارك الميلى
14	العهد الفرنسى
18	آثار الشيخ مبارك
20	ابن ملجم القرن العشرين !
25	شملت يد الجانى
26	الشيخ العقبى والشهاب وحادثة الفتك
28	جمعية التآمر بقتل العلماء والفتك بهم
42	الاعتداء على صاحب الشهاب
45	الى الناقد الخبير
47	الى الخطيب أبى يعلى
52	ومجرمون أيضا
53	حقا ان الليالى أمهات العجائب
55	صدى الاعتداء على الاستاذ فى الازهر الشريف
59	متانة أسلوبه العلمى

- 61 جريدة الشهاب وصاحبها
66 الى الكاتب السلاوى الفاسى
75 متى كان مشائخ الطرق علماء ؟
76 شيوخ الطرق ليسوا بعلماء !
80 ليسوا بعلماء وان وسمهم أبو يعلى بالعلم
82 لا تخف انك أنت الاعلى
94 حزب الاصلاح لا ينكر التصوف الحقيقى
95 أثر الشهاب فى يقظة الشبيبة وسوء أثر بعض الزوايا
97 من هو الكاتب ؟
98 نقيب الاشراف وانخداعه لمن خدعه بالله
99 الجواب بالبراءة
102 شر المغرورين ٠٠٠ أو الغروريين
105 غاية حزب الاصلاح الدينى تطهير الطبقات
106 الكتاب الاصلاحيون ، والضلال الخرافيون
111 الاعتداء على زعيم النهضة الجزائرية العظيم
116 للحقيقة والتاريخ
120 الى مجلة المعرفة المصرية
122 (شيخ علماء الجزائر) ام شيخ الحلول ؟

القسم الخامس

- 129 شلت يد الجانى للشاعر رمضان حمود
132 الى زعيم المصلحين للشاعر محمد السعيد الزاهرى
136 (كتبت دماؤك لنهدى صفحات)
142 حمتك يد المولى للشاعر الشباب الشيخ محمد العيد آل خليفة
142 نبذة من حياة الشاعر
154 الى العلامة السلفى للشيخ محمد القرى (فاس)
158 الشاعر الفقيه الشهيد محمد القرى الفاسى
168 احساس لطيف من شاعر شريف للشاعر صالح سويسى الشريف القيروانى

- 173 فى ذمة التاريخ افطع حادث للشاعر الشيخ الطيب العقبي
196 فى الله أوديت للشاعر الاديب (علوى)
199 ذنب ابن باديس ذنب غير مفتقر للشاعر (غريب)
205 مرحبا بالاستاذ عبد الحميد للشاعر الاديب محمد القرى
216 ومن ذا يرد سهام القدر للشاعر الاديب موسى الاحمدى

خاتمة الكتاب

- 227 اثر الصنهاجيين آل باديس فى أحياء السنة وامانة البدعة
229 عبد الحميد بن محمد المصطفى بن باديس
231 عبد الحميد بن باديس وتكوينه
232 هجرته الى تونس فى طلب العلم
234 سفره الى البقاع المقدسة لتأدية فريضة الحج
235 الى العمل
237 أجمعية الاخاء أم جمعية العلماء ؟
238 تأسيس المطبعة الجزائرية الاسلامية
240 تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
241 الشعب ينزل الى الشارع فى مظاهرات عامة
241 الشعب يؤسس المدارس الحرة والمساجد بماله الخاص
242 تأسيس جريدة السنة والشريعة والصراط السوى
243 القضاء على سياسة الاندماج
243 الاندماج قبر لا نشور بعده
244 الكلمة الصريحة عام 1936 : ان الجزائر ليست فرنسا
245 تهمة باطلة ومحاولة فاشلة
246 من الذين كانوا يتهمون العلماء بمصادقتهم على برنامج فيوليت ؟
247 اعلان اليأس من فرنسا ؟
248 لا نعتمد الا على أنفسنا ونتوكل على الله
251 تهنئة بعيد الفطر المبارك الى الامة الجزائرية الكريمة
152 الاحتفال بمرور قرن على احتلال قسنطينة

- 253 منشور المقاطعة
- 255 صورة طبق الاصل للمنشور باللغة الوطنية
- 256 صورة طبق الاصل للمنشور باللغة الفرنسية
- 257 صفحة ذهبية
- 259 نص الانذار الفرنسى
- 260 جواب الامة على الانذار
- 264 خلافة الابراهيمى - مساومات ويقظة وثبات
- 269 العودة الى متابعة العمل
- رحلات الى خارج الوطن ، وأعمال باهرة ، نداء الى الثورة
- 272 ومواصلتها فور نشوبها
- 276 خاتمة الابراهيمى
- 278 الشيخ محمد خير الدين ثالث ثلاثة بعد الحرب الاخيرة
- 282 تأسيس جبهة اندفاع عن الحرية واحترامها

المؤلف

- 285 من هو أحمد حماني ؟
- 287 دخوله الكتاب القرآنى
- 287 حضوره دروس الشيخ أحمد الحبيباتنى
- 288 اتصاله لأول مرة بالشيخ عبد الحميد بن باديس
- 288 فى الجامع الاخضر بقسنطينة
- 289 هجرته الى تونس لطلب العلم
- 291 عمله كمندوب لمجلة الشهاب ثم جريدة البصائر
- 291 بداية النشاط
- 292 تحصيله على الشهادة « العالمية »
- 293 اتصالات سرية مع الالمان لتحرير الجزائر
- 296 أحداث 8 ماي 1945
- 297 مؤتمر المعلمين الاحرار
- 298 الاستعداد لانشاء معهد ابن باديس

298	تأسيس لجنة التعليم العليا
299	الثورة التحريرية 1954
301	الحكم بالاشغال الشاقة لمدة 15 عاما
302	اثناء محنة السجن
305	بعد الاستقلال
307	خاتمة الخاتمة
309	شكرا يا دار البعث

